



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُورِيفِ الْقِزْبَاوِيِّ

المجلد الخامس والثمانون





حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

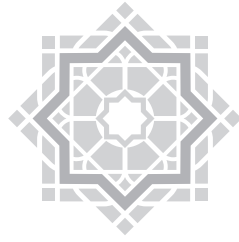
١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

دار الشَّامِيتِ

للطباعة والنشر والتوزيع



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُيُوتِ الْقُرْضَاوِيِّ



الْجُورُ الْخَادِي عَشْر

خُطَبُ الْجَمْعَةِ

- ١٦٨ خطب الشيخ القرضاوي ٥
- ١٦٩ خطب الشيخ القرضاوي ٦



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ



المحور الحادي عشر

خطب الجمعة



خطب الشيخ القرضاوي

٥

إعداد

د. خالد السعد



غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾
[آل عمران: ١٦٠].

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦].

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَیَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوْكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].



نسخة مجانية

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن سعد بن أبي وقَّاص، أنَّ رجلاً جاء إلى الصلاة، والنبِيُّ ﷺ يُصَلِّي بنا فقال حين انتهى إلى الصف: اللهم ائني أفضل ما تؤتي عبادك الصالحين. فلما قضى النبيُّ ﷺ قال: «من المُتَكَلِّمِ آنفًا؟». قال الرجل: أنا يا رسولَ الله. فقال النبيُّ ﷺ: «إِذْ يُعْقَرُ جَوَادُكَ وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». رواه البزار وأبو يعلى وابن خزيمة.

عن أبي هريرة، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعةُ حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبدَ الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقته، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود». رواه مسلم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على إمامنا وأسوتنا رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اتبع هداه.

(أما بعد)

فهذا هو الجزء الخامس من خُطب الجمعة، التي حرص الأخ العالم الفاضل الشَّيخ خالد السعد على جمعها من مظانِّها، وإفراجها من المُسجِّل على الورق، والتعليق عليها بما يناسب، كما رأينا في الأجزاء الأربعة الماضية التي تلقَّاها المسلمون بالرضا والقبول.

وتحويل الخُطب المسموعة إلى خُطب مقروءة، إنَّما تمَّ بفضل هذا الجهاز الذي وفَّق الله الإنسان إلى اختراعه في هذا العصر، وهو «المُسجِّل» الذي حُرِّمه من كان قبلنا، ومنه تُنقل الخُطب إلى الورق لتُقرأ.

وكم كنَّا نتمنَّى لو نستمع إلى خطباء مشاهير، أثروا في عقول الأُمَّة وقلوبها في عصرهم مثل: حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ في مصر، ومصطفى السباعي في سورية، ولكن الله تعالى منَّ علينا بهذه الآلة النافعة التي تستحقُّ منَّا الشكر.



وبهذه المناسبة أقول: إنني ظللتُ عقودًا من حياتي أخطب ولا أُسَجِّلْ خُطبي، ولا يُسَجَّلُها لي أحد، لعدم اهتمام النَّاس بالتسجيل، برغم أنَّ أحد الإخوة السوريين كان معنا في قطر، قال لإخوانه: أنصحكم أن تُسَجِّلُوا خُطب الشَّيخ «القرضاوي» ومحاضراته ودروسه؛ فقد أهملنا تسجيل تراث الشَّيخ السباعي، واليوم نندم على ذلك أشدَّ الندم، ولات ساعة مندم.

ثم جاء زمان كانت تسجِّل فيه خُطبي ولا أهتمُّ بالاحتفاظ بنسخ منها، وقد قدَّر لي أن أخطب في قارات الدنيا كلِّها:

خطبتُ في إفريقيا: في مصر والسودان وليبيا والجزائر والمغرب ونيجيريا. وخطبتُ في آسيا: في قطر، والبحرين، والكويت، والإمارات، وفلسطين، والأردن، ولبنان، وباكستان، والهند، وبنجلاديش، وماليزيا، وإندونيسيا، وهونج كونج، وسنغافورة، والفلبين، وكوريا الجنوبيَّة، واليابان. وخطبتُ في أوروبا: في إنجلترا، وألمانيا، وفرنسا، وسويسرا، وأيرلندا، والبوسنة، وإيطاليا، وإسبانيا، والسويد، وغيرها من بلدان أوروبا. وفي عدد من مُدن أمريكا وكندا.

وفي البرازيل من أمريكا الجنوبيَّة.

وفي أستراليا: في سدني وملبورن.

وأنا أنتهز هذه الفرصة لأطلب من الإخوة الأحبة الذين سجَّلوا خُطبي في تلك البلاد، أو أتيح لهم أن يقتنوها: أن يتكرَّموا عليَّ بإرسال نسخة منها؛ للاحتفاظ بها، أو إفراغها على الورق؛ لتضاف إلى هذه الأجزاء المنشورة، وجزاهم الله خيرًا.

ويمتاز هذا الجزء بأنَّ معظم خطبه تدور حول محور واحد، هو أمَّ القضايا، وأولى القضايا، وكبرى القضايا: قضية العرب والمسلمين الأولى: قضية أرض النُّبُوت، وأرض الإسراء والمعراج، والقبلة الأولى للمسلمين، وهي القضية التي شغلت الأمة منذ عقود من السنين بالاغتصاب الصهيوني لها، وإقامة دولته على أرضها، وإخراج شعبها من دياره، وتشتيته في الآفاق بمساندة من الغرب كلّه، ابتداء بالإنكليز، وانتهاء بالأمريكان.

ومنذ وعيت على الحياة: وجدت هذه القضية حيّة حاضرة، منذ ثورة الشعب الفلسطيني سنة ١٩٣٦م التي شلّت الحياة المدنية تمامًا، وأُعيد الانتداب البريطاني، لولا تدخّل حكّام العرب في إطفاء شعلتها.

ولا تزال هذه القضية إلى اليوم المشعل والمُفجّر الذي يحرك الأمة من جاکرتا إلى الرباط، ويجمع أفكارها، وإرادتها، ويُلهب أحاسيسها، ويُلهم دُعاتها وخُطبائها: أن يقولوا ويُعبّروا عن ضمير الأمة، فيهِزُّوا أعواد المنابر، ويُلهبوا المشاعل والمشاعر.

وقد أتيح لي خلال سِتِّين عامًا من عمري: أن يُجنِّدني الله لقضية فلسطين، أنافح عن حقّها بلساني وقلمي، منذ كنت طالبًا بالقسم الابتدائي من معهد طنطا الديني إلى اليوم، وسأظلّ كذلك - إن شاء الله - ما دام في عِرْقٍ ينبض، وعَيْنٌ تَظُرُف.

والنَّاس يسمُّون هذا النُّوع من الخطب خطبًا سياسيّة، وأنا لا أفِرِّق بين ما يسمُّونه خطبًا سياسيّة، وما يسمُّونه خطبًا دينيّة، المهمُّ أن تكون كلّها خطبًا إسلاميّة، من الإسلام تستمدُّ، وعلى الإسلام تعتمد، وإلى الإسلام تهدف، سواء سمّاها النَّاس: سياسيّة أم اقتصاديّة أم اجتماعيّة أم دينيّة؛ فالإسلام يشمل الجميع.

والعلمانيون الذين يسمُّون هذه الخطب سياسيَّة، يستنكرون على خطبائها: أنَّهم يخلطون الدين بالسياسة، والسياسة لا يجوز أن تدخل في الدين، وقد قال قائلهم يوماً: لا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين. كأنما يريد هؤلاء أن يحتكروا السياسة والحديث في السياسة لهم، حتَّى تكون بمعزل عن الإيمان والقيم والأخلاق، فإذا تكلم المؤمنون في السياسة قالوا ما قالوا.

ولا يستطيع عالم أو داعية أن يتخلَّى عن الكلام في السياسة، أي: في الأمر العام للجماعة والأُمَّة؛ لأنَّ هذا من النصيحة في الدين، والتواصي بالحق والصبر، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكلُّها فرائض إسلاميَّة أساسيَّة لا خلاف عليها.

والعجيب أن غير المسلمين قد اهتموا بهذه الخطب اهتمامًا بالغًا، وأوسعوها بحثًا وتحليلًا، وألَّفوا الرسائل والكتب في شأنها، ومدى تأثيرها على الجماهير المسلمة.

وقد رأينا الصهاينة يجأرون بالشكوى من هذه الخطب التي تميَّز بالتوعية والحماسة للجماهير المسلمة.

وفي سنة ٢٠٠٠م نشرت الصحف الخليجيَّة نقلًا عن صحف إسرائيليَّة أنَّ كبير الحاخامات في الدولة الصهيونيَّة: ندَّد بعلماء الدين المسلمين، وقال: إنَّهم الذين يقومون بالدور الأكبر في التحريض على إسرائيل، ومعاداة إسرائيل، ومقاومة إسرائيل، تحت راية الجهاد في سبيل الله!

قال الحاخام الأكبر: ويأتي على رأس هؤلاء جميعًا: القرضاوي، فهو الأشدُّ تحريضًا، والأقوى تأثيرًا، والأوسع نفوذًا؛ بما له من شعبية واسعة



بين المسلمين، وقبول عام وخصوصاً بين الشَّباب، وبما أتيح له من إمكانات في تعميم خطبه ومحاضراته وبرامجه عن طريق شاشات التلفزيون التي فَتَحَتْ أبوابها له.

ولا غرو أن نشرت الصحف أيضاً: أنَّ الموساد هدَّد هؤلاء المُحَرِّضين وأوَّلهم فلان بأنَّ ذراعه طويلة لا تَعْجز عن إسكاتهم.

وقبل ذلك ظهر في أمريكا كتاب يُحذِّر من دُعاة المسلمين الذين يُحَرِّضون على الجهاد، ويربط هذا الجهاد بالإرهاب، وذكر عدداً من علماء المسلمين ودعاتهم اعتبرهم خطراً على أمريكا، ونقل مقتطفات من كلامهم قطعها عن سياقها وسباقها؛ ليستخدمها في هدفه الذي يريد.

واحتجَّ الإخوة في المجالس والمراكز والمؤسسات الإسلامية في أمريكا على هذا الكتاب، وقالوا: إنَّه ذكر فيه رجالاً يُعتبرون من رموز الاعتدال والوسطية، بشهادة كلِّ من عرفهم، وقرأ كتبهم، وتتبع محاضراتهم، مثل: الشَّيخ يوسف القرضاوي، والشَّيخ راشد الغنوشي.

وقد تجلَّى أثر ذلك عملياً في السياسة الأمريكيَّة، حيث أبلغتني سفارة أمريكا في قطر - عن طريق وزير الدولة للشؤون الخارجية القطريَّة - بأنَّ التأشيرة التي أحملها في جوازي القطري غير صالحة لأنَّ أدخل بها أمريكا، مع أنَّها تأشيرة لمدة عشر سنوات، لم يمض منها ثلاث!

ولم تستسلم الخارجية القطريَّة لما طلبته الخارجية الأمريكيَّة، وناقشتهم في أسباب ذلك، وتبيَّن أنَّ أساس ذلك كلُّه قضية فلسطين، وموقفي من اليهود المغتصبين للأرض، المُشَرِّدين لأهلها، المتربِّصين



بالمسجد الأقصى، وتأييدي للعمليات الاستشهادية، ومساندتي للمقاومة الإسلامية «حماس والجهاد».

وقد علمت أن السفارة الأمريكية بالدوحة تتابع خطبي، وتسجلها وتحللها، وتبعث بها إلى الجهات المعنية في واشنطن، وحين قابلتني السكرتيرة الأولى للسفارة، والقائمة بأعمال السفير - وهي تجيد العربية - أخبرتني أنها تتابع خطبي يوم الجمعة، وبرنامجي يوم الأحد في الجزيرة «الشرعة والحياة»!

ولقد أخبرني الإخوة في وزارة الأوقاف القطرية: أن السفارة طلبت منهم خطبة معينة، كنت خطبتها بعد غيبة عن المنبر، فلم يتنبهوا لها، فطلبوها من الأوقاف.

وعندما كنت أخطب في ساحة «قصر عابدين» بالقاهرة في منتصف أواخر السبعينيات (سنة ٧٧) من القرن الماضي: كنت أرى مصوّرين أجنب يُصوّرون الصلاة والخطبة، ولا نعلم عنهم شيئاً، وخصوصاً آخر خطبة خطبتها في ذلك الميدان، وكان الذين حضروها لا يقل عددهم عن نصف مليون من البشر، امتلأت بهم الساحة، وكل الشوارع الموصلة إليها من الجهات الأربع، وكان هذا التجمع يعبر عن قوّة الصّحة الإسلامية وامتدادها، وهو ما لفت الأنظار إليها، وجلب الأخطار عليها.

وحين وقعت الواقعة، وأصدر الرئيس السادات قراره بوقف هذه الموجهة الكاسحة، وأمر باعتقال كل رموز المعارضة من كلّ الفئات: سياسيّة، ودينيّة، ووطنية، يمينية ويسارية، ليبرالية وثورية - كنت في ذلك الوقت في أمريكا لحضور مؤتمر رابطة الشّباب المسلم العربي «المايا»، في مدينة «بليمونت»، وقد أخبرنا الإخوة بما حدث في مصر من اعتقالات وتغيّرات، ومنها: اعتقال الأستاذ عمر التلمساني رَحِمَهُ اللهُ.

وقال أحد الإخوة السعوديين - وقد دعانا إلى الغداء عنده: بعد أقل من ساعة ستأتي النشرة، ويمكن أن نتابع الأخبار، ونعرف المزيد منها، ونسبنا النشرة، ثم تذكر أحدنا فجأة، ففتحنا التلفاز، فإذا فيه صورة شيخ معمم يتكلم، فقال الإخوة: هذه صورتك، وإذا هي صورتني في ميدان عابدين وأنا أخطب، ثم صورة أخرى وأنا أصلي والجماهير ساجدة، ثم صورة أخرى لأحد الشّباب وهو الطالب حلمي الجزار (الدكتور بعد ذلك) أمير الجماعة الإسلامية في جامعة القاهرة، ثم لقطة أخرى للشيخ عبد الحميد كشك رَحِمَهُ اللهُ من مسجده الشهير، باعتباره أحد خطباء الصّحوة الذين كان لهم تأثيرهم القوي والواسع، بأسلوبه المثير والمميز، وبأشهرته التي انتشرت في مصر، وسائر بلاد المسلمين.

إنّه ملف كامل عن الصّحوة الإسلامية ورموزها والمؤثرين فيها، فكل شيء عند القوم مرصود، وكل ظاهرة تخضع للدراسة من متخصصين، يعملون وفق معايير علمية، كثيرًا ما تدخل فيها الأهواء ككل عمل بشري.

وقد نشرت صحيفة «الحياة» اللندنية أخيرًا تحت عنوان: «الهوية من منظور ديني» لطلال وهبة، قالت فيه: صدر عن مركز الدراسات المسيحية الإسلامية في جامعة البلمند «في لبنان» كتاب جديد للباحث طلال وهبة، عنوانه: «الهوية من منظور ديني».

يعالج المؤلف في الكتاب إحدى خطب الشيخ يوسف القرضاوي لمناسبة عيد الأضحى من زاوية الشّنية.

ويتألف الكتاب من أربعة فصول وخاتمة عنوانها: «الهوية الأحادية».

أمّا الفصول الأربعة فهي: تراثية صنف النّص، هوية الأفراد

والجماعات في النص، من المقام إلى النص، من النص إلى المقام: إقناع الجمهور.

وجاء في تقديم الكاتب د. رضوان السيد للكتاب: «تستشرف الدراسة الجيدة التي وضعها طلال وهبة الجديد للخطاب الإسلامي، من خلال «دراسة حالة» هي خطبة طويلة للشيخ يوسف القرضاوي أواخر السبعينيات، والقرضاوي ليس خطيباً فقط، بل هو كاتب لعشرات الكتب من السبعينيات.

ثمَّ إنَّه أهمُّ مفتٍ على الشاشات التلفزيونية، ولا أعرف شخصية دينية سُنِّيَّة لها هذا التأثير الديني والثقافي، ربَّما من أيام جمال الدين الأفغاني»^(١).

وهذا الكتاب الذي صدر هنا في الشرق عن إحدى خطبي، وبنى عليها دراسة كوَّنت كتاباً ذا فصول أربعة وخاتمة: يذكّرني بكتاب آخر أطلعني عليه صديقنا الدكتور محمّد مرسى عبد الله، مدير مركز الوثائق بالمجمع الثقافي بأبو طبي، وقد دعاني إلى الغداء عنده منذ سنوات، ثمَّ أراني كتاباً مؤلفاً باللغة الفرنسية، يتحدث عن «الصَّحوة الإسلامية» في مصر والعالم العربي، وعن أثر الخطاب الديني في توجيهها وتجميع القلوب حولها، وتحدّث بصفة خاصّة عن خطب العيد التي كانت تتمُّ في ساحة عابدين، ويحضرها عشرات الألوف، وأحياناً مئات الألوف.

وقد قرأ علي الدكتور مرسى نصّاً مستفيضاً من الكتاب، يتضمن فقرة طويلة استغرقت صفحات، من أوّل خطبة لي خطبتها في ميدان عابدين

(١) صحيفة الحياة اللندنية، العدد (١٤٥٧٥)، يوم الثلاثاء ١٨ فبراير ٢٠٠٣م.

(أحسب أنها كانت سنة ١٩٧٧م عند زيارة السادات لإسرائيل لأول مرة)، حين سمعته تذكّرت كلماتي التي ارتجلتها في حينها، هذه الفقرة تقول: من أراد أن يعرف مصر على حقيقتها، فليأت إلى هذه السّاحة، ولينظر هذا الشّباب، الذي رضي بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبالقرآن منهاجاً، وبمحمد نبياً ورسولاً.

مصر هي هذا الشّباب المؤمن القوي، وليست مصر هي «شارع الهرم» وملاهي الليل، ومواطن العبث.

مصر التي حملت راية الإيمان طوال التاريخ، منذ عهد الفراعنة، إلى أن رضيت الإسلام لها ديناً، وقاومت الصليبيين والتتار دفاعاً عنه، إلى آخر هذه الفقرة، التي لم أعد أذكرها.

ومعنى هذا: أنّ القوم سجّلوا الخطبة في حينها، ثمّ أفرغوها على الورق، وترجموها إلى الفرنسية، وطفقوا يدرسونها، ويحلّلون نصوصها. وهذا كلّهُ يدلُّنا على أهمية المسجد ودوره في الحياة الإسلاميّة، وهذا واضح منذ عهد النُّبوة، فقد كان المسجد: جامعاً للعبادة، وجامعة للعلم، ومنتدى للتعارف، وملتقى للتفاهم، وبرلماناً للتشاور^(١).

ولا زال المسجد تاريخياً يقوم بمهمته في الحفاظ على كيان الأمّة ومقوّماتها، وخصوصاً في أوقات الأزمات ومدلهّمات الخطوب، مثل أيام الزحف الصليبي، والهجوم التتري قديماً، والغزو الاستعماري حديثاً على الأمّة.

(١) راجع كتابنا: العبادة في الإسلام ص ١٧٧ - ١٩٧، دور المسجد في الإسلام، نشر مكتبة وهبة، ط ٢٩، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

وفي هذه الأيام - وأنا أكتب هذه المقدمة - بعد سقوط بغداد أمام الغزو الأمريكي البريطاني، وتعرض بغداد والمدن العراقية للسلب والنهب المنظم، والمؤيّد من قبل الغزاة: لم يحافظ على الشعب العراقي، ويردّه إلى فطرته ويُعده إلى ضبط النفس، والوقوف أمام المجرمين واللصوص: غير المسجد.

وقد استطاع العلماء وأئمة المساجد أن يجمعوا الناس على كلمة سواء، وأن يعيد الناس باختيارهم المسروقات إلى المساجد.

ومن أجل هذا أقول: إنّ على أمتنا أن تهتمّ بخطب الجمعة، وأن تُعَيّن لها العلماء الأكفاء، القادرين على أن يقولوا ليقنعوا العقول، ويُحرّكوا القلوب، العلماء الذين يعتمدون على العلم المؤثّق، والقول المُحقّق، النابع من مُحكم القرآن، ومن صحيح السُّنة، ومن ثوابت التاريخ، ومن وثيق العلم، ومن واقع الحياة الحقّ، بغير تهويل ولا تهوين.

وعلى الأُمَّة أن تدع لهؤلاء العلماء: الحرّية المسؤولة، ولا تقيّد لهم بأغلال وقيود، تجعل منهم مجرد أبواق للسُّلطة الحاكمة، لا للشرعية المنزّلة، ولا للرسالة الحنيفيّة السمحة، التي جاء بها مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ.

ولا زلت أذكر في أوائل القرن العشرين كيف ابتليت مصر بهجمة تبشيريّة تنصيريّة غربيّة، استغلّت وجود الاحتلال لتحتمي به، وتنتشر في القرى والمدن، ولكن حصيلتها كانت صفراً، أو ما يشبه الصفرة، وقال رئيس الحملة كلمة يجب أن نعيها ونذكرها:

سيظلُّ الإسلام في مصر صخرة عاتية، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الركائز الأربع: القرآن، والأزهر، وخطبة الجمعة الأسبوعية، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين.

وأودُّ أن أنبّه هنا على نقطة مهمّة خاصّة بهذا الجزء من الخطب، وهي: أن الخطب تدور - كلّها أو جلّها - حول موضوع واحد، ومن شأن ذلك أن تتكرّر بعض المعاني الأساسية ولا بدّ.

وأرجو ألا يزعج هذا القارئ الكريم؛ فإنّ التكرار أحياناً يُقصد به التوكيد والتركيز على الأساسيات؛ حتّى تظلّ في بؤرة الوعي والشعور دائماً.

ولعلّ هذا من أسرار التكرار في قصص القرآن.

على أن كلّ خطبة لا بدّ أن تشتمل على معانٍ وأفكار جديدة.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وما توفيقنا إلاّ بالله.

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

الدوحة: ربيع الآخر ١٤٢٤هـ

حزيران (يونيو) ٢٠٠٣م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

أحمدك ربّي وأستعينك، وأصلي وأسلم على خير خلقك، سيّدنا
محَمَّد، وعلى آله وصحبه.

(وبعد)

فهذا هو الجزء الخامس من هذه الخطب الطيّبة المباركة لسماحة
شيخنا الإمام العلامة الأستاذ الدكتور يوسف بن عبد الله القرضاوي
حفظه الله ورعاه.

وقد تضمّن هذا الجزء - كما وعدت سلفاً - مجموعة من الخطب
التي تدور موضوعاتها حول قضية الإسلام والمسلمين الكبرى في هذا
العصر، وهي قضية فلسطين وجهاد شعبها الباسل المغوار، وانتفاضته
البطولية الصامدة.

لقد أكثر الشيخ الإمام حفظه الله من التنويه بقضية فلسطين في خطبه
وأحاديثه ومقالاته وكتبه؛ فهي ليست قضية فلسطينيين وحدهم،
ولا العرب وحدهم، بل هي قضية المسلمين جميعاً.

ولا زال يؤكّد أنّه لا سبيل إلى تحرير فلسطين إلّا بالإسلام؛ فهو
مفتاح هذه الأمة الذي لا تتحرّك إلّا به، ولا تُقاد إلّا باسمه.

وقد كتب في ذلك الشَّيخ مقالات ورسائل وفصولاً في العديد من كتبه، أظهرها كتابه «القدس قضية كلِّ مسلم»، وكتاب «درس النكبة الثانية»، بل لا يكاد كتاب من كتبه الفكرية والدعوية والأدبية يخلو من الحديث عن قضية فلسطين، أو الإشارة إليها، أو التذكير بها، أو الدعوة إلى مناصرتها والوقوف معها.

وليس بجديد على سماحة الشَّيخ الإمام أن تستحوذ قضية فلسطين على اهتماماته، وأن تكون في مقدمة شواغله، ومن أكبر همومه، فمنذ أن كان طالباً بالمرحلة الابتدائية بالأزهر، وهو مشغول بهذه القضية، يشارك في تسيير المظاهرات الطلابية، وإلقاء الخطب الحماسية، ونظم القصائد المعبرة، وتنظيم المهرجانات والمؤتمرات لنصرة هذه القضية.

ومنذ ذلك العهد وإلى اليوم نجد الشَّيخ حفظه الله بين الفينة والأخرى ينبري منتصراً لانتفاضة الأقصى، ويجاهد بلسانه وقلمه العدو الصهيوني جهاداً كبيراً، حتَّى إنَّ كبير الحاخامات في الكيان الصهيوني الغاصب يتميَّز غيظاً وغضباً على الشَّيخ، ويعتبره أكبر المحرِّضين ضدَّ إسرائيل، ويخصُّه بمزيد من الهجوم.

ويتعرَّض سماحته لتهديدات مخابرات العدو الصهيوني «الموساد» الذين حسبوا أنَّها ستفتُّ في عضده، وتوهن من عزمه، فما يزيده ذلك - بحمد الله - إلَّا إصراراً وتصميماً على المضي في طريق الدعوة والجهاد، وتصديقاً بوعد الله الكريم: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الرُّوم: ٤٧].

حفظ الله الشَّيخ الإمام يوسف القرضاوي، وأيد به دينه وأُمَّته، وأقرَّ عينه وأعينا جميعاً بتحرير الأقصى وبانتصار الإسلام وظهوره على الأديان كلِّها، آمين.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك على نبيك وآله وصحبه.

خالد السَّعد



بين عامين

الخطبة الأولى

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا تجد له وليًّا مرشدًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خصَّنا بخير كتاب أنزل، وأكرمنا بخير نبي أرسل، وجعلنا بالإسلام خير أمة أخرجت للناس، نأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونؤمن بالله ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمدًا عبد الله ورسوله، أرسله ربُّه بالهدى ودين الحقِّ بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، فعلم الناس من جهالة، وهداهم من ضلالة، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، فتح الله به آذانًا صمًّا، وأعينًا عميًا، وقلوبًا غُلْفًا، وهداهم به إلى الصراط المستقيم.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا النبي الكريم، وعلى آله وصحابه.

وَأُخِينَا اللَّهُمَّ عَلَى سُنَّتِهِ، وَأَمْتِنَا عَلَى مِلَّتِهِ، وَاحْشِرْنَا فِي زُمْرَتِهِ، مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسِّنْ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

وقفه لحساب النَّفس:

نحن الآن نُودِّعُ عَامًا وَنَسْتَقْبِلُ عَامًا، نُوَدِّعُ عَامًا هَجْرِيًّا وَنَسْتَقْبِلُ عَامًا هَجْرِيًّا آخَرَ.

فماذا علينا في هذه المناسبة؟

علينا أفرادًا وجماعة وأمة: أن نقف موقفًا نتأمل فيه ونعتبر، نأخذ العبرة، ونلتمس العظة من مرور الأيام، وذهاب الشهور والأعوام.

على كلِّ مَنَّا أن يقف على رأس العام وقفة الإنسان المحاسب لنفسه، عن سنة مضت كاملة.

إنَّ على المسلم أن يحاسب نفسه باستمرار، حساب النفس جزء من حياة الإنسان المسلم، نفسه نفس لوامة تلومه إذا فرط في أوامر الله، أو إذا ارتكب نواهي الله.

إنَّه يملك حسًّا مرهفًا، وضميرًا حيًّا عندما تبدر منه المعصية، أو تضيع منه الطاعة، فلا يلقي ذلك بقلب ميّت، ولكنّه يلقي ذلك بضمير حي، بحسّ يقظ، يقول لنفسه: لماذا فعلت؟ ولماذا تركت؟ ولماذا لم أفعل؟ ولماذا لم أدع؟

هذا هو شأن الإنسان المسلم، محاسب لنفسه أشدَّ ما يكون الحساب.

المسلم يُغِلِّظُ الحساب على نفسه، في حين يتسامح مع غيره، ومع الآخرين يلتمس لهم المعاذير، حتَّى إِنَّ بعض السلف كان يقول: «إِنِّي لَأَلْتَمِسُ لِأَخِي مِنْ عَذْرِ إِلَى سَبْعِينَ عَذْرًا، ثُمَّ أَقُولُ: لَعَلَّ لَهُ عَذْرًا آخَرَ لَا أَعْرِفُهُ»^(١).

هذا موقفه مع إخوته المسلمين وَإِنْ أخطؤوا في حقِّه، وَإِنْ جاروا عليه، يلتمس لهم الأعذار، ولكنَّه مع نفسه لا يلتمس لها الأعذار، يحاسبها أدقَّ ما يكون الحساب، وأشدَّ ما يكون الحساب، كما قال ميمون بن مهران أحد التابعين: «المؤمن أشدَّ حسابًا لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح»^(٢)، يُدَقِّقُ وَيُدَقَّقُ، ولا يترك كبيرة ولا صغيرة إِلَّا سأل عنها. هذا هو شأن الإنسان المسلم.

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واسألوا أنفسكم قبل أن يصير السؤال إلى غيركم»^(٣)!

فإنَّكَ ستُسأل يوم القيامة عمَّا عملت، وخصوصًا عن أسئلة أربعة: ستُسأل عن عمرك فيما أفنيته؟ وعن شبابك فيما أبليته؟ وعن علمك ماذا عملت فيه؟ وعن مالك من أين اكتسبته وفيما أنفقته؟
فحضّر للسؤال جوابًا.

(١) رواه ابن أبي الدنيا في مداراة النَّاس (٤٠)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وأبو نُعيم في حلية الأولياء (٢/٢٨٥)، من قول أبي قلابة، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، تحقيق المستعصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) المصدر السابق (٢).



وقفه الحساب الختامي للعام:

المسلم يحاسب نفسه، ينبغي أن يحاسبها في كل ليلة قبل أن ينام: ماذا صنعت اليوم؟ وماذا فعلت؟ وماذا تركت؟

فإن لم يتيسر له هذا في كل ليلة فليكن في كل أسبوع، ليلة الإثنين أو ليلة الخميس أو ليلة الجمعة، يقف ويقول: ماذا صنعت في أيام سبعة مضت؟ وماذا فيه من حلال وحرام، ورشد وغي؟

فإن لم يتيسر له المحاسبة خلال كل يوم أو كل أسبوع فلتكن في كل شهر، كلما هلال وقف يحاسب نفسه عن شهر مضى.

فإن لم يفعل ذلك فعلى الأقل يقف على رأس السنة وقفة طويلة مع نفسه، يراجع فيها حساباته، ويفتح سجلاته بصراحة بينه وبين نفسه، حيث لا يطلع عليه إلا الله الذي يعلم سرّه ونجواه، ما فعله أمام الناس، وما فعله في خفية عن الناس، الله تعالى يعلمه ويسجله عليه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزُحْرَف: ٨٠].

ينبغي أن يقف على رأس العام هذه الوقفة المتأنيّة المستوعبة، الطويلة، أشبه بما يسمونه في عالم المال والميزانيات بالحساب الختامي. هو الحساب الختامي لعمل سنة كاملة.

السنة اثنا عشر شهراً، والشهر تسعة وعشرون أو ثلاثون يوماً، اليوم أربع وعشرون ساعة، الساعة ستون دقيقة، الدقيقة ستون ثانية، كلها ستحاسب عليها: سنوات وأشهرًا وأسابيع وأيامًا وساعات ودقائق وثواني، كل نفس من أنفاسك ستُسأل عنه أمام الله يوم القيامة، فلا بد من محاسبة النفس.



قيمة الوقت في حياتنا:

نحن نُفَرِّط في رأس مالنا، ورأس مالنا هو العمر، والعمر هو تلك الأيام التي تنقضي ولا نكاد نحسُّ بها، ولا نهتمُّ لها.

أنت تضيِّع عمركَ سنة بعد سنة، وشهراً بعد شهر، وأسبوعاً بعد أسبوع، ويوماً بعد يوم.

نجد كثيراً من النَّاس يقولون: تعالوا نقتل الوقت!

يقتلون الوقت في اللهو واللعب، فيما يحلُّ وما يحرم، ولا يدري هؤلاء الحمقى، هؤلاء المساكين الذين يضيِّعون أوقاتهم سُدىً وعبثاً: أنَّ المرء حينما يَقْتُل وقته إنَّما يَقْتُل في الحقيقة نفسه.

قتلة الوقت هم قتلة النَّفس، إنَّهم ينتحرون، ولكنَّه ليس انتحاراً بسكِّين ولا بضرب الرصاص، إنَّه انتحار بطيء غير مشاهد ولا منظور، انتحار بإضاعة الوقت، إضاعة رأس المال، فالوقت - كما قال الشَّيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ - هو الحياة^(١).

الوقت ليس - كما يقول الغربيون - من ذهب، الذهب قد يُعوَّض، والذهب قد تستغني عنه، قد تعيش بلا ذهب.

الوقت هو الحياة، أغلى من الذهب، وأغلى من النَّاس، وأغلى من كلِّ جَوْهر نفيس.

وقتكَ هو حياتكَ، وحياتكَ هي وقتكَ، كما قال الحسن البصري: «يا ابن آدم، إنَّما أنت أيام مجتمعة، كلَّما ذهب يوم ذهب بعضك»^(٢).

(١) كان حسن البنا يكتب لجريدة: الإخوان المسلمون اليومية صباح كلِّ جمعة، بعنوان: «الوقت هو الحياة» يخطئ فيه المثل الشائع: «الوقت من ذهب».

(٢) رواه أبو نُعيم في حلية الأولياء (١٤٨/٢).

أنت مجموعة أيام، كلُّ يوم ينقضي يذهب بعض منك.

حياتك - أيُّها الإنسان - هي الوقت الذي تقضيه من المهد إلى اللحد، من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة، فإذا ضيّعت وقتك أو قتلت وقتك، فقد ضيّعت حياتك، وقتلت نفسك.

ومن العجب أن هؤلاء الذين يقتلون أنفسهم - يقتلون الوقت - لا يعاقبون!

من يبذّر المال يعاقب، يُعتبر سفيهاً ويُحجر عليه، والوقت أغلى من المال، ولكن من يُبذّره لا يُحجر عليه، من يقتله لا يعاقب؛ لأنّه - للأسف - لا يشعر بجريمته التي يرتكبها في حقّ نفسه.

ما أجدرنا أن نقف على رأس العام وقفة طويلة يحاسب كلُّ امرئ فيها نفسه: ماذا قدّم فيما مضى؟ وماذا ينوي أن يفعل فيما بقي؟

كما نقوم بالتدقيق للميزانيّة القديمة، والتخطيط للموازنة الجديدة.

ماذا أنوي أن أفعل هذا العام من أفعال كبيرة، أرضي فيها ربي، وأحقّق فيها ذاتي، وأعمل فيها لآخرتي؟

هذه هي الوقفة الأولى التي ينبغي أن يقفها كلُّ مسلم على رأس العام حينما يودّع عامًا مضى، ويستقبل عامًا جديدًا.

وقفة مع الهجرة النبويّة:

وهناك وقفة أخرى: وقفة يُعتبر فيها بهذا الحدث العظيم، الذي اعتبره الصّحابة بداية لتاريخ الأمّة.

العام الذي نودّعه والعام الذي نستقبله، اسمه: العام الهجري، نسبة إلى هجرة محمد ﷺ التي هاجر فيها من مكة إلى المدينة.

ما أجدرنا حينما نستقبل العام الهجري الجديد، ونودّع العام الهجري القديم: أن نقف لنعتبر بهذا الحدث العظيم، حدث الهجرة النبوية.

بحث عن دار الإسلام:

هذه الهجرة كانت بحثًا عن أرض للإسلام، عن دار للإسلام يحقق فيها ذاته، يقيم فيها شعائره، ينفذ فيها شرائعه، يؤسس فيها دولته، يهرب فيها أعداءه، يربي فيها أفرادها، يبلغ فيها رسالته.

كان في حاجة إلى أرض حرّة يقف الإسلام عليها وينطلق منها.

مكة التي هبط فيها الوحي أوّل ما هبط، وهي منشأ الرسول ﷺ، لم تصلح للأسف لأن تكون هذه الدار، وأن تكون هذه الأرض؛ فقد آذت النبي وأصحابه، وصبت عليهم سيّات العذاب ثلاثة عشر عامًا، لقوا فيها ما لقوا، وقاسوا فيها ما قاسوا، وهاجروا إلى الحبشة مرّتين، وحوصروا في الشعب ثلاث سنوات حتّى أكلوا أوراق الشجر.

كان لا بدّ من البحث عن أرض تقوم فيها دولة للإسلام، ويتحقّق فيها مجتمع الإسلام، وتقوم فيها النّواة لأمة الإسلام، كانت هذه الأرض هي أرض «يثرب»، التي سمّيت بعد ذلك ب: المدينة المنورة.

كان الإسلام يبحث عن أرض لإقامة الدولة؛ إذ لا يمكن أن يكون الإسلام إلّا دينًا ودولة، إلّا أن يحقّق نفسه بدولة تقوم على إقامة الفرائض، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال تعالى:

﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُٓ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ * وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] تحقق هذا في المدينة المنورة.

هياً الله لرسوله هذا التفر الذين شرح الله صدورهم لهذا الدين من الأوس والخزرج، فاستقبلوا هذا الدين ورحبوا به، على حين رفضه كثير من القبائل، وعلى حين اشترطت بعض القبائل منافع معينة، كأن يكون لهم الأمر بعد رسول الله ﷺ!

من دخل في هذا الدين على أساس دنيا أو منافع مادية فلا يُقبل منه، لا بد أن يدخل هذا الدين لله، حتى تكون صلاته، ونُسكه، ومحياه، ومماته، لله رب العالمين.

وعلى هذا دخل الأوس والخزرج، وأكرمهم الله تعالى بالإسلام، وبعث الرسول إليهم مصعب بن عمير - الداعية الأول والمندوب الأول لرسول الله ﷺ - يتلو عليهم القرآن، ويعرفهم الإسلام، ويعلمهم شعب الإيمان^(١)، حتى دخلت المدينة في دين الله إلا القليل من أهلها، لم يبق دار من دور الأوس والخزرج إلا دخلها الإسلام بفضل الله تعالى أولاً، ثم بفضل هذا الداعية الموفق مصعب بن عمير، وكانت بيعة العقبة الأولى في جوار مكة وبيعة العقبة الثانية.

من دروس الهجرة: التخطيط:

وشاء الله تعالى أن يهاجر رسوله ﷺ إلى المدينة.

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٤٣٤/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٢٩٩، نشر دار النفائس، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

أذن الله له بالهجرة إلى المدينة، وخطَّط النَّبِيُّ ﷺ لهذه الهجرة.

وهذا درس آخر ينبغي أن نعيه.

ليس معنى أن الله أذن للنبي ﷺ أنه ترك الأمور سهلاً، أو تركها تجري على أعنتها بدون تدبير وتخطيط.

لا، الإسلام لا يجعل التوكل طرْحاً للأسباب واتكالا على الله.

لا، بل لا بد أن تأخذ بالأسباب، وتهيئ للأمر عُدته، وتأخذ له أهْبته، وتستعد له بكل ما تستطيع، وتحسب حساب الاحتمالات المختلفة، وترتب الأمر حسب ما يمكنك - ما يمكن البشر - من إعداد وتخطيط، ثم تدع الباقي لله تعالى.

وهذا ما فعله النبي ﷺ في الهجرة، لقد هيأ الأسباب ورتب الأمور:

١ - هيأ الرفيق الذي يرافقه في رحلة الهجرة إلى يثرب وهو: أبو بكر.

٢ - هيأ الرواحل التي يركبها هو ورفيقه.

٣ - هيأ الدليل الخريز الماهر الذي يعرف الطرقات والملتويات، ويستطيع أن ينجو بهم عند الأخطار، وكان رجلاً مُشْرِكاً اسمه: عبد الله بن أَرْيَقِط^(١)، ولا مانع من استخدام غير المسلمين في الأمور الفنيّة إذا كانوا أمناء على أمور المسلمين، وعلى أسرارهم، وعلى أحوالهم.

٤ - هيأ الغار الذي يختبئ فيه حتى يخف عنه الطلب، وتهب أنفاس قريش، فكان غار «ثور».

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٨/١، ٢٢٩)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٦٨م.

وغار ثور في جنوب مكّة، على عكس طريق المدينة، وهذا نوع من التعمية على المشركين.

٥ - وهياً من يأتي لهما بالزاد الأيّام التي يعيشها في الغار، ومن يأتي له بالأخبار، وكانت امرأة حتّى لا يشك فيها النّاس: أسماء بنت أبي بكر، فتاة تأتي وتصعد هذا الجبل الذي يرهق الرجال صعوده^(١).

٦ - وهياً من يأتي ليعفّي على آثارها بغنمه، وهو عامر بن فهيرة راعي غنم أبي بكر^(٢).

٧ - ربّ النّبي ﷺ من بيت في مكانه إذا خرج من البيت، فكان عليّ بن أبي طالب^(٣).

٨ - ربّ من يردّ الأمانات إلى أهلها، وهو عليّ أيضاً^(٤).

فقد كان المشركون رغم خلافهم مع النّبي ﷺ وعداوتهم له ولدعوته، يعتقدون أنّه الأمين الذي لا يخون، والصادق الذي لا يكذب، والوفّي الذي لا يغدر!

ولذلك ائتمنوه على أعزّ أموالهم ونفائسهم، فأودعوها عنده رغم خلافهم معه!

ولم يقلّ النّبي ﷺ: هذه أموال مشركين أخرجونا من ديارنا وأموالنا لناخذها معنا.

(١) انظر: حديث عائشة، الذي رواه البخاري في اللباس (٥٨٠٧)، وانظر: سيرة ابن هشام (٤٨٥/١) وما بعدها.

(٢) المصادر السابقة نفسها.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤٨٢/١، ٤٨٣).

(٤) المصدر السابق (٤٨٥/١).

لا، إِنَّه لا يخون من خانه، ولا يغدر ﷺ، ولذلك أمر عليًا بعد أن يهاجر أن يردَّ هذه الأمانات إلى أهلها.

من دروس الهجرة: الأمل:

رتَّب النَّبِيُّ الأمور كما ينبغي ترتيب العقل البشري فيما يستطيعه، وترك بعد ذلك - بعدما هيأ من الأسباب - الأمور والنتائج لربِّ الأرباب، ومسبِّب الأسباب.

ولهذا لمَّا اختفى في الغار وبحث المشركون عنه في كلِّ مكان حتَّى وصلوا إلى الغار ووقفوا على فم الغار، وهمس أبو بكر رضي الله عنه في أذن النَّبي ﷺ وقال: «يا رسولَ الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا»، أي: لو كلف أحدهم خاطره أن ينحني قليلاً وينظر في أسفل لرآنا عياناً بياناً.

وهنا ردَّ عليه النَّبِيُّ ﷺ في ثقة المؤمن، وإيمان الواصل المتوكِّل على ربِّه فقال له: «يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟»^(١) ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

هذا ما حكاه القرآن الكريم: ﴿إِلَّا نَضْرُوهُ فَقَدْ نَضَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾: ولذلك ذهب المحققون من العلماء:

(١) متَّفَق عليه. رواه البخاري في التفسير (٤٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٣٨١)، عن أبي بكر.

أنّه لم تكن هناك شجرة كما قيل في بعض الروايات، أو حمام باض على الغار أو عنكبوت.

الشجرة والحمام هذا لم تجئ به رواية لا صحيحة ولا ضعيفة^(١)، والعنكبوت جاءت بها رواية ضَعَفَهَا بعض العلماء وحَسَّنَهَا بعض العلماء^(٢).

وظاهر القرآن يدلُّ على أنّه لم تكن هناك جنود مرئية، والعنكبوت جند مرئي، ولكن الله يقول: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]، جنود غير مرئية ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المُدَّثِّر: ٣١]، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيضًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٧].

ونجا رسول الله ﷺ وصحبه، وذهب مع الدليل إلى المدينة.

وفي الطريق أحسَّ براكبٍ يتعقَّبهم، فارس يركب فرسه، يشقُّ به الصَّحراء شقًّا، وكأنَّه طائر يطير، فقال النَّبي ﷺ: «لَعَلَّه سُرَّاقَةُ بْنُ مَالِكٍ».

(١) عن عون بن عمرو قال: سمعت أبا مصعب المكي قال: أدركت زيد بن أرقم، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة فسمعتهم يتحدثون أنَّ النَّبي ﷺ ليلة الغار، أمر الله شجرة فنبتت... وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقعتا بفم الغار. رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٨/١). وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٦١٨٠) في ترجمة: عون بن عمرو، قال ابن مَعِين: لا شيء. وقال البخاري: عون بن عمرو القيسي جليس لمعتمر، منكر الحديث، مجهول. وذكر له هذا الحديث، وقال: أبو مصعب: لا يعرف.

(٢) رواه أحمد (٣٢٥١)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وقال ابن كثير: وهذا إسناد حسن، وهو من أجود ما روي في قصة نسج العنكبوت على فم الغار، وذلك من حماية الله لرسوله ﷺ. البداية والنهاية (٤٥٠/٤، ٤٥١)، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي، نشر دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

وسُرّاقة قد سمع بما رصدت قريش من جائزة لمن يأتي بمحمّد وأبي بكر حين أو ميتين.

جائزتان كلّ واحدة منهما: مائة ناقة، ثروة طائلة، وطمع الرجل أن يجد هذين المهاجرين الأعزّلين من السلاح، ويستطيع أن يختطفهما ويعود بهما^(١).

لكن النّبِيّ ﷺ قال: «اللهمّ اكفنا سرّاقة».

فغاصت قوائم فرسه في الأرض.

فقال: أغثني يا مُحمّد. فقامت، ثمّ حاول مرّة أخرى فدعا عليه، مرّة ومرّتين وثلاثاً.

ثمّ قال: يا محمّد، عهد بيني وبينك أن أعمّي عليك الأخبار، وأردّ عنك الطلب، ولا أمسك بسوء^(٢).

فقال له النّبِيّ ﷺ: «كيف بك يا سرّاقة إذا ألبسك الله سوارِي كسرى؟!».

قال: كسرى بن هُرْمَز؟!!

قال: «نعم، كسرى بن هُرْمَز»^(٣).

(١) حديث سرّاقة رواه البخاري في مناقب الأنصار (٣٩٠٦).

(٢) متّفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٥)، ومسلم في الأشربة (٢٠٠٩)، كما رواه أحمد (١٨٤٧١)، عن البراء بن عازب.

(٣) انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير (٦٩٧/١)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

كما تقول لواحد من الأعراب من البادية: كيف بك إذا دخلت البيت الأبيض وجلست على كُرْسِيِّ كلينتون^(١)؟!

وفعلًا في عهد عمر بن الخطّاب جاءت الغنائم من فارس، وكان فيها سوارا كسرى، فنادى عمر بن الخطّاب: أين سراقه بن مالك؟

فقال: أنا يا أمير المؤمنين.

فقال: أتذكر يوم قال لك النبي ﷺ كذا وكذا؟

فقال: نعم، أذكره ولا أنساه.

فقال: تعال ألبسك سوارى كسرى.

فألْبَسَهُ سوارى كسرى، وقال: الحمد لله الذي أذلّ بالكفر كسرى بن هرمز، وأعزّ بالإسلام سراقه بن مالك، أعرابيًا بؤالًا على عقبه^(٢)!

هذا الأعرابي الذي لا يعرف حتّى آداب البول يلبس سوارى كسرى.

هذا درس آخر: درس الأمل، النبي ﷺ وهو خارج مطارّد من مكّة لم يغب عنه الأمل لحظة، أنّه منصور، أنّ النصر آت لا ريب فيه، أنّ أمّته ستفتح ممالك كسرى وقيصر، وقد حقّق الله له ما وعده.

يا أيّها الإخوة، علينا أن نقف لنعتبر بحدّث الهجرة نأخذ منه الدروس، دروس السعي لإقامة الدولة والمجتمع المسلم، الدروس للتخطيط الذي يُرتّب الأمور على حَسَب ما يُقدّر البشر، ويدع الباقي لله،

(١) من رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية السابقين.

(٢) الروض الأنف للسهيلي (١٤٢/٤)، تحقيق عمر السلامي، نشر دار إحياء التراث العربي،

بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



وهو درس «التوكل»، الدرس الآخر درس «الأمل»، أننا لا نئس أبداً، لا نئس من رُوح الله وإن ادلهمت الخطوب، واشتدت الكروب، وتفاقت ظلمات الليل، فإننا نؤمن إيماناً لا ريب فيه أن بعد الليل فجرًا، وأن مع العسر يسراً، وأن دوام الحال من المحال: ﴿إِنْ يَمْسِكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التَّوب، شديد العقاب، ذي الطَّول، لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِلَهه المصير.

وأشهد أن لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وحده لا شريك له، يُسَبِّحُ له ما في السماوات وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير.

وأشهد أنَّ سيِّدنا وإمامنا وأسوتنا ونبيِّنا محمَّدًا عبدُ الله ورسوله، البشير النَّذير، والسَّراج المنير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه الَّذِينَ آمَنُوا به وعزَّروه ونصَّروه واتَّبَعُوا النُّور الَّذِي أَنزَلَ معه أولئك هم المفلحون، ورضي الله عنَّ دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين.

أمَّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

وقفه مع حال الأمة الإسلامية:

تحدَّثنا عن وقفة المسلم على رأس العام الجديد، وينبغي أن نتحدَّث عن وقفة الأمة على رأس العام، ماذا قدَّمت أمتنا؟ وماذا صنعت؟ وماذا صنَّع بها خلال هذا العام؟

إنَّه عام حافل، ولكنَّه للأسف حافل بالمآسي، حافل بالمصائب، حافل بالهموم.

نحن نعيش عصر الهموم والأحزان، ولكن هذا العصر لن يدوم - إن شاء الله، سيتحول الحزن فرحًا، وستتحول المصائب إلى نعم - إن شاء الله، والمحن إلى منح.

في هذا العام استأسدت إسرائيل على العرب والمسلمين، أظهرت قوتها ومدّت ذراعها الطويلة، نالت المجاهدين هنا وهناك، قتلت فتحي الشقاقي، قتلت يحيى عيَّاش، اعتقلت من اعتقلت، وسجنت من سجنت، وهددت وتوعّدت.

وحينما ردّ المجاهدون استطاعت أن تجمع ثلاثين من دول العالم في شرم الشيخ لتحارب ما تسميه: «الإرهاب»!

من يدافع عن وطنه إرهابي! ومن يغتصب الأوطان التي لم يكن له فيها شبر واحد ليس إرهابيًا!

انظروا إلى هذا المنطق، كأنّ هذا العالم انقلبت موازينه، واختلّت مقاييسه، فأصبح يسمي الأشياء بغير أسمائها، بل بعكس أسمائها!

أصبح الأحرار الشُّرفاء الذين يجودون بأرواحهم من أجل الدفاع عن أنفسهم إرهابيين أو انتحاريين!

وأصبح القتلة الذين فعلوا ما فعلوا من الجرائم طوال تاريخ طويل هم الشُّرفاء المسالمين!

في هذا العام فقدنا رجالًا والرجال قليل: فقدنا الشيخ الغزالي، فقدنا الشيخ جاد الحقّ شيخ الأزهر، فقدنا الشيخ خالد محمّد خالد.

في هذا العام لا تزال الحروب بين المسلمين وأعدائهم مستمرة، في كشمير، وفي الفلبين، لاتزال الحروب قائمة.

قضيّة البوسنة نرجو أن تُحل، وقد بدت البشائر، وإن كان هناك غيوم تحوم حولها.

قضية الشيشان فقدوا قائدهم «جوهر دودايف»، اغتاله المغتالون.

الإخوة في أفغانستان لا زالوا يقتتلون.

والإخوة في الصومال لا زالوا يتقاتلون ويتصارعون.

لا زالت الأحداث الدامية المؤسفة في الجزائر وفي مصر.

لا زالت في كثير من البلاد أشياء كثيرة، والذين يتمتعون ويتفَرَّجون على العالم العربي والعالم الإسلامي هم الصهاينة وحلفاؤهم من الصليبيين، الذين أصبحوا أطوع لهم من الخاتم في الإصبع، هذا ما رأيناه للأسف.

مؤامرات اليهود ضد المسلمين:

اليهود يتفَرَّجون على ما يجري لأمة الإسلام، ويريدون أن يزيدوها تمزُّقًا وتفَرُّقًا؛ حتى يعادي بعضهم بعضًا، بل يقتل بعضهم بعضًا.

لا زلنا من بعد حرب الخليج - وإلى اليوم - في صفٍّ ممزَّق وأمة لا تعرف أخوة الإسلام، ولا وحدة العرب، ولا وحدة التاريخ، ولا وحدة المصير، ولا وحدة الدين واللغة والأرض والمصلحة، لا زلنا نعاني هذا إلى اليوم.

ولذلك يتفَرَّج علينا الإسرائيليون ويشمتون بنا، ويزيدون النار وقودًا، ويهدِّدون ويتوعَّدون هم وحلفاؤهم كلَّ من خرج على خطِّهم ولو قيد أنملة، إيران لأنها تحاول أن تملك مفاعلًا نوويًا سلميًا تُهدِّد، باكستان لأنها تحاول أن يكون لها مثل ما للهند من امتلاك قبلة نووية تُهدِّد، السودان يُهدِّد وترتَّب له الأمور وتُفرض عليه العقوبات، العراق



لا زال مفروضاً عليه الحصار، ليبيا لا زالت تحت الحصار، الأمة كلها تحت الحصار.

ثم رأينا في الأيام الأخيرة ما نشرته صحيفة «الوطن» القطرية منذ أيام، وصحيفة «الخليج» الإماراتية، من تهديد رابطة الدفاع اليهودية، هذه الرابطة التي أسسها ذلك الحاخام الإرهابي المعروف «مائير كاهانا»، هذه الرابطة تقول: سنجزّ رؤوس المسلمين، سنقتل المسلمين في مساجدهم، سنضرب قياداتهم في المساجد والمراكز الإسلامية، سننتقم من عائلاتهم، سنفعل ما نفعل.

ولا بأس أن أقرأ عليكم بعض ما جاء في هذا التحذير الذي أرسل إلى كثير من الشخصيات الإسلامية، وإلى كثير من المراكز الإسلامية، وإلى كثير من المساجد الإسلامية، خصوصاً في بريطانيا وأمريكا، حتى إنّ رجال الأمن في البلدين يحققون في هذا الأمر، ويريدون أن يعرفوا أهذا الأمر جدّ أم هزل؟

تحذير من رابطة الدفاع اليهودي:

«إلى الذين شاهدوا قوّتنا في الأيام الأخيرة في لبنان، تحذير لن يتكرّر، إلى كلّ النُشطاء الإسلاميين وعائلاتهم، وقياداتهم الدينية في مساجدهم ومكاتبهم، ورجال جمع التبرعات في الغرب: نحن الحكومة هنا، ولكي تتأكدوا انظروا إلى الموجودين في الحكومة الأمريكية، أو في مجلس الشيوخ - الكونجرس - والنواب الأمريكي، وانظروا إلى الذين يؤيّدوننا في الحكومة البريطانية، وانظروا إلى الذين تُسمّونهم زعاماتكم كيف يهرولون بيأس بالغ ليصنعوا السلام معنا، سلامنا نحن الذي أردناه يصنعونه مع قيادتنا في إسرائيل.



لقد انتظرنا هذه اللحظة طويلاً، لدينا الآن سلامنا وسيطرتنا على الحكومات من حدود سوريا وحتى نهر النيل، مروراً بجبال لبنان والصحراء العربيّة، كما وُعد بها الشعب اليهودي: إسرائيل الكبرى.

إنّنا ننمو يوماً بعد يوم، ونزداد معها قوّة يوماً بعد يوم، بينما يزداد المسلمون ضعفاً.

عمّا قريب ستشاهدون انتقامنا في مجتمعاتكم، نحن نعرف أعداءنا، ونعرف كيف نتعامل معهم.

اصنعوا السّلام الآن، أوقفوا كلّ نشاطاتكم داخل الجامعات والجوامع، أوقفوا كلّ المتحدثين باسمكم الآن، توقّفوا عن معارضتنا، وإلّا فما حدث في لبنان سيتكرّر في مساجدكم ومع عائلاتكم ومع زعاماتكم، خذوا هذا التحذير بجدية.

نحن نتحرّك في الاقتصاد والسياسة في هذه الدول، ولا أحد يجرؤ على مهاجمتنا بعد الآن.

من كان يجرؤ على انتقادنا فيما حصل في لبنان؟

حتّى الأمم المتّحدة والولايات المتّحدة وحتى بريطانيا كلّهم معنا، جزء منّا، لم يعد هنا المزيد من اليهود الضعفاء الذين يُعدون للذبح.

نحن الآن نذبح أعداءنا كما وُعدنا، ذراعنا طويلة، وإذا ما هوجم شعبنا خارج إسرائيل سوف نردّ ضد المسلمين في العالم، ففرقنا المدرّبة جاهزة، وهي مدرّبة في كلّ مكان.

احذروا أيّها المسلمون، حياتكم ملك لنا تماماً مثل الخراف للجزار! انتهى.

هكذا يقولون، اليهود يهدّدون المسلمين.

ونقول لهؤلاء: إنّ المسلمين لا يهدّدون، إنّ المسلم الحقّ لا يبالي في سبيل ما يؤمن به: أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، إمّا أن يعيش سعيداً، وإمّا أن يموت شهيداً: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

إنّ المسلمين لا يخافون مثل هذه التهديدات الفارغة، إنّها فرقة في الهواء، وليكن ما يكون.

نحن المسلمين قادرون على أن نردّ على هؤلاء إذا تناولوا واعتدوا على المسلمين، ومساجد المسلمين، ومقدّسات المسلمين، وعائلات المسلمين، وزعامات المسلمين في الغرب.

المسلمون في الغرب يريدون أن يعيشوا مسالمين في مجتمعهم، وأن يكونوا جزءاً من المجتمع.

قد حضرت مؤتمراً في فرنسا - حضره ثلاثون ألفاً - كان عنوانه: الاندماج في المجتمع، وقلت لهم: إنّنا لا يجوز أن نعيش في عزلة عن المجتمع من حولنا، نندمج في المجتمع ونؤثّر فيه، ولكن لا ندوب فيه، أي: لا نتنازل عن ثوابتنا، عن عقائدنا وشعائرننا وقيمتنا الأساسية بأيّ شيء، ولا بملك المشرق والمغرب، ولكننا نندمج في المجتمع.

المسلمون في الغرب يريدون أن يعيشوا في المجتمع عاملين نافعين منتفعين، ولكن إذا أريد منهم أن يركعوا أو يخنعوا أو يخضعوا، فلن يفعلوا؛ لأنّ دينهم يفرض عليهم أن يكونوا أعزّاء

ولا يركعوا إلا لله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

اللهم أكرمنا ولا تهنأ، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارزقنا وارزق عبادنا وأرضنا.

اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيلك، وعزائمننا على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على اليهود الغادرين، وعلى الصربيين الحاقدين، وعلى الوثنيين المتعصبين، وعلى جميع أعدائك أعداء الدين.

اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين ولبنان، وفي البوسنة والشيشان، وفي كشمير والفلبين، وفي كل مكان في سائر أرضك يا رب العالمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





الإسلام وثقافة السلام

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

جعلت الأمم المتَّحدة هذا العام عامًّا سمَّته: عام ثقافة السَّلام، على النَّاس أن يشيعوا ثقافة السَّلام بدل ثقافة الحرب.

ونحن أوَّل من يرحِّب بالسَّلام، إذا كان سلامًا حقًّا، سلامًا عادلاً، يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ويردُّ الظَّالم عن ظلمه، والمغتصب عن غصبه.

الأُمَّة الإسلاميَّة أُمَّة السَّلام، والدين الإسلامي دين السَّلام، ولكنَّه السَّلام الحقُّ، ليس السَّلام المزيف، ليس السَّلام الَّذي يُضحك به على النَّاس، ليس السَّلام الَّذي يعطي اللصَّ ما سرق، ويُرضي صاحب الدار بأدنى شيء.

هل انتشر الإسلام بالسيف؟

نحن - المسلمون - نُرحِّب بالسَّلام الحقيقي كلَّ الترحيب.

صحيح أنَّهم يتَّهموننا - نحن المسلمين - بأننا أُمَّة حرب، وأنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة لا تعرف إلَّا السيف، وأنَّ دينها إنَّما انتشر بالسيف، وهذا كذب

على هذه الأمة، وافتراء على هذا الدين؛ فالسيف لا يفتح قلباً ولا عقلاً، قد يفتح أرضاً، ولكن من الذي يفتح العقول والقلوب لتؤمن؟ إنها الدعوة، وليس السيف.

الإسلام إنما شهر السيف في وجه أعدائه، الذين حاربوه بالسيف وبالعنف من أول يوم.

كان رفع الإسلام للسيف دفاعاً عن نفسه، عن حُرُماته، عن الدعوة التي صُدُّوا عن سبيلها ووقفوا في وجهها. كان هذا ما فعله الإسلام.

ظلَّ المسلمون ثلاثة عشر عاماً في مكة تُصب عليهم سيّات العذاب، يُجرَّعون الصاب والعلقم، يؤذون من كلِّ جهة. وكانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ ما بين مضروب ومشجوج ومجروح، ويقولون له: يا رسول الله، ائذن لنا أن نحمل السلاح لندافع عن أنفسنا، فيقول لهم: كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة^(١).

حتى أذن الله لهم بعد الهجرة أن يدافعوا عن أنفسهم، ونزل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٣٩، ٤٠].

المسلمون هم الذين اضطهدوا، وظلموا، وأوذوا، وأُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ، وبغير ذنب اقترفوه، ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾.

(١) رواه النسائي (٣٠٨٦)، والحاكم (٦٦/٢)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، كلاهما في الجهاد، عن ابن عباس.

كانت جريمتهم: إعلان التوحيد، رفض الأصنام، رفض هذه الآلهة الزائفة التي لا تملك لأحد ضرراً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. كان ذنب المسلمين: أنهم قالوا: ربنا الله، وديننا الإسلام.

الإسلام دين السَّلام:

لهذا نقول: إنَّ الإسلام هو دين السَّلام حقاً، وهو لم ينتصر بالسيف، كما زعم الأفاكون، بل انتصر على السيف، الذي شُهر في وجهه، الله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

﴿السَّلَامُ﴾ هنا هو الإسلام، عبّر عن الإسلام بالسَّلم؛ لأنَّه سلام للإنسان، سلام له في نفسه، سلام له في بيته، سلام له في مجتمعه، سلام له فيمن حوله، هذا هو دين الإسلام.

من أسماء الله تعالى في الإسلام: السَّلام، الله تعالى هو: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ولذلك اشتهر المسلمون بين الأمم أنَّ فيهم هذا الاسم: عبد السَّلام، أي: عبد الله، الله هو السَّلام.

والجنة دار «السَّلام»، ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٧].

وتحية المسلمين في الدنيا والآخرة: السَّلام.

يلقى المؤمن أخاه فيقول له: السَّلام عليكم، ويرد عليه: وعليكم السَّلام ورحمة الله وبركاته.

وفي الآخرة: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

والمسلمون إذا حاربوا يستجيبون لدعوة السَّلام إذا كانت في موضعها ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

الإسلام دين السَّلام.

السَّلام النَّفسي:

ويبدأ السَّلام أوَّل ما يبدأ في نفس الإنسان المؤمن، إذا أردت أن تقيم سلامًا حقًا، فابدأه من الفرد، من اللبنة الأولى، من البذرة الأولى، أقم السلم في نفس الإنسان، في ضمير الإنسان، في كيان الإنسان الداخلي الباطني؛ حتَّى لا يحدث نزاع بينه وبين نفسه، صراع بينه وبين فطرته، أطفئ هذه الحرب، أقم سلامًا داخليًا في نفس كلِّ مؤمن، وهذا ما صنعه الإسلام.

الإسلام أقام هذا السَّلام النَّفسي بعقائده التي لا نظير لها، وأوَّل هذه العقائد: الإيمان بوجود الله تعالى، والإيمان بوحدانيته، أَنَّهُ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ، ومدبِّر كلِّ أمر ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأن تؤمن بأنَّ له الكمالات العلى، والأسماء الحسنى ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهو العليم الحكيم، وهو الرحمن الرحيم، وهو البَرُّ الكريم، وهو الرازق والمحيي والمميت، وهو الملك القدُّوس السَّلام.

هذه العقائد هي التي تقيم هذا السَّلام في ضمير الإنسان المؤمن.

المؤمن يجد هذه الراحة وهذا السَّلام في فطرته؛ فكلُّ مولود يولد على الفطرة، على المعرفة بالله، على الإيمان بالله، على وحدانية الله

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّ لَهُ لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ [الرُّوم: ٣٠].

ليست هذه من صُنع الإنسان، ولا من تلقين الإنسان، ولا من التعليم المكتسب للإنسان.

لو تركت الإنسان وحده لا بدَّ أن يفكّر في هذا الأمر، سيجد أن في فطرته جوعاً لا يشبعه إلا المعرفة بالله، وفيه ظمأ لا يرويه إلا المعرفة بالله، وفيه وحشة لا يؤنسها إلا المعرفة بالله تعالى، وفيه فراغ لا يسدّه إلا المعرفة بالله ﷻ.

الإيمان وفطرة الإنسان:

الإيمان بالله تعالى فطرة، حتّى إنَّ أحد الملاحدة العرب قال كلاماً مرّة في غاية القوّة، والمنافق - كما جاء عن معاذ رضي الله عنه - قد يقول المنافق كلمة الحق^(١)، قال: لا تصدّقوني إذا شكّكت في الإيمان أو شكّكت في وجود الله، الحقائق أقوى من الألفاظ والكلمات.

أصدقوني إذا قلت لكم: إنّي لست حيّاً وأنا أمامكم، أتكلّم وأسمع وأبصر؟ لا تصدّقوني إذا شكّكت في الإيمان، الإيمان أقوى منّي، أي: إنّ إيماني يساوي وجودي، أنا مؤمن إذن أنا موجود، أنا أفكّر إذن أنا مؤمن، أنا إنسان إذن أنا مؤمن!

هذا ما قاله هذا الملحد المعروف، كلمات حقّ نطق بها.

(١) رواه أبو داود في شرح السنّة (٤٦١١)، والحاكم في الفتن والملاحم (٤٦٠/٤)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

الإنسان لا يمكن أن يتخلّى عن الإيمان، وإذا تخلّى عن الإيمان بحث له عن إيمان آخر، وإذا تخلّى عن ربّ الأرباب بحث له عن أرباب آخر يعبدهم من دون الله تعالى، وهذا ما رأيناه.

ولذلك رأينا الملحدين دائماً مشركين، يشركون مع الله آلهة أخرى. والإلحاد ضد الفطرة، الفطرة تعني الإيمان، والإلحاد خروج على الفطرة.

ولذلك كان الملاحدة طوال التاريخ قلة لا يقام لها وزن، وكانت دعوات النّبیین ضد الشّرك، كلّ الأنبياء دعوتهم الأولى: ﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] فكانت فتنة الأقوام والأمم هي الإشراف بالله تعالى، وليست الإنكار لوجود الله تعالى؛ فالذين ينكرون وجود الله وهم مُمارون بالباطل مُشكّكون في الحقائق.

ومن هنا نقول: إنّ الإيمان يُشبع هذه الفطرة التي تتطلّب معرفة إله فوق هذا الكون يُسيّره ويُدبّره، وبهذا يستريح الإنسان المؤمن إذا هُدي إلى فطرته، ولم يتنكّر لهذه الفطرة.

وهو بهذا يجيب عن الأسئلة القديمة الجديدة التي حيّرت الإنسان منذ بدأ يفكر من قديم، وهي الأسئلة الخالدة: من أين؟ وإلى أين؟ ولم؟ من أين جئت وجاء هذا الكون من حولي؟ من الذي أوجد هذا العالم الكبير علويّه وسفليّه من الذّرة إلى المجرّة؟

وإلى أين؟ بعد هذه الحياة الحافلة بالخير والشرّ، والحلو والمرّ، والعدل والظلم والحسنات والسيئات، والسراء والضراء، إلى أين بعد ذلك؟



سنموت، هل الموت هو نهاية المطاف؟ أو بداية لمرحلة أخرى؟
 هل خلقنا لهذه الأيام المعدودة، ثمَّ بعد ذلك ما هي إلا أرحام تدفع،
 وأرض تبلع؟ أهذه هي الحياة وقصتها؟ أم أنَّ وراء هذه الحياة حياة باقية
 أخرى، وخلودًا أبدًا يخلد الإنسان فيه في عمله؟

الملحدون ظنُّوها حياة قصيرة، يُخلق الإنسان من التراب، ويأكل من
 التراب، ويمشي على التراب، ثمَّ يُدفن في التراب، وانتهت القصة ﴿مَا
 هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

أمَّا المؤمنون فعرفوا أنَّ الموت ما هو إلا رحلة جديدة إلى حياة
 جديدة، كما قال الشاعر الصالح:

وما المَوتُ إِلَّا رحلة غير أنَّها من المنزلِ الفاني إلى المنزلِ الباقي^(١)

وكما قال عمر بن عبد العزيز: إنَّكم خُلقتُم للأبد، وإنَّما تُنقلون
 بالموت من دار إلى دار^(٢).

المؤمن - إذن - لا يعيش هذه الحياة القصيرة، إنَّه يعيش مع الخلود،
 إنَّ عمره ممتدٌّ.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، حياته ليست في هذا الزمن القصير،
 وعمله ليس في هذه الأيام المحدودة، إنَّه يعتقد أنَّ لهذا العمل ثمرات
 في دار أخرى هي دار البقاء ودار الخلود.

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: الإيجاز والإعجاز ص ١٥٠، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.
 (٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة عن عمر بن عبد العزيز،
 تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١، ١٤١٤هـ -
 ١٩٩٣م.

المؤمن يعيش في معية الله:

والمؤمن لا يعيش وحده، إنه يعيش مع ربه، يشعر بهذه المعية، أن الله معه حيثما كان، شرّق أو غرّب، أغور أم أنجد، أيمن أم أشأم، ذهب إلى الشمال أو سار إلى الجنوب، حيثما كان فالله معه ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧].

يشعر بهذه الصحبة، بهذه المعية، معية العلم والإحاطة.

كما يشعر المؤمن بمعية خاصة أخرى، يمتاز بها على غيره: معية التأييد والنصرة، فيزداد قوة على قوة، وطمأنينة على طمأنينة، مهما ألمّت به الحوادث، ومهما ادلهمت من حوله الخطوب، وتتابع عليه الكروب، فإن معية الله تؤنسه في الوحشة وتنير له الظلمة.

انظروا إلى سيّدنا موسى ﷺ حينما جاء فرعون بجنوده، يتبعه هو وبني إسرائيل، حتّى أوشكوا أن يُمسكوا بهم، وقال أصحاب موسى حينما رأوا هذا، البحر أمامهم والعدو من خلفهم: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ سيدركنا فرعون وجنوده لا محالة.

ماذا قال موسى ﷺ؟ قال: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢] لن يدركنا فرعون ولا جنود فرعون.

﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ سيهديني إلى حلّ.

لقد تذكّر هذه الوصية الإلهية حينما أرسله الله هو وهارون إلى فرعون وقال: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ... إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٦].

لم ينس موسى هذه الكلمة فقال: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾، وهداه الله، قال: ﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]، وكانت نجاة موسى وغرق فرعون.

ووقع مثل هذا لسيد البشر محمد ﷺ حينما دخل الغار، اضطره قومه إلى الهجرة، وأذن الله له في الهجرة، وأراد أن يعمي عليهم فدخل غار ثور هو وصاحبه أبو بكر، وذهب القوم يبحثون عن محمد وصاحبه حتى وصلوا إلى الغار ووقفوا على فم الغار، وأبو بكر مُشْفِق خائف حزين يقول: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.

فيقول النبي ﷺ في ثقة المؤمن وإيمان الواصل: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١)؟! ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾. أنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم يروها، هذه السكينة - سكينه النفس - هي ثمرة من ثمرات الإيمان، من ثمرات الشعور بمعية الله تعالى.

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ وفعلاً كان الله معهما، وأيدهما بجنود لم يرها الناس.

المؤمن يشعر بمعية الله تعالى، فلا يحزن إذا حزن الناس، ولا يسخط إذا سخط الناس، ولا يئس إذا يئس الناس، بل يعتقد أن الله معه، ومن كان الله معه فلن يضيع، لن يضيع إنسان معه رب السماوات والأرض، وله جنود السماوات والأرض ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المُذْثَر: ٣١].

صُحْبَةُ النَّبِيِّينَ وَالْمُؤْمِنِينَ طَوَالَ التَّارِيخِ:

المؤمن يشعر بمعية الله، ويشعر بصحبة النبيين والصدّيقين

(١) سبق تخريجه ص ٣١.

والشهداء والصالحين، إِنَّه لا يعيش وحده، إِنَّه يعيش في قافلة كبيرة مُمتدة في التاريخ.

تاريخه ليس تاريخ شخص، ولا تاريخ جماعة، ولا تاريخ أمة، بل هو تاريخ الإيمان منذ بعث الله النَّبِيِّينَ مبشرين ومنذرين، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، تاريخ طويل حافل ممتد الجذور، غائر في الأعماق. إِنَّه يعيش مع المؤمنين حيثما كان، ومع النَّبِيِّينَ.

إِنَّه يعيش مع إبراهيم حينما دخل النار وقال الله لها: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ويعيش مع يعقوب ويوسف، ويعيش مع موسى، ويعيش مع عيسى عليه السلام، ويعيش مع الأنبياء جميعًا، ويعيش مع خاتم الرُّسل محمد صلى الله عليه وآله وآله وصحبه الطيبين الطاهرين الغر الميامين، يعيش في صحبة هؤلاء جميعًا فيشعر بالأنس، يشعر بالأنس أنه ليس وحده، وأن هذه القافلة الإيمانية هم إخوة له ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

أسلم رجل أمريكي منذ سنوات، وشهد «أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»، سألته: ماذا كسبت من هذا الإسلام؟

قال: كسبت الهداية.

قلت: نعم، كسبت الهداية، وكسبت كذلك إخوة أكثر من ألف مليون مسلم في العالم، هؤلاء كلهم إخوة لك، يحبونك، ويتمنون لك الخير، ويدعون لك، أخوة هذه الملايين من تعرفهم ومن لا تعرفهم، أنت تصحبهم صحبة روحية، ليسوا معك ولكنهم يدعون لك: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

نحن ندعو لمن سبقنا، وندعو في كل خطبة: اللهم اغفر للمسلمين
والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات.
هذه قوّة رُوحية، مكسب ليس بالقليل ولا بالهين: أن تعيش في
صحبة هذه الملايين ومئات الملايين من البشر.

أنس المؤمن بالوجود كله:

بل المسلم المؤمن يعيش في صحبة الوجود كله، يأنس بالوجود كله
علويّه وسفليّه. كلُّ هذا الكون يؤنسه، ليس هناك شيء عدو له، الله سخر
له هذا الكون بسماواته وأرضه، وشمسه وقمره، ونجومه وليله ونهاره،
وأنهاره وبحاره ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤، النحل: ١٨].

الكون مع الإنسان المؤمن، إنّه ساجد لله كما تسجد ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النحل: ٤٩]، إنّه مسبح بحمد الله كما تسبح ﴿يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحشر: ٢٤، الجمعة: ١]، ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ
وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

هذا الكون ساجد مسبح بحمد الله، فهو معك، وهو لك إذن وليس
عدوّاً لك.

الغربيون يقولون عن انتصارهم في علوم الطبيعة: قهرنا الطبيعة!
استطعنا بالعلم الحديث أن نقهر الطبيعة، كأنّها عدوّ تُحاربه ويُحاربها،
فهو يقهرها وينتصر عليها.

الإسلام لا يعتبر الطبيعة عدوّاً للإنسان، الطبيعة من خلق الله، هي
مسخرة للإنسان، والنبي ﷺ عبّر عن هذه العلاقة الودودة بين الإنسان

وما حوله حينما قال عن جبل أحد: «هذا جبل يحبنا ونحبه»^(١)! مع أن المسلمين انكسروا بجوار أحد في غزوة أحد، ولكن هذا لم يورث النبي ﷺ شيئاً ضد هذا الجبل. هذا هو الإنسان المؤمن.

الملائكة جند الله المبتوثون في هذا الكون في سماواته وأرضه، هؤلاء مع المؤمنين، الله تعالى سخرهم ليدعوا للمؤمنين ويستغفروا للمؤمنين، هذا الجند الهائل الذي لا يحصيه إلا الله يقول الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [غافر: ٧ - ٩].

الملائكة مشغولون بالدعاء للمؤمنين!

أي فضل أعظم من هذا الفضل؟

نعمة اليقين والسكينة:

المؤمن يعيش في هذه المعاني، في هذه المشاعر، في هذا الجو المليء بالتفحات، في هذا الجو الرباني الذي لا يعرفه أهل الإلحاد ولا أهل الشك ولا أهل الجحود.

هذا هو السلام الحقيقي.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٦٥)، عن أنس.

نجا المؤمن من عذاب الحيرة وجحيم الشكّ التي يعانها هؤلاء
الذين لم يرضوا بالله ربّاً، ولم يرضوا بالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً.
الإنسان المؤمن سعد بسكينة النفس، وطمأنينة القلب، حين عرف
الغاية، وعرف الطريق.

الغاية هي: رضوان الله تعالى ومثوبته، والطريق هو: المنهج الذي
رسمه محمد ﷺ بما أوحى إليه من ربه ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، الذي يدعو
المؤمن به ربه كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

عرف الغاية، وعرف الطريق، فاستراح.

استراح من الشكّ، واستراح من الحيرة.

الشاعر المهجري^(١) الذي يقول في قصيدته التي سمّاها «الطلاسّم»:

جئتُ لا أعلمُ من أين، ولكنني أتيتُ
ولقد أبصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئتُ هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لست أدري!

ولماذا لست أدري؟ لست أدري!

لا يدري من أين جاء، ولا كيف جاء، ولا أين يذهب! ولماذا ليس
يدري؟

(١) انظر: ديوان إيليا أبو ماضي ص ١٩١ - ١٩٩، نشر دار العودة، بيروت.

ليس يدري!

فهو يعيش في عذاب الشكّ.

المؤمن نجا من عذاب الشكّ حينما وقف على عتبة الإيمان، ووضع يده في يد الله، فأنازل له الطريق، وهداه سواء السبيل، ومضى راضياً مرضياً، رضي الله عنه، ورضي عن ربّه، هذا هو شأن الإنسان المؤمن.

المؤمن بهذا يعيش في سلام، هذه هي حقيقة السّلام، السّلام يبدأ من هنا، يبدأ من ضمير الإنسان، من داخل الإنسان، من باطن كيان الإنسان، هذا هو السّلام، سلام الإيمان، الإيمان الحقّ، الذي لا يقوم على الخرافات ولا الأباطيل، ولا يلغي العقل، بل هو قائم على العقل وعلى الوجدان.

الوحي عندنا ليس ضد العقل.

لا، بل النقل عندنا قائم على العقل؛ لأنّنا بالعقل عرفنا الله، وبالعقل عرفنا صدق نبوة محمّد ﷺ، فلا تناقض عندنا بين عقل ونقل، ولهذا نمضي في طريقنا مستمسكين بالعروة الوثقى لا انفصام لها، مؤمنين بأنّنا على الحقّ المبين، كما قال الله تعالى لسيدنا محمّد ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزّخرف: ٤٣].

نحن على الحقّ المبين، ونحن على الصّراط المستقيم، والحمد لله ربّ العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

السّلام الأعور:

كنّا نظنُّ الأمم المتّحدة - الّتي دعت إلى ثقافة السّلام، واعتبرت هذا العام عام السّلام وثقافة السّلام، كنّا نظنها أنّها - ستقف مع الحقّ دائماً ومع السّلام العادل، ولكن لا زالت الأمم المتّحدة يسيطر عليها الأقوياء، تسيطر عليها القوّة الأولى المتفردة الآن في العالم: قوّة أمريكا، فهي الّتي تسيّر الأمم المتّحدة، وإذا أرادت شيئاً، فسرعان ما تجنّد الأمم المتّحدة وأجهزتها ومؤسساتها في خدمة ما تريد.

كما رأيّناهم أسرع ما يكونون إلى إرسال القوّات الدولية إلى «تيمور الشرقية»، هذا البلد الّذي هو جزء من إندونيسيا المسلمة، ولكنهم يسوؤهم أن يكون هناك بلد مسلم بهذا الحجم (أكثر من مائتي مليون)، فيريدون أن يقتطعوا من هذا الجسد عضواً بعد عضو.

هذه مؤامرة خبيثة.

وقد اضطرت إندونيسيا أمام ظروفها وأوضاعها الاقتصادية والسياسية أن تقبل هذا الأمر.

ونرى الأمم المتّحدة تسكت عمّا يجري الآن للشيشان، من ضرب هذه الجمهورية الإسلامية من فوق ومن تحت، ومن السماء ومن الأرض، وبالطائرات والدبّابات، فأين صوت الأمم المتّحدة؟! ثمّ أين صوت الأمم المتّحدة في قضية فلسطين؟

وقضية فلسطين ستظل هي الجرح الذي ينزف، ولقد تكلمنا وتكلمنا،
وسنظل نتكلم ونتكلم.

منذ نحو ستين عامًا، وأنا أتكلم عن قضية فلسطين، منذ كنت طالبًا
في المرحلة الابتدائية، ولا زالت القضية تنتقل من سيئ إلى أسوأ.

صحيح أنهم وقَّعوا على اتفاقات، ولكن على سوء هذه الاتفاقات
نرى الإسرائيليين لا ينفذونها، إنهم يتلاعبون بالفلسطينيين، وستبدي
الأيام كما قال الشاعر العربي القديم:

سُتَبْدِي لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ^(١)

سنرى أن «باراك» ليس خيرًا من «نتنياهو»، وكما قال الشاعر:

وَلَيْسَ فِيهِمْ مِنْ فَتَى مُطِيعٍ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْجَمِيعِ^(٢)

إنهم من طينة واحدة، وإن أهدافهم واحدة، وإنما تختلف الأساليب،
هذا أسلوبه ناعم، وهذا أسلوبه خشن، هذا أسلوبه مباشر، وهذا أسلوبه
غير مباشر، ولكن الجميع يريدونها «إسرائيل الكبرى من الفرات إلى
النيل، ومن الأرز إلى النخيل»، أي: من لبنان إلى المدينة وخير!

هذه أحلامهم، وهذا ما يخططون له، فماذا نفعل نحن؟

إنهم يقفون جبهة واحدة.

إسرائيل متفرقة في داخلها، يهودها جاؤوا من المشرق والمغرب،
ومن الشمال ومن الجنوب، هناك اليهود الأوروبيون، واليهود الشرقيون

(١) من شعر طرفة بن العبد، انظر: الأمثال والحكم للماوردي ص ٩٢، تحقيق فؤاد عبد المنعم
أحمد، نشر دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٢) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن سعيد الأخضرى المالكي في منظومته (الجوهرة القدسية).



ويهود الفلاشا، وغير هؤلاء، ولكنهم مع هذا التفرُّق والخلاف متماسكون فيما بينهم.

الله تعالى يقول: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤]، قلوبهم شتى، ولكن يُظهرون للناس أنهم مجتمعون تجمعهم المصلحة المشتركة.

أما نحن فلأسف قلوبنا شتى، وأيدينا شتى، وألسنتنا شتى، ومواقفنا شتى، يأكل بعضنا بعضاً، ولم نستطع أن نقف وقفة رجل واحد في هذه المعركة الكبيرة.

حتى إنَّ إخواننا من قيادة «حماس» والمكتب السياسي لحماس، رأينا ما جرى لهم، وقد وسعهم الأردن من سنوات طويلة، وبينهم وبين الملك الراحل الحسين اتفاقات، وقد رأينا موقف الملك حسين من أخينا المجاهد خالد مشعل رئيس المكتب السياسي وما جرى له، هذا موقف يذكر للرجل، ومن واجبنا أن نقول للمحسن: أحسنت.

فماذا حدث حتَّى يعتقل قادة حماس؟ ما الذي جرى والقوم هم القوم، والعمل هو العمل، والهدف هو الهدف؟ أيجوز لنا أن يأكل بعضنا بعضاً إلى هذا الحد؟

إنَّ أملنا في الملك الشاب عبد الله بن الحسين أن ينظر نظرة عاقلة حكيمة إلى هذا الأمر، ويداوي هذا الجرح بما يليق به.

لا يجوز أن نقدّم هدية رخيصة إلى إسرائيل باعتقال قادة حماس، وما أمسكوا بقنبلة، ولا أطلقوا رصاصة، ولا حملوا مدفعاً، فإذا وجدتم ثلاثة مسدسات، أهذه أسلحة يقال عنها: إننا ضبطنا أسلحة؟!!

هذا أمر لا يُقبل.

أملنا في الملك عبد الله، وأملنا في رئيس الوزراء الأديب الشاعر الدكتور الروابدة، وفي العقلاء من أبناء الأردن: أن يداووا هذه القضية بما يليق بها من حكمة وصواب.

إننا كلَّ يوم ننهزم أمام إسرائيل، وآخر الهزائم: موقفنا في «ديزني لاند» هذه.

نادى الوزير الشابُّ عبد الله بن زايد آل نهيان بأن يقاطع العرب «ديزني»، واستجاب العرب في أوَّل الأمر، وتجاوبت الجامعة العربيَّة وسمعنا من الأمين العام كلامًا طيبًا، ووقف وزراء الخارجية حينما التقوا في القاهرة موقفًا جيدًا، ثمَّ سرعان ما تهاوى هذا كُلُّه، حينما ذهبوا إلى الأمم المتَّحدة وإلى نيويورك، فتغيَّر الموقف، وسلَّموا لإسرائيل!

وافتحت إسرائيل منذ يومين جناحها في ديزني، وقال سفيرها هناك: إنَّ القدس هي العاصمة الدائمة والموحدة لإسرائيل، وهي قلبها النابض! ولم يبالوا بالعرب.

تركوا اللافتة، ولكن المضمون الَّذي يستمر خمسة عشر شهرًا ويُعرض على العالم، يلغي التاريخ العربي والإسلامي من القدس، ويجعل القدس يهوديَّة ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا!

وما كان اليهود في القدس إلَّا سنين معدودة، كان العرب قبلهم من أيام اليوسيين والكنعانيين، وبعدهم منذ أربعة عشر قرنًا أو تزيد إلى اليوم.

اليهود - أو الإسرائيليون - حينما دخلوا فلسطين لم تكن فارغة، وحينما خرجوا منها لم يتركوها فارغة، إنَّها كانت عامرة بأهلها من أهل

فلسطين، وهي لا تزال عامرة بأهلها من أهل فلسطين، ولكن هكذا ينتصر الباطل؛ لأنَّ أهل الحقِّ لم ينصروه.

الحقُّ لا ينتصر وحده، إنّما ينتصر بأهله، كما قال الله تعالى لرسوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ * وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] المؤمنون المترابطون المؤتلفون هم الذين ينصرون الحقَّ.

نسأل الله تعالى أن يؤيّدنا برُوح من لدنه.

اللهم انصرنا نصرًا مؤزّرًا، وافتح لنا فتحًا مبينًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا عزيزًا، وأتمّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم شتّ شملهم، وأحبط مكرهم، وادرأ عنا شرّهم، وأنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، وخذهم ومن ناصرهم أو وادّهم أخذ عزيز مقتدر.

وصلّ اللهم على عبدك ورسولك محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الإيمان والسلام النفسي^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تَحَدَّثْنَا فِي الْجُمُعَةِ الْمَاضِيَةِ عَمَّا يُسَمُّونَهُ (ثقافة السلام)، وقلنا: إِنَّ السَّلامَ يَبْدَأُ أَوَّلَ مَا يَبْدَأُ فِي ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ، فِي نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، فَالنَّفْسُ هِيَ مَصْدَرُ السَّلامِ كَمَا هِيَ مَصْدَرُ الْحَرْبِ، فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُنْشِئَ ثَقَافَةَ لِلْسَّلامِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ الْإِنْسَانُ بِأَنْ تَكُونَ هَذِهِ النَّفْسُ مُؤْمِنَةً، فَلَا سَلامَ بِغَيْرِ الْإِيْمَانِ، وَلَا أَمَانَ بِغَيْرِ الْإِيْمَانِ، النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ مِنْهَا يَبْدَأُ السَّلامُ.

إِذَا آمَنَ الْإِنْسَانُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَذَاقَ طَعْمَ الْإِيْمَانِ، وَخَالَطَتْ بِشَاشَتِهِ قَلْبَهُ فَقَدْ بَدَأَ رَحْلَةَ السَّلامِ الْحَقِيقِي، كَانَ سَلَمًا لِمَنْ حَوْلَهُ وَمَا حَوْلَهُ، وَكَانَ مَصْدَرُ أَمَانٍ لِمَنْ حَوْلَهُ وَمَا حَوْلَهُ، فَ«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَعْرَاضِهِمْ»^(٢)، هُوَ مَصْدَرُ أَمَانٍ لِلنَّاسِ، بَلْ لِلْكَائِنَاتِ كُلِّهَا.

(١) أَلْقَيْتُ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدَّوْحَةِ، بِتَارِيخِ ٨ أَكْطُوبَرِ ١٩٩٩م.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٨٩٣١)، وَقَالَ مَخْرَجُوه: إِسْنَادُهُ قَوِي. وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٦٢٧)، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَالنَّسَائِيُّ (٤٩٩٥)، وَابْنُ حِبَّانَ (١٨٠)، ثَلَاثَتُهُمْ فِي الْإِيْمَانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.



الإيمان مصدر السلام:

الإيمانُ هو مصدر السلام، إذا آمن الإنسان اكتسب صفات أساسية هي مصدر السلام، ومصدر السكينة، ومصدر السعادة، ومصدر الخير كُلُّهُ للإنسان ولل البشرية جميعاً.

يكتسب الإنسان بالإيمان وحدانية نفسه، يكتسب نفساً غير مُمزَّقة، يكتسب الإنسان بالإيمان الرضا واليقين، يكتسب الإنسان بالإيمان الأمان والأمل، يكتسب الإنسان بالإيمان الحبَّ بمعناه الكبير والعميق.

وحدانية النفس:

يكتسب الإنسان بالإيمان: وحدانية النفس، فهناك أناس يعيشون مُوزَّعين، مُمزَّقة نفوسهم، في صراع داخلي، صراع بين رُوحه وجسده، صراع بين عقله وقلبه، صراع بين دُنياه وآخرته، صراع بين مثاله وواقعه، صراع بين نزعات نفسه ورغباته المختلفة، يُحيرُه تناقض الاتجاهات، ويُعذِّبه تنازع الرغبات: أيشرق أم يُغرب؟ أيزهد إلى اليمين أم يذهب إلى اليسار؟ أيفعل أم يترك؟ إنَّه يعيش في حيرة، وهذه الحيرة تُنغص عليه نهاره، وتؤرِّق عليه ليله، وتُقضُّ عليه مضجعه.

أمَّا المؤمن فقد نجا من هذا كُلِّهِ، أصبح يعيش بنَفْسٍ تصالحت مع ذاتها، لا تعرف هذا الصراع ولا هذه الحرب الداخلية، عرف ماذا يريد؟ ما الهدف الذي يعيش له؟ وما الطريق إلى هذا الهدف؟

الآخرون يقولون: لماذا نعيش؟ هناك مَنْ يعيش للمال، وهناك مَنْ يعيش للجاه، وهناك مَنْ يعيش للنساء، وهناك مَنْ يعيش للخمر، وهناك

مَنْ يَعِيشَ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَهَذِهِ كُلُّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تَسَدَّ فَرَاغَ النَّفْسِ، وَأَنْ تُشْبِعَ نَهْمَهَا، وَأَنْ تَجِيبَ عَلَى أَسْئَلَةِ الْعَقْلِ، وَلِهَذَا لَوْ كَانَ مَعَهُ مَالٌ قَارُونَ، وَكُنُوزُ الدُّنْيَا، وَمَلِكٌ مَلَأَ الْأَرْضَ ذَهَبًا؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يُرِيحُهُ، وَلَا يَسْعِدُهُ أَبَدًا، لِأَنَّ هُنَاكَ أَشْيَاءَ سَتَظَلُّ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ تُمَلَأَ وَلَمْ يَمَلَأْهَا.. إِلَى أَنْ تُشْبِعَ وَلَمْ يُشْبِعْهَا، إِلَى أَنْ تُرَوَّى وَلَمْ يَرَوْهَا.

هذه الأشياء لا يملؤها ولا يُشبعها ولا يروّيها إلا أن يضع الإنسان يده في يد الله، بهذا ينجو الإنسان من صراع النفس، حينما يعرف أن له ربًّا خالقًا رازقًا مُدبِّرًا حكيماً، رحماناً رحيماً، لم يخلقه عبثاً، ولم يتركه سُدىً، وَلَمْ يَدَعْهُ هَمَلًا، بل أرسل إليه رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، يضعون له القواعد والموازن ليقوم الناس بالقسط، فأمن بالله ورسله.

وآمن بأن بعد هذه الحياة القصيرة الفانية حياةً أخرى باقية، تُجْزَى فيها كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَتُخَلَّدَ فِيهَا عَمَلُهَا، ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمٍ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

التسليم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

بهذا يسلم الإنسان من هذا التمزُّق والصراع الذي يعيشه الآخرون، يعرف أن له ربًّا من حقه أن يأمر سبحانه، ومن واجب هذا الإنسان أن يمتثل، إنها العبودية المؤمنة التي تسمع وتطيع لهذا الربِّ العظيم، يقول الربُّ: أَمَرْتُ وَنَهَيْتُ. ويقول المخلوق: سَمِعْتُ وَأَطَعْتُ. ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

انظروا إلى خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، سأل إبراهيم ربه وهو في الكبر والشيخوخة أن يهب له من الصالحين، قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ [الصفات: ١٠٠، ١٠١].

كان هذا الغلام هو إسماعيل الابن البكر لإبراهيم، وُلِدَ الغلام فاستبشر به أبوه، وفرح به، وسُرَّ له بحكم الطبيعة البشرية، أن يُرزق الإنسان بعد الشيخوخة ولدًا، وولدًا تُبشّره به الملائكة، وأنه غلام، وغلام حليم، هنا نَبَتَ حبُّ الابن في قلب أبيه، وظل هذا الحبُّ ينمو ويكبر مع نموّ الغلام وكبره، كلّما نما الغلام نما هذا الحبُّ، حتّى إذا بلغ مع السعي، وصار يُرجى منه أن يشدّ أزر أبيه جاءه الامتحان، وإنّهُ لامتحانٌ قاسٍ وشديدٌ: أن يذبح هذا الغلام ويُقرّبه إلى الله قربانًا، ولم يكن هذا بأمر في اليقظة، ولكن برؤيا في المنام، ورؤيا الأنبياء وَحْيٌ.

هنا جاء إبراهيم بابنه إسماعيل وقال له في صراحة: ﴿يَبْنِيْ اِيَّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصفات: ١٠٢]. لم يباغت الغلام ويأخذه على غفلة، ويقطع رقبتَه بالسكّين، ولكنّه شاوره في الأمر: ﴿اِنِّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، هنا نجد أنّ الابن سِرُّ أبيه، «ومن يُشابه أبه فما ظلم»^(١)، ذريّة بعضها من بعض.

هنا نجد أنّه لا يكافئ موقف إبراهيم إلّا موقف ابنه إسماعيل، هنا قال الفتى: ﴿يَا بَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيْ اِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِيْنَ﴾ [الصفات: ١٠٢].

(١) شاهد نحوي معروف، وقد نسبته البدر العيني لرؤبة بن العجاج، كما في شرح الشواهد الكبرى (١٨٨/١)، تحقيق أ. د. علي محمد فاخر وآخرين، نشر دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

لم يقل له: افعل بي ما تؤمر؛ كأنما فني عن نفسه، نسي ذاته، كأن الأمر لا يتعلق برقبتة، قال له: نفذ الأوامر التي عندك، ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾، لا تشاورني، ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾، لم يدع البطولة، ولم يزعم الشجاعة، وإنما ركن إلى الركن الشديد، إلى الله، قال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ [الصفات: ١٠٣]، أسلم الوالد ولده، وأسلم الولد عُنُقَه، كلاهما أسلم لله، ﴿وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصفات: ١٠٣]، صرعه على جبينه، وأمسك بالسكّين يريد أن يذبحه.. وهنا جاء الفرج من الله: ﴿يَتَابَرَهُيمُ﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا ﴿[الصفات: ١٠٤، ١٠٥]، ليس لنا قصد في إراقة دم ولدك، إنما أردنا أن نمتحنك: أحبُّ الله عندك أقوى أم حبُّ ابنك؟ فكان حبُّ الله أقوى، وكان حبُّ الله أعظم، ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ إِبْرَاهِيمَ هَذَا هُوَ أَلْبَتُوا الْمُبِينُ ﴿[الصفات: ١٠٥، ١٠٦]، وأيُّ بلاء، وأيُّ اختبار أعظم من هذا الاختبار؟! من هذا الاختبار؟!

ومن هنا كان الجزاء لإبراهيم: ﴿وَفَدَيْنَهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصفات: ١٠٧ - ١١٣]. سر هذا كله العبودية المؤمنة، العبودية لله.

وإذا عبد الإنسان نفسه لله حقاً، فقد تحرّر من كلّ ما سواه، تحرّر من العبودية لنفسه، ومن العبودية لغيره، من عبودية الشهوات والأهواء والأوهام والأشخاص، من العبودية لأيّ شيء في الأرض أو في السماء، ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

معرفة الإنسان لغايته:

إذا عرف الإنسان وجهته، وعرف غايته تحدّدت عنده الأمور، لم تلبس عليه السبل، لم تختلط عليه الأشياء، عنده معايير ثابتة يرجع إليها، وأحكام قاطعة يردُّ نفسه إليها فتحسم عنده النزاع، وتذهب الصراع، ويعرف الغاية، ويعرف الطريق.

كما ضرب الله سبحانه تعالى لنا مثلاً في القرآن للمؤمن والمُشرك فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩]. مثل المؤمن بعبدٍ له سيّد واحد، ومثل المُشرك بعبدٍ له عدّة أسياد، ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾، وليسوا شركاء مُتَّفِقِينَ، لا، بل هذا يأمره أن يُشَرِّق، وهذا يأمره أن يُغَرِّب، هذا يأمره، وهذا ينهاه، هذا يقول له: اذهب إلى اليمين. وهذا يقول له: اذهب إلى اليسار. فهو في حيرة: مَنْ مِنْ هؤُلاءِ يرضي؟ لمن يستجيب؟ لمن يمثل؟ فَهَمُّهُ شَعَاع، وقلبه أوزاع، هذا هو مثل المُشرك.

أمّا المؤمنُ فله سيّد واحد، عرف ما يرضيه وما يسخطه، ما يُحبُّه وما يُبغضه، فلزم هذا الطريق واستراح، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾، عبد يملكه سيّد واحد، هذا هو شأن الإنسان المؤمن، عبد لله، والله وحده، فلا يعرف هذا النزاع، ﴿يَصْحَجِي السَّجْنَءَ رَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]؟ الله الواحد القهَّار، فليس عند المؤمن أرباب مُتَفَرِّقُونَ، ولا شركاء مُتَشَاكِسُونَ.

الإنسان المؤمن يعرف أنَّ هذا الأمر يُرضي الله فهو يسير إليه، ويمضي في سبيله.. لا يبالي بما أصابه، هذا هو معنى الإخلاص، أخلص النية لله ﷻ، وعرف أن رضاه هو غاية المراد، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢]،



﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ﴾
[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فاستراح كل الراحة، واطمأن كل الاطمئنان، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿هُوَ
الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

هذه السكينة وهذه الطمأنينة تأتي من هذه المعاني، وفي مقدمتها التجرد
لغاية واحدة، وجعلُ الهموم كلها همًّا واحدًا، الغاية الواحدة هي رضوان الله؛
فلا يبالي بسخط الناس، كما قال العبد الصالح مُتَمَثِّلًا بهذا الشعر:

فليت الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابٌ
وليتَكَ تَحْلُوَ والحياةُ مَرِيرَةٌ وليتَكَ تَرْضَى والأَنَامُ غَضَابٌ
إذا صَحَّ مِنْكَ الْوُدُّ فَالْكُلُّ هَيِّنٌ وكلُّ الَّذِي فوق الترابِ تُرَابٌ^(١)

المهم أن يصحَّ الودُّ بينك وبين الله تبارك وتعالى، وكلُّ الَّذِي فوق
الترابِ تراب، لا يهْمُهُ رضي النَّاسُ أم سَخَطُوا! فَرِضَا النَّاسُ غايةُ
لا تُدْرِك.

إِذَا رَضِيتَ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِئَامُهَا^(٢)
وَمَنْ فِي النَّاسِ يُرْضِي كُلَّ نَفْسٍ وَبَيْنَ هَوَى النَّفُوسِ مَدَى بَعِيدٍ^(٣)؟

إذا رضي عنك الأخيارُ غضب عليك الأشرار، إذا رَضِيَ عنكَ الكرامُ
غضب عليك اللئامُ، إذا رضي عليك دعاةُ اليمين غضب عليك دعاةُ

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي،
بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) من شعر أبي العيْناء، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (٣٢٧/١)، نشر دار الجيل،
بيروت.

(٣) من شعر ناصيف اليازجي.

اليسار، إذا رَضِيَ عنك أهل النقل غضب عليك أهل العقل، رضا النَّاس جميعًا مستحيل، ولهذا فَإِنَّ المؤمن لا يبالي برضا النَّاس، وَيُهِمُّهُ أَنْ يَرْضَى الله تبارك وتعالى.

وإرضاء الله مُسْتَطَاع لَأَنَّهُ حَدَّدَ الطريق إلى رِضاه، وهو الطريق المستقيم الَّذِي بُعِثَ به نَبِيُّهُ، ونزل به كتابه، وَحُدِّدَتْ معالمه، وعُرفت شرائعه، فهو يستطيع أَنْ يسلك هذا الطريق مطمئنَّ النفس، قرير العين، راسخ القدم، ثابت العزم، لا يزعزعه شك، ولا ينال منه ارتياب.

هذا هو شأن الإنسان المؤمن، أَوَّلَ ما يكتسبه من الإيمان هذا المعنى، وحدانيَّة النفس، نفسه غير ممزَّقة كما تتمزَّق أنفس الملحدين والشَّاكِّين والمرتابين في الله وَجَلَّ، لَأَنَّهُمْ لَمْ يَلُودُوا بهذا القرار المكين، ولم يلجؤوا إلى هذا الحصن الحصين، ﴿وَمَنْ يَعْنَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

الرضا واليقين:

ومن ثمرات الإيمان، ومن مكاسب المؤمن: الرضا واليقين، كما جاء في حديث لم يصح سنده، ولكنَّه صحَّ معناه: «إِنَّ اللَّهَ وَجَلَّ بِقِسْطِهِ جَعَلَ الْفَرَحَ وَالرَّوْحَ فِي الرِّضَا وَالْيَقِينِ، وَجَعَلَ الْغَمَّ وَالْحُزْنَ فِي السُّخْطِ وَالشَّكِّ»^(١). الرُّوح - راحة النفس، سكينه النفس، سلامة النفس - جعله في الرضا واليقين، أَنْ تَرْضَى بيومك، وتوقن بغدك، أَنْ تَرْضَى عن ربِّك، وترضى عن نفسك، وترضى عن الكون من حولك، هذه غنيمة رُوحِيَّة نفسِيَّة يملكها كلُّ مؤمن، ولا يملكها الآخرون.

(١) رواه هناد في الزهد (٥٣٥)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١٧٥/٣٣)، عن ابن مسعود موقوفًا، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

غير المؤمنين لا يملكون هذا الرضا، إنهم ساخطون على أنفسهم، ساخطون: لماذا جاؤوا إلى هذه الدنيا؟ كما كان أبو العلاء المَعْرِي يقول في فترات شكه:

هَذَا جَنَاهُ أَبِي عَلَيَّ وَمَا جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ^(١)

يعتبر أنَّ ميلاده مصيبة أصيب بها، ابتلي بها بغير رأيه، فجاء إلى هذه الدُّنيا بغير اختياره، ويعتبر أنَّ أمه وأباه جنيا عليه، يقول^(٢):

قَبَّحَ اللَّهُ لَذَّةَ لِسْقَانَا نَالَهَا الْأُمَّهَاتُ وَالْآبَاءُ

لذة وشهوة، دفعت إليها الغريزة الجنسيَّة آباءنا وأُمَّهاتنا؛ فجاءوا بنا إلى هذه الحياة، ولذلك قال: أنا سأريح أولادي ليقوا في العدم، حتَّى لا أجني عليهم كما جنى أبواي عليَّ. فرفض الزواج طوال حياته، فهو غير راضٍ عن نفسه، غير راضٍ عن وجوده.

فهذا الإنسان حُرِّمَ نعمة الرضا من أوَّل الأمر، حتَّى الرضا عن نفسه، فكيف يرضى عن ربه الَّذي خلقه؟ لا يرضى عن الله وَجَلَّ، لأنَّه لو رضي عن الله لرضي بوجوده، وعلم أنَّ الوجود نفسه نعمة، ونعمة عظيمة، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بنعمة الوجود، نعمة الخلق، ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴿[الإنسان: ١، ٢]، لو عرف أنَّ الحياة تقوم على الابتلاء لقابلها بالصبر، وقابلها بالثبات، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا

(١) وقد أوصى أن يكتب هذا البيت على قبره، انظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي (٣٢/١٩)، تحقيق محمد بركات وآخرين، نشر دار الرسالة العالمية، دمشق، ط ١، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

(٢) القائل ابن شبل البغدادي، كما في معجم الأدباء لياقوت الحموي (١٠٨٥/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

﴿الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، فنعمة الخلق، ونعمة الإنسانية نعمة عظيمة، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَاخْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣].

نعمة العقل:

ثم نعمة إعطاء العقل للإنسان، أن الله ميّز هذا المخلوق بهذا العقل، وهو مناط التكليف، فإذا فقد العقل فلا تكليف، ولذلك «رفع القلم عن ثلاث: عن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يفيق، وعن النائم حتى يستيقظ»^(١).

ومن نعم الله على الإنسان: نعمة البيان، البيان النطقي، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ٣، ٤]، ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]، فهذا البيان النطقي، وهناك البيان الخطي، ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٤، ٥].

نعمة تسخير الكون:

ومن نعم الله على الإنسان: نعمة التسخير لهذا الكون، أن الله سخر هذا الكون كله علويّه وسفليّه للإنسان، الأرض والسماء، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]، وقد ذكر الله لنا تسخير السموات والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار،

(١) رواه أحمد (٢٤٦٩٤)، وقال مخرّجوه: إسناده جيد. وأبو داود في الحدود (٤٣٩٨)، والنسائي في الطلاق (٣٤٣٢)، وصحّحه الألباني في الإرواء (٢٠٤٣)، عن عائشة.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۖ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ﴾ [إبراهيم: ٣٣، ٣٤].

نعمة الهداية:

ثم هناك النعمة التي هي أعظم من هذا كله، وهي نعمة الهداية إلى الإيمان، ﴿يُمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۖ فَضَلَا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧، ٨].

نعمة الأخوة:

وهناك نعمة الأخوة، أخوة أهل الإيمان بعضهم مع بعض، يقول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْفَتْحَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

هذه كلها نعم يذكرها المؤمنون، وينساها الملحدون والجاحدون، والشَّاكُّون والمرتابون، لا يذكرون هذه النعم، ولا يذكرون إلا البلاء، لا ينظرون إلى الأمور نظرة موضوعية، إنما ينظرون إليها من وراء منظار أسود قاتم، فيرون الدنيا كلها سوادًا في سواد، وظلامًا في ظلام، وكما قال الشاعر^(١):

أَيْهَذَا الشَّاكِّي وَمَا بِكَ دَاءٌ كُنْ جَمِيلًا تَرَى الْوُجُودَ جَمِيلًا

(١) ديوان إيليا أبي ماضي ص ٦٠٦، نشر دار العودة، بيروت.



هؤلاء لأنّ نفوسهم مسودة، ومظلمة من الداخل فهم يرون الحياة كلها سوداء مظلمة، ولو وصل إليهم بصيص من الإيمان، وقبس من اليقين لتغيّرت نظرتهم، وتبدّلت رؤيتهم، وعرفوا أن في الوجود خيراً كثيراً، وأنّهم لا يمكنهم أن يدبروا الكون أفضل ممّا دبره خالقه ومدبره وَعَلَّك.

المؤمن كسب الرضا، أمّا غير المؤمن فلم يكسب إلاّ السخط والشكّ، والسخط والشكّ عذاب أليم، كُؤة من الجحيم تُفتح على الإنسان؛ فتدخل عليه ناراً تلهب باستمرار، وكلما جاءت الحوادث زادت التهاّباً، ولا يُطفئها إلاّ شيء واحد هو ماء الإيمان، وبرد اليقين.

الرضا نعمة عظيمة، الله تعالى يقول عن أهل الإيمان: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]. ويقول لرسوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [طه: ١٣٠]. لتكتسب الرضا، فالرضا نعمة عظيمة.

ونعمة الرضا تُعطي الإنسان قوّة، إذا رَضِيَ الإنسان بما قسمه الله وَعَلَّك كان في ذلك غناه، ف«ليس الغنى عن كثرة العرض، إنّما الغنى غنى النفس»^(١)، قد يملك الإنسان القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ولكنّه غير راضٍ، إنّهُ يريد أن تكون الألف مليوناً، وأن تكون المليون ملياراً، ولو وصل إلى المليار لا يكتفي به، إن نفسه أشبه بجَهَنَّمَ كلّما قيل لها: هل امتلأت؟ تقول: هل من مزيد؟ لا يشبعه قليل، ولا يقنعه كثير، ولا يكتفي بالحلال فيسبل لعبه إلى الحرام، وهكذا يعيش في قلق.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٥١)، عن أبي هريرة.

نرى هؤلاء الذين يملكون المليارات يعيشون في عذاب أكثر ممّا يعيش غيرهم، حتّى سمعت بعض الناس وهو من الطيبين يملك مليارات، قال: هذه المليارات أتعبتنا وعذبتنا حتّى جمعناها، وهي تتعبنا وتعذبنا اليوم حتّى نحافظ عليها. هو في تعب في جمعها، وفي تعب بعد أن جمعها.

إذا رضي الإنسان بما قسم الله له - خصوصًا ما لا يستطيع تغييره - يكسب الغنى النفسي، وفي الحديث: «اتَّقِ المحارمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وارضَ بما قسمَ الله لك تَكُنْ أغنى الناس»^(١).

هناك أشياء يُعطاها الإنسان ولا يملك تغييرها، ما يملك تغييره لا حرج عليه أن يسعى في تغييره، ولكن ما لا يملك تغييره ينبغي أن يرضى به، إنسان خلقه الله قصيرًا فلا يحاول أن يجعل نفسه طويلًا، وإنسان خلقه الله على مستوى محدود من الذكاء فلا يتعب نفسه فلن يكون عبقرًا يومًا ما، وامرأة خلقها الله امرأة فلا تحاول أن تكون رجلًا.

وقد تمرّد بعض النساء على فطرتهنّ، وأرادوا أن يكون لهنّ مثل ما للرجال، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٣٢]. للمرأة خصائصها، وللرجل خصائصه، ويستطيع كل منهما في ميدانه أن يكسب الأجر، وأن يسير في الطريق، ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، الباب مفتوح للجميع، «ارضَ بما قسمَ الله لك تكن أغنى الناس».

(١) رواه أحمد (٨٠٩٥)، وقال مخرّجوه: حديث جيد، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أبي طارق السعدي. والترمذي في الزهد (٢٣٠٥)، وقال: غريب. وأبو يعلى (٦٢٤٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٠)، عن أبي هريرة.

إِنَّ الْغَنِيَّ هُوَ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ وَلَوْ أَنَّهُ عَارِيَ الْمَنَاقِبَ حَافٍ
مَا كُلُّ مَا فَوْقَ الْبَسِيطَةِ كَافِيًا وَإِذَا قَنِعْتَ فَبَعْضُ شَيْءٍ كَافٍ^(١)

هذه القناعة ليست هي الرضا بالدون ولا بالعيش الهون، كما يصورها بعض الناس، ولكن أن تكون راضيًا بما قُسم لك إذا لم تستطع تغييره، وأن تكيّف نفسك على قدر ما آتاك الله وَعَجَلْ فترضى وتكتسب ثقة نفسك، بهذا الرضا تكتسب سعادة يتمناها الأثرياء وأصحاب الملايين والبلايين؛ فلا يجدونها.

وبهذا الرضا تكتسب قوّة هائلة، قوّة نفسيّة، قوّة أخلاقيّة، تقاوم بها الباطل، وتحارب بها الفساد، وتقف في وجه الطغاة ثابتًا كالجبل لا تتزعزع ولا تميل، انظروا إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول فيما روي عنه من شعره:

أَمْطَرِي لَوْلَا جِبَالِ سِرْنَدِيبٍ وَفِيضِي آبَارِ تَبْرِيزَ تَبْرَا
أَنَا إِنْ عَشْتُ لَسْتُ أَعْدِمُ قُوَّتًا وَإِذَا مِتُّ لَسْتُ أَعْدِمُ قَبْرًا
هَمَّتِي هَمَّةُ الْمُلُوكِ، وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا
وَإِذَا مَا قَنِعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي فَلَمَّاذَا أَهَابُ زَيْدًا وَعُمْرًا^(٢)

انظروا إلى هذه القوّة النفسيّة؛ ممّ استمدّها؟ من القناعة، علام أحزن، وعلام أخاف، القوت موجود، والناس يقولون: لا يموت أحد من الجوع. والله تعالى يقول: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٢٢٣.

(٢) ديوان الشافعي ص ١١٨، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، نشر دار القلم، دمشق، ط ١،

١٩٩٩م.



الذي يجعل النَّاس يخافون زيْدًا وعمروًا، وفلانًا وعلانًا من النَّاس أنَّهم يخافون على فوات العيش، وهو يعرف أنَّ العيش مضمون، والرزق مقسوم، والقناعة كنز لا يفنى، فلهذا لم يخف أحدًا من النَّاس، فالرضا والقناعة قوَّة نفسيَّة هائلة، وهي مصدر من مصادر السكينة.

والرضا والقناعة مصدر من مصادر السعادة أيضًا، إذا عاش الإنسان بهذه النفسيَّة الراضية القانعة العزيزة؛ فلن يذل لمخلوق، ولن يحني جبهته لأحد إلاَّ لرَبِّه الَّذي خلقه فسوّاه، هذا هو الرضا الحقيقي.

إنَّ الله وَجَّهَ بقسطه جعل الفرح والروح، جعل السرور وراحة النفس وسكينتها وسلامها، في الرضا واليقين بما عند الله وَجَّهَ، وجعل الغم والحزن في السخط والشك.

ولذلك تجد الملاحدة والشكَّاء في وجود الله تعالى، أو في وحدانيَّته، أو في حكمته ورحمته: ساخطين على أنفسهم، ساخطين على مَنْ حولهم، ساخطين على الأرض وعلى السماء، وعلى القضاء والقدر، وعلى الخلق وعلى الخالق، غير راضين عن شيء، وهذا سبب تعاستهم، ومصدر بؤسهم وشقائهم، مهما ملكوا من المادة، ومهما أحرزوا من الفضَّة والذهب؛ فلن يغنيهم هذا شيئًا.

الإيمان الحقيقي:

إنَّ الإيمان الحقيقي يثمر ثمرات طيِّبة في النفس البشريَّة، وفي الحياة الإنسيَّة، فعلينا - أيُّها الإخوة - أن نَعْصَّ بالنواجذ على هذا الإيمان، وأن نسقي شجرته، وأن نتعهدا بالتسميد وبالتنمية حتَّى تمتد جذورها، وتبسق فروعها، وتنسبط ظلالها، وتؤتي أكلها كل حين بإذن

ربها، ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ
وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿ [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه من كل
ذنْب؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

دعوة لمساندة مشروع إسلام أون لاين:

في يوم الثلاثاء من هذا الأسبوع افتتحنا مشروعًا جليلاً سيكون له أثره إن شاء الله، إِنَّهُ موقع للإسلام على هذه الشبكة الجديدة الجبارة المسمّاة (الإنترنت).

كانت هناك مواقع شتّى لأناس يتحدّثون عن الإسلام، كثير منهم من غير المسلمين من يهود ونصارى وملاحدة، وبعضهم ممّن ينتسبون إلى الإسلام وليسوا منه في شيء من المُنحرفين والمبتدعين والضالّين أمثال القاديانيّين وغيرهم، وبعضهم من المسلمين الذين لا يملكون الإمكانيات الماديّة ولا الفنيّة ولا العلميّة لعرض الإسلام على النّاس، بعضهم مخلصون، ولكن تنقصهم الوسائل والآليات، أفرادًا كانوا أم مؤسّسات، وقليل منهم من أدى ما يقدر عليه بإتقان معقول.

لهذا كان المسلمون في حاجة إلى موقع مُهمّ متميّز له صفة العالميّة والشمول والتنوع، ويُعبّر عن الإسلام بمنهج وسطي، يرفع الأصالة والمعاصرة، يعيش يومه، ويستفيد من أمسه، ويتطلّع إلى غده، يقدّم الإسلام في صورة جميلة مقبولة للناس: تنظر إلى العصر بعين، وإلى تياراته ومشكلاته بعين أخرى، تتبنّى التيسير لا التعسير، والتبشير لا التنفير، تُحبّب الله إلى عباده، تُحبّب الإسلام إلى النّاس، تتكلّم بلغة العصر كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤].

وليس معنى هذه الآية فقط أن تكلم الإنجليز بالإنجليزية، والصينيين بالصينية، ولكن تكلم كل فئة بلسانها، وكل عصر بلسانه، لا تكلم الخواص بلسان العوام، ولا تكلم الناس في الحواضر بلسان أهل البادية، ولا تكلم الناس في القرن العشرين بلسان الناس في القرن الخامس عشر أو الثامن عشر، بل تخاطب كل قوم بلسانهم.

وهذا يحتاج إلى إعداد هائل، وإلى جيوش من العاملين، وإلى كوادر بشرية مدربة قادرة على العطاء، إنه عمل كبير سمّيته (جهاد العصر)، فلكل عصر جهاده، نحن الآن لا نستطيع أن نجيش الجيوش، ونجند الجنود، ونشهر الأسلحة، وهذه الأدوات تغنينا عن ذلك، لأن الصحابة والتابعين كانوا يُجيشون الجيوش ليبلغوا الشعوب كلمة الإسلام ورسالة القرآن، ما كانوا يستطيعون ذلك إلا بحمل السلاح، فإن الملوك تمنع الوصول إلى شعوبهم.

نحن الآن نستطيع الوصول إلى الشعوب في أنحاء الأرض، وعندنا أدوات كثيرة: الإذاعات الموجهة، والقنوات الفضائية، وهذه الشبكة (الإنترنت) نستطيع أن نذهب بها إلى كل مكان دون إذن من السلطات، لا تستطيع السلطات في غالب الأمر أن تتحكم فيها، فأمامنا فرصة لنخاطب الشعوب بلغاتها المختلفة.

هناك آلاف الملايين من الناس يعيشون ويموتون ولم يسمعوا شيئاً عن الإسلام، وهناك ملايين أخرى سمعت عنه صورة مُشوّهة ليست من الإسلام في شيء، نحن مسؤولون عن ضلال هذه الشعوب وهذه الأمم، علينا أن نبليغها كلمة الله خالصة منقاة من كل شائبة، تبين الإسلام على حقيقته كما أنزله الله، وكما بُعث به رسوله، وكما فهمه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، هذا هو واجبنا.



ولقد قمنا بهذا الواجب، انطلق هذا العمل من قطر، من هذه الدولة الصغيرة في حجمها ولكنها كبيرة فيما تقوم به، وواجب كل مسلم أن يمدّ يده بالمعونة إلى هذا المشروع.

هذا المشروع ليس شيئاً هيئناً، إنه يتكلّف الملايين لكي يمضي ويستمر، ليس هناك شيء مجاني، لا، بل إنه يحتاج إلى المعونة الماديّة والمعنونة الأدبيّة، فمن كان عنده مال، فليمد يده بالمال، سواء من الزكاة، أو من الصدقات التطوعية، أو من الأوقاف، أو من وصايا الأموات، من أيّ مال يملكه، حتّى لو كان عنده مال مُشْتَبَه فيه، جباه من فوائد ربويّة أو غير ذلك، يريد أن يتطهر منه فليدفعه إلى هذا المشروع، فهو حرام عليه، حلال في المشروعات الإسلاميّة، وهذا المشروع في مُقَدِّمتها، ومن كان عنده علم فليُقدِّم علمه وليتطوّع به لنعرضه على الإنترنت، ومن كانت عنده قدرة وخبرة فنية في مجال الكمبيوتر ونحوه فليقدمها، فنحن في حاجة إلى المسلمين جميعاً.

هذا المشروع هو مشروع الأُمّة كلها في شرقها وغربها، وشمالها وجنوبها، على كل مسلم أن يمدّ يده بالمعونة، وأن يدعو غيره إلى تأييد هذا المشروع حتّى يقف على قدميه، هذا مشروع لا يجد من يُموّله، والمسلمون والحمد لله ألف وثلاثمائة مليون، لو أنّ كل إنسان دفع شيئاً لاستطعنا أن نقيم مشروعات جليّة وكبيرة، غيرنا يبدلون آلاف الملايين لنصرة أديانهم، فما بالنا نحن المسلمين نتقاعس ونتلکأ في نصرة ديننا؟ وهو الذي أكرمنا الله تعالى به، وأتم به النعمة علينا.

يا أيّها الإخوة المسلمون، ويا أيّها الأخوات المسلمات، كلّ منكم عليه واجب وعليه مسؤوليّة نحو تأييد هذا المشروع العظيم حتّى ينطلق

ويؤدي دوره، ويتم رسالته على أكمل وجه مستطاع، وهذا ما نرجوه إن شاء الله، وأملنا في هذه الأمة خير، الأمة الإسلامية بخير كما قال رسول الله ﷺ: «لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»^(١). والله تعالى يقول: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. وهم من هذه الأمة المحمدية الإسلامية القرآنية المصطفاة.

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم كن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تُعن علينا، وانصُرنا ولا تنصر علينا، واهدنا ويسر الهدى إلينا، وانصُرنا على من بغى علينا؛ إنك سميع قريب.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦٤١)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.



أَمَّتْنَا لَنْ تَمُوتَ (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

آثَرَتِ الصَّمْتُ حِينًا:

لَا أَكْتُمُكُمْ أَنِّي كُنْتُ قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَلْتَزِمَ الصَّمْتَ إِزَاءَ مَا يَجْرِي فِي مَنَظِقَتِنَا الْعَرَبِيَّةَ وَالْإِسْلَامِيَّةَ مِنْ أَحْدَاثٍ عَصِيْبَةٍ، وَتَحَرُّكَاتٍ رَهِيْبَةٍ، وَسِيَاسَاتٍ عَجِيْبَةٍ، تُذْهِلُ عَقْلَ الْإِنْسَانِ، وَتَدْعُ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ.

كُنْتُ أَحْبَبْتُ أَنْ أَلْتَزِمَ الصَّمْتَ فِي هَذِهِ الْآوَنَةِ، وَأَدْعُ الْأُمُورَ تَجْرِي فِي أَعْنَتِهَا، وَرَبَّمَا كَانَ الصَّمْتُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ أَبْلَغُ مِنَ الْكَلَامِ، وَالْعَرَبُ قَدِيمًا قَالُوا: لِسَانُ الْحَالِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِ الْمَقَالِ.

كُنْتُ أَحْبَبْتُ أَنْ أَلْتَزِمَ الصَّمْتَ إِزَاءَ مَا يَجْرِي فِي هَذِهِ الْمَنَظِقَةِ مِنْ أَحْوَالٍ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ صَمِتَ نَجَا»^(٢). وَفِي الْأَمْثَالِ: إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مِنْ فِضَّةٍ فَإِنَّ السَّكُوتَ مِنْ ذَهَبٍ.

(١) كَانَ لِهَذِهِ الْخُطْبَةِ وَقْعُهَا وَآثَرُهَا الْبَالِغُ عَلَى مَنْ سَمِعُوهَا، حَتَّى سَمَاهَا بَعْضُهُمْ: خُطْبَةُ الْعَصْرِ! وَقَدْ أَلْقَيْتُ فِي رَبِيعِ سَنَةِ ١٩٩٦م.

(٢) رَوَاهُ أَحْمَدُ (٦٤٨١)، وَقَالَ مَخْرَجُوه: إِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَالتِّرْمِذِيُّ فِي صِفَةِ الْقِسَامَةِ (٢٥٠١)، وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ لَهْيَعَةَ. وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي الْجَامِعِ الصَّحِيحِ (٦٣٦٧)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو.

وقديماً قال الشاعر:

احفظ لِسَانَكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَا يَلْدَغَنَّكَ إِنَّهُ ثَعْبَانُ
كم في المقابر من قَتِيلٍ لِسَانِهِ كانت تهابُ لقاءه الشُّجْعَانُ^(١)

كنت آثرت أن ألتزم الصمت، وأن أدع هذا المنبر، لولا أن كثيراً وكثيرين وكثيرات من إخواني وأخواتي، وأبنائي وبناتي، وتلاميذي وتلميذاتي، اتصلوا بي وألحوا عليّ أن أتكلم. قالوا: إنَّ النَّارَ تتقد في صدورنا، إننا نغلي من الغيظ والغضب مما يجري من حولنا، ونريد أن تُطفئ هذه النَّارَ في قلوبنا بكلمة حق نسمعها أمام الضجيج من الباطل الذي نسمعه من هنا وهناك في كلِّ مكان، وإزاء هذا الصمت الرهيب مما يجري من حولنا.

وأنا رجلٌ أضعف أمام الإلحاح، فنقضت ما كان بيني وبين نفسي.

لم يمنعني أحد من المنبر:

وأكد لي هذا الأمر: أنَّ هناك إشاعات - لا أساس لها من الصحة - شاعت بين النَّاسِ، قالت: إنِّي مُنعت من هذا المنبر، وإنِّي طُلب مني أن أصمت ولا أتكلّم.

وهذا ليس بصحيح بالمرّة، ما منعني والله أحد.

= ومعناه كما ذكر العلامة المناوي: من صمت عن النطق بالشرّ نجا من العقاب والعتاب يوم المآب. انظر: فيض القدير للمناوي (١٧١/٦) برقم (٨٨١٩)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

(١) ذكر البيهقي أنَّ الإمام الشافعي كان باليمن، فقرأ هذا الشعر على باب صنعاء أو عدن مكتوباً. انظر: مناقب الشافعي للبيهقي (٨٧/٢)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.



وأنا أشهد للحقّ وللتاريخ - ولي خمس وثلاثون سنة في هذا البلد
أخطب وأحاضر وأدرّس وأحدّث - ما منعني أحد قط من كلمة أقولها،
ولا وضع لي خطوطاً حمراء، ولا قال لي مسؤول كبير أو صغير: هذا من
حقك، وهذا لا يجوز لك.

ما حدث هذا من قبل وأنا في الثلاثينيات من عمري، فهل أُمْنَع وأنا
ابن السبعين؟!!

ليس هذا بصحيح أيّها الإخوة.

لهذا أردت أن أعود إلى هذا المنبر، لم أرد أن أسدّ أذنًا من طين
وأذنًا من عجين - كما يقولون - إزاء ما يجري في منطقتنا من أحداث
رهيبة، أحداث تشيب لها الولدان، وتقشعر من هولها الأبدان، ما يجري
من حولنا في لبنان، وما يجري في فلسطين.

الغارة الوحشيّة على لبنان وصمت العرب:

الغارة الوحشيّة على لبنان، الغارة التي قتلت الأطفال والنساء
والشيوخ والمدنيين العزل الأبرياء، الصواريخ من الجو، والدبّابات أو
المدفعية الثقيلة من تحت، كلُّ هذا يدمّر ويخرّب ويقتل ويدبح.

وإسرائيل تفعل ذلك علانية، جهارًا نهارًا، عيانًا بيانًا، تستذلّنا،
تهيننا، لا تجد فينا عرقًا ينبض، ولا نفسًا يتردّد، ولا حتّى احتجاجًا
قويًا.

لا تجد صراخًا من العرب، صراخًا يوقظ النّعسان، ويحرّك الكسلان،
وينبّه الغفلان، ولكنها أصوات هامسة، والهمس ينم اليقظان.

صوت هامس يهمس به العرب، احتجاجات حيية خجولة يقولونها،
وكلّ منهم خافض الصوت، مطرق الرأس، غاض البصر، أدباً وحياءً مع
إسرائيل، ومع مَنْ يسندون إسرائيل!
أين هذا يا عرب يا دعاة السلام؟

أين هذا السّلام الذي عارضناه من أوّل الأمر؛ لأنّه ليس سلاماً، بل
هو استسلام لما تريده إسرائيل في المنطقة.

يا عرب، يا أبناء عدنان وأبناء قحطان، يا ورثة الأبطال الفاتحين،
يا ورثة خالد وأبي عبيدة وعمرو، يا أبناء التاريخ المجيد، يا أحفاد
الفاتحين، أين أنتم؟ أين احتجاجاتكم على ما يجري؟

قال أمين الجامعة العربيّة: إنّ العرب سيكيلون لإسرائيل الصاع صاعين!
أين هذا؟!

يا ليتهم يكيلون الصاع بصاع، بنصف صاع، بربع قرح، بحفنة!
إنهم لن يردّوا على الصاع بشيء.

قمة شرم الشيخ لمكافحة الإرهاب:

أين الذين تنادوا يوم حدث ما حدث في «تل أبيب» و«القدس»
و«عسقلان»؟

أين الذين نادوا بقمة عالميّة دولية اجتمعت في «شرم الشيخ»
لمكافحة «الإرهاب»؟

أي: لمقاومة «الجهاد»!

الإرهاب الذي زعموه هو «الجهاد»!

الذين يجاهدون من أجل أوطانهم، ويبدلون أرواحهم وهم أسخياء بها، ويضعون رؤوسهم على أكفهم، من أولئك الشباب الذين لم يبالوا ما يصيبهم في سبيل الله:

ولست أبالي حين أُقْتَل مسلماً على أيّ جنبٍ كان في الله مَضْرَعِي^(١)

الذين عقدوا قَمَّة «شرم الشيخ» لمكافحة الإرهاب: قَمَّة «صانعي السَّلام» كما سمَّوها! أين هذا السَّلام يا قوم؟

أين هذا السَّلام وهناك مائة مدينة وقرية أُجبر أهلها على التَّزوح منها في لبنان؟!

أُفرغت المدن والقرى من سكَّانها، ضُربوا بالقنابل والصواريخ، حتَّى فرُّوا من أوطانهم وديارهم هائمين على وجوههم، يبحثون عن مأوى فلا يجدون.

الشاعر العربي قديماً يقول:

وَكُنْتُ إِذَا قَوْمٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذا يا لَهْمَدَانَ ظالمٌ؟
مَتَى تَحْمِلُ الْقَلْبَ الذَّكِيَّ وَصَارَماً وأنفأ حمياً تجتنبك المَرَاغِمُ^(٢)!

ولكن أين القلوب الذكيَّة؟ وأين الأنوف الحميَّة؟ وأين الصوارم العربيَّة، حتَّى نفعل كما قال الشاعر؟!

(١) أنشده سيدنا خبيب بن عدي. رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩).

(٢) وهو عمرو بن بركة الهمداني، انظر: الوحشيات ص ٣٢، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣. والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ص ٨١، تحقيق الدكتور ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

إِنَّ مُجَرَّد الاحتجاج القوي الصارخ لا نجده.

قالوا في اجتماع وزراء الخارجية: ندعو إلى عقد قمة عربية!

أين القمة العربية؟ متى تجتمع القمة العربية هذه؟ وإذا اجتمعت ماذا تصنع؟ وهي مختلفة فيما بينها، ممزقة كل ممزق، هذا يُشَرِّق وهذا يُغَرِّب.

أين الأمة؟ أين الأمة؟

لا يوجد في هذه الأمة إلا أولئك الأبطال المستبسلون الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله.

ومع هذا يريد المسؤولون فينا أن يُدينوا هؤلاء، أن يجرموهم، أن يصفوهم بأنهم إرهابيون!

وهم الذين يُرهبون عدو الله وعدوهم كما قال القرآن: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أين أنتم يا عرب؟!

أين أمّتنا العربية؟ أين أكثر من مائتي مليون من العرب وألف مليون من المسلمين؟

ولكن ماذا يصنع المسلمون إذا كان العرب أنفسهم - أهل الأرض والدار - لا يقدمون لأنفسهم ما ينبغي؟!

إذا كان الفلسطينيون أنفسهم أصبح يعادي بعضهم بعضاً، ويسجن بعضهم بعضاً، ويقتل بعضهم بعضاً ولحساب من؟



لحساب إسرائيل، هذا ما كنّا نخشاه: أن تسفك اليد العربيّة دم عربي آخر، وأن يرجع النّاس كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض، وهو ما حذّر منه رسول الله ﷺ^(١).

أين أنصار السّلام الأعرج؟

أين هؤلاء الذين ناصرُوا السّلام الأعرج الكسيح، الذي لا تجد له في الحقيقة أي أثر إلّا حصار الفلسطينيين؟

الفلسطينيون في غزّة وأريحا والضّفة الغربيّة يعيشون في سجن كبير، لا يكادون يجدون القوت؛ لأنّهم لا يجدون الدقيق الذي منه يعجنون ويخبزون.

ولا يجدون الدواء، يموت النّاس ولا يجدون الدواء.

لا يجدون اللقاح لشلل الأطفال.

لا يجدون من يشتري منهم ثمار زروعهم وكرومهم، فقد كانوا يصدّرون منتجاتهم إلى إسرائيل وإلى أوروبا عن طريق إسرائيل، وقد أغلقت إسرائيل عليهم الأبواب وأغلقت المعابر، أصبح النّاس يتركون ثمارهم على الأشجار؛ لأنّ أجره جنيهاً أغلى من سعر بيعها.

أين هؤلاء الذين ناصرُوا السّلام؟

أين هؤلاء الذين ذرفوا الدموع على «إسحاق رابين» والذين ذهبوا لجنازته مشيّعين، ولأهله وقومه معزّين؟!

(١) كما في حديث جرير بن عبد الله: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض». متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥).

أين هؤلاء الذين استقبلوا «بيريز» فخورين، والذين قدموا إليه الهدايا مزهوين؟!

أين هؤلاء الذين زعموا أن هناك سلامًا حقيقيًا؟
وما رأينا لهذا السلام عينًا ولا أثرًا، ولا رأينا له حقيقة واقعة في قلب ديارنا.

رأينا إسرائيل مدلةً بقوتها، إنها وحدها تملك الترسانة النووية، تملك نحو ثلاثمائة قنبلة نووية.

إسرائيل وحدها قادرة على أن تكون أقوى من المنطقة العربية كلها، وهكذا تدللها أمريكا، وتعطيها المليارات بعد المليارات، وحينما زارهم «كليتون» بعد مؤتمر «شرم الشيخ» تبرّع لهم بنفحة قليلة: مائة مليون دولار! نفحة صغيرة بجوار المليارات التي تأخذها كل عام!

لم يعد لنا معتصم يغيث من يستغيث:

أين دعاة السلام وأنصار السلام إزاء ما يجري الآن في عالمنا؟

أين أمة العرب؟ أين هذه الأمة؟

إننا لا نستطيع إلا أن نقول كما قال الشاعر «عمر أبو ريشة»:

أُمِّي هَلْ لَكَ بَيْنَ الْأُمَمِ	مَنْبَرٌ لِلسَّيْفِ أَوْ لِلْقَلَمِ؟
أُمِّي كَمْ مِنْ صَنَمٍ قَدَّسْتِهِ	لَمْ يَكُنْ يَحْمِلُ طُهْرَ الصَّنَمِ؟!
رُبَّ وَاُمُعْتَصِمَاهُ انْطَلَقَتْ	مِلءَ أَفْوَاهِ الصَّبَايَا الْيَتَمِ
لَامَسَتْ أَسْمَاعَهُمْ لَكْنَهَا	لَمْ تَلَامَسْ نَخْوَةَ الْمُعْتَصِمِ ^(١)

(١) انظر: ديوان عمر أبو ريشة (٧/١ - ١١)، قصيدة: بعد النكبة، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

المعتصم الخليفة العباسي حينما استغاثت به المرأة هناك في أرض الرُّوم، وقالت: وامعتصماه. وبلغه ذلك قال: لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ أُخْتَاه. وجهَّز الجيوش، وكانت موقعة «عمورية» الشهيرة^(١).

فهل هناك معتصم الآن ينجد أصحاب الصرخات وصاحبات الصرخات، من الأمهات الثكالي، من الأطفال اليتامى، من الزوجات الأرامل، من هؤلاء المشردين في الأرض؟

لا يوجد معتصم يُغيث من يستغيث، أو من تستغيث.
لامست أسماعهم لكنَّها لم تلامس نخوة المُعتصم
أين هؤلاء؟ أين العرب وأمة العرب؟

مَنْ الرابح من وراء هذه السياسات؟

الشعوب العربيَّة بصفة عامَّة ضد هذا الذي يجري.

لماذا تُكره الشعوب على سياسات لا ترضى عنها؟

مَنْ الكاسب من وراء هذه السياسات؟

الواقع أنَّ الكاسب والرابح الوحيد من وراء هذه السياسات هو «إسرائيل»، ونحن الخاسرون على كلِّ صعيد.

ربَّما كانت هناك مكاسب لبعض المنتفعين من النَّاس، الَّذِينَ يريدون أن يُثروا من الحرام، وأن يتاجروا مع إسرائيل، ويستعجلوا رفع المقاطعة. ونحن الشعوب العربيَّة المسلمة يجب أن نرفض هذا. يجب أن نرفض

(١) فتح المسلمون (عمورية) في رمضان سنة ٢٣٠هـ، بعد حصار دام ستة أشهر. انظر: تاريخ الطبري (٥٧/٩ - ٧١)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ، والكامل لابن الأثير (٤٨٠/٦).

التطبيع، يجب أن نُبقي المقاطعة، يجب أن نقاطع إسرائيل، وبضائع إسرائيل، وطائرات إسرائيل، والذهاب إلى إسرائيل^(١).

لا تطبيع مع الصهاينة:

يجب على كلّ عربي أبي، عنده أنف حمي، وقلب فتي، وشعور قوي، يجب عليه أن يرفض هذا الاستسلام، ويرفض هذا التطبيع.

يريدون أن تكون علاقتنا مع إسرائيل سمنًا على عسل، تذهب طائراتنا إلى إسرائيل، وتأتي طائرات إسرائيل إلينا، نذهب إليهم سائحين، ويأتون إلينا سائحين وسائحات.

ماذا وراء هذا إلا الفساد كلّ الفساد؟!!

إنهم يريدون أن ينشروا الإباحية، أن ينشروا الإيدز، أن ينشروا المخدرات، أن ينشروا العملات المزيفة، وهكذا أرادوا أن يصنعوا في مصر، وحاولوا، وبين الحين والحين تُضبط هذه الأشياء، ويُعرف أن اليهود وراء ذلك كلّ.

شحنة الغضب يجب أن تبقى:

يا أيّها الإخوة، لا بدّ أن نقاوم.

لا ينبغي أن يكون همُّنا أن نقول كلمات وتنتهي.

الإخوة الذين قالوا لي: نريد أن نفرغ شحنة الغضب في صدورنا على

(١) راجع كتابنا: فتاوى معاصرة (٣/٤٧٤، ٥١٣)، فتوى: السفر لزيارة المسجد الأقصى، وفتوى: وجوب مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية، نشر المكتب الإسلامي، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ما يجري، قلت لهم: لا، لا نريد أن نُفرغ هذه الشحنة ونستريح، نريد أن تظلَّ شحنة الغضب تعتمل في صدورنا، تغلي في قلوبنا، نريد أن يظلَّ هذا القدر يغلي ويغلي وهو مسدود مكتوم لا نسمح له بأن يتنفس، وإذا ظَلَّت النار تتقد والقدر يغلي، فلا بدَّ أن يتفجَّر هذا القدر يومًا أو يتكسَّر.

لا بدَّ أن يستمرَّ هذا الأمر، وقديمًا قلت في إحدى القصائد:

صبرنا إلى أن ملَّ من صبرنا الصبر	وقلنا: غداً أو بعده ينجلي الأمر!
فكان غداً عامًّا ولو مُدَّ حَبْلُهُ	فقد ينطوي في جوفِ هذا الغد الدهر!
وقلنا: عسى أن يدرك الحقَّ أهله	فصاحت «عسى» من «لا» و«لا» طعمها مر!
وماذا علينا بعد أن فارَ رجلٌ	من الغيظ والآلام يغلي به الصدر؟!
سددنا بطول الصبر منّا صمامه	فزادت عليه النار فانفجر القدر ^(١) !

لا بدَّ أن تزيد النار وينفجر القدر، لا يمكن أن تظلَّ هذه الأمة على ما هي عليه، لا بدَّ أن ينفجر القدر يومًا، وأن يثور البركان الهادي، هذا الذي نراه من الصمت، إنَّه صمت وراءه شيء.

هذه الأمة لا يمكن أن تسكت على الظلم طويلاً، إنَّ لديها مخزونًا، لا بدَّ أن يظهر هذا المخزون.

فيها مكنونات، لا بدَّ أن تفجَّر هذه المكنونات والطاقات، ولا يفجَّرها إلا الإيمان، إلا الإسلام، وهذا ما يخافه اليهود، وهذا ما يخافه الغرب.

(١) من قصيدة ألقيتها في افتتاح مؤتمر عقده مع عدد من زملائي سنة ١٩٥٣م في ساحة كلية الشريعة بالأزهر، للمناداة بمطالب الأزهريين وتطلعاتهم الدينية والعلمية والأدبية والاجتماعية، ولم أعد أحفظ منها إلا أبياتًا قليلة، فقد ضاعت فيما ضاع من كتابات ودواوين في أتون المحن المتتابعة، التي ابتلينا بها في مصر.



الإسلام هو المقصود بالحرب:

ولذلك الآن يحاربون «الإسلام» باسم محاربة الإرهاب، وباسم محاربة التطرف، وباسم محاربة الأصولية، وكلُّ هذه أغشية وأغطية يُراد بها ذرُّ الرماد في العيون حتّى لا ترى، إنّ المقصود هو «الإسلام».

ما معنى الأصولية؟

قال «إسحاق رابين» في القمّة التي انعقدت في الدار البيضاء في المغرب: إنّ أعداءنا الكونيين ثلاثة: الجوع، والمخدرات، والأصولية! وأنا أقول لكم: إنّهُ لا يقصد من هذه الثلاثة إلّا «الأصولية»، وإنّما ذكر المخدرات والجوع تمويهاً.

الأصولية هي عدوه اللدود، عدوه الأول.

الذي يمسك هذه المنطقة على جذورها، وعلى أصالتها، ويمنعها أن تذوب أو تنهار، إنّما هو «الإسلام»، الذي يعبر عنه بـ«الأصولية».

وهؤلاء يريدون أن يمحووا الإسلام، ولكن الله يأبى إلّا أن يتمّ نوره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

هذا الإباء الإلهي هو الذي يطمئننا على مستقبل هذا الدين، وعلى مستقبل هذه الأمة، على مصير هذه الأمة.

هذه الأمة لن تموت، هذه الأمة لن تسقط، يمكن أن يذبل عودها، يمكن أن يصيبها المرض والسقام، ولكنها لا تموت، هكذا رأيناها طوال التاريخ. إذا هيأ الله للأمة رجالاً ينفخون فيها من الروح، يحركون عزائمها، يوقظون قلوبها، يوقدون شعلها، ستصنع هذه الأمة الأعاجيب.

فلسفة تجفيف منابع:

إنَّ الغرب يرى أنَّ الإسلام هو العدو الأول، وهذا ما تتبنَّاه إسرائيل، وما توحى به إلى الغربيين، وهم الآن يعملون على سياسة تجفيف منابع، كلَّ منابع التي تغذي الإسلام وتقويه، يجب أن تجفَّ، سواء كانت منابع ثقافية أو فكرية كما تفعل بعض البلاد، أرادت أن تحارب الإسلام في المدرسة وفي مناهج التعليم، كلَّ ما يدعو إلى الجهاد، كلَّ ما يدعو إلى الغيرة على الإسلام، إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلى الولاء لله ولرسوله وعدم اتخاذ أعدائه أولياء، كلَّ ما يوحي بتقدير البطولة، كلَّ معارك الفتح الإسلامي، كلَّ آيات الجهاد في سبيل الله، في القرآن وأحاديث الجهاد في السُّنة، وغزوات الرسول في السيرة: هذه ينبغي أن تُحذف من مناهج التربية والتعليم.

وكذلك في الإعلام، ينبغي أن يُحذف هذا بالتدريج في السياسة الإعلامية.

وهم - أيضًا - من ناحية أخرى يريدون أن يجفّفوا منابع المالية، الآن هناك حرب على الجمعيات الخيرية الإسلامية.

قالوا: إنَّها تموّل الإرهاب والإرهابيين، إنَّها تموّل الأصولية والأصوليين. وقريبًا كان أحد أمراء الخليج في أمريكا، فقال له الرئيس «كلينتون»: إنَّ الجمعيات الخيرية في بلادكم تموّل الإرهاب والإرهابيين، والأصولية والأصوليين.

قال له: هذه الجمعيات جمعيات خيرية، ونحن نعرف أصحابها، ونعرف القائمين عليها، وهم أناس طيبون إلخ.

قال: المعلومات التي عندنا تقول: إنهم يمولون الأصولية والأصوليين.

طبعاً هذه الجمعيات تعمل على إحياء الدين الإسلامي، تنشئ مدارس يتعلم فيها أبناء المسلمين، تنشئ مساجد يصلي فيها المسلمون، تنشئ دوراً للأيتام يُرعى فيها أبناء الإسلام، تطبع مصاحف يقرأها المسلمون، تطبع كتباً إسلامية تثقف المسلمين، تبث دعاة لتعليم الناس الإسلام. كل هذا ينشئ الأصولية التي يخافونها.

إعلان الحرب على الإسلاميين:

ولذلك نرى قادة الحرب الصليبية الحديثة اليوم، مصممين على أن يحاربوا الإسلام، يحاربوه بكل سلاح، ويحاربوه في كل منطقة، ويحاربوه بواسطة حكّام المسلمين أنفسهم.

أوقعوا ما بين الحكّام والشعوب، أزهبوا الحكّام وخوّفوهم وقالوا لهم: إنّ هؤلاء الأصوليين يريدون أن يقتلعوكم من جذوركم، حافظوا على كراسيكم، حافظوا على مكاسبكم بأن تتغدوا بهؤلاء قبل أن يتعشوا بكم!

وبدأت الحرب على الإسلاميين في كل مكان، المتطرفون منهم والمعتدلون، حتّى المعتدلون يحاربون، الذين ينكرون العنف، وينكرون الإرهاب، ولم يفعلوا أي حادثة من هذه الحوادث، حتّى هؤلاء يحاربون، ويحاكمون محاكمات غير عادلة، ويساقون إلى السجون، ويساقون إلى المعتقلات.

إنّ النعمة السائدة الآن: حاربوا الإسلام المعتدل!



إنَّه الإسلام الأشدُّ خطرًا؛ إنَّ التطرُّف قصير العمر، التطرُّف لا يمكن أن يستمرَّ طويلًا، إنَّما الذي يمكن أن يستمرَّ، وأنَّ يبقى، وأنَّ يدوم، وأنَّ يؤثر، إنَّما هو «الإسلام المعتدل».

ثمَّ يقولون: إنَّ الإسلام لا يمكن أن يكون معتدلاً، إنَّه يبدأ معتدلاً ثمَّ يتطرَّف، فنحن نأخذ الأمر من أوله ونسُدُّ الطريق عليهم!

يعني: اعتدلنا أو تطرَّفنا لا بدَّ من حربنا.

هذا ما يجري عليه الحال أيُّها الإخوة.

ما الذي نستطيع أن نفعله؟

لا يمكن أن نستسلم، سنظلُّ نقاوم، نرفض الذلَّ والهوان، لا نعمل كما يحدث الآن، ما شعرت بالهوان الممزوج بالأسى، والأسى الممزوج بالهوان، كما شعرت به هذه الأيام، وأنا أقرأ الصحف، وأشاهد نشرات الأخبار، وأرى ما يجري أمام عيني.

أين أمّتي؟ أين أمّتي؟

لا أجدها.

لابدَّ أن نقاوم، لا نستسلم أبداً مهما كانت النتيجة.

إنَّها إحدى الحسنيين: إمَّا أن نعيش أعزَّاء سعداء، وإمَّا أن نموت شهداء ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

لا يجوز أن نقبل هذا الهوان، ونردّد مع الشاعر أبي الطيب الذي يقول:



ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بَعِيشٍ رَبَّ عَيْشٍ أَخْفُ مِنْهُ الْجِمَامُ^(١)
 مَنْ يَهْنُ يَسْهَلُ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُزْحٍ بِمَيِّتٍ إِيْلَامُ^(٢)
 نحن قد هُنا على أنفسنا، فهنا على الناس، وإذا أردنا أن نكون كرماء
 على الناس، فينبغي أن نكرم أنفسنا أولاً.

أَمَتْنَا لَنْ تَمُوتَ:

يجب أن نشعر بأننا خير أمة أخرجت للناس، أننا الشهداء على الناس،
 أننا الأمة الوارثة للنبوات ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ
 يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، أننا أمة القرآن، أمة الإسلام، أمة
 محمد ﷺ، أمة الخلود، الأمة الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

يجب أن تتمكّن هذه المشاعر في نفوسنا، وألا نستسلم أبداً، هذا
 الشعور نفسه نعمة عظيمة، وغنيمة عظيمة، ومكسب كبير.

هم يريدون أن يقتلوا فينا هذا الشعور، أن يحسّ كلٌّ منا باليأس
 والإحباط، أن يقول: ليس هناك فائدة، ليس هناك إلا إسرائيل
 وترسانتها النووية، وميزانيتها العسكرية التي بلغت في سنة ١٩٩٤م
 «سبع مليارات وربع».

هم يريدون أن نصل إلى هذا الحدّ من اليأس والإحباط والشعور
 بالقنوط، ونحن نقول: لا تيأسوا من روح الله ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
 إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، لا تقنطوا من رحمة الله فإنه لا ﴿يَقْنَطُ
 مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

(١) بعض أنواع الحياة أفضل منها الممات.

(٢) ديوان المتنبي ص ١٦٤، نشر دار بيروت، ١٩٨٣م.



إِنَّ الدُّنْيَا دُولٌ، والدَّهْرُ يَوْمَان: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ:
﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ
النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ *
وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠، ١٤١].

إِنَّ قُلُوبَنَا مَعَ الشَّعْبِ اللَّبْنَانِي، وَقُلُوبَنَا مَعَ الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِي، قُلُوبَنَا
مَعَ أَبْطَالِ الْجِهَادِ، قُلُوبَنَا مَعَ أَبْطَالِ «حِمَاسٍ»، وَأَبْطَالِ «الْجِهَادِ
الْإِسْلَامِي»، وَأَبْطَالِ الْمَقَاوِمَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ، وَأَبْطَالِ «حِزْبِ اللَّهِ»، وَمَعَ كُلِّ مَنْ
يَقَاوِمُ الطَّاغُوتَ، وَكُلِّ مَنْ يَقِفُ فِي وَجْهِ الْعَدُوَانِ.

قُلُوبَنَا مَعَهُمْ، وَالسَّنْتَنَا تَهْتَفُ وَتَدْعُو لَهُمْ، وَلَا نَمْلِكُ فِي هَذِهِ الْأَوْنَةِ
إِلَّا هَذِهِ الْمَشَاعِرَ، وَهِيَ رَأْسُ مَالِنَا، فَلَا يَنْبَغِي - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ -
أَنْ نَفَرِّطَ فِي هَذِهِ الْمَشَاعِرِ.

يَنْبَغِي أَنْ نَشْعُرَ بِأَنَّ الْأُمَّةَ الْعَزِيزَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَهَا الْعِزَّةَ ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

وَاللَّهُ لَوْ وَقَفْنَا وَقْفَةً رَجُلٌ وَاحِدٌ وَصَمَّمْنَا وَعَزَمْنَا، مَا اسْتَطَاعَتْ
إِسْرَائِيلُ أَنْ تَفْعَلَ شَيْئًا.

إِنَّمَا دَخَلَتْ عَلَيْنَا إِسْرَائِيلُ حِينَمَا أَدَخَلَتْ الْوَهْنَ عَلَى نَفُوسِنَا، وَالْأَمْرُ
كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلِيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ،
وَلِيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ». قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ:
«حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١).

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحّحه
الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

هذه هي الآفة: «حُبُّ الدنيا، وكراهية الموت».

أَمَّا إِذَا طَلَّقَ النَّاسُ الدُّنْيَا وَأَقْبَلُوا عَلَى الْمَوْتِ، لَا يَبَالُونَ أَوْقَعَ الْمَوْتِ عَلَيْهِمْ أَمْ وَقَعُوا عَلَيْهِ، وَوَضَعُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ بِاذْلِينَ لَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لَنْ تَسْتَطِيعَ إِسْرَائِيلُ وَلَا مَنْ وَرَاءَ إِسْرَائِيلَ أَنْ يَصْنَعُوا شَيْئًا.

إِنَّ بَضْعَ عَمَلِيَّاتٍ - ثَلَاثَ عَمَلِيَّاتٍ - حَدَثَتْ فِي أَيَّامٍ قَرِيبَةٍ، هَزَّتْ إِسْرَائِيلَ، زَلَزَلَتْ قَوَاعِدَ إِسْرَائِيلَ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْقَنَابِلَ الْبَشَرِيَّةَ الْمَوْقُوتَةَ لَا تَسْتَطِيعُ إِسْرَائِيلُ أَنْ تَصْنَعَ أَمَامَهَا شَيْئًا.

مَاذَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ أَمَامَ إِنْسَانٍ بَاعَ نَفْسَهُ لِلَّهِ، لَا يَبَالِي بِالْمَوْتِ؟ وَهُوَ لَا يَكْلَفُ شَيْئًا، بَعْضُ مَوَادِّ مِتْفَجْرَةٍ مُمْكِنٌ أَنْ تَوْجَدَ فِي أَيِّ مَكَانٍ.

لَنْ نَبَاعَ بِثَمَنٍ بَخْسٍ:

جَفَّفُوا الْمَنَابِعَ الْمَالِيَّةَ كَمَا زَعَمْتُمْ، لَنْ يَغْنِيَ هَذَا شَيْئًا.

إِنَّ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ هُوَ الْإِرَادَةُ، هُوَ التَّصْمِيمُ، أَنْ نَبْقَى عَرَبًا مُسْلِمِينَ.

لَا يَجُوزُ أَنْ نُبَاعَ، لَقَدْ بَاعُونَا فِي سُوقِ النِّخَاسَةِ، بَاعُونَا كَمَا بَاعَ يَوْسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ عليه السلام، بِثَمَنٍ بَخْسٍ، دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ. وَلَكِنْ يَوْسُفُ عليه السلام قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ أَنْ يُبَاعَ إِلَى رَجُلٍ أَكْرَمَهُ، إِلَى عَزِيزِ مِصْرَ الَّذِي قَالَ لَامْرَأَتِهِ: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يُوسُف: ٢١]، وَلَكِنَّهُمْ بَاعُونَا لِمَنْ لَا يَرَعَى لَنَا كِرَامَةً وَلَا حُرْمَةً، وَلَا يَرْقُبُ فِينَا إِلَّا وَلَا ذِمَّةً، بَاعُونَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ لِلْيَهُودِ!

مَا هُوَ هَذَا الثَّمَنُ يَا قَوْمَ؟ مَا الثَّمَنُ الَّذِي بَعَثُونَا بِهِ؟

بعتم هذه الديار، وبعتم هذه الشعوب، وبعتم هذه الأمة الغالية،
 بعتموها بثمن بخس ولم تقبضوه! ثمن لم يقبض!
 كل ما كُسب من هذا الثمن هو بقاء أهل الكراسي على كراسيهم!
 ماذا أفادت الشعوب العربيّة من وراء الأمر؟

لم تستفد شيئاً، إسرائيل هي المتحكّمة، إسرائيل هي المالكة،
 إسرائيل هي المستفيدة، إسرائيل هي الرابحة!

ولكنّا مؤمنون بأنّ الغد لنا، وأنّ المستقبل لنا، وأنّ النصر آت لا ريب
 فيه، وأنّ الله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفْ
 أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ويقول: ﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ
 ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم مِّنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّهُ هو
 الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلَّا استجاب له^(١)، ولعلَّها تكون هذه الساعة.

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شرٍّ.

اللَّهُمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) إشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلَّا أعطاه إياه» وأشار بيده يقللها. متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.



النَّفَقُ الْإِسْرَائِيلِي (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الجمعة الماضية كنت في مدينة «قونية» بتركيا؛ للمشاركة في مؤتمر عن فقه التجارة الإسلامية ومشاكلها الحديثة.

بدأ هذا المؤتمر يوم الأربعاء، وعشت يوم الأربعاء والخميس في مشاعر طيبة، في هذه المدينة التي كانت عاصمة لدولة «السلاجقة»، وكان لها دورها في عهد العثمانيين، وكان لها موقفها المتميز في مقاومة الردّة الكمالية الأتاتورية، وسقط منها الشهداء وراء الشهداء.

تركيا الجديدة:

في هذه المدينة عُقد هذا المؤتمر، ورأيت العلمانية التي حكمت تركيا نحو السبعين عامًا، لم تستطع أن تقتلع جذور الإسلام من نفسية الشعب التركي.

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ، فِي ٢١ جُمَادَى الْأُولَى ١٤١٧هـ الْمَوْافِقَ ٤ أَكْتُوبَر ١٩٩٦م.

هنالك الآلاف وعشرات الآلاف من المدارس القرآنية، وهناك عشرات المعاهد للأئمة الخطباء، وهناك كليات الإلهيات التي خرّجت جيلاً جديداً من علماء الشريعة رأيتهم في هذا المؤتمر، رأيت حشداً من رجال الفقه تخرّجوا في هذه الكليات التي لم يسمّوها كليات «الشريعة» أو «أصول الدين»، وإنّما سمّوها باسم أشبه بما يسميه النصارى، كليات «اللاهوت»، وهو كليات: «الإلهيات».

رأيت في هذا المؤتمر التوجّه الإسلامي الجديد في تركيا، التي أوصلت حزباً إسلامياً إلى سدّة الحكم، وإن لم يكن له أغلبية مطلقة، ولكنها مؤشر ورمز إلى هذا التوجّه الجديد للشعب التركي.

قام هذا المؤتمر بتعاون من كُلية الإلهيات والوقف الإسلامي في مدينة «قونية» مع بعض الشركات الكبرى التي تحاول أن تكيّف أنشطتها ومعاملاتها وفق شرع الله تعالى.

عشت مشاعر طيبة في يومي الأربعاء والخميس، وفي يوم الجمعة وفي مثل هذا الوقت كنّا نصلي الجمعة، وفي أواخر صلاتنا سمعت تكبيرات تدوّي تبلغ عنان السماء: الله أكبر، الله أكبر، فما إن فرغنا من الصّلاة حتّى سألت الإخوة الأتراك: ما الذي يجري؟ ما هذا التكبير؟

قالوا: هذه مسيرات يقوم بها الإسلاميون في هذا البلد تعبيراً عن تضامنهم مع الإخوة الفلسطينيين.

قلت: وماذا حدث من جديد للإخوة الفلسطينيين؟

فنحن في بلد لا نستطيع أن نقرأ الصحف ولا أن نتابع فيه النشرات في الإذاعة أو التلفاز، فلم نعرف عمّا جرى شيئاً.

قالوا: إِنَّه احتجاج على مَنْ سقط من الضحايا والشهداء في القدس وفي الضفة الغربية وفي غزّة، وقد سقط نحو خمسين شهيداً، ومئات من الجرحى! قلت: من أجل ماذا؟

قالوا: من أجل النفق الذي صنّعه إسرائيل تحت المسجد الأقصى.

هنالك ثار أبناء فلسطين الأبطال احتجاجاً على هذه العملية العدوانية، ودفاعاً عن مقدّساتهم، دفاعاً عن مسجدهم الأقصى، دفاعاً عن أولى القبلتين وثالث المسجدين العظيمين، دفاعاً عن أرض الإسراء والمعراج، دفاعاً عن هذه المقدّسات... قاوم شباب وشابات، رجال ونساء، أطفال وشيوخ، قاوموا بصدورهم رصاص العدو الحي الذي يخترق الصدور، فلم يبالوا به؛ لأنّهم يذودون عن حرّات مقدّسة، تهون من أجلها الدماء، وترخص من أجلها الأرواح، ويهون من أجلها كلّ تضحية ما دامت في سبيل الله.

لم تطل المشاعر الطيبة السعيدة التي سعدت بها خلال يومي الأربعاء والخميس، حتّى داهمتنا هذه الكارثة الجديدة.

السلام المزعوم:

إنّها تدلّ على ما أكّده دائماً ونؤكّده أبداً: أنّ اليهود هم اليهود، والصهاينة هم الصهاينة، وأنّ مخطّطهم لا يزال قائماً، وأنّ اتفاق «أوسلو» الذي حدث ليس له وزن ولا قيمة، وقد عارضناه من فوق هذا المنبر، وقلنا: إنّهُ ليس سلام الشجعان، إنّهُ سلام الأقوياء والضعفاء، سلام القط والفار، سلام الأسد والغزال، سلام الذئب والحمل: تكلم السيف فاسكت أيّها القلم تحكّم الذئب فاخضع أيّها الحمل!

ليس هذا هو السّلام الذي نريد، إنّهُ الاستسلام، إمّا أن تخضع وتحني رأسك، وتطأطيّ ظهرك لما تريده إسرائيل وما تنويه إسرائيل، وإلاّ فالويل كلّ الويل لك، الجيش بالمرصاد، والشرطة بالمرصاد، والدبّابات بالمرصاد، وطائرات الهليكوبتر بالمرصاد، ستحصّد الشّبّان والفتيات، ستحصّد الرجال والنّساء، ستحصّد الشيوخ والأطفال ولا تبالى.

مَن يحاسبها؟ ومَن يعاقبها؟ ومن يقول لها: لمَ فضلاً عن أن يقول لها: لا؟ هذا ما تصنعه إسرائيل، هذا ما دلّ عليه هذا الاتفاق المزعوم، اتفاق السّلام.

أي سلام هذا الذي لم يحل مشكلة إلى اليوم من المشاكل المعلّقة؟! علّقوا المسائل المهمّة وتركوها لما بعد!

القدس لا زالوا في كلّ يوم يعلنون أنّها العاصمة الأبدية الموحّدة لشعب إسرائيل.

اللاجئون الملايين المشرّدون من أبناء فلسطين الذين لا زال بعضهم يحتفظ بمفتاح داره، وعنده آمال في العودة يوماً إليها، هؤلاء ليس لهم حقّ في العودة، إسرائيل لا تحتلّ مزيداً من السكّان إلّا إذا كانوا سكّاناً من اليهود!

المستوطنون لا يزالون في أماكنهم، ولا يزالون يتزايدون ويتنامون، وتتزايد مستوطناتهم في أرض فلسطين يوماً بعد يوم، وخصوصاً في منطقة القدس.

إنّهم يأخذون الأرض عنوة وقسراً وقهراً من أصحابها، نرى ذلك في

التلفاز، ونشاهد هؤلاء المساكين وهم يصرخون ويُولولون رجالاً ونساءً، و«البلدوزرات» تهدم وتأخذ الأرض من أهلها بالقهر، وبسيف الجبروت، وجبروت السيف وبمنطق الطغيان والاستكبار في الأرض بغير الحق.

هذا ما تصنعه إسرائيل.

لا نستغرب من هؤلاء أن يفعلوا ذلك، الاتفاق أفادهم ونفعهم، ولم ينفعنا بشيء.

الحدود حتّى الآن لم تتضح.

ما هي حدود إسرائيل؟

إنّهم يسكتون عن هذا؛ لأنّهم لا يريدون أن يصرّحوا عن حقيقة الحدود التي يعتبرونها حدودهم.

إنّهم يقولون في كتبهم الخاصة وفيما بينهم: إنّ حدود إسرائيل من «الفرات» إلى «النيل»، ومن «الأرز» في لبنان إلى «النخيل» في الحجاز، حيث لهم مطاعم حول المدينة المنورة وخيبر؛ إذ كان هناك بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير ويهود خيبر.

هذه هي أطماعهم، وهذه هي أحلامهم.

لم يحل الاتفاق أي مشكلة من المشكلات.

وها هم يحفرون حول المسجد الأقصى، الحفريات مستمرة من سنين، وتأمّرهم على المسجد الأقصى معروف.

لقد حاولوا أكثر من خمس عشرة مرّة إحراق هذا المسجد، وأحرقوه



مرّة أو أحرقوا بعضه، واحترق منبر صلاح الدين: التحفة التاريخية المعروفة، وحاولوا أن ينسفوا هذا المسجد، كما أراد ذلك الحاخام المعروف المقتول «مائير كاهانا»، وحاولوا إطلاق الرصاص على المصلين، وحاولوا أن يُصلُّوا فيه بالقهر ليثبتوا لهم وجودًا، كما أخذوا جزءًا من مسجد الخليل إبراهيم وحجزوه لهم إلى اليوم، وهو ملك المسلمين ومسجد المسلمين، وقد بناه المسلمون.

قمة خماسية في واشنطن:

هذه محاولاتهم، فأين نحن من هذا؟

ماذا فعلنا أمام هذا السيل من الدماء التي أريقت، والأرواح التي أزهقت؟

حوالي ستين من الشهداء، وأكثر من ألف من الجرحى والمصابين! ماذا فعلنا أمام هذا الصمود وهذه البطولة التي أظهرها أبناء فلسطين؟ إنها انتفاضة جديدة.

ماذا فعلنا إزاء هذا؟

للأسف لم نقم بشيء.

قالوا: نذهب إلى قمة خماسية في واشنطن!

ماذا تصنع هذه القمة الخماسية؟!

لقد أحسن الرئيس المصري «حسني مبارك» حينما رفض الذهاب إلى هناك؛ لأنّه لا معنى للذهاب إلى واشنطن، ولا أمل في الذهاب إلى واشنطن.

ونودُّ من مصر أن تؤكّد هذه الخطوة الإيجابية بخطوة أخرى، وهي إلغاء المؤتمر الاقتصادي، الذي تلعب فيه إسرائيل دورها، وتريد أن تهيمن على المنطقة اقتصاديًا؛ حتّى تنسجم المواقف بعضها مع بعض. ينبغي - بل يجب وجوبًا حتميًا - إلغاء هذا المؤتمر، هذا أقل ما يُردُّ به على هذا الموقف المتبجح الملطّخ بالدماء.

ماذا فعلت القمّة الواشنطنية؟

نحن نقول: إنّ القمّة فشلت، هي فشلت بالنسبة لنا، ولكنها نجحت نجاحًا باهرًا بالنسبة لإسرائيل.

أتدرون لماذا؟

لأنّهم اتفقوا على نبذ العنف، واتخاذ المفاوضات الطويلة المدى وسيلة للوصول إلى النتائج!

وما معنى نبذ العنف - أيّها الإخوة؟

معنى نبذ العنف: أي قمع الانتفاضة الجديدة، أو إعلان الحرب على المقاومة الإسلامية «حماس» و«الجهاد» التي هي البديل الوحيد أمام الفلسطينيين للوصول إلى حقّهم، كما قال الكاتب الكبير محمّد حسنين هيكل، في كتابه الأخير «العروش والجوش».

لا يمكن أن يفهم الإسرائيليون غير لغة «القوّة»، والقوّة وحدها.

أي لغة أخرى غير مفهومة، بل غير مسموعة عندهم إطلاقًا.

اتفقوا على نبذ العنف، وهنا تتعاون الوسائط الاستخباراتية والأمنية بين الفريقين في هذا السبيل.



ولا ندري ماذا سيحدث اليوم بعد الصّلاة في مساجد فلسطين، في القدس وغزّة والضّفة؟

وهل ستشارك السلطة الفلسطينية وشرطتها في قمع المُصلّين والمتظاهرين والمُتجمّهرين تعبيرًا عن سخطهم على ما حدث؟

في إسرائيل تقوم مظاهرات ومسيرات ولا يقمعها «نتنياهو».

بعضها يطالب بالتشدد أكثر فأكثر، وبعضها يطالب بالسّلام، ولكن السلطة الإسرائيليّة لا تقمع هؤلاء ولا هؤلاء.

لماذا لا تتعلم السلطة الفلسطينية من إسرائيل، وتدع لأبناء فلسطين أن يُعبّروا عن أنفسهم سلميًا بالصراخ؟

ماذا يملك الإنسان المظلوم المهذوم المحطوم المجروح المذبوح إلا أن يصرخ في وجه ظالمه؟

دعوا للنّاس حرّيّة الصراخ والصياح ليعبّروا عن أنفسهم.

لا نريد للسلطة الفلسطينية أن تتورّط أكثر مما تورّطت، لا نريدها أن تطلق الرصاص على إخوانها وأبنائها من أبناء هذا الشعب البطل المجاهد الصامد المظلوم المفترى عليه.

نحن فشلنا في قمّة واشنطن ونجح اليهود؛ لأنّهم اتفقوا على نبذ العنف، واتخاذ المفاوضات!

أي مفاوضات؟ وماذا تجزئ المفاوضات؟

لن يعد «نتنياهو» مجرد وعد أكيد حاسم في قضيّة من القضايا، لقد انسلّ من هذا الأمر كما تنسلّ الشعرة من العجين، ولم يقل شيئًا،



كلُّما قاله مجرد كلمات جوفاء ليس لها مضمون، لا تُسمن ولا تغني من جوع.

كان الأصل أن يكون الموضوع الأوّل على مائدة المفاوضات، والذي من أجله عُقدت القمّة هو: «التّفق»، وإغلاق هذا التّفق.

إمّا أن يكون هذا هو الموضوع الأوّل أو تُلغى المفاوضات من أوّل الأمر.

ولكن «نتنياهو» أعلن ببجاجة ووقاحة وصراحة: أن هذا الأمر ليس مطروحاً على مائدة المفاوضات، وأصرّ على رأيه، ولم يبحث هذا الأمر. لماذا ذهبتم إذن يا قوم إلى المفاوضات، إذا كان الموضوع الذي أثار هذه الثائرة - موضوع التّفق وموضوع الانتفاضة - ليس مطروحاً على مائدة المفاوضات؟!!

نريد قمّة في مكّة لا في واشنطن:

نحن في الواقع لسنا في حاجة إلى قمّة في واشنطن، نحن في حاجة إلى قمّة أخرى تُعقد في مكّة المكرّمة، أو في القاهرة، أو في أي بلد إسلامي.

وأولى البلاد بها بلد المسجد الحرام، الذي ابتداءً منه الإسرائ لينتهي إلى المسجد الأقصى، لقد ربط الله ما بين المسجدين ربطاً أبدياً، هذا بداية الإسرائ وهذا نهايته، ومن فرّط في المسجد الأقصى يوشك أن يُفرّط في المسجد الحرام.

نريد قمّة إسلاميّة - لقادة المسلمين - تعقد في مكّة المكرّمة، ألا يستحقّ



الأقصى منهم التنادي لهذه القمّة؟ فنذهب إلى قمّة في واشنطن لإنقاذ المسجد الأقصى، ولا نقيم قمّة في ديار الإسلام لإنقاذ هذا المقدّس العظيم؟! كنّا نودّ أن يوجد في المسلمين رجل مثل «فيصل بن عبد العزيز» الذي دعا في سنة (١٩٦٩م) - حينما حاول من حاول إحراق المسجد الأقصى - زعماء المسلمين وقادة بلاد الإسلام إلى الاجتماع من أجل هذا الأمر، واجتمعوا في «المغرب»، وكان من وراء ذلك إنشاء منظّمة المؤتمر الإسلامي. واليوم تتزايد الأخطار على المسجد الأقصى، وعلى المدينة المقدّسة «القدس»، وعلى أرض الإسراء والمعراج.

اليهود يريدون تهويد «القدس»، وإخراجها عن عروبتها وإسلامها، وإضفاء الطابع اليهودي عليها، وقد فعلوا من ذلك الكثير، وغيرُوا البنية السكّانية، غيرُوا نسبة السكّان.

كان اليهود أوّل الأمر لا يسكنون في القدس، منذ دخل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه مدينة القدس، وعقد عقد الصلح مع أهلها النصارى، وكان ذلك بطلب من بطريك القدس «صفريوس»، الذي أصرّ على ألاّ يُسلم مفتاحها إلّا إلى خليفة المسلمين عمر بن الخطّاب.

وجاء عمر وسُلم مفتاح المدينة، وعقد معهم صلح «إيلياء»؛ إذ كانت المدينة تُسمّى في ذلك الوقت «إيلياء» - أو ما يسمّى في التاريخ باسم «العُهدّة العمرية»، وكان من شروط هذه العُهدّة أو هذه الاتفاقية: أنّ النصارى طلبوا من عمر ألاّ يسكنهم في مدينتهم يهود^(١).

كان هذا من الشروط المبدئيّة الأساسيّة.

(١) تاريخ الطبري (٦٠٩/٣).

تشتيت اليهود عقوبة إلهية لهم:

معنى هذا أنّ اليهود لم يكن لهم في هذه المدينة نصيب منذ فرّقهم الله في الأرض وقطّعهم أمّما كما قال القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَطَّعْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨].

﴿لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾: وهذا معروف في التاريخ، من قرأ التاريخ وجد هذه الأدوار لليهود، حينما أفسدوا في الأرض وطمغوا فيها وعلوا علوا كبيرا وفعلوا ما فعلوا، قتلوا أنبياء الله، وتعدّوا على الحرمات، وكما قال القرآن: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧] تاريخ اليهود حافل بقتل أنبياء الله، نشروا بالمنشار زكريا عليه السلام، وذبحوا ابنه يحيى عليه السلام.

بعد إفسادهم وطمغيانهم وتعديهم:

سلّط الله عليهم أهل «بابل»، وجاء «بختنصر» كما يقول مؤرّخو العرب، ودخل ديارهم، وجاس فيها، وحرّق معابدهم وتوراتهم وكتبهم، وأخذهم أسرى إلى بابل مدّة سبعين سنة^(١).

هذا معروف في تاريخهم.

ثم سلّط الله عليهم الفرس، ثم سلّط الله عليهم الرومان وضربوهم

(١) انظر: تاريخ الطبري (٥٣٨/١) وما بعدها، وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (٨١/١ - ٨٦)، تحقيق أبو القاسم إمامي، نشر سروش، طهران، ط ٢، ٢٠٠٠م.

ضربة قاضية، قُطِّعوا فيها في الأرض أممًا، وتفرَّقوا شذر مذر، ولم تقم لهم قائمة منذ ذلك اليوم^(١).

ولذلك حينما دخل المسلمون «القدس» لم يتسلَّموا القدس من اليهود، إنَّما تسلَّموها من النَّصارى، وقد شارطوا المسلمين ألا يسكنهم فيها يهود.

وظلَّ هذا قرونًا، ثمَّ يبدو أنَّ المسلمين تساهلوا كعادتهم، وسمحوا لليهود يومًا بعد يوم بالدخول في هذه المدينة، إلى أن جاء القرن الثامن عشر ثمَّ القرن التاسع عشر، في عهد الدولة العُثمانيَّة، وفي أيام ضعفها، وفي أيام انشغالها بالحروب خارج حدودها وداخلها، بدأ اليهود يخطِّطون لدخول هذه المدينة وبناء أحياء أو مستعمرات حولها خارج سور المدينة، وبنوا من سنة (١٨٤٣م) إلى سنة (١٨٩٧م) سبْعًا وعشرين مستعمرة.

وجاء «هرتزل» مؤسِّس الحركة الصهيونيَّة المعروفة إلى القدس سنة (١٩٠٣م) وزارها، وتفقَّدها، ثمَّ دعا اليهود في العالم وحثَّهم إلى أن يذهبوا إلى القدس ويسكنوا فيها ويستعمروها ما استطاعوا.

وظلَّ الأمر كذلك، حتَّى جاء الانتداب البريطاني سنة (١٩١٧م) فلمكَّن لليهود أكثر من أي شيء قبل ذلك.

حينما دخل البريطانيون القدس سنة (١٩١٧م) كان اليهود فيها يكوِّنون خمسًا وعشرين في المائة (٢٥٪) من السكَّان، والعرب - مسلمون ومسيحيون - يكوِّنون خمسًا وسبعين في المائة (٧٥٪)، ولا يملك اليهود

(١) انظر: تاريخ الإسرائيليين لشاهين مكاريوس ص ٦٤، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ٢٠١٤م.

من مساحة المدينة إلا أربعة في المائة (٤٪) فقط، وست وتسعون في المائة (٩٦٪) هي للعرب وللمسلمين، القدس كلها شرقية وغربيّة! ثمّ تغيّر الحال.

الآن يكادون يُفرغون المدينة من سكّانها العرب - بعد أن أصبحت القدس الغربيّة كلّها لهم - نرى الإجراءات القمعيّة والتعسفيّة في القدس الشرقيّة والقدس الغربيّة، ضد العرب مسلميهم ومسيحيّهم، ونزع الهويات منهم، ومنع زيادة الأرض المبنية، منع اتساع المدينة من ناحية العرب.

وإعطاء الفرصة لبناء الأحياء السكنيّة والمستعمرات اليهوديّة على حساب العرب والمسلمين، جعل العرب والمسلمين فيها أقلية، حوالي ست وعشرين في المائة (٢٦٪) من العرب وأربع وسبعون في المائة (٧٤٪) من اليهود.

وبعد اتفاق «أوسلو» زاد الأمر تفاقمًا؛ فالاستيطان يتزايد يومًا بعد يوم، والأرض تُنتزع من أهلها يومًا بعد يوم، واليهود يريدون تهويد المدينة (أن تكون مدينة يهوديّة).

نحن أولى بـداود وسليمان منهم:

ومن أجل هذا يحفرون الحفريات بحثًا عن هيكل سليمان المزعوم! أين هيكل سليمان هذا؟ وما قيمته التاريخيّة؟ ومن يثبته؟

ثمّ نحن أولى بسليمان وداود منهم، هم والله يعتبرون داود وسليمان عليهما السلام - كما تحكي توراتهم المحرّفة - من أحسن النّاس.

داود عليه السلام أحب امرأة جاره، فبعث جاره في بعثة ليقاتل، وأمر قائده أن يعرضه للقتل؛ ليسطو على امرأته بعد ذلك!
هل يفعل هذا إلا سفلة الناس؟!
هكذا نسبوا إلى داود.

ونسبوا إلى سليمان ما نسبوا من السحر وعبادة الأصنام وغير ذلك!
وداود وسليمان عندنا من كرام الأنبياء: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿٢﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿٣﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴿٤﴾ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخَطَابِ ﴿٥﴾﴾ [ص: ١٧ - ٢٠]، ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٦﴾﴾ [ص: ٣٠]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَأَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿٨﴾﴾ [النمل: ١٥، ١٦].

والنبي ﷺ يقول: «أحب الصيام إلى الله: صيام داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأحب الصلاة إلى الله: صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه»^(١)، ويقول: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده»^(٢).

نحن أولى بـداود وسليمان منهم، كما قال النبي ﷺ حينما وجدهم يصومون عاشوراء، فسألهم: «ما هذا اليوم الذي تصومونه؟»

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٣١)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٧٢)، عن المقدم بن معديكرب.

قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكرًا لله، فنحن نصومه تعظيمًا له.

فقال رسول الله ﷺ: «فنحن أحق بموسى منكم، فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه»^(١).

نحن أحق بموسى منهم، وأحقّ بداود منهم، وأحقّ بسليمان منهم؛ نحن نعبد الله كما يريد داود وسليمان، أمّا هم فبماذا يعبدون الله؟ بإراقة الدماء؟! بالتعدي على خلق الله؟! بالعدوان على الأرواح والأموال؟! بأخذ الأراضي بغير حق؟! بمصادرتها بدعاوى مختلفة: المصلحة العامة، الاستملاك، من لم يمكث في أرضه خمسين عامًا فليس له حقّ تملكها؟! لقد أخذوا أراضي الفلسطينيين، وأخذوا أراضي الأوقاف الإسلامية التي لا يجوز لأحد أن يتصرّف فيها، فهي ملك مؤبّد لله تعالى. لقد تملّكوا هذه الأوقاف واعتدوا عليها؛ لأنّهم لم يجدوا من يقول لهم قفوا عند حدّكم.

واجب الأمة نحو فلسطين:

آن للأمة الإسلامية أن تتكلم، آن للأمة الإسلامية أن تقف موقفًا إيجابيًا. الأمة التي تملك مليارًا وثلث المليار من البشر في أنحاء الأرض، الأمة التي تملك من المقدرات الاقتصادية والإستراتيجية ما لا يملكه غيرها، الأمة التي تملك من القوّة الروحية ومن موارث السماء ما لا يملكه أحد سواها، الأمة التي تملك كلّ هذه المقومات تستطيع أن تفعل الكثير، لو وجدت القيادة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠)، كلاهما في الصيام، عن ابن عباس.

مشكلة الأمة الإسلامية ليست في القاعدة بقدر ما هي في القمّة.

لقد استطاعوا أن يمزّقوا ما بين قادة هذه الأمة، وأن يخوّفوا بعضهم من بعض، وأن يفصلوا بعضهم عن بعض، حتّى رأينا الدول العربية والإسلامية يجافي بعضها بعضاً، بل يعادي بعضها بعضاً، بل يقاتل بعضها بعضاً.

أين الأمة التي سمّاها الله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وجعلها ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]؟ وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] أين هذه الأمة الواحدة التي عبّر النبي ﷺ عن العلاقة بين أبنائها فقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً»، ثمّ شبّك بين أصابعه^(١).

وقال: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

إنّها كيان عضوي واحد يحشّ كلُّ عضو بألم العضو الآخر.

هذا هو الذي ينبغي أن تكون عليه الأمة، ولكن الآن نرى غير ذلك.

لقد استطاعوا بضربة واحدة أن يمزّقوا شمل العرب، كما فعلوا في ضربة حرب الخليج، التي لا تزال آثارها إلى اليوم.

ولكن أمام الأحداث الكبار ينبغي للأمة أن تنسى كلّ خلافاتها، أن توحد صفوفها، أن تجمع كلمتها، أن تتنادى فيما بينها لتنقذ مقدّساتها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى الأشعري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٨٦)، عن النعمان بن بشير.

لا يجوز لأمة الإسلام أن تسكت على هذا الباطل، على هذا الإجرام، على هذا العدوان.

إننا - والله - نستطيع أن نفعل الكثير، مجرد وقوفنا وقولنا: «لا» يهزُّ العالم كله هزًّا.

قمة القاهرة التي عُقدت من قريب هذه أقلت القوم، وفزعوا أن يكون وراءها أمر إيجابي.

وفعلًا حينما بدأت تتقارب مصر مع السودان ومع إيران، قلقت القوى المعادية للإسلام وفزعت، وعملت عملها حتى تفسد هذه الخطوات المباركة في التقريب ما بين المتباعدين، والفصل ما بين المتخاصمين.

نحن نملك الكثير لو وحدنا صفوفنا.

ألا يوجد من يدعو هذه الأمة بقوة لتجتمع في شكل قمة إسلامية إيجابية لزعماء المسلمين؟

وينبغي أن تكون هناك قمة أخرى شعبية لعلماء المسلمين في العالم: علماء المسلمين الذي درسوا كتاب الله وسُنة رسوله، علماء المسلمين الأحرار الذين ليسوا من علماء السلطة ولا عملاء الشرطة!

هؤلاء ينبغي أن يجتمعوا في بلدة ما تتسع لهم، ويقولوا رأيهم، ويعبروا عن تأييدهم لإخوانهم.

ألا يجتمع علماء الإسلام؟

إذا لم نصل إلى اجتماع الزعماء، فلنرض باجتماع العلماء.

ألا يوجد من ينادي العلماء في أنحاء العالم أن يلتقوا؟

ألا يدعو شيخ الأزهر في مصر ليجتمع العلماء في مصر؟

ألا يدعو الشيخ عبد العزيز بن باز إلى أن يجتمع العلماء في مكة؟

ألا يدعو بعض العلماء ليلتقوا حتّى يقولوا كلمتهم؟

نحن نستطيع أن نفعل الكثير، ولا يجوز أن نقف مكتوفي الأيدي، مشلولي الألسنة، لا نفعل شيئاً، ولا نقول شيئاً.

إنّ الدماء المراقبة من إخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا وآبائنا وأمهاتنا، في أرض فلسطين التي بارك الله فيها للعالمين، توجب علينا أن نقف مع إخواننا مؤيدين مساندين، بالنفس والمال وبكلّ ما نستطيع.

الجمعيات الخيرية في قطر: جمعية قطر الخيرية، جمعية الشيخ عيد بن محمد الخيرية، صندوق الزكاة في قطر، يجب أن يساعدوا الإخوة في فلسطين، هؤلاء الذين استشهدوا وتركوا أولاداً، هؤلاء الذين جرحوا، هؤلاء المعتقلون (أكثر من ستة آلاف معتقل)، هؤلاء المشردون، هؤلاء العاطلون (سبعون في المائة من أبناء غزة والضفة عاطلون نتيجة الحصار الإسرائيلي، وستة ملايين دولار يوميّاً خسائر نتيجة هذا الحصار). لا بدّ أن نقف مع هؤلاء، نساعدهم بما استطعنا، نساعدهم بما يمكننا، ويمكننا الكثير، والله يبارك في القليل.

يا أيّها الإخوة، إنّ الأمة الإسلامية تقدر أن تفعل كثيراً، ولكنها معطّلة، مقيدة، مغلولة الأيدي والأقدام، وينبغي أن نتحرّر من الأغلال والقيود، وأن نسير إلى الأمام، وأن ندعو الله تعالى لإخواننا في الصباح والمساء، في سجداتنا إذا سجدنا، في خلواتنا بالليل، في ساعات السحر.



علينا أن ندعو الله تعالى أن يؤيّد إخواننا برُوح من عنده، وأن يمدّهم
بملاّ من جنده، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا،
وأن ينصرهم نصرًا عزيزًا، وأن يأخذ أعداءهم أخذًا أليمًا شديدًا، إنّه
سميع قريب.

أقول قولي هذا - أيّها الإخوة والأخوات - وأستغفر الله تعالى لي
ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

المعركة بيننا وبين اليهود مستمرّة، ولا يمكن أن نلقي السّلاح، وسنظلّ نقاوم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وسنظلّ نوّيد إخوتنا الذين يجاهدون في سبيل الله، ويعلمون راية الإسلام وكلمة الإيمان في أرض فلسطين المباركة.

ونعتقد - إن شاء الله - أنّ الزمن في صالحهم، المثبّطون يثبّطون ويقولون: الزمن ليس في صالحنا، ونحن نقول: في صالحنا إن شاء الله.

لن يستمرّ القوي قوياً أبد الدهر، ولن يستمرّ الضعيف ضعيفاً أبد الدهر، دوام الحال من المحال، ومن سنة الله تعالى «التداول»، تداول الأيام بين الأمم والأقوام، كما قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، وقد مرّت الأيام التي علينا، وبقيت التي لنا.

الله تعالى قال عن اليهود: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]، ﴿بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ﴾: أن يدخلوا في الإسلام فيعتزّوا به، ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾: أن يتقوا ببعض القوى الموجودة في الأرض، كما يتقوون الآن بأمريكا.

ولكن لن يستمرّ هذا الحبل الموصول بينهم وبين الناس أبد الدهر، سرعان ما ينقطع هذا الحبل بسوء أخلاقهم وأنانيتهم وعدوانهم، ويعودون إلى القاعدة الأصلية: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا﴾.

المرابطون في المسجد الأقصى:

سَيُقْطَعُ الحبل الذي بينهم وبين النَّاسِ، كما انقطع الحبل الذي بينهم وبين الله، وسيبقون في العراء وسنواجههم بإيماننا وحقنا الذي لن يضيع أبدًا.

سنواجههم إن شاء الله، وستكون المعركة في النهاية لنا، سيكون الحجر والشجر معنا، سيكون كلُّ شيء في الوجود معنا وضد اليهود، دالًّا عليهم وكاشفًا عن عوراتهم.

وقد روى الإمام أحمد والطبراني بسند رواه ثقات، عن أبي أمامة الباهلي، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم إلَّا ما أصابهم من لأواء، حتَّى يأتِيهم أمر الله وهم كذلك».

قالوا: يا رسولَ الله، وأين هم؟

قال: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»^(١).

فاصبروا - أيها الإخوة - المرابطون في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، في الضفة الغربية، وفي غزّة، وفي غيرها، وفي بلاد الشام، وفي مصر، فهؤلاء كلُّهم بأكناف بيت المقدس ﴿أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

اللهم افتح لنا فتحًا مبيّنًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانصرنا نصرًا

(١) رواه عبد الله في المسند، وجادة عن خط أبيه (٢٢٣٢٠)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره دون قوله: قالوا: يا رسولَ الله، وأين هم، إلخ. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي. والألواء: الشدة وضيق المعيشة.



عزيزًا، وأتمّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.

اللهم أيد إخواننا في فلسطين، اللهم انصرهم نصرًا مؤزرًا.

اللهم اجمع كلمتهم على الهدى، وقلوبهم على التقى، ونفوسهم على المحبة، وعزائمهم على الجهاد في سبيلك.

اللهم وحد صفوفهم، اللهم أبعد العداوة والبغضاء من بينهم.

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم إنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم ردّ سهامهم إلى صدورهم، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم لا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن شاء الله بعد أن نُصَلِّي ركعتي الجمعة، سنُصَلِّي صلاة الغائب على أرواح الشهداء.



القُوَّة والضعف في تاريخ الإسلام^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لماذا تخلف المسلمون؟

حيثما شرّقت أو غربّت، حيثما ذهبنا يميناً أو شمالاً، في بلاد المسلمين، وخارج بلاد المسلمين، واجهني سؤال سألته الكثيرون من المسلمين: ما بالنا - نحن المسلمين عامّة ونحن العرب خاصّة - في ذيل قافلة البشريّة؟

ما بالنا قد تغلّب علينا الضعفاء، وتجرّأ علينا الجبناء، وتعزّز علينا الأذلاء، حتّى اليهود أحرص الناس على حياة، وأجنبهم بنفس، وأبخلهم بمال؟
ما بالنا - نحن المسلمين عامّة - نُعدّ في البلاد النّامية؟

أي البلاد المتخلفة في العالم الثالث ولو كان هناك عالم رابع لنُسبنا إليه!

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة، في ١٧ جمادى الأولى ١٤١٨هـ الموافق ١٩ سبتمبر ١٩٩٧م.

ما بالنا - نحن المسلمين - عالة على غيرنا؟

حتى بلادنا - وهي بلاد زراعية - تستورد نصف أقواتها أو أكثر من نصفها في بعض الأحيان من بلاد أخرى، لا تملك الرغبة الذي تأكله! وهي عالة في الصناعة كما هي عالة في الزراعة، لا زلنا نعتمد على غيرنا في القوى الصناعية، وفي الأسلحة التي ندود بها عن حياضنا، لم نصنع طائرة، ولم نصنع دبابة إلى اليوم... كلُّ الأسلحة الثقيلة نعتمد فيها على سوانا!

هل الإسلام سبب تخلفنا؟! ما بالنا - نحن المسلمين - هكذا؟ أهذا راجع إلى إسلامنا؟

بعض العلمانيّين واللا دينيّين والشُّيوعيّين يقولون: إنّ السبب في تخلف المسلمين وضعف المسلمين وجهل المسلمين وهوان المسلمين يرجع إلى الدّين!

هل هذا صحيح؟

هل الإسلام مسؤول عمّا نحن فيه - نحن المسلمين ونحن العرب؟

لا، والله، ما ذنب الإسلام؟

ما ذنب الطبيب إذا شخّص لك الداء، ووصف لك العلاج والدواء، ولكنك لم تسمع للطبيب، ولم تتناول الدواء، ولم تتناول الغذاء بالطريقة التي شرحها لك؟

ما ذنب الطبيب؟

ما ذنب الإسلام؟



الإسلام يدعو إلى القوّة، ولكنّا نحن الضعفاء، يدعو إلى الوحدة ولكنّا نحن المتفرّقون، يدعو إلى الإخاء ولكنّا نحن المتعادون، يدعو إلى النّظام ولكن الفوضى تضرب أطناها في بلادنا، يدعو إلى أن نكون أمّة واحدة - كالبنيان المرصوص - يشدُّ بعضها بعضًا، ونحن يجافي بعضها بعضًا، بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا.

ما ذنب الإسلام؟

لو كان هذا الكلام صحيحًا يمكن أن ينطبق على التديّن الخرافي، التديّن الذي يتبعه بعض النّاس، الذي يقوم على الخرافة في العقيدة، على الشكليات والقبوريّات، على الأباطيل والأساطير، يقوم على الابتداع في العبادة، على السلبية في التربية، والضعف في الأخلاق. هذا النوع من التديّن الذي يشيعه بعض النّاس باسم الدين، والدين منه براء.

إنّما نحن نتكلّم عن الإسلام الصحيح، عن إسلام القرآن والسنة، عن إسلام الصّحابة والتابعين، عن إسلام خير القرون، هذا الإسلام هو الذي نؤمن به، وهو الذي ندعو إليه، وهو الذي نستمسك بعراه ولا نحيد عنه قيد شبر.

هذا الإسلام لا يمكن أن يكون سببًا لضياع الأمّة، ولا سببًا لتخلّفها، ولا سببًا لهوانها، والعكس هو الصحيح.

الذي ينظر في تاريخ هذه الأمّة منذ نشأت، منذ عهد النّبوة وإلى اليوم، يجد هناك حقيقة ثابتة ثبوت السنن الإلهيّة، هذه الحقيقة: أن هذه الأمّة كلّما اتصلت بالإسلام واقتربت منه، حُسن فهمٍ وحُسن سلوكٍ،



وحُسن تطبيق لعقيدته وشريعته وأخلاقه ومثله العليا، كلما اقتربت من هذه: اقترب منها المجد والرفعة والازدهار، والعزُّ والانتصار، والغلبة على الأعداء، والقوّة في الداخل، والهيبة في الخارج.

من يقرأ التاريخ يجد هذا واضحاً.

ولذلك نجد أعظم الفترات إضاءة وإشراقاً في تاريخ هذه الأمة، هي الفترات التي يحيا فيها الإسلام، وترتفع فيها راية الإسلام، وتطبّق فيها أحكام الإسلام، وتراعي قيم الإسلام.

في عهد النبوة: ماذا حقّق محمّد ﷺ الذي انتصر على جبهات عدّة وقفت ضدّ دعوته؟

الجبهة الوثنية في جزيرة العرب، والجبهة اليهوديّة في غزوات بني قينقاع وبني قريظة وبني النضير وخيبر، والجبهة البيزنطية الرومية النصرانية، والجبهة المجوسية التي كانت متربصة، وجبهة المنافقين، الطابور الخامس الذين يحيون بين المسلمين وكأنّهم منهم وهم ليسوا منهم، يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ [البقرة: ٨، ٩].

ما مات محمّد ﷺ حتّى وطّد أركان هذا الدين، وأقام مجتمعاً إسلامياً مثاليّاً، وأسّس دولة نموذجية، لقد تَمَّت النعمة وكمل الدين وحقّ قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وجاء خلفاؤه الراشدون، فساروا على سُنّته، ونهجوا نهجه، وانتشر الإسلام، انتشر الإسلام في أنحاء العالم بفضل أصحاب رسول الله ﷺ وتلاميذهم.

هؤلاء الصحابة هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم، ربّاهم النبي ﷺ ليربّوا العرب من بعده، ويربي العرب من بعدهم العالم كله.

انطلقوا في الآفاق يُقرئون النَّاس القرآن الَّذي حفظوه، ويروون للنَّاس سُنة محمَّد ﷺ التي وعوها واتبعوها، ويُدخلون النَّاس في الإسلام، ليس بالسيف كما يقول خصوم الإسلام: إِنَّ الإسلام انتصر بالسيف وانتشر بالسيف!

لا، السيف لا يمكن أَنْ يفتح قلبًا وعقلًا، إنّما يمكن أَنْ يفتح أرضًا.

انتصار الإسلام على السيف:

الإسلام في الواقع انتصر على السيف ولم ينتصر بالسيف، منذ جاء الإسلام والسيف مشهور في وجهه، قامت الوثنية القرشية والعربية ضد محمَّد ﷺ، وعذّبه وأصحابه، صبّت عليه سياط العذاب، وقاطعته وأصحابه ثلاث سنين، لا يبيع لهم أحد ولا يتباع منهم، ولا يزوّجهم ولا يتزوّج منهم، حتّى أكلوا أوراق الشجر، وعاشوا وباتوا الليالي جوعًا، يضعون على بطونهم الأحجار من الطوى.

لقد لقي الإسلام من هؤلاء ما لقي.

الإسلام الَّذي ننعم به الآن ونحيا في ظلاله، لم يصلنا غنيمة باردة ولا بيضة مقشورة، أريقّت في سبيله الدماء، وأزهقت من أجله الأرواح، وضحّى فيه الكثيرون، وسقط فيه الشهداء، وعُذّب فيه المعذّبون في سبيل الله.

هذا الإسلام يجب أن نعرف موقفنا منه - نحن المسلمين.

إِنَّ الصَّحَابَةَ - رضوان الله عليهم - لم ينشروا الإسلام بالسيف، بل انتصر الإسلام على السيف.

غزوة «بدر» كانت تحديًا للمسلمين لقربها من المدينة.

«أحد» غزو للمسلمين في المدينة.

«الخنديق» غزو وحصار للمسلمين.

المسلمون كانوا في موقف الدفاع، هكذا.

ما شرع الله القتال إلا للدُّود عن الحُرَمَات، ولضمان حريّة الدعوة، تأمين الدعوة إلى الله.

لا يريد الإسلام من النَّاس إلا أن يطلقوا حريّة الدعاة: دعونا نسمع النَّاس كلمات الله، نسمع النَّاس دعوة الله، ولا شأن لنا بكم.

فإن صدّدتُمونا عن سبيل الله، ووقفتم في وجوهنا، وقتلتم دعائنا - كما حدث مع الرومان - فلا بدّ أن ندافع عن أنفسنا وعن دعوتنا وعن حرية عباد الله.

انتشار الإسلام بالقيم والأخلاق:

الإسلام ما انتصر بالسيف، إنّما انتصر بالإيمان، بالأخلاق، بالسلوكيات.

المسلمون فتحوا جزءًا صغيرًا في بلاد الهند - أو في السند - بالسيف، ثمّ عاشوا بين النَّاس، فدخل النَّاس في دين الله أفواجًا.

هذه الكتل الإسلامية الكبرى: في الهند وفي باكستان وفي بنغلاديش، لم تدخل بالسيف، ولا رأت السيف، ولا رأت جيشًا يحمل السيف.



وهناك بلاد لم يدخلها جيش إسلامي قط مثل: ماليزيا وإندونيسيا - أكبر بلد إسلامي الآن، مائتا مليون أو أكثر، تسعون في المائة منه مسلمون - والفلبين، ما دخلتها الجيوش الإسلامية، وما نشر الإسلام فيها عن طريق دعاة محترفين، بل عن طريق تجار عاديين!

وإفريقيا ما انتشر الإسلام فيها بالسيف ولا بالجيوش.

على رأس إفريقيا «مصر»، ذهب عمرو بن العاص إليها بأربعة آلاف جندي، ليقاتلوا جيش الإمبراطورية الرومانية في مصر، وعلى رأسه المقوقس والي مصر واستمد ابن العاص عمر أن يبعث إليه بمدد، فبعث إليه بأربعة آلاف آخرين، وعلى رأسهم أربعة رجال قال: كلٌّ منهم بألف^(١)!

ثمانية آلاف رجل تفتح بلدًا، وبلدًا بعيدًا عن موطن الجيش الفاتح؟!

لا، ولكن الناس هم الذين رحبوا بهؤلاء الفاتحين الجدد، الذين يحملون عدل الله لعباد الله، الذين حملوا الثور للبشر.

الإسلام لم ينتشر إلا بأخلاق المسلمين، الناس رأوا المسلمين، رأوا فيهم صدق الإيمان، ومتانة الأخلاق، وحسن التعامل، وإنصاف الآخرين.

لم يُحسوا فيهم بجبروت الفاتحين، ولا بظلم الأقوياء، أو قوّة الظالمين، إنّما وجدوا فيهم أناسًا جدًّا غير الذين عرفوهم طوال التاريخ، فأحبوهم، ودخلوا الإسلام من أجلهم.

في مصر كان ولاية بني أمية يُفرضون الجزية على من أسلم من أهلها من النصارى؛ ذلك لأنّ الولاية يقولون: إذا لم نأخذ الجزية من هؤلاء

(١) انظر: فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ٨٢، ٨٣، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ.

الَّذِينَ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ بِكَثْرَةٍ وَهُمْ لَا تَجِبُ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ إِلَّا بَعْدَ حَوْلٍ، فَمَنْ أَيْنَ نَجِدُ مَالًا لِلخَزَانَةِ؟ وَمَنْ أَيْنَ نَنْفِقُ؟
فكَانُوا يَفْرَضُونَ عَلَيْهِمُ الْجِزْيَةَ، وَإِنْ أَسْلَمُوا!
كَأَنَّمَا يَنْفَرُونَهُمْ مِنَ الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ!

وبقي هذا إلى عهد عمر بن عبد العزيز، وأرسل إليه واليه على مصر يقول له: يا أمير المؤمنين، إنَّ من كان قبلي كانوا يفرضون الجزية على من أسلم، فماذا تقول في ذلك؟ هل أفرض على النَّاسِ الجزية وإنَّ أسلموا؟
فبعث إليه يقول له: قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولَهُ هَادِيًا، وَلَمْ يَبْعَثْهُ جَابِيًا^(١) - الدولة الإسلامية ليست دولة جباية، ولكنها دولة هداية - أسقط الجزية عَمَّنْ أسلم.

هكذا انتشر الإسلام في الآفاق.

ثمَّ انتقل الإسلام إلى أوربا عن طريق المضيق الذي سَمِّيَ: مضيق جبل طارق، وإنَّما سمي بهذا الاسم باسم ذلك القائد المسلم طارق بن زياد، هذا القائد البربري الذي ذهب لتلك البلاد وعبر البحر، ليستجيب لدعوات من استغاثوا بالمسلمين لينقذوهم من المظالم في تلك البلاد من إسبانيا.

خصائص حضارتنا الإسلامية:

وذهب المسلمون إلى تلك البلاد، وأقاموا فيها ثمانية قرون، أنشؤوا فيها حضارة عظيمة في الغرب، كما أنشؤوا حضارة أخرى في الشرق،

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٣٨٤/٥)، نشر دار صادر، بيروت، وانظر: البداية والنهاية (٦٦٧/١٢)، وأحكام القرآن للجصاص (١٣٢/٣)، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

حضارة جمعت بين العلم والإيمان، بين الرقي المادي والسمو الروحي، حضارة لم تنتكر للعقائد، ولم تنتكر للأخلاق ولا للمثل العليا... ليست حضارة مادية كالحضارة الغربية الحديثة، ولا حضارة إباحية كما نرى، إنها حضارة علم وإيمان وعمران وأخلاق.

أقام المسلمون حضارة ربّانية، حضارة إنسانية، حضارة أخلاقية، حضارة عالمية، ليست حضارة قومية متعصّبة.

صحيح أنّ العرب كانوا هم قادة هذه الحضارة، ولكنها كانت حضارة عالمية شاركت فيها شعوب شتى، وشاركت فيها ديانات شتى، وسعت المسلمين وغير المسلمين، وسعت العرب والعجم، الكلّ شارك فيها... قدّرت اختلاف الناس في الأديان فلم تجبر أحداً على أن يترك دينه؛ لأنّ اختلاف الأديان واقع بمشيئة الله: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨].

واختلاف الناس الذي يحكم فيه هو الله تعالى: ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ * اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * [الحج: ٦٨، ٦٩]، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

هذا التسامح الذي عرفه المسلمون لم يُعرف في أمة من الأمم.

كان الناس في ظلّ الحضارات السابقة يخضعون للدولة الفاتحة القاهرة، الإسلام لم يُخضع ضمائر الناس إلّا لهم أنفسهم، كلّ واحد وما اقتنع به، لا يُجبر أحداً على أن يدخل في الإسلام، ولو دخل أحد تحت وقع السيف لكان مكرهاً، وكان إيمانه باطلاً؛ لأنّ الإيمان الحقّ لا بدّ أن يكون عن اقتناع واختيار.



حينما آمن فرعون حيث أدركه الغرق قال: آمنت، قال: ﴿ءَاَلَكُنَّ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١] لا يصلح إيمانك وأنت الآن ليس لك اختيار ولا إرادة.

وقال الله تعالى في شأن قوم نزل بهم عذاب الله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥].

هكذا كان الإسلام وكان المسلمون.

انتشر الإسلام في العالم بأخلاق المسلمين، بسلوكيات المسلمين، هذا المليار والثلث الذي نراه من أبناء الإسلام في العالم: لم يأت نتيجة السيف، وما جاء نتيجة السيف يذهب إذا سقط السيف.

الناس عاشوا سبعين عاماً تحت وطأة الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وفي بولندا وفي غيرها من البلاد، ولما سقط الحكم الشيوعي إذا بالأغلبية الساحقة من الناس تسبُّ هذا الحكم وترجع عنه، وتختار حكماً من غير الشيوعيين؛ لأنهم عاشوا تحت القهر، القهر لا يدخل عقيدة في قلب، إنما دخل الناس في الإسلام مختارين.

من صفحات تاريخنا المشرق:

من نظر إلى التاريخ الإسلامي يجد أن أعظم الفترات إضاءة وإشراقاً وازدهاراً في تاريخ المسلمين هي الفترات التي يقترب فيها الناس من الإسلام، وتطبق تعاليم الإسلام إلى حدٍّ معقول.

انظر عصر النبوة وعصر الخلفاء الراشدين، انظر عصر عمر بن عبد العزيز في العهد الأموي، وقد مكَّن الله له، مع أن حكمه لم يطل

أكثر من ثلاثين شهرًا (سنتين ونصف)، ولكن لم يمّت عمر بن عبد العزيز حتّى أغنى الناس! ازدهر المجتمع وعمّ الرخاء، حتّى بعث إليه واليه على إفريقيا - إفريقيا كان يقصد بها تونس وما حولها من تلك البلاد - يقول: يا أمير المؤمنين، جمعت زكوات عندي، ولم أجد فقيرًا يستحقّها لا من المسلمين ولا من أهل الذمّة، فماذا أصنع بها؟! فبعث إليه عمر رضي الله عنه يقول: «اشتر بها رقابًا فأعتقها»^(١).

تحولت حصيلة الزكاة إلى تحرير العبيد، ليست أمريكا ولا إبراهيم لنكولن، ولا هؤلاء هم الذين بدؤوا بتحرير العبيد، الذين بدؤوا بتحرير الإنسان من الرقّ هم المسلمون.

في مصارف الزكاة مصرف نصّ عليه القرآن: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾^(٢)، أي: في تحرير الرقاب.

ولذلك حينما تغلب الناس على الفقر شرعوا يعملون لتحرير الناس من الرقّ.

ونجد هارون الرشيد يخاطب سحابة في السماء - وهو جالس على عرشه - وقد أظلت سماء بغداد، ثمّ انقشعت عنها، فقال لها: أيتها السحابة شرّقي أو غربي، وأمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك! حيث أمطرت ستأتي الثمرة إلى بيت مال المسلمين، إمّا زكاة يدفعها المسلم، وإمّا خراجًا يدفعه غير المسلم.

انظروا إلى الملك.

(١) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٦٥، تحقيق أحمد عبيد، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ٦، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٠].

حضارتنا علّمت العالم:

أقام المسلمون حضارة عظيمة كانت هي الحضارة السائدة في العالم لعدة قرون، كان المسلمون هم الأُمَّة الأولى والعالم الأوّل، ليسوا العالم الثالث ولا الرابع.

كان المسلمون هم أساتذة الدنيا، كان الطلاب من أنحاء العالم يأتون إلى جامعات المسلمين يتعلّمون منها، كانت اللغة العربيّة يتحدث بها أبناء أوربا يُظهرون بها على ثقافتهم، كما نرى ذلك اليوم: بعض النّاس يتكلّمون ويدخلون بعض الكلمات الإنجليزيّة أو الفرنسيّة دلالة على ثقافته، فهكذا كان يفعل الأوروبيون الذين يتعلّمون في الأندلس.

تعلّم الأوروبيون من المسلمين المنهج التجريبي الذي يتحدثون عنه ويقولون: إنّ آباءه «فرنسيس بيكون» و«روجربيكون».

هؤلاء تعلّموا من المسلمين ومن الحضارة العربيّة الإسلاميّة هذا المنهج الاستقرائي التجريبي.

لم يكن ذلك في أوربا، بل تعلّموه من المسلمين.

كانت أسماء علمائنا هي أشهر الأسماء في العالم، وأسماء مراجعنا العلميّة هي المعروفة عند النّاس أجمعين، وجامعاتنا هي موئل الطلاب.

بُعَدنا عن الإسلام فتخلفنا:

كُنّا نحن قادة الدنيا، كُنّا قادة العالم، وليس ذلك في عشر سنين أو عشرين أو خمسين أو مائة، مئات السنين، قرون عدّة والمسلمون هم في مطلع القافلة، في مأخذ الزّمام من القافلة، لا في الذيل منها كما نحن الآن.



ثمَّ حدث ما حدث؛ لأنَّنا تخلَّفنا عن الإسلام.

كلَّما اقتربنا من الإسلام ازدهرنا وانتصرنا وقوينا، وكلُّنا يذكر عهد عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود، وصلاح الدين الأيوبي... هؤلاء الأبطال، الَّذِينَ نفخوا في الأُمَّة من رُوحهم، نفخوا فيها رُوح الإيمان والجهاد، وقاوموا الصليبيين وقاوموا بعد ذلك التتار وهكذا.

هذه الفترات المضيئة هي التي تدلُّنا على أنَّ الإسلام هو مصدر القوَّة لهذه الأُمَّة.

بروز الصَّحوة الإسلاميَّة:

لما بُعدنا عن الإسلام ضعفنا، تفرَّقنا، تخاذلنا، خصوصًا بالنَّسبة للدولة.

إذا نظرنا إلى الشعوب نجد - والحمد لله - هناك صحوة إسلاميَّة، قويَّة، بعثت الهمم، وأحيت العزائم، وأنارت العقول، وحرَّكت القلوب، ودفعت النَّاس إلى السُّلوك الإسلامي، شبَّانًا وشابَّات، رجالًا ونساء، لا شكَّ في هذا.

هناك صحوة إسلاميَّة، ولكن هذه الصَّحوة الإسلاميَّة فيها بعض الشَّوائب، فيها أناس يُشغلون بالنَّوافل عن الفرائض، وبالجزئيات عن الكلِّيات، وبالفروع عن الأصول، وبالشكل عن الجوهر، وبالمختلَف فيه عن المتَّفَق عليه.

التخطيط لضرب الصَّحوة:

ومن ناحية أخرى فإنَّ خصوم الإسلام يحاولون أن يضربوا الصَّحوة بعضها ببعض، وأنَّ يؤلَّبوا الجماعات الإسلاميَّة بعضها على بعض، فبدل



أَنْ تَقِفَ صَفًّا وَاحِدًا فِي الْمَعْرَكَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصَّف: ٤]، بَدَلُ أَنْ يَقِفَ الْجَمِيعُ صَفًّا وَاحِدًا: يَكِيدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، وَيَحَاوِلُ بَعْضُهُمْ أَنْ يَبْنِي نَفْسَهُ بِهَدْمِ الْآخَرِينَ، وَهَذَا لَا يَأْتِي إِلَّا بِالضَّرَرِ عَلَى الْجَمِيعِ.

ثُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَ الْأُمَّةِ يَرِيدُونَ أَنْ يَضْرِبُوا هَذِهِ الصَّحُوةَ كُلَّهَا، لَا يَرِيدُونَ أَنْ تَبْقَى لَهَا بَاقِيَةٌ، يَرِيدُونَ أَنْ يَجْتَثُّوا جُذُورَهَا، أَنْ يَهْدِمُوا أُسُسَهَا؛ لِذَلِكَ أَشَاعُوا عَنْهَا مَا أَشَاعُوا، أحيانًا تَحَارَبَ بِاسْمِ التَّطَرُّفِ، وَأحيانًا تَحَارَبَ بِاسْمِ الْإِرْهَابِ، وَأحيانًا تَحَارَبَ بِاسْمِ الْأُصُولِيَّةِ، وَفِي كُلِّ حِينٍ يَخْتَرَعُونَ أَسْمَاءَ مَعِينَةٍ، وَهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَحَارِبُونَ الْإِسْلَامَ، لَا يَرِيدُونَ لِلْإِسْلَامِ أَنْ يَعْلُو لَهُ عِلْمٌ، أَوْ يُذَكَّرَ لَهُ اسْمٌ، أَوْ يَحَقِّقَ ذَاتَهُ فِي بِلَادِهِ وَدِيَارِهِ.

يَرِيدُونَ أَنْ يَبْقَى الْإِسْلَامُ غَرِيبًا فِي أَوْطَانِهِ، مَخْذُولًا بَيْنَ أَنْصَارِهِ.

هَؤُلَاءِ الْأَعْدَاءُ يَكِيدُونَ لِهَذَا الدِّينِ كَيْدًا، وَيَمَكُرُونَ بِهِ مَكْرًا كَبِيرًا.

وَالْمَهْمُ أَنْ نَفْطِنَ نَحْنُ لِهَذَا الْكَيْدِ، أَنْ نَكُونَ مُسْتَبْصِرِينَ بِمَا يَدَبِّرُ لَنَا فِي الْخَفَاءِ، الْجَمِيعُ مَقْصُودٌ، الْأُمَّةُ كُلُّهَا يُرَادُ أَنْ يُهَالِ عَلَيْهَا التَّرَابُ، الْإِسْلَامُ نَفْسُهُ يُرَادُ أَلَّا تَقُومَ لَهُ قَائِمَةٌ، فَلَا بَدَّ أَنْ نَنْبَهَ لِهَذَا الْأَمْرِ.

مَاذَا يَدَبِّرُ لَأُمَّتِنَا؟

لَا بَدَّ أَنْ نَعْرِفَ: مَاذَا يَرِيدُ الْأَعْدَاءُ لَنَا؟

إِنَّ تَدْبِيرَ الْأَعْدَاءِ تَدْبِيرٌ مَتِينٌ، وَكَيْدُهُمْ عَظِيمٌ، وَقَدْ بَدَأَ مِنْذُ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ أَوْ أَكْثَرَ، مِنْذُ مِائَةِ سَنَةٍ قَامَ الْمُؤْتَمَرُ الصَّهْيُونِيُّ الْأَوَّلُ فِي مَدِينَةِ «بَازِل» بِسُوَيْسِرَا، بِرِئَاسَةِ «هَرْتِزَل» الَّذِي أَسَّسَ الْمَوْسَسَةَ الصَّهْيُونِيَّةَ، وَالَّذِي قَالَ: إِنَّ الدَّوْلَةَ الْيَهُودِيَّةَ قَدْ قَامَتْ، وَسَتَقُومُ بَعْدَ نِصْفِ قَرْنٍ!

وفعلًا بعد خمسين - أو واحد وخمسين - سنة قامت دولة إسرائيل، تلك الدولة التي ظللنا عدّة سنين ونحن نقول عنها في الصّحف: إسرائيل «المزعومة»، ثمّ بعد مدّة من الزّمن خجلنا من أنفسنا؛ لأنّ هذه «المزعومة» أصبحت تركل هذه الجبهة، وتصفع هذه الجبهة، وتضرب تلك الجبهة؛ فكيف تُصبح مزعومة وقد أوشكنا أن نكون نحن المزعومين؟!

وها هي إسرائيل اليوم تفعل ما تفعل، تتحدّى أكثر من مائتي مليون من العرب، ومليارًا وثلث مليار من المسلمين، تريد أن تغتصب القدس الشريف، المسجد الأقصى، هذا ما تفعله، حتّى المساكن الشخصية المقابلة للمسجد تستولي عليها، كما فعلت في «رأس العمود» وأين نحن؟ ماذا فعلنا؟

لم نصرخ صرخة تهزّ الدنيا، حتّى احتجاجاتنا خافّة متهافّة، لا تُسمع، ولا تبلغ، نحن أصبحنا أضعف من أن نفعل شيئًا. الموقف العربي الإسلامي موقف هشّ ضعيف، والموقف الإسرائيلي موقف صلب قويّ.

هذا ما وجدته «أولبرايت»^(١) حينما زارت المنطقة، وجدت الصّلابة والبجاجة والصلف والغرور والادعاء والاستمساك بالباطل كأنّه حقّ في جانب إسرائيل، ووجدت هذا الكلام الذي يحتمل أكثر من وجه، والذي يقال بنعومة ولطف، والذي لا يُسمن ولا يُغني من جوع في الجانب العربي.

(١) وزيرة خارجية أمريكا السابقة (في عهد كلينتون).



والآن القدس تتعرض للخطر، القدس تتعرض لخطر عظيم، وهذا سيكون موضوع الخطبة القادمة إن شاء الله.

القدس تتعرض لخطر عظيم، فأين العرب؟ وأين المسلمون؟ وأين جند الله الذين يدافعون عن هذا الحق؟ هل نسكت ونصمت حتى ينهار المسجد الأقصى؟

الحفريات من تحت المسجد الأقصى تشكّل خطرًا على المسجد، وأنا أعتقد أنّ اليهود يعرفون متى يسقط هذا المسجد؟ متى سينهار؟ وقد يحدّدون هذا اليوم في وقتٍ ما، ونحن عن هذا غافلون، في غفلة ساهون، وفي غمرة لاهون.

نسأل الله تعالى أن ينير طريقنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن ينصرنا على عدوّه وعدوّنا، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ:

ورد أنَّ في يوم الجمعة ساعة إجابة لا يصادفها عبدٌ مسلم يدعو الله بخير إلاَّ استجاب له، ولعلَّها تكون هذه الساعة^(١).

اللهمَّ أَصْلِحْ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عَصْمَةٌ أَمْرُنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشِنَا، وَأَصْلِحْ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادُنَا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلِّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلِّ شرٍّ.

اللهمَّ اجعلْ يومنا خيرًا من أمسنا، واجعلْ غدنا خيرًا من يومنا، وَأَحْسِنْ عَاقِبَتَنَا فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا، وَأَجِرْنَا مِنْ خِزْيِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْآخِرَةِ.
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



واقداه!

المؤامرة الكبرى لتهويد القدس^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:
وعدتكم في الجمعة الماضية أن نتحدّث عن القدس، وما لنا
لا نتحدّث عن القدس، وهي الآن تتعرّض لأعظم الأخطار؟
القدس الآن تكاد تضيع من العرب والمسلمين.

مخطط اليهود لتفريغ القدس من أهله:

المخطّط الصهيوني لتهويد القدس، لإزالة صبغتها العربيّة الإسلاميّة،
لتفريغها من أهلها «مسلمين ومسيحيين»، المخطّط الإسرائيلي الصهيوني
بدا واضحاً للعيان.

الاستيطان اليهودي للقدس، ولما حول القدس ماضٍ في طريقه،
لا يبالي بالفلستينيين، ولا يبالي بالعرب، ولا يبالي بالمسلمين؛ لأنّ
المنطق للقوّة، وليست القوّة للمنطق، حقّ القوّة، وليست قوّة الحقّ هي
التي تحكّم هذا العالم.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة، في ٢٤ جمادى الأولى ١٤١٨هـ.



اليهود بالدم والحديد والنَّار والعنف والإرهاب المسلَّح يستطيعون أن يصلوا إلى ما يريدون، وأن يحققوا ما يَشُدُّون، فإذا قلنا: لا، إذا صرخ منَّا صارخ، إذا ضُرب منَّا ضاربٌ قبله، قالوا: هذا هو الإرهاب، قاوموا الإرهاب، احذروا من الإرهاب، حطُّموا الإرهاب!

حتى إنَّهم يريدون أن يوقعوا الفلسطينيين بعضهم ببعض، يريدون من السلطة الفلسطينية أن تضرب الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم وديارهم وأموالهم وأعراضهم وحُرَماتهم ودينهم وتاريخهم ومقدَّساتهم، فهؤلاء - في نظرهم - إرهابيون، هؤلاء دمويون، والذين ينفذون مخططاتهم بالعنف والدم ليسوا إرهابيين.

هذا هو الذي نشهده اليوم.

إسرائيل ماضية في طريقها، والعرب يستنكرون ويصرخون في بعض الأحيان صرخات ضعيفة متهافئة، ليست صرخات عنيفة قوية مزلِّلة، ثم تسكت هذه الصيحات، وتضعف هذه الصرخات إلى أن تتلاشى، وتبدأ إسرائيل في شيء جديد.

ماذا صنع النَّاس بعد قرية «أبو غنيم» ومستوطنة أو مستعمرة «أبو غنيم»؟

الآن أصبح الأمر يتعلَّق برأس العمود، أمام المسجد الأقصى، الدخول في المنطقة الإسلامية العربية المقدَّسة نفسها، ويُستولى على بيت أحد الفلسطينيين الذين سافروا إلى الخارج في أمر من الأمور، ولم يكد يعود الرجل حتَّى وجد بيته قد استُولى عليه بدعاوٍ عريضة ووثائق مزوَّرة.



هذا المليونير الأمريكي القادم من «ميامي» في أمريكا الذي يدّعي ملكيّة هذا البيت: من الذي أعطاه هذا الحق؟ ومن الذي يُعطي أي فرد أن يبيع ملكه؟

في مثل هذه الحالات لا يجوز لفرد أن يبيع بيته وملكه لأجنبي. يحرم حُرمة مؤكّدة على كلّ فلسطيني أن يبيع شبرًا من أرضه لأجنبي، لا يجوز بحال من الأحوال أن يبيعه، وخصوصًا في القدس وحول المسجد الأقصى.

من باع بيته فقد باع دينه، وباع عرضه، وباع أهله، وباع وطنه، وباع كلّ المقدّسات.

هؤلاء يزعمون أنّ لهم الحقّ في هذا، ويضحكون علينا، ويضحكون على لحانا ويسخرون منا حينما احتجّ الناس على هذا الأمر ماذا فعل «نتنياهو»؟

زعم «نتنياهو» أنّه لم يكن يعلم بهذا!

وهذا كذب؛ فقد ثبت أن هذا الأمر بُحث في مجلس الوزراء وأقرّه مجلس الوزراء، ثمّ قال: نحن نخرج هذه الأسيرة اليهوديّة التي تسكن هذا البيت، ونُسكن فيه طلبة من طلاب التلمود، من الطلاب الدينيين!

وهؤلاء أشدّ خطورة من الأسيرة.

على من يضحك هؤلاء الناس؟!

وإنّ إسرائيل ماضية في طريقها ومستمرّة في هذا الطريق، ونحن - للأسف - كأنما نحن عاجزون.



السلام المزعوم:

الفلسطينيون، وأكثر من مائتي مليون من العرب، وأكثر من مليار
وثلاث مليار من المسلمين، يقفون عاجزين أمام هذا الأمر!
لماذا لا نُقاوم؟

قالوا: السَّلام! ولا زالوا يُردّدون: السَّلام!

أيُّ سلام؟

«نتنياهو» نفسه قال عن اتفاق «أوسلو»: إنّه مات!

وهم الآن يسعون إلى دفنه، ولكن جماعة منّا لا يريدون أن يدفنوا
هذا الميّت بعد أن تعفّنت جثته، وأنّتن وظهرت رائحته في كلّ أفق،
لا يريدون أن يستريحوا من هذا الميّت ويدفنوه.

لا زالوا يتحدّثون عن هذا السَّلام وإحياء السَّلام!

وأيُّ سلام؟

وهل كان السَّلام قد بدأ من أوّل الأمر؟

إنّه لم يبدأ سلام صحيح، والسَّلام العادل الشامل لم يبدأ، السَّلام
الحقيقي لم يبدأ منذ اتفاقية «أوسلو»، وهذا ما أعلنّا من فوق هذا المنبر،
ولا زلنا نُعلنه.

كيف يتمّ سلام: وقضيّة القدس معلّقة، وقضيّة اللاجئين المشرّدين
بالملايين من أبناء فلسطين معلّقة، وقضيّة الحدود معلّقة، وقضيّة
المستوطنين - الذين يدخلون البلد لليلة أو ليلتين فيستمرّون فيها كما
فعلوا في الخليل، وكما يريدون أن يفعلوا الآن في رأس العمود - معلّقة؟!!



قضية القدس لا زالت معلقة إلى اليوم، اليهود يريدون أن يغيروا المدينة تغييراً كلياً، تغييراً جذرياً جوهرياً، ثم يأتون في النهاية ويقولون: هذه بلدة ليس فيها عرب وليس فيها مسلمون، هذه لا يوجد فيها إلا أفراد معدودون! بعد أن يعملوا بكل ما يستطيعون على تفريغها من أهلها.

لا يسمحون لأحد بالتوسّع، ببناء دار، بينما يسمحون لليهود أن يبنوا في كل مكان، حتّى أصبحت القدس محاطة بالقرى اليهودية.

نحن للأسف نواجه هذا ونحن صامتون صمت القبور، وإذا تكلمنا تكلمنا بصوت خفيض، وإذا عمل بعض أبنائنا شيئاً للردّ على هذا المنكر قام منا من يدينهم وينكر عليهم!

ماذا يفعل المظلوم؟

المظلوم من حقّه أن يصرخ.

من الناس من يقولون للمضروب: لا تصرخ، قبل أن يقولوا للضارب: لا تضرب!

وهذا ما رأيناه عند أمريكا وغيرها من القوى العظمى، يريدون للعرب أن يستسلموا ولا يقولون لإسرائيل: كفي عن عدوانك!

الحفريات تحت المسجد الأقصى مستمرة، ونحن الآن في ذكرى مرور عام على فتح النفق تحت المسجد الأقصى الذي قاومه الفلسطينيون واستشهد فيه نحو «ثمانية وثمانين» من أبناء فلسطين، ولا زالت الحفريات مستمرة، وقد سمعتُ بأذني من أحد الإخوة: الشيخ رائد صلاح - رئيس بلدية أم الفحم في فلسطين المحتلة ورئيس الحركة الإسلامية هناك - وهو يقول: إنّه أتيحت له فرصة أن يرى هذه الحفريات

بنفسه - بحكم وجوده في إسرائيل ورئاسته لإحدى البلديات - وإنَّها توشك أن تؤذن بانتهاء المسجد خلال سنوات.

وهذا ما قلته وأعلنته مرارًا، قلت: إنَّ إسرائيل تعرف متى سينهار المسجد الأقصى ومتى سيتهاوى بناؤه، تعرف هذا، ولكنها موقته الوقت المعلوم الذي تعلن فيه هذه الحقيقة، وتسحب فيه بعض الأعمدة فينهار هذا المسجد.

ستختار الوقت المناسب حينما لا يستطيع العرب ولا المسلمون أن يفعلوا شيئًا إلا الصراخ.

أين المسلمون؟

إنَّ حريق المسجد الأقصى سنة (١٩٦٩م) جعل المسلمين يتنادون بقمّة إسلاميّة من أجل المسجد الأقصى، كان ذلك في أيام الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود رَحِمَهُ اللهُ، الذي دعا إلى عقد أوّل مؤتمر قمّة إسلامي، واجتمع الملوك والرؤساء والأمراء من كلّ بلاد الإسلام في المغرب، وأدّى ذلك إلى إقامة «منظمة المؤتمر الإسلامي».

الآن الأمر أخطر من حريق المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى وقبة الصخرة والقدس كلّها ستذهب، فأين العرب؟ وأين المسلمون؟

لا زالوا يلهثون ويلهثون ويلهثون وراء هذا السراب الذي سمّي «بالسلام»، وهو ﴿كَرَّابٌ بَقِيعَةٌ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [التور: ٣٩].

يلهثون وراء هذا السراب، وإسرائيل لا تعترف به ولا تهتم به، ولكن نحن الذين نتشبث به، نتشبث بهذه الحبال الواهية، ونركض وراءها هنا وهناك من أجل الإبقاء على شيء لا قيمة له.

إسرائيل لا تهتم بأي اتفاق، و«نتياهو» يقول: نبدأ اتفاقية جديدة، كأن الاتفاقية القديمة لم تكن مع دولة «إسرائيل»؟!!

وهذا ما ذكره الله تعالى عن هؤلاء وأمثالهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، نزلت هذه الآيات في يهود الأُمس في أيام النبي ﷺ، ويهود اليوم هم نسخة من آبائهم، إنهم على سنتهم وعلى آثارهم يهرعون.

يا أيُّها الإخوة المسلمون، إنَّ القدس تضيع مِنَّا، فأين موقفنا؟

مكانة القدس في الإسلام:

اليهود يدَّعون أنَّ لهم حقًّا دينيًّا وحقًّا تاريخيًّا في القدس، ومن يقرأ التوراة وملحقات التوراة لا يجد فيها أي تقديس للقدس، ولا أي اهتمام بها. على خلاف الأمر عندنا - نحن المسلمين - القدس والمسجد الأقصى له في عقيدتنا وشريعتنا وعباداتنا وأذكارنا مكان كبير.

١ - القدس هي القبلة الأولى: صَلَّى المسلمون بعد فرض الصَّلَاة ليلة الإسراء والمعراج قبل الهجرة بثلاث سنوات صَلُّوا ثلاث سنوات وقبلتهم بيت المقدس، وبعد الهجرة - أيضًا - ظلُّوا ستة عشر شهرًا يصلُّون إلى بيت المقدس حتَّى حوَّل الله القبلة إلى البيت الحرام، وأحدث اليهود ضجَّة على هذا التحويل وقال مَنْ قال: إنَّ صلاة المسلمين السابقة

ضاعت؛ لأنها لم تكن إلى قبلة صحيحة، وقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي المدينة المنورة معلم أثري بارز اسمه «مسجد القبلتين»، صلى فيه المسلمون إلى المسجد الأقصى، ولما بلغهم الخبر «أنَّ القبلة غيّرت» تحوّلوا في نفس الصّلاة إلى القبلة الجديدة.

٢ - والقدس أرض الإسراء والمعراج: وهذا ما ذكره القرآن، وفيه سورة سمّيت بهذا الاسم: «سورة الإسراء»، وبدأت بهذه الآية: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ عَيْنِنَا﴾ [الإسراء: ١].

لم يوصف المسجد في مكّة إلاّ بأنّه المسجد الحرام، ولكنّ المسجد الأقصى ذكره الله بالبركة «الذي باركنا حوله»، وإذا كان ما حوله مباركاً فأولى أن يكون هو مباركاً.

كان الإسراء إلى هذه الأرض، ثمّ كان المعراج منها، وهذا يدلّ على أنّ الرّحلة إلى هذه الأرض مقصودة، كان يمكن أن يتمّ المعراج من مكّة، من المسجد الحرام إلى السماوات العلى، ولكنّ الله تعالى أراد لرسوله أن يمرّ على القدس ويصلّي إماماً بالأنبياء، ويؤذن بالتغيير الجديد في القيادة الدنيّة للعالم، وأنّها انتقلت من بني إسرائيل إلى بني إسماعيل، إلى أمّة جديدة، أمّة عالميّة هي خير أمّة أخرجت للنّاس، ليست أمّة عنصريّة.

وأراد الله بهذه الرّحلة الربط بين المسجدين المعظّمين: «المسجد الحرام» مبتدأ الإسراء و«المسجد الأقصى» منتهى الإسراء؛ ليظلّ في

وجدان الإنسان المسلم الارتباط بين المسجدين المعظمين؛ فالتفريط في أحدهما يؤذن بالتفريط في الآخر.

القدس أرض الإسراء والمعراج، ومن الذكريات حائط البراق، ومسجد الصخرة، وهذه كلها من ذكريات الإسراء والمعراج.

٣ - والقدس كذلك هي أرض البركات والتبوءات: وصف الله أرض فلسطين كلها بالبركة في خمس آيات من كتابه العزيز: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١]، وقوله عن إبراهيم: ﴿وَنَجِّنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وقوله عن سليمان: ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

بل قال عدد من المفسرين: إِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] يقصد أرض التين والزيتون وهي أرض بيت المقدس، بدأ الله بالقسم بها، هذا ذهب إليه عدد من كبار المفسرين.

وبهذا تتناغم وتنسجم هذه الأقسام الثلاثة: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ الأرض التي ظهر فيها عيسى عليه السلام، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ٢] الأرض التي كلم الله عليها موسى عليه السلام، ﴿وَهَذَا أَلْبَدُ الْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] الأرض التي ظهرت فيها نبوة محمد ﷺ.

فهذه مكانة القدس.

٤ - والقدس كذلك هي أرض الرباط والجهاد: فقد أعلم الله رسوله أَنَّ هذه الأرض ستعرض للغزو والاحتلال، وعلى المسلمين أَنْ يرابطوا فيها ويجاهدوا الأعداء ويقاوموهم حتَّى لا يحتلُّوها، وإذا احتلُّوها جاهدوهم حتَّى يحرِّروها، وفي هذا جاء الحديث الذي رواه الإمام أحمد

في «المسند»، عن أبي أمامة الباهلي، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرُّهم من خالفهم، إِلَّا ما أصابهم من لأواء - أي: ما أصابهم من أذى وعنت - حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

قيل: يا رسول الله، وأين هم؟

قال: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»^(١).

هذه الطائفة المرابطة في سبيل الله.

فهذه منزلة القدس في الوجدان الإسلامي، في الضمير الإسلامي، في الوعي الإسلامي، في الاعتقاد الإسلامي.

٥ - والقدس - أيضًا - ثالث المدن المعظمة في الإسلام:

المدن المعظمة عندنا:

١ - مكة المكرمة: فيها بيت الله الحرام والمسجد الحرام.

٢ - والمدينة المنورة (طيبة): التي شرفها الله بمسجد النبي ﷺ، وضمّت رفات رسول الله ﷺ وقبر رسول الله ﷺ.

٣ - والمدينة الثالثة المعظمة في الإسلام هي مدينة «القدس»: التي تضمّ المسجد الأقصى.

وهذه هي المساجد المعظمة في الإسلام، والتي أعلن النبي ﷺ أنه لا تشدُّ الرِّحال إِلَّا إليها، كلُّ المساجد متساوية في المثوبة إِلَّا هذه المساجد الثلاثة، أي مسجد صلّيت فيه فالمثوبة واحدة إِلَّا أن تذهب إلى

(١) سبق تخريجه ص ١٢٣.

مسجد لتسمع فيه خطيبًا، أو تحضر فيه درسًا، أو تلقى فيه أخًا صالحًا، أمّا الصَّلَاة فهي متساوية في كلِّ المساجد إلّا هذه المساجد الثلاثة، كما قال الحديث: «لا تشدُّ الرِّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»^(١)، أي: لا يجوز أن ينوي الإنسان السَّفر ويعزم على الارتحال للصلاة في مسجد معيَّن بقصد زيادة المثوبة فيه، إلّا هذه المساجد الثلاثة، وكلُّ المساجد متساوية.

فهذه المدينة، مدينة المسجد الأقصى تتعرَّض الآن لهذا الخطر، فأين المسلمون؟ أين العرب؟ أين الرجال الذين يبيعون أنفسهم لله؟

لا حلَّ إلّا الجهاد:

والله لا يمكن أن يقاوم هذا الطغيان الصهيوني إلّا القوَّة، إلّا الجهاد، إلّا المقاومة، إلّا الانتفاضة.

لقد مضى على ذكرى الانتفاضة عشر سنوات، هذه الانتفاضة هي التي لفتت أنظار العالم شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا، وهي التي أسفرت عن جيل الحجارة الذي كان يقاوم بالحجارة، وأسفرت عن المقاومة الإسلامية «حماس» والجهاد الإسلامي.

لقد قال من قال: إنَّه لم نعد نحن بحاجة إلى الانتفاضة بعد أن حقَّقنا السَّلام!

وأسكتوا صوت الانتفاضة بدعوى السَّلام المزعوم، ولم نر لهذا السَّلام أثرًا.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة (١١٨٩)، ومسلم في الحج (١٣٩٧)، عن أبي هريرة.

يجب أن تعود الانتفاضة كما كانت، وأقوى ممّا كانت.

يجب أن نقاوم التسلُّط اليهودي، والبغي اليهودي، والطغيان اليهودي على حقوق النَّاس، وعلى حقوق الإسلام، وعلى حقوق المسيحيَّة، وعلى حقوق المسلمين، وعلى حقوق المسيحيين، ولا يقاوم الطغيان إلَّا بالقوة.

صحيح ليست لدينا ترسانة نوويَّة كما عند إسرائيل، ولا نملك من الأسلحة ما تملكه إسرائيل، ولكننا نملك الحقَّ، والحقُّ أقوى من القوَّة، الحقُّ يظلُّ دائماً أقوى من القوَّة إذا استمسكنا بعراه، وتجمَّعنا عليه، ولم نتنازل عنه، ولم نفرط فيه.

لماذا تنتصر علينا إسرائيل؟

تنتصر علينا إسرائيل لأنَّها تصمِّم، ونحن مسترخو العزائم، إسرائيل مصمِّمة على أن تصل إلى ما تريد وتنفِّذ، ولكن عزائمنا رخوة.

إسرائيل تخطِّط لما تريد، وتعمل على تنفيذ تخطيطها، ونحن نرتجل ولا نخطِّط، ولا نجد من يخطِّط لنا، دائماً نشكو أننا أسرى مخطِّط جهنمي يكيد لنا ويمكر بنا ويفعل بنا كذا وكذا، وهل هذا عذر لنا؟

إلى متى يخطِّط لنا ولا نخطِّط لأنفسنا؟ أليس لنا عقول؟

لنا - والله - عقول نستطيع أن نخطِّط بها.

ولكن هنا - أيضاً: إسرائيل متجمَّعة ونحن متفرِّقون، إسرائيل على قلَّة عددها مجتمعة القلب والفكر والعزم، إسرائيل على قلب رجل واحد، كلُّ إسرائيل، لا تظنُّوا أنَّ هناك فرقاً جوهرياً بين «العمل» و«الليكود»،



كلا الحزبين مُتَّفَق على ما يريد، ولكن الخلاف: متى نُوَجِّل هذا؟ ومتى نعلن هذا؟

الخلاف في الوسائل أو في بعض الوسائل، أو في الإعلان، أو في كيفية معالجة الأمور بما لا يثير.

إنَّما الكلُّ مُتَّفَقون على أن يتلَعوا القدس، الكلُّ مُتَّفَقون على ألاَّ يبقى باقية للعرب والمسلمين في القدس الشريف.

اليهود مجتمعون ونحن متفرِّقون للأسف، والتفرُّق يضعف الكثرة، والاتحاد يقوِّي القلَّة.

اليهود يبذلون ونحن لا نبذل، اليهود الذين وصِّفوا بالجبين والبخل: ﴿أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَوَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦]، ﴿لَا يَقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [الحشر: ١٤]، وهم عبَاد الذهب، عبَاد العجل الذهبي، هؤلاء أصبحوا يبذلون، ويدفعون الملايين، ويدفعون الأنفس، ونرى المستوطنين يقاتلون ويقاومون.

هم تغيَّروا ونحن تغيَّرنَا، هم تغيَّروا إلى الأحسن، ونحن تغيَّرنَا إلى الأسوأ - والعياذ بالله.

ولكن هذه الأمَّة لا تخلو من رجال صادقين، هؤلاء الشَّباب الذين يضحُّون بأنفسهم في عمليَّاتهم الاستشهاديَّة من أجل أن يُسمعوا العالم صوت وطنهم وصوت قضيتهم.

هؤلاء الشَّباب الذين يستشهدون في سبيل الله، يسعى أحدهم إلى الموت ركضًا، لا يبالي أسقط على الموت أم سقط الموت عليه، وهو ينشد:

ولست أبالي حين أُقتلُ مُسْلِمًا على أيِّ جنبٍ كان في الله مَصْرَعِي^(١)

هذا الشَّباب وحده هو الأمل، هو موضع الرِّجاء، هو الَّذي يستطيع أن يُسمع إسرائيل صوت الحقِّ وكلمة الحقِّ.

لن تسمع إسرائيل الاحتجاجات، ولا الاستنكارات، ولا المذكِّرات، ما دامت عندها الأسلحة النووية والترسانة العسكرية، وما دامت تؤيدها أمريكا: المال الأمريكي، والسَّلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي مع إسرائيل.

ماذا نملك نحن أمام هذا؟

نملك الإيمان بحقِّنا، نملك الاعتماد على ربِّنا، ثمَّ نملك الاعتماد على أنفسنا.

والله إنَّنا لنستطيع أن نفعل الكثير، نستطيع أن نقف صفاً ندافع عن القدس.

لو كان لنا خلافة، لو كان لنا خليفة أو إمام مُبايع من المسلمين، ونادى المسلمين: يا مسلمون، هُبُّوا لنجدة الأقصى، لهبَّ المسلمون من كلِّ مكان، وذهبوا إلى هذا المسجد ووقفوا ضد اليهود، وليقتلوا الآلاف وعشرات الآلاف، لكن لا يستطيعون أن يقتلوا كلَّ المجاهدين، ولا أن يواجهوا كلَّ المسلمين.

المشكلة أنَّا متفرِّقون، وليس لنا قيادة، والذين سعوا في إزالة هذه القيادة العالميَّة هم الصهاينة.

(١) سبق تخريجه ص ٨٧.



حاول «هرتزل» مؤسس المؤتمر الصهيوني العالمي ومؤسس الصهيونية العالمية الرسمية أن يُغري السلطان عبد الحميد آخر سلاطين آل عثمان أو قبل الأخير بالمال، بالرشوة، بالملايين من الليرات الذهبية، شيء لجيبه وشيء للدولة، ولكن الرجل رفض وقال: والله لا أستطيع أن أعطيك شبرًا من فلسطين وأنا حي، هذه أرضي وأرض شعبي وأرض آبائي وأجدادي، ولا يمكن أن أفترط فيها.

ولذلك قال «هرتزل»: إنه لم يعد لنا خيار أمام تعنت هذا الرجل وصلابته إلا أن نزيحه.

وكانوا أن تأمروا مع القوى التركية العلمانية فأزاحوا هذا الرجل، وجاءوا بحزب «الاتحاد والترقي»، الحزب العلماني القومي الطوراني الذي يقف ضد العرب والعروبة والإسلام.

ذكريات مريرة في هذا العام:

يا أيُّها الإخوة، نحن في هذه السنة نذكر ذكريات عدّة، كلّها ذكريات مريرة.

نذكر مرور مائة سنة على المؤتمر الصهيوني الأول، قرن كامل مرّ على هذا المؤتمر الذي عُقد في مثل هذه الأيام سنة (١٨٩٧م) وأعلن فيه «هرتزل»: أن الدولة اليهودية ستقوم بعد نصف قرن، وقامت بالفعل.

ونذكر - أيضًا - مرور ثمانين عامًا على وعد «بلفور» الذي صدر في الثاني من نوفمبر سنة (١٩١٧م) أيام الحرب العالمية الأولى.

و«بلفور» هو وزير خارجية بريطانيا، وقد وعد اليهود بإقامة وطن قوميّ لهم في فلسطين!

وعَلَّقَ على ذلك مَنْ عَلَّقَ: بأن من لا يملك وعد من لا يستحق!

الذي لا يملك - وهو بريطانيا - تعطي أرضًا غير أرضها لمن لا يستحقها!

وعَلَّقَ على ذلك مفتي فلسطين الأكبر المجاهد الكبير الحاج أمين الحسيني رَحِمَهُ اللهُ بكلمته الشهيرة: إِنَّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتَّى تستقبل شعبًا بغير وطن.

مرَّ على هذا الوعد ثمانون عامًا.

ومرَّ نصف قرن على قرار تقسيم فلسطين سنة (١٩٤٧م)، وهو القرار الَّذِي رفضه العرب، والآن يتمنَّون لو تحقَّق هذا التقسيم؛ لأنَّ التقسيم ما أعطاه للعرب أكثر بكثير جدًّا ممَّا لهم اليوم، ولكن العرب رفضوه، وكان من حقِّهم أن يرفضوه، كيف تقسَّم وطني بيني وبين إنسان دخیل عليَّ جاء من أرض غريبة؟!!

هل يستطيع الإنسان أن يُقسَّم وطنه؟

هل يستطيع الإنسان أن يقسم زوجته بينه وبين غاصب آخر: لي أيام ولك عدَّة أيام؟!!

هناك أشياء لا تقبل القسمة.

مرَّ خمسون عامًا على قرار تقسيم فلسطين الَّذِي كان تمهيدًا لقيام دولة «إسرائيل» بعد ذلك بسنة سنة (١٩٤٨م).

وتمرُّ بنا ذكرى ثلاثين عامًا على حرب الأيام الستة المشهورة، الهزيمة الكبرى، هزيمة حزيران أو يونيو ١٩٦٧م.



مرّت ثلاثون سنة على هذه الذكرى الأليمة التي سمّوها «النكسة».

ولا أدري لماذا سمّوها النكسة؟

هي نكبة كبرى أصابت الأمة بعد نكبة سنة ١٩٤٨م، ولذلك سمّيتها في كتاب لي: «النكبة الثانية»^(١).

النكبة الأولى سنة ١٩٤٨م حينما أخرج الفلسطينيون من ديارهم وقامت دولة إسرائيل، والنكبة الثانية هي هذه نكبة ١٩٦٧م.

وتمرّ بنا ذكرى أخرى، وهي مرور عشرين عامًا على زيارة الرئيس السادات إلى إسرائيل سنة (١٩٧٧م)، وكانت هذه بداية الخلل في وحدة الموقف العربي، كان العرب يقفون صفًا واحدًا حتّى بدأت هذه الزيارة.

والآن بعض الناس يقولون: ليتنا قبلنا ما سعى إليه السادات!

كأننا نزل من سيئ إلى أسوأ، ومن أسوأ إلى الأشدّ سوءًا، هكذا ننحدر دائمًا.

هذه ذكريات مريرة تمرّ على أمتنا.

والآن ما الحلُّ؟

ما الحلُّ؟ وما العلاج؟

لا نجد أمام الصلف الإسرائيلي، والاستكبار الإسرائيلي، والغرور الإسرائيلي، والفجور الإسرائيلي، إلاّ الجهاد.

(١) درس النكبة الثانية لماذا انهزمنا؟ وكيف سننتصر؟ نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ومؤسسة الرسالة، بيروت.

لا يمكن أن نقبل مع هؤلاء شيئاً حتى نستردّ حقّنا، وذلك ما دعا إليه مجلس جامعة الدول العربيّة من استمرار المقاطعة مع إسرائيل، ومقاومة التطبيع مع إسرائيل.

لا يجوز أن نطّبع العلاقات مع إسرائيل.

كيف يكون الشيء غير الطبيعيّ طبيعيّاً؟

كيف يطّبع الإنسان علاقاته مع عدوّه؟!

ولهذا على كلّ منّا فريضة: أن يقاطع بضائع إسرائيل، وأن يقاطع كلّما يجيء من إسرائيل.

لا نطّبع العلاقات معها لا سياسيّاً ولا ثقافيّاً ولا اقتصاديّاً ولا اجتماعيّاً ولا بأية طريقة من الطرق.

لقد رفضتُ حينما سُئلت: أذهب المسلم إلى إسرائيل ليصلّي في المسجد الأقصى؟

قلت: لا، لا يصلّي في المسجد الأقصى تحت العلم الإسرائيلي، تحت الراية الصهيونيّة.

لا ندخل ويختم على جوازنا ختم إسرائيل.

الفلسطينيون يفعلون ذلك بحكم وضعهم، إنّما لا يجوز لمسلم غير فلسطيني أن يذهب إلى الصّلاة والراية الإسرائيليّة مرفوعة خفاقة.

ندّخر ذلك ولا نصلّي، لكن عندما يتحرّر المسجد الأقصى نهول إليه لنصلّي فيه، كما كان يتمنّى الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ أَنْ يصلّي في المسجد الأقصى بعد أن يتحرّر من يد الصهيونيّة ويعود إلى يد أهله العرب المسلمين^(١).

(١) راجع فتاوي كاملة تحت عنوان: «السفر إلى المسجد الأقصى» في: فتاوى معاصرة (٣/٤٧٤).



إننا نناشد العالم كله: نناشد الفلسطينيين جميعًا بكلّ فصائلهم، ونناشد العرب مسلميهم ومسيحييهم - وقد حضرتُ مؤتمرًا في بيروت تحت عنوان: مسلمون ومسيحيون معًا من أجل القدس - ونناشد المسلمين عربهم وعجمهم - فالمسجد الأقصى ليس للعرب هو لكلّ المسلمين - ونناشد الأحرار الشُّرفاء في كلّ هذه المعمورة فوق الكرة الأرضية، أن يقفوا مع أبناء القدس، أن يقفوا مع الحقّ، أن يقفوا مع العدل، ضد الظلم والبغي المتمرد الذي تمثّله القوّة الإسرائيليّة الصهيونيّة.

نناشد الأحرار جميعًا أن يتكاتفوا في وجه هذا الظلم؛ حتّى يحقّ الله الحقّ ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فطالما ناديت من فوق هذا المنبر بأنّه إذا لم يكن لنا خلافة ولا خليفة ولا إمام ينادي المسلمين: أن هُبُوا لإنقاذ الأقصى، فينبغي أن يكون البديل المؤقت عن ذلك: مؤتمر عالمي لعلماء المسلمين، يمثل علماء المسلمين في المشرق والمغرب، في أرض الإسلام جميعاً.

يجتمع هذا المؤتمر لبحث قضية المسجد الأقصى وواجب المسلمين نحوها، وينشئ صندوقاً لإعانة المسلمين وتوطين المسلمين في المسجد الأقصى، وتوطين العرب حتّى مسيحيّهم في القدس؛ حتّى لا يهاجروا تحت الضغط الإسرائيلي والاضطهاد الإسرائيلي.

لا بدّ أن ينشأ هذا الصندوق، وتنشأ هيئة عليا لإنقاذ الأقصى، هيئة عالميّة إسلاميّة لا تمثّل العرب وحدهم، بل تمثّل العرب والمسلمين، وحتّى الأحرار من أبناء العالم كلّ.

نريد ألا يمرّ ما تفعله إسرائيل دون أن نقف موقفاً إيجابياً ضد هذا العدوان الصارخ المتألّه المستفزّ المتحدي الذي لا يبالي بأحد، ولا يبالي بأمم متّحدة، ولا يبالي بمؤتمر إسلامي، ولا يبالي بجامعة عربيّة، ولا يبالي بفلسطين، ولا يبالي باتفاقيات، إنّهُ يبالي بشيء واحد هو «القوة العسكريّة»، ويقول ويفعل، ويريد وينفّذ ما يريد تحت أسنّة الرّماح والسّلاح.

لا بدّ أن نقف موقفاً إيجابياً والله معنا، ولن يترنّا أعمالنا، ونحن نؤمن بأنّ الحقّ لنا، قد نكون قد غلبنا في هذه المرحلة، ولكن التاريخ

دَوَّار، والأَيَّامَ دُول، ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]،
ودوام الحال من المحال، وإنَّ مع اليوم غداً، وإنَّ غداً لناظره قريب ﴿إِنَّ
مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود: ٨١].

اللهم انصر عبادك المؤمنين، اللهم انصر عساكر الموحَّدين، اللهم
انصر حزبك المفلحين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وإخواننا المجاهدين في
لبنان، اللهم أيدهم بزُوح من عندك، وأمدِّهم بملاً من جندك، واحرسهم
بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم أيّد إخواننا المجاهدين في كلِّ مكان، وأنقِذ إخواننا
المضطهدين في كلِّ مكان.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم اجعلْ هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد
المسلمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأقم الصلاة.

نسخة مجانية



القدس عربية إسلامية^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الكلام عن القدس لا ينتهي:

لا زال حديثنا عن القدس موصولاً، وينبغي أن يستمرّ حديثنا عن القدس وعن فلسطين، عن أرض التُّبُوت والبركات، عن أرض الإسراء والمعراج، عن أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، عن القبلة الأولى، عن أرض الرِّباط والجهاد.

ينبغي أن يظلّ حديثنا عن هذه القضية ما دامت هذه القضية ساخنة، وما دامت المؤامرات تُحاك لتهود القدس، لإخراجها من الدائرة العربية الإسلامية؛ لتصبح يهوديّة خالصة.

تهويد القدس هو المؤامرة الكبرى التي تُحاك الآن عن طرق شتّى، منها طريق المستوطنات، ومنها الحفريات - التي لا تزال تعمل عملها ليل نهار، وصباح مساء، وصيف شتاء - تحت المسجد الأقصى.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة، في ٢ جمادى الآخرة ١٤١٨هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩٩٧م.

ولا ندري أيّ وقت حدّده اليهود لينهار فيه هذا المسجد ويقع،
ويصبح أنقاضاً، والمسلمون يتفرّجون، وقد يصرخون ويحتجّون، ولكنّهم
لا يصنعون شيئاً.

يجب أن يظلّ حديثنا عن القدس وعن إسرائيل التي تدبر أمرها
للقدس، وتبيّت مكيدتها للقدس، والعرب في غفلة لاهون، والمسلمون
في غمرة ساهون، مختلفون فيما بينهم واليهود قد أجمعوا أمرهم.

إنّ القدس عربيّة إسلاميّة، ويجب أن تظلّ عربيّة إسلاميّة.

وفلسطين عربيّة إسلاميّة، ويجب أن تظلّ عربيّة إسلاميّة.

يدّعي اليهود حقوقاً لهم في فلسطين وفي القدس، ولكنّها دعاو
لا يسندها حقّ، ولا يسندها منطق، ولا يؤيّدّها دليل معتبر، لا من دين،
ولا من تاريخ.

هل لليهود حقّ ديني في فلسطين؟

يدّعي اليهود أنّ لهم حقّاً دينيّاً بمقتضى وعدٍ وعده الله تعالى
لإبراهيم، ومن بعده إسحاق، ومن بعده يعقوب، أنّه سيعطيهم الأرض
المقدّسة لهم ولنسلهم!

ولكن إبراهيم مات وعمره مائة وخمس وسبعون سنة، وإسحاق
مات وعمره مائة وثمانون سنة، كما تحكي التوراة والله أعلم، ويعقوب
من بعدهما.

لم يملك أحد من هؤلاء من فلسطين شبرًا واحدًا، عاشوا فيها غرباء
مهاجرين، ولم يكن لهم فيها قدم راسخة، حتّى إنّ سارة زوج

إبراهيم عليه السلام حينما مات لم يكن يملك أرضاً يدفنها فيها، فطلب من أحد الفلسطينيين أن يعطيه مكاناً لقبرها، فأعطاه مكاناً في مغارة تسمى مغارة «المكفيلة»، وتبرّع الرجل لإبراهيم بهذه الأرض، ولكن إبراهيم أبى إلا أن يشتريها منه، فهل يشتري الإنسان ملكه؟!

وهكذا عاش إبراهيم وعاش ابنه إسحاق وعاش حفيده يعقوب.

ومعروف أن يعقوب مات في مصر حينما ذهب هو وبنوه إلى يوسف حينما قال: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: ٩٣]، وجاء يعقوب وذريته ودخلوا مصر وعاشوا فيها كما تقول التوراة أربعمئة وثلاثين عامًا.

عاش إبراهيم وإسحاق ويعقوب في أرض فلسطين مائتين وثلاثين عامًا، جاؤوا من العراق، لم تكن هذه أرضهم، جاؤوا غرباء ولم يكن لهم فيها أي ملك؛ لأنهم كانوا رعاة: كانوا بدوًا يرعون الأغنام والإبل وهذه الأشياء، فلم يكونوا في حاجة، كانوا رُحَّلًا.

وهكذا حينما ذهبوا إلى ملك مصر قالوا له: نحن قوم رعاة، فأعطاهم أماكن خارج المدن، ثم عادوا إلى فلسطين بعد موسى عليه السلام.

دعوى الحق التاريخي:

أراد موسى أن يدخل هذه الأرض المقدسة التي كتب الله لهم دخولها - ولم يكتب لهم البقاء فيها - ومع هذا حينما قال لهم موسى: ﴿يَقَوْمُ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٢١] لم يستجيبوا لموسى، موسى الذي أنقذهم الله على يديه، وأغرق فرعون وجنوده أمام أعينهم، وضرب البحر

بعضاه فتركه يبسًا، موسى هذا لم يستجيبوا لدعائه ليجاهدوا من أجل دخول الأرض و﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢]! وكرّروا هذا: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤].

وانظروا إلى سوء الأدب: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ كأنه ليس ربهم، كأنه رب موسى وحده.

فقال موسى في أسف وحسرة: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦].

حرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة، وبقوا في التيه في صحراء سيناء، ولذلك لم يدخلوها إلّا بعد وفاة موسى، دخلوها مع «يوشع» أو كما تسمّيه التوراة «يشوع»، ونقول عنه في كتبنا: يوشع بن نون.

دخلوا بعد وفاة موسى وحدث ما حدث لهم، ولم تقم لهم دولة في فلسطين إلّا بعد ذلك بمئات السنين في عهد شاؤول وداود وسليمان، ثمّ انقسمت دولتهم أو مملكتهم بعد سليمان ﷺ إلى دولتين يحارب بعضهما بعضًا: دولة «يهودا» في القدس ودولة «إسرائيل» في نابلس.

استمرّت دولة يهوذا أربعمئة وأربعًا وثلاثين عامًا ثمّ جاء «سرجون» ملك بابل فحطّم دولتهم وأسرههم وفعل بهم الأفاعيل.

وبقيت الدولة الأخرى مائتين وثمانيا وتسعين عامًا إلى أن جاء بختنصر - أو نبوخذ نصر - وقضى على البقية الباقية من مملكة إسرائيل.



يعني: إحدى الدولتين بقيت (٤٣٤) سنة والأخرى (٢٩٨) سنة، هذا كلُّ ما كان لدولة إسرائيل في القدس.

انتهت دولتهم منذ خمسة قرون - أو أكثر - قبل الميلاد، والآن بعد خمسة وعشرين قرنًا جاؤوا يقولون: إنَّ لنا حقًّا تاريخيًّا!

أيُّ تاريخ لكم؟!!

بقيتم في فلسطين أصحاب دولة أربعة قرون ونصف، ومن كان في فلسطين قبلكم؟

كان العرب الكنعانيون، وقبل الكنعانيين كان العرب اليبوسيون.

فالعرب هم أصحاب هذه الأرض، والمسلمون ملكوها منذ أربعة عشر قرنًا.

وحينما دخلها المسلمون لم يكن فيها يهودي واحد؛ فإن الرومان حرَّموا على اليهود أن يدخلوا القدس، وحينما ذهب عمر لفتح المدينة كان من شروط الصلح والاتفاقية: ألا يساكن اليهود أهلها.

فالمسلمون لم يأخذوها منهم، ولم يكونوا فيها، بل كان محرَّمًا عليهم دخولها، فأى حقَّ تاريخي لهم؟!!

ثمَّ المؤرخون يقولون: إنَّهم حتَّى في أعظم أوقات ممالكهم اتساعًا، لم يملكوا إلَّا أجزاء من فلسطين، لم يملكوا فلسطين كلَّها في أي وقت من الأوقات، إلَّا في هذا العصر بعد حرب حزيران - أو يونيو - ١٩٦٧م.

فأين الحقُّ التاريخي وقد ذهبت دولتهم ثمَّ انتهى وجودهم نهائيًّا؟!!

ذهبت دولتهم بالضربة البابلية، بانتصار بابل عليهم وسحقهم سحقًا.

ثم انتهى الوجود اليهودي من فلسطين بقضاء الرومان عليهم قضاءً نهائياً وتفريقهم شذر مذر، وتقطيعهم في الأرض كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٧، ١٦٨].

قطّعهم الله في الأرض جماعات وفرقا، تفرّقوا شذر مذر.

هذا هو الحق التاريخي.

من المقصود بنسل إبراهيم؟

ويقولون: لنا حق ديني بهذه الوعود لإبراهيم ونسل إبراهيم!

فما معنى نسل إبراهيم؟

هل نسل إبراهيم هم ذريته من صلبه أم هم المؤمنون الذين يتبعون نهجه ويسيروا على ملته؟

إنّ الأولى بمنطق النبوة ومنطق الرسالة ومنطق الخلعة التي لإبراهيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥] أن يكون أولى الناس به هم المؤمنون، وليس أبناءه من صلبه؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصفّات: ١١٣]، ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]. إذا ظلمت ذريتك أو أساءت فلا حق لها، والقرآن يقول: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].



فلو كان هذا لنسل إبراهيم، فنسل إبراهيم الحقيقيون هم المؤمنون بالحنيفية الإبراهيمية: ﴿أَنْ أَتَّبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣]، ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].
فنحن أولى الناس بإبراهيم.

ثم من ناحية أخرى: لو كان المقصود بنسل إبراهيم ذريته من صلبه، لماذا لم يدخل إسماعيل عليه السلام في هذه الذرية؟!
لماذا أخرج اليهود إسماعيل من ذريته، وهو ابنه الأول، ابنه البكر؟!
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

لماذا تكون أرض فلسطين لذرية إسرائيل - وهو يعقوب عليه السلام - ولا تكون لذرية إسماعيل عليه السلام؟!
هذا ليس منطقاً، لماذا يُحابي الله إسرائيل أو إسحاق على حساب إسماعيل^(١)؟!

حقيقة وعد الله لليهود بفلسطين:

ثم من ناحية ثالثة: كيف يعد الله قومًا بأرض ليست لهم ويأخذها من أهلها عدواناً وغصباً؟!

هذا أمر ليس معقولاً، هذا ليس عدلاً، والله تعالى يحب المقيمين ولا يحب الظالمين، فكيف ينتزع أرضاً من أهلها ليعطيها لقوم غيرهم وهم مستقرون فيها؟!

(١) يدعي اليهود: أن إسماعيل غير محسوب في أبناء إبراهيم؛ لأنه ابن أمة! مع أن نصف أولاد إسرائيل (يعقوب) أولاد أمة؛ باعتراف اليهود؛ وبنص توراتهم، فلماذا يكيلون بكيلين؟!

ثمّ من ناحية رابعة: هل هذا الوعد الذي أعطي لبني إسرائيل - لو آمنّا به كما يقولون - وعد مطلق؟ أو هو وعد مقيّد ومشروط؟

إنّ الذي يقرأ الكتاب المقدّس بقسميه: العهد القديم والعهد الجديد، يجد أنّ هذا الوعد مشروط بأنّ يحفظ بنو إسرائيل عهد الربّ، ويصونوا أوامره، وينتهوا عن نواهيه، ويحفظوا التعاليم، وليس عهدًا مطلقًا.

وفي التوراة نصوص شتّى، وفي ملحقات التوراة (كتب الأنبياء المتعديدين بعد التوراة) وفي الأناجيل: نصوص كلّها تجعل هذا العهد عهدًا مقيّدًا، وكلّها تقول: إنّ بني إسرائيل لم يحفظوا العهد، ولم يصونوا التعاليم، ولم يقفوا عند حدود الله، لم يأتَمروا بأمره ولم ينتهوا بنهيه، بل فعلوا الأفاعيل، وتعدّوا الحدود، ونكثوا العهود، وأخلفوا الوعود، وقتلوا الأنبياء، وهذا ما قاله لهم المسيح: «يا أبناء الأفاعي، يا أبناء قتلة الأنبياء»^(١)!

هذا هو وصفهم في التوراة والإنجيل، فهم لم يحافظوا على العهود، ولذلك لا يستحقّون بأيّ وجه من الوجوه ما زعموا أنّ الربّ أعطاه لهم.

إنّ اليهود يتمحّكون في هذه الأشياء، وإلاّ ما الذي أسكتهم هذه الدهور من خمس وعشرين قرنًا، ثمّ جاؤوا اليوم يطالبون بهذا الأمر؟!

ما الذي أسكتهم هذه المدة؟!

كلّما في الأمر أنّهم اعتمدوا على الكيد والمكر، ثمّ على القوّة والعنف، فهذه هي الطبيعة الإسرائيلية.

(١) إنجيل متى (٣١/٢٣ - ٣٣).



لقد حاولوا أن يتسلَّلوا إلى هذه الأرض عن طريق الرشوة، عن طريق الحيلة، ثمَّ ساعدهم الاستعمار عندما هُدمت القلعة الإسلامية الأخيرة: الخلافة الإسلامية، الحصن الذي كان يتحصَّن فيه المسلمون، والتي كانت تمثِّل آخر تجمُّع للمسلمين تحت راية العقيدة «لا إله إلاَّ الله محمَّد رسول الله».

هُدِّمت القلعة التاريخية بمكايد اليهود، عندما وجدوا السلطان عبد الحميد لا ينصاع ولا يخضع لإغراءاتهم قالوا: لا بدَّ من إزالة هذا السلطان، ولا بدَّ من إزالة هذه الخلافة.

وقد نفَّذوا ما أرادوا.

خصائص الطبيعة اليهودية:

نحن نقول: الطبيعة الإسرائيلية التي نتعامل معها طبيعة سيئة رديئة خبيثة، فيها آفات ملازمة لها ملازمة السمِّ للأفعى.

١ - العنصرية:

هذه الطبيعة الإسرائيلية الصهيونية طبيعة عنصرية، يرون أنَّهم وحدهم العنصر الممتاز، والشعب المختار الذي اختاره الله دون سائر الشعوب!

قد يُقبل ذلك عندما كانوا هم دعاة التوحيد في وسط الوثنيين، أمَّا الآن وقد تغيَّروا وأصبحوا أناسًا آخرين يهتمون بالمال والمادة، ويعبدون الذهب، فلماذا يُختارون على غيرهم؟!

ليس هذا كما قال القرآن: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهنا وصف للأمة لا لشعب من الشعوب، ليس هذا اختيارًا للعرب على العجم.



الأمة المسلمة لو دخل فيها الأمريكيان أو دخل فيها الإنجليز أو دخل فيها البرازيليون أو دخل فيها أي شعب يصبح جزءاً من هذه الأمة؛ لأنها أمة ذات رسالة.

ولكن العنصرية اليهودية عنصرية عرقية ترى أن هذا الشعب مميز يجري في عروقه دم غير دم الآخرين!

هذا ما يقوله هؤلاء عن أنفسهم، فهذه هي العنصرية الباغية.

وهم يتبجحون ويقولون للعالم عن كل من يقول عنهم شيئاً: إن هؤلاء يعادون السامية!

مع أنهم هم الآن الذين يعادون السامية الحقيقية.

هم لم يعودوا ساميين؛ لأنه دخل فيهم عناصر كثيرة، العرب هم الساميون الحقيقيون، أمّا هم فيعادون السامية.

لقد استغلوا مسألة النازية وأن «هتلر» أحرق منهم الملايين! وقد تبين في عصرنا أن هذه أكذوبة كبرى، وصدرت دراسات ورسائل علمية «دكتوراهات» تبين أن هذه خرافة، وأن العدد الذي قاله اليهود عدد مبالغ فيه جداً جداً، ولكنهم لا يسمحون لأحد أن يقول هذا.

هؤلاء يعادون النازية، وهم يجسّدون الآن عنصرية نازية متعالية مغتصبة معادية للعرب والمسلمين.

أول آفاتهم هذه العنصرية.

٢ - القسوة:

وثاني آفاتهم هي: القسوة.

الطبيعة الإسرائيلية الصهيونية طبيعة قاسية، كما قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وهذه القسوة كانت عقوبة من الله تعالى لهم، كما قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، القسوة التي تتمثل في هذا العنف الذي رأيناه طوال تاريخ اليهود وعلاقاتنا معهم، وفي هذه المذابح التي رأيناها: مذبحه دير ياسين، بحر البقر، صبرا وشاتيلا، مذبحه قانا، مذبحه النفق، في العام الماضي مذبحه مسجد الخليل، حيث قُتل الصُّوم الرُّكَّع السُّجود في مسجد الخليل وفي رمضان، وفي فجر رمضان، عام ١٤١٤هـ.

كلُّ هذا يمثل تلك القسوة التي لا تبالي بشيء.

٣ - العدوانية:

ثمَّ هي طبيعة تتسم بالعدوانية، العدوان جزء منها، لا تبالي في سبيل تحقيق أغراضها بمن تعتدي عليه، لا تبالي أي دم تسفك، أي عرض تهتك، أي حرمة تنتهك، أي شيء تدمر؛ لأنَّ هذا يمثل - أيضًا - عنصرًا آخر وهو ما نُسَمِّيه:

٤ - اللاأخلاقية:

اليهود الصهيونيون الإسرائيليون من آفاتهم: اللاأخلاقية.

نحن العرب المسلمين عندنا العنصر الأخلاقي يحكم تصرفاتنا في السلم والحرب، لا تنفصل الأخلاق عن الحياة، لا علم بلا أخلاق،



لا سياسيّة بلا أخلاق، لا اقتصاد بلا أخلاق، لا حرب بلا أخلاق، حتّى الحرب تحكمها الأخلاق: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

النّبي ﷺ يقول: «اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تعتدوا، ولا تغلّوا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا الولدان، ولا أصحاب الصوامع»^(١).

ومن وصايا الخلفاء الراشدين للقوّاد العسكريين: «لا تقتلوا وليدًا ولا شيخًا ولا امرأة، ولا تهدموا بناء، ولا تقطعوا شجرًا»^(٢).

وهكذا وصايا الخلفاء الراشدين للقوّاد العسكريين.

لذلك نجد الحرب الإسلاميّة حرب رحمة، حرب عدل، وليست حرب عدوان.

لا يقبل الإسلام أبدًا مبدأ: الغاية تُبرّر الوسيلة.

لا، لا بدّ من الغاية الشريفة والوسيلة النّظيفة، ولا نصل إلى الحقّ بطريق الباطل، لا يقبل الإسلام ذلك.

أمّا هؤلاء، فالغاية عندهم تبرّر كلّ الوسائل، كلّ شيء مشروع في سبيل الوصول إلى أهدافهم، لا يتقيّدون بدين، ولا بعقيدة، ولا بشريعة،

(١) رواه أحمد (٢٧٢٨)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. وأبو يعلى (٢٥٤٩)، والطبراني في الأوسط

(٤١٦٢)، والكبير (٢٢٤/١١)، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير (١٩٤/٤): في إسناده

إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبة، وهو ضعيف. عن ابن عباس.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٧)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في السير (٨٩/٩). وانظر: الكامل

في التاريخ لابن الأثير (١٩٦/٢).

ولا بقيم، ولا بأخلاق، يستبيحون الأعراض، ويستبيحون الأموال، ويستبيحون كلَّ شيء، بل يُقدِّمون أعراض بناتهم ونسائهم في سبيل ذلك؛ على أنَّ غاياتهم أسوأ من وسائلهم.

ولذلك رأينا هذا فيما رأيناه: اعتداءهم على الأخ المجاهد رئيس المكتب السياسي لحماس أخينا خالد مشعل أبي الوليد - حفظه الله وعافاه - واستعمال هذه الطرق التكنولوجية المتطورة، هذا الجهاز الذي أصابه في أمِّ رأسه وكاد يقتله لولا لطف الله تعالى، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وهم يستخدمون الجوازات المزورة وغير ذلك، ويشترون الناس بالأموال من أي جنسية، ولا يبالون بعهود، رغم المعاهدة بينهم وبين الأردن لم يبالوا بمعاهدة ولم يبالوا باتفاقية، ولم يبالوا بشيء في سبيل الوصول إلى ما يريدون، هذا هو شأن هؤلاء اليهود.

٥ - التوسُّعية:

ثمَّ من آفاتهم: الأحلام والأطماع التوسُّعية؛ هم لا يرضون بشيء، إنَّهم إذا أخذوا شيئاً بحثوا عن غيره، يمكنهم - تكتيكياً - أن يقبلوا سلاماً مؤقتاً، ولكن «إسرائيل الكبرى» لا تخرج أبداً من رؤوسهم.

وقد كتب ذلك أحد أساتذة الجامعات عندهم في كتاب نشر بالإنجليزية وترجم لي أحد الإخوة فقرات منه: إنَّهم يطمعون في أجزاء من السعودية ومن الكويت ومن اليمن ومن لبنان ومن سوريا ومن مصر حتَّى الإسكندرية!

كلُّ هذا في ضمن دولتهم: «إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل، ومن الأرز إلى النخيل»!

قد يقبلون سياسة المراحل فترة من الفترات، حتّى إذا هدأت الأعاصير وسكنت العواصف، خطوا خطوة أخرى.

هذا هو ما يريده هؤلاء، هذه آفات ثابتة ومستقرّة عند هؤلاء القوم.

لماذا حدّثنا القرآن عن طبائع اليهود؟

ولذلك يجب أن نتعامل معهم ونحن نعرف طبائعهم.

القرآن حدّثنا عنهم حديثاً منفصلاً في صور شتّى، لم يحدّثنا عن الفرس، ولم يحدّثنا عن الروم، ولم يحدّثنا عن الأحباش، ولم يحدّثنا عن المصريين، ولم يحدّثنا عن شعب من الشعوب، كما حدّثنا عن بني إسرائيل، حديثه عن تلك الشعوب كان مجملاً، أمّا حديثه عن بني إسرائيل فكان مفصّلاً.

لماذا؟

لأنّ الله يعلم أنّ هناك معركة ستكون بيننا وبينهم، فلا بدّ أن نعرف القوم على حقيقتهم، ونتعامل معهم على أساس الواقع لا على أساس الأوهام.

لماذا نقاتل اليهود؟

إنّ المعركة بيننا وبين اليهود - كما قلت وكما أوكد دائماً - ليست من أجل دينهم، نحن لا نحاربهم لأنّهم يهود، فقد كانوا يهوداً وعاشوا بيننا قرونًا وقرونًا في ظلّ سماحة الإسلام وعدل الإسلام وبرّ الإسلام، وكانت لهم أموال وكانت لهم ثروات، وكان لهم نفوذ، وكان لهم مناصب، ووصلوا إلى الوزارة في بعض البلاد، وكانوا مقرّبين من السلاطين والأمراء والملوك، عاشوا هكذا قرونًا لم تقم بيننا وبينهم أي معركة.

المعركة ابتدأت حينما اعتدوا على أرضنا، حينما طمعوا في أرضنا، حينما أرادوا أن يُخرجوا أهل فلسطين من ديارهم، ويسكنوها بدلاً عنهم، ويرثوا الأرض من أهلها وهم أحياء.

حينما أرادوا ذلك قامت المعركة بيننا وبينهم.

لا نقاتلهم لأنهم يهود، ولا نقاتلهم لأنهم إسرائيليين، ليكونوا عنصريين أو ليذهبوا إلى الجحيم، نحن لا نقاتلهم لا من أجل عنصريتهم ولا من أجل عقيدتهم، إنما نقاتلهم وسنظل نقاتلهم من أجل حقنا في أرض فلسطين، الحق الذي اغتصبوه وما زالوا يغتصبونه ويصرّون عليه، ويريدون مزيداً من اغتصاب الحقوق يوماً بعد يوم.

لم يكفهم أن قسّموا القدس إلى غربيّة وشرقيّة، وأخذوا الغربيّة وتركوا الشرقيّة، الآن يريدون القدس الشرقيّة ويحيطونها بالمستوطنات ودخلوا فيها نفسها، هذا الاحتلال الذي فعلوه في «رأس العمود» هذا دخول في قلب القدس، بل في مقابلة المسجد الأقصى نفسه.

من أجل هذا نقف ضد إسرائيل والصهيونيّة، نقف ضد الاغتصاب وضد العدوان، ولا نتسامح أبداً في أرضنا، لا نتسامح في حقنا، إنّ مَنْ فرّط في أرضه أوشك أن يفرّط في دينه، وأهله وعرضه، ونحن لا نفرّط في شيء من ذلك.

سنظلّ ندود عن كرامتنا، وندافع عن مقدّساتنا، ما بقيت فينا عين تطرف، ما بقي فينا روح يسري، ما بقي فينا دم يجري، سنظلّ ندافع عن هذه الحقوق والمقدّسات، ونحن أصحاب الحق، نعتقد أنّ الحقّ معنا، والحقّ لا يمكن أن يهزم باستمرار، المهمّ العاقبة ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨، طه: ١٣٢، القصص: ٨٣].



إِنَّ الْحَقَّ لَا بَدَّ أَنْ يَنْتَصِرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].
 إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْحَقُّ، وَسَيَنْصِرُ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ.

سننظّل نحمل الراية، ولن تسقط الراية أبدًا ما دام هناك مؤمنون صادقون مصرّون على الجهاد والرباط، كإخواننا من أهل «حماس» وأهل «الجهاد» ومن ناصرهم من أبناء فلسطين.

ما دام هؤلاء قائمين فإنَّ الله تعالى آخذٌ بأيديهم، وناصرهم على عدوّهم، وفاتح لهم فتحًا مبينًا، وهاديهم صراطًا مستقيمًا، وناصرهم نصرًا عزيزًا.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد:

تحية لرموز الجهاد الفلسطيني:

فمن فوق هذا المنبر أوجهها تحية خالصة، تحية إعجاب وتقدير وإكبار، لذلك الشيخ الجليل، الشيخ القعيد، الذي يتحرّك على كرسي ولا يستطيع الوقوف على رجليه، شيخ حماس، مؤسس الحركة الإسلامية، حركة المقاومة الإسلامية، مؤسس العمل الجهادي في فلسطين: الشيخ أحمد ياسين.

أوجّه هذ التحية إلى ذلك الشيخ الصابر المصابر المرابط المجاهد القعيد في كرسيه، الذي زلزل أركان العتو والطغيان والعدوان في إسرائيل، رغم قعوده، ورغم زمانته، ورغم مرضه، فقد كان مخوفاً عندهم، كانوا يخافون هذا الشيخ القعيد، الشيخ الزمن، الشيخ الذي لا يستطيع أن يتحرّك، الشيخ الذي أصابته الأمراض، وأحاطت به الأدوية من كلّ جانب، كانوا يخافونه ويخشونه؛ لأنّ المرء ليس بجسمه ولكن بقلبه، الإنسان ليس هو هذا الهيكل، ليس هو هذا الجسم، فقد قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وقال العرب: ترى الفتيان كالنخل وما يدريك ما الدخل؟!!

كان عبد الله بن مسعود رجلاً قصير القامة، نحيف الجسم، نحيل القوام، وقد صعد يوماً على شجرة، فظهرت ساقاه نحيفتين نحيلتين هزيلتين،

فضحك بعض الصّحابة من دقّة ساقه، فنظر إليهم النّبي ﷺ وقال لهم: «مِمّ تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد»^(١).

الرجال ليسوا بالقامة، بل بالقيمة، الرجال ليسوا بالأجسام بل بالأحلام، ليسوا بالأشباح بل بالأرواح، ليسوا بالكم بل بالكيف.

تحية إلى هذا الشّيخ الذي لم يمد يديه يطلب الإفراج، لم يمد يديه إلى إسرائيل، لم يخن هামته ذلًا لهم، ولكنّه صبر على بلائه، وبقي في سجنه كالأسد الهصور، حتّى جاءه هذا الإفراج.

وحينما جاءه هذا الإفراج قال: إنّه لا يرضيني إلّا أن يفرج عن جميع المعتقلين والأسرى في سجون إسرائيل!

وقال: إنّ هذا لا يعني أن يقف الجهاد، سيظلّ الجهاد مستمرًا ومرفوع اللواء حتّى تحرّر فلسطين كلّ فلسطين.

وقد قال لمن زاروه: إنّ السلطة الفلسطينيّة فعلت في هذه الأيام ما لم تفعله إسرائيل خلال سنواتها الماضية، استجابت لدعوة إسرائيل بضرب البنية التحتية لقوى الجهاد، فأغلقت ست عشرة جمعيّة خيريّة إسلاميّة من مؤسسات حماس!

لماذا تغلق الجمعيات الخيريّة والمؤسسات التربوية؟

لأنّ إسرائيل طلبت ذلك!

إسرائيل كلّما تريده الآن أن يضرب الجهاد الذي تسمّيه الإرهاب، أن يضرب الجهاد وألّا تبقى له باقية ولا تقوم له قائمة.

(١) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والبخاري (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، والطبراني (٩٥/٩)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)، عن ابن مسعود.

هي تعربد وتصول يمينًا وشمالًا، ولا تريد لأحد أن يردَّ عليها، وليست هي إرهابية، لكن الذي يدافع عن وطنه وعن شرفه وعن أهله وعن حقِّه وعن مقدَّساته هو إرهابي!

ما كنَّا نريد للسلطة الفلسطينية أن تستجيب لطلبات اليهود، ولن يرضي ذلك اليهود، لن يرضيهم ما فعلت، لا يرضيهم إلا أن تستولي على القدس، وأن تصبح القدس لهم.

تحية إلى الشَّيخ أحمد ياسين، وتحية إلى الأخ المجاهد الصابر المصابر المخطَّط - مع إخوانه - خالد مشعل أبي الوليد، الذي يفكِّر برأسه، ولذلك أراد اليهود أن يضربوا هذا الرأس المفكِّر، أن يضربوه بهذا الجهاز القاتل، بتلك الأشعة وتلك المواد الكيماوية، ولكن الله حفظه ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

تريد إسرائيل أن تقول: إنَّ ذراعي طويلة، وإنَّ يدي يمكن أن تمتدَّ لكلِّ من يمشي إسرائيل بسوء.

ونقول لإسرائيل: إنَّ الله فوق تديرها، ومكر الله أعظم من مكرها، وكيد الله أقوى من كيدها ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُويًا﴾ [الطَّارِق: ١٥ - ١٧].

نحمد الله على سلامة أخينا خالد حفظه الله وأبقاه، وحفظ إخوانه حتَّى يعيدوا الحقَّ إلى نصابه، حتَّى يؤدبوا الطغاة المعتدين، ويعلِّموهم أنَّ في هذه الأمَّة رجالًا، وأنَّ في الزوايا خبايا.

رثاء الشَّيخ محمود شاكر:

ودعاءً بالمغفرة والرحمة أوجَّهه من هذا المنبر إلى شيخين جليين توفِّيَا في هذا الصيف:

أحدهما: العالم الجليل الشَّيخ محمود محمَّد شاكر، أحد علماء الأُمَّة الأَفْذاذ، وأحد علماء اللغة الأَثبات، وأحد المحقِّقين الثقات - الَّذي يشكِّل مع أخيه الشَّيخ أحمد شاكر رَحِمَهُمُ اللهُ مدرسة مُتَمَيِّزة في تحقيق نصوص التراث - وأحد الأدباء المعتبرين، وأحد الأقلام التي نصبت نفسها للدفاع عن الإسلام وأُمَّة الإسلام وحضارة الإسلام وثقافة الإسلام والعربيَّة، وقف ضدَّ دعاة التغريب والتبعية.

وترك وراءه تراثاً أدبياً علمياً: المُتَنَبِّي، وأباطيل وأسمار، الطريق إلى ثقافتنا، تحقيق تفسير الطبري، وغيرها.

هذا الرجل الَّذي تتلمذ على يديه كثير من الأدباء وكبار الرجال، مات ولم يكد أحد يتحدَّث عنه، صحافتنا وإذاعاتنا وتلفازاتنا التي أخذت الساعات الطوال بل الأيام، تتحدَّث عن «ديانا» و«دودي» وكأنَّ مصيبة حدثت في العالم، امرأة ماتت ولها أخطاؤها وخطاياها ولا نتحدَّث عن ذلك، ويكفي أنَّها باحت وتبجحت وتحدَّثت عن خيانتها لزوجها علناً وفي الإعلام، كان يكفي أن يكون هذا فضيحة لها، الغرب لا يهتم ذلك، واليهوديَّة العالميَّة تريد ذلك، وبرتوكولات حكماء صهيون تريد ذلك، تريد ألا يكون للخيانة الزوجيَّة، لجريمة الزنى، لهذه الأشياء، ألا يكون لها وقع في نفوس النَّاس، وأن يتقبَّل النَّاس هذا بصدر رحب وبسماحة وبسهولة، ولذلك فعل الإعلام العالمي الَّذي يوجِّهه اليهود في كثير من البلدان ما فعل.

والعجيب أنَّ إعلامنا - نحن العرب - سار في هذا الركاب، وقال ما قال، وظلَّ يتحدَّث ويحكي ويحكي. هذا ما حدث ولا زال إلى اليوم.

هل هذا الإعلام الذي تحدّث عن «ديانا» و«دودي» تحدّث بشيء عن الشيخ محمود شاكر؟

مَن منكم يعرف الشيخ محمود شاكر؟

لا تعرفونه؛ لأنّ الإعلام لم يتحدّث عنه، ليس رجلاً من رجالات الإعلام، ليس ممن تُسلّط عليه أضواء الصّحافة.

رحم الله الشيخ محمود محمّد شاكر، وتقبّله في الصالحين، وجزاه عن دينه وعن أمّته خير ما يجزي به العلماء العاملين، والدعاة الصادقين.

رثاء الشيخ عنتر حشّاد:

ومات - أيضاً - بعد الشيخ شاكر رجل تعرفونه جميعاً هنا في قطر: الشيخ عنتر حشّاد، رجل القرآن، رجل التوحيد، رجل العربيّة، رجل العلم المتمكّن، الذي عهدناه في هذا المسجد وفي غيره رجل صدق ورجل دعوة.

ومات الشيخ عنتر حشّاد في مصر، وكنتُ في مصر، ولم أعرف ذلك إلّا بعد أن رجعت إلى هنا، وقالوا: هل سمعت بموت الشيخ عنتر؟

قلت: لا، والله ما سمعت. أنا كنت في مصر وفي مدينة نصر التي يسكن فيها الشيخ عنتر، وما سمعت هذا.

هكذا يموت العلماء، وهكذا يموت الدعاة، ولا يكاد أحد يسمع لهم ذكراً.

ولكن الآخرين من أهل الفن وأهل الطرب وأهل الغناء وأهل التمثيل، هؤلاء هم نجوم المجتمع!



هؤلاء هم الكواكب اللامعة في سماء المجتمعات!

إذا حدث لأحدهم أن شاكرته شوكة، دخلت في أصبعه شوكة، تحدثت
 الصُّحف عن الشوكة التي أصابت ذلك الفنان!

إذا حدث له أي شيء، وإذا مات قامت الدنيا ولم تقعد.

حتى إنه من أثر هذه الضجة الإعلامية التي تصاحب موت واحد أو
 واحدة من هؤلاء كثيرًا ما نرى انتحارات!

نرى فتاة ترمي نفسها من طابق أعلى فتندقّ عنقها؛ حزنًا على تلك
 المطربة أو ذلك المطرب أو ذلك الممثل، وهكذا.

نحن - للأسف - في عصر يصنع الإعلام فيه الأفكار والأذواق
 والمواقف والأعمال، وإعلامنا - للأسف - لا يرتبط بقيمنا، ليس مقيّدًا
 بعقيدتنا وشريعتنا، إلّا من رحم ربك، وقليل ما هم.

نسأل الله تعالى أن يرحم موتانا، وأن يغفر للعلماء العاملين، وأن
 يجزيهم عنا وعن المسلمين خير ما يجزي به الصادقين.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشدًا، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين
 ولا أقلّ من ذلك.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم انصرنا على أعدائك
 أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على اليهود المعتدين الغادرين، اللهم ردّ عنا كيدهم،
 وفلّ حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد
 من عبادك المؤمنين.



اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين.

اللهم انصر إخواننا في فلسطين وفي لبنان، وفي كشمير وفي السودان، وفي الفلبين وفي سائر بلاد الإسلام.

اللهم أنقذ إخواننا المستضعفين والمعتقلين، اللهم افكك بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.

اللهم اجعل بلدنا هذا بلداً مطمئناً آمناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



لماذا نقاتل اليهود؟

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا في قضية القضايا، قضية المسلمين الأولى في هذا العصر، قضية فلسطين، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، قضية القدس، قضية المسجد الأقصى.

القدس رمز القضية الفلسطينية، والأقصى رمز القدس، والقدس الآن تتعرض لمكايد ومؤامرات يُراد إزالتها من الوجود العربي والإسلامي، يُراد تهويد هذه القدس.

الصهاينة قد أعدوا عدّتهم، وهيَّؤوا خطّتهم، في غفلة من العالم العربي والإسلامي في هذا العصر، عصر الاستسلام الفلسطيني، والعجز العربي، والتفكك الإسلامي، والغياب العالمي، والاستكبار الأمريكي، والتجبر الإسرائيلي.

في هذا العصر يريد اليهود أن يلعبوا لعبتهم، وأن يحاولوا تهويد القدس، بما دبّروا من مؤامرات من مدّة، آخرها مستوطنة جبل أبو غنيم.



مستوطنة جبل أبو غنيم هي مجرد رمز وعنوان لقضية خطيرة، قضية تغيير معالم القدس، وهم يعملون لذلك منذ زمن، ونحن في غمرة ساهون، نستجلب قضايا جزئية، ونُشغل بمعارك جانبية، يحارب بعضنا بعضًا، ويعادي بعضنا بعضًا، وننسى القضايا المصيرية والقضايا الأساسية، ومن هذه القضايا قضية الأقصى وقضية القدس وقضية فلسطين.

والمعركة بيننا وبين اليهود حول هذه القضية، حول الأرض.

لماذا نحارب اليهود؟

وقد سألني بعض الإخوة: أليست المعركة بيننا وبين اليهود من أجل الدين والعقيدة؟

قلت له: لا، نحن لا نقاتل اليهود من أجل أنهم يهود، هذا خطأ، اليهود عاشوا بيننا قرونًا متطاولة في ديار الإسلام، كان لهم ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة جماعة المسلمين، كانوا يملكون المال والثروات والجاه والقربى من ذوي السلطان.

هذا أمر معروف في التاريخ، حتّى إنّ أحد الفقهاء المشهورين «العلامة ابن عابدين» وهو أحد علماء الأحناف المتأخرين صاحب الفتاوي وصاحب الحاشية المعروفة، ذكر في حاشيته ما قاله بعض العلماء:

أحبابنا، نُوبُ الزمان كثيرة وأمرٌ منها رِفْعَةُ السفهاء!
فمتى يُفِيقُ الدَّهْرُ من سَكْرَاتِهِ وأرى اليهودَ بذِلَّةِ الْفُقَهَاءِ^(١)!

(١) ردُّ المحتار على الدرِّ المختار (٢٠٨/٤)، نشر دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

اليهود تعزّزوا والفقهاء ذلّوا!

وهذا دليل على اضطراب موازين المجتمع، ولكننا نستدلّ به على أنّ اليهود عاشوا في المجتمع الإسلامي يتمتّعون بجاهه وثرواته وأمواله وأمنه، حيث طردهم العالم كلّهُ، لفظهم العالم لفظ النواة، ولم يجدوا داراً يأوون إليها ويحتمون فيها ويجدون فيها الأمن والسّلام، كما وجدوها في دار الإسلام، أوطان الإسلام هي التي وسعتهم.

وحينما نشأنا وجدنا اليهود في مصر يملكون أعظم الشركات وأعظم المؤسسات.

مَن في مصر يجهل تلك المؤسسات التي لا تزال تحمل أسماءهم: كوريل، وأوريكو، وشيكوريل، وبنزايون، وصيدناوي، وسمعان، وداود عدس، وعمر أفندي^(١)، إلى آخر تلك الأسماء اليهوديّة التي ملكت تجارة البلد؟

تجارة البلد كانت في أيديهم ولم يمنعهم أحد من هذا.

فما الذي جرى بيننا وبين اليهود؟

الذي جرى بيننا وبين اليهود: أنّ اليهود أرادوا أن يأخذوا أرضنا ويجعلوا منها وطنًا قوميًا لهم!

وكان أمامهم متسع، عُرض عليهم أن يأخذوا أرضًا لهم في إفريقيا في أوغندا، في جنوب إفريقيا، أو في غيرها من البلدان في جنوب أمريكا.

(١) كان في الأصل ليهودي اسمه «روزدي باك».

وفي أوّل الأمر كانوا يفكّرون هكذا، كان كثير من حكمائهم ومفكرّهم يبحثون عن أرض لا نزاع عليها.

أمّا فلسطين فهي أرض عربيّة إسلاميّة فيها أهلها «أهل فلسطين»، وسيقاتلون عنها، وسيدافعون عنها.

ولكنّ الذي أصرّ على أن تكون «دولة إسرائيل» في أرض فلسطين هو «هرتزل»، هرتزل في مؤتمره القومي الذي عُقد منذ نحو مائة سنة - أي: في سنة ١٨٩٧م، نحن الآن في سنة ١٩٩٧م - منذ قرن عقد هذا الرجل الذي كان يخطّط ويرتّب ويهيئ الأسباب، ويزيل الأسباب، ويزيل العوائق، رتّب هذا وأصرّ على أن تكون الدولة المنشودة - دولة اليهود المرجوة - في أرض فلسطين، وقال لهم في ختام المؤتمر: الآن أقمنا الدولة اليهوديّة - أي: بعد أن خططنا لها وعزمنا على إقامتها، اعتبر أنّ الدولة قامت - وبعد خمسين سنة ستقوم في فلسطين!

وفعلًا قامت الدولة اليهوديّة في سنة ١٩٤٨م كما خطّط اليهود تمامًا. المعركة إذن بيننا وبين هؤلاء القوم ليست من أجل أنّهم يهود، وإلاّ كان الواجب علينا أن نقاتل جميع النصارى لأنّهم نصارى، وأن نقاتل جميع الوثنيين لأنّهم وثنيون.

المعركة بيننا وبينهم: أنّهم اغتصبوا الأرض، وعدّوا عليها، وانتهكوا الحرمات، وسفكوا الدماء، وأزهقوا الأرواح وخربوا ما خربوا، قاتلونا في ديارنا فوجب علينا أن نقاتل وندافع عن أنفسنا ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

اليهود في نظرنا - نحن المسلمين - أهل كتاب، وأهل الكتاب: اليهود والنصارى بصفة أساسية، أباح الله لنا أن نؤاكلهم - أي: نأكل من ذبائحهم - وأباح لنا أن نصاهرهم - نتزوج من نسائهم -: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥]، فأباح الله لنا أن نصاهرهم وأباح لنا أن نؤاكلهم.

ولكن الذي حدث أنّ هؤلاء القوم قلبوا لنا ظهر المجن، وغدروا بنا، وأصبحوا معتدين علينا.

اعتدوا علينا، وأخذوا الأرض أمام أعيننا.

لعلّ الجيل الجديد لم ير هذا، نحن شهدناه، شهدنا سقوط المدن الفلسطينية مدينة بعد مدينة: حيفا ويافا وعكا، تسقط هذه المدن، كلّ عدّة أيام تسقط مدينة نوّدها بالبكاء والحسرات والآهات.

أرض فلسطين لم يكن لليهود فيها شيء يُذكر.

نحن نعلم أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما صالح بطريق القدس «صفرنيوس»، الذي أصرّ على ألاّ يسلم مفاتيح المدينة إلّا لخليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وجاء عمر من المدينة إلى القدس وسلّمه الرجل بيده المفاتيح، وعقد معه المعاهدة المعروفة بالعهد العمرية، وفي هذه المعاهدة شرط أساسي، ألاّ يسكن فيها أحد من اليهود!

اشترطوا على عمر والمسلمين ألاّ يسكنهم فيها اليهود^(١).

وهكذا ظلّوا عدّة قرون لم يسكنوا في القدس.

(١) سبق تخريجه ص ١١٢.



ثمَّ بدؤوا يتسلَّلون بعد ذلك، وأعدُّوا العدة منذ التسلُّل إلى القدس وإلى فلسطينَ بصفةٍ عامَّة.

وقد صدر «فرمان» من الدولة العُثمانيَّة أيام السلطان عبد الحميد، هذا «الفرمان» يقول: «إنَّه لا يجوز لأيِّ يهودي لا يحمل التابعية العُثمانيَّة - الجنسيَّة العُثمانيَّة - أن يبقى في القدس إذا زارها أكثر من ثلاثين يومًا، وإلَّا وجب طرده بالقوة».

كانوا يدركون أنَّ لليهود مطامع في هذه البلاد، ممكن أن يذهب لغرض ديني ولكن لا يستقر في البلاد أكثر من شهر. هذا ما فعلته الدولة العُثمانيَّة.

المعركة إذن بيننا وبين هؤلاء هي أنَّهم مغتصبون معتدون، ووجب علينا أن نردَّ العدوان بمثله، ولا نسلِّم في أرضنا، لا يجوز التسليم في شبر من أرض الإسلام، ولا يملك أحد هذا، ومن فعل هذا فكلامه مردود عليه: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»^(١) فهو باطل مردود على صاحبه، لا يجوز لأحد أن يتنازل عن أرض الإسلام.

وكما قلت في محاضرتي منذ عدَّة أيام: يجوز لنا أن نهادن اليهود - نعقد معهم هدنة - تحت ضغط الظروف والضرورات والمصالح، كما عقد النَّبِيُّ ﷺ هدنة مع قريش، وكما عقد صلاح الدين هُدُنات مع أمراء الصليبيين.

أمَّا أن نسلِّم ونعترف بأنَّ الأرض التي اغتصبوها أصبحت ملكًا لهم، ونعترف بشرعيَّة اغتصابهم، فهذا ما لا يجوز.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلح (٢٦٩٧)، ومسلم في الأقضية (١٧١٨)، عن عائشة.

إننا يجب أن نقف جميعًا للذود عن حقنا، الأمة العربيّة والإسلاميّة جميعًا مسؤولة عن فلسطين وعن القدس.

حينما أحرق أسترالي منذ سنوات المسجد الأقصى وأصابه ما أصابه، هاج المسلمون وقامت الدنيا في ديار الإسلام ولم تقعد، ودعا الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ قادة المسلمين في أنحاء العالم إلى مؤتمر قمّة إسلامي، وهو أوّل مؤتمر قمّة إسلامي.

الذي جمع هذا المؤتمر: القدس، المسجد الأقصى، وانبثق عن ذلك ميلاد «منظمة المؤتمر الإسلامي».

واجب المسلمين نحو القدس:

الآن الأقصى يضيع، والقدس كلّها تضيع، فأين المسلمون؟
انعقدت قمّة - للأسف - هزيلة في باكستان، ونادى المنادون أن تنعقد قمّة عربيّة موسّعة ومكبّرة من أجل هذه القضية، ولكن «واشنطن» لا تريد للعرب أن يجتمعوا، ووقفت ضد هذا الأمر!

ولا أدري إلى متى تظلّ الولايات المتّحدة تدلّل إسرائيل وتعطيها وتعطيها على حساب العرب، وعلى حساب العدل، وعلى حساب الحقّ.
إنّ مائتين وخمسين مليونًا من العرب وألفًا وثلاثمائة مليونًا من المسلمين، أولى من رعاية هذه الملايين اليهوديّة.

صحيح أنّ اليهود أغنياء ويستطيعون أن يؤثروا في الانتخابات، ولكن من ينظر بميزان المصلحة القومية فأَي الفريقين أولى بأن يرَجَّح في الميزان؟

إنَّ الواجب على الأمة العربيَّة والإسلاميَّة أن تهبَّ من رقدتها، وتقف صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، من أجل الحفاظ على القدس عربيَّة إسلاميَّة، من أجل الحفاظ على المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى تُحفر تحته الحفريات ولا ندري إلى ما تنتهي هذه الحفريات.

أنا أخشى أن يأتي يوم - قد لا يكون بعيداً - ينهار فيه هذا المسجد، وقد يكون هذا اليوم معلوماً عند إسرائيل، ولكنها تدَّخره، تخبيئ هذا اليوم إلى وقت معين ترى فيه الأمر وقد أصبح ممكناً، في غفلة من المسلمين، أو في حال تفرُّق وتنازع بينهم، تفعل هذا الأمر وينهار هذا المسجد.

إذا لم توجد أمة تدافع عن هذا المسجد وتدافع عن هذه الأرض المباركة، يمكن أن يفعل اليهود كلَّ شيء.
ومن رعى غنماً في أرضٍ مسبعة ونام عنها تولَّى رَعِيَّهَا الأسد^(١)
لا بدَّ أن نغار على حرماننا.

إذا كان اليهود يعملون بوحى من توراتهم وتلمودهم، فلماذا لا نعمل بوحى من قرآننا وسنة نبينا؟

نحن أصحاب الدين الأقوى وأصحاب الحقِّ وأصحاب الأرض، وهم مغتصبون.

(١) من شعر أبي مسلم الخراساني. انظر: المحاسن والأضداد ص ٤٥، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

مزاعم يهودية:

هم يزعمون أنّ الله كتب لهم هذه الأرض في التوراة، وأنّه وعد إبراهيم أنّ هذه الأرض ستكون له ولنسله، ووعد ابنه إسحاق أنّ هذه الأرض ستكون له ولنسله، ووعد حفيده إسرائيل - أو يعقوب - أنّ هذه الأرض ستكون له ولنسله!

وقد مات إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولم يملكوا من هذه الأرض شبرًا واحدًا.

حينما ماتت «سارة» زوجة إبراهيم عليه السلام لم يجد لها قبرًا، فاشترى من أحد الرجال أرضًا - مغارة اسمها مغارة «المكفيلة» في المكان الذي يعرف الآن باسم الخليل - دفن فيها امرأته - ودُفن فيها بعد ذلك - والرجل أراد أن يتبرّع بهذه الأرض مكرمة منه لإبراهيم، ولكنه أصرّ على أن يدفع ثمنها.

لو كانت هذه الأرض له هل يشتري الإنسان ملكه؟
لا يشتري ملكه.

لم يملك إبراهيم منها شيئًا - كما وعده الله إنّ صدق هذا الوعد - ولم يملك إسحاق ابنه منها شيئًا، ويعقوب كما نعلم ذهب مع أولاده إلى مصر، وحينما ذهبوا إلى مصر ﴿وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩] دخلوا مصر وعاشوا فيها - كما قالوا - نحو أربعمئة وثلاثين سنة.

فإذا نظرنا إلى عمر إبراهيم الذي عاش نحو مائة وخمسة وسبعين سنة بعضها قبل أن يأتي إلى فلسطين، وإسحاق الذي عاش نحو مائة وثمانين سنة، ويعقوب الذي عاش نحو ذلك من السنين، يعني المجموع

حوالي «سبعمائة سنة» لم يملك أحد - لا إبراهيم ولا إسحاق ولا يعقوب ولا بنو إسرائيل - هذه الأرض التي زعموا أن الله وعدهم إياها!

فأين هذا الوعد؟

هل يكذب الله في وعده؟

﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨].

هل يخلف الله وعده؟

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩، الرعد، ٣١].

كل ما في الأمر أن الله أمر موسى أن يدخل هذه الأرض ببني إسرائيل، وأن الله كتب لهم دخولها، ولكنهم - للأسف - رغم أن موسى أخبرهم بأن الله كتب لهم أن يدخلوا هذه الأرض: ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: ٢٢].

هل هناك أهل بلد يخرجون من وطنهم مختارين ليدخلها الآخرون؟

هذا مستحيل، هكذا كان شرطهم ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٣، ٢٤] بهذه البجاجة: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾ ولذلك حرّم الله عليهم دخولها أربعين سنة يتيهون في الأرض؛ لينشأ جيل جديد ليدخل بعد ذلك.

لم يدخل موسى ولا هارون هذه الأرض، إنما دخلها فتاه وتلميذه «يوشع بن نون»، دخلها بعد ذلك، وعُمّر فيها قليلاً، وحصل ما حصل.

ثمَّ جاء بعد ذلك عهد داود وسليمان.

والمدة التي بقي فيها اليهود في أرض فلسطين أقلُّ من مائتي سنة! دولتهم التي يزعمون أنَّهم يملكون بها حقَّ هذه الأرض لم تمكث مائتي سنة!

وهذه الأرض من قديم كانت أرض العرب الكنعانيين، ومن بعد ذلك كانت أرض العرب المسلمين من عهد سيِّدنا عمر إلى اليوم (أكثر من أربعة عشر قرناً).

وتحقَّق وعد الله لإبراهيم: أَنَّ الأرض لك ولنسلك.

وهل إسماعيل ليس من نسله، وبنو إسماعيل أليسوا من نسله؟

ثمَّ هل المراد بالنسل المعنى العنصري الدموي أم المعنى الروحي؟

المعنى الروحي أهمُّ في مقام الثبوتات من معنى الدم واللحم، ولذلك الله تعالى قال لسيدنا نوح حينما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَبْنَىٰ﴾ ابنه الكافر ﴿مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴿هود: ٤٥، ٤٦﴾ تبرأ منه.

المسألة ليست مسألة الدم واللحم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لََّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨].

فنحن أولى الناس بهذه الأرض: من ناحية الحقِّ القديم فهي بلاد العرب، ومن ناحية الفتح الإسلامي فهي بلاد العرب المسلمين، وليس لليهود حقٌّ فيها، إنَّما الحقُّ حقُّ القوَّة، اليهود أخذوها بالسَّلاح، بالحديد والنَّار، بالعنف والدم، وهذا هو شأن اليهود إذا تمكَّنوا وقدرُوا لم يعفوا،



إذا قدرُوا فجروا، إذا تمكَّنُوا فعلُوا الأفاعيل، هذا تاريخهم، وهذا ما تقوله توراتهم: «إذا دخلت بلداً فأبِد أهلها بحدِّ السيف»^(١).

هكذا، هذا هو شأن اليهود الذين يزعمون أنَّ لهم حقاً في أرض فلسطين.

تطويع العقل المسيحي لخدمة اليهود:

والعجيب أنَّهم أقنعوا بذلك النَّصارى المسيحيين، وخصوصاً «البروتستانت» منهم.

حكى شيخنا الشَّيخ عبد المعز عبد الستار حفظه الله نقلاً عن مفتي فلسطين الأكبر الحاج أمين الحسيني أنَّه زار المندوب البريطاني في القدس، فقال له هذا المندوب: إنَّ والدتي تريد أن تسلم عليك وأن تكلمك. قال له: أهلاً بها.

فجاءت المرأة العجوز وقالت له: يا شيخ أمين.

قال: نعم.

قالت له: كيف تعارض إرادة الله؟

فقال لها: أنا أعارض إرادة الله؟ ومن أنا حتَّى أعارض إرادة الله؟ وهل يستطيع أحد أن يعارض إرادة الله؟

قالت له: أنت، أنت تعارض إرادة الله.

قال: كيف؟

(١) سفر التثنية (١٣/١٣، ١٤).

قالت له: أنت تعارض أن يملك اليهود فلسطين، وهذه أرض أعطاها الله لهم.

قال لها: يا سيدتي، كيف يعطيها الله لهم وهي أرضي وفيها بيتي؟ وإذا أخذها اليهود فأين أذهب أنا؟

قالت له: هذه إرادة الله فلا تقف ضد إرادة الله!

ودخلت المرأة، فقال لابنها: أمك امرأة طيبة، تتصور الأمور على غير حقيقتها.

فقال له: لا، هذا ما نؤمن به جميعاً نحن البروتستانت «أن اليهود لهم حق في فلسطين»!

وهذا ما رأيناه عند رؤساء أمريكا: كارتر كتب هذا في مذكراته بوضوح، وريغن، وكلينتون، وبوش، كلهم يؤمنون بهذا للأسف.

استطاع اليهود أن يطوّعوا العقل المسيحي ليكون في خدمتهم.

ومن عدّة سنوات استصدروا من الفاتيكان وثيقة بتبرئة اليهود من دم المسيح.

كان المسيحيون يتّهمون اليهود أنّهم وراء صلب المسيح كما يعتقدونه، فما زال اليهود يكيدون ويمكرون حتى استصدروا هذه الوثيقة التي تبرئهم من هذا الأمر.

مصادرنا لمعرفة اليهود:

إنّ لليهود مكرًا، وإنّ لليهود كيدًا، ولا بدّ أن نعرف كيد هؤلاء.

المشكلة أننا حتّى اليوم لا نعرف اليهود حقّ المعرفة، مع أن مصادر المعرفة باليهود ميسورة لنا ومتوافرة أمامنا.

١ - القرآن:

أول هذه المصادر التي تعرّفنا بحقيقة اليهود وطبيعتهم: القرآن الكريم. القرآن مليء بالحديث عن بني إسرائيل، حتّى قال بعض المفسرين: كاد القرآن أن يكون لموسى وبني إسرائيل^(١)!

لماذا توسّع القرآن في الحديث عن بني إسرائيل وعن صفاتهم؟

لماذا حدّثنا عن قسوتهم وقال: ﴿فِيمَا نَقَضُوا مِيثَقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]؟

لنعلم مع من نتعامل نحن.

رأينا هذه القسوة - ورأينا هذا العنف - في المجازر البشريّة التي صنعها اليهود من قبل ومن بعد، رأيناها في دير ياسين، ورأيناها في صبرا وشاتيلا، ورأيناها في بحر البقر، ورأيناها في قانا، ورأيناها في المسجد الإبراهيمي، ورأيناها في نفق المسجد الأقصى، ورأيناها ورأيناها.

هذه هي القسوة التي عبّر عنها مناحم بيغن في كتابه المعروف «التمرد» الذي يقول فيه: أنا أحارب إذن أنا موجود! الذي يدلّ على وجودي ليس هو الفكر، وليس هو العمل، وليس هو الإيمان، إنّما هي الحرب!

(١) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي (١٩٩/١)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

واليهود عامّة يعجبون بأشعياء ونبوّات أشعياء في أسفار العهد القديم، ويسمّونه: النّبي المحارب.

القرآن تحدّث عن قسوة بني إسرائيل، تحدّث عن غدرهم، وأنّهم لا يوفون بعهد، ولا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، لا وفاء لهم، الغدر من طبيعتهم، الوقاحة والتبجّح من طبيعتهم، حتّى على أنبيائهم، حتّى على الله تعالى قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤].

حدّثنا القرآن عن طبائع اليهود؛ لنعرف هؤلاء حينما تقع المعركة بيننا وبينهم.

الله هيّا أنفسنا وهيّا عقولنا لنعرف حقيقة اليهود، فنبنّي على ذلك كيف نتعامل مع هؤلاء القوم.

٢ - التوراة والتلمود:

القرآن هو المصدر الأوّل لنعرف منه الطبيعة النّفسية لليهود، ثمّ من ناحية أخرى هناك كتبهم المقدّسة: التوراة، والتلمود.

من رجع إلى هذه الكتب عرف طبيعة بني إسرائيل.

كتب الأستاذ «عزّة دروزة» رَحِمَهُ اللهُ كتابًا من عدّة أجزاء اسمه: «تاريخ بني إسرائيل»، اعتمد على أسفارهم المقدّسة، وعرف منها تاريخ هؤلاء.

يجب أن ندرس هذه الكتب ونعرف منها من هم هؤلاء القوم؟ وما هي توجّهاتهم؟ وما هي أحلامهم؟



لا بدّ، هذا مصدر متاح أمامنا.

وهناك دراسات كثيرة عن التوراة، وعن اليهود في التوراة، وعن حجّة التعاليم التلمودية، وأنّهم يعتبرون النّاس جميعاً أحطّ من البهائم وأذلّ من الكلاب، وأنّهم وحدهم شعب الله المختار، وكما قال القرآن عنهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقَنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِ سَكِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] لا حرج علينا في هؤلاء الأميين العرب.

كانوا يسمّونهم الأميين، وكلّ النّاس - الغويين - كما يسمّونهم، وكلّ الشعوب يجب أن تكون في خدمتهم.

وفي التوراة قالوا - أيضاً - : إنّ لليهودي لا تُقرض برّاً، ولغير اليهودي تقرض برّاً^(١)!

تعاملوا بمعياريين مختلفين.

نحن عندنا الحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع.

هذا ما تقوله كتبهم المقدّسة.

٣ - التاريخ:

هناك - أيضاً - مصدر مهمّ وهو: التاريخ.

يجب أن نعود إلى التاريخ؛ فهو مخزن العبر: ماذا صنع اليهود في التاريخ؟ ماذا حدث؟ كيف أفسدوا في الأرض أكثر من مرّة؟ وكيف عاقبهم الله تعالى؟

(١) سفر التثنية (٢٣/١٩، ٢٠).

لا بدّ أن نعرف تاريخهم معنا، مع رسول الله ﷺ في غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة وخيبر، وكيف نقضوا العهود؟

الرسول ﷺ منذ هاجر أقام معهم اتفاقية، وجعل لهم حقوقهم، واعتبرهم مواطنين في الدولة الإسلامية، ولكنهم لم يراعوا عهده، ونقضوا المواثيق بينهم وبين الرسول ﷺ وتآمروا مع المشركين وقالوا: ﴿هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥١].

الوثنيون أهدى من أهل التوحيد!

أهل كتاب يقفون مع الوثنيين!

وفعلوا وفعلوا.

التاريخ مصدر من المصادر.

٤ - كتابات اليهود عن أنفسهم:

ثمّ من ناحية أخرى، هناك ما يكتبه اليهود المعاصرون عن أنفسهم.

هناك يهود معاصرون كتبوا عن اليهود وعن الشخصية اليهودية وعن النفسية اليهودية وعن الأفكار اليهودية، وأنّ عندهم أقانيم ثلاثة: الشعب والأرض والله أو الإله.

هذه أقانيم ثلاثة تتكوّن منها أيديولوجيتهم، وهكذا قال «موشي ديّان»: إنّهُ إذا اجتمعت التوراة وشعب التوراة فلا بدّ أن يكون معهم أرض التوراة «وهي أرض فلسطين»^(١)!

(١) الأيديولوجية الصهيونية لعبد الوهاب المسيري (١٩٠/١، ١٩١)، نشر عالم المعرفة، ديسمبر

وهذا ما يؤمن به هؤلاء، وقد كتبوا أشياء كثيرة في هذه الناحية.
وقال قائلهم: إِنَّ أعظم مُعَلِّق ومُفَسِّر للتوراة هو الجيش، القوَّة
العسكريَّة.

ولذلك أعظم من يحكم إسرائيل: المؤسَّسة العسكريَّة.
وسعوا إلى هذه الترسانة النووية ليخيفونا بها - نحن العرب ونحن
المسلمين، لكن ماذا يفعلون بالترسانة النووية؟
إِنَّ أوَّل من تصيب: تصيبهم هم أنفسهم.

٥ - كتابات المنصفين عن اليهود:

هناك - أيضًا - ما يكتبه النَّاس عنهم، لا أقصد كتابات العرب
والمسلمين، فربَّما يقال: هذه كتابة خصم عن خصمه وعدوٍّ عن عدوه،
ولكن ما يكتبه الغربيون أنفسهم.

الغربيون هم الَّذِينَ صنعوا إسرائيل، هم الَّذِينَ وعدوا بإقامة الوطن القومي،
هم الَّذِينَ هيَّؤوا لهم الأسباب أيام الانتداب، هم الَّذِينَ اعترفوا بإسرائيل منذ
اللحظة الأولى منذ ولادتها، هم الَّذِينَ أمدُّوها بالمليارات وأمدُّوها بالسَّلاح
والقوَّة وأمدُّوها بالعناصر البشريَّة، ولا يزالون يمدُّونها إلى اليوم.

هؤلاء الغربيون منهم من يكتب عن إسرائيل، هناك من يكتب
بإنصاف، وهناك من يكتب بتحيز.

ومن هؤلاء الَّذِينَ يكتبون بإنصاف المفكر الفرنسي الكبير: روجيه
- أو رجاء - جارودي، في أكثر من كتاب: «فلسطين أرض الرسالات
الإلهيَّة» «أحلام الصهيونيَّة وأضاليلها» الَّذي نشر في الثمانينيات.

وكتابه الأخير الذي هَيَّج عليه اليهود في العالم وحاكموه وحكموا عليه بسنة سجن، ولا زالت القضية معروضة كتاب «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل»!

لماذا هزمنا اليهود؟

أمامنا إذن أن نعرف مع مَنْ نتعامل؟

اليهود يعملون، ويعملون بجِدٍّ، ونحن متقاعدون متقاعدون.

لماذا انتصر اليهود علينا، ولماذا انهزمنا أمامهم؟

لسنا أقلَّ عددًا، نحن كثيرون، ولكن كثرة كغثاء السيل كما قال النَّبِيُّ ﷺ^(١).

اليهود يخطِّطون ونحن نرتجل، لليهود مشيخة أو حكماء خطَّطوا لهم منذ مائة سنة، ونحن لا مشيخة لنا ولا حكماء، ولا قادة فكريين يخطِّطون لهذه الأمة، ولا بدَّ أن ينتصر التخطيط على الارتجال.

اليهود يعلمون ماذا يفعلون، عندهم سياسة المراحل، أو دبلوماسية المراحل، يمكن أن يقبلوا اليوم بنوع من الصلح مع العرب، وليس معنى هذا أنَّهم تنازلوا عن إسرائيل الكبرى؛ لأنَّ هذا أمر أساسي عندهم: إسرائيل من الفرات إلى النيل، وكما قلت: ومن الأرز إلى النخيل (من الأرز في لبنان إلى النخيل في المدينة وخيبر)!

هذا حلم أساسي عندهم لا يتنازلون عنه، ولكن يمكن أن يقبلوا في هذه المرحلة السكوت عن هذه القضية، ثم تأتي مرحلة أخرى.

(١) إشارة إلى حديث: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها». وقد سبق

القوم يخطّطون، حدّدوا هدفًا، وحدّدوا له وسائل، ووضعوا له خططًا، وهيّاوا له مراحل، وهم ينتقلون من مرحلة إلى مرحلة. ماذا خططنا نحن؟ وماذا أعددنا؟ نقابل هذا كلّه بارتجال.

ثمّ هم يتجمّعون على هدف ونحن متفرّقون، نحن أمّة كبيرة، العرب أكثر من مائتين وخمسين مليونًا، والمسلمون أكثر من مليار وربع المليار (حوالي ١٣٠٠ مليون في العالم)، ولكن ما قيمة العدد؟ ما قيمة الكمّ بلا كيف؟ كمّ ممزّق متفرّق يعادي بعضه بعضًا، ويجافي بعضه بعضًا، بل يقاتل بعضه بعضًا.

بين البلاد العربيّة والإسلاميّة مشاكل حدود ونزاعات على قضايا جزئية. ينبغي أن تعرف الأمّة أنّها مهدّدة في كيائها ووجودها. حرب الخليج التي دبّرها الغرب - ووراءه إسرائيل - مزّقت العرب، ولا يزالون ممزّقين إلى اليوم.

ولا ينبغي أن تحكّمنّا عقدة حرب الخليج إلى الأبد، لا بدّ أن نتخلّص من هذه العقدة، وأن يقترب النّاس بعضهم من بعض، وأن يقفوا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنِينَ مَرْصُوصٌ﴾ [الصّف: ٤].

القضيّة أخطر من أن نتفرّق ونتمزّق أمامها.

الله تعالى وصف اليهود جميعًا بقوله: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

هذا الوصف أصبح ينطبق علينا أكثر مما ينطبق عليهم الآن، هم عندهم اختلافات في إسرائيل وأنواع من الناس وجنسيات متباينة، وأهل الشرق وأهل الغرب، وأهل الشمال وأهل الجنوب، وأهل الفلاشا، ولكن وضعوا لذلك صيغة «الديمقراطية»: الأغلبية تحكم، استطاعوا أن يصلوا إلى صيغة سياسية يجتمعون عليها، ولم نستطع نحن في بلادنا أن نصل إلى صيغة نجتمع عليها.

هم اجتمعوا ونحن تفرقنا، ولا يمكن أن ينتصر المتفرقون على المجتمعين.

هم يبدلون ونحن لا نبذل، اليهودي أبخل الناس بماله وأحرص الناس على حياة، ومع هذا بذلوا المال وبذلوا الحياة! يجب أن نكون صرحاء ونعترف بهذا.

اليهود بذلوا الملايين حينما أرادوا أن يقيموا الدولة، كانوا يجمعون من يهود العالم ملايين في ساعة واحدة. ماذا بذل أغنياؤنا وأثريائونا؟

لم يبدلوا إلا القليل ممن رحم ربك.

اليهود الذين نصّفهم بالجبن تقدّموا وأقدموا ولم يُحجموا، وانتصروا علينا في أكثر من حرب جنّد فيها الرجال والنساء، وحينما هُزمنا سنة (١٩٦٧م) كانت تحكمهم امرأة «جولدا مائير».

اليهود يبدلون ونحن لا نبذل، اليهود يعملون ونحن لا نعمل.

اليهود يعرفون أن عليهم إقامة دولة في جزيرة من بحر الكراهية، فهم يعملون ليل نهار.

أين نحن وأين عملنا؟

لا بدّ أن نكون على المستوى المطلوب منّا.

اليهود جنّدوا مَنْ جنّدوا على أساس الدين والعقيدة، يعلمون أنّ الدين ضرورة في هذه المعركة، حتّى العلمانيون اللادينيون منهم «بن جوريون» و«ليفي اشكول» هؤلاء علمانيون لا يؤمنون بالدين، ولكن يؤمنون بأهمية الدين في المعركة، فجنّدوا من جنّدوا على أسس دينيّة، جمعوا اليهود من العالم على هذا الأساس وحمّسوهم وغدّوهم بهذا المعنى.

ولكن نحن لم نفعل ذلك.

أيام مؤتمر «مدريد» قال رئيس وزراء إسرائيل ليلة السبت: يجب أن نوقف المفاوضات؛ لأنّ غدًا يوم السبت.

فقالوا له: نحن عندنا اليوم يوم الجمعة، ومع هذا ظللنا نفاوض ولم نوقف المفاوضات!

قال لهم: ولكن يوم السبت عندنا يوم مقدّس!

فكيف ينتصر من لا يُعظّم يوم الجمعة على من يُعظّم يوم السبت؟! دخلوا المعركة ومعهم التوراة، ولم ندخلها ومعنا القرآن.

قالوا: الهيكل، ولم نقل: المسجد الأقصى.

قالوا: اليهوديّة، ولم نقل: الإسلام.

قالوا: التلمود، ولم نقل: السُنّة النبويّة.

هتفوا باسم موسى، ولم نهتف باسم محمّد.

قالوا: بروتوكولات حكماء صهيون، ولم نقل: قال سلفنا الصالح.

عظّموا السبت، ولم نعظم الجمعة.

لا بدّ أن نتسلّح بالدين، الدين هو أساس في معركتنا مع قوم لم يجمعهم شيء إلا الدين.

اليهود اجتمعوا من أوطان شتّى ومن جنسيات شتّى، ولكن الذي جمعهم هو أحلام التوراة وتعاليم التلمود.

فيجب أن تحكمنا تعاليم القرآن وأحكام الإسلام وبيانات السنّة النبويّة. هذا إذا أردنا أن نتصر في معركتنا.

الإسلام حرب على العنصريّة:

هذه المعركة معركة كبيرة، ليست ضدّ الساميّة كما يقول اليهود، كلّ مَنْ تكلم قالوا: هذا ضد الساميّة!

نحن ساميّون، العرب أمّة ساميّة.

هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى نحن ضد أي نزعة عنصريّة، النزعة العنصريّة مرفوضة عندنا، تقسيم النّاس على أساس العروق والعناصر هذا مرفوض إسلاميّاً، النّاس سواسية كأسنان المشط ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿[الحجرات: ١٣].

أسقط الإسلام العنصريّة واللونيّة: هذا أبيض وهذا أسود، وهذا عربي وهذا عجمي.

الإسلام يرفض هذا، ويتعامل مع النّاس على أساس إيمانهم وعملهم، أو بالتعبير القرآني «التقوى»: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ليس كلُّ يهودي إسرائيليًّا:

نحن لا نعادي اليهود من أجل الساميّة؛ لأننا ساميُّون، ولأنَّ الإسلام يرفض العنصريّة، ونحن جميعًا ننسب إلى إبراهيم عليه السلام، نحن بنو إسماعيل وهم بنو إسرائيل، إنَّ صحَّ أنَّهم بنو إسرائيل، فمَن من اليهود يُعتبر حقيقة من بني إسرائيل؟

هناك من كتبوا من الغربيين، وأثبتوا أنَّ اثنين وتسعين بالمائة (٩٢٪) من اليهود في العالم ليسوا من بني إسرائيل، ولم يملك أجدادهم شبرًا من فلسطين، بل لم يدخلوا أرض فلسطين يومًا من الدهر!

وهذا صحيح؛ لأنَّ اليهوديّة دين يدخله من شاء من النَّاس، دخله من اليمن ودخله من المغاربة ودخله من أوربا، وكان هناك مملكة في وسط آسيا اسمها مملكة «الخزر» كانت لليهود، واستمرَّت عدّة مئات من السنين، ثمَّ زالت في القرن الرابع عشر للميلاد، وانتهت من الوجود، وتفرَّق أهلها في البلدان.

هؤلاء يكوّنون - كما قال هذا الباحث الغربي - اثنين وتسعين بالمائة (٩٢٪) من يهود العالم.

فليس كلُّ اليهود إسرائيليين كما يزعمون، وهذا منطقي؛ فاليهوديّة دين يدخل فيه النَّاس من كلِّ نسب، ومن كلِّ عنصر ك: الإسلام والمسيحيّة.

المعركة بيننا وبين اليهود هي معركة الأرض التي اغتصبوها، وشرّدوا أهلها، وسفكوا الدماء بغير حقٍّ، ولا يزال هؤلاء المشرّدون أصحاب الحقِّ في العودة إلى ديارهم.

لا بدّ أن يعود كلُّ إلى دياره.

كنا بالأمس مع أحد الإخوة الذين زارونا في قطر، وهو الأخ حمزة

منصور النائب الأردني، وسأله سائل: إذا لم تقبلوا الإسرائيليين ولم تقبلوا دولة إسرائيل فأين يذهب هؤلاء اليهود الذين في إسرائيل؟ قال: كلُّ واحد يرجع إلى بلده، إلى البلدة التي جاء منها، أنا أذهب إلى بلدتي التي في فلسطين، وشامير يذهب إلى بولندا، وفلان يذهب إلى روسيا، وفلان يذهب إلى كذا، كلُّ واحد يرجع إلى بلده، هذا هو المنطق.

أمّا أن تأتي من شرق أوروبا ومن غيرها وتحتلّ بلد غيرك بالقوة، وتدّعي أنّك صاحب الحقّ، فهذا لا يجوز.

نحن نعتقد أنّ الصهاينة قوم معتدون، اعتدوا علينا في حالة ضعف وعجز منّا، فأخذوا أرضنا بالقوة ومزّقوا الأرض العربيّة، وجعلوا بينها فاصلاً أو شوكة دامية في جنب هذه الأمّة، وما أخذ بالقوة لا يستردُّ إلّا بالقوة.

مفاوضات السّلام المزعومة هذه لن تؤدي إلى نتيجة لا مع «الليكود» ولا مع «العمل»، كلاهما سواء.

الذي وافق على الاستيطان في القدس قبل «نتنياهو» هو «بيريز» نفسه، بيريز وافق على عشر مستوطنات قبل ذلك.

الجميع سواء في هذه القضية.

ولذلك نحن مستمسكون بحقّنا لا نتنازل عنه أبداً، مهما يصبنا ما يصيبنا.

كلُّ ما في الأمر أنّنا في حاجة إلى أن نوحّد قوانا، وأن نجمّع جهودنا، ويوم تتوحّد هذه الجهود نستطيع أن نفعل الكثير.



إسرائيل وراء كل فتنة:

اليهود يخافون من مجرد التجمُّع، من مجرد قَمَّة، القمَّة التي عُقدت في القاهرة فزعوا منها، ويفزعون الآن من الدعوة إلى قَمَّة جديدة. ولذلك يحاولون تمزيق هذه الأمة ويرمون لكل فتنة بالوقود.

إذا رأيت فتنة في بلد فاعلم أنَّ إسرائيل وراءها، وأنَّ الصهيونية وراءها، ما يجري في السودان الآن وراءه إسرائيل، ووراءه أمريكا، تريد أن تلغي الحكم الإسلامي، وأن تعطل هذه الإرادة القوية التي قالت: لا لمحاولات التسوية والسَّلام الهشَّ المزعوم.

إسرائيل تريد أن تلعب لعبتها، وأن تسيطر على منابع النيل في الحبشة وفي منطقة البحيرات الكبرى، وأن تطلَّ على البحر الأحمر، ولذلك حرَّكت إريتريا وأفورقي وأتباعه.

هذا ما نراه.

نحن يجب أن نتنبَّه لهذه المكاييد والمؤامرات، وأن نعيها، وأن نقف لها بالمرصاد، وأن ندعو أمتنا أن تتناسى خلافاتها ونزاعاتها الجزئية والجانبية، وتقف جبهة واحدة.

آن لهذه الأمة أن تعلم أنَّه لا ينجيها من الغرق إلاَّ الاتحاد والتعاون: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، و«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ١١٨.



أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَهَيِّئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، وَأَنْ يَنِيرَ بَصَائِرَنَا،
وَأَنْ يَضِيءَ الطَّرِيقَ أَمَامَنَا؛ حَتَّى نَرَى أَهْدَافَنَا وَوَسَائِلَنَا بوضوح. إِنَّهُ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

* * *





الخطبة الثانية

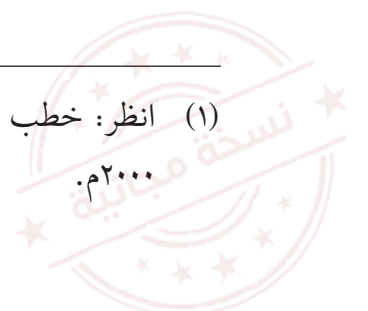
أمّا بعد، أيها الإخوة المسلمون:

كنت أريد - أيُّها الإخوة - أن أعلّق على ما جاء في برنامج «قضايا وآراء» الذي لم يستمع إلى نصيحتي بإغلاق ملف «فوائد البنوك»، وقد ارتكب أخطاء قبيحة جدًّا في الحقيقة، ولكنّي أدّخر هذا التعليق إلى الجمعة القادمة - إن شاء الله، إذا هيّا الله لنا أن نحيا^(١).

أسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدًا.

* * *

(١) انظر: خطب الشيخ القرضاوي (٣/٩٤ - ١٠٨)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ -





دروس من انتفاضة الأقصى^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زالت الأحداث تتوالى، وهي أحداث توحى بأنَّ هذه الأمة إلى خير، وهي على خير إلى يوم القيامة.

لا زالت انتفاضة القدس الشريف - انتفاضة الأقصى - حيّة تتفاعل ويتجاوب معها المؤمنون في كلِّ مكان، لا زالت كلُّ يوم تصدر إلينا الشهداء والجرحى.

لا زالت هذه الانتفاضة توحى لنا بدروس لا بدَّ أن نستفيد منها، وتلقننا دروسًا حيّة على هذه الأمة أن تعيها:

الشعب الفلسطيني لم يمت:

الدرس الأول: أنَّ الشعب الفلسطيني لم يمت، الشعب الفلسطيني لا زال يقدّم التضحيات تلو التضحيات، منذ الانتداب البريطاني الذي

(١) اندلعت هذه الانتفاضة في أعقاب قيام رئيس وزراء العدو السفاح «إرييل شارون» مع زمرة من حزبه بتدنيس المسجد الأقصى وساحته، وذلك في ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٠م.



زرع اليهود زرعًا وغرسهم غرسًا، وتولّاهم برعايته وتسميده، إلى أن أصبحوا دولة.

منذ ذلك اليوم وهذا الشعب يضحى ويبدل من أرواحه، ومن أبنائه، ومن شيوخه، ومن شبابه، حتّى هذه الانتفاضة الثانية.

لقد جرّبنا الانتفاضة الأولى: انتفاضة غزّة، التي بدأت من غزّة، وكانوا يسمّونها «ثورة المساجد»، التي كانت المساجد منطلقاتها، وكانت المصاحف راياتها، وكان شعارها «لا إله إلاّ الله والله أكبر»، وكان نشيد أبنائها:

خبر خبير يا يهود جيش محمّد سوف يعود

هذه الانتفاضة التي أجهضوها، والتي أذهلت العالم، قد بدأت مرّة أخرى هي: «انتفاضة الأقصى» هذه المرة، هي الغضب من أجل المقدّسات، الغضب من أجل المسجد الذي بارك الله حوله، من أجل المسجد الذي صلّى إليه المسلمون قبل الهجرة ثلاث سنوات، وصلّوا إليه بعد الهجرة ستة عشر شهرًا، فهو أوّل قبلة للمسلمين، وهو منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج.

هذه الانتفاضة كانت غضبًا لهذا المسجد أن يدنّسه أمثال شارون، كانت غضبًا لهذه المقدّسات أن يدنّسها قتلة الأنبياء.

هذه الانتفاضة نحيّي أبنائها، مرحى مرحى يا أبناء فلسطين، يا شباب فلسطين، يا أطفال فلسطين، هؤلاء الصغار الذين أصبحوا بصمودهم وتضحياتهم كبارًا، هؤلاء الأشبال الذين أضحوا أسودًا، هؤلاء التلاميذ الذين أمسوا معلّمين.



رحم الله الشهداء الذين قَدَّمهم أبناء فلسطين، وشفى الله الجرحى الذين قَدَّمهم أبناء فلسطين، وحيّا الله شرطة فلسطين الذين التحموا مع أبناء شعبهم وأطلقوا الرصاص على الأعداء، وهذا هو الذي ينبغي.

إنَّ شعب فلسطين قد أصبح كتلة واحدة اليوم، أصبح الشعب كله جبهة وصفًا كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضًا، وهكذا يجب أن يظلَّ هذا الشعب وأن تظلَّ هذه الانتفاضة.

ونحذّر من إجهاض هذه الانتفاضة الباسلة، التي لا تبالي ما أصابها في سبيل الله:

ولستُ أبالي حينَ أُقْتلُ مُسْلِمًا على أيِّ جنبٍ كان في الله مَصْرَعِي^(١)
هذا هو الدرس الأول.

اليهود دمويون لا عهد لهم:

الدرس الثاني: أنَّ هذه الانتفاضة تدلُّنا على أنَّ هؤلاء اليهود الذين وثق بهم من وثق، ووضع يده في يدهم من وضع، الذي سار وراءهم السائرون وأحسنوا بهم الظنَّ، هؤلاء اليهود لا عهد لهم ولا ذمّة.

دلّتنا هذه الأحداث على دناءة اليهود، ونذالة اليهود، وخسّة اليهود، وغدر اليهود، وقسوة اليهود، وعدوانيّة اليهود.

وهذا درس تعلّمناه من قديم، من القرآن الكريم نفسه، ومن أحداث التاريخ، ومن أحداث الواقع الذي نعيشه.

(١) قاله خبيب بن عدي، وهو يُقدم للقتل، وقد سبق تخريجه ص ٨٧.

ولكن هذه الانتفاضة أَكَّدَتْ لَنَا هذا، زادتنا يقينًا بأنَّ هؤلاء قوم كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ﴾ [الأنفال: ٥٦].

وَأَنَّ هؤلاء هم القساة الَّذِينَ وصفهم الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

وَأَنَّ هؤلاء هم العدوانيون الَّذِينَ لا يبالون بقتل الأطفال البراء، وبقتل الشيوخ الَّذِينَ لا حول لهم ولا طَوْل.

إنهم يهود لا يتورَّعون عن شيء، ولا يستنكفون عن شيء، قديمًا قتلوا أنبياءهم: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة: ٧٠]، بل تطاولوا على الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ [المائدة: ٦٤]، و﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]!

الَّذِينَ تطاولوا على الله ورسله لا يستبعد أن يتطاولوا على شعب فلسطين وأبناء فلسطين.

وقديمًا قال مناحم بيغن: «أنا أحارب إذن أنا موجود»!

يدلل على وجودهم بالحرب والسَّلاح.

وقد ردَّ عليه الشيخ أحمد ياسين فقال: «وأنا أقاوم إذن أنا موجود».

الوجود الفلسطيني إنما يتحقَّق بالمقاومة، وباستمرار المقاومة.

هذا هو الدرس الثاني أيُّها الإخوة.

تأييد الغرب المطلق لإسرائيل:

الدرس الثالث: أَنَّ هذه الانتفاضة تعلَّمنا أَنَّ الَّذِي زرع اليهود في فلسطين - ولم يكن لهم وجود يُذكر قبل الانتداب البريطاني وقبل وعد بلفور - هم الغربيون.



بريطانيا هي التي غرست هذا الغرس لمدة ثلاثين عامًا أيام الانتداب، ثم أعلنت الدولة الصهيونية المغتصبة الظالمة التي أقامت كيائها على الدماء، على الاغتصاب، على المجازر البشيرة.

هذه الدولة اعترف بها الغرب من أول يوم، اعترفت بها أمريكا من الدقيقة الأولى، من الثواني الأولى، وقال الغرب جميعًا - حتى روسيا نفسها - : إن إسرائيل خلقت لتبقى.

هذا الغرب لا زال يدعم إلى اليوم إسرائيل، وخصوصًا الولايات المتحدة الأمريكية، التي تقف مع إسرائيل بالحق وبالباطل، بالصواب وبالخطأ، بالظلم وبالعدل، تدعمها دعمًا لا حدود له وتحميها، تحميها ماديًا وتحميها عسكريًا وتحميها سياسيًا.

ولولا التأييد الأمريكي المطلق الذي لا حدود له، ولولا المال الأمريكي بالمليارات، ولولا السلاح الأمريكي بلا شروط، ولولا الفيتو الأمريكي بغير تحفظ، ما استطاعت إسرائيل أن تصول وتجول وتعربد في المنطقة، لا يردّها رادّ، ولا يصدّها صادّ، ما استطاعت إسرائيل أن تنشئ لها ترسانة نووية ولا يلومها أحد، ولا يجبرها أحد أن تدخل اتفاقية حظر الأسلحة النووية، يطالب العالم كلّ بالتوقيع على هذه الاتفاقية إلا إسرائيل!

هي الطفل المدلل لأمريكا، أمريكا تحميها من كلّ شيء، إنها تحمي الإرهاب.

إسرائيل هي الإرهابي الأكبر في العالم الذي قام كيانه من أول يوم على الإرهاب، على الدم، على الاغتصاب، على العدوان.

في حين أمريكا ترى مثلي «إرهابيًا» لا يجوز له أن يدخل أمريكا!

أنا ممنوع من الدخول إلى أمريكا لماذا؟

لأنني إرهابي وأنصر الإرهابيين!

لأنني أنصر أبناء فلسطين، أنصر أبناء الجهاد، وأبناء حماس، وأبناء حزب الله، أنصر الذين يدافعون عن أوطانهم بالدفاع المشروع!

أصبحت إرهابيًا في نظر الأمريكان، وأصبحت ممنوعًا من الدخول إلى أمريكا!

أمريكا أصبحت عدوًا للعرب والمسلمين منذ أصبحت هي المؤيد المطلق والمساند المطلق والداعم المطلق للكيان الصهيوني.
هذا درس ثالث، أيها الإخوة.

أمتنا لا تزال بخير:

ودرس رابع: هو أن أمتنا العربية والإسلامية لا تزال بخير.

في أول الأمر كان هناك نوع من البرود في التجاوب مع هذه الأحداث، ولكن سرعان ما تحرّكت الأمة بعد همود، واستيقظت بعد رقود، وانبعثت بعد جمود، وقامت المسيرات في كل مكان.

حيّا الله الشّباب الذين انطلقوا من الجامعات في مصر وفي سوريا وفي الأردن وفي غيرها من البلاد، في عُمان وفي (أبو ظبي) وفي قطر.

حيّا الله هؤلاء، وحيّا الله شباب الجامعة الأمريكية في القاهرة الذين يتلقّون تعليمًا غربيًا بل تعليمًا أمريكيًا، ولكنهم مع هذا ثاروا على الظلم

الأمريكي، وثاروا على التحيز الأمريكي، وثاروا على الدعم الأمريكي المستمر لإسرائيل.

نحيي هذه الشعوب التي تجاوزت مع هذه الانتفاضة المباركة. واليوم هو موعد لانتفاضة كبرى في العالم الإسلامي كلّها، تنطلق من مساجد الأمة الإسلامية المسيرات والهتافات.

اليوم هو يوم الغضب الإسلامي والغضب العربي على الاعتداءات المتكررة، على هذه الحرب غير المتكافئة.

إسرائيل أعلنت الحرب على الفلسطينيين، حرب بين مَنْ وَمَنْ؟ بين اللحم والسكين!

حرب بين الصدور العارية والدبابات الثقيلة والمروحيات والصواريخ! يحاربون شعباً أعزل، شعباً جرّده من أسلحته، ثمّ استخدموا هذه التقنيات العالية وهذه الأسلحة المتطورة ضد هذا الشعب الذي لا يملك سوى العصي.

لنعرف عدوّنا:

الدرس الخامس - إذن هو أن نعرف: مَنْ عدوّنا؟ وَمَنْ مع عدوّنا؟ أن نعرف أن أمريكا أصبحت هي إسرائيل الثانية، وأنّ الأمريكان قد اتخذوا موقفاً عدائياً ضد العرب والمسلمين. وهذا درس يجب ألا ننساه.

الفجوة بين الشعوب والقادة:

وهناك درس سادس - أيُّها الإخوة، هذا الدرس هو: أن هناك فجوة بين الشعوب العربيّة والإسلاميّة وبين القادة الذين يملكون أزمة الأمور. للأسف لا نجد تجاوب القادة والزعماء والسياسيين بالقدر الكافي مع صحوة هذه الشعوب.

هذه الشعوب في واد وحكّامها في واد آخر، هذا ما يؤسفنا. تصوّروا أن قادة العرب إلى اليوم لم يستطيعوا أن يعقدوا قمة عاجلة لهذا الأمر.

ما بالكم أيُّها القادة العرب وأيُّها الحكّام العرب؟ ما بالكم بادرتم وسارعتم إلى اللقاء في شرم الشيخ حينما زُلزلت الأرض تحت أقدام إسرائيل نتيجة العمليات الفدائية والاستشهاديّة؟! فما كان من هؤلاء إلّا أن دعوا لمؤتمر قمة، وفي أيام اجتمع هؤلاء! لماذا؟

ليدينوا الإرهاب! ما هو الإرهاب؟ الذين يدافعون عن أوطانهم، الذين يصرخون من أعماقهم، الذين يذودون عن حياضهم وحرّماتهم، هؤلاء إرهابيون! اجتمع هذا المؤتمر بسرعة، لماذا لا يجتمع اليوم القادة العرب والقادة المسلمون؟

إنّهم لا يجتمعون؛ لأنّ أمريكا لا تريد لهم أن يجتمعوا!

أمريكا ترفض أن يجتمع العرب في قمة على شيء من هذا!
ونحن طوع أمريكا!

نحن قوم مؤدّبون لا ينبغي لنا أن نخالف أسيادنا!

الأمريكان أصبحوا سادتنا، أصبحوا متحكّمين في رقابنا وفي مصيرنا، فإذا أرادوا أمراً - ولو بالإشارة وليس بصريح العبارة - فعلينا أن نطيع، وعلينا أن ننفذ.

سراب السّلام:

وهناك درس سابع - أيّها الإخوة - أنّ هذه العملية السّلمية التي يسمّونها عملية السّلام هي عملية زائفة، وعملية عرجاء عوجاء.
هذا سلام أعرج، سلام أعوج، سلام ظالم، سلام لا يقوم على عدل ولا على حقّ.

رضينا بالسّلام أو بعملية السّلام، ولكن الذين نادوا بها لم يرضوا!
رضينا بأن نجلس مع الغاصبين، ولكن الغاصبين أخذوا منا ولم يعطونا شيئاً، ماذا أعطوا للفلسطينيين؟
ما أعطوا شيئاً!

وعلقوا كلّ القضايا المهمّة: القدس، واللاجئين، والمياه، والحدود، والمستوطنات!

كلّ القضايا الأساسيّة علّقت إلى النهاية.

فماذا حلّ من مشكلات إذن؟

هذه العملية السّلمية يجب أن توقف.



يجب إيقاف هذه المهزلة.

يجب أن نقول بملء أفواهنا: لا، للسلام الزائف، لا للتطبيع الذي ينادي به أقوام عندنا للأسف - جماعة كوبن هاجن وأمثالهم - الذين دعوا إلى السلام، وزعموا أن هناك فئات في إسرائيل تدعو إلى السلام. أين هذا السلام يا قوم؟!

متى دعا هؤلاء الصهاينة إلى السلام؟

ومتى كانوا أنصارًا حقيقيين للسلام؟

إننا نحن المسلمون، أمّا هم فليسوا مسالمين قط، هم أعداء، هم إرهابيون، هم دعاة العنف أبداً.

يجب - أيها الإخوة - أن نستفيد من هذه الدروس.

القدس قضية كبيرة:

وهناك درس أخير: هو أن هذه القضية ليست من القضايا السريعة ولا القضايا البسيطة، إنها قضية لا تحلّ بين عشية وضحاها، إنها قضية قد تمتدّ إلى سنين تطول أو إلى عقود من السنين.

وقد جرّبنا قبل ذلك حينما جاء الصليبيون إلى هذه المنطقة، وكان العرب والمسلمون أشدّ وهنا مما هم فيه الآن، وأشدّ اختلافًا وتفرّقًا، وكان في حكامهم وأمرائهم: الخونة الذين تحالفوا مع الصليبيين، ولكنّ الله تعالى يقيّض لهذه الأمة ويسيّض لهذا الدين من يقوم بنصره.

فبعد أن ظلّ المسجد الأقصى أسيرًا في يد الصليبيين تسعين عامًا، وبعد أن ظلّ الصليبيون في المنطقة مائتي عام، هيّا الله رجالًا جاؤوا من

خارج المنطقة، لم يكونوا عرباً وإنما عربهم الإسلام، قام عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود الشهيد وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، قاموا بحرب الصليبيين، وهياً الله النصر لصلاح الدين في معركة حطين ومعركة بيت المقدس، وحرّر الله على يديه بيت المقدس.

هذا درس يجب ألا ننساه أيها الإخوة.

هذه هي الدروس التي نستفيد منها من هذه الانتفاضة الجديدة المباركة الحية الباسلة.

واجبنا الوقوف مع الانتفاضة:

وإننا نطالب الأمة كلّها أن تؤيّد هذه الانتفاضة، وأن تشدّ أزرها، وتسند ظهرها، وتقف بجوارها بكلّ ما تستطيع.

من استطاع أن يذهب إلى هناك فليفعل، وأتمنى لو فتحت الأبواب للمجاهدين، هناك شباب - في كلّ مكان ذهبت إليه - يتحرّقون شوقاً للجهاد من أجل المسجد الأقصى.

من لم يستطع فليجاهد بماله: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١].

وقد فتحت حملات للتبرعات، فلنبذل فيها بسخاء.

ومن لم يستطع بالمال فليتبرع بدمه، الجرحى بالآلاف الآن، ويحتاجون إلى الدماء للعمليات الجراحية، فلنتبرع بالدماء.

علينا أن نساند هذه الانتفاضة بكلّ ما نستطيع، نساندهم بالدعاء في صلواتنا، نقنت قنوات النوازل في الصلوات ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، كما سنقنت اليوم - إن شاء الله - بعد الركعة الثانية.

علينا أن نساندهم بكل ما نستطيع، وعلينا أن نطالب زعماءنا بأن يعلوا على خلافاتهم، ويقرّروا أمراً لا بدّ منه: أن يلتقوا في قمة عاجلة. لا بدّ أن يلتقوا في قمة لا تبحث إلا موضوعاً واحداً لا خلاف عليه: الأقصى، والخطر الذي يهدّد الأقصى.

هذا ما نطالب به هؤلاء الزعماء.

نطالبهم أن يجتمعوا بسرعة ويقرّروا ولو بالحد الأدنى: ماذا يجب على هذه الأمة أن تفعل؟

إنّ كلّ يهودي في العالم يعتبر قضية إسرائيل - كما يسمونها وأنا آسف أن أنطق بهذا الاسم على لساني، ولكنها واقع لا بدّ منه - قضيته ودولته. فكلّ مسلم في العالم يجب أن يعتبر قضية فلسطين - أرض الثبوت وأرض الأقصى وأرض الإسراء والمعراج - قضيته وأرضه.

طالما قلت: إنّ الفلسطينيين لو تقاعسوا عن قضيتهم لوجب على أبناء الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها أن يهّبوا للدفاع عن أقصاهم.

هذا ما نطالب به - أيها الإخوة - المسلمين في كلّ مكان.

ويوم تنتفض هذه الأمة وتتحرك تستطيع أن تفعل الكثير، والله تعالى ينصر عباده المؤمنين ولو كانوا قلة وأذلة كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

ونحن - للأسف - كثرة، نحن ألف وثلاثمائة مليون من المسلمين، ولكنها كثرة كغناء السيل، لولا أمثال هؤلاء الشباب الأبطال الصامدين



الَّذِينَ نَحْيِيهِمْ مِنْ هُنَا وَنَقُولُ لَهُمْ: سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ، امضُوا فِي طَرِيقِكُمْ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتْرَكَ أَعْمَالَكُمْ، عِشُوا أَعْزَاءَ أَوْ مَوْتُوا شُهَدَاءَ ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيها الإخوة:

إنَّ على كلِّ منَّا أن يساهم بما يستطيع في مساندة هذه الانتفاضة المباركة، على كلِّ منَّا أن يعمل بكلِّ ما يستطيع لهذه المساندة.

هناك جمعيَّة الشَّيخ عيد بن محمَّد الخيريَّة قد بدأت حملة لجمع التبرُّعات لمساندة إخواننا في الأقصى، والجهاد بالمال مطلوب قبل الجهاد بالنفس: ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٤١]، فليبذل كلُّ منَّا ما يستطيع، وليحث إخوانه على البذل في هذه الناحية.

وهناك وزارة الصَّحَّة قد فتحت بنك الدم للتبرُّع لمدة أسبوع من الساعة السابعة إلى الثانية عشرة مساء كلِّ يوم، فعلى كلِّ من يستطيع أن يتبرَّع بشيء من دمه أن يبذل شيئاً من هذا، هذا سيكون رصيِّداً له عند الله تعالى.

ونطلب من وزارة الصَّحَّة أن تمدَّ الأجل وربَّما لا تكفي هذه الأيام.

علينا أن نساهم بقدر ما نستطيع لنثبت:

١ - أنَّ هذه الأمَّة أمَّة واحدة كما أراد الله تعالى، وليست أمماً كما أراد الاستعمار.

٢ - وأنَّ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً.

٣ - وأنَّ المسلمين يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدُّ على من سواهم.

٤ - وأنَّهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.



سنقنت بعد القيام من الركعة الثانية قنوت النَّوازل، وندعو على الظالمين، وندعو للمجاهدين، وبعد صلاة الجمعة سنصلي صلاة الغائب على أرواح الشهداء، ثم نبقي دقائق نسمع فيها قصيدة للأخ الدكتور محمّد قطبة، ونسمع كلمة من بعض الإخوة، ثم ننطلق في مسيرتنا إن شاء الله.

ونسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه، وأن يجعله من الجهاد في سبيله؛ لتحريك هذه القضية وتحريك هذه الأمة حتّى تعمل ما تستطيع: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

اللهم اكرمنا ولا تهنّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارزقنا وارزقنا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



القدس قضيتنا جميعاً^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الربط بين المسجدين في الإسراء:

لا زال الحديث موصولاً عن انتفاضة الأقصى المباركة.

في هذه الأيام - بعد يوم أو يومين - يحتفل المسلمون - كعادتهم - بذكرى الإسراء والمعراج، ويذكرون قول الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ، لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ [الإسراء: ١].

لا يمكن أن يذكر الإنسان المسلم الإسراء والمعراج، وينسى أرض الإسراء والمعراج، وينسى منتهى الإسراء ومبتدأ المعراج، وينسى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وينسى ربط القرآن بين المسجدين العظيمين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

ليس هذا الربط عبثاً، إنّه ربطٌ لحكمة إلهية، إنّه يذكر المسلمين في كلّ مكان وفي كلّ زمان: ارتباط كلّ من المسجدين بالآخر، فمن قرّط

(١) أُلقيت بتاريخ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠٠م.

في المسجد الأقصى أوشك أن يفرط في المسجد الحرام، فكلاهما مسجد معظّم مقدّس مبارك تُشدُّ الرحال إليه.

إذا ذكرنا الإسراء والمعراج فلا بدّ أن نذكر المسجد الأقصى الذي أصبح أسيراً في يد الصهاينة منذ ثلاث قرن من الزمان، وأصبح مفروضاً على الأمة، أمة الإسلام، أمة القرآن، الأمة التي تقرأ سورة الإسراء، الأمة التي تحتفل بذكرى الإسراء والمعراج - أصبح مفروضاً على هذه الأمة - أن تعمل متضامنة متكافلة متعاونة لتحرير المسجد الأقصى، وإعادة المسجد الأقصى إلى هذه الأمة.

هذا هو الواجب، وهذا ما تقوم به الانتفاضة الباسلة المؤمنة المباركة، التي أرتنا أنّ هذا الشعب - شعب فلسطين - شعب لا يموت، ولا يقبل أن يموت، شعب مستعدّ لأن يبذل النفس والنفس، والغالي والرخيص، من أجل هذه المقدّسات.

ذوو العزائم الصادقة:

بالأمس استمعت إلى ما أذاعه تلفزيون «قطر» في لقاء مع جرحى الانتفاضة، وقد سعدت بزيارتهم منذ أيام في مستشفى «حمد».

أذاع تلفزيون «قطر» في مساء الأمس لقاء مع هؤلاء الشّباب ومع أهلهم: آبائهم وأمّهاتهم وإخوانهم وأخواتهم وأجدادهم، وكان لقاء حافلاً، تبين أنّ هذا الشعب شعب مصابر مرابط مجاهد لا يفرط في حقّه.

لعلّ الكثيرين منكم شاهدوا واستمعوا إلى ما جرى بالأمس من التلميذ الصغير «سليمان» هذا، ومن أبيه، ومن جدّه، ومن أمّه، ومن جدّته، لعلّكم سمعتم من هؤلاء ما يشفي الصدور، وما يطمئن القلوب،

من سليمان، ومن أخيه رائد، وأخته رائدة، وأمه وأبيه، ومن علاء، وأبي علاء، من هؤلاء الأبطال الذين قالوا: إننا مصممون بعد أن نُشفى - إن شاء الله - ونُعالج من جراحاتنا أن نعود للجهاد من جديد!

لا يقولون: مرّة ومرّت.

لا، يقولون: سنعود للجهاد أشدّ قوّة وأصلب عودًا!

هذا هو الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم، وهذا ما نرجو أن يفهمه المسلمون في كلّ مكان.

تجاوب الجماهير مع الانتفاضة:

الحمد لله، المسلمون في كلّ مكان عربًا وعجمًا تجاوبوا مع هذه الانتفاضة، عبّرت عن ذلك المسيرات الغاضبة في مشرقنا ومغربنا.

في بلادنا العربيّة والإسلاميّة تجاوبت الجماهير التي قاومت السلطات، السلطات التي تحسب الحساب وتقلّب الأمور، وترعى السياسة، وتحافظ على مصالحها، وتراعي خاطر هذا وذاك، هؤلاء الساسة الذين يتفلسفون في تبرير هزائمهم النّفسية، في تبرير تراجعاتهم، في تبرير مواقفهم المتخاذلة، هذه فلسفات مريضة، عقيمة، سقيمة ليس لها قيمة، وليس لها وزن، أمام هذا الاندفاع التلقائي من هذه الجماهير.

أنا أرى أنّ هذه الجماهير بفطريتها أصدق تعبيرًا وأعمق تفكيرًا من هؤلاء الذين يتفلسفون، ويبرّرون هذا الانهزام النّفسي بقليل وقال.

هذه الجماهير المسلمة في كلّ مكان قد لقّنتنا درسًا: أنّ هذه الأمّة مستعدّة أن تبذل لتحرير مقدّساتها، عندما يُتاح لها الفرصة، وعندما يُفتح

لها الطريق، ولكنّ المشكل أنّ الطريق مسدود، وأنّ الأبواب مغلقة أمام المسلمين المتحرّقين إلى الجهاد في كلّ مكان.

حيثما ذهبت في أرض الله، حيثما ذهبت في أوطان الإسلام مشرقاً أو مغرباً، يسألني الشّباب، الشّباب المسلم، شباب الصّحوة الإسلاميّة، الشّباب الذي يصوم الإثنين والخميس، الشّباب الذي يأخذ حظه من قيام الليل، الشّباب الذي يقرأ القرآن والسيرة النّبويّة، الشّباب الذي يعرف سير أبطال الجهاد الفاتحين، هذا الشّباب يسألني: كيف نوّدي واجبنا؟ وكيف نبرّئ ذمّتنا أمام الله والمسجد الأقصى أسير في أيدي اليهود؟ ماذا نفعل؟

هذا الشّباب يتحرّق للجهاد، لماذا لا تفتح له الأبواب؟
دول الطّوق هل مهمتها حماية إسرائيل من هذا الشّباب المتحرّق للجهاد في سبيل الله؟ ماذا نقول؟

القدس قضية المسلمين الأولى:

إنّ قضية فلسطين - أيّها الإخوة - قضية المسلمين الأولى، قضية أمة الإسلام، أمة القرآن، أمة محمّد ﷺ، ولا يجوز لهذه الأمة أن تضع هذه القضية دبر آذانها، أو تغفل عنها، أو تفكّر في سواها، إنّها قضيتهم الأولى. إذا كان كلّ يهودي في العالم يعتبر إسرائيل وقيام إسرائيل وانتصار إسرائيل قضيته الأولى، ويبذل في ذلك ما يبذل، إذا كان هذا شأن اليهود في أنحاء العالم، فما بالنا نحن المسلمين؟

نحن نعرف أنّ اليهود أبخل النّاس بمال، ومع هذا رأينا اليهود في عصرنا هذا يبذلون من أموالهم الملايين لنصرة إسرائيل!



الملايين تبذل لنصرة هذا الكيان الصهيوني الغاصب المعتدي!
 أين المليونيرات والمليارديرات عندنا نحن العرب والمسلمين؟ أين
 ملايينهم وملاييرهم؟ لماذا لم تظهر؟
 هناك رجال خيرون - والحمد لله - في كل مكان، ولكن ليس على
 مستوى اليهود في العالم، وهذا مما يؤسف له.

اليهود الذين وصفهم القرآن بأنهم أحرص الناس على حياة أي حياة،
 أصبحوا يبذلون من أنفسهم ومن دمائهم ويتحدثون أمة الإسلام هنا وهناك.

ما تملكه الأمة لمواجهة اليهود:

هذا يفرض على هذه الأمة أن تهبّ عن بكرة أبيها لتدافع عن دينها،
 لتدافع عن مقدّساتها لتدافع عن أرضها، لتدافع عن حُرُماتها بكلّ
 ما تملكه، وهي تملك الكثير.

هذه الأمة تملك الكثير:

هذه الأمة تملك الكثرة العددية «مليار وثلث مليار» من البشر من
 أبناء الإسلام.

وهذه الأمة تملك القوّة الاقتصادية، في أرضها الثروات المذخورة
 والمنشورة، الزراعية والصناعية والمعدنية إلخ.

وتملك هذه الأمة القوّة الحضاريّة؛ فهي قد نشأت في منابت
 الحضارات، ومهابط الرسالات، في سرة العالم.

الحضارات الكبرى نشأت في أرض الإسلام: الحضارة الفرعونية
 والحضارة الفينيقية والحضارة الآشورية والبابلية والهندية والفارسية،
 هذه الحضارات نشأت في أرض الإسلام.

هذه الأمة تملك القوة الروحية؛ لأنها تملك أعظم رسالة «رسالة الإسلام»، التي ختم الله بها الرسالات، وختم بها النبوات، وجعلها رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين.

هذه الأمة تملك الكثير من مقومات السيادة والريادة والقيادة والانتصار، لو وظفت ما تملكه من قوى، لو جندت هذه القوى وأحسن تجنيدها وتوظيفها.

هذه الأمة قادرة على أن تفعل الكثير، ولكن المشكلة هي مشكلة «القيادات».

قديمًا قال السيد محب الدين الخطيب رحمه الله في مجلته «الفتح»: «المسلمون إلى خير ولكن الضعف في قيادتهم».

الضعف دائمًا يأتي من القيادة، القيادات ليست على مستوى الأمة وال جماهير، إنهم يريدون أن يحصلوا على أي شيء بأي ثمن، وطبيعة هذه القضايا أنها قضايا طويلة النفس، طويلة الأمد، لا تحل بين عشية وضحاها.

هذه القضايا لا بد أن يصبر عليها أهلها، ويصابروا، ويرابطوا، ويجاهدوا؛ حتى يحصلوا على النصر.

هذه ليست أول مرة تُحتل فيها فلسطين وسواحل الشام، قد احتلت من قبل:

احتلها «الفرنجة» الذين جاؤوا من أوروبا، الذين عرفوا باسم «الصليبيين»، كان المسلمون يسمونهم: كفار الفرنجة، هؤلاء الذين جاؤوا بقضهم وقضيضهم وثالوثهم وصليبيهم، يزعمون أنهم يريدون إنقاذ قبر المسيح! وماذا أصاب قبر المسيح؟!

لقد عاش المسيحيون في ظلّ حضارة الإسلام ودولة الإسلام - كما عاش اليهود أنفسهم - آمنين على أنفسهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم وأديانهم ومعابدهم وبيعهم وكنائسهم، وكان المسلمون هم حراسها، لا يستطيع أحد أن يمسّهم بسوء.

جاء هؤلاء في غفلة من الزمن، في غفلة من الأمة وتتابع من محنها. كانت الأمة أضعف مما هي عليه الآن، وكان هناك حكام أضعف من حكام اليوم، بل كان هناك من خان الأمة بصراحة وجلاء، وتحالف مع الصليبيين في جهرة وعلانية، ولكن هيّا الله رجالاً قاموا بواجبهم.

ابتدأت الحرب مع هذه الحملات التي بدأت في أواخر القرن الخامس الهجري سنة (٤٨٨) من الهجرة، بدأ هناك «أتابكة» الموصل و«أرافقة» ديار بكر، ثم بدأ عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين محمود الشهيد الذي قام بالجانب الأكبر في مقاومة الصليبيين، وفي إقامة حكم إسلامي راشد، تتبع سنن الخلفاء الراشدين، وإحياء ما مات منها، قام بتجديد إسلامي أشبه بتجديد عمر بن عبد العزيز في عهد بني أمية، ولكنه لم يكن له كل ما كان لعمر بن عبد العزيز، كان يملك الموصل والجزيرة والشام ومصر واليمن، استطاع أن يقيم فيها عدل الإسلام، وأن يقيم فيها مدارس، وأن يقيم فيها رجالاً، وأن يديرها إدارة حسنة، وأن يهيئ الشعب.

هيّا الشعب للقيام بالجهاد، فلا بدّ من إصلاح الجبهة الداخلية، وكان هو المثل أمام شعبه وأمام المسلمين من حوله، كان بطلاً حقيقياً.

تفقّه في دين الله حتّى إنّه أخذ إجازة في الحديث، أصبح من حقّه أن يروي الحديث لغيره، وكان قارئاً للقرآن، كان مصلياً يقوم بالليل في جلسة من الناس ويذهب بغلس إلى المسجد ليقوم الليل.

كان هذا هو الإنسان المسلم الذي نصره الله على الصليبيين في معارك كثيرة.

ثم جاء تلميذه صلاح الدين الأيوبي الذي حرّر على يديه القدس، وكانت معركة حطين.

ثم جاء الظاهر بيبرس، وآل قلاوون، وأنهوا الوجود الصليبي من المنطقة.

ماذا نريد من قادتنا؟

ليت حكامنا وزعماءنا وقادتنا الذين سيجتمعون غداً في صورة قمة عربية، ليتهم يقرؤون التاريخ، ليتهم يلتمسون العبرة من التاريخ، ليتهم يعلمون أنّ التاريخ لا يسجل بمداد من نور إلا لمن وقف موقف البطولة وقال: لا بملء فيه.

لا يسجل التاريخ مواقف المنهزمين والمتراجعين، والذين يخافون من خيالهم، هؤلاء ليس لهم قيمة في التاريخ، وليس لهم مكان في التاريخ.

نريد من القمة التي تُعقد غداً أن تقف موقفاً رجولياً، وأن تتجاوب مع هذه الجماهير المؤمنة الغاضبة الصارخة في كل مكان من أرض العرب والإسلام.

نريدهم أن يتجاوبوا مع هذه الجماهير، ولا يتجاوبوا مع «شرم الشيخ» وقمة «شرم الشيخ» التي أريد منها أن تقطع الطريق على هذه القمة.

يُراد من هؤلاء القادة والزعماء أن يكونوا مجرد «بصمجية» كما يقولون على قرارات شرم الشيخ، أن تكون مهمتهم المصادقة على هذه القرارات.

لا يليق، لا يليق بقيادة أمة تعدادها «ثلاثمائة مليون» من العرب ووراءهم أكثر من «ألف مليون» من المسلمين أن ينزلوا إلى هذا الحضيض. نريد من هذه الأمة مُمثّلة في قاداتها - أن تقف موقف الرجولة والبطولة، الذي يليق بأمة كانت يوماً من الأيام قائدة ورائدة وسيّدة في التاريخ، سادت العالم عشرة قرون.

نريد من هؤلاء القادة أن يقفوا موقفًا يعلنون فيه الوقف الفوري لكلّ مظاهر التطبيع مع الكيان الصهيوني، سواء كان تطبيعاً في الجانب الاقتصادي أم السياسي أم الثقافي أم التجاري أم الدبلوماسي.

لا يجوز أن يُبقوا مع هؤلاء أي نوع من العلاقات، هؤلاء قوم لا عهد لهم ولا ذمّة، وقد اتّفقوا في «شرم الشيخ»، وانظروا الآن ماذا يفعلون مع أبناء فلسطين في الضفّة الغربيّة وفي غزّة، المروحيات والطائرات الحربية تعمل عملها، هؤلاء الله تعالى قال عنهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ الَّذِينَ عَاهَدَتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿ [الأنفال: ٥٥، ٥٦]، لا عهد لهم.

هؤلاء القساة الذين وصف الله قلوبهم بأنّها كالحجارة أو أشد قسوة، إنهم لا يتورّعون عن قتل الأطفال، ويضربون في الأعين.

قال لي وزير الصحّة الفلسطيني الدكتور رياض الزعنون: إنّ عندنا عشرات مصابين في أعينهم، إنهم يريدون أن يجعلوا من هذا الشعب

معوّقًا وصاحب عاهات، يسلّطون أعيرتهم على الأعين، وعندنا منهم هذا التلميذ «سليمان».

هؤلاء الذين لا يتورّعون عن شيء، ذكر الأستاذ فهمي هويدي في مقالته يوم الثلاثاء الماضي: أن اثنين من جنودهم واجهوا رجلًا فلسطينيًا كان معه سكين عادية، فأخرج السكين وهدّدهما، فاستسلما وتركاه، ولم يكن يريد منهما شيئًا فتركهما ومشى، فلما ولى بعيدًا - حوالي عشرين مترًا - إذا بهما يطلقان عليه الرصاص ويردانه قتيلاً.

انظر إلى هذه النذالة، إلى هذا الجبن، جنديان مسلحان خافا وفزعا من سكينه ولم يُرد الرجل أن يفعل بهما شيئًا، فقط أراد أن يهدّدهما حتّى يتركاه، فلما تركهما هذا الرجل الشريف إذا بهما يقتلانه من الخلف، يطعنانه في ظهره، يضربانه برصاصهما الآثم الغدار.

هؤلاء هم القوم الجبناء، وللأسف ابتلينا بأن تكون معركتنا مع هؤلاء الجبناء والأنذال والغدارين والمعتدين، الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمّة، ولا يراعون لإنسان عهدًا ولا حرمة، يقتلون النساء، يقتلون الأطفال، يقتلون الشيوخ، يقتلون المستضعفين الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلًا.

معركتنا مع هؤلاء:

نريد من قادتنا أن يكونوا على مستوى الموقف، وأن يعلنوا أنّهم مع الانتفاضة.

إذا لم يستطيعوا أن يعلنوا الحرب وأن يجيئوا الجيوش - لأنّه لا طاقة لهم بهذه الحرب - فعلى الأقلّ عليهم أن يشدّوا أزر هذه

المقاومة، وأن يساعدها بالمال وبالسلاح، ولو بالسلاح التقليدي: المدافع الخفيفة والبنادق والمسدسات وبعض هذه الأشياء، علينا أن نساعدهم.

لا نقول: أعلنوا الحرب وجيشوا الجيوش، وهناك أناس مقيدون بسلاسل معاهدات واتفاقات لا يريدون أن يخرقوها، ولا يريدون أن ينقضوها، عليهم - على الأقل - أن يؤيدوا هذا الشعب الباسل المقاوم، الذي أثبت بطولته، ولا زال يثبتها في كل يوم.

واجب المقاطعة للكيان الصهيوني:

عليهم أن يفعلوا المقاطعة، أن يقاطعوا البضائع الصهيونية وكل من يتعامل مع الصهيونية.

عليهم أن يعيدوا المقاطعة القديمة، فلم يكن هناك مبرر لإلغاء هذه المقاطعة.

نطالب دولة قطر:

نطالب كل من له علاقة بهذا الكيان الصهيوني أن يقطعها، وأول من نطالبهم بذلك دولة «قطر».

نريد من دولة قطر ومن قيادة دولة قطر: أن تغلق هذا المكتب الحقيق المنبوذ المبعوض من هذا الشعب ومن هذا المجتمع، المكتب التجاري لإسرائيل.

نريد أن تغلق قطر العربية المسلمة: هذا المكتب الذي هو وكر للتجسس ووكر للفساد والإفساد.



لا يليق بدولة قطر التي وقفت وقفة رجولة مع هذه الانتفاضة، وجنّدت إعلامها، وجنّدت تلفزيونها، وجنّدت قناة الجزيرة، وجنّدت صحفها، وجنّدت جمعياتها الخيرية، لمساعدة هذا الشعب، لا يليق بهذه الدولة ولا بقيادة هذه الدولة أن يظلّ هذا المكتب الموبوء على أرضها.

نطالب كلّ العرب بهذا.

لا يجوز أن ينحني النّاس خائفين وجلين من هذا الكيان الصهيوني، وممن وراء الكيان الصهيوني، من أمريكا.

النّاس ينظرون إلى أمريكا كأنها إله في هذا الكون، يُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ولا يُسأل عمّا يفعل.

هكذا ينظر النّاس إلى أمريكا.

نحن نقول: إنّ أمريكا ليست إلّا بشرًا، أمريكا ليست هي القديرة على كلّ شيء.

إنّ أمريكا جرّبت حظّها في أكثر من بلد وخرجت مهزومة منها، خرجت كسيرة الجناح.

خرجت كسيرة الجناح من «فيتنام» التي ظلّت فيها سنوات وأنفقت فيها المليارات ولم تحقّق شيئًا.

وخرجت كسيرة الجناح من «لبنان» حينما فقدت بعض رجالها وهي يعزّ عليها رجالها، تريد أن تدخل الحروب ولا تخسر أحدًا من أبنائها، فإذا خسرت بعض أبنائها أجفّلت ووجلّت وتخوفت.

وخرجت كسيرة الجناح من «الصومال» حينما خسرت - أيضًا - بعض أفرادها.



أمريكا ليست هي الإله، إنَّما أمريكا بشر مثلنا.
كلُّ ما نريده أن نكون رجالاً، وأن نقدر على قول: «لا» بملء أفواهنا،
ونحن قادرون عليها إذا تخلَّينا عن هذه الهواجس والوساوس
والمخاوف، الَّتِي تجعل الحَبَّة قُبَّة والقَط جملاً.
هذا ما نريده من قادتنا.

نريد من القادة أن يكونوا رجالاً، وأن يناصروا هذه الانتفاضة، وأن
يُفَعِّلُوا المقاطعة، وأن يقيسوا النَّاس والدول على قدر علاقتها بإسرائيل
وعلى قدر علاقتها بهذه الانتفاضة وبأهل فلسطين.

ماذا نريد من الشعوب؟

ونريد من الشعوب موقفاً آخر:

نريد من الشعوب أن تظلَّ على غضبتها، وأن تظلَّ مستمرَّة في
تأييدها لهذه الانتفاضة، بكلِّ ما تملك من أنفس ومن أموال، وأن
تحرص على وصول هذه الأموال لمن يستحقُّها.

نريد من الشعوب والجماهير أن تقاطع البضائع الإسرائيلية
والأمريكية، وأن تستمرَّ في ذلك.

وإنِّي أشهد - والحمد لله - أن الشركات الأمريكية هنا في قطر بدأت
تصرخ وتملأ الجرائد إعلانات في الصفحات الأولى والصفحات
الأخيرة؛ لأنَّ هذا الشعب بدأ يعي نفسه ويعرف واجبه، ويقاطع هذه
المأكولات والمشروبات الأمريكية، وهذا يطمئننا.

وأريد أن يستمرَّ الشعب وأن يتزايد هذا الوعي، ما قيمة أن تشرب
زجاجة من البيبسي أو الكولا؟



ما قيمة أن تأكل من «ماكدونالدز» أو من «البيتزا هت» ما قيمة هذا؟
لماذا لا نأكل من طعامنا الشرقي العربي الإسلامي الذي تعودناه؟
ما رأيت شعوبًا أصيلة تفعل كما نفعل نحن.
ذهبت إلى اليابان وذهبت إلى بلاد أخرى ووجدت الناس يهتمون
بأن يأكلوا أكلهم الموروث.
ممكن في كلِّ عِدَّة أشهر يذهب ليأكل كذا، أو إذا جاءه ضيف.
فلماذا هذا التهافت على هذه المأكولات والمشروبات والملبوسات
التي هي دخيلة علينا وغريبة عنّا؟
لا بدّ أن نقاطع، هذا نوع من الجهاد، كلُّ إنسان عليه نوع من الجهاد،
والمقاطعة سلاح من أسلحة الجهاد الفعّالة، يعرف ذلك كلُّ مَنْ له معرفة
بعلم السياسة وعلم الحرب وعلم الاجتماع.
علينا أن نقاطع هذه المحلات.
مركز «ماركس وسبنسر Marks & Spencer» هذا الذي يُخصّص
أرباح يوم السبت في كلِّ محلاته في العالم ليعطيها إلى الكيان
الصهيوني، وهذا أمر معروف عند العالم كلّهُ، ومع هذا للأسف وجدنا
في أبناء الخليج من يفتح لهذه المحلات مكانًا في بلادنا، وما كان
أغنانا عن هذا.
أين الوعي؟

نريد من هذه الأمة وعيًا إدراكيًا سليمًا بحيث نعرف: من هو عدوّنا؟
ومن هو صديقنا؟ وماذا في إمكاننا أن نفعل؟ وماذا في قدرتنا أن نقيم؟

هذا ما يجب على هذه الأمة في هذا الوقت، حتّى ينصر الله إخواننا، وينصر الله هذه الانتفاضة المباركة التي هي انتفاضتنا جميعًا.

أحبُّ أن أقول أيُّها الإخوة: إنّ هذه القضية ليست قضية الفلسطينيين وحدهم، هم يقومون عن هذه الأمة بفرض، كلُّنا يجب أن ندافع عن الأقصى، فإذا قام هؤلاء عنّا فقد أدّوا واجبًا أو بعض الواجب عن هذه الأمة.

إنّ إسرائيل ليست خطرًا على الفلسطينيين وحدهم، إنّها خطر على العرب، وخطر على المسلمين، خطر عسكري، وخطر سياسي، وخطر اقتصادي، وخطر ثقافي، وخطر ديني، خطر من كلّ ناحية، فعلينا أن نقاوم هذا الخطر وهذا السرطان بكلّ ما نستطيع من قوة، وإذا نصرنا الله فسينصرنا الله ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿[آل عمران: ١٦٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



خمسون عامًا على ضياع فلسطين^(١)

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

في هذه الأيام تستعدُّ إسرائيل للاحتفال بالذكرى الخمسين لقيام دولتها «إسرائيل» على أرضنا الطيبة، أرض المقدَّسات والنُّبُوتات، أرض «فلسطين». ونحن نحاول أن نتذكَّر آلام ضياع هذه الأرض، التي ضاعت على مرأى ومسمع مِنَّا، لعلَّ الجيل الجديد من أبنائنا لم يشهد المأساة بعينه كما شهدناها، نحن عشنا المأساة قبل أن تقع وبعد أن وقعت.

ضياع الأندلس الجديدة:

كنا نعجب من ضياع الأندلس وسقوط دولة الأندلس، على مرأى ومسمع من المسلمين، حتَّى رأينا أندلسًا أخرى تسقط من أيدينا، ونحن نرى ونسمع ولكنها في الحقيقة أخطر من الأندلس، وأهم من الأندلس. كنا طلابًا صغارًا في المرحلة الابتدائية من الأزهر الشريف، وكنا مشغولين بقضيَّة فلسطين، قضيَّة المسجد الأقصى، قضيَّة أرض الإسراء

(١) أُلقيت بتاريخ ٢٤ إبريل ١٩٩٨م.

والمعراج، قضية القِبلة الأولى، كنّا مشغولين بهذه القضية، كنّا في كلّ عام في الثاني من شهر نوفمبر نسير المظاهرات الطلابية، ونشد القصائد الحماسية، ونلقي الخطب النارية، ونهتف بالهتافات المدوّية: عاشت فلسطين عربيّة إسلاميّة!

كنّا نعيش مع هذه القضية، خصوصًا في الثاني من نوفمبر الذي يمثّل ذكرى وعد «بلفور».

و«بلفور» هذا هو وزير خارجيّة بريطانيا الذي وعد اليهود - بما قدّموا من خدمات لبريطانيا في الحرب العالميّة الثانية - وعدهم بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين، وعلّق من علّق على هذا الوعد بأنّ من لا يملك وعد من لا يستحقّ!

كانوا يقولون ما قاله «هرتزل» من قديم: «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

ولم تكن فلسطين بلا شعب، بل كان فيها شعبها من قديم.

هم من قديم قالوا هذا، من عهد «هرتزل»، وأرسلوا اثنين من الحاخامات إلى فلسطين ليريا رأي العين.

وذهب أحد الحاخامات وكتب إليهم يقول حينما ذهب إلى فلسطين: إنّ العروس جميلة جدًّا، وهي مستوفية لكلّ الشروط حقًّا، ولكن المشكلة أنّها متزوجة فعلاً وزوجها حيّ!

أي أنّ فلسطين لها شعبها وسكانها.

هذه هي المشكلة: أنّهم أرادوا أن ينزعوا شعبًا من أرضه ووطنه، وأنّ يحتلّوا محلّه، ويحيوا مكانه.

وبعبارة أخرى: أن يشاركوا الرجل في عروسه، بل أن يغتصبوها منه عنوة!
هذه كانت هي المشكلة.

الاستعمار هو الذي ساعد اليهود من أوّل الأمر، ومكّن لهم في الأرض، أمدهم بكلّ ما يريدون.

محاولة اليهود رشوة السلطان العثماني:

حاول اليهود أن يخترقوا النّطاق الإسلامي، حاولوا أن يصلوا إلى السلطان العثماني، إلى الخليفة الذي كان يجسّد القيادة الإسلاميّة، ووحدة الأمّة الإسلاميّة: السلطان عبد الحميد، أرادوا أن يصلوا إليه، وقد وصلوا إليه، وأرادوا أن يرشّوه - على طريقة اليهود - بما عندهم من أموال، وعرضوا عليه «عشرين مليون جنيه ذهبي»، بعضها لجيبه، وبعضها لخزانة الدولة، تسدّد به ديونها، وتقيم به مشروعاتها، ولكن الرجل رفض وأبى بشمم وعزّة، أبى أن يتنازل عن شبر من أرض فلسطين.

وهذا ما سجّله له «هرتزل» في مذكّراته عن صلابة هذا الرجل، الذي رفض أن يعطي شبرًا واحدًا من فلسطين بالملايين، ولا بملء الأرض ذهبًا.

ولكنّ الذي ساعد اليهود في إقامة دولتهم هو: الاستعمار، خصوصًا الاستعمار البريطاني، الذي انتصر على الخلافة العثمانيّة في الحرب العالميّة الأولى، ودخل القائد البريطاني «النبّي» القدس في سنة (١٩١٧م)، وقال كلمته الشهيرة: اليوم انتهت الحروب الصليبيّة^(١)!

(١) دروس وتأمّلات في الحروب الصليبيّة لأبي فارس ص ٣٥، نشر دار جهينة، الأردن، ط ١، ٢٠٠٢م.

وقال ذلك نظيره القائد الفرنسي «جورو» حينما دخل دمشق وذهب إلى قبر صلاح الدين الأيوبي البطل المسلم الذي حرّر الله على يديه أرض فلسطين من الفرنجة «الصلبيين»، قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين^(١)! هكذا رأينا القادة العسكريين يصرّحون بما لم يصرّح به القادة السياسيون.

القائد الإنجليزي في القدس، والقائد الفرنسي في دمشق، كلاهما أعرب عمّا في نفسه بصراحة ووضوح: إنّها الحرب الصليبيّة.

لقد اتّفقت الصليبيّة الغربيّة مع الصهيونيّة العالميّة، اتّفقا علينا نحن المسلمين، وكنا في غفلة، وكنا في وهن، وكنا في تمزّق.

كان اليهود قد جمّعوا أنفسهم بعد تفرّق، وخطّطوا لأنفسهم بعد ارتجال وفوضى، وهيّؤوا لأنفسهم: ماذا يريدون؟ وكيف يحققون ما يريدون؟

هيّؤوا المال، وهيّؤوا الخطط، وهيّؤوا الأفكار، وهيّؤوا نفسيّة الشعب اليهودي نفسه، الذي كان يرفض الذهاب إلى فلسطين في أوّل الأمر.

كانوا مستقرّين في أوطانهم، اليهود - كما نعلم - معظمهم أغنياء في البلاد التي كانوا يعيشون فيها، فما كانوا يريدون أن يتركوا هذه البلاد.

في أوّل الأمر لم تكن فلسطين هي البلد الوحيد الذي عرض عليهم ليكون وطنًا لهم، بل عرض عليهم «هرتزل» نفسه ومن معه أوطانًا في إفريقيا: موزمبيق والكونغو وأوغندا، وعرضت عليهم: الأرجنتين، وعرضت عليهم قبرص، ولكن الناس لم يتحمّسوا لهذه الأوطان.

(١) دور نور الدين محمود في نهضة الأمة لعبد القادر أحمد أبو صيني ص ٢٢٢، رسالة دكتوراه، معهد التاريخ العربي، والتراث العلمي للدراسات العليا.



ولذلك بدأت الفكرة: أن يُدخلوا العنصر الديني ليلهبوا العواطف، ويجتمعوا الجماهير، فكان التركيز في النهاية على فلسطين، «أرض الميعاد» كما سمّوها، وتبنّى ذلك المؤتمر اليهودي الذي انعقد سنة (١٩٠٥م)، أي: بعد سنة واحدة من وفاة «هرتزل».

جاء ذلك ونحن في غفلة عمّا يجري حولنا.

سئل أحد رؤساء وزراء مصر في سنة من السنوات عن قضية فلسطين، فقال لهم: وما شأني، أنا رئيس وزراء مصر ولست رئيس وزراء فلسطين! كان يظنُّ أنَّ الخطر بعيد عنه، ما كان يعرف أنَّه في قلب الخطر.

كان الذي يدرك هذا الخطر بوضوح وجلاء وعمق: رجلاً شاباً في الثلاثين من عمره في ذلك الوقت، هو: حسن البنا، مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، الذي كان يعيش في قضية فلسطين كما تعيش فيه، كانت من أوّل شواغله وأكبر همومه، باعتبارها أرضاً إسلامية لها خصوصيتها وقديسيّتها عند المسلمين، فالإسلام هو صاحب قضية فلسطين، قضية فلسطين لا يمكن إلا أن تكون قضية إسلامية.

وأحبُّ أن أشرح هذه القضية: ما معنى أن فلسطين قضية إسلامية؟

قال الشيخ أحمد ياسين بالأمس في محاضرتة: إننا لا نحارب اليهود من أجل أنّهم يهود، أي: أنّنا لا نحاربهم من أجل عقيدتهم اليهودية.

وهذا كلام سليم، يدلُّ على فقهٍ سليم، نحن نقول: إنّ اليهود كفّار كما أنّ النصارى كفّار؛ لأنّهم لم يؤمنوا بمحمّد ﷺ، ولكنّا لا نحاربهم من أجل ذلك، فقد عاش اليهود بين ظهرائي المسلمين قروناً طويلة في أمان وضمن وسلام، وكان لهم نفوذهم لدى الخلفاء والوزراء والكبراء،



بل منهم من صار وزيراً، وكان لهم غناهم وثرواتهم، حتّى إنّ كثيراً من المسلمين كانوا يحسدونهم على ما هم فيه.

لم يكن الأمر إذن بيننا وبين اليهود صراعاً من أجل العقيدة؛ فالإسلام أقَرَّهم على عقيدتهم، وعاشوا أهل ذمّة بين المسلمين.

وحينما طردهم العالم في أوربا وغيرها، لم يجدوا كهفاً يأوون إليه، لم يجدوا أرضاً يأمنون فيها، ويطمئنون على أنفسهم وأموالهم وحُرّماَتهم إلّا أرض الإسلام، إلّا دار الإسلام، هي التي آوتهم من تشرّد، وهي التي أمّنتهم من خوف، وهي التي وسّعتهم وساعدتهم.

إذن ليس الأمر بيننا وبين اليهود حرباً عقدية من أجل العقيدة، بل المعركة بيننا وبينهم من أجل الأرض التي اغتصبوها عدواناً وظلماً.

قامت المعركة بيننا وبين اليهود حينما اغتصبوا أرضنا، وشردّوا أهلنا، وسفكوا دماءنا، وانتهكوا حرّماَتنا، وأقاموا ما أقاموا من مجازر تشيب لهولها الولدان، وتقشعُر منها الأبدان.

إنّ من المتّفق عليه: أنّ الحرب بيننا وبين الصهاينة هي من نوع جهاد الدفع لا جهاد الطلب.

نحن إذن ندافع عن أنفسنا، عن أرضنا ومقدّساتنا.

من أجل هذا قامت المعركة بيننا وبين اليهود.

هذه حقيقة يجب أن نعيها - أيّها الإخوة المسلمون، فبعض اليهود يشنّعون علينا كذباً وزوراً: أنّ المسلمين متعصّبون، وهم يحاربوننا من أجل ديننا، من أجل عقيدتنا.

لا، والله، ما نحاربهم من أجل دينهم، ليبقوا على يهوديتهم، وليذهبوا إلى الجحيم!

فحسابهم ليس إلينا، بل إلى الله ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

لو سالمونا لسالمناهم، ولكنهم عادونا فعاديناهم، وحاربونا فحاربناهم، دفاعاً عن أنفسنا.

الله تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨، ٩].

فهم الذين أخرجونا من ديارنا، وظاهروا على إخراجنا، وفعلوا بنا الأفاعيل، فلا يمكن أن نتولاهم، بل لا بد أن نقاومهم، ولا بد أن نحاربهم. وهذه الحرب حرب مقدسة؛ لأنها حرب للدفاع عن الأرض، والدفاع عن العرض، والدفاع عن المقدسات.

والمفروض في المسلم أن يدافع عن أرضه ووطنه - أرض الإسلام - ويقاتل حتى الموت دفاعاً عنها، وإذا خسر قتيلًا فهو شهيد في سبيل الله.

فكيف إذا كانت هذه الأرض أرض الأسراء والمعراج؟

كيف إذا كانت هذه الأرض أرض النبوات التي بارك الله فيها للعالمين، وقال عن إبراهيم: ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]؟



كيف إذا كانت هي أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله بنصّ القرآن الكريم؟

إنَّ المعركة تكون معركة إسلاميّة بكلّ جوانبها، إنّها دفاع عن أرض الإسلام، ودفاع عن القدس، ودفاع عن المسجد الأقصى، وهذا واجب كلّ مسلم: أن يدافع عن المسجد الأقصى كما يدافع عن المسجد الحرام. ليس عبثاً أن الله ربط بينهما في قصة الإسراء، كان يمكن أن يعرج النَّبي ﷺ إلى سدرة المنتهى وإلى السماوات العلا من المسجد الحرام مباشرة، ولكن الله أراد أن يمرّ على المسجد الأقصى.

المحطة القدسية هذه مقصودة؛ ليربط الله بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

والله تعالى لم يصف المسجد الحرام إلّا بهذه الكلمة: المسجد الحرام، ولكنّه زاد فوصف المسجد الأقصى بهذا الوصف: ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ ليربط قلوب الأمّة بهذا المسجد، الله يعلم ماذا سيجري لهذا المسجد فوصفه بهذا الوصف.

ربط الله بين المسجدين حتّى تستقرّ قدسيتهما في وجدان كلّ مسلم، وفي أعماق كلّ مؤمن، فمن فرّط في المسجد الأقصى أوشك أن يفرّط في المسجد الحرام وفي الكعبة «البيت الحرام».

المعركة بيننا وبين إسرائيل معركة إسلاميّة:

إذا كانت إسرائيل تجمع النّاس من أطراف الأرض باسم العقيدة اليهوديّة، بأحلام التوراة والتلمود، فنحن نجمع النّاس باسم القرآن.



إذا حاربونا باسم اليهوديّة حاربناهم باسم الإسلام.

إذا حاربونا ورفعوا التوراة رفعنا القرآن الكريم.

إذا قالوا: التلمود. قلنا: البخاري ومسلم.

إذا قالوا: نعظم السبت. قلنا: نعظم الجمعة.

إذا قالوا: الهيكل. قلنا: المسجد الأقصى.

إذا قالوا: موسى. قلنا: نحن مع موسى وعيسى ومحمد عليهم الصّلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم.

نحن الأقوى، لا يفلّ الحديد إلّا الحديد، وحديدنا أقوى من حديدهم.

المعركة بيننا وبين اليهود معركة دينيّة بهذا المعنى، معركة إسلاميّة، وسنستمرّ فيها.

لم نحارب اليهود لأنّهم يهود ذوو عقيدة يهوديّة، ولم نحارب اليهود لأنّهم ساميّون، كما يقولون عنّا: أعداء الساميّة.

وكيف نعادي الساميّة ونحن ساميّون؟

على أنّ اليهود لم يعودوا ساميين في أغلبهم، اليهوديّة ديانة دخلت فيها أجناس شتّى، هناك في اليهود: الأوربي والمشرقي والمغربي واليمني والأثيوبي والبولندي والخزري.

وقد كتب أحد الغربيين رسالة يقول فيها: «إنّ يهود اليوم ليسوا يهوداً»!

يقصد: ليسوا ساميين، لم يعودوا ساميين.

نحن العرب: ساميون؛ لأنّا أبناء إسماعيل، وأبناء العروبة، والعروبة سامية.



فهؤلاء يدَّعون أننا نحاربهم من أجل هذا.

نحن لا نحاربهم لأنَّهم ساميُّون، ولا لأنَّهم يهود، نحن نحارب اليهود لأنَّهم غاصبون، غاصبون لأرضنا، معتدون علينا، ليس لهم أي حق في هذه الأرض، لا حقًا دينيًا كما يزعمون، ولا حقًا تاريخيًا.

ناقشنا في مقام آخر ما يزعمون أنَّه حق ديني لهم، وليس لهم أي حق، يقولون: إنَّ الله أعطى هذه الأرض لإبراهيم ولنسله.

لنفترض هذا صحيحًا وصدَّقناكم، ألسنا من نسل إبراهيم؟ ألسنا نحن العرب من نسل إبراهيم لأننا أبناء إسماعيل؟

يقولون: لا، إسماعيل ابن الجارية، وابن الجارية لا يُحسب في أبناء إبراهيم!

كذبتُم والله، فإنَّ إسرائيل نفسه الَّذي تتسبون إليه - وهو يعقوب عليه السلام - تزوج أربعًا، اثنتين من الحرائر واثنتين من الإماء، تزوج ابنتي خالته - أو خاله - وأنجب منهما ستة من أبناء إسرائيل، وتزوج جاريتيهما - أيضًا - وأنجب منهما ستة آخرين، فنصف بني إسرائيل من هاتين الجاريتين، فهل تنكرون أنَّ أبناء هاتين الجاريتين من بني إسرائيل؟ لا يستطيعون أن يفعلوا ذلك.

ونزيد على ذلك فنقول: إنَّكم تقولون في أسفاركم: إنَّ داود عليه السلام الَّذي تباهون به وتفخرون بمملكته، كان له مائة زوجة ومائتا جارية يتسرَّى بهن.

وأنَّ ابنه سليمان عليه السلام كان له ثلاثمائة زوجة وسبعمئة أمة، ولا شكَّ أنَّهما أنجبا من هؤلاء وهؤلاء، والجميع يدخلون في بني إسرائيل.

فلماذا تُخرجون إسماعيل وحده لأنّه ابن الجارية؟!

وإذا كان ابن الجارية أليس هو ابن إبراهيم؟!

لتكن أمّه ما تكون، فإنّما هو ابن إبراهيم عليه السلام.

هؤلاء لا يستندون إلى منطق، إنّهم لا يعتمدون على حُجّة، أو سلطان مبين، إلّا سلطان القوّة وحدها.

تكلم السيف فاسكت أيّها القلم!

هذا هو منطقهم.

ليس لهم أي منطق ديني، ولا منطق تاريخي.

وهل هذا الوعد الذي وعدهم الله، وعدّ مطلق أو وعدّ مشروط؟

إذا تمسّكوا بعهد الله، وساروا على منهج الله، أمّا إذا انحرفوا فلا بدّ أن يؤدّبهم القدر، كما قال تعالى في سورة الإسراء: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَلَٰئِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨].

إذا عدتم إلى الإفساد عُدنا عليكم بالعقوبة، كما قال الشاعر:

إنّ عادت العقربُ عُدنا لها بالنَّعل والنَّعلُ لها حاضرة^(١)

وكما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُوبُكَ لِبَعَثْنَاهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ﴿[الأعراف: ١٦٧، ١٦٨] قَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا.

ولهذا يسلط الله عليهم ما بين حين وآخر من يسومهم سوء العذاب.

(١) من شعر الفضل بن عبّاس. انظر: الحيوان للجاحظ (٣٦٦/٤)، نشر دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

وآخر من فعل بهم ذلك هو «هتلر» الذي أراد أن يصفّهم تصفية جسدية، صحيح أنه لم يفعل كما يدّعي اليهود أنه أحرق ستة ملايين فيما يسمّونه «الهولوكست»!

هذا كذب، وقد أثبتت دراسات علمية موضوعية أكاديمية كذب هذه الأرقام، وكتب ذلك المفكر المعروف «روجيّه جارودي» في كتابه «الأساطير المؤسّسة للصهيونية».

ولكنّ إسرائيل بما لها من سلطان على الإعلام، وعلى السياسة تستطيع أن تقلب الحقائق، أن تجعل الكذب صدقاً والصدق كذباً. وهذا على كلّ حال لا يهمنا، الذي يهمنا هو: أنفسنا، نحن - والله - نملك الكثير، ولكنّا لا نستخدمه!

هذه الأمة تملك من مقوّمات القوّة ما لا يملك غيرها.

نحن نظنّ أنّ اليهود يملكون كلّ شيء.

لا والله، ليس اليهود بالقوّة التي نتخيلها.

عندهم مائتا قنبلة نووية، ليكن.

عندهم ترسانة أسلحة لا توجد عند العرب مجتمعين.

عندهم مساندة أميركا.

عندهم تأييد من يؤيدهم من الغربيين.

ولكن نحن معنا الحقّ، نحن أصحاب الحقّ، نحن معنا تأييد الله تعالى، نحن أمة كبرى: مليار وثلث مليار من البشر، كلّها تتعلّق قلوبها بالقدس وبفلسطين، نحن معنا هذا الرصيد الهائل، نستطيع أن نقاوم.



ونحن نستطيع أن نقف أمام إسرائيل بصدورنا، والله نستطيع أن نرحف إلى الأقصى، وليقتلوا من يقتلون منا، سيقتلون ألفاً، عشرة آلاف، مائة ألف، مليوناً، ليقتل مليون من المسلمين، ولكن لا بد أن يفتح الطريق أمام المسلمين.

كانوا يقولون: إسرائيل هي القوة التي لا تقهر!
وقد رأيناها قُهرت، قُهرت في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ -
السادس من أكتوبر ١٩٧٣م.
إسرائيل يمكن التغلب عليها، وقد انتصر عليها كذلك حزب الله في جنوب لبنان.

إسرائيل مجموعة من المتناقضات، اليهود أنفسهم منقسمون: هناك اليهود الأوربيون، واليهود الشرقيون - السفارديم والأشكناز - وهؤلاء يتعالون على هؤلاء.

اليهود الشرقيون هم سبعون في المائة (٧٠٪)، ومع هذا ليس لهم في الجامعات إلا حوالي سبعة في المائة (٧٪) فقط!

أمّا يهود «الفلاشا» الذين جاؤوا من الحبشة فهؤلاء لا يُعتبرون، يؤخذ منهم التبرع بالدم في زجاجات ثم تُرمى؛ لأنّ دماءهم لا تصلح!

هذا هو المجتمع الإسرائيلي، وكما قال الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ [الحشر: ١٤].

هناك متناقضات في داخل إسرائيل:

كل ما نحتاج إليه: إرادة قوية تحاول أن تجمع هذه الأمة، التي فُرقت

وشتتت، شتتتها الأيديولوجيات المختلفة، وشتتتها الولاءات المتباينة، وشتتتها الأهواء والمصالح والأنانيات، وشتتتها حمق الحمقى.

تشتتت هذه الأمة ويجب أن تتحد، إن لم يتحد المسلمون فليتحدا العرب، إن لم يتحد العرب فليتحدا الفلسطينيون قبل كل شيء، لا يجوز أن يتصارع الفلسطينيون بعضهم مع بعض.

أسفنا - والله - أشد الأسف لهذه التهم التي كملت جزافاً للمجاهدين في سبيل الله، الذين باعوا أرواحهم ونذروا حياتهم لنصرة هذه القضية، لا يبتغون إلا الله والجنة.

هؤلاء الذين قالوا: إما أن نعيش أعزاء أو نموت شهداء، تُكتال إليهم التهم!

ما كنا نود أن تصبح السلطة في جانب والشارع الفلسطيني في جانب، نحن نريد أن يتحد هذا الشعب سلطة وشارعاً وفصائل مقاومة، ليقفوا أمام العدو الذي تبين أنه لا يعطيهم إلا الأوهام، إلا سراباً ﴿بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً﴾ [التور: ٣٩].

يجب أن نوحّد الكلمة ما استطعنا:

وشكر الله للإخوة في «حماس»، الذين يمدّون أيديهم لإخوانهم مهما أودوا، ويقولون: لا نرضى أبداً أن ينقسم الفلسطينيون، وأن يتصارع الفلسطينيون، ولا نريد أن نكون سبباً في ذلك، وإن أودينا، وإن لُفّق علينا ما لُفّق، وإن قيل فينا ما قيل.

وهذا هو الموقف الحق، الموقف الصادق.



نحن نستطيع أن نفعل الكثير إذا وجَّهنا وجوهنا إلى الله تعالى، والله
إننا نقدر أن نفعل الكثير.

ليست هذه أوّل مرّة تضيع فيها فلسطين، ضاعت من قبل، وهياً الله
رجالاً حرّروها.

ونحن إن شاء الله عندنا الرجال، عندنا الأبطال، عندنا الشّباب الذين
نذروا حياتهم لله تعالى، وهذا أهمُّ ما نحتاج إليه.

نريد المتجرّدين الذين جرّدوا نيّاتهم وبواعثهم من كلّ عرض دنيوي،
وجعلوها لله ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك
لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

يا أيُّها الإخوة، يا أيُّها الشّباب:

لقد عشنا في زمن رأينا فيه فلسطين تسقط أمامنا مدينة مدينة، في
سنة (١٩٤٨م)، ونحن نترقّب الإذاعات يقولون: سقطت «حيفا»، يا الله،
وداعاً يا «حيفا»، وداعاً يا «يافا»، وداعاً يا «عكا»، في كلّ مدّة تسقط مدينة
من مدائن فلسطين أمام أعيننا، ونودّعها بالدموع والأحزان.

أين الأمّة؟ أين أمّة العرب والإسلام؟

كانت الأمّة مغيّبة في ذلك الوقت، حتّى إنّ الجيوش العربيّة التي
دخلت فلسطين - بعد الخامس عشر من مايو حينما أعلنت دولة
إسرائيل - كان المفروض أن تدخل هذه الجيوش لإقامة دولة فلسطين
حسب قرار التقسيم، قرار التقسيم جعل دولة لليهود ودولة للعرب،
الطبيعي أن تدخل الجيوش العربيّة لتساعد في إقامة دولة العرب؛
دولة الفلسطينيّين، وكان هناك حكومة منفي موجودة بالفعل يرأسها

«أحمد حلمي باشا» اسمها «حكومة عموم فلسطين» كما كنّا نقرأ في ذلك الوقت.

ولكن - للأسف - لم تدخل الجيوش العربيّة لإقامة دولة فلسطين مقابل دولة إسرائيل، وإنّما دخلت لتأديب العصابات الصهيونيّة! واحتلت الأردن القدس والضفة الغربيّة، واحتلت مصر غزّة، وطبعًا بعد ذلك لا يُسمح بإقامة دولة داخل الدولة، وهكذا.

وبعد مدّة - بعد أن قام الفلسطينيون وانضم إليهم المتطوعون من مصر وسوريا من الإخوان المسلمين، ومن بعض ضباط الجيش المصري الذين أخذوا إجازات من عملهم الرسمي، وتطوّعوا في هذا العمل الجهادي - قام الفلسطينيون بمقاومة بأسلة، برغم قلة إمكانياتهم - فإنّ الانتداب البريطاني كان يحرم عليهم حمل السلاح أي سلاح، من يملك رصاصة فإنّه يعاقب بخمسة عشر عامًا في السجن - ومع هذا استطاعوا أن يحققوا نصرًا وإنجازًا في مواقع شتّى.

ولكن جاءت الهدنة التي وافقت عليها الحكومات العربيّة، وكانت هذه الهدنة هي بمثابة حُقنة مقويّة، أو مخرجة من الموت إلى الحياة لإسرائيل، في شهر واحد تدفقت الأسلحة من كلّ مكان على إسرائيل.

هذا - للأسف - ما حدث.

المتطوعون قاموا بما قاموا من أعمال في سبيل الله لا زال التاريخ يذكرها، لا يتسع المقام لأحدّثكم عن بعض هذه النماذج من المجاهدين الذين باعوا أنفسهم لله.



لعلنا في خطبة أخرى - إن شاء الله - نتحدث عن نماذج المؤمنين من المجاهدين الذين تطوعوا لله تعالى.

أنا أقاوم إذن أنا موجود:

يا أيها الإخوة، إن قضية فلسطين قضية حيّة، لا يمكن أن تموت أبداً، إذا سلّم فيها بعض الناس فلن نسلّم فيها.

لا يمكن أن نسلّم بضياغ جزء من فلسطين، وكما قلت أمس: إذا كان «مناحم بيجن» قال: أنا أحارب إذن أنا موجود، فإنّ الشّيخ أحمد ياسين قال: أنا أقاوم إذن أنا موجود.

لا بدّ أن تستمرّ المقاومة، والمقاومة بالحقّ ستنتصر على المحاربة بالباطل.

سينتصر أحمد ياسين - إن شاء الله - على مناحم بيجن، ﴿وَيَأْتِ اللَّهَ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

زِيَارَةُ الشَّيْخِ أَحْمَدَ يَاسِينَ لِلدَّوْحَةِ:

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ، يَسْعَدُنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَنَا الْأَخَ الْمَجَاهِدَ الصَّابِرَ الْمُحْتَسِبَ الْمُرَابِطَ - الَّذِي نَذَرْنَا نَفْسَهُ لِلَّهِ، لِلْإِسْلَامِ، وَلِفِلَسْطِينَ، وَلِمُقَاوَمَةِ الْعَدُوِّ الْبَاغِي الْأَثِمِ، مُقَاوَمَةِ الصَّهْيُونِيَّةِ الظَّالِمَةِ، مُقَاوَمَةِ هَذَا الْإِسْتِعْمَارِ الْإِرْهَابِيِّ أَكْبَرَ إِرْهَابِي فِي الْعَالَمِ - الْأَخَ «أَحْمَدَ يَاسِينَ» الَّذِي أَوْذِيَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَوْذِيَ، عَلَى مَا بِهِ مِنْ تَعَبٍ جَسْمِيٍّ، وَعَلَى مَا بِهِ مَمَّا تَرَوْنَ، وَلَكِنْ هَذَا الْجِسْمُ الْمَرِيضُ وَرَاءَهُ رُوحٌ قَوِيَّةٌ لَا تَسْتَسْلِمُ وَلَا تَخْنَعُ وَلَا تَنْحِنِي أَبَدًا.

حَاوَلِ الْيَهُودَ أَنْ يُغْرَوْهُ فَلَمْ يُغْرَ، حَاوَلُوا أَنْ يَثْنَوْهُ فَلَمْ يَثْنَوْهُ، حَاوَلُوا أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ بِطَلَبٍ فَلَمْ يَقْبَلْ، حَاوَلُوا أَنْ يَوْقَعَ عَلَى بَيَانِ فَرَفُضٍ. إِنَّهُ يَعِيشُ لِقَضِيَّةٍ، وَيَعِيشُ لِرِسَالَةٍ.

وَهَكَذَا نَحْتَاجُ نَحْنُ إِلَى هَذَا النُّوعِ مِنَ الرِّجَالِ ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هَذَا الرَّجُلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالِ، نَحْسِبُهُ كَذَلِكَ وَلَا نَزَكِّي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَثْبِتَهُ وَإِخْوَانَهُ عَلَى الْحَقِّ، وَأَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ فَتْحًا مَبِينًا، وَأَنْ يَهْدِيَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَأَنْ يَنْصُرَهُمْ نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَنْ يُتِمَّ عَلَيْهِمْ نِعْمَتَهُ، وَيُنْزِلَ فِي قُلُوبِهِمْ سَكِينَتَهُ، وَيَنْشُرَ عَلَيْهِمْ فَضْلَهُ وَرَحْمَتَهُ.



اللهم أيد بروح من عندك إخواننا في فلسطين وفي لبنان.

اللهم أيد إخواننا في «حماس» وفي «الجهاد».

اللهم أيد المجاهدين في سبيلك.

اللهم أمدهم بروح من عندك، واحرسهم بملأ من جندك، واحفظهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

اللهم أيد إخواننا في كشمير وفي الفلبين وفي السودان، وفي سائر بلاد الإسلام.

اللهم اجمع كلمة إخواننا في أفغانستان وفي الصومال وفي سائر أرض الإسلام.

اللهم اجمع الكلمة على الهدى، والقلوب على التقى، والنفوس على المحبة، والنيات على الجهاد في سبيلك، والعزائم على عمل الخير وخير العمل.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً سخاءً رخاءً، وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أحب أن أنبه الإخوة أن الأخ المجاهد الشيخ «أحمد ياسين» ستكون له كلمة بعد الفراغ من صلاة الجمعة إن شاء الله.



أرجو من الإخوة أن يبقوا في مجالسهم بعد الصلوة لنستمع إليه،
زاده الله توفيقاً وثبتته وسدّد خطاه.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



فلسطين عبر التاريخ^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في مثل هذا اليوم من خمسين عامًا - في الخامس عشر من شهر مايو سنة ١٩٤٨م - وقع حدث الأحداث في تاريخ المسلمين، ومأساة المآسي. في مثل هذا اليوم من خمسين سنة اغتُصبت الدُّرة اليتيمة في تاجنا، اقتُطعت فلذة من كبَدنا، اقتُطعت أرض هي بمنزلة سواد العين وسويداء القلب من أمتنا، اقتُطعت فلسطين ليقوم عليها كيان غاصب دخيل سمّوه «دولة إسرائيل».

في مثل هذا اليوم من خمسين عامًا حدثت هذه المأساة، ولم تكن مفاجئة، كان هذا ثمرة عمل مخطط مدروس، كان هذا نتيجة جهد دائم معروف وملموس، قام به الصهاينة قبل خمسين عامًا أو تزيد، منذ بدأت الصهيونية السياسية المنظمة الذي أشرف على إنشائها «هرتزل»، وهو الذي انعقد برئاسته مؤتمر «بازل» سنة ١٨٩٧م في سويسرا، وأعلن هناك: أن دولة اليهود ستقوم بعد خمسين عامًا.

(١) أُلقيت بتاريخ ١٣ مايو ١٩٩٨م.



وقد حدث هذا وقامت الدولة.

قام قرار التقسيم بعد خمسين عامًا، وأنشئت الدولة بعد إحدى وخمسين سنة، أُعلن قيام دولة إسرائيل رسميًا.

وفور قيامها وبعد دقائق اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية، وكان على رأسها «ترومن» الذي كان متحيزًا مائة في المائة (١٠٠٪) لليهود الصهاينة، ولما نصحه بعض مشاوريه وخلصائه أن يعمل حساب العرب والمسلمين، قال: وماذا عند العرب؟ كم لهم من الأصوات في الانتخاب؟ هل معهم شيء غير حزمة من الوثائق القانونية؟! هكذا كان موقف أمريكا.

وبعدها بساعات اعترف الاتحاد السوفيتي، واعترفت أقطار أوروبا واحدًا بعد الآخر.

وعملت أمريكا عملها لتغري البلدان الصغيرة بالاعتراف بإسرائيل، وأعلن الجميع أن إسرائيل خلقت لتبقى!

كان بداية ذلك - أيها الإخوة - مؤتمر «بازل» الذي تجسّدت فيه المنظّمة الصهيونيّة السياسيّة الجديدة التي أصبحت بديلًا عن الصهيونيّة الروحيّة الدينيّة القديمة.

حاول «هرتزل» في أوّل الأمر أن يختار بلدًا غير فلسطين، لم تكن فلسطين هي المرشّحة الأولى في أوّل الأمر، رُشّحت بلدان عدّة في إفريقيا وفي أمريكا اللاتينية، رُشّحت «موزمبيق» و«الكونغو» و«أوغندا»، ورُشّحت «قبرص» في بعض الأحيان، ورُشّحت «الأرجنتين»، رُشّحت بلاد شتى.

ولكن اليهود في العالم لم يتجاوبوا مع ذلك، كانوا مربوطين بالأوطان التي يعيشون فيها، وكانوا يعيشون فيها في أغلب الأحيان أغنياء موسرين، كما رأيناهم في مصر وفي غيرها يملكون المتاجر الكبرى، ويسيطرون على الثروة، وعلى الأسواق، وعلى البنوك.

فلم يتجاوب اليهود مع تلك الأقطار.

وهنا رأى «هرتزل» أن يغيّر الموقف، وأن يبدّل الوطن المنشود، ورأى أن يلهب العواطف الدينيّة، فكانت قضية «فلسطين»، وكانت فكرة «أرض الميعاد».

وهنا استغلّ «هرتزل» وجماعته الحنين عند اليهود إلى فلسطين، والذكريات التاريخية القديمة لهذه الأرض.

وفعلًا تبني المؤتمر اليهودي في سنة ١٩٠٥م فكرة «أرض الميعاد»، أرض «فلسطين»، وكان ذلك بعد موت «هرتزل» بسنة.

وظلّوا يعملون على ذلك، وتجاوب اليهود في أنحاء العالم مع هذه الفكرة.

واخترع المخترعون لهم أمرين ليشدّوا اليهود لهذه الأرض:

١ - دعوى أنّ لهم حقًا تاريخيًا في فلسطين.

٢ - ودعوى أخرى أنّ لهم حقًا دينيًا في هذه الأرض.

دعوى اليهود بالحق التاريخي:

قالوا: إنّنا نحن أصحاب هذه الأرض من الناحية التاريخية.

وكذبوا، هذه الأرض كانت للعرب قبلهم، وأصبحت للعرب بعدهم، لم يدخلها اليهود وهي فارغة، بل دخلوها وفيها أهلها، ولم يتركوها وهي خالية، بل تركوها وفيها أهلها، وأهلها هم أهل فلسطين.

مرّ اليهود مرورًا عابرًا على هذه الأرض، نحو أربعمئة سنة أو نحو ذلك، وكان العرب «اليبوسيون» والعرب «الكنعانيون» هم الذين عاشوا في هذه الأرض آلاف السنين قبل أن يدخلها إبراهيم عليه السلام وأولاده، ودخلها إبراهيم ضيفًا غريبًا على هذه الأرض، حتّى إنّه حينما ماتت زوجته سارة لم يجد لها قبرًا يدفنها فيه، فتبرّع له أحد أبناء فلسطين بقطعة من الأرض، فأبى إلا أن يشتريها منه.

معناها: أنّ الأرض ليست ملكه حتّى اشتراها.

هكذا كان الأمر قديمًا، فحينما دخل اليهود هذه الأرض كان فيها أهلها، وحينما أخرجوا تركوا فيها أهلها - أيضًا، فأين الحق التاريخي لهؤلاء؟ بقوا فيها مئات السنين فقط مفسدين في الأرض، حتّى سلّط الله عليهم من الأعداء من عاقبهم وأدّبهم.

سلّط عليهم البابليين - بختنصر - فجاسوا خلال الديار، دخلوا ديارهم، وتبرّوا ودمّروا وخربوا، خربوا الهيكل، وأحرقوا التوراة، وقتلوا من قتلوا، وهدموا ما هدموا، وأخذوا بقية الإسرائيليين أسارى منفين إلى أرض بابل «سبعين سنة» في الأسر البابلي - أو النفي البابلي - الذي تعرفه أدبيات اليهود.

ثمّ سلّط عليهم بعد ذلك حينما أفسدوا في الأرض مرّة أخرى - حينما صلح أمرهم بعض الشيء، عادت لهم الكرة على أعدائهم

فأفسدوا مرةً أخرى فسَلَطَ الله عليهم - الرومان فضربوهم الضربة القاصمة، وشتتوهم في أنحاء الأرض، وحقَّ عليهم ما قاله الله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨].

البابليون أزالوا دولة اليهود من فلسطين، والرومان أزالوا الوجود اليهودي من فلسطين، لم يعد لهم وجود في فلسطين، حتَّى إِنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حينما دخل القدس فاتحًا واشترط بطريق القدس «صفرونيوس» ألاَّ يسلم مفاتيح المدينة إلَّا لخليفة المسلمين وأمير المؤمنين بنفسه، وجاء عمر بن الخطَّاب في رحلة تاريخية مثيرة وتسلم المفاتيح من هذا الطريق وعقد معه عقدًا أو عهدًا يسمُّونه «العهد العمري» أو «العهد العُمري»: أَنْ يُوَمِّنَ النَّصَارَى الَّذِينَ يَسْكُنُونَ الْقُدْسَ - أَوْ إِيْلِيَاءَ كَمَا كَانَتْ تَسْمَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ - عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمَعَابِدِهِمْ وَشَعَائِرِهِمْ وَصَلْبَانِهِمْ، وَأَلَّا يُمَسُّوا بِسُوءٍ.

وكان من بنود هذه الاتفاقية: ألاَّ يساكنهم فيها يهود^(١).

هم الَّذِينَ اشترطوا ذلك، أرادوا ألاَّ يساكنهم اليهود في هذه المدينة. اليهود تركوا القدس وتركوا فلسطين من عهد الرومان، وانتشروا في الأرض، فُرِّقُوا فِيهَا شَذَرٌ مَذَرٌ، قَطَّعُوا فِي الْأَرْضِ أُمَمًا كَالَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وتسلم المسلمون القدس، وأقاموا فيها حضارتهم: حضارة العلم والإيمان، ودولتهم: دولة العدل والإحسان، لم يظلموا أحدًا، ولم يكونوا كالفاتحين من الأمم الأخرى الَّذِينَ إِذَا دَخَلُوا بَلَدًا أَذَلُّوا أَهْلَهَا،

(١) سبق تخريجه ص ١١٢.

أَذَلُّوا الْعِبَادَ وَأَفْسَدُوا الْبِلَادَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي شَأْنِهِمْ مِنْ قَدِيمٍ عَلَى لِسَانِ بَلْقِيسَ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤]، هذا شأن الاستعمار والفتح الاستعماري.

ولكن فتح المسلمين لم يكن فتحًا استعماريًا، كان فتحًا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الله هي كلمة الحق والعدل والخير والإحسان، فهكذا كان المسلمون.

دعوى الحق الديني ووعده الله لليهود:

وعاش اليهود تلك الآلاف من السنين، وفجأة تذكروا أن هناك وعدًا من الله لهم بأرض الميعاد!

أين هذا الوعد منذ دالت دولتكم على أيدي البابليين؟!
وأين هذا الوعد منذ زال وجودكم من أرض فلسطين على أيدي الرومان؟!!

أين كان هذا الوعد؟ لماذا لم ينجز الله وعده لكم؟
إن الله وعدكم أن تدخلوا الأرض وقد دخلتموها، ولكن لم يعدكم بالبقاء فيها أبد الدهر.

قالوا: إن الله وعد إبراهيم أنه سيعطي له ولنسله هذه الأرض.
صدقنا.

فمن هم نسل إبراهيم؟
إن إبراهيم كان له ولدان:
ولده البكر والأول: إسماعيل.



وولده الثاني: إسحاق.

لماذا جعلتم نسل إبراهيم منحصرًا في أولاد إسحاق، ولم تدخلوا معهم أبناء إسماعيل؟! هل يكيل الله بكيلين؟ لماذا يحرم الله أولاد إسماعيل وما جنوا ذنبًا؟!!

قالوا: إنّ إسماعيل ابن الجارية، وإسحاق ابن الحرّة!

هذا ابن هاجر المصرية الأمّة، وهذا ابن سارة الحرّة.

قلنا: ولكن كلاهما من أولاد إبراهيم عليه السلام، لا يضر الأولاد أن يكونوا من أمّهات مختلفة ما داموا منسوبين إلى أبيهم، فلا بدّ أن يرثوا أباهم.

ونقول لهم: إنّ إسرائيل عليه السلام - وهو يعقوب - كانت له زوجتان - ابنتا خاله - أنجب منهما ستًّا من أبنائه «أسباط إسرائيل»، وكان له جاريتان أنجب من الجاريتين ستة أولاد.

أي أنّ نصف بني إسرائيل أولاد جوارى!

فهل تنكروا نسب هؤلاء في بني إسرائيل؟!!

لا يستطيعون أن ينكروا ذلك.

ليس للإسرائيليين حقّ تاريخي، ولا حقّ ديني في فلسطين.

أولى النّاس بميراث هذه البلاد هم: المسلمون، الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

إِنَّ اللَّهَ لَا يَعَامِلُ النَّاسَ بِالْعُرُوقِ وَالْأَجْنَاسِ، اللَّهُ تَعَالَى قَالَ لِإِبْرَاهِيمَ - كما ذكر القرآن - : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ هل هذه الإمامة تستمر في ذريتي؟ ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

الظالمون لا ينالون عهد الله، ولا يستحقون هذا الميراث الشريف.

وقد قال الله تعالى في إبراهيم وإسحاق: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات: ١١٣].

إنَّ إسرائيل حاولت أن تكسب الأوربيين بهذه الدعاوي الباطلة، وهي دعاوي لا أساس لها.

وللأسف صدَّقها كثير من الأوربيين المسيحيين، وخصوصاً «البروتستانت» منهم، الذين يؤمنون بأنَّ من حقَّ إسرائيل أن تكون لها دولة، وهكذا رأينا رؤساء أميركا منذ عهد «ترومن» ومن بعده، وخصوصاً «كارتر» و«ريجان» و«بوش» و«كلينتون»، كلُّ هؤلاء يؤمنون بهذا الحقِّ الذي يزعمونه لليهود في التوراة وفي الكتاب المقدس.

يا أيُّها الإخوة، هذا ما يزعمه اليهود.

ونحن نقول: إِنَّ الْأَرْضَ أَرْضُنَا، إِنَّ الْأَرْضَ أَرْضُنَا، وليس لهؤلاء حقٌّ إِلَّا أَنْ يَعِيشُوا أَهْلَ ذِمَّةٍ بَيْنَنَا، وقد كانوا.

هؤلاء اليهود عاشوا قرونًا بين ظهرائي المسلمين يعتبرهم المسلمون في ذمتهم وحمايتهم، طردهم العالم في أنحاء الأرض، لفظهم كما تُلَفِّظ النواة، وجأؤوا إلى بلاد المسلمين، لم يجدوا كهفًا يؤويهم، لم يجدوا صدرًا يتسع لهم إِلَّا ديار الإسلام.

فلما تمكّنوا يوماً قلبوا لهذه الديار ظهر المِجَن، وبدؤوا يعملون لإقامة دولتهم في قلب ديارنا - في أرض النُّبَوَات، أرض المقدَّسات، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، في أرض الإسراء والمعراج، في القبلة الأولى للمسلمين - وأقاموها بالفعل، أقاموها في غفلة من العرب والمسلمين، لم يدركوا ما يُبَيِّت لهم.

محاولات فاشلة مع السلطان عبد الحميد:

كان هؤلاء يعملون ليل نهار على كلِّ مستوى: المستوى السياسي، والمستوى الاقتصادي، والمستوى الديني، والمستوى الفكري، والمستوى العسكري، ويتّصلون بالأمم، وحاولوا أن يرشوا خليفة المسلمين «السلطان عبد الحميد» الرجل الذي رفض بإباء وشمَم ملايين اليهود الذهبية التي أغروه بها، بعضها لخزانة الدولة، وبعضها لخزائنه الخاصة، فأبى أن يسلم شبراً واحداً من أرض فلسطين ما دام حيّاً.

وعد بلفور:

حاولوا هذا، وحاولوا شراء الدول الكبرى، واستطاعوا أن يؤثروا على بريطانيا، خصوصاً بعد أن قامت الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٤م)، واستطاع بعض اليهود أن يقدّم لهم خدمات، منهم «حاييم وايزمان» العالم الكيميائي الشهير الذي اخترع مادة متفجّرة أخبر بها البريطانيين، وأراد أن يقدّمها هدية لهم في مقابل وعد منهم بإقامة وطن لليهود.

وصدر هذا الوعد المشؤوم المعروف بوعد «بلفور» - وبلفور هو وزير خارجية إنجلترا - في الثاني من نوفمبر سنة (١٩١٧م).



ودخلت جيوش الحلفاء إلى القدس سنة (١٩١٧م)، وأعلن القائد الإنجليزي كلمته الشهيرة حين قال: اليوم انتهت الحروب الصليبية^(١).
أي: حقّقنا ما فشلنا وأخفقت فيه الحروب الصليبية القديمة، ودخلنا القدس واحتلنا فلسطين، ما عجز عنه القدماء حقّقناه اليوم.
هكذا قال القائد الإنجليزي الذي دخل القدس.

وقال القائد الفرنسي الذي دخل دمشق عبارة مماثلة، حينما وقف على قبر البطل الإسلامي محرّر القدس ومحرّر فلسطين وصاحب معركة حطين وقال بشماته: ها قد عدنا يا صلاح الدين^(٢).
وقرّرت عصبة الأمم بعد ذلك أن تكون بريطانيا منتدبة في فلسطين، أصبح لها حق الانتداب على فلسطين لمدة ثلاثين عامًا.

استعلاء اليهود للانتداب البريطاني في فلسطين:

وفي هذه الأعوام الثلاثين غرس للصهيونية غراسها، وبذرت لها بذورها، وسوعدت على أن تقيم منشآتها ومستعمراتها اليهودية - كانوا يسمونها قديمًا المستعمرات ثمّ غيروها بعد ذلك باسم المستوطنات، هي مستعمرات لأنّها منشآت استعمارية في أرض غير أرضهم - وجمع اليهود الملايين ليشتروا الأرض من الفلسطينيين بأثمان باهظة، ومغرية، وفوق المعتاد، وبأضعاف الأضعاف.

ورفض الفلسطينيون الفقراء والضعفاء، وباع بعض الكبراء والأغنياء للأسف، ولا سيّما من غير المسلمين، وأخذت أراض من الدولة أو غير ذلك، واستطاع اليهود أن يثبتوا أقدامهم بصورة ما.

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٦.

(٢) سبق تخريجه ص ٢٤٧.

أقام اليهود منظماتهم الإرهابية الثلاثة المعروفة، وكانوا في غاية التنظيم والتنسيق والقوة.

على حين كان العرب مبعثرين، كلُّ قرية تدافع عن نفسها بأفراد منها، ليس بينهم رابطة تربطهم، لم يكونوا يملكون من السّلاح إلّا القليل والضئيل والعتيق، بل كان السّلاح ممنوعاً عليهم، من يملك رصاصة يعاقب بالسجن خمسة عشر عاماً!

بينما اليهود يهيّأ لهم كلُّ شيء.

وقد هُيئ لهم قبل ذلك حين كان لهم فيلق صغير في الجيش البريطاني، وكان في هذا الفيلق «موسى ديان» «وأبا إيبان» وغيرهما من الّذين قادوا بعد ذلك الحملات العسكرية في أرض فلسطين ضد أهلها العرب الفلسطينيين.

الفلسطينيون يقاومون:

مرّت الأيام، ولم يستسلم الفلسطينيون، قاوموا بما يملكون، وكانت لهم بطولات وبطولات، رغم ضعف العُدّة وضعف الآلة.

كانت ثورة عزّ الدين القسّام، وكانت ثورة سنة ١٩٣٦م بقيادة الحاج أمين الحسيني، وكان فيها إضرابٌ عام استمرّ ستة أشهر ودوّخ بريطانيا المنتدبة على فلسطين.

أتعرفون من الّذي فكّ هذا الحصار وفكّ هذا الإضراب؟

الدول العربيّة! حكّام الدول العربيّة في ذلك الوقت هم الّذين ناشدوا أهل فلسطين أن يفكّوا هذا الإضراب من أجل خاطر عيون الصديقة بريطانيا!

هكذا فعل هؤلاء.

قاوم الفلسطينيون مقاومات شتى على قدر ما لديهم.

وكان العرب عامّة في عمى عمّا يجري، حتّى قيل لأحد رؤساء وزراء مصر في ذلك الأوان عن قضيّة فلسطين وما يجري فيها فقال لهم هذه العبارة المخجلة: أنا رئيس وزراء مصر، ولست رئيس وزراء فلسطين!

حسن البنّا وقضيّة فلسطين:

كان رجال الإسلام وحدهم هم الذين يدركون عمق المأساة، وعمق المصيبة.

كان «حسن البنّا» رَحِمَهُ اللهُ هو الذي يجوب الآفاق هنا وهناك، يحرك الناس من أجل قضيّة فلسطين، وكان يعدّ أبناءه للجهاد في فلسطين، حتّى جاء الأوان في سنة (١٩٤٨م) حينما أعلنت دولة إسرائيل.

وذهب المتطوّعون - قبلها كانت ميادين التدريب في كلّ مدينة في مصر، وكنت أحد هؤلاء الشّباب الذين درّبوا في هذه الميادين، ولكن إمامنا الشّيخ البنا رفض أن يذهب طلاب الثانوية إلى الجهاد، لم يستثن إلّا أحد إخواننا حدّثكم عنه في خطبة ماضية: الأخ الصديق الحبيب الشهيد عبد الوهاب البتانوني الذي أخذنا له استثناء من الإمام البنا؛ فقد كان يحلم بالذهاب إلى فلسطين، كانت فلسطين حلمه في ليله وفكره في نهاره - وكانت هناك بطولات بارعة ينبغي أن تُروى للأجيال، وأنّ يسجّلها التاريخ، وأن نحفظها لأولادنا.

كم هناك من شباب كانوا يتهافون على الموت في سبيل الله، يتسابقون على الشهادة.

كتب الأستاذ كامل الشريف في كتابه «الإخوان وحرب فلسطين» عن الشباب الذين كانوا معه إذا أراد منهم ثلاثة أو أربعة ليذهبوا في دورية معينة أو في مهمة معينة: يأتيه العشرات وكلهم يريد الفوز بالاختيار، فلا يملك إلا أن يجري بينهم القرعة!

ليس هناك حلٌ إلا هذا، فإذا أصيب أحدهم في سبيل الله ابتسم وقال: وعجلت إليك ربي لترضى.

أحدهم أصيب بدانة مدفع قطعت ساقه، فنظر إلى هذه الساق المقطوعة وهو يبتسم رضا وفرحاً، وهو ينشد قول ذلك الصحابي القديم:

ولستُ أبالي حين أُقْتَلُ مُسْلِمًا على أيِّ جَنبٍ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذات الإله وإنْ يَشَأْ يُبَارِكْ على أوصالٍ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ^(١)

كان لهؤلاء المتطوعين بطولات ومواقف، حتّى قال أحد القادة الإنجليز عقب معركة من المعارك قال في إعجاب: لو كان معي ثلاثة آلاف من هؤلاء لفتحت بهم فلسطين!

إنّهم الذين باعوا أرواحهم لله، ووضعوا رؤوسهم على أكفهم، لا يبالون أسقطوا على الموت أم سقط الموت عليهم، إنّ الله اشترى منهم وهم قد باعوا، اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة، أرادوا الصفقة فسلموا الثمن.

أذكر في إحدى القرى التي كنت أطوف بها لنجمع التبرّعات لفلسطين، ونجمع الأسلحة الخفيفة لفلسطين، أذكر ذلك الأخ الذي جاء

(١) سبق تخريجه ص ٨٧.



إلى رئيس الإخوان في «بسيون» وقال له: إنني أريد أن أذهب إلى فلسطين، وسأبيع جاموستي وأسلح نفسي.

فقال له: يا أخ حسن، خلّ جاموستك لأولادك وتعال أنت، أنت ليس عندك مال، هناك أناس أصحاب أموال يجهّزونك، و«من جهّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا...»^(١).

فقال له: يا حاج أحمد، ألم تتل علينا قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١]؟

هل اشترى الأنفس وحدها، أم اشترى الأنفس والأموال؟

قال له: اشترى الأنفس والأموال.

قال: فأنا أريد الجنة، فأريد أن أبذل نفسي ومالي لله.

هذه هي الروح التي كانت سائدة في الأمة^(٢).

دخول الجيوش السبعة فلسطين:

وليت الجيوش السبعة لم تدخل فلسطين، ليتها تركت هؤلاء المتطوّعين وأمدّتهم بالقليل من السّلاح والقليل من العتاد، والله لاستطاعوا أن يفعلوا الكثير مع اليهود وأن يدوّخوهم، وقد حدث بالفعل.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٨٤٣)، ومسلم في الإمارة (١٨٩٥)، عن زيد بن خالد الجهني.

(٢) راجع كتابنا: التربية الإسلامية ومدرسة حسن البنا ص ٣٩ - ٤٩، عنوان: الجانب الجهادي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٢م.

كان المفروض حينما دخلت الجيوش العربيّة فلسطين، أن تعلن قيام دولة فلسطين حسب التقسيم الذي أعلن قبل ذلك بسنة (سنة ١٩٤٧م) حسب قرار الأمم المتّحدة أن هناك دولة للفلسطينيين ودولة للإسرائيليين، وقد أعلنت دولة إسرائيل فلا بدّ أن تُعلن دولة فلسطين، وكان على الجيوش التي دخلت أن تفعل ذلك، ولكنها للأسف لم تفعل - مع أنّه كان هناك حكومة للفلسطينيين تسمّى: «حكومة عموم فلسطين» برئاسة أحمد حلمي باشا، وكان هذا معروفًا في ذلك الوقت - كلُّ جيش دخل استولى على منطقة وأصبح يحكمها بنفسه، وطبعًا لا يسمح للفلسطينيين أن يقيموا دولة داخل الدولة، وهذه أوّل غلطة أو أوّل جريمة.

قيام الكيان الصهيوني:

حدث ما حدث - أيّها الإخوة، واستطاعت إسرائيل بالمجازر البشريّة، بالهول، بالإرهاب، بالرعب الذي بثّه في القلوب، حينما قتلت الأطفال والنساء والشيوخ بلا هوادة ولا رحمة، في «دير ياسين» وغير دير ياسين، حينما كانوا يتنافسون ويتضاحكون ويمسكون بالمرأة الحامل ويقولون: ما رأيكم فيما في بطنها أهو ذكر أم أنثى؟

ويتراهنون على هذا، ثمّ يشقون بطنها ويخرجون الجنين منها، فإذا هو ذكر نجح هذا وكسب الرهان، أو أنثى، وهكذا، ثمّ يقتلون الأم وجنينها معها.

بهذه المجازر التي يقول فيها «بيجن»: لولا انتصار دير ياسين ما قامت إسرائيل.

اعتبر هذه المجزرة وقتل البراء والأمين والنساء والأطفال انتصارًا.



دولة عنصريّة:

لكن، هذه هي صهيون، وهذه هي إسرائيل، وهذه طبيعتها.
لقد ابتلينا بقوم لا خلاق لهم، ابتلينا بشرّ أنواع الاستعمار، كما قال
من قال: «الصهيونيّة أعلى مراحل الاستعمار» تجسّدت في هذا الاستعمار
الآفات الخلقيّة والنفسية للنفس اليهوديّة والصهيونيّة.
أولى هذه الآفات: العنصريّة.

فهؤلاء يؤمنون أنّهم الشعب المختار، وأنّ الله لهم وحدهم!
نحن نقول: الله ربّ العالمين، وهم يقولون: الله ربّ إسرائيل!
أحتّى «الله» عنصري عند هؤلاء؟!

شعب عنصري.

يقولون: لليهودي لا تقرض برّبا، ولغيره تقرض بالربا!
فالحلال يختلف والحرام يختلف باختلاف النّاس.
ونحن عندنا الحلال حلال للجميع، والحرام حرام على الجميع.
أمّا هؤلاء فيقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَكِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]،
يستبيحون دماء الأمم وأموالها وحرّماتها.

دولة تقوم على العنف والإرهاب:

العنصريّة هي آفة هؤلاء الأولى.

ثمّ: القسوة والعنف، كما وصفهم الله تعالى في كتابه: ﴿ثُمَّ قَسَتْ
قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾، ويقول: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَقَهُمْ
لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

التوراة نفسها تصفهم بذلك، وتسميهم: الشعب الصُّلب الرقبة.

هؤلاء ظهرت قسوتهم وظهر عنفهم فيما رأينا من مجازر قبل قيام إسرائيل، وبعد قيام إسرائيل: صبرا وشاتيلا وبحر البقر، إلخ هذه الأشياء التي سمعنا بها ولا نزال نسمع.

هؤلاء هم الذين ذبحوا من ذبحوا في الخليل، ذبحوا المصلين الراكعين الساجدين الصائمين في شهر رمضان وفي صلاة الفجر.

هم الذين قتلوا من قتلوا في نفق القدس.

هم الذين قتلوا من قتلوا في «قانا» في لبنان.

هؤلاء يتميِّزون بالقسوة والعنف إن كانت هذه ميزة.

هؤلاء - أيضًا - من آفاتهم: اللاأخلاقية، لا يعترفون بقيمة الأخلاق، ولا بالزامية الأخلاق، لا يعترفون إلا بالمنفعة، والمنفعة لهم خاصة.

فلا قيمة خلقية ثابتة لديهم، الغاية عندهم تبرّر الوسيلة، كلّ الوسائل عندهم مشروعة، حتّى إباحة الأعراض وإباحة النساء وإباحة كلّ شيء، لا يتورّعون عن شيء في سبيل غايتهم، وهذا ما قاله لهم تلمودهم.

نحن عندنا كلّ شيء لا بدّ أن تحكمه الأخلاق والقيم، في السّلم والحرب، في السياسة والاقتصاد، في كلّ مجال من مجالات الحياة: لا يجوز للمسلم أن يتعدى حدوده، ومع النّاس جميعًا: «أدّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك»^(١).

(١) رواه أبو داود في الإجارة (٣٥٣٥)، والترمذي في البيوع (١٢٦٤)، وقال: حديث حسن غريب. وصحّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٠١٩)، عن أبي هريرة.

ومن الوصايا المفهومة في الحرب: «لا تَغْلُوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا - أي: بجث الأعداء - ولا تقتلوا وليدًا»^(١).

أمّا هؤلاء فلا أخلاق لهم ولا خلق لهم.

من آفات الطبيعة اليهوديّة: الإرهاب، وهو من ثمرة هذه الأشياء، هم أكبر الإرهابيين في العالم.

هم يقولون عن حركة «حماس» وحركة «الجهاد»: إنهم الإرهابيون! ويريدون من السلطة الفلسطينية أن تقضي على الإرهابيين، أي: تقضي على حركة حماس وحركة الجهاد.

وحماس - وكذلك الجهاد - ليست إرهابية، حماس تدافع عن وطنها، تدافع عن أرضها، تدافع عن أهلها، تدافع عن عرضها، تدافع الغاصبين الظلمة الذين لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمّة، ولا يرعون لأحد عهدًا ولا حرمة.

حماس تقاتل بشرف.

هذا إن سمّوه إرهابًا، فهو الإرهاب المشروع ﴿تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

أمّا إرهاب اليهود الذين أقاموا على أساسه دولتهم فهو إرهاب غير مشروع، إرهاب ظالم، إرهاب باغ مستكبر في الأرض.

(١) رواه مسلم في الجهاد والسير (١٧٣١)، وأحمد (٢٣٠٣٠)، عن بريدة.

شُرُّ استعمارٍ في الأرض:

إنَّنا أصبنا بشرَّ استعمارٍ؛ لأنَّه استعمار استيطاني إحلالي.

كان هناك استعمار مشابه في الجزائر من فرنسا، ولكن الفرنسيين لهم وطن يعودون إليه، ثمَّ هم أرادوا أن يشاركوا الجزائريين في وطنهم، دون أن يخرجوهم منه.

وهؤلاء ليس لهم وطن، جاؤوا شُذَّاذًا في الآفاق من بلاد شتَّى، وهم يريدون أن يجعلوا من فلسطين وطنهم، وأن يحلُّوا محلَّ أهلها بعد طردهم منه.

فهذا شرُّ أنواع الاستعمار.

وهو استعمار ظالم باغ في الأرض بغير الحقِّ، متكبر جبار. هذا هو الاستعمار الصهيوني الإسرائيلي الذي ابتليت به أمَّتنا، فهل نستسلم لهذا الاستعمار؟

لقد قاومنا وقاومنا، ثمَّ رأينا فئة منَّا سئمت طول الطريق، سئمت طريق الجهاد والكفاح، وسعوا وراء السَّلام، وهو سلام هزيل، سلام أعرج، سلام لا يعيد الحقَّ إلى أهله، سلام علَّقت فيه القضايا المهمَّة: قضية القدس، وقضية اللاجئين المشرَّدين، وقضية المستوطنات والمستوطنين، وقضية الحدود.

هذه القضايا المهمَّة كُلُّها علَّقت، فما الَّذي حلَّ من القضايا؟!!

رضينا بالظلم والظلم لم يرض!

هذا السَّلام - الَّذي قبله من قبله - أصبحت إسرائيل تركله بقدميها، ولا تبالي به، ومع هذا نحن نجري وراءها ونركض، نقول: سنصبر على إسرائيل، سنصبر ونصبر! أي صبر هذا؟!!

إنَّه ليس الصبر المحمود الَّذي أمر به الله ورسوله، بل هو الصبر المذموم، إنَّه ليس صبر الأحرار، بل هو صبر الحمير.

صبر الحمير الَّذي عبَّر عنه الشاعر قديماً حينما قال:

أَقُولُ كَمَا يَقُولُ حِمَارٌ سَوْءٌ وَقَدْ سَامُوهُ حِمْلًا لَا يُطِيقُ
سَأَصْبِرُ وَالْأُمُورَ لَهَا اتِّسَاعٌ كَمَا أَنَّ الْأُمُورَ لَهَا مَضِيقُ
فَإِمَّا أَنْ أَمُوتَ أَوْ الْمُكَارِي وَإِمَّا يَنْتَهِي هَذَا الطَّرِيقُ^(١)!

هذا هو صبر الحمار، وليس هو صبر الأحرار.

في حلقة في قناة فضائية منذ ليلٍ، سمعت أحد ضيوفها يقول: إنَّ الحروب لا تحلُّ مشكلة، لا يحلُّ المشاكل إلاَّ الحوار، مهما طال، ولو امتدَّ سنين، ولو حصلنا على واحد في المائة أو أقل!

يا عجباً، أي حوار هذا؟! كيف يتحاور الحمل والذئب؟! كيف يتحاور القلم والسيف؟! كيف يتحاور اللحم والسكين؟! كيف تتحاور العذراء ومغتصبها؟! كيف يتحاور صاحب الدار واللص المدجج بالسلاح؟!

أي حوار هذا؟!

إنَّ الحوار هنا لا يجدي فتيلاً، ولا يغني شيئاً؛ لأنَّه حوار بين الحقِّ والقوَّة، الحقُّ الأعزل والقوَّة المُسلَّحة.

(١) من شعر الأمير بدر الدين الحسن بن علي. انظر: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية (٩٥/١)، تحقيق محمد بسيوني عسل، محمد بن علي الأكوع الحوالي، نشر مركز الدراسات والبحوث اليمني، ط ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.



طريق الجهاد والمقاومة:

ليس هناك إلا طريق واحد: هو «الجهاد»، هو «المقاومة»، ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

هذا هو منطق الدين، ومنطق الفطرة، ومنطق التاريخ، ومنطق الواقع: أن الإنسان لا يسلّم في أرضه ولا عرضه ولا حرّماته وإن أصابه ما أصابه، ويقاوم ما استطاع المقاومة.

الشاعر العربي قديماً قال:

وكنْتُ إذا قومٌ غزَوْنِي غزوتهم فهل أنا في ذا يا لهمدانَ ظالمٌ؟
متى تحملُ القلبَ الذَّكِيَّ وصارماً وأنفاً حميًّا تجتنبُكَ المَراغمُ^(١)

هذا ما يقوله منطق الشاعر قديماً.

وأما الشاعر حديثاً فقال:

والشرُّ إن تلقَهُ بالخيرِ ضِقتَ به ذرعاً وإن تلقَهُ بالشرِّ ينحسِمُ
والناس إذا ظلموا البرهانَ واعتسفوا فالحربُ أجدى على الدنيا من السَّلمِ^(٢)

ولهذا قال من قال: إن الشر بالشر يُحسم، والبادئ أظلم.

والله تعالى يقول: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

(١) الوحشيات ص ٣٢.

(٢) انظر: ديوان عبد المطلب ص ٢٦٣، قصيدة: ظل البردة، شرح إبراهيم الإياري وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة الاعتماد، ط ١.

ويقول سبحانه: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أي: لا تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

وفي آية أخرى يقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

لم يكلفنا الله تعالى أن يكون عندنا من السلاح ما عند أعدائنا. لا نملك ما تملك إسرائيل من الترسانة النووية، ولكننا نملك إرادتنا، نملك أيدينا، نملك الأسلحة الخفيفة، نملك هذه الأشياء، وهي قوة في أيدينا.

إنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

لم يقل: «أعدوا لهم مثل ما أعدوا لكم» قد لا نستطيع ذلك، إنما المهم أن نبذل ما في استطاعتنا.

ونحن نستطيع الكثير لو أننا وحدنا صفوفنا.

إنَّ فرقنا وتمزقنا هو الذي جعل إسرائيل تتجبر علينا، وتعبث بنا، وتتحكم فينا، وتريد تركيعنا، وأن نحني لها رؤوسنا، وأن نقبل أقدامها، وأن نلعق أحذيتها - وكان بعض الناس عندنا لا يجدون في ذلك غضاظة، كأنهم يريدون أن يلحقوا أقدام إسرائيل!

ما هذا يا قوم؟ أين العزة العربية الإسلامية؟

والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافون: ٨].



نحن نملك أنفسنا، نملك أن نقول: لا بملء أفواهنا، نملك أن نصرخ: نريد فلسطين، لن نسلم فلسطين، لن نسلم القدس أبداً، سنموت دونها، ليمت مائة ألف، مليون، مليونان من العرب والمسلمين، لن يضر ذلك المسلمين شيئاً - إنه اليأس الفلسطيني^(١)، والعجز العربي، والوهن الإسلامي، والتفرد الأمريكي، والغياب العالمي، كل هذه العوامل جرأت إسرائيل.

ولكن نقول: إننا معنا الحق، نحن أصحاب الحق، والحق منصور في النهاية، معنا الله وملائكته وصالح المؤمنين، ومعنا الأرض والسماء، كل شيء سيكون في صفنا، كما أخبرنا رسول الله ﷺ عن المعركة الفاصلة الآتية لا ريب فيها في يومٍ من الأيام.

وهذه بشرى ينبغي أن نحفظها ونعيها ونؤمن بها أننا سنقاتل اليهود وتقاتلنا اليهود، وكان المسلمون في الأزمنة الماضية يعجبون كيف يقاتلنا اليهود وهم في ذمتنا وحمايتنا، ما عرفوا أن الزمن سيتغير، وأن الدنيا ستتطور: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله»^(٢).

معنى هذا: أن كل شيء سيكون في نصرة المسلمين، حتى الأحجار والأشجار تتكلم.

هل تتكلم بلسان المقال أو تتكلم بلسان الحال؟

ليس بعزيز على قدرة الله أن ينطق الحجر والشجر.

كل شيء سيكون معنا؛ لأننا أصحاب الحق، والدنيا ذول، والدهر

(١) المقصود: يأس السلطة والقيادة، وليس يأس الشعب؛ فالشعب الباسل لم يستسلم أبداً.

(٢) رواه مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٩٢٢)، وأحمد (٩٣٩٨)، عن أبي هريرة.

قُلِّبْ، الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك، إذا كان اليوم لليهود أقوىاء
ومعهم أمريكا، فإنَّ دوام الحال من المحال، والله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ
الْآيَاتُ نَذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

لا بدَّ من المقاومة، ليس هناك من سبيل إلا المقاومة، وإن طالت،
وإن كانت ثمرتها الآن قليلة.

الصبر هنا هو المطلوب، نصبر ونصابر ونربط كما قال تعالى:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
[آل عمران: ٢٠٠].

وليست المعركة معركة عسكرية فقط، إنها معركة عسكرية، ومعركة
اقتصادية، ومعركة سياسية، ومعركة ثقافية، ومعركة اجتماعية، ومعركة دينية.
لا بدَّ أن ندخل المعركة في كل ميادينها وبكل أبعادها، لا بدَّ أن
نقاطع إسرائيل ومن وراء إسرائيل، لا بدَّ أن نرفض التطبيع أيًا كانت
صورته وكان شكله.

لا تطبيع مع العدو:

لا تطبيع مع هذا الغاصب المعتدي.
كيف تكون علاقتنا طبيعية مع الذين يهتكون عِرْضنا، ويغتصبون
أرضنا، ويلوثون حرماننا؟

كيف تكون علاقتنا طبيعية مع هؤلاء الذين فعلوا بنا الأفاعيل؟
هذا عجب من العجب.

يجب أن نرفض التطبيع الاقتصادي، والتطبيع السياسي، والتطبيع الثقافي،
والتطبيع الاجتماعي، ونرفض كل ما يجيء من إسرائيل، هذا هو واجبنا.



والمعركة مستمرة أيها الإخوة، لن نلقي السلاح، سنظل نجاهد،
وسنظل نقاطع، وسنظل نقاوم، ونؤيد إخواننا المقاومين الأبطال الذين لم
يستسلموا ولم يرضوا يوماً أن يبيعوا أرضهم ووطنهم تحت أسماء
لا معنى لها ولا مضمون لها.

إننا نأمل أن تعود الانتفاضة الإسلامية، انتفاضة أشبال الحجارة أقوى
مما كانت، وأن تنضم فيها السلطة الفلسطينية إلى الشعب الفلسطيني.
لا يجوز أن ينقسم الفلسطينيون إلى سلطة وشعب، وماذا كسبت
السلطة؟

لقد تنازلت وتنازلت، ولكن إسرائيل تركب رأسها، ولكن إسرائيل
تتبه كبراً وفخراً، ولا تريد أن تعطي شيئاً، حتى الفتات لا تجود به،
وصدق الله العظيم إذ وصفهم بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ
النَّاسَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ٥٣].

إننا نأمل أن تعود الانتفاضة، وأن تعود فلسطين يداً واحدة، وشعباً
واحدًا، يقاوم ما استطاع إلى المقاومة، ولن يسلم في شبر من أرضه، وإننا
لهذا اليوم لمنتظرون ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ * ﴿بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ
يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ * وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿[الرؤم: ٤ - ٦].

أقول قولي هذا - أيها الإخوة والأخوات، وأستغفر الله تعالى لي
ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد:

فقد ورد أنّ في يوم الجمعة ساعة إجابة ولعلّها تكون هذه الساعة^(١).

اللهمّ انصر الإسلام وأعزّ المسلمين.

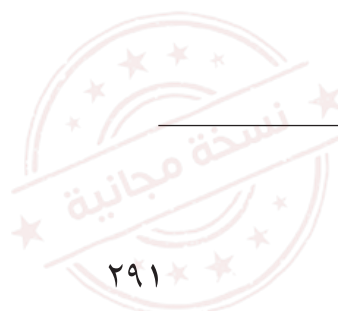
اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة أعداء الإسلام هي السفلى.

اللهمّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وهب لنا من أمرنا رشداً.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ انصُرنا على اليهود الغادرين، اللهمّ انصُرنا على اليهود المُعتدين.

* * *

(١) سبق تخريجه ص ١٠٢.



رسالة إلى المؤتمر الإسلامي التاسع^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ينعقد في «الدوحة» بعد غد مؤتمر القمة الإسلامية التاسعة.

هذا المؤتمر الذي يمثل مليارًا وثلث المليار من المسلمين، يمثل ألفًا وثلاثمائة مليون في العالم ممن يشهد: «أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ».

مؤتمر يمثل هذه الأمة الكبرى لا بدَّ أَنْ تكون له أهميته، وبخاصة أنه ينعقد في جوٍّ يتطلب من هذه القمة أَنْ تتخذ مواقف حاسمة، مواقف تاريخية، تثبت للأمة وجودها، وتثبت ذاتيتها، ويتجاوب فيها القادة مع الشعوب وال جماهير، فلا تعيش الجماهير في وادٍ وقادتهم وحكامهم في وادٍ آخر.

الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم:

هذه القمة تمثل أمة الإسلام، وبعض الناس يحاول أن يشكك في وجود هذه الأمة.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة، في ١٣ شعبان ١٤٢١هـ الموافق ١٠ نوفمبر ٢٠٠٠م.

قال لي بعضهم: أين هذه الأمة؟ إنها وهم وليست حقيقة!

قلت له: لا، هذه الأمة حقيقة وليست وهمًا، هي حقيقة بمنطق الدين، وهي حقيقة بمنطق التاريخ، وهي حقيقة بمنطق الجغرافيا، وهي حقيقة بمنطق العصر الذي نعيش فيه، وهي حقيقة بمنطق أعدائنا أنفسهم.

أمة بمنطق الدين:

هي حقيقة بمنطق «الدين»: فَإِنَّ اللَّهَ سَمَّى الْمُسْلِمِينَ «أُمَّةً» وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

كأنما يشير إلى أنه لا تتم العبادة ولا تكتمل التقوى إلا بوحدة الأمة. أمة بمنطق الدين، أمة ربها واحد، ورسولها واحد، وكتابها واحد، وعقيدتها واحدة، وشريعته واحدة، وقبلتها واحدة، فكيف لا تكون أمة؟ أمة بمنطق الدين؛ لأن الدين يفرض عليها أن تكون أمة متماسكة ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

منطق الدين يقول: إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ حَقِيقَةٌ.

بمنطق التاريخ:

وهي كذلك حقيقة بمنطق «التاريخ»: فقد عاش المسلمون أمة واحدة طوال ثلاثة عشر قرنًا، تجمعهم - بعد وحدة القبلة ووحدة العقيدة - وحدة الدار، دار الإسلام، الفقهاء يسمُّون أوطان المسلمين: دار الإسلام،



هي دار وليس ديار الإسلام، دار واحدة تجمع المسلم مع المسلم حيثما كان، مهما تفرّقت به الأوطان أو الألسنة أو الألوان.

وحدّتهم دار الإسلام، ووحدّتهم مرجعية الشريعة التي لم يعرفوا مرجعاً غيرها يحتكمون إليه، ويقضي به قضائهم، ويفتي به مفتوهم، طوال ثلاثة عشر قرناً، أي: قبل أن يدخل الاستعمار بلاد المسلمين، ويلغي الشريعة الإسلامية، ويحلّ محلّها القوانين الوضعية.

التاريخ يقول: إنّ هذه الأمة كانت أمة واحدة وحدّتها العقيدة والشريعة والقبلة، ووحدّتها دار الإسلام، ووحدّتها قيادة واحدة، فقد كان هناك «خليفة» يحكم الأمة منذ الخلفاء الراشدين؛ فالأمويين فالعباسيين فالعثمانيين إلى أن ألغيت الخلافة وهدمت هذه القلعة التاريخية، هذه المظلة التي كانت تظلّ الأمة الإسلامية حتّى ألغيت سنة (١٩٢٤م) حينما قامت الدولة العلمانية الأتاتورية الحديثة.

منطق التاريخ يقول: هذه الأمة حقيقة.

بمنطق الجغرافيا:

وهي حقيقة كذلك بمنطق «الجغرافيا»؛ فهي أمة تعيش على رقعة من الأرض متصلة بعضها ببعض؛ لأنّ الإسلام كان ينتشر انتشاراً طبيعياً، ينتقل من منطقة إلى منطقة مجاورة، وهكذا حتّى أصبح هذا العالم الإسلامي الذي نراه، هذه الكتلة الخضراء على خريطة العالم.

منطق العصر:

هي حقيقة بمنطق الجغرافيا، وهي حقيقة كذلك بمنطق «العصر» الذي نعيش فيه.



العصر الذي نعيش فيه يقول: إنه لا مكان للكيانات الصغيرة، لا بدّ أن تتجمّع الكيانات الصغيرة لتكون شيئًا كبيرًا.

هذا ما رأيناه في العالم من حولنا، فهم يريدون للعالم كلّ أن يتكثّل بعضه مع بعض، وأنّ يتمزّق المسلمون وحدهم، لا تجمعهم غاية، ولا توحدهم جبهة.

رأينا العالم يتقارب، وأقرب مثل لذلك: هذا التقارب الأوربي الذي أصبح يكون كيانًا ثقافيًا واقتصاديًا وسياسيًا واحدًا هو «الاتحاد الأوربي»، على رغم ما كان بين الأوربيين بعضهم وبعض من حروب سُفكت فيها الدماء، وأزهقت فيها الأرواح بالآلاف والملايين، آخر هذه الحروب: الحربان العالميتان الأولى والثانية، وكم حصدت فيهما من عشرات الملايين بأيدي الأوربيين بعضهم مع بعض.

هؤلاء نسوا هذه الحروب، ورأوا أنّ المصلحة تقتضي أن يتقاربوا ولا يتباعدوا، وأن يتحدوا ولا يختلفوا، وأن يجتمعوا ولا يتفرّقوا.

هذا هو منطق العصر، منطق التكتّل، نرى بعض الدول: «دولتان» أو «ثلاث» تشترك في صنع طيّارة متطورة!

ذلك لأنّ هذا العالم لا يستطيع الكيان الصغير أن يعيش فيه، فلماذا يراد بنا نحن المسلمين وحدنا أن نطلّ كيانات هزيلة؟!

بعض الدول لا تكاد تراها على خريطة العالم إلّا بمجهر!



أهذا هو الذي يراد لهذه الأمة التي اعتبر دينها توحيد الكلمة بجوار كلمة التوحيد؟!

قام هذا الدين على وحدة المعبود ووحدة العابدين.
منطق العصر يقول: إنّ هذه الأمة هي حقيقة.

بمنطق أعداء الأمة:

منطق «أعداء الأمة» أنفسهم يقول: إنّ الأمة الإسلامية حقيقة وليست وهمًا.

هم لا ينظرون إلينا عربًا وعجمًا، لا ينظرون إلينا تقدّمين ورجعيين أو يمينيين ويساريين، ينظرون إلى المسلمين باعتبارهم «أمة».

لقد رأينا إسرائيل تقلق وتنزعج، ويصيبها الفزع والرعب، حينما ملكت باكستان «القنبلة النووية»، أفزعها أن تملك دولة إسلامية قنبلة! وحينما ملكت إيران الصاروخ «الشهاب الثاني» أفزعها ذلك.

يفزعها أن تقوى أمة إسلامية، وهي تحاول أن تصيد في الماء العكر، وأن تمزق الروابط بين المسلمين بعضهم وبعض.

هم ينظرون إلى المسلمين ككتلة واحدة، كأمة واحدة، هكذا ينظر الصهاينة، وهكذا ينظر الأمريكيان، وهكذا ينظر الآخرون.

ولذلك أنا أقول - أيّها الإخوة: المسلمون أمة، هذه هي حقيقة وليست وهمًا^(١).

ماذا تملك الأمة من أسباب القوّة؟

(١) راجع رسالتنا: الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، وهي في الأصل نقاش دار بيني وبين الكاتب المعروف السيد يس، على صفحات جريدة الأهرام المصرية.

امتلاك الأمة مقومات السيادة:

وهي أمة تملك من مقومات السيادة والريادة ما يجعلها في الطليعة، وليس في الذيل، لو أحسنت الاستفادة ممّا آتاه الله من قدرات.

القوة البشرية:

هذه الأمة تملك القوة العددية «مليارًا وثلاثًا».

والقوة العددية نعمة - أيضًا، الله تعالى يقول: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] امتنّ بالكثرة.

الشاعر العربي يقول:

ولست بالأكثر منهم حصًا وإنما العزّة للكثير^(١)

ويقول الآخر:

ملأنا البرّ حتى ضاق عنا ونحن البحر نملؤه سفينا^(٢)

نحن أمة كبيرة في العدد.

للأسف بعضنا يعتبر العدد كأنه نقمة، أو كأنه كارثة.

لا، لو انتفعنا بهذه الأعداد وأحسنّا توظيفها، كما يفعل الصينيون، لأصبح لنا شأن.

القوة الاقتصادية:

نملك القوة البشرية العددية، ونملك القوة المادية والاقتصادية؛

(١) من شعر الأعشى. انظر: صبح الأعشى (١/٤٤٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) انظر: ديوان عمرو بن كلثوم ص ٩١، بيت من معلقته الشهيرة، تحقيق إميل بديع يعقوب، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.

فنحن عندنا من الثروات المذخورة في باطن الأرض، والثروات المنشورة على ظاهر الأرض، عندنا من الثروات المعدنية والزراعية والمائية ما لا تملكه أمة أخرى، لو تكامل بعضنا مع بعض.

للأسف منذ سنوات قرأت أن نسبة التبادل التجاري بين المسلمين بعضهم وبعض لم تبلغ ثمانية في المائة (٨٪)!

أهذا معقول؟!

لماذا لا نقوي هذه الروابط الاقتصادية والتجارية بين أبناء الأمة المسلمة؟

الأمة تملك ثروات هائلة، وتملك موقعاً في العالم، في سرّة العالم. وتملك من البحار والبحيرات والأنهار والمضايق ما لا يملكه غيرها: مضيق عدن، ومضيق البوسفور، ومضيق الدردنيل، ومضيق جبل طارق، ومضيق باب المندب.

نملك أشياء كثيرة كلّها مصدر من مصادر القوة.

القوة الروحية:

ونملك فوق ذلك: القوة الروحية.

نملك أعظم رسالة في العالم «رسالة الإسلام».

نحن وحدنا الذين عندنا الوثيقة السماوية الإلهية التي لم يعترها تحريف ولا تبديل، والتي تتضمن كلمات الله الأخيرة للبشرية في الرسالة الخاتمة «رسالة محمد ﷺ»، عندنا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.



عندنا رسالة التوازن والتكامل التي تصل الأرض بالسماء، وتصل الدنيا بالآخرة، وتصل الخلق بالخالق، وتجمع بين الروح والمادة، وتمزج بين العقل والقلب.

رسالة التوازن هذه تعطيك الإيمان ولا تسلبك العلم، وتعطيك الروح ولا تأخذ منك المادة، وتعطيك الآخرة ولا تنزعك من الدنيا.

هذه هي رسالتنا التي نقدّمها إلى العالم طوق نجاة وسفينة إنقاذ. نحن وحدنا الذين نملك هذه القوّة الروحيّة، وهذه الرسالة الربّانيّة العالميّة.

القوة الحضاريّة:

نحن نملك القوّة الحضاريّة، نحن أمّة عميقة الجذور ضاربة في أغوار التاريخ، ليس عمرنا مائة سنة أو مائتي سنة كبعض الدول الكبرى، نحن عمرنا طويل.

الإسلام صار له أربعة عشر قرناً، ولكن الإسلام ضمّ أمماً عريقة ذات حضارات ضاربة في التاريخ من قديم: الحضارة الفرعونيّة، الحضارة الفينيقيّة، الحضارة الآشوريّة والبابليّة والكلدانيّة، الحضارة الفارسيّة، الحضارة الهنديّة، هذه الحضارات في أرضنا.

في أرض الإسلام نبتت الحضارات، ونبتت الرسالات السماويّة كلّها: اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام، كلّها نبتت من هذه الأرض.

نحن أمّة ذات حضارة، ذات عمق حضاري، ذات عمق تاريخي، لسنا أمّة على الهامش، ولا أمّة قريبة القاع أو قريبة الجذور.

هذه كُلُّها من مصادر القوَّة، فلا بدَّ لهذه الأُمَّة أن يكون لها مكان تحت الشمس، وهذا ما نطالب به قادة هذه الأُمَّة: أن يعوا دور هذه الأُمَّة، أن يتحرَّروا من الخوف، ويتحرَّروا من الخنوع، ويتحرَّروا من الشعور بالدونية أمام الحضارة الغربيَّة.

لا والله لسنا أذيالاً وقد خلقنا الله رؤوساً، لسنا عبيداً، وقد ولدتنا أمَّهاتنا أحراراً.

نحن كنَّا الأُمَّة الأولى والعالم الأوَّل طوال عشرة قرون، كانت حضارتنا هي الحضارة السائدة في العالم، كنَّا معلمي الدنيا، في جامعاتنا جاء التلاميذ من أنحاء العالم، وكان علماءنا هم أساتذة البشر، أشهر أسماء العلماء طوال تلك العصور كانت أسماء علمائنا، أشهر المراجع العلمية في العالم كانت كتب علمائنا.

تلك العصور الَّتِي كانت تعتبر في أوربا عصور الظلام هي عصور الثُّور عندنا.

نحن صنعنا الحضارة، وأخذنا من اليونان، وأخذنا من الفُرس، وأخذنا من الهنود، وأخذنا من غيرهم، ولكنَّا أضفنا وهذبنا ونقَّحنا، وأنشأنا علومًا - ابتكرنا علومًا - مثل علم الجبر، ولم نشعر أبدًا أن هذه الحضارة كانت مضادَّة للدين أو العلم مناقض للإيمان، بل سار العلم والإيمان جنبًا إلى جنب، حتَّى إن كثيرًا من علماء الدين كانوا علماء في الكونيَّات والطبيعيَّات، مثل: «ابن رُشد» الَّذِي كان قاضيًا وكان فقيهاً مجتهدًا، وهو صاحب كتاب «بداية المُجتهد ونهاية المُقتصد» في الفقه المقارن، وهو الفيلسوف الكبير شارح أرسطو، وهو كذلك صاحب كتاب «الكليَّات» في الطب ومن أشهر أطباء العالم، وكان كتابه مرجعًا لأوربا لعدة قرون وتُرجم إلى اللاتينيَّة.

وكذلك «الفخر الرازي» المُفسّر والأصولي والمُتكلّم والفقيه، هذا الرجل قالوا: كانت شهرته في الطب لا تقلُّ عن شهرته في علوم الدين! و«ابن النفيس» الذي ترجم له «السبكي» في «طبقات الشافعية» كأحد فقهاء الشافعية، هو الذي اكتشف الدورة الدموية الصغرى.

كنّا نحن الأمة الأولى والعالم الأول، الآن نحن «العالم الثالث»! وأعتقد أنّ فينا دولاً لو كان هناك عالم رابع لنسبت إليه؛ لما تعاني من تخلف وما تعاني من جهل وفقر ومرض!

الأمّية لا زالت منتشرة في بلادنا، وهي لطفة سوداء في جبين أمّة أوّل آية نزلت على رسولها تقول: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]. لا بدّ أن نمحو الأمّية من هذه الأمّة، لا بدّ أن يتضامن أبناء هذه الأمّة لمحو هذا العار.

نحن إذن نملك مقوّمات القوّة، فلماذا نرضى لأنفسنا الدون، ونقنع بالعيش الهون؟

إننا نطالب القمّة الإسلاميّة التاسعة المنعقدة في هذا البلد الكريم أن تكون على مستوى الأحداث، وأن تكون على مستوى الأمّة التي يمثلون شعوبها، وأن تكون على مستوى الطموحات والآمال المعلقة عليها.

مطالبنا من القمّة الإسلاميّة:

أوّل ما يطلب من هذه القمّة: هو قضيّة القضايا، قضيّة المسلمين الأولى، قضيّة أولى القبلتين وثالث المسجدين المعظّمين، قضيّة القدس الشريف، قضيّة الأقصى، قضيّة الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، قضيّة فلسطين.

لا بدّ لهذه القمّة أن تكون على مستوى ما يطلب منها أبناء هذه الأمّة. ليس من المعقول أن تظلّ إسرائيل تصول وتجول، وتعربد، وتسفك الدماء، وتزهق الأرواح، وتدمّر المنشآت، وتحرق المزارع، وتقتل النساء والأطفال والشيوخ والمدنيين، ولا تجد من يؤدّبها ويعاقبها، أو يقول لها: قفي عند حدّك.

لقد وقف أبناء فلسطين وقفة الرّجال، وقفة الأبطال، صغارهم وكبارهم، رجالهم ونسائهم، فعلى أمّتنا أن تؤيّد هؤلاء، وألاً تضع دماءهم هدراً.

على أمّتنا أن تشعر بأنّ عليها واجباً نحو فلسطين، كما يشعر كلّ يهودي في العالم بأنّ عليه واجباً نحو إسرائيل.

اليهود أحرص النّاس على حياة، وأبخل النّاس بدرهم ودينار، جادوا بأنفسهم، وجادوا بأموالهم، من أجل إقامة إسرائيل.

فهل يتباطأ المسلمون؟ هل تتباطأ أمّة القرآن، وأمّة محمّد ﷺ على النهوض بواجبها نحو إخوانهم في الأقصى وفي القدس الشريف؟! لا والله.

إنّ الأمّة الإسلاميّة في كلّ مكان مستعدّة أن تبذل الروح وتبذل الدم، وتضع الرؤوس على الأكفّ في سبيل هذه القضية المقدّسة، ولكن الطريق مسدود، والأبواب مغلقة.

طالما ناديت من فوق هذا المنبر: افتحوا الحدود، افتحوا الأبواب لطلاب الشهادة، ولكن الاعتبارات السياسيّة التي تحكم القادة والزعماء،



والمخاوف التي تمتلئ بها قلوبهم من الغرب وبعبع الغرب، ومن أمريكا وحلفاء أمريكا، هي التي تُملئ عليهم هذه المواقف.

ولكنَّ الإنسان الحرَّ لا بدَّ أن ينتفض يوماً ما، كما انتفض إخوتنا وأبناؤنا في الأقصى.

لا بدَّ لهذه القمّة أن ترعى هذه الانتفاضة، وأن تؤيّد بها بكلِّ ما تستطيع، أن تؤيّد المقاومة وأن تشدَّ أزر المقاومة، ولا داعي لهذه الكلمة التي أوقفنا موقف الخنوع أمام إسرائيل: أن السّلام خيار إستراتيجي!

يعني ليس لنا حلٌّ غير هذا.

هذا هو مبدأ الضعف، والله السّلام إن كان هناك طريق إلى السّلام، فإذا لم يكن سلام عادل وآمن وشامل ويعطي كلّ ذي حقّ حقه فما معنى السّلام؟!

هذا هو السّلام الذي نهى الله عنه حينما قال: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾ [محمّد: ٣٥].

لا بدَّ أن تستمرَّ المقاومة، وإذا لم يكن القادة والزعماء على قُدرة على فنّ الحرب واستبعدوا الحرب، فعلى الأقل افتحوا الطريق للمقاومة الإسلاميّة.

الأمة الإسلاميّة تتجاوب مع هذه الانتفاضة، الأمة الإسلاميّة تجمعها دائماً المآسي التي تنزل بالمسلمين.

رأينا هذا في قضية أفغانستان فقد تجاوب المسلمون في أنحاء العالم مع الجهاد الأفغاني.

رأينا ذلك في قضية البوسنة والهرسك، ورأيناه في قضية كوسفو، ورأيناه في قضية الشيشان.

الجماهير المسلمة في المشرق والمغرب، في الشمال والجنوب، هذه الجماهير كلها تتجاوب مع المآسي الإسلامية وتحس بها وتعيشها.

هذا ما ينبغي أن يعيه قادتنا.

طالما قلت: لو أنّ الفلسطينيين فرّطوا في أرضهم وفي مقدّساتهم وتقاعسوا عن القيام بواجبهم لوجب علينا - نحن المسلمين - أن نقاومهم ونحاربهم؛ لأنّ القدس والأقصى ليس ملك الفلسطينيين وحدهم، ولا ملك العرب وحدهم، بل هو ملك المسلمين جميعاً، وليس ملك هذا الجيل وحده، لو فرض أنّ الجيل تقاعس وتخاذل، فلا ينبغي أن يفرض تقاعسه وتخاذله على أجيال الأمتّة القادمة، من حقّ هذه الأجيال أن يكون لها صوت، وأن يكون لها موقف.

إنّنا نطالب القمّة الإسلاميّة التاسعة بأن يكون دورها حاسماً، وموقفها واضحاً من هذه القضية المقدّسة العظيمة، قضية المسلمين الأولى، القضية المحورية، القضية المركزية التي طال عليها الأمد ولم تُحل.

ولا يمكن أن تحلّ إلّا بالجهاد، هذا ما علمناه التاريخ، وما علمناه الواقع.

والجهاد ألوان وأنواع، منها الجهاد بالمقاطعة، مقاطعة البضائع الإسرائيليّة والأمريكيّة وكل من يؤيّد إسرائيل.

يجب أن يشعر هؤلاء أنّ الأمتّة الإسلاميّة تعرف من يعاديها ومن يصادقها، من هو لها ومن هو عليها.

لا ينبغي أن أربح الذين يقتلون إخواننا وأخواتنا وأبناءنا وبناتنا في فلسطين وأشتري منهم السلعة، ثمن هذه السلعة قد يتحول إلى رصاصة تقتل إخواننا وأخواتنا هناك.

لا بدّ للقمّة الإسلاميّة أن ترعى هذا.

ولا بدّ للقمّة الإسلاميّة أن تعالج القضايا المعلقة، أن يكون لها رأيها واضحًا.

لا يجوز أن يظلّ هذا النزاع المسلح بين أبناء أفغانستان، رفاق الجهاد قديمًا ورفقاء السّلاح أصبح يقاتل بعضهم بعضًا بعد أن كانوا جبهة واحدة يقاتلون السوفييت الذين كانوا يضربونهم من فوق ومن تحت بالطائرات والدبّابات، ونصرهم الله عليهم، ولكنّهم انتصروا على السوفييت ولكن لم ينتصروا على أنفسهم!

وهذه مشكلتنا: أنّنا كثيرًا ما نتقن فنّ الموت في سبيل الله ولا نتقن فنّ الحياة في سبيل الله.

أمّتنا مطلوب منها في صورة قادتها وزعمائها أن تفرض حلًا لهذا الإشكال الدموي، كلُّ أفغاني يقتل وكلُّ مبنى يدمّر وكلُّ منشأة تخرب بأيدي الأفغانيين بعضهم وبعض، هذه كبيرة من الكبائر، وهذه كارثة من الكوارث، ينبغي للأمة أن تجد لها حلًا.

لماذا لا تكون هناك محكمة عدل إسلاميّة تُعرض عليها القضايا الإسلاميّة المختلف فيها، قضايا الحدود وقضايا النزاعات؟

لماذا لا يكون للأمة الإسلاميّة سوق إسلاميّة مشتركة تحقّق التكامل ولو مرحليًا مرحلة فمرحلة بين أبناء الإسلام؟



إِنَّ القضايا المعلقة لا بدّ للأمة أن تقف فيها وتقول فيها رأيها.

قضية کشمير التي طال عليها الزمن، وهي قضية عادلة كلّ العدل، لو أن ما اتُّبع في التقسيم طبّق على کشمير لكانت کشمير مع باكستان؛ فقد كان قرار التقسيم يقول: البلاد التي فيها أغلبية هندوسية تكون تبع الهند، والبلاد التي فيها أغلبية مسلمة تكون تبع باكستان.

وكانت کشمير ذات أغلبية كبيرة وواضحة من المسلمين، ولكنهم - للأسف - لم يطبقوا هذا، وظلّ هذا النزاع قائماً حتّى اليوم، ولا بدّ لنا أن يكون لنا حلّ.

لا معنى لمجاملة الهند على حساب باكستان كما يفعل كثيرون، الحقُّ أحقُّ أن يتّبع.

لا بدّ أن نقول كلمة الحقّ، ونصدع بكلمة العدل، ونكون مع إخواننا الذين ظلّموا ظلماً بيّناً، والذين قُتل منهم مَن قُتل وشرّد منهم مَن شرّد وسُجن منهم مَن سُجن وعذب منهم مَن عذب.

هناك قضايا عديدة من قضايا الأمة الإسلامية، لا بدّ لنا - أيّها الإخوة - أن ننتظر من قادة الأمة ومن زعمائها وحكّامها أن ينظروا إلى هذه القضايا نظرة واقعيّة، ونظرة فيها الشجاعة، وفيها الأمل.

النظرة التشاؤميّة لحال الأمة:

بعض الناس ينظرون إلى الأمور نظرة تشاؤميّة، ويقولون: نحن الآن في دور الهزيمة وفي دور التراجع!

لا والله، بل نحن في دور الصّحوة، في دور الانتفاضة، في دور القوّة.

لماذا ننظر إلى أنفسنا هذه النظرة المتشائمة التي ترى العالم كله ظلامًا، ولا ترى بعد الليل فجرًا، ولا مع العسر يسرًا؟
نحن نقول: إِنَّ عِنْدَنَا مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ الْكَثِيرِ وَالْكَثِيرِ.

عندنا مبشرات من القرآن الكريم، وعندنا مبشرات من السنة النبوية،
وعندنا مبشرات من تاريخنا الحافل، وعندنا مبشرات من واقعنا الماثل،
وعندنا مبشرات من سنن الله تعالى.

ومن هذه السُّنن: أَنَّ الْآيَّامَ دُولٌ، وَأَنَّ الدَّهْرَ قُلُوبٌ، وَأَنَّ دَوَامَ الْحَالِ
مِنَ الْمَحَالِ.

قانون التداول قانون أقره القرآن حينما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ
نُذَوِلُّهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فإذا كانت المدّة الماضية كانت الدولة فيها للغرب أو كانت الدولة
فيها للصهيونية، فالدور لنا في المرحلة القادمة حسب دوران الأيام،
حسب سنة التداول، الدور لنا وليس الدور علينا.

وكم رأينا من قوي ضعف، وكم رأينا من دول انهارت، كما رأينا
الاتحاد السوفيتي على ما كان يملك من ترسانات نووية ومن قوّة
عسكرية هائلة، سقط هذا العملاق وخرّ صريعًا، وما كان النَّاسُ ينتظرون
له أن يسقط بهذه السرعة.

نحن إذن ننظر إلى المستقبل بعين الأمل، ونعتقد أننا نملك - إن شاء
الله - من المقوّمات ما يجعلنا أمّة المستقبل لو وظّفنا ما عندنا، لو جنّدنا
القوى المذخورة في أمتنا: قوى الإيمان، قوى الروحانية، قوى الأخلاق.

هذه القوى المعنوية هي التي تصنع التاريخ، وهي التي تشير إلى ملامح المستقبل، «إذا غيرنا ما بأنفسنا غير الله ما بنا» هذه هي القاعدة الاجتماعية التي قررها القرآن.

الماركسيون يقولون: غير الاقتصاد أو غير علاقات الإنتاج يتغير التاريخ، ولكن القرآن يقول: غير ما بنفسك يتغير التاريخ، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

وجوب الوحدة الإسلاميّة:

كم أتمنى أن يحضر جميع قادة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها هذا المؤتمر الإسلامي، وأن يتصارع بعضهم مع بعض، وأن يتصالح بعضهم مع بعض.

لا معنى لأن يخاصم بعضهم بعضاً، لا معنى لأن تظلّ هناك أشياء متراكمة في النفوس لا نستطيع أن نطفئ جمرتها.

لا بدّ لهذه الأمة أن تقف وقفة واحدة، في المعركة لا يجوز أن يختلف النّاس، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤].

عند القتال، عند المعركة يجب أن يلتحم الصفّ، وأن يكون الكتف بجوار الكتف، وأن يكون الجميع كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً.

نحن في معركة كبيرة يجب أن نرصّ فيها الصفوف رصّاً، وأن نجندّ فيها القوى تجنيداً، وألاً نسمح لأحد بأن يخالف الصفّ.

النبي ﷺ علّمنا في صلاة الجماعة أن نقف صفّاً واحداً؛ فإنّ الله لا ينظر إلى الصفّ الأعوج، كصفوف الملائكة مستقيمة مترابطة، وهذا رمز لحياتنا الإسلاميّة، نتعلّم من الصّلاة كيف ننظّم حياتنا.

يجب أن تترابصّ الأمة في هذا الوقت، وأن تحاول بإخلاص وبجدية أن تحلّ المشاكل المعلقة.

إلى متى تظلُّ المشاكل معلّقة بين العراق والكويت، أو بين الفلسطينيين وبعض الناس، أو بين هذه الدولة وتلك من أجل الحدود؟ إلى متى نتقاتل ونتخاصم من أجل الحدود ونحن أمّة واحدة؟ لا بدّ للزعماء - وأتمنى أن يحضروا جميعًا - أن يحاولوا الخروج من هذه المآزق.

وأتمنى لو أنّ هذا المؤتمر عُقد في كلّ عام مرّة وليس في كلّ ثلاث سنوات؛ فالأمور التي تحتاج إلى التشاور والتلاقي كثيرة، ولقاء المؤمنين بعضهم مع بعض لا يكون إلاّ خيرًا، كما قال سيّدنا سلمان: مثل الأخوين المؤمنين كمثّل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلاّ أفاد الله أحدهما من صاحبه خيرًا^(١).

نسأل الله تعالى أن يسدّد خطا القائمين على هذا المؤتمر، وأن ينير لهم الطريق، وأن يهديهم سواء السبيل.

اللهمّ افتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك.

اللهمّ اجمع كلمة هذه الأمّة على الهدى، وقلوبهم على التّقى، ونياتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل. اللهمّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

(١) رواه ابن وهب في جامعه (٢٠١)، تحقيق مصطفى أبو الخير، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٢٨٨).



اللهم انصر إخواننا في فلسطين، اللهم انصر إخواننا في فلسطين،
اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وفي لبنان، وفي كشمير، وفي الفلبين،
وفي كل أرض من أراضي الإسلام.

اللهم احرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.
اللهم أيدهم بروح من لدنك.

اللهم منزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزم
أعداءنا أعداء الإسلام، اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم.

اللهم اخذل اليهود الغاصبين المعتدين، اللهم ردّ عنا كيدهم،
وفلّ حدهم.

اللهم أحبط مكرهم، وادرأ عن الأمة شرهم، وأنزل عليهم بأسك
الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم يا من أهلك ثمود بالطاغية، وأهلك عادًا بريحٍ صرصرٍ
عاتية، أهلك هؤلاء الظلمة المعتدين الباغين.

اللهم خذهم ومن ناصرهم أو وادهم أو عاونهم أخذ عزيز مقتدر.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه أجمعين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

سنصلي صلاة الغائب على أرواح الشهداء بعد الفراغ من صلاة الجمعة إن شاء الله.

* * *



نتائج مؤتمر القمة الإسلامية التاسع بقطر^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

القرارات كما توقّعناها لا كما أردناها:

انعقد مؤتمر القمة الإسلامية التاسع في دولة قطر، وانفضّ هذا المؤتمر، لقد استضافت قطر المؤتمر، فأحسنّت الضيافة، واستقبلت الوفود، فأحسنّت الاستقبال، ورَتَّبَت ونظَّمت، فأحسنّت الترتيب والتنظيم، وشكر الله لها ذلك، وهيأت الأجواء بإغلاق المكتب الإسرائيلي في قطر. ثمّ انعقد المؤتمر، ودارت المناقشات ساخنة في أكثر الأحيان، وباردة في أحيان أخرى، وكانت القرارات كما توقّعناها، ولكن لم تكن كما أردناها وأحببناها وتمنّيناها.

كانت كما توقّعناها؛ لأننا لا نتوقّع من المؤتمر الإسلامي أن يكون أكثر قوّة، وأشدّ وضوحًا من المؤتمر العربي، مؤتمر القمة العربي هو أخصّ بهذه القضية؛ فإسرائيل في قلب الوطن العربي أساسًا، وإسرائيل

(١) أُلقيت بتاريخ ١٧ نوفمبر ٢٠٠٠م.



تخصّ العرب أكثر مما تخصّ غيرهم، فإذا كان مؤتمر القمّة العربيّة لم يحقّق طموحات الشارع العربي، فلا نتوقّع أن يحقّق مؤتمر القمّة الإسلامي طموحات الشارع الإسلامي.

ولكنّي أقول لكم: مهما حدث، فإنّي أعتبر ذلك خيرًا، أعتبر حضور المسلمين، ومناقشة هذه القضية، وإثارة الجدل من حولها، وحماس المتحمّسين من أجلها، أعتبر هذا كسبًا، وربّما كانت قمّة الدوحة أكثر من غيرها فعالية، فقد عهدنا مؤتمرات القمّة الإسلاميّة أكثر خمولًا، فيما عدا قمّة «طهران» الأخيرة، كان فيها حيوية أكثر من غيرها، وقمّة «الدوحة» أكثر حيوية.

هناك من يكره كلّ ما هو إسلامي:

وأنا أقول لكم: إنني أرّحّب بكلّ اجتماع إسلامي، وبكلّ مؤتمر إسلامي، فكلّمة: «إسلامي» قذى في عيون كثيرين.

هناك أناس تعمى أعينهم، وتُصمّ أبصارهم، ولا يحبّون أن يروا شيئًا إسلاميًا، ولا يسمّوا بشيء إسلامي.

ومن هنا كانت هذه القمّة الإسلاميّة أمرًا مطلوبًا، هناك أقوام من العلمانيّين واللا دينيين وعبيد الغرب لا يريدون أن يسمّوا كلمة: «مؤتمر إسلامي»، «قمّة إسلاميّة»، أو «مصارف إسلاميّة»، أو «دستور إسلامي»، أو «دولة إسلاميّة»، أو أيّ شيء يُنسب إلى الإسلام، يريدون أن يمسحوا هذا الإسلام من الوجود، حيث لا يتجمع حوله اثنان.

ولهذا أنا أرى أنّ اجتماع القمّة الإسلامي أمر ذو بال، وإن لم يُسفر عن نتائج كنّا نحبّ أن تكون، نريد للمسلمين أن يتجمّعوا، نريد



لكلمة الإسلام أن تبرز، على خلاف أولئك الذين لا يحبُّون لكلمة الإسلام أن تُسمَّع.

منذ بضعة عشر عامًا أراد الإسلاميون في تركيا أن يُنشئوا مصرفًا إسلاميًا، بنكًا إسلاميًا، فرعًا من فروع بنوك فيصل الإسلامية في العالم، وأنشئ هذا البنك، وحينما أريد له العنوان قالوا: لا، كلمة إسلامي هذه ممنوعة في الدستور، فسموا هذا البنك: «مؤسسة فيصل المالية»، وفي اللائحة في النظام الأساسي هناك هيئة للرقابة الشرعية، قالوا: لا، القانون يمنع ذكر كلمة «شرعية» أو «شرعي» لأي شيء، سمُّوها: «هيئة التدقيق»، هيئة كذا.. ولكن لا تقولوا: الشرعية. انظروا كلمة الشرعية، وكلمة الإسلام مُحاربة في بلاد كثيرة.

كيف نتوقع من هذا المؤتمر، وتركيا عضو فيه، وهي ضالعة مع إسرائيل من قديم، وهناك أناس يرأسون دولًا إسلامية وليسوا بمسلمين، دول إسلامية كبيرة يرأسها أناس غير مسلمين، واليوم رأيت رئيس «جامبيا» في إحدى الصحف القطرية يصرِّح أنه يعارض عزل إسرائيل، ويعارض ما سار في المؤتمر من دعوة إلى الجهاد، وهو كان أحد الذين شاركوا في هذا المؤتمر.

لا نعجب إذن - أيُّها الإخوة - أن يكون هذا المؤتمر على هذا النحو.

وفاة مسيرة السَّلام المزعومة:

كنتُ أتمنى - مجرَّد تمنٍّ - أن يُعلن قادة هذا المؤتمر وفاة مسيرة السَّلام المزعومة، يكبروا أربع تكبيرات على مسيرة السَّلام، أي سلام وإخوتنا في فلسطين يسقط منهم الشهداء تلو الشهداء، والجرحى بالآلاف، والمعوقون بالآلاف، كيف تبقى مسيرة السَّلام؟!



ولكن - للأسف - ما زال العرب، وما زال الفلسطينيون أنفسهم يقولون: السّلام، ويزعمون أنّ السّلام هو الخيار الإستراتيجي، والخيار الإستراتيجي الوحيد، يعني إما السّلام وإما السّلام، لا بديل.

هكذا أراد العرب، وهكذا أراد الفلسطينيون، وما زالوا يتشبّثون بهذا السّلام الأعرج الهشّ الهزيل.

إذا كان هذا موقف العرب، وموقف الفلسطينيين، فلنا أن نتوقّع موقف المؤتمر الإسلامي الذي فيه ما فيه.

أنا على كلّ حال أرحّب بالمؤتمر الإسلامي، وأرحّب بمنظمة المؤتمر الإسلامي على ضعفها، وعلى ما فيها من وهن، وعلى ما يؤخذ عليها من نقاط ضعف، ولكن علينا أن نفعلها، أن نشدّ أزرها، أن نحاول أن نخرجها من الضعف إلى القوّة.

ولعلّ دولة قطر في سنواتها الثلاث القادمة التي ترأس فيها هذه الدورة، تحاول من جانبها أن تفعل هذه المنظمة، وأن تبعث فيها الحيوية، وهذا ما يُنتظر من دولة قطر الصغيرة، ولعلّ هذه الدولة الصغيرة تستطيع أن تفعل ما لا تفعل الدول الكبيرة، تُنشّط أجهزة هذه المنظمة، وتدفعها إلى العمل والحركة من أجل المسلمين، تُحيي المنظمات الإسلامية الشعبية، تُعينها وتساعدّها، فالعمل إنّما يقوم في هذه الأيام على أكتاف الشعوب والجماهير.

الشعوب عليها المِعْوَل بعد الله:

المؤسّسات الشعبية والمنظّمات الأهلية هي التي عليها بعد الله تعالى المِعْوَل، وهذا ما نخاطب به أبناء المسلمين في كلّ مكان، نحن



لا نعتمد على الحكّام؛ فالحكّام لهم ظروفهم، ولهم اعتباراتهم، ولهم أعداؤهم، ولهم تعلّلاتهم، ما يُقبل منها وما لا يُقبل، ولكن اعتمادنا - بعد الله - على هذه الشعوب.

هذه الشعوب التي تجاوزت مع انتفاضة الأقصى في المشارق والمغارب. هذه الشعوب التي تبدي استعدادها لأن تذهب إلى الأرض المقدّسة، وأن تضع رؤوسها على أكفّها في سبيل الله، يوم يُتاح لها هذا، يوم يُفتح لها الباب، يوم تُزال السدود والقيود، سنرى من أبناء المسلمين المتحرّقين إلى الجهاد، المتشوّقين إلى الاستشهاد، سنرى منهم الألوف تلو الألوف تتابع إلى المسجد الأقصى، تقول: يا رياح الجنّة هبي، ويا كتائب الله سيري.

ركضًا إلى الله بغير زادٍ إِلَّا التُّقَى وعملُ المعادِ والصبرُ في الله على الجهادِ وخيرُ ما قاد إلى الرشادِ وكلُّ زادٍ عُرْضَةٌ التَّفَادِ غير التُّقَى والبرِّ والرشادِ^(١)

نحن نخاطب الشعوب، شعوب الأمّة الإسلاميّة، ونرى - أيّها الإخوة - أن هذه الشعوب إلى خير، نرى هذه الصّحوة الإسلاميّة التي انطلقت في كلّ مكان في أرض الإسلام، حتّى خارج أرض الإسلام حيث الأقليات والجاليات الإسلاميّة.

نرى هذه الصّحوة وقد غيّرت كثيرًا من أبناء الإسلام وبناته، غيّرتهم إلى التي هي أحسن، وإلى التي هي أفضل، وهذه الأمّة لا يمكن أن

(١) أنشده عمير بن الحمام الأنصاري رضي الله عنه، عند مقدمه إلى قتال المشركين في بدر. انظر: السيرة النبويّة لابن كثير (٤٢٢/٢)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م.



تحقق نصرًا على عدوّها، إلّا إذا تغيّرت من داخلها، تغيّرت من أنفسها، هذا هو قانون الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرّعد: ١١].

أنا مستبشر خيرًا، مستبشر بمستقبل هذه الأمة، مستبشر بمستقبل هذه الانتفاضة، وأرى أننا قادرون على أن نمُد هذه الانتفاضة، وأن نشدّ أزرها، ونسند ظهرها، ونقوّي عضدها، بما نستطيع من مال، بما نستطيع من مساندة أدبيّة، ومن دعاء، من لم يملك مالًا ولا شيئًا، يملك أن يدعو الله لهؤلاء، والدعاء سلاح المؤمن، ولا تستهنّ بدعاء الصّالحين، ولا بدعاء المظلومين، كما قال الشاعر:

أتهزأ بالدعاء وتزدرّيه وما يُدريك ما صنّع الدعاء
سهام الليل لا تُخطي ولكن لها أمدٌ وللأمد انقضاء
فيُمسكها إذا ما شاء ربّي ويُرسلها إذا نفذ القضاء^(١)

هذه سهام الله، أدعية المؤمنين حينما تصعد إلى السماوات فإنها سهام تصيب مرماها حينما يشاء الله وعجل.

تفعيل المقاطعة الاقتصادية:

نحن نستطيع أن نوّيد إخواننا، ونستطيع أن نفعل دعوة المقاطعة، التي تجاوبت معها الجماهير في الشوارع العربيّة والإسلاميّة، وهذا أمر أحمد الله - تبارك وتعالى - عليه، أن كثيرًا من الناس حتّى من الصغار، من الأطفال، من الأبناء والبنات بدؤوا يتجاوبون مع هذه الدعوة، ويقول الأولاد لآبائهم والبنات لأمّهاتهم: لا يا أبي، لا يا أمي، هذا مكتوب عليه أمريكي.

(١) ذكرها الزمخشري دون نسبة في ربيع الأبرار (٣٨٥/٢)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١،



الأمة تحيا وتستيقظ من جديد، نحن نريد أن نربي الأمة من جديد.
وأحيي غرفة النقل البحري في مصر، واتحاد الغرف التجارية
في القاهرة الذي دعا إلى مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية،
أحيي هؤلاء.

أحيي كل من وقف هذه الوقفة لنجدة إخوانه، ومساندة إخوانه الذين
يبدلون الدم والروح في رحاب الأقصى، وفي الأرض التي بارك الله فيها
للعالمين، فلا أقل من أن نساعدهم بأن نقاطع من عاداهم.

هذا هو الحد الأدنى لواجب الإنسان المسلم تجاه إخوته المسلمين،
والمسلمون أمة واحدة، والمؤمنون إخوة، «يسعى بذمتهم أدناهم، وهم
يد على من سواهم»^(١).

الأمة في المرحلة الغنائية:

نحن المسلمين نستطيع أن نفعل الكثير إذا صممنا وعزمنا واستعنا
بالله، وخرجنا من الوهن إلى القوة، الوهن الذي وصفه النبي ﷺ في
حديثه، حيث نبأنا النبي ﷺ بهذه المؤامرة الدولية الكبرى على أمة
الإسلام في آخر الزمان، حينما قال: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم من
كل أفق كما تتداعى الأكلة على قصعتها».

قالوا: أمن قلة بنا يومئذ، يا رسول الله؟

لماذا تتداعى علينا الأمم كما تتداعى الجياع على القصاص، تريد أن
تلتهمنا وتأكلنا؟

(١) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، عن عبد الله بن عمرو.



أمن قلة بنا يومئذ، يا رسول الله؟ هل عددنا قليل حتى يطمع فينا الطامعون؟

قال ﷺ: «أنتم يومئذ كثير».

ألف وثلاثمائة مليون أو أكثر من المسلمين في العالم، مليار وثلاث مليار وربما أكثر، التعدادات دائماً تحاول تقليل عدد المسلمين، مليار وثلاث مليار من المسلمين، أكثر من خمس العالم، ما يقارب ربع العالم من المسلمين.

«أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل».

ما هو غثاء السيل؟

هو ما يحمله السيل حينما ينهمر المطر، يحمل أشياء كثيرة: القش، والخطب، والورق، والعيدان، والأخشاب، أشياء يجمعها أنها غير متجانسة، وأنها سطحية وخفيفة، لا ترسب في القاع، بل طافية على السطح، وأنها ليس لها هدف معلوم؛ لأن السيل ليس كالنهر، النهر له مجرى معلوم، ومصب مرسوم، أما السيل فهو ينزل من فوق إلى تحت، ومن يمين إلى شمال، ليس له أي مجرى أو طريق أو هدف.

هذه هي الأمة في المرحلة الغثائية، أمة تكون فئاتها غير متجانسة، وتهتم بالأمور السطحية، ليس لها وزن عميق في القاع، تطفو على السطح، وكذلك ليس لها طريق معلوم، ولا هدف مرسوم، هذه خصائص المرحلة الغثائية.

«أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، تُنزع المهابة من قلوب عدوكم، ويجعل في قلوبكم الوهن».

كان المسلمون قديمًا يُنصرون بالرعب، من خصائص النبي ﷺ أنه قال: «نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر»^(١)، يعني: بينه وبين الأعداء مسيرة شهر، ولكنهم حين يسمعون بمحمّد، وأصحاب محمّد يصيبهم الرُّعب والخوف، فلا يثبتون أمامهم.

هذه المهابة، هذه الرهبة في صدور الأعداء تُنزع، ويقذف الله في قلوب أبناء الأُمّة الوهن، «ويجعل في قلوبكم الوهن».

قَالُوا: وما الوهن، يا رسول الله؟

قال: «حُبُّ الحياة، وكراهية الموت»^(٢).

ما الذي أوهن الأُمّة أمام أعدائها؟

الصَّحابة لا يسألون عن المعنى اللغوي للوهن؛ فالوهن معروف أنه الضعف، وإنما يسألون عن سرِّ هذا الوهن، عن علّته، عن سببه؟

فقال ﷺ: «حُبُّ الحياة، وكراهية الموت».

الذي يوهن الأُمّة ويُضعفها، ويجعلها لقمة سائغة أمام أعدائها، هو هذا الوهن: أن تحبّ الدنيا، أن يُقبل النَّاس على الدنيا، على المادة، على الشهوات، على المصالح المادية، ويقول كلُّ واحد منهم: نفسي، نفسي، أنا وليخرب العالم.

كلُّ ما يهْمُه أن يكون ذا ثروة، ولو على حساب غيره، ولو على حساب أُمّته، لا مانع من أن يتعامل مع إسرائيل، ولا مانع من أن يتعامل

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التيمم (٣٣٥)، ومسلم في المساجد ومواضع الصَّلَاة (٥٢١)، عن جابر.

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٠.

مع البضائع الإسرائيلية والأمريكية، ما دام سيكسب من ورائها المال.
هذا ما نراه في أولئك الذين يتعاملون مع بني صهيون، ليس مع
أمريكا فقط.

للأسف وجدنا - وإن كانوا قليلين جدًا - مَنْ يتعامل مع بني صهيون،
مَنْ يشتري بضائع من بني صهيون، ويؤورها على قومه؛ ليكسب مالا،
ليكسب ثمنًا قليلًا، ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ
اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

هذا حبُّ الدنيا.

وكراهية الموت، مما يوهن الأمة ويضعفها: أن تكره الموت في سبيل
الله، ويقول كلٌّ منهم: الرُّوح عزيزة، العمر غالٍ.

ما قيمة عمر الفرد إذا عاش ذليلاً في أمة مُستعبدة؟

إنما تنتصر الأمم وتعلو رايتهما، وتتحقق عزّتها بمن يبذلون أرواحهم
رخيصة لله، فإما أن يعيشوا أعزّاء، وإما أن يسقطوا شهداء.

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ
يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

كان خالد بن الوليد يلقي الروم والفرس في معارك غير متكافئة،
لا في العدد، ولا في العدد، ولكن كان يقول لهم حينما يدعوه إلى
الإسلام: وإلا غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة^(١).

(١) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد
(١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى، وفيه مجالد، وهو ضعيف، وقد وثق. عن الشعبي مرسلاً.



ولذلك الذي يخيف إسرائيل ويقلق بني صهيون هم أولئك الشباب الذين لا يُبالون بالموت سقط عليهم أم سقطوا عليه، معتقدين أنهم لن يموتوا قبل آجالهم، وأنهم إذا ماتوا فهم شهداء في سبيل الله، ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

يجب أن تستمر الانتفاضة، ويجب على المسلمين في كل مكان أن يدعموها، وأن يقووها، وأن يقفوا بجانبها بكل ما يستطيعون، من نفس ومن مال.

﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

مكايد بني صهيون ضدّ شخصي الفقير:

لا يَسْعُنِي إِلَّا أَنْ أَشْكُرَ لِلإخوة والأبناء الَّذِينَ اتَّصَلُوا بِالْهَوَاتِفِ،
وبرسائل الفاكس من أقطار شَتَّى، يُحَذِّرُونَنِي مِنْ مَكَايِدِ بَنِي صَهْيُونِ،
وَمِنْ شُرُورِ بَنِي صَهْيُونِ، بَعْدَ أَنْ نُشِرَ مَا نُشِرَ مِنْ كَلَامِ الْحَاخَامِ الْأَكْبَرِ فِي
إِسْرَائِيلَ «لَاو» عَنِّي وَعَنْ عُلَمَاءِ الدِّينِ، وَدَوْرَ عُلَمَاءِ الدِّينِ الْمُسْلِمِينَ فِي
تَأْجِيجِ الْإِنْتِفَاضَةِ، وَفِي تَحْرِيزِ الشَّارِعِ الْعَرَبِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ، وَزَعَمُوا أَنِّي
الْأَشَدُّ عِدَاءً لِإِسْرَائِيلَ، وَالْأَكْثَرُ تَحْرِيزًا عَلَيْهَا، وَأَنْ قَسَمَ التَّبُّعُ وَالرَّصْدُ
فِي الْحَاخَامِيَةِ الْكُبْرَى عَنْدهُمْ يَتَّبَعُ ذَلِكَ مِنْذُ سَنِينَ، وَقَدْ قَدَّمْتُ تَقْرِيرًا
ضَافِيًا فِي ذَلِكَ.

وَشَدَّدَ الْحَاخَامُ الْأَكْبَرُ فِي إِسْرَائِيلَ «لَاو» النِّكَيرَ عَلَى حُكُومَتِهِ فِي
إِسْرَائِيلَ، كَيْفَ لَمْ تَضْغَطْ عَلَى الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ، حَلِيفَةِ
إِسْرَائِيلَ الْإِسْتِرَاطِيغِيَّةِ، كَيْفَ لَمْ تَطْلُبْ مِنْهَا أَنْ تَسْتَخْدِمَ نَفُوذَهَا وَسُلْطَانَهَا
فِي الطَّلَبِ مِنَ الْحُكُومَاتِ الْعَرَبِيَّةِ، لِمَنْعِي مِنَ الْفَضَائِيَّاتِ، الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهَا
أَكْبَرُ وَأَوْسَعُ الْفَضَائِيَّاتِ انْتِشَارًا فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ، الَّتِي أُطْلُ مِنْهَا عَلَى أَبْنَاءِ
الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَالَمِ، وَهِيَ قَنَاةُ الْجَزِيرَةِ الْقَطْرِيَّةِ، وَقَنَاةُ أَبُو ظَبْيِ الْفَضَائِيَّةِ.
هَكَذَا زَعَمَ الْحَاخَامُ الْأَكْبَرُ.

ثُمَّ نُشِرَ مَا نُشِرَ مِنْ أَنَّ الْمَوْسَادَ الْإِسْرَائِيلِيَّ يَخْطُطُ لِاغْتِيَالِي بِطَرِيقَةٍ
لَا تَثِيرُ الْإِرْتِيَابَ.

وأحب أن أقول أيُّها الإخوة: إنِّي لا يخفى عليّ ذلك، فمِنذ سنوات زارني بعض الإخوة من مدينة الخليل، وقالوا: جئنا نحذرك.

قلتُ: من ماذا؟

قالوا: إنَّا رأينا برنامجًا في تليفزيون إسرائيل، برنامجًا كاملاً عنك وعن نشاطك، وهذا نذير شرٍّ، حينما فعلوا مثل هذا وقَدَّموا برنامجًا عن فتحي الشقّاقي، كان اغتيال فتحي الشقّاقي، وقَدَّموا برنامجًا عن المهندس يحيى عياش، فكان اغتيال يحيى عياش، وهم يقدِّمون اليوم برنامجًا عنك، وهذا نذير سوء، ونحن نحذرك، ويجب أن تأخذ احتياطك.

أنا أعلم هذا، وأخونا الشيخ رائد صلاح رئيس الحركة الإسلاميّة في فلسطين (٤٨) حذّرني أكثر من مرّة حينما لقيني في بلاد شتّى، وآخرها هذه المرّة حينما زار قطر للاشتراك في برنامج «بلا حدود» في قناة الجزيرة، وقال لي: إنّ القوم دائمو الحديث عنك باللغة العبرية في أجهزة إعلامهم المسموعة والمقروءة والمرئية، وهم يعتبرونك مسؤولاً عن الصّحوة في الأرض المحتلة، بكتبك وخطبك وبرامجك، فلا بدّ أن تحذر.

وكتب أحد الإخوة، وهو الأخ عبد الله العمادي في جريدة الشرق يطلب الحماية لي من حكومة قطر.

أخاف الله ولا أخاف بني صهيون:

وأحبُّ أن أقول أيُّها الإخوة: إنّ الحامي هو الله وعَجَلْ، وإنِّي لا أخاف إلّا الله، لا أخاف بني صهيون، ولا أخاف غيرهم، وأنا منذ نذرتُ نفسي للدعوة إلى الإسلام، عقيدة وشريعة، وحضارة ورسالة متكاملة، بعثُ

نَفْسِي لِلَّهِ، ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ،
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

نحن المسلمون نعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ الأعمار والأرزاق بيد الله، فلا يستطيع أحد أن ينقص أجلك لحظة، ولا أن يأكل من رزقك لقمة، الله تعالى هو الرزاق، وهو الذي يحدد الآجال، ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١]، الآجال محدودة، أيام معدودة، وأنفاس محدودة، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

لن يستطيع بنو صهيون أن ينقصوا من أجلي دقيقة أو لحظة، الآجال محدّدة، وقد كان سيّدنا عليّ عليه السلام يخوض المعارك وهو يقول:

أَيُّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ يَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِرَ
يَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ لَا أَخْذَرُهُ ومن المقدور لا يَنْجَى الْحَذَرُ^(١)

الموت لا يخيفنا، نحن نعتقد أن كلّ شيء بقضاء الله تعالى وقدره، والله علّمنا في كتابه: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ﴿لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾، «ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٢).

(١) من شعر ينسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب. انظر: العقد الفريد (٩٦/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥١)، عن ابن عباس. وهو الحديث التاسع من الأربعين النووية والخمسين الرجبية.

هذا ما نؤمن به تمام الإيمان، ونحن كلما رأينا الشدائد ازداد يقيننا بما عند الله، نرجو أن نكون من المؤمنين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ * فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضِّلَ لَمْ يَمَسَّ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، أنا أقول: حسبي الله ونعم الوكيل.

أنا لا أستبعد على بني صهيون أي شيء؛ فقد قتلوا من قتلوا، قتلوا يحيى عياش، وقتلوا الشقاقي، وقتلوا عادل عوض، وقتلوا عدداً من علماء الذرة العرب والمسلمين والمصريين في بلاد شتى، وقتلوا المفكر الإسلامي الأمريكي الجنسية الفلسطيني الأصل الدكتور إسماعيل الفاروقي سنة ١٩٨٦م في أمريكا، قتلوه وزوجته شر قتلة.

هم لم يعلنوا ذلك، ولكن الشواهد كلها تقول: هذا من عمل بني صهيون.

لا أستبعد شيئاً عليهم، ولكن أقول: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

نحب لقاء الله ونتمنى الشهادة:

الأمر الثاني - أيها الإخوة - أننا نحن لا نخاف الموت، ما الذي يجعله علينا الموت؟

أن نلقى الله وَجَّهًا، وقد قال بشر الحافي رضي الله عنه: لا يكره الموت إلا لأمر مريب، فهو الذي يقرب الحبيب من الحبيب^(١).

(١) إحياء علوم الدين (٣٣٠/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

والله إذا كنتُ أكره الموت، فهو لأنني لم أقدم عملاً صالحاً ألقى الله عليه وأنا مطمئن، فأودُّ لو أنني عشتُ حتى أعمل من الصالحات ما أرجو به البشرى من ربِّي، ولكن الموت لا يخيفنا، وخصوصاً إذا قُتلنا في سبيل الله على يد بني صهيون، مَنْ مِنَ النَّاسِ يخاف هذه الشهادة أو يكرهها؟

أن يخزَ الإنسان شهيداً في سبيل الله، هذا أعلى وأعلى ما يتمناه المسلم.

سمع النبي ﷺ رجلاً يقول في دعائه: اللهم آتني أفضل ما تُؤتي عبادك الصالحين.

فقال له: «إِذْ يُعْقَرُ جَوادُكَ وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

ولقد سمعتُ شيخنا الشيخ حسن البنا رحمة الله عليه، وهو يدعو إلى المجاهدة ضدَّ الإنجليز يقول في إحدى اللقاءات الكبرى: كنتُ وأنا صغير أدعو ببعض الأوراد، وكان في هذا الورد: اللهم ارزقني الحياة الحسنة، والموتة الحسنة. ما تظنون الموتة الحسنة أيُّها الإخوة؟

هل الموتة الحسنة أنْ تموت بين أهلِكَ وعلى فراشِكَ؟

هذه ليست الموتة الحسنة، الموتة الحسنة أن يفصل هذا الرأس عن هذا الجسد في سبيل الله.

(١) رواه البزار (١١١٣)، وأبو يعلى (٧٦٩)، وابن خزيمة في الصلاة (٤٥٣)، والحاكم في الإمامة وصلاة الجماعة (٢٠٧/١)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥٢٥): رواه أبو يعلى والبزار بإسنادين وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح؛ خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة. عن سعد بن أبي وقاص.

هذا ما لا نكرهه أبداً، بل هو ما نسعى إليه ونحبّه ونقول: ﴿وَعَجَلْتُ
إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، فليطمئنّ بنو صهيون، لن نخافهم، لن نخشاهم،
ليفعلوا ما شاؤوا، فإنما يحققون لنا أمنيّة طالما تمنّاها الصالحون، ولم
يحصلوا عليها.

يا أيّها الإخوة، إنّ المعركة مستمرّة، وأنا مستمرّ في موقعي، لن
أغيّره، لن أخفف لهجتي، لن أحاول أن أوريّ بالأمر من هنا وهناك، أنا
صريح ومحدّد، وقد حدّدت غايتي، وحدّدت طريقي، وسأستمرّ عليهما
ما عشت، أو آخر صريعاً في سبيل الله.

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا.

اللهمّ هيّئ لنا من أمرنا رشداً، اللهمّ استر عوراتنا، وآمن روعاتنا،
واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيّماننا وعن شمائلنا، ومن
فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا.

اللهمّ اجعل يوم هذه الأمّة خيراً من أمسها، واجعل غدها خيراً من
يومها، وأحسن عاقبتها في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدنيا
وعذاب الآخرة.

اللهمّ اجمع كلمتها على الهدى، وقلوبها على التقى، وأنفسها على
المحبّة، ونيّاتها على الجهاد في سبيلك، وعزائمها على عمل الخير
وخير العمل.

اللهمّ أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي
فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا
في كلّ خير، واجعل الموت راحة لنا من كلّ شرّ.



اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

عباد الله، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *





مشروع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

مَدُّ وَجْزٍ فِي تَارِيخِ الْإِسْلَامِ:

يَتَعَرَّضُ الْإِسْلَامُ فِي عَصْرِنَا لَهْجَمَاتٍ وَغَزَوَاتٍ، وَتَنْزِلُ بِهِ مِحْنٌ لَمْ يَعْرِفْ مِثْلَهَا مِنْ قَبْلُ، مِحْنٌ مِنْ نَوْعٍ جَدِيدٍ، وَلَوْنٍ جَدِيدٍ.

لَقَدْ امْتَحَنَ الْإِسْلَامُ مِنْذُ فَجْرِهِ بِمِحْنٍ شَتَّى مِنْذُ عَهْدِ تَكْوِينِهِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ.

امْتَحَنَ الْإِسْلَامُ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ بِمَا أَصَابَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَلَاءٍ وَفِتْنٍ، نَزَلَ فِيهَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿[العنكبوت: ١ - ٣].

امْتَحَنَ الْإِسْلَامُ فِي الْعَهْدِ الْمَكِّيِّ بِالْإِيْذَاءِ وَالْعَذَابِ يُصَبُّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ مَاتَ تَحْتَ نِيرِ الْعَذَابِ، مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى



آل ياسر وهم يعدّون فلم يملك إلّا أن يقول لهم: «صبراً آل ياسر؛ فإنّ موعدكم الجنة»^(١).

وامتحن الإسلام في العهد المدني، امتحن بغزوات المشركين، حتّى أرادوا يوماً أن يستأصلوا شأفة المسلمين ويقتلعوهم من جذورهم، حينما جاءتهم الأحزاب من فوقهم ومن أسفل منهم، وغدر اليهود في داخل المدينة وحولها، وظهر التّفاق من المنافقين.

وهكذا بلغت القلوب الحناجر، وزاغت الأبصار، وظنّ النّاس بالله الظنون، وزلزل المؤمنون زلزالاً شديداً.

ولكنّ الله ردّ الذين كفروا بغیظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، وأرسل ريحاً وجنوداً لم يرها النّاس، وكان الله قوياً عزيزاً.

وامتحن الإسلام بعد رسول الله ﷺ بردة المرتدين، وامتناع المانعين للزكاة، تألّبت القبائل وغلبتها العصبية على الحقّ، اتبعوا متنبئهم - من تنبؤوا بالكذب وزعموا أنّهم رسل الله يوحى إليهم، اتبعتهم قبائلهم وأقوامهم - وهم يعلمون أنّهم كاذبون، وقالوا فيما قالوا: كذاب ربيعة أحبّ إلينا من صادق مضر^(٢)!

ارتدّت قبائل العرب إلّا القليل منهم، وقال من قال لخليفة رسول الله ﷺ: لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين.

(١) رواه الطبراني في الأوسط (١٥٠٨)، والحاكم في معرفة الصحابة (٣٨٣/٣)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٥٩٢): رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح، غير إبراهيم بن عبد العزيز المقوم، وهو ثقة. عن جابر بن عبد الله.

(٢) قاله طلحة النمري، وقد قُتل مع مسيلمة يوم عُقرباء كافراً. انظر: الكامل في التاريخ (٢١٦/٢).



ولكنَّ أبا بكر - كما ذكرت لكم في خطبة سابقة^(١) - هذا الرجل البكَّاء الخاشع الذي تنهمر دموعه من خشية الله، كان كالجبل الأشمَّ، لم يقبل أن يهادن أو يداهن أو يستسلم في دين الله، وجيَّش الجيوش، وأبى إلا أن يقاتل كلَّ من ارتدَّ عن الإسلام أو منع حقًّا من حقوق الله، وقال قوله التاريخيَّة: والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤدُّونه لرسول الله لقاتلتهم عليه^(٢).

وانتصر الإسلام على المتنبيين وعلى المرتدِّين، ورمى بهؤلاء في وجه الأكاسرة والقيصرة، فكان المرتدُّون يكفِّرون عمَّا مضى من سيئاتهم بالحماس والبذل لله ولرسوله، وتقدَّم الصفوف في سبيل الله في حرب الأكاسرة والقيصرة والمتجبرين في الأرض.

الحروب الصليبيَّة:

وكانت بعد ذلك حروب وحروب.

كانت الحروب الصليبيَّة، تسع حملات صليبيَّة، قادها القساوسة وقادها الطامعون من أوروبا.

جاءوا بقضَّهم وقضيضهم، وثالوثهم وصلبيهم، يحملون الصليب شعاراً، بدعوى إنقاذ قبر المسيح والاستيلاء على أرض الصليب!

انتهزوا غفلة المسلمين وتفترقهم وجاءوا في هذه الحملات المتوالية، واستطاعوا في وقت من الأوقات - في غفلة من أصل الزمن، وتتابع من

(١) انظر: خطب الشيخ القرضاوي (٧/٣)، خطبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

المَحَن - أن يقيموا ممالك لهم في أرض الإسلام، في أرض الشام،
ممالك استقرت وأصبح لها ملوكها وأمرؤها، وأصبح من أمراء
المسلمين للأسف - ممن ينتسبون إلى الإسلام - من يخطب ودّها،
ويهادنها، ويتحالف معها ضد إخوانه الآخرين من المسلمين.

ودخلوا بيت المقدس وقتلوا عشرات الآلاف في ضحوة واحدة،
حتّى غاص النَّاس في الدم إلى الرُّكَب.

وكان ما كان وبقي المسجد الأقصى وبقيت القدس الشريفة في
أيدي هؤلاء تسعين عامًا، حتّى حرّرها القائد المسلم البطل «صلاح
الدين الأيوبي».

وحدث بعد ذلك شيء آخر، حدثت الحروب التتيرية: حروب المغول
الذين جاؤوا من شرق آسيا كالريح العقيم، ما تذر من شيء أتت عليه إلّا
جعلته كالرميم، لا يكاد يقف شيء أمامهم، كلُّ من حاربهم انهزم
أمامهم، فاستولوا على البلاد، وقهروا العباد، ودانت لهم المدن، حتّى
كان المثل السائر: إذا قيل لك: إنّ التتر قد انهزموا فلا تصدّق!

نفس أسطورة «القوة التي لا تُقهر» التي نسمعها في عصرنا اليوم.

ثمّ ذهب بهم الطمع إلى أن أرادوا أن يدخلوا عاصمة الإسلام،
عاصمة الحضارة الإسلاميّة، والخلافة الإسلاميّة «بغداد»، ودخلوها
بمعونة الخائنين والعملاء والكائدين، الذين باعوا دينهم بدنياهم، أو
بدنيا غيرهم.

ودخل التتر إلى بغداد سنة (٦٥٦) من الهجرة، فقتلوا وذبحوا حتّى
سالت الدماء أنهارًا في الشوارع، وحتّى كانت الميازيب التي تُنزل مياه

المطر من فوق السطوح لا تُنزل مياه المطر، وإنَّما تُنزل دماء المسلمين تُصبُّ صبًّا.

هكذا، قُتل مئات الآلاف من المسلمين في أيام معدودات، ولم يجدوا من يقاوم، انتهت المقاومة في أيام، وبقي النَّاس لا يجدون من يردُّ عنهم، أو يصدُّ هؤلاء المغيرين، الَّذِينَ طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، وألقوا بالكتب الإسلاميَّة في نهر دجلة حتَّى اسودَّ ماء النهر من كثرة المداد الَّذي سال!

هكذا حدث.

وظنَّ النَّاس أنَّ بساط الإسلام قد طوي، وأنَّ عَلم الإسلام قد نُكِّس إلى الأبد، وأنَّ الإسلام لن تقوم له قائمة بعد اليوم.

ولكن جرَّب النَّاس أنَّ هذا الدين أصلب ما يكون عودًا، وأشدُّ ما يكون قوة، وأصفى ما يكون جوهرًا، حينما يتعرَّض للزلازل والمحن، هنالك تبرز القوَّة الكامنة فيه، ويبرز المؤمنون المختفون، وتجتمع القوى، وسرعان ما ظهر ذلك.

سرعان ما ظهرت قوَّة هذا الدين، فما مضت سنتان حتَّى قامت معركة جديدة، معركة حاسمة، جاءت من هناك، من الشمال، من مصر، قادها المظفَّر قُطر سنة (٦٥٨) للهجرة، حينما بعث ملك التتار يهدِّد قطز ويطلب إليه التسليم، ويرغي ويزبد، ويتهدَّد ويوعد.

ولكن قطز لم يُلْقَ بالألَّا إلى هذا الوعيد، وإلى ذاك التهديد، فمزَّق كتابه، وضرب عنق الرسولين اللَّذَيْن بعثهما على غير سُنَّة الإسلام في حماية الرسل.

إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُرِيَ النَّاسَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْلَمَ وَلَا أَنْ يَسْتَسْلِمَ وَلَا بَدَّ
مِنَ الْحَرْبِ، وَأَنَّ هَذَا أَمْرٌ لَا رَجْعَةَ فِيهِ.

فَكَانَ قَتْلُ الْأَسِيرِينَ إِذَا نَأَى بِأَنَّ الْمَعْرَكَةَ قَادِمَةٌ.

وَجَمَعَ النَّاسَ وَنَفَخَ فِيهِمْ مِنْ رُوحِ الدِّينِ، وَجَمَعَ الْعُلَمَاءَ فَحَمَّسُوا
النَّاسَ وَأَوْقَدُوا جَذْوَةَ الْإِيمَانِ فِي الصُّدُورِ، وَخَرَجُوا فِي شُعْبَانٍ لِمَلَاقَاةِ
التَّتَارِ فِي فَلَسْطِينَ.

وَجَاءَ رَمَضَانُ، وَفِي يَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ - وَكَانَ يَوْمُ
جُمُعَةٍ - كَانَ الْلِقَاءُ بَيْنَ جَيْشِ الْإِسْلَامِ وَجَيْشِ الْكُفْرِ.

وَقَفَ قُطْرٌ يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُو، وَيَقُولُ لِلْمُسْلِمِينَ: لَا تَبْدُؤُوا الْآنَ،
اانتَظَرُوا حَتَّى تَنْزِلَ الشَّمْسُ، وَتَفِيءَ الظُّلَالُ، وَيَصَلِّيَ الْمُسْلِمُونَ الْجُمُعَةَ
فِي كُلِّ مَكَانٍ فَيَدْعُوا لَنَا خُطَبَاؤُهُمْ بِالنَّصْرِ وَيَقُولَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ
مَكَانٍ: آمِينَ آمِينَ.

وَمَا إِنْ جَاءَ وَقْتُ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، حَتَّى بَدَأَ الْجُنُودُ يَهَاجِمُونَ التَّتَارَ،
وَلَكِنَّ الرُّعْبَ الَّذِي كَانَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ قَدِيمٍ جَعَلَ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ
يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ.

فَمَا إِنْ رَأَى ذَلِكَ قُطْرٌ حَتَّى رَمَى بِخُوْذَتِهِ الَّتِي يَلْبَسُهَا عَلَى رَأْسِهِ عَلَى
الْأَرْضِ وَصَاحَ صَيْحَتَهُ التَّارِيخِيَّةَ الشَّهِيرَةَ: وَاسْلَامَاهُ، وَاسْلَامَاهُ، وَاسْلَامَاهُ.

وَمَا إِنْ سَمِعَ جُنُودُهُ هَذِهِ الصَّيْحَةَ حَتَّى أَقْبَلَ الْمَدِيرَ، وَحَتَّى تَشَجَّعَ
الْجَبَانُ، وَحَتَّى عَادَ الْمُرْتَدُّدُ، وَهَجَمُوا كَأَنَّهُمْ الْيُوثُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، فَمَا
هِيَ إِلَّا جَوْلَةٌ أَوْ جَوْلَتَانِ حَتَّى كَانَتِ الدَّائِرَةُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ
لِلْمُسْلِمِينَ، وَنَصَرَ اللَّهُ قُطْرًا وَمَنْ مَعَهُ عَلَى التَّتَارِ.

ثم انتصر المسلمون انتصارًا آخر، فإذا بهؤلاء التتار الذين جاؤوا يريدون أن يدمّروا الإسلام وأهله: ينظرون في هذا الدين الجديد، وإذا بهؤلاء الغالبين يدخلون دين المغلوبين.

فانتصر الإسلام مرّة أخرى بدخول التتار أنفسهم في الإسلام.

محنٌ أصابت المسلمين في كلِّ مكان.

محنة أخرى أصابت المسلمين في الأندلس بعد أن ظلُّوا هناك ثمانية قرون، رفعوا فيها لواء الله، وأعلوا كلمة الله، وأقاموا حضارة شامخة جمعت بين العلم والإيمان، كان النَّاس في أوربا يأتون إلى جامعاتها ليتعلّموا منها، كان تلاميذ أوربا يتعلّمون في جامعات الأندلس الإسلاميّة، كان أشرف أوربا في ذلك الوقت لا يعرفون أن يوقّعوا، كان يصمّون، وما كانوا يستطيعون القراءة والكتابة، وكان أطفال المسلمين يذهبون إلى المعاهد والمدارس والجوامع في كلِّ مكان.

لم تكن أوربا تعرف الاستحمام ولا الاغتسال!

وكان في قرطبة وحدها ستمائة حمام.

كانت الحضارة الإسلاميّة هي السائدة.

ولكن العصبية الصليبيّة تألّبت على هؤلاء في غفلة وتفرّق من المسلمين - أيضًا، واستطاعت أن تقتلع الإسلام من هذه الأرض، وفرضت عليهم: إمّا أن يتنصّروا وإمّا أن يخرجوا من هذه البلاد.

ومن خرج، فقلّمًا يسلم في طريقه، إمّا يصاب بالقتل أو الوباء أو الموت.

وهكذا لم يعد في تلك الأرض مسلم إلى اليوم.

ومن يزور إسبانيا يرى القصور والمساجد وآثار المسلمين إلى اليوم.
أصيب المسلمون بمحن شتى.

تجمع الجبهات المعادية على المسلمين:

ولكن شرّ ما أصيب به المسلمون: ما يُصاب به الإسلام اليوم، من جبهات معادية، تختلف فيما بينها، وتتفق علينا نحن المسلمين، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، أي: إلا يوال بعضكم بعضاً، ويساند بعضكم بعضاً ﴿تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

إذا كان هؤلاء يتساندون على باطلهم، فأولى أن تتوالوا وتتساندوا على حقكم.

يتعرّض الإسلام اليوم للقوى المعادية في الشرق والغرب: الشيوعية لم تكتف بأن تغزونا من الداخل عن طريق أحزابها وعملائها، فهي تغزونا من الخارج عن طريق الجيوش والسلاح، تستعمل منه ما حرّمته القوانين الدولية من النابالم والأسلحة الجرثومية والأسلحة الكيماوية وغير ذلك، رأينا ذلك في أفغانستان.

والجبهة الغربية بقواها المختلفة:

الجبهة اليهودية:

اليهودية العالمية لم تجد أرضاً لها تتخذ منها دولة إلا أرضنا، كأن أرضنا ليس لها شعب حتى تستقبل شعباً ليس له أرض!



وأقام هؤلاء دويلتهم التي كنّا نقول عنها: «المزعومة» في فلسطين، في قلب بلاد العروبة والإسلام.

ولم يعودوا يكتفون بهذه الدولة وبهذه الأرض، فهم يناوشون الجبهات من كلّ جانب، وهم يخطّطون لتحطيم المنطقة وتمزيقها كلّها، كما قرأنا ذلك عن خطّتهم في الثمانينيات والتسعينيات.

وآخر ما قرأناه ما كتبه المفكّر المسلم الفرنسي الذي هداه الله إلى الإسلام «رجاء جارودي»، الذي كتب يقول: إنّ هؤلاء يفكّرون في تمزيق سوريا إلى عدّة دويلات، وتمزيق لبنان إلى عدّة دويلات، وتمزيق بلاد الخليج وبلاد الجزيرة العربيّة إلى دويلات كذلك، وتمزيق مصر إلى دولة للأقباط في الصعيد ودولة للمسلمين في الوجه البحري.

هكذا كتب رجاء جارودي من واقع الوثائق التي درسها واطّلع عليها.

وهكذا نشرت بعض الصحف في البلاد العربيّة - مثل جريدة الدستور - من واقع ما كتبه - أيضًا - صحف إسرائيليّة، وما كتبه الوثائق ونقلت عنها مجلات عالميّة.

نحن أصبحنا نهبًا لكلّ طامع، وغرضًا لكلّ طاعن، وأصبحنا أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام.

هكذا تفعل اليهوديّة.

إنّهم يفكّرون الآن في هدم المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان عليه، ولا تستبعدوا شيئًا؛ فقد كنّا من قبل نستبعد أن تقوم لهؤلاء دولة، كنّا نستبعد أن يفعلوا ما فعلوا اليوم.

والذي استبعده النَّاس من قبل واستبعده الجيل السابق، رآه الجيل اللاحق حقيقة واقعة.

وأصبحت السياسة العربيَّة اليوم ليست إزالة إسرائيل واقتلاعها من الوجود، بل إزالة آثار عدوان سنة (١٩٦٧م).

أمَّا إسرائيل نفسها فقد أصبحت كيانًا مشروعًا!
نتعرض اليوم لهذا من الجبهة اليهوديَّة.

الجبهة النَّصرانية:

نتعرَّض من الجبهة النَّصرانية - أيضًا - لفتن ومؤامرات، سواء كانت جبهة كاثوليكية أم بروتستانتية أم أرثوذكسية. كلُّ هؤلاء على اختلاف مذاهبهم - الَّتِي تكاد تحسب أديانًا فيما بينها - اتَّفَقوا على حرب المسلمين.

رصد المبشَّرون الأمريكيَّان وحدهم «ألف مليون دولار» لتنصير المسلمين في العالم؛ لإخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم في النَّصرانية.

مائة وخمسون مبشِّرًا من عتاة المبشِّرين البروتستانت من الأمريكيَّان اجتمعوا في ولاية «كلورادو» سنة (١٩٧٨م) ودرسوا أحوال المسلمين، ولماذا لا يدخلون في النَّصرانية؟ وما العقبات وما سبيل التغلُّب عليها؟!

وقُدِّم في هذا المؤتمر أربعون بحثًا، ثمَّ قرَّروا العمل على تنصير المسلمين، على إدخالهم في النَّصرانية، ورصدوا هذا المبلغ: ألف مليون دولار.



ونشر ذلك في كتاب يُقرأ ويُتلى في العالم، وهذا أمر أصبح معروفاً.

أمّا القرارات السّرية فلم تُنشر.

هذا ما رصده الأمريكان وحدهم، بخلاف ما رصده مجلس الكنائس العالمي، وبخلاف ما رصده الفاتيكان والبابوية التي لها جنود منتشرون في كلّ مكان، وخاصّة في بلاد العالم الإسلامي.

في إندونيسيا وُجدت هناك للإرساليات التبشيريّة أكثر من خمسين مطاراً تملكها هذه الإرساليات!

لأنّ إندونيسيا جزر، فهي تستعمل الطائرات للانتقال بين الجزر بعضها وبعض.

الملايين تُبذل لنشر الديانة المسيحيّة ونشرها بين المسلمين!

لو نشروها بين الوثنيين أو الملاحدة الذين ينتشرون في أوروبا لكان ذلك مقبولا، أمّا أن ينشروها في أمّة التوحيد، في أمّة القرآن، في أمّة محمّد ﷺ فهذا ما لا يُقبل.

ولكن ما دمنا لا راعي لنا، ما دمنا لا قيادة لنا، فماذا نفعل؟

الكاثوليك لهم بابا، لهم قيادة تقول فتُسمع، وتأمّر فتُطاع.

البروتستانت لهم مجلس الكنائس العالمي.

الأرثوذكس لهم بابا في مصر، ولهم رؤساؤهم في روسيا واليونان.

اليهود لهم مجلس الصهيونيّة العالميّة.

الشّيعيّة لها الكرملين، وبعد الكرملين: الصين.

كلُّ مذهب في الدنيا وكلُّ دين له قيادته إِلَّا المسلمين، فقد فقدوا القيادة، من بعد ما فقدوا الخلافة لم يعد لهم خليفة، ولم يعد لهم قيادة سياسيّة ولا دينيّة ولا فكريّة فأصبحوا ضائعين.

هكذا أصبحنا - أيّها الإخوة المسلمون، هكذا أصبحنا اليوم نتعرّض لهذه المحن، ونتعرّض لهذه الفتن في كلِّ مكان.

الغزو الفكري والغزو التبشيري والغزو الشيوعي، يعمل عمله في بلاد الإسلام، فأين الألف مليون مسلم؟ ماذا قدّموا؟

كنّا نقول - حينما استقبلنا هذا القرن الجديد، القرن الخامس عشر الهجري: نرجو أن يكون هذا القرن قرن المسلمين.

كان القرن الثالث عشر قرن ظهور الرأسمالية وسيادتها، وفي القرن الرابع عشر ظهرت الشيوعيّة.

القرن الخامس عشر كنّا نريد ونأمل ونرجو أن يكون قرن ظهور الإسلام وانتصار الإسلام، ولكن الجبهة الإسلاميّة لا تزال مفكّكة.

الجبهة النّصرانية تعمل، والجبهة اليهوديّة تعمل، والجبهة الشيوعيّة تعمل، والجبهة العلمانية تعمل، حتّى الجبهة الوثنية التي تعبد البقر والتي تعبد الصنم تعمل من أجل دينها وتذبح المسلمين.

فماذا فعلت الجبهة الإسلاميّة؟ أين جبهة الإسلام؟ أين أمّة «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله»؟ أين أمّة القبلة؟ أين أمّة القرآن؟ أين هي؟

إنّي أنظر عن يميني وعن شمالي، فأرى أعدادًا غفيرة، ولكن لا تجد من يقودها ومن ينظّمها، إمّا أناسًا هم في نومهم غارقون، وفي غفلتهم



سأدرؤن؁ وإمّا أناسًا مشغولين بالتوافه؁ بالجزئيات عن القضايا الكبرى؁ إنهم بتوافه الأمور مشغولون؁ وبحرب بعضهم بعضًا منهمكون.

وإمّا أرى آخرين يائسين؁ يقولون: لا أمل في اليوم؁ ولا رجاء في الغد؁ ناسين أنه لا يئس من رُوح الله إلا القوم الكافرون؁ ولا يقنط من رحمة ربّه إلا الضالون.

أقول قولي هذا؁ وأستغفر الله تعالى لي ولكم؁ ادعوا ربكم يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

وجوب التحرك للعمل الخيري:

منذ أسبوعين كنت في جدّة بالمملكة العربيّة السعوديّة، وكنت ألقى محاضرة هناك، وبعد المحاضرة سئلت أسئلة تناولت أوضاع المسلمين وأحوالهم في العالم، وما يتعرّضون له من مكاييد ومؤامرات، ومنها هذا الأمر الَّذي قصصت عليكم قصّته - ما رصده الأمريكيان من أموال لتنصير المسلمين - وقلت لهم: إنّ المسلمين ليسوا عاجزين عن مقاومة هذا الأمر، وإذا كان الأمريكيان قد رصدوا ألف مليون دولار، فنحن المسلمين قادرون على أن نرصد مثلها وأكثر منها.

إنّ عدد المسلمين في العالم «ألف مليون»، فلو دفع كلّ مسلم دولارًا واحدًا، لجمعنا الألف مليون في يوم واحد.

نحن لا نريد بهذا أن نعتدي على أحد، نحن لا نقول كما كان يقول اليهود - حينما أرادوا إقامة إسرائيل ونادوا يهود العالم: ادفع دولارًا تقتل عربيًّا، بل نقول: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا.

نحن ليس همُّنا القتل، وإنّما همُّنا الإنقاذ.

المسلمون في العالم يتعرّضون للتنصير، لهذا التضليل، وأقول لكم بصراحة: استطاع هؤلاء المضللّون أن يكسبوا، وأن ينصّروا مسلمين.

كنت في رحلة إلى إندونيسيا وركبت الطائرة الإندونيسية، فسألت المضيفة: هل أنت مسلمة؟



قالت: لا، أنا مسيحيّة، ولكنّي من أسرة مسلمة!
أي أنّها نصّرت.

وسألت المضيف: هل أنت مسلم؟

فقال: لا، ولكن زوجتي مسلمة!
وهذه مصيبة أخرى.

في نيجيريا وفي البلاد الأخرى وجدنا أثر التبشير هناك، التبشير
يعمل وينصّر أناسًا بالفعل، المبشّرون يستغلّون الفقر والجهل والمرض
والتخلّف والعري.

هناك أناس لا يجدون ثوبًا يلبسونه فيموتون من شدة البرد أو
شدة الحرّ.

هناك من لا يجد اللقمة يضعها في جوفه، هناك ملايين تموت
من الجوع.

هناك مدارس إسلاميّة لا تجد كراسة للتلميذ - كما حدّثني إخوة هنا
جاءوا من أوغندا - ولا قلم رصاص، ولا محّاية، لا تجد هذه الأدوات
البدائيّة البسيطة، على حين تتدفّق أطنان الكتب والكراريس والقرطاسية
والأدوات على مدارس التبشير بجوارهم، وهم يقولون لهم: ما لكم
تعيشون في هذا الضنك؟

هاتوا أبناءكم إلى مدارسنا، ولكنهم يرفضون.

المسلمون يعانون هذا كلّه، على حين توجد أموال كثيرة في بلاد
إسلاميّة يلعب أهلها بالملايين لعبًا.

قلت في الأسبوع الماضي في مثل هذا الوقت من خطبة الجمعة -
التي أذيعت من إذاعة الكويت: لو أن الأغنياء في الكويت أخرجوا
زكاتهم لجمعنا الألف مليون دولار.

أليس في الكويت وحدها من رؤوس الأموال التي في الداخل أو في
الخارج أربعون ألف مليون دولار؟

الأربعون ألف مليون فيها ربع العشر: ألف مليون.

فكيف لو جمعت زكاة الكويت وقطر والإمارات والسعودية وهذه البلاد؟
إننا أغنياء، إننا قادرون، فلماذا نقف عاجزين؟

قلت للإخوة في جدّة هذا الكلام، فقالوا لي: ولماذا تسكت؟ لماذا
لا تدعو المسلمين إلى أن يجمعوا ألف مليون دولار لمقاومة التنصير
والشيوعية والتضليل؟

قلت: وبماذا أدعو وما سلطتي وما صفتي؟

قالوا: بصفتك من علماء المسلمين ودعاتهم.

حمّلوني المسؤولية، وألزموني أمام الله أن أدعو إلى هذه الدعوة،
ووعدتهم بذلك.

حيث وجدت تجمّعًا إسلاميًا دعوت لهذه الفكرة، فلمّا كنت في
مؤتمر المصارف الإسلامية بالكويت، وفي الجلسة الختامية للمؤتمر
دعوت إلى هذه الفكرة، إلى أن يقف المسلمون وقفة إيجابية بدل تشاكي
الهموم التي تعودنا كلّما جلس بعضنا إلى بعض أن نشكو همومنا
ونتحدث عن مآسينا، ولا نتقدّم خطوة إلى الأمام، ولا نفعل شيئًا إيجابيًا.

دعوتهم إلى هذا واستجاب النَّاس وقالوا لي: انتظر حتَّى تخطب الجمعة هنا، وتذكر ذلك في الجمعة وتذاع في الإذاعة والتلفزيون، وقد كان. ووجد هذا الأمر تجاوبًا كبيرًا، تبين أنَّ الخير في هذه الأمة قائم، وأنَّ الخيرين كثيرون، وأنَّ عشرات ومئات الهواتف بدأت تسأل: أين هذا الأمر؟ وأين ندفع؟ وأين نبذل؟

نحن الآن في سبيل التهيئة، ولكننا نخطط وننظّم لهذا الأمر، وسيكون - إن شاء الله، ستقوم هيئة عالميّة من مندوبين من المسلمين في كلّ مكان، سيكون هناك مجلس تأسيس لهذه الهيئة.

سننظّم هذا الأمر، ولن نقف مكتوفين أبدًا أمام القوى الكافرة التي تريد اقتلاع الإسلام من أساسه، ومهاجمته في عقر داره.

لا نريد العدوان على أحد، ولكننا نريد الدفاع عن أنفسنا والحفاظ على ذاتنا ووجودنا.

إنَّ هذا الدين أمانة في أعناقنا، لم يصل إلينا هيئًا لينا، إنّما بُذلت فيه دماء، وأزهقت أرواح، وحدث ما حدث على طول التاريخ.

لا يجوز لنا أن نضيّع جهود المجتهدين، ولا جهاد المجاهدين من أمّتنا طوال أربعة عشر قرنًا.

إنّنا قادرين على أن نفعل الكثير إذا وضع بعضنا يده في يد أخيه، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بأمّته.

فيا أمة الإسلام، يا ألف مليون مسلم في أنحاء الأرض: هبوا لنصرة دينكم وإنقاذ إخوانكم والدفاع عن شخصيتكم؛ حتّى لا تُمحى من الوجود.

يا أيُّها المسلمون عامّة، وأيُّها الأغنياء والقادرون خاصّة، من رجال ونساء، من كبار وصغار، من عرب وعجم: أدعوكم إلى أن تنقذوا إسلامكم، أدعوكم إلى أن تنقذوا إسلامكم، إلى أن تدافعوا عن وجودكم، ولا بدّ أن يأتي اليوم الذي ترتفع فيه راية الله ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الرُّوم: ٤ - ٦].

إننا نقيم هذا الصندوق إن شاء الله، وستعلمون عنه وكيف يفتح؟ وأين يكون؟

ولكن هذه دعوة أولية للتنبيه والإيقاظ^(١)، وإنّ مع اليوم غداً، وإنّ غداً لناظره قريب.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم آمين.

وصلّ اللهم على محمّد وآله وصحبه وسلّم، فصلّوا عليه وسلّموا تسليماً. وأقم الصّلاة.

(١) تبلور ذلك في مشروع «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» التي أسّست في الكويت.



التنصير في منطقة الخليج

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

غزو في عقر دارنا:

شكنا إليّ كثير من الإخوة والأخوات النشاط التبشيري الملحوظ في الآونة الأخيرة في منطقة الخليج، وأرسلوا إليّ صوراً من الرسائل التي تأتيهم عبر البريد، تطلب إليهم أن يبحثوا عن خلاصهم ونجاتهم في الإيمان بالرب «يسوع»، الذي يغفر لهم كل خطاياهم بمجرد أن يؤمنوا به، وأن في الكتاب المقدس شفاء لكل داء، وحلاً لكل مشكلة.

وهذا عجيب حقاً: أن يمارس هؤلاء نشاطهم علانية وجهرية في بلاد إسلامية عريقة، هي مهد الإسلام، وهي دار الإسلام!

كنّا نودُّ من هؤلاء أن يذهبوا بنشاطهم إلى بلاد الوثنية في آسيا وإفريقيا، هناك وثنيات كبرى، فيها آلاف الملايين من الناس، وهناك بلاد عاشت في إطار الإلحاد سنين عدداً، عقوداً من السنين.

كنا نريد من هؤلاء المبشرين والمنصرين: أن يذهبوا إلى تلك الديار ليهدوهم إلى نصرانيتهم، أمّا أن يذهبوا إلى بلاد المسلمين فهذا هو العجب حقًا!

وهذا ليس بجديد، الحملة التبشيرية بدأت مع الاستعمار، منذ دخل الاستعمار بلاد المسلمين وبلاد غيرهم في آسيا وإفريقيا، كان يجاور الاستعمار جنبًا إلى جنب التبشير!

فأوربا تخلصت من الدين في ديارها، كان الدين - دينها دين الكنيسة ورجال الكنيسة - عقبة في سبيل النهوض، كان الدين ضد الفكر، وضد العلم وضد الاختراع، وضد التحرر، كان مع الملوك ضد الشعوب، وكان مع الإقطاعيين ضد الفلاحين، وكان مع الظلم ضد العدل، وكان مع الظلام ضد النور، وكان مع الجمود ضد التحرر، ولذلك ثار الناس على الدين هناك، وقالوا كلمتهم الشهيرة: اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس! تحرروا من دينهم، دين الكنيسة، الدين الذي وقف ضد هذه المعالم الهادية والمعاني الطيبة، وقفوا ضد هذا الدين وثاروا عليه.

ومع هذا صحبوا الدين في رحلاتهم الاستعمارية! الدين الذي حاربوه في الداخل اصطحبوه معهم إلى الخارج! اصطحبوا معهم المبشرين والأنجيل، كما قال أحد الأفارقة: جاء الأوربيون فأخذوا أرضنا وثروتنا وأعطونا بدلها الإنجيل!

كان التبشير في خدمة الاستعمار، منذ بدأ الاستعمار والتبشير يسير في ركابه، ويقدم له الخدمات. هذا ما لاحظناه من قديم.

حملات التبشير في مصر:

ومنذ بداية هذا القرن^(١) ذهب إلى مصر حملات هائلة للتبشير، حاولوا أن يغزوا مصر بلد الأزهر وبلد العلماء، ولكنهم لم يجدوا أذناً صاغية، لم يجدوا من يستجيب لهم، حتّى القرى التي تشكو من سوء الحال ومن ضيق العيش كان الرجل يذهب إليهم ليحكي عن عجائب المسيح ومعجزات المسيح ومعجزات العذراء، والنّاس يسمعون، وفي النهاية يقول أحد الحاضرين: وحّدوه، فيقول النّاس: لا إله إلّا الله، صلّوا على النّبي، فيقولون: اللهم صلّ على محمّد وعلى آل محمّد، فيذهب المبشّر ويقول: لم نستفد شيئاً.

لم يجدوا من يستجيب لهم، وكتب كبيرهم في ذلك تقريراً مطوّلاً قال في نهايته: «سيظلّ الإسلام صخرة عاتية في مصر، تتحطم عليها محاولات التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي للمسلمين». ما دام القرآن يُحفظ ويُقرأ ويُتلى ويُسمع، فهو يوقظ ويحرّك.

وما دام هناك الأزهر يخرج علماء يعلمون النّاس ويعظونهم ويذكّرونهم، فسيظلّ النّاس مشدودين إلى الدين.

وما دام اجتماع الجمعة الأسبوعي يربط النّاس بالمسجد ويربط النّاس بالدين وبالعلم وبالموعظة وبذكر الله، فأيضاً سيظلّ النّاس على صله بالدين. وهذا مؤتمر الحج السنوي يذهب الإنسان عاصياً ويعود تائباً، يذهب بعيداً عن الله ويعود قريباً من الله، هذه الدعائم الأربع.

(١) أي: العشرين الميلادي.



وهذه الدعائم موجودة في كلِّ بلد، ليس المقصود بالأزهر هو البناء، المقصود بالأزهر: العلماء، المؤسسة التي تخرِّج علماء الدين ودعاته. كلُّ بلد فيها القرآن، وفيها العلماء وفيها اجتماع الجمعة، وفيها الحج. ولذلك لم يستطع التبشير أن ينجح.

وصدر في ذلك كتاب مشهور اسمه: «الغارة على العالم الإسلامي»، وقال القائل في ذلك الكتاب: إنَّه ما دام هناك القرآن وما دامت هناك الكعبة فلن نستطيع أن نغزو المسلمين.

وستظلُّ الكعبة، وسيظلُّ المصحف ويظلُّ القرآن إن شاء الله.

ولكنهم غَيَّرُوا طريقتهم، استطاعوا أن يَطوِّروا أنفسهم، وكتب منهم مَنْ كتب: إنَّه ليس من الضروري أن نحوِّل المسلم إلى نصراني - ليس من الضروري أن يتحول محمَّد وأحمد وعبد الرحمن وعلي إلى جورج ومثي وبولس - لكنَّ المهم أن نزعزع ثقة المسلم بإسلامه، أن نشكِّكه في الإسلام، أن ندخل عليه مفاهيم جديدة تخالف مفاهيم الإسلام، وقيماً جديدة تخالف قيم الإسلام!

وهكذا صنعوا، وخصوصاً في المنطقة العربيَّة.

التبشير في المنطقة العربيَّة:

المنطقة العربيَّة يصعب فيها أن ينتقل إنسان من مسلم إلى مسيحي، ولكن هذا حدث في غير المنطقة العربيَّة.

خارج العالم العربي وجدنا أناساً ينتقلون من الإسلام إلى النَّصرانية، خصوصاً الأطفال الذين يأخذونهم منذ نعومة أظفارهم

ليعلّموهم في مدارسهم، ويلقّنونهم عقائدهم ومبادئهم، فينشؤوا على ما علّمهم معلّموهم.

وجدنا هذا في آسيا وفي إفريقيا.

منذ عقود من السنين حكم نيجيريا حاكم مسيحي، هذا الحاكم المسيحي من قبيلة مسلمة! كيف صار هذا؟
إنّه ارتدّ بواسطة التعليم في المدارس.

وكثيراً ما تجد على لافتات المحلات هناك اسمًا مسيحيًا وجده اسم مسلم، أو قبيلته إسلاميّة.

وهكذا كان في إندونيسيا.

أذكر منذ نحو ربع قرن حينما ذهبت إلى إندونيسيا، وفي الطائرة سألت المضيف: هل أنت مسلمة؟

فقلت: لا، لست مسلمة، أنا مسيحيّة، ولكن أسرتي مسلمة!

معناها أنّها ارتدّت - والعياذ بالله - بواسطة التنصير.

وسألت المضيف: هل أنت مسلم؟

فقال: لا، ولكن زوجتي مسلمة!

وهذه مصيبة أخرى؛ كيف تتزوج المسلمة غير مسلم؟! وكيف يحدث هذا في بلد إسلامي؟!!

استطاع هؤلاء المنصّرون أن يكسبوا بعض المسلمين بوسائل شتى، وإغراءات مختلفة، إغراءات للبلاد الفقيرة والقرى النائية، وهناك الأميون الذين لا يعرفون من الإسلام إلّا اسمه.

ومع هذا، مع أنَّهم كسبوا ما كسبوا، ترى المبشرين ينشرون أنَّهم لم يستطيعوا أن يؤثروا في المسلمين، ولم يستطيعوا أن يكسبوا المسلمين. وهذا لعلَّه مقصود منه أن يُشعروا المسيحيين الأغنياء أنَّهم في حاجة إلى مزيد من الأموال؛ لتتدفَّق عليهم المليارات.

فكلَّما شعروا أنَّ الأمر فيه عقبات ومعوقات، ويحتاج إلى جهود أكبر وإلى أموال أكثر، جاءت لهم هذه المعونات بالمليارات.

ومن ناحية أخرى لعلَّهم يريدون أن ينوِّمونا ويخدِّرونا، حتَّى نقول: الإسلام بخير، ونسكت على ما يجري من حولنا ولا نقاوم. هذا هدف أيضًا.

ومن ناحية ثالثة، فهذا لعلَّه دون ما كانوا يتمنَّون، إنَّهم كانوا يتمنون أن يغزوا العالم الإسلامي ويحوِّلوه إلى النِّصرانية، هذه كانت أمنيتهُم ولكنهم لم يحققوها، ولم يقتربوا منها!

منذ نحو ثلاثين سنة وضعوا خطة لتنصير إندونيسيا - أكبر بلد إسلامي في العالم - في خمسين عامًا.

وذهب بعض الإخوة إلى إندونيسيا، وعرض عليهم الإخوة هناك الخطط التي وضعها المنصِّرون، وهي خطط جهنمية وراءها إمكانات هائلة.

المسلمون في إندونيسيا ينتقلون بين الجزر - وإندونيسيا آلاف الجزر - بالقوارب، وهؤلاء ينتقلون بطائرات الهليكوبتر، هناك حوالي ستين مطارًا تملكها الإرساليات التنصيريَّة في إندونيسيا.

لهم مدارس، ولهم مستشفيات، ولهم أندية، ولهم... ولهم... وعاد الإخوة من هناك يقولون: يا مسلمون، أنقذوا إندونيسيا. وحينما زرت إندونيسيا منذ ربع قرن رأيت ذلك، وعرض عليّ الإخوة هذا الأمر وقالوا: ادع المسلمين في أنحاء العالم أن يقفوا معنا. ووقف الدكتور محمد ناصر وإخوانه هناك في المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية يقاومون بإمكاناتهم القليلة. ولم يستطع التنصير أن يحقق أمنيته.

بالعكس جاءت صحوة إسلامية جديدة في إندونيسيا لم تخطر لهم على بال، وإذا بالشباب الإندونيسي يتحول الكثير منهم إلى الإسلام، ويقف مع الإسلام، ويدعو إلى الإسلام. ولذلك حينما يقول المنصرون: نحن قد أخفقنا وفشلنا مع المسلمين؛ لأنهم لم يحققوا كل آمانيهم.

مؤتمر كلورادو:

في سنة (١٩٧٨م) انعقد مؤتمر للمنصرين البروتستانت في ولاية «كلورادو» في أمريكا، حضره مائة وخمسون من عتاة المبشرين وقدموا أربعين دراسة عن علاقة الإسلام بالمسيحية، وكان الهدف المعلن لهذا المؤتمر هو: تنصير المسلمين في العالم! ليسوا الوثنيين ولا الملاحدة! هذا هو العجب.

المسلمون يجب أن ينصروا، ورصدوا لذلك: ألف مليون دولار! جمعوها من المليارديرات الكبار في الحال.

وأنشؤوا لذلك معهداً سمّوه: معهد زويمر.

وزويمر هذا أحد المنصّرين (العتاولّة)، كان مقرّه في البحرين في أوائل هذا القرن، ورأس مؤتمر المبشّرين الذي عقد في القاهرة سنة (١٩٠٦م)، أرادوا أن يحيوا ذكراه وأن ينشؤوا معهداً متخصصاً في تنصير المسلمين، معهداً يخرج متخصصين في تنصير المسلمين، هؤلاء متخصصون في جنوب إفريقيا وهؤلاء في شرق إفريقيا، في غرب إفريقيا، في وسط إفريقيا، في شمال إفريقيا.

وكل جماعة يعرفون المنطقة التي يبشّرون فيها، يعرفون لغتها، يعرفون لهجاتها، يعرفون قبائلها، يعرفون شيوخ القبائل، يعرفون المذهب الفقهي السائد، يعرفون الطريقة الصوفية السائدة: نقشبندية أو تيجانية أو قادرية أو كذا، يعرفون المذهب العقدي: هل هم أشاعرة؟ هل هم سلفيون؟ هل هم كذا؟

يعرفون كلّ شيء عن المنطقة، ويدخلونها ويحاولون أن يغزوها من الداخل، وأن يفرّقوا بين أبنائها، وأن يفعلوا وأن يفعلوا.

هذا هو المعهد الذي أنشؤوه.

وهذا هو الذي دفعني في تلك الأيام أن أنادي المسلمين في بلاد شتى: يا مسلمون، قفوا ضد هذا الغزو الجديد.

إذا كان هؤلاء قد رصدوا ألف مليون دولار لتنصير المسلمين في العالم، فلنرصد ألف مليون دولار لحماية الوجود الإسلامي في العالم، لا لأسلمة العالم، مع أنّ ديننا دين عالمي، ونحن مأمورون أن نبلّغه إلى العالمين؛ لأنّه رحمة الله للعالمين: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]

﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، إذا لم نفعل ذلك فعلى الأقل نحمي المسلمين، المسلمين الذين يستغلون فقرهم وجوعهم، ويستغلون بطالتهم وأميتهم، ويستغلون أمراضهم وأوجاعهم، ويستغلون يتمهم وتشردهم، يستغلون هذه الأشياء لينشئوا منشآتهم، وهذه المنشآت باسم المسيح والمسيحية، وهكذا.

لم نستطع - نحن المسلمين - أن نجمع الألف مليون دولار، بل لم نجمع إلى الآن أربعين مليون دولار! وإن كنا أقمنا نشاطًا كبيرًا، ولكن الهدف أن نجمع ألف مليون دولار لنوظفها ونستثمرها وننفق من عائدها. وإذا كان هؤلاء رصدوا ألف مليون دولار، فهم يجمعون سنويًا عشرات آلاف الملايين!

في حلقة من حلقات برنامج «الشريعة والحياة» كنت أتحدث عن جهود هؤلاء المنصرين، وكنت أنا أظن أن لهم حوالي ربع مليون مبشر في أنحاء العالم، فرد عليّ أحد الإخوة المعنيين بهذا الأمر «رئيس جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت» الشيخ عبد الله المطوع حفظه الله، وبعث إليّ إحصائيات هم كتبوها أنفسهم وقال: إن هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسين ألف (٤٧٥٠٠٠٠) مبشر ومبشرة يتبعون الكنيسة في أنحاء العالم، ويأخذون أجورهم من الكنيسة.

(٤٧٥٠٠٠٠) مبشر ومبشرة يعملون للكنيسة! أنفق عليهم سنة (١٩٩٦م): مائة وثلاثًا وتسعين مليار دولار!

وفي سنة (١٩٩٧م) قرّروا الزيادة إلى: المائتي مليار! انظروا - أيها المسلمون: القوم يعملون، لا بد أن نعرف بهذا، هم يعملون فماذا نعمل نحن؟

إننا لا نعمل على مستوى الإسلام الذي نؤمن به ونمثله، ولا على مستوى العصر الذي نعيش فيه، ولا على مستوى ما يعمل هؤلاء لدينهم الذي نعتقده نحن دينًا باطلاً.

نحن نؤمن بالمسيح عليه السلام، ونؤمن بموسى، ونؤمن بأصل اليهودية وبأصل النصرانية، ولكن نعتقد أن هذه الديانات حُرِّفَتْ وبُدِّلَتْ؛ لأنها كانت ديانات موقوتة لزمان معين، ولذلك لم يتكفل الله بحفظ كتبها، إنما استحفظها أهلها - ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] - فلم يحفظوها، ونسوا حظًا مما ذكروا، وكتبوا الكتاب بأيديهم ثم قالوا: هذا من عند الله ﴿لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

القرآن جعل لأهل الكتاب منزلة خاصة، وأمرنا أن نجادلهم بالتي هي أحسن، وأن نقول: ﴿ءَاْمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

بل أجاز لنا عند الحاجة أن نتزوج من نسائهم، وأن نأكل من ذبائحهم ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ [المائدة: ٥].

ولكنهم - للأسف - لم يعاملونا بمثل ما تعاملهم به، إنهم يضمرون الكيد لنا دائماً، من قديم ومن حديث.

من قديم كانت الحروب الصليبية، والصليبية ليست نزعة دينية، إنها نزعة استعمارية، كلها أحقاد وأطماع، وكراهية وبغضاء «والبغضاء هي الحالقة، لا تحلق الشعر بل تحلق الدين»^(١).

(١) إشارة إلى حديث: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ: هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ». رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده =

إنَّهم يعاملونا بهذه الروح الصليبيَّة، ولا يعاملوننا أنَّنا أهل كتاب.

هؤلاء هم الذين يحاولون اليوم أن يغزونا في عقر دارنا، وأن ينصَّرونا، وهيئات هيئات.

صحيح أنَّ عندهم رجالاً ونساء نذروا أنفسهم لهذا الأمر، وهذا يجب أن نعتز به، هناك من نذروا أنفسهم لنشر الديانة المسيحيَّة على ما بها.

قصة عن التنصير في السودان:

وقد حكى لنا - في أحد مؤتمرات منظمَّة الدعوة الإسلاميَّة في إفريقيا - لواء متقاعد في الجيش السوداني وعضو مجلس أمناء المنظمة معنا، حكى لنا قصة فيها عظة وعبرة، قال: حينما استقلَّ السودان ذهبنا إلى قرية من قرى الجنوب، فدخلنا بسيارة «جيب»، وحينما رأى النَّاس السيارة هربوا إلى بيوتهم؛ لأنَّهم لم يروا سيارة في حياتهم، ما هذا الشيء الذي يتحرَّك ويمشي وليس هو بقرة ولا جاموسة ولا بغلاً ولا حماراً، فأى شيء هذا؟

خاف النَّاس وهربوا إلى منازلهم استعدناهم وكلَّمناهم وقلنا لهم: نحن سودانيون مثلكم وجئنا إلى مصلحتكم.

ثمَّ يقول: وبينما نحن نكلِّمهم سمعنا جرساً يدقُّ، فقلنا لهم: ما هذا الجرس؟ أهنأ مدرسة؟ قالوا: لا، لا يوجد هنا مدرسة، ولا يوجد أحد يعرف القراءة والكتابة.

= ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

قلنا: فما هذا الجرس؟ قالوا: هذا أبونا.

قلنا: ومن أبوكم؟ قالوا: هذا الرجل يأتينا كلَّ أسبوع مرتين.

ذهبوا إلى هذا الرجل فوجدوه يركب دراجة، سأله: من أنت؟
قال: أنا فلان الفلاني.

من أي بلد؟

قال: أنا من «بروكسل»، من بلجيكا.

قالوا: ماذا تفعل؟

قال: أنا جئت هنا لأنشر هداية المسيح.

قالوا: كم لك هنا؟

قال: لي ثلاثون سنة!

قالوا: كم مرّة زرت فيها بلدك؟

قال: ولا مرة!

قالوا: ومتى تنوي العودة إلى وطنك؟

قال: ما هذه الأسئلة؟ أنا وطني هنا، وحياتي هنا، ورسالتي هنا،
وقبري هنا!

الرجل جاء متفرّغاً لهذه الدعوة، ترك الأضرار الكهربائية
والأتماتيكية، وجاء إلى هذه الغابات وإلى هذه الأدغال، وإلى هذه
القرى التي ليس فيها ماء، ولا كهرباء، ولا مدرسة، ولا شيء، القرى
التي لم تر في حياتها سيارة قط ويذهب بدراجته إلى نحو ثلاثين قرية،
يزور الواحدة منها مرتين في الأسبوع، ومعه حقيبتان: حقيبة فيها حلول
للأطفال، وحقيبة فيها أدوية خفيفة - قطرة، مرهم، أسبرين - يوزع على

الأطفال الحلوى، ويوزع على الناس هذه الأدوية، ويحكي لهم بعض قصص المسيح والعذراء إلخ.
هذا ما يفعله القوم.

نحن إذن مطالبون أن نعمل لديننا.

لماذا لا يجند للإسلام دعاة من أبنائه، وعندنا - نحن المسلمين - عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الشباب الذين يستطيعون أن يذهبوا إلى آسيا وإلى إفريقيا وإلى غيرها في الإجازات الصيفية؟
وقد فعل ذلك بعض الإخوة - لجنة مسلمي إفريقيا في الكويت - واستطاعوا أن يعيدوا الكثيرين من المسلمين إلى الإسلام، ويصححوا إسلامهم، ويدخلوا الكثيرين من الوثنيين في الإسلام.
الإسلام دين الفطرة، الإسلام هو الدين الذي يخاطب الفطرة الإنسانية، ويخاطب العقل الإنساني، لم يأت بشيء يستحيل على العقل تصوره.

أمّا المسيحيون، فإنهم يأتون بما لا يُعقل، يقولون: اعتقد وأنت أعمى! أغمض عينيك ثم اتبعني!

نحن نقول هذا، نحن عندنا: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، الدين عندنا غريزة فطرية وضرورة عقلية.

هذا هو الإسلام.

أيها الإخوة، نحن مطالبون بأن نعمل لديننا، إذا كان الآخرون يعملون لدينهم، ونحن نعتقد باطلاً، حتى قال ابن حزم: لم يوجد

مقولة في الدنيا أشدّ فسادًا وبطلانًا من مقولة النَّصارى: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة «الآب والابن والروح القدس، هم ثلاثة ولكنهم واحد، الواحد هو ثلاثة»!

يقول ابن حزم: ولو لم نر هؤلاء النَّاس بأعيننا، ونجادلهم بألسنتنا، ونسمعهم بأذنانا، ما صدّقنا أن في الوجود من يقول هذا^(١).

هؤلاء مع هذا ينشرون هذه الديانة، وينفقون عليها عشرات المليارات، ويبعثون من أجلها ملايين المبشرين والمبشّرات، ونحن أولى بأن نعمل لديننا.

وديننا هو سفينة الإنقاذ للبشريّة، هو حبل النجاة للإنسانية، إنّه الدين الذي يعطي الإنسان الآخرة ولا يحرمه من الدنيا، يعطيه الإيمان ولا يسلبه العلم، يصله بالسماء ولا ينتزعه من الأرض، يعطيه الروحانية ولا يحرمه من المادية؛ لأنّه دين التوازن، دنيا وآخرة: ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

اللهمّ فقّها في ديننا، وعلمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٨/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

التحريض الأمريكي على السودان:

من أغرب ما قرأته في الأسبوع الماضي تصريح الإدارة الأمريكية الذي تقول فيه: إنّ السودان يشكّل خطرًا وتهديدًا لأمن الولايات المتحدة! وعجبت من هذا الكلام، السودان الذي يحارب من جيرانه بتحريض من أمريكا - أيضًا، ويُغزى من هنا وهناك، السودان المحاصر، السودان الذي كلّمّا حاول أن يحلّ مشاكله صُنعت له مشاكل جديدة.

هذا السودان يهدّد أقوى دولة في العالم القطب الأوحّد الدولة الكبرى التي تتحكّم في مصير العالم، ولم يعد لها منافس ولا شريك؟! هذا عجب من العجب.

كيف يهدّد السودان أمن الولايات المتحدة؟!

لا أدري ماذا بين الولايات المتحدة وبين السودان؟

ماذا بينها وبين أهل الإسلام بصفة عامّة؟

حتى الشيخ أحمد ياسين، هذا الرجل القعيد المجاهد الذي لا يفعل شيئًا غير أن يتكلّم، ويقول كلمة الحقّ، وكلماته هادئة وهادية، ويقول: لن نمدّ أيدينا بسوء إلى أحد، لو قاتلونا لن نقاتلهم، سنكون كخير ابني آدم قال: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. ما الذي أزعج الإدارة الأمريكية من زيارة الشيخ أحمد ياسين لقطر والكويت والإمارات؟

الرجل يقول كلمته، ويعرض وجهة نظره.

أريد هؤلاء أن نركع وأن نلحق الأحذية من أجل السّلام المزعوم؟
وماذا نفعل أكثر مما فعلنا؟

ذهب من ذهب، وانحنى من انحنى، وتراجع من تراجع، وتنازل من تنازل، ومع هذا «نتنياهو» يرفض ذلك كلّ، ويركل السّلام بقدميه!

ماذا بين أمريكا وبين المسلمين؟

أمريكا دائمًا في الخطّ المعادي.

السودان كلّ ما يفعله أنّه يحاول أن يحلّ مشكلاته، وكلّما حاول أن يحلّها اختلقوا هذه التصريحات.

من قريب حينما حاول أن يحلّ مشكلته مع الجنوبيين، ظهرت تصريحات أمريكية تقول كذا وكذا.

السودان يحاول أن يقيم مؤسساته الدستورية، وأن يضع دستورًا جديدًا ويستفتي عليه، وهو دستور يحاول أن يُخرج البلد من الثورية إلى الاستقرار.

هذا شيء نحبي السودانيين عليه، ونبارك لهم هذا الأمر، ونسأل الله أن يرزقهم المزيد من الاستقرار والسكينة والأمن؛ حتّى يحققوا العدل، ويحققوا الأمن، ويحققوا الرفاهية لشعبهم، في ظلّ الإسلام، وتحت راية القرآن.

ماذا يريد هؤلاء من السودان؟

إنّني أعجب والله.



إننا يجب أن نقف مع السودان، ولا يجوز أن نقف مع أعداء السودان.
 إنني أحيي الخطوة البناءة الإيجابية التي تقوم بها المملكة العربية
 السعودية لمحاولة التقريب بين مصر والسودان.

نحن - العرب والمسلمين - أحوج ما نكون إلى لَمِّ الشمل، وجمع الشتيت.
 لا يمكن أن نحلّ مشكلاتنا الكبرى، لا يمكن أن نحقق نصرًا أو
 نحقق استقرارًا أو نحقق ازدهارًا، ونحن متفرقون.

نحن في عصر التكتلات الكبرى والكيانات الكبر، العالم يتكتل
 ويتلاحم ويتضامن، ونحن نزداد تفرُّقًا وتمزُّقًا.

لهذا نرغب بكلّ خطوة تقرب بين العرب والمسلمين بعضهم
 وبعض، وخصوصًا بين مصر والسودان.

مصر والسودان بلد واحد، وشعب واحد، ودين واحد، ومصير واحد،
 لا يجوز أبدًا أن ينفصل بعضهما عن بعض، يجب أن يتقاربا، وأن يتغلّبا
 على أي مشكلة تصادفهما.

هذا هو الواجب على هذه الأمة؛ فهي أمة واحدة، ولا يجوز لها أن
 تتفرّق أبدًا، فتفرّقها لمصلحة أعدائها، وليس لمصلحة نفسها أبدًا.

أسأل الله تعالى أن يجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التّقى،
 وأنفسنا على المحبة، ونياتنا على الجهاد في سبيله، وعزائمنا على عمل
 الخير وخير العمل.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا،
 وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



وا معتصماه مأساة البوسنة والهرسك

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كوارث متعددة على المسلمين:

تكاثرت المحن والكوارث علينا - نحن المسلمين، لا نخرج من محنة إِلَّا وقعنا في محنة، ولا نكاد نستفيق من كارثة إِلَّا داهمتنا كارثة أشدَّ منها، حتَّى ليحтар من يريد أن يتحدّث عن كوارث المسلمين ومآسيهم في أيّها يتحدّث، وأيّها يترك.

الكوارث شتّى، والمصائب تتوالى، بحيث يُرَقَّق بعضها بعضًا، ويُنسى بعضها بعضًا، كما قال أبو الطيّب:

رمانى الدهرُ بالأرزاءِ حتّى فؤادي في غشاءٍ من نبالٍ
فصرتُ إذا أصابتني سهامُ تكسّرت النّصالُ على النّصالِ^(١)
مآسينا كثيرة، ومصائبنا شتّى.



أنتحدّث عن المسلمين حول المسجد الأقصى، المسلمين في أرض
الثبّوات، في الأرض المقدّسة في فلسطين، حيث المذابح مستمرّة،
وحيث أطفال الحجارة، وأشباههم وشبابهم يعملون ما يستطيعون؟

أنتحدّث عن المسلمين في لبنان وما يجري عليهم، والغارات
الإسرائيلية المستمرّة؟

أنتحدّث عن وحشيّة اليهود الذين يتحدّثون العالم وقيمون
المستوطنات، ويصرّون على موقفهم، ويتحدّثون العالم كلّه بغطرسة
وكبرياء، ولا يبالون بأوربا ولا بأمريكا ولا بعرب ولا بمسلمين،
والمسلمون والعرب يلهثون وراءهم يستجدون السّلام؟!

أنتحدّث عن المسلمين في كشمير وما يحدث لهم من مذابح تقشعرّ
منها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان؟

أنتحدّث عن ثلاثمائة ألف أسرة مشرّدة، لا تجد المأوى، ولا تجد
ما يسدّ الرمق؟

أنتحدّث عن المشرّدين المهاجرين من بورما، الذين طاردتهم الدولة
الدكتاتورية الطاغية، ولم يجدوا صدرا حنونا ولا كهفا يأوون إليه؟

أنتحدّث عن إخواننا الذين يلاقون الأمرين في الهند، والذين يُذبّحون
من أجل أنّهم يريدون إقامة مسجد لهم؟

أنتحدّث عن إخواننا الذين يذوقون الصاب والعلقم في بلاد العالم
كلّهُ، من اليهوديّة حيناً، ومن الشّيعيّة حيناً، ومن الصليبيّة حيناً، ومن
الوثنية حيناً، ومن كلّ دين وذي نِحلة، ومن لا دين له ولا نِحلة؟

هكذا، أصبحنا - نحن المسلمين - نهبًا لكل من يريد، أصبحنا هدفًا لكل رامٍ ولكل ضارب، ولكل حابل ونابل، هكذا صرنا نحن المسلمين.

مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك:

فيم نتحدث؟

لنتحدث في المصائب الجديدة التي تحلُّ بنا ما بين حين وحين.

وأحدث هذه المصائب، وأحدث هذه الكوارث: كارثة إخواننا في البوسنة والهرسك، وما حولها من المناطق الإسلامية، التي دخلها الإسلام في تلك الديار في أوروبا الشرقية، وأصبحت كيانات إسلامية متميزة، لها ثقافتها، لها تراثها، لها رجالها، لها مشيختها، لها مساجدها، لها مكباتها، لها متاحفها، لها دورها، لها معاهدها.

هذه الكيانات الإسلامية التي ضُمَّت فيما ضُمَّ إلى البلاد الشيوعية من قديم، ضُمَّ منها من ضُمَّ إلى الاتحاد السوفيتي، وضُمَّ منها ما ضُمَّ إلى الاتحاد اليوغسلافي.

فلما انهارت الشيوعية في الاتحاد السوفيتي وانهارت في أوروبا الشرقية، تفككت هذه الكيانات التي كان يضمُّها القهر وحده، وأصبحت كلُّ جماعة تبحث عن استقلالها وعن سيادتها وعن شخصيتها التاريخية، وطالب الكثيرون بالاستقلال وأعطوه، وطالب إخواننا في البوسنة والهرسك بالاستقلال - كما طالب الكروات وغيرهم - واعترف المجتمع الدولي لهم بحق الاستقلال، اعترفت أوروبا، واعترفت أمريكا، واعترف الكثيرون من العرب والمسلمين بهم.

مجازر وحشية:

وقد حضر إلى هنا رئيس المشيخة الإسلامية في العام الماضي، وتكلم أمامكم هنا في هذا المسجد، وذكر أنهم يقفون أمام الصراع الدائر لا يتدخلون فيه بين العرقيات المختلفة، ولكنه قال: حينما تُهدد حقوقنا وتنتهك حرماننا، ونتعرض للظلم، فإننا لا بدّ مدافعون عن أنفسنا، ولن نسكت على الذلّ، ولن نرضى بالضميم، ولكننا سنقاتل دفاعاً عن أنفسنا، وبكلّ طاقاتنا وإمكاناتنا.

وهذا ما فعلوه.

هذا ما فعلوه الآن حين تعرّضوا لهذه الوحشية الصربية الصليبية التي تريد أن تقتلع الإسلام من جذوره في تلك الديار.

إنّها صليبية وحشية، إي وربي إنّها لصليبية، ليست مجرد حروب عرقية كما يسمونها.

لا، إنّها حرب على المسلمين، والمسلمين بالذات.

إنّ المسلمين هناك يُقتلون على بطاقات الهوية الشخصية، من عُرف أنّه مسلم فإنّه يُذبح بالسكاكين، ويمثّل بجثته بعد موته، ويرسم على جثته الصليب الأرثوذكسي لمجرد أنّه مسلم.

يُقتل الرجال، تُغتصب النساء، تُنتهك أعراض الفتيات.

هل سمعتم بمثل هذا في التاريخ في العصر الحديث، عصر حقوق الإنسان؟

أسمعتم بالطفل يُقتل أمام أمّه وأبيه؟ أسمعتم بالأب يُقتل أمام أبنائه؟



أسمعتم بالزوجة تُغتصب أمام زوجها؟ أسمعتم بالأسرة تُباد عن آخرها فردًا فردًا ولا يبقى منها أحد؟

يحدث هذا على مرأى من العالم ومسمع.

يا الله! رخصت دماؤنا نحن المسلمين.

أيُّ يهودي تشوكة شوكة تقوم له الدنيا ولا تقعد، أيُّ إنسان في بلاد واق الواق إذا أصابه شيء انهالت الاحتجاجات وحدث ما حدث.

نحن المسلمين وحدثنا أصحاب الدم الرخيص الذي لا قيمة له ولا وزن ولا سعر.

أين العالم المتحضّر؟ أين النّظام العالمي الجديد؟ أين قوّات التحالف الدولية؟ أين القوّة العالميّة الأولى في العالم والوحيدة الآن؟ أين الذين خفّوا باسم نجدة الكويت يومًا ما للوقوف ضد الظالم المعتدي؟ أكان هذا لنجدة الكويت أم كان هذا ضد العراق كما يقول من يقول؟

ما يحدث الآن أشدّ مما يحدث في الكويت بمرّات ومرّات، فلماذا يُترك القوي يفترس الضعيف؟

المسلمون هناك لا حول لهم ولا طول، والجيش الاتحادي في يوغسلافيا - الذي سُلّح بأموال المسلمين كما سُلّح بأموال غيرهم - يتدخل الآن لصالح الصربيين الحاقدين المتعصّبين، الحزب الحاكم في صربيا يفعل أفاعيله، وليس عند المسلمين إلّا الأسلحة الخفيفة، فأين من يساعد المسلمين؟

لقد سئلت المتحدث بلسان وزارة الخارجية الأمريكية: لماذا لا تتدخل أمريكا؟ لماذا لا تقف في وجه ذلك العدوان؟

لقد تدخلت لمنع القوات الصربية والطائرات الصربية من ضرب الكروات، لماذا لا تتدخل كما تدخلت في أزمة العراق والكويت؟

قالت - بصراحة: إنَّ ما نشاهده في البوسنة والهرسك ليعصر القلب عصرًا، ولا يستطيع أحد مشاهدة هذه المأساة إلَّا تأثّر، ولكن أمريكا ليس لها هناك مصالح إستراتيجية، والشعب الأمريكي لم يطالب بالتدخل!

المسألة إذن مسألة مصالح إستراتيجية، ليست مسألة قيم أخلاقية، ولا حقوق إنسانية، كما كان يقال.

لماذا لا يتحرّك العالم؟ وكيف يتحرّك العالم والمسلمون أنفسهم لم يتحرّكوا!

أين المسلمون؟ أين الدول الإسلامية؟ أين المؤتمر الإسلامي؟

لماذا لا يدعو إلى قمة عاجلة تبحث في هذا الأمر حتّى يشعر الناس أنّ هناك رابطًا يربط بين المسلمين بعضهم وبعض، وأنّ هناك أخوة إسلامية، وأنّ هناك وحدة في العقيدة ووحدة في القبلة ووحدة في الشعور، ف «من لا يهتمُّ بأمر المسلمين فليس منهم»^(١)؟

أين حكومات المسلمين المشغولة بملاحقة الأصوليين حيثما حلّوا وحيثما ذهبوا؟

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٤٧٣)، والصغير (٩٠٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤): رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه عبد الله بن أبي جعفر الرازي، ضعفه محمد بن حميد، ووثقه أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان. عن حذيفة.



ألا يشغلون يوماً بمآسي المسلمين؟

إنَّهم مشغولون بالمتطرفين ودعاة العنف - كما يقولون، ولا نلوم دعاة العنف؛ فقد أصبح موقفهم قوياً وموقفنا نحن دعاة الاعتدال ضعيفاً. الشَّباب الذي يدعو إلى العنف يقولون: ما يحدث في العالم كلُّه ضد المسلمين وضد الإسلام لا يمكن أن يقاوم إلا بالعنف، دعونا نتخذ العنف طريقاً ما دام أهل الحلّ والعقد صامتين صمت القبور.

أين الحميَّة الإسلاميَّة؟ لقد قال الشاعر العربي قديماً:
متى تحملِ القلبَ الذَّكِّيَّ وصارماً وأنفاً حمياً تجتنبك المَراغمُ^(١)
فأين القلوب الذكيَّة؟ وأين الأنوف الحميَّة؟ وأين السيوف العربيَّة والإسلاميَّة؟

لقد أصبحت سيوفنا من خشب كسيوف الخطباء على المنابر!
لا تُرهب أحداً، ولا تشدُّ أزر صديق، ولا تردُّ كيد عدو!
إننا - أيُّها الإخوة المسلمون - في حاجة إلى أن نحيا من جديد، إلى أن نحيا حياة المسلم، الذي يشعر برباط الإسلام يشدُّه إلى إخوانه حيثما كانوا.
هؤلاء الإخوة في البوسنة كانوا معنا كلِّما نزلت بالمسلمين نازلة.

في المسجد الأقصى، هم معنا على رغم ما كانوا فيه، فلا بدَّ أن يتواصى المسلمون في كلِّ مكان بنجدة إخوانهم بكلِّ ما نستطيع بالمال، بالسَّلاح لو استطعنا أن نوصل إليهم السَّلاح، بالغذاء والدواء، إنَّهم هناك يموتون جوعاً، لا يجدون القوت الذي يمسك الرَّمق، هناك مجاعات،

(١) الوحشيات ص ٣٢.

ولا تستطيع الإغاثة أن تصل إليهم، وقد قال واحد منهم: إننا نطالب العالم المتحضر أن يرسل إلينا إغاثات مع حراسة مسلحة وإلا نُهبت في الطريق ومنعها الصربون.

إنّها الصليبيّة أيّها الإخوة، الصليبيّة تهدّد الآن ستة ملايين من المسلمين.

وهي صليبيّة قديمة، منذ خمسين عامًا دخل هؤلاء الصليبيّون إلى إحدى المدن العريقة في البوسنة في يوم عيد الأضحى، وقتلوا من أهلها ستين ألفاً، وبدأوا بإمامهم ومفتيهم، ذبحوه أمام المسجد، وقالوا: هذه أوّل ضحية من ضحايا العيد!

إنّه الحقد الأسود، إنّها ليست مسيحيّة، ما أبعد الصليبيّة عن المسيحيّة، المسيحيّة الحقيقية سماحة بيضاء، والصليبيّة حقد أسود.

إنّهم يقولون: إنّ هذا آخر المسلسل بينا وبين العثمانيين والأتراك المسلمين.

وهؤلاء المسلمون في البوسنة والهرسك ليسوا أتراكاً، إنّهم من الجنس السلافي، وليسوا من الجنس التركي، ولكنّهم يريدون أن ينتقموا من كلّ مسلم يقدرّون عليه، يريدون أن ينتقموا من كلّ مسلم تستطيع أيديهم الوصول إليه، هو الحقد الصليبي الذي يكمن في صدور هؤلاء ضدّ الإسلام وضدّ المسلمين.

هل يهنا لنا نوم إذا تركنا إخواننا هؤلاء وهم يحتاجون إلى الغذاء، وإلى الدواء، وإلى الكساء، وإلى الغطاء، وإلى كلّ شيء؟
أين الإسلام أيّها الأخ المسلم وأيّتها الأخت المسلمة؟

أين الإسلام - يا أخي - وأنت تضحك ملء سِنك، وتأكل ملء بطنك، وتنام ملء جفنك وإخوانك هناك في البوسنة والهرسك وكوسوفو وغيرها من تلك المناطق ينامون وبطونهم خاوية، وأعينهم من الهمِّ باكية، وجنوبهم عن المضاجع متجافية؟ وكيف ينام الجائع؟ كيف ينام الخائف؟ كيف ينام المهْدِّ الذي ينتظر القتل في كلِّ وقت، ينتظر استباحة العرض واستباحة الدم من أولئك المتوحِّشين الذين لا يخافون خالقًا ولا يرحمون مخلوقًا؟

عندما دخل القائد الإنكليزي «النبى» القدس سنة (١٩١٧م)، واستولى عليها، قال في شماته وانتفاخ: اليوم انتهت الحروب الصليبيَّة!

أي أنَّه ثار للقرون التي مرَّت حينما استعاد صلاح الدين بيت المقدس من الصليبيين بعد أن كان أسيرًا في أيديهم لمدة تسعين عامًا. والحقُّ - أيُّها الإخوة - أنَّ الحروب الصليبيَّة لم تنته كما قال النبى، الحروب الصليبيَّة مستمرَّة بصورة وأخرى، وفي مكان وآخر، وبأسلوب وآخر.

الحروب مستمرَّة ضدنا - نحن المسلمين - من الصليبيَّة ومن اليهوديَّة ومن الوثنية ومن الشُّيعيَّة، يختلفون فيما بينهم ويتحدون علينا؛ فالكفر ملَّة واحدة ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الجاثية: ١٩].

من لنا إلَّا الله تعالى؟

إلى الله نشكو، إلى الله نشكو تقاعس المسلمين عن نصره إخوانهم.

يوم كان المسلمون مسلمين:

قديمًا حينما سمع عمر بن عبد العزيز أنَّ مسلمًا في بلاد الروم قد استُذِلَّ وأُهين، فأرسل إلى ملك الروم يقول له: أمّا بعد؛ فقد بلغني أنَّ عندكم أسيرًا مسلمًا، فعلتم به كذا وكذا، فإذا بلغك كتابي هذا فخلِّ سبيله، وإلاَّ غزوتك بجنود أولها عندك وآخرها عندي^(١)!

هنالك خُلي سبيل المسلم، وأُطلق سراحه.

كانت وراءه دولة تستطيع أن تشدَّ أزره، وتحمي ظهره، وعندنا الآن بضع وأربعون دولة، ولكنها لا تشدُّ الأرز، ولا تحمي الظهر.

عندما سمع المعتصم أنَّ امرأة في بلاد الروم، في عمُورية استغاثت، حينما ضُربت أو أُهينت، فقالت: وا معتصماه، وا معتصماه، وبلغت هذه الاستغاثة مسامع الخليفة العباسي فقال: لبيك، لبيك أختاه!

وأمر بالتجهيز لمعركة قادمة والإعداد لفتح عمُورية.

وقال له بعض المنجّمين: إنَّ الوقت ليس مناسبًا، انتظر حتّى ينضج التين والعنب!

فلم يبال بقولهم، وذهب إلى عمُورية، وكانت واقعة من وقائع الإسلام، معركة من المعارك الحاسمة في التاريخ.

فُتحت عمُورية - التي مكانها الآن مدينة «بورصة» في تركيا^(٢) - وقال في ذلك أبو تمام ساخرًا من المنجّمين الذين قالوا ما قالوا، قال قصيدته الرائعة البائية الشهيرة:

(١) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٤٨.

(٢) فتح المسلمون (عمُورية) في رمضان سنة ٢٣٠هـ، بعد حصار دام ستة أشهر. انظر: تاريخ الطبري (٥٧/٩ - ٧١)، والكامل لابن الأثير (٤٨٠/٦)، والبداية والنهاية لابن كثير (٥٧/٩).

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ
بيضُ الصفائحِ لا سودُ الصفائحِ في متونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرَّيبِ^(١)
وقال فيما قال من هذه القصيدة:

عشرون ألفاً^(٢) كآساد الشرى نضجت جلودهم قبل نُضجِ الثَّينِ والعِنبِ^(٣)!
والآن ليس لنا «معتصم» فنقول: وا معتصماه، وا خليفته، لنا
«معتصمون» كثيرون، ولكن لا يغنون شيئاً، ولا يُنجدون مستنجداً،
ولا يغيثون ملهوفاً.

بعد تهديم قلعة الخلافة:

ذهبت الخلافة الواحدة التي كانت تجمع شتات الأمة وتضمُّها في
إطار واحد، وتجعل منها قوّة مرهوبة، ولكن أعداء الإسلام حطّموها هذه
القلعة، فلم يبق لنا شيء نجتمع عليه، وليس عندنا سلطة دينيّة جامعة
كالبابا عند النصارى، فلهذا طمع فينا الطامعون من شرق وغرب، ومن
شمال وجنوب.

وامعتصماه، من لنا بمعتصم يغيث لهفة هؤلاء الإخوة، ويقول لهم:
ليكم لبيكم؟ من لنا أيُّها الإخوة؟

أصبحنا الآن كما كان المسلمون في آخر العهد الأندلسي طوائف
شتّى وطرائق قدداً، تسقط المدينة تلو المدينة - بعد أن مرّقتهم

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٣٢/١)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٤م.

(٢) الذين قتلهم المسلمون.

(٣) الذي كان يقول به المنجّمون.



الاختلافات والتفرقات المختلفة - ولم تغن عنهم الألقاب الضخمة والأوصاف الفخمة التي عبّر عنها شاعر ساخر فقال:

مِمَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَلْقَابُ مُعْتَصِمٍ فِيهَا وَمُعْتَصِدٍ
أَلْقَابُ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالِهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاحًا صَوْرَةَ الْأَسَدِ^(١)

أندلس أخرى:

ضاعت الأندلس، ولم نملك - نحن المسلمين - إلا أن نرثيها!

رُثِيت المدن التي تسقط مدينة بعد مدينة، حتّى سقطت «غرناطة»، سقطت آخر القلاع ورثاها ذلك الشاعر المبدع «أبو البقاء الرندي» برأئته النونيّة:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نَقْصَانُ فَلَا يَغُرُّ بِطِيبِ الْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُولُ مِنْ سَرِّهِ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

وتحدّث عمّا جرى للمسلمين، وعن ارتفاع الصُّلبان على المساجد، وعن كذا وعن كذا، كأنّما يحكي عمّا يحدث الآن في البوسنة والهرسك، إلى أن ختم قصيدته بقوله:

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ^(٢)

فهل في القلوب إسلام وإيمان حتّى تذوب كمداً من أجل إخواننا هناك؟

(١) من شعر ابن رشيق القيرواني. انظر: المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٥٩، نشر المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) انظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٤٨٦/٤ - ٤٨٨)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.



إي والله، لا زال في القلوب إيمان، ولا زال فيها نبض الأخوة الإسلامية.

فلا عجب أن تسيل العيون عبرات، وأن تتقطع القلوب زفرات، وأن تذهب الأنفس حشرات، على إخواننا الذين يعانون ما يعانون هناك في تلك الديار.

هاتوا من المليار مليونًا صحاحًا من صحاح:

يا أبناء الإسلام، يا أبناء الإسلام! هبوا لنجدة إخوانكم، أغيثوا لهفة الملهوف، فرّجوا كربة المكروب، ابذلوا من أنفسكم، من أموالكم، من قلوبكم، من ألسنتكم بالدعاء على الأقل، أشعروهم أننا معهم.

يا أيُّها المسلمون في كلِّ مكان:

يا أُمَّةَ الإسْلَامِ هُبِّ	وا واعمَلوا، فالوقتُ راح
يا أَلْفَ مَلِيونٍ، وأُيِّ	نَ همو إذا دعت الجِرَاحُ؟
هاتوا من المليارِ ملـ	يونًا، صحاحًا من صحاح
من كلِّ أَلْفٍ واحداً	أغزو بهم في كلِّ سَاخ
من كلِّ صافي الرُّوحِ يو	شك أن يطيرَ بلا جَنَاح
مَمَّنْ يخفُّ إلى صلا	ة الليل بادي الارتياح
مَمَّنْ زكا بالصالحا	ت، وذكَّره كالمِسْكِ فَاح
بِكَاءِ مِخْرَابٍ، ولكـ	ن في الوغى كبشُ النَّطَاح
مُرُّ على أعدائه	ولقومه ماءً قُرَاح ^(١)

(١) انظر ديواننا: نفحات ولفحات ص ١٨٣ وما بعدها، قصيدة: يا أمتي وجب الكفاح، نظمها في ١٦ شعبان ١٤٠٥هـ الموافق ٦ مايو ١٩٨٥م، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

نحن في حاجة إلى أن نجد من كل ألف واحدًا، لا بل نصف واحد،
خمس واحد.

نحن - والله - في حاجة إلى أن نراجع أنفسنا ولا نعيش هذه العيشة،
نُستذلُّ من هؤلاء وهؤلاء ونسكت.

لا، ينبغي أن يعرف العالم أننا بالمرصاد لكل من ينال منا، ولكل من
يعتدي علينا، ولكل من ينتهك حرماننا.

نحن المسلمين إذا تجمّعنا كُنّا قوّة، قوّة عسكريّة، وقوّة اقتصاديّة،
وقوّة سياسيّة، نستطيع أن نضغط بقوّتنا، فلماذا لا يضغط أصدقاء أمريكا
على أمريكا، وأصدقاء أوروبا على أوروبا؟ لماذا لا يضغطون؟ لماذا
لا يتحرّكون حتّى نُنصف إخواننا من أنفسنا، وحتّى نقوم بحقّهم علينا،
وحقّ الله تعالى قبل ذلك؟

لقد ضاعت فرحة الانتصار الأفغاني، كُنّا نودُّ أن نعيش مدّة من الزمن
نقيم فيها الأفراح بفتح «كابل» وانتصار الجهاد، ولكن يأبى علينا هؤلاء
إلا أن يكدّروا علينا صفونا، لا نكاد نقيم عرسًا إلا انقلب إلى مأتم.

عادت أغاني العرس رجع نواح!

كما قال شوقي رَحِمَهُ اللهُ^(١).

هكذا قُدّر علينا.

يا أيّها الإخوة المسلمون:

لا بدّ من عمل، لا يكفي أن نحتجّ أو نستنكر، لا بدّ من عمل، لا بدّ

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٠٥/١ - ١٠٩)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.



من وقفة مع هؤلاء، وقفة مادية ووقفة أدبيّة، وقفة لله، للإسلام، للحقّ، للإنسانية.

نسأل الله تعالى أن يعيننا على أن نقف مع الحقّ، وعلى أن نقاوم الباطل، وعلى أن نصارع الظلم، وعلى أن نواجه المتوحّشين الذين يكيّدون للإسلام، والله من ورائهم محيط ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُكُمْ رُويًا﴾ [الطّارق: ١٥ - ١٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أما بعد، أيها الإخوة:

لا بدّ من تنظيم حملة لجمع التبرّعات لإخواننا هؤلاء، وأعتقد أنّه سيُعمل شيء عام - إن شاء الله - في «قطر» لنجدة هؤلاء الإخوة، فلا ينبغي أن نضنّ عليهم أو نبخل.

إذا لم نستطع أن نذهب إليهم بأنفسنا، إذا لم نستطع أن نقاتل معهم - وهذا هو الواجب كما يقول الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥] - نستطيع أن ندفع إليهم المال ليتسلّحوا، نستطيع أن نبعث إليهم الإغاثات المادية والعينية بكلّ السبل.

هناك إخواننا في أوروبا: الأمانة العامة لاتحاد المنظّمات الإسلاميّة، والأمانة العامة لمسلمي أوروبا الشرقيّة، وهم يقومون بجهد طيب جزاهم الله خيراً.

وقد بدأت هيئة الإغاثة الإسلاميّة في السعوديّة، والندوة العالميّة للشباب الإسلامي وبعض الجهات الأخرى في السعوديّة، وقامت بجهد طيب.

ونحن هنا - إن شاء الله - في قطر لن نتخلّف عن أي واجب إسلامي، فلا بدّ من أن نعمل ونسعى بكلّ ما نستطيع، كلّ على قدر ما يستطيع، ومن لم يستطع أن يبذل من نفسه، فليبذل من ماله: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا

وَتَقَالًا وَجَهْدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿[التَّوْبَةُ: ٤١]﴾، الجهاد بالمال قرين الجهاد بالنفس، بل هو مقدّم عليه في القرآن الكريم.

ثمّ علينا أن ندعو لإخواننا في كلّ وقت، ندعو الله تعالى أن ينصرهم على أولئك الصليبيين المتوحّشين الحاقدين الكائدين، وسنقت - إن شاء الله - بعد الركعة الثانية من صلاة الجمعة قنوت النّوازل، كما كان يفعل النّبي ﷺ في النّوازل، وهو قنوت مشروع بإجماع علماء الأُمَّة.

اللهمّ انصر إخواننا المضطّهدين، اللهمّ خذ بيد إخواننا المظلومين، اللهمّ خذ بيد إخواننا في البوسنة والهرسك، وخذ بيد إخواننا في فلسطين ولبنان، وخذ بيد إخواننا المضطّهدين في كلّ مكان.

اللهمّ انصرهم نصرًا عزيزًا، وافتح لهم فتحًا مبينًا، واهدهم صراطًا مستقيمًا، وانصرهم على عدوك وعدوّهم.

اللهمّ عليك باليهود الغادرين، اللهمّ عليك بالصليبيين الحاقدين، اللهمّ عليك بالشّيوعيّين الجاحدين، اللهمّ عليك بالوثنيين المتعصّبين، اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الدين.

اللهمّ ردّ عنا كيدهم، وفلّ حدّهم.

اللهمّ إنّنا ندرأ بك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهمّ أدر الدائرة عليهم، وسق الوبال إليهم، ولا تدع لهم سبيلًا على أحد من عبادك المؤمنين.





وا إسلاماه

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

استمرار الغارة على الإسلام:

لا زال المسلسل مستمرًا، مسلسل الإبادة للمسلمين.
الأمّة الإسلاميّة في شرق الأرض وغربها، وشمالها وجنوبها، تتعرّض
لحرب - بل لحروب - إبادة من كلّ الفئات الكافرة، على اختلاف
أسمائها، واختلاف أديانها، واختلاف ألوانها.

تتعرّض أمّة الإسلام لحروب إبادة على كلّ المستويات ومن كلّ
الجهات: إبادة مادية، وإبادة معنوية، إبادة على مستوى الدين والعقيدة،
وإبادة على مستوى الفكر والثقافة، وإبادة على مستوى المادة والجسد،
كلّ الفئات المشركة والكافرة تجمّعت على أمّة الإسلام.

حرب الإبادة الدينيّة:

هناك إبادة دينيّة، يريدون أن يخلعوا هذه الأمّة عن دينها، أن
يسلخوها من جلدها، أن يلغوا هويتها وشخصيّتها، ألا يبقى على الأرض
من يقول: «لا إله إلّا الله محمّد رسول الله».

هذا ما نراه بأعيننا، وهذا ما نلمسه بأيدينا، وهذا ما نسمعه بأذاننا، وهذا ما نقرؤه في كل مكان.

هناك حملات التنصير التي تريد اقتلاع الأمة من جذورها، حملات التنصير المؤيَّدة بالمال والعلم والدهاء والتخطيط، ومؤيَّدة من ناحية أخرى بغفلة المسلمين، وتفرُّق المسلمين.

منذ سنوات عُقد في مدينة «كلورادو» بالولايات المتحدة الأمريكية مؤتمر للمنصرِّين، أو لجماعة منهم، من الأمريكان البروتستانت، مائة وخمسون عُثُلًا من عتلاتهم قدَّموا أربعين دراسة.

لماذا اجتمعوا؟

أعلنوا هدفهم وقالوا: الهدف هو تنصير المسلمين في العالم!

وأنشؤوا لذلك معهدًا سموه: معهد «زويمر»، باسم أحد العتاة من المبشِّرين في أوائل هذا القرن، كان مقرُّه في البحرين، وهو الذي رأس المؤتمر التبشيري في القاهرة سنة (١٩٠٦م).

أحيوا ذكراه بإنشاء معهد متخصص في تخريج منصرِّين للمسلمين خاصَّة، ورصدوا لذلك ألف مليون دولار!

وتنادينا في ذلك الوقت، ونادينا المسلمين ودعوناهم في كل مكان أن يهَبُّوا من نومتهم، ويصحوا من سكرتهم؛ ليدافعوا عن كيانهم، عن وجودهم، ويجمعوا ألف مليون دولار، لا لنشر الإسلام في العالم - كما ينبغي - ولكن للحفاظ على الوجود الإسلامي، وأقمنا من أجل ذلك «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» في الكويت، فماذا جمعنا؟



جمعنا بضعة عشر مليوناً في عدّة سنوات، وهؤلاء جمعوا الألف مليون في جلسة من الجلسات.

وتبيّن لي - فيما بعد - أنّ هذا نشاط إحدى المجموعات، وهناك مجموعات أخرى من بلاد شتّى ومن مذاهب آخر - كاثوليكية وغيرها - جمعت آلاف الملايين من أجل التنصير، ونحن لم نجمع إلا بضعة عشر مليوناً.

بدلنا الأموال بعشرات المليارات في فترة من الفترات للدفاع عن كياناتنا المادّي أو الكيانات الرسمية، وبخلنا بألف مليون، بنصفه، بربعه، بخمسه، بعشره، للدفاع عن عقيدة الأمّة!

أين نحن المسلمون؟ أين نحن مما يُكاد لنا؟

ربع مليون^(١) من دعاة التنصير منتشرون في العالم، فأين دعائنا نحن المسلمين؟ عشرات، مئات، آلاف؟

لا يبلغون شيئاً أمام ما يصنعه هؤلاء، وهم ينشرون ما بين الحين والحين أنّ التنصير أو التبشير لم يبلغ هدفه، لم يحقق نجاحاً، ونحن نصدّق هذا، والواقع أنّهم ينجحون، ينجحون بالفعل.

في المنطقة العربيّة هذه حدّدوا لهم هدفاً من قديم: أنّهم لا يحاولون أن يُخرجوا المسلم من الإسلام ليدخلوه في النّصرانية، ولكن بحسبهم أن يشكّكوه في الإسلام، أن يزعموا عقيدته، أن يشوّهوا فكره، أن ينظر إلى الإسلام باعتباره شيئاً رجعيّاً قديماً لا يليق بهذا العصر.

(١) هكذا كنت أعتقد في فترة من الفترات، نتيجة إحصاء قديم جداً عندي ثم أخبرني الأخ أبو بدر «عبد الله المطوع» في الكويت: أنّ المبشرين في العالم يقدرّون بـ (٤٧٥٠٠٠٠) حسب إحصائياتهم المنشورة.

اكتفوا بهذا في المنطقة العربيّة، أمّا خارج هذه المنطقة فإنّهم ينصّرون بالفعل، يتحول محمّد وأحمد وعبد الله وعبد الرحمن إلى جورج وإلى جون وإلى كذا وإلى كذا. هذا ما رأيناه في إندونيسيا، وما رأيناه في نيجيريا، وما رأيناه في بلاد شتى.

لماذا ينشرون إذن أنّهم فشلوا في تنصير المسلمين؟
ليستدّروا العطف، لتتدفّق عليهم المليارات وراء المليارات.
هذا من ناحية.

من ناحية أخرى لينوّموا الفريسة، ليخدروها، لنقول: الإسلام بخير.
والإسلام تنتقص أطرافه هنا وهناك.

حرب تغيير هوية المسلمين:

هناك حرب دينيّة عقديّة لتغيير هوية المسلمين، حرب على مستوى العقيدة، وحرب على مستوى الفكر والثقافة، غزو فكري استعماري ثقافي تقوم خلفه مؤسسات ممولة مخطّطة موجّهة، تريد أن تمسح العقول المسلمة، فتجد مسلماً من أبوين مسلمين، مسلماً من أسرة مسلمة، مسلماً نشأ في أرض إسلاميّة، ومع هذا ينظر إلى الإسلام أنّه شيء كان في قديم الزمان، لا يرضى بمحمّد ﷺ ولكن يرضى بكارل ماركس، لا يتجه إلى الكعبة ولكن يتجه إلى واشنطن أو باريس أو لندن أو بكين أو غيرها، يتخذ غير القرآن دستوراً، ويتخذ غير محمّد ﷺ أسوة وإماماً.

حرب فكرية أيديولوجية ثقافية نرى آثارها في كلّ مكان، جعلت من أبناء المسلمين من ليسوا مسلمين إلّا بالأسماء.

أين ذلك المسلم الذي رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبالقرآن إمامًا
وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا؟

أين هذا من ذلك الذي يسخر من شعائر الإسلام، ويستهزئ بشرائع
الإسلام، ويحدود الله تعالى، وينظر إلى أولئك الذين يدعون إلى الإسلام
أنهم رجعيون أو متطرّفون أو... أو...، إلى آخر ما يقولون؟
إنّها حرب فكرية.

حروب عسكريّة:

وأكثر من ذلك، هناك حرب مادية عسكريّة تقاتل المسلمين في كلِّ
مكان، تريد تصفيتهم، إبادة خضرائهم، ألا تبقى لهم من باقية.
حروب تشتعل نيرانها في أكثر من مكان في أرض الله، ضحاياها
المسلمون.

مآسي الأمّة الإسلاميّة ينقطع لها نياط الفؤاد، وتفتّت لها الأكباد.
نسمع نشرات الأخبار في الإذاعة أو نراها في التلفاز أو نقرأها في
الصحف، فلا نجد إلا مآسي المسلمين، مآسي أمّة محمد ﷺ، أصبحنا
نهبًا للطامعين والحاquدين من هنا ومن هناك.

هناك حرب يهوديّة صهيونيّة، ولا فرق عندي بين اليهوديّة
والصهيونيّة، حرب يهوديّة نارها في فلسطين، في لبنان، في عالمنا
العربي، ونراها في كلِّ مكان، في كلِّ فتنة تجد أصابع اليهود، كلُّ فتنة
تقع في بلاد المسلمين تجد أصابع اليهود الخفية وراءها.

اليهود الذين عاشوا في أكنافنا وتحت أجنحتنا وفي حمانا قرونًا، بعد
أن طردهم العالم ولفظهم لفظ التّواة من كلِّ مكان، انقلبوا علينا، وقلبوا

لنا ظهر المَجَنِّ، وأصبحوا يحاربوننا، نحن الذين حميناهم وحفظنا حقوقهم، ويركلوننا بأقدامهم، ويصفعوننا بأيديهم في كل مكان.

من أجل يهودي يُقتل - أو يهودية تُقتل - تقوم الدنيا ولا تقعد، وتثور المظاهرات، ويقف الإسرائيليون والإسرائيليّات، رجالاً ونساءً؛ لينتقموا من العرب، ليدمّروا البيوت، ليحرقوا المنازل، ويحرقوا المزارع، ويقتلعوا الأشجار المثمرة.

وتفعل هذه الطوائف فعلها، ومعهم الوحدات السرية التي تتزيا بزي العرب لتقتل وتبطش، ووراءهم القوات الإسرائيلية التي تتحدّى ولا تبالي، وتهدّد وتتوعّد، وتُبرق وتُرعد.

فأين نحن؟ أين نحن المسلمين؟ وأين نحن العرب؟
لا نقابل هذا إلا بالكلام، إلا بالاحتجاج، إن كان هناك احتجاج.

عدوان عالمي على الإسلام:

اليهودية تحاربنا ولا عجب؛ فهم أشدّ النَّاسِ عداوة للذين آمنوا.
والوثنية تحاربنا، الوثنية تحاربنا في الهند، تحاربنا في كشمير، تحاربنا في تايلند، تحاربنا في بورما، تحاربنا في بلاد كثيرة.

الوثنية - الذين يعبدون الأوثان أو يعبدون الأشخاص أو يعبدون البقر أو يعبدون ما شاؤوا من آلهة - تحاربنا كما تحاربنا اليهودية، وبينهما حلف دنس، كما بيّن ذلك بعض الكاتبين بالوثائق، وصدق الله العظيم:
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

اليهودية تحاربنا، والوثنية تحاربنا.



والشُّيُوعِيَّة تحاربنا، حاربنا في أفغانستان، حاربنا حينما كانت تحكم إثيوبيا، حاربنا حينما كانت تحكم بورما، حاربنا حين كانت تحكم ألبانيا، وحين كانت تحكم الصين الجنوبيَّة، حاربنا في أماكن شتَّى.

ولا عجب أن يحاربنا أولئك الذين ينكرون وجود الله تعالى، ويقول دستورهم: «لا إله والحياة مادة»!

التناقض على أشده بين من يقول: «لا إله» ومن يقول: «لا إله إلا الله». الشُّيُوعِيَّة تحاربنا.

والصليبيَّة تحاربنا، تحاربنا في أماكن شتَّى، الصليبيَّة تحاربنا في الفلبين، والصليبيَّة تحاربنا في إثيوبيا، والصليبيَّة تحاربنا في إريتريا، والصليبيَّة تحاربنا في جنوب السودان، والصليبيَّة تحاربنا في أوروبا.

وأخر حرب للصليبيَّة هي حرب إخوتنا المستضعفين في البوسنة والهرسك، حرب هؤلاء الذين لا حول لهم ولا طَوْل، الذين يعيشون في أوروبا أمّ الحريَّات وبلاد الحقوق!

أين حقوق الإنسان؟ أين الحريَّات؟

أين القرن العشرون والقرن الحادي والعشرون القادم؟

أين أولئك الذين يغارون على حرّيات الإنسان؟ أين هيئة الأمم؟ أين مجلس الأمن؟ أين الذين نسمع أصواتهم في كلّ مكان إلا حينما يكون الضحية من المسلمين؟!

حينما تكون الضحية من المسلمين يكون الصوت خافتًا! أو يخرس تمامًا!



أين أمين الأمم المتحدة؟

كنا نظن أنه سينهض ويخف لنجدة هؤلاء حتى لا يتهمه من يتهمه بأنه
أرثوذكسي نصراني يتعصب لمن هو على دينه ومذهبه، كنا نظن هذا الذي ينتمي
إلى الشرق وإلى بلاد العرب: أن يكون عنده الموضوعية والحياد والنخوة،
ويتعامل من منطق عادل، ويبعث ببعض القوات إلى هؤلاء المستضعفين، ولكنه
بالعكس يحذر مجلس الأمن من إرسال قوات إلى تلك المناطق!

يا عجبًا.

نحن المسلمين أصبحنا المستهدفين لكل من يضرب، ولكل من
يطعن، ولكل من يرمي، ما السر في هذا كله؟

ما السر أن نرى إخواننا يجري عليهم ما يجري ممّا يبكي العيون
دمعًا بل دمًا؟

كل من رأى تلك المشاهد الدامية: برك الدماء، الجثث المشوّهة،
الرقاب المقطوعة، الرؤوس المرمي بها، إمام المسجد الذي يقتل ثم
يُرمى برأسه في المسجد للمصلين.

لم يحدث مثل هذا في أيّ طائفة من الطوائف، ولا في أيّ مكان من
الأمكنة، ولكن لأنّ الدم الإسلامي رخيص، رخصت دماؤنا وهانت
أنفسنا، هُنا نحن على أنفسنا فهنا بعد ذلك على الناس.

الأمّة التي تتكوّن من أكثر من مليار من البشر، أين هي؟ أين
مؤسّساتها؟ أين حكوماتها؟ أين الجامعة العربيّة؟ أين منظمّة المؤتمر
الإسلامي؟ أين المسلمون؟ أين العلماء؟ أين المنظّمات؟ ألا تستطيع
الأمّة أن تفعل شيئًا؟

الحجُّ مؤتمر إسلامي:

نحن الآن في موسم الحج، والحج له هدفان: هدف شخصي، وهدف جماعي.

الهدف الفردي أنَّ كلَّ مسلم يتطهَّر ويغتسل من ذنوبه برحلة الحج، هذه الرحلة الخيرة، الهجرة إلى الله تعالى، يعود منها مولودًا جديدًا، يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه، يبني حياته من جديد على أساس توبة نصوح، بعد أن وقف هناك في عرفات وطاف ببيت الله، وهبَّت عليه الذكريات الإبراهيمية من بعيد، والذكريات المحمدية من قريب.

هذا الجانب الفردي.

ولكن هناك جانب اجتماعي وسياسي للأمة، يدخل في قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

جعل الله من حكمة الحج أن يشهد المسلمون منافع لهم، ويذكروا اسم الله. والعجيب أن الله تعالى قدَّم شهود المنافع على ذكر اسم الله؛ حتَّى يتنبَّه لذلك المسلمون.

وليس المراد بالمنافع: المنفعة الشخصية فقط، أن يتاجر بعض الناس، لكن منفعة الأمة قبل ذلك.

هذا المؤتمر الرباني الذي لم يدعُ إليه ملك أو رئيس أو حاكم، وإنما دعا إليه ربُّ العالمين في أطهر بقعة، وحول بيت الله، وفي أرض حرام، وفي بلد حرام، وفي شهر حرام.

الله هو الذي دعا إلى هذا المؤتمر، لماذا؟

أليجتمع المسلمون ويلبُّوا ويكبِّروا ثمَّ يعودوا إلى بلادهم، دون أن يجلس بعضهم إلى بعض ليتشاوروا ويتدارسوا ويأتمروا بالمعروف ويتناهوا عن المنكر؟

لماذا لا يتَّخذ المسلمون من شعيرة الحج أداة لبحث أمورهم ومشكلاتهم الكبرى على الأقل؟

إنَّ إخواننا في البوسنة والهرسك يحتاجون الآن إلى اللقمة تمسك رمقهم، إلى الثوب يستر عورتهم، إلى أيِّ شيء.

لو أن كلَّ حاج من الذين يحجُّون - حوالي مليونين - دفع ضمن ما يدفع مائة ريال، لاجتمع لنا مائتا مليون ريال بأسهل السهولة، بدل أن يشتري ما يشتري من الهدايا، يستغني عن بعض الهدايا، يوفر في بعض النفقات، يدخر في مأكله ومشربه، لا داعي للترفُّه، لو فعل ذلك نستطيع أن نفعل الكثير.

لماذا لا يتنادى المسلمون ليقوموا بشيء من أجل إخوانهم؟

يتجرأ النَّاس علينا لأنَّ الأُمَّة الإسلاميَّة أصبحت تُضرب في أمِّ رأسها وفي الصميم من قلبها، ولا يتحرَّك لها أحد.

قلت في الجمعة الماضية: ليس لنا معتصم نقول له: وامعتصماه، بل نقول ما قال الشاعر يندد بأولئك الذين ولاهم الله أمر المسلمين:

رُبَّ، وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليِّم
لامست أسماعهم لكنَّها لم تلامس نخوة المُعتصم^(١)

(١) ديوان عمر أبو ريشة (٧/١ - ١١).

لا نقول: وا معتصماه، بل نقول ما قال ذلك القائد المملوكي في تلك المعركة الحاسمة مع التتار، معركة عين جالوت، نقول ما قال سيف الدين قُطرز: وا إسلاماه، وا إسلاماه، الإسلام الذي يُطعن في كلِّ مكان، ولا يجد الأمة التي تقف من ورائه، وتحمي ظهره، وتشدُّ أزره.

الأمة ومرحلة الغنائية:

لسنا قليلاً، بل نحن كثير، ولكن الأمر ليس بالكم، ولكنه بالكيف، هذا ما عرّفنا إياه رسول الله ﷺ ونبّأنا عليه في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود، عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، تتداعى عليكم الأمم من كلِّ أفق، من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب، رغم اختلاف عقائدها، واختلاف اتجاهاتها، واختلاف أجناسها، واختلاف ألوانها، واختلاف ألسنتها، تتداعى عليكم الأمم: يدعو بعضها بعضاً، إمّا بلسان المقال، أو بلسان الحال، قد لا يقولون ذلك علانية، ولكن تشابهت قلوبهم ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿[الذاريات: ٥٣]﴾. جمعتهم العداوة للمسلمين.

قال قائل: يا رسول الله، ومن قلة يومئذ؟

ما الذي يطمع هذه الأمم فينا، الآن ونحن قلة في الأرض بالنسبة للأمم الكفر قد نصرنا الله عليهم وأعزّ جنده ونصر حزبه وأنجز وعده وهزم أحزاب الكفر وحده، هل ستقلُّ الأمة بعد ذلك قلة بحيث يطمع عدوها فيها؟

قال: «لا، بل أنتم كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، إنّ الله أعلمه بما هو كائن، فترجم عن ضمير الغيب ونطق بلسان القدر، كأنه يرى واقعنا أمام عينيه مجسّماً



مجسّداً: «لا بل أنتم كثير»، هل هناك أكثر من الألف مليون أو ألف ومائتي مليون كما تقول الإحصائيات عن المسلمين؟

«ولكنكم غطاء كغشاء السيل»، غطاء السيل: ما يحمله السيل - حينما يتدفق بغير هدف - من العيدان والأغصان والأوراق والحطب والأشياء المختلفة، هذا هو الغطاء.

تجمع هذا الغطاء صفات معيّنة: الخفة والسطحية وعدم التجانس بين أنواع الغطاء وأشياء بعضها مع بعض، وعدم الهدف؛ لأنّ السيل لا هدف له، النهر له هدف ومجرى مرسوم، أمّا السيل فيذهب هنا وهناك.

فالأمّة في مرحلة الغطاء تفقد التجانس بين أبنائها بعضهم وبعض، بين أقطارها، بين حكّامها، بين مفكرّيها، بين مربّيها، مع السطحية والخفّة وفقدان الهدف؛ لأنّ الهدف هو الإسلام، فإذا ابتعدت عن الإسلام تعدّدت أهدافها ولم تجتمع على هدف واحد.

«ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنّ الله في قلوبكم الوهن». كان المسلمون يُنصرون بالرعب وبينهم وبين الأعداء مسيرة شهر، بطولات المسلمين وانتصاراتهم تسبقهم في كلّ مكان فتملأ قلوب الأعداء رعباً، فيستسلمون للمسلمين دون قتال قط أو دون قتال يُذكر، ولكن في عصرنا هذا الذي نبأ عنه رسول الله ﷺ ينزع الله مهابة المسلمين من صدور عدوهم فلا يبالون بهم، ألف مليون!

ولكن ما قيمة ألف مليون كما قال الشاعر:

يَزْحَمُونَ الْأَرْضَ مِنْ كَثْرَتِهِمْ ثُمَّ لَا يُغْنُونَ فِي أَمْرِ جَلَلٍ^(١)!

(١) البيت لمحمد فريد أبو حديد ترجمه عن هرقلية جورج البيسيدي، انظر تعريبه لكتاب فتح العرب لمصر لألفرد ج. بتلر صـ ١٥٩، هامش ٣، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م.



ما قيمة ألف مليون وهم كما قال الشاعر الآخر:
 مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَا بَلْ مَا أَقَلَّهُمْوَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَمْ أَقُلْ فَنَدًا!
 إِنِّي لَأَفْتَحُ عَيْنِي حِينَ أَفْتَحُهَا عَلَى كَثِيرٍ وَلَكِنْ لَا أَرَى أَحَدًا^(١)!
 العبرة ليست بالكم، ليست بالأعداد، مَنْ في هذه الأعداد مستعد أن
 يبذل ماله، ويبذل نفسه، ويبذل وقته من أجل الإسلام؟

رأينا مئات الآلاف من دعاة التنصير رجالاً ونساءً يدعون بلادهم
 وأوطانهم وبيوتهم ومنازلهم المكيفة ليذهبوا إلى الغابات والأدغال
 والبلاد البدائية، يعيشون أدنى عيشة من أجل نصرته المسيحية - كما
 يقولون - فماذا بذلنا نحن؟

قال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟

قال: «حب الدنيا، وكرهية الموت»^(٢).

سأل الصحابة عن الوهن، لا يسألون عن معناه اللغوي، معناه اللغوي
 يعرفونه: الوهن هو الضعف، ولكنهم يسألون عن سرّه، عن علته،
 ما سبب هذا الضعف؟

فأشار النبي ﷺ إلى أن سببه نفسي، ليس مادياً ولكنه كامن في داخل
 النفوس، ضعف الأمة من داخلها، إنه: «حب الدنيا، وكرهية الموت».

كل إنسان يقول: دنيائي ومصلحتي، نفسي نفسي، أصبحت الدنيا
 صنماً يتعبد له الناس، أصبحت المصالح المادية هي التي يطوف الناس
 من حولها ويلهثون خلفها.

(١) من شعر دعبل بن علي الخزاعي. انظر: العقد الفريد (١٥٢/٢).

(٢) سبق تخريجه ص ١٠٠.

«حب الدنيا وكرهية الموت»، ليس هناك من يريد أن يبذل نفسه، أن يضحي بروحه من أجل عقيدته، كان خالد بن الوليد يقول لقواد الفرس والروم - يدعوهم إلى الإسلام وإلى كذا وإلى كذا، ثم يختم رسالته بقوله: «وإلا غزوتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة»^(١)!

أحبوا الموت في سبيل الله وحرصوا عليه فوهبت لهم الحياة.
أمّا نحن فحب الدنيا وكرهية الموت هو الذي أضعفنا.

لا بدّ من عودتنا للإسلام:

أيها الإخوة المسلمون، إنّ المسلمين في محنة في كلّ مكان، الحرب حرب إبادة وتصفية للأمة الإسلامية، لا تستهينوا بما يُكاد لنا، من كان يظنّ أنّ مجموعة من اليهود مشرّدين في العالم من شذاذ الآفاق يستطيعون أن يقيموا دولة في قلب بلاد العروبة والإسلام، وأن يكون لهذه الدولة من القوّة ما تغلب به جيوشاً عربيّة متعدّدة، وأن تتحدّى العالم؟ من كان يظن ذلك؟
ما كان أحد يظن ذلك.

ولكن لا يقوم الباطل إلّا في غفلة الحقّ، ما دام المسلمون غافلين، وما دام المسلمون متفرّقين، وما داموا مشغولين بعضهم ببعض.
هكذا أراد أعداؤنا أن يمزّقونا إرباً إرباً، أن يفرّقونا تفرّقات شتّى: تفرّقات عنصريّة، وتفرّقات إقليميّة، وتفرّقات طبقيّة، وتفرّقات مذهبيّة، وتفرّقات سياسيّة، وتفرّقات من كلّ ناحية؛ حتّى لا يلتئم شمل الأمة بعضها مع بعض.

(١) سبق تخريجه ص ٣٢٠.

إننا يجب أن نقف لهذه الفتن بالمرصاد، وأن نوعي أمتنا بما يُكاد لها من مكر الماكرين، وكيد الكائدين، والله من ورائهم محيط.

سنظلُ نصرخ، سنظلُ ننادي بالعودة إلى الإسلام، ولا نجاة لنا إلا بالإسلام، نقول ما قال ابن الخطّاب من قديم: إنّا كنّا أذلّ قوم فأعزّنا الله بالإسلام فمهما نلتمس العز بغيره أذلّنا الله^(١).

سنقولها، ولو اتّهمنا بالرجعيّة كما كنّا نُتهم من قبل، أو بالتطرّف كما اتّهمنا في فترة من الفترات، أو بالأصوليّة كما يقولون الآن.

ما الرجعيّة؟ وما التطرّف؟ وما الأصوليّة؟

إن كان كلُّ من يدعو إلى الإسلام، إلى القرآن، إلى السُّنة، إلى تحكيم الشريعة، إلى توحيد الأُمّة في وجه عدوها، إلى الوقوف في وجه المؤامرات، إلى استعادة الشخصية الإسلامية، إن كان من يدعو إلى ذلك رجعيًّا أو متطرّفًا أو أصوليًّا، فاللهمّ أحييني أصوليًّا وأمتني أصوليًّا واحشُرني في زمرة الأصوليين، اللهمّ أحييني رجعيًّا وأمتني رجعيًّا واحشُرني في زمرة الرجعيين!

إن كان هذا هو الرجعيّة، فلا تهّمنا الأسماء والعناوين والاتهامات، إنّما يهّمنا الحقائق.

نحن نريد العودة إلى الإسلام الصافي، الإسلام النقي، الإسلام الأول، إسلام القرآن والسُّنة، إسلام الصّحابة والتابعين، بعيدًا عن تزمت المتزمتين، وتحلّل المتحلّلين، وتطرّف المتطرّفين وتسيّب المتسيّبين.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٥٨٥)، والحاكم في الإيمان (٦١/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي.



الإسلام الوسط للأمة الوسط، هذا ما ندعو إليه، ونعزُّ عليه
 بالنواجذ، ونستمسك بعروته الوثقى لا انفصام لها، نعيش على ذلك،
 ونعاهد الله أن نموت عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿[آل عمران: ١٠٢، ١٠٣].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو
 الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

الخطبة الثانية

أمّا بعد، أيّها الإخوة المسلمون:

إخوانكم في البوسنة والهرسك يتعرّضون لإبادة ولمذابح، وفي حاجة إلى المعونة على كلّ مستوياتها، فلا بدّ أن نبذل ولا نبخل عليهم، كلّ يستطيع أن يبذل ما يقدر عليه، والقليل على القليل كثير ﴿وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [سبا: ٣٩].

نسأل الله ﷻ أن يؤيّد إخواننا برُوح من عنده، وأن يمدّهم بملاّ من جنده، وأن يحرسهم بعينه التي لا تنام، وأن يكأّهم في كنفه الذي لا يضام، وأن ينتقم من أولئك المجرمين المتوحّشين الذين يسومونهم سوء العذاب.

اللهم أنزل على أولئك الصربيين الحاقدين بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين، اللهم خذهم ومن ناصرهم أخذ عزيز مقتدر.

اللهم ردّ عن إخواننا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأدلّ دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحدٍ من عبادك المؤمنين.

الله انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في لبنان، وانصر إخواننا في كشمير، وانصر إخواننا في بورما، وانصر إخواننا في جنوب السودان، وانصر إخواننا في كلّ مكان.

اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النّصر، وافتح لهم فتحاً مبيناً، واهدّم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم آمين.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

إن شاء الله سندعو بعد الركعة الثانية بدعاء القنوت، قنوت التوازل.





المسلمون في أمريكا الجنوبية

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الإجازة الماضية كنت في زيارة للمسلمين في قارة أمريكا الجنوبية، أمريكا اللاتينية، وفي دولة البرازيل خاصّة، حيث كان هناك مؤتمر للجمعيات الإسلامية في تلك القارة، حضره ممثلون من أربع عشرة دولة.

ولا بأس أن أحدثكم عن بعض ما رأيته، وما لمست وما سمعت، فالمسلمون أمة واحدة يسعى بدمّتهم أدناهم، وهم يدّ على من سواهم، و«من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»^(١).

المسلمون في تلك القارة مهاجرون، معظمهم مهاجرون من بلاد الشام، وخاصّة من لبنان وسوريا، بعضهم هاجر من القرن الماضي، وبعضهم هاجر من أوائل هذا القرن^(٢)، وبعضهم هاجر منذ عشرات السنين.

(١) سبق تخريجه ص ٣٧٠.

(٢) أي من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

مسوغات الهجرة في الإسلام:

والإسلام لا يمنع المسلم أن يهاجر ما دامت هجرته مشروعة. شرع الإسلام الهجرة لطلب العلم، وقد جاء في الحديث: «من جاء الموت، وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، فبينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة»^(١).

قد ارتحل المسلمون في الزمن الأول لطلب العلم، وضربوا أروع الأمثلة في الارتحال، وقطع الفياقي والقفار، من أجل طلب العلم من أهله، وقد شاع بين الناس حديث يقول: «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٢)، وليس هذا مرفوعاً إلى النبي ﷺ، ولكنه قول مأثور عن المسلمين الأوائل، أي: مهما كلفك طلب العلم فلا تبخل ولا تضن بالجهد ولا بالمال، اطلب العلم في أي مكان وجدته، والتمس الحكمة من أي وعاء خرجت والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها، فهو أحق الناس بها.

وشرع الإسلام الهجرة لطلب الرزق: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]، ﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠].

(١) رواه الدارمي في العلم (٣٦٦)، وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٩)، عن الحسن مرسلًا.

(٢) رواه البيهقي في المدخل إلى السنن (٣٢٤، ٣٢٥) ثم قال: هذا حديث متنه مشهور، وأسانيده ضعيفة، لا أعرف له إسنادًا يثبت بمثله.

قال المناوي: «قال ابن حبان: باطل لا أصل له، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات، ونوزع بقول الحافظ المزي: له طرق ربما يصل بمجموعها إلى الحسن، ويقول الذهبي في تلخيص الواهيات: روي من عدة طرق واهية وبعضها صالح. انظر: فيض القدير للمناوي (٥٤٢/١) برقم (١١١٠).

لا حرج على المسلم أن يضرب في الأرض، ويمشي في مناكبها مشرقاً ومغرباً، يطلب الرزق الحلال إذا ضاق رزقه في بلده، فأرض الله واسعة، يقول الشاعر:

بلادُ اللهِ واسعةٌ فضَّاهَا ورزقُ الله في الدُّنيا فسِيحٌ
فقلُّ للقاعدين على هوانٍ إذا ضاقت بكم أرضٌ فسيحوا^(١)

وشرع الإسلام الهجرة لطلب الأمن، للفرار بالنفس من الفتن الذي تصيب الإنسان في دينه أو في دنياه، فلا يجوز للمسلم أن يبقى في مكان يُهان فيه ويُظلم، ولا يستطيع أن يردَّ الظلم عن نفسه، ولا يجد من يدافع عنه. ولا يجوز للمسلم أن يبقى في مكان لا يستطيع أن يقيم فيه شعائر دينه، ينبغي عليه أن يهاجر.

الهجرة التي أعلن النبي ﷺ أنها انقطعت بعد الفتح هي الهجرة إلى مكة: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهادٌ ونيةٌ، وإذا استنفرتم فانفروا»^(٢)، أي: لا هجرة إلى المدينة بعد أن فتحت مكة، وأمن الناس، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وجاء نصر الله والفتح.

هنا لم تعد الهجرة إلى المدينة فرضاً واجباً.

الهجرة فراراً بالدين:

ولكن الهجرة من أماكن الظلم والكفر والبدعة والفسوق، هذه هجرة مفتوحة الأبواب إلى يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ

(١) من شعر شداد بن إبراهيم الجزي، كما في معجم الأدباء للحموي (١٤١٥/٣).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٨٣)، ومسلم في الحج (١٣٥٣)، عن ابن عباس.



أَلَمْ تَكُنْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا
الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا *
فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٧-٩٩﴾ [النساء: ٩٧ - ٩٩].

فلا يجوز للمسلم أن يظل في مكان يظلم فيه نفسه، لا يستطيع فيه
أن يقيم دينه، لا يستطيع فيه أن يحتفظ بحرية نفسه في العبادة،
لا يستطيع أن يدفع عن حياته وعن أهله وعرضه ودينه... أرض الله
واسعة: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦]
عليه أن ينتقل.

والنبي ﷺ رغم حبه لمكة البلد الحرام، بلد البيت الحرام، اضطر أن
يهاجر منها ليجد مكاناً أخصب لدعوته ورسالته، ولهذا حينما خرج
مهاجراً التفت إلى مكة وقال لها: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب
أرض الله إلى الله، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت»^(١).

الإنسان يضطر إلى أن يغادر وطنه ومسقط رأسه، إذا كان لا يجد في
وطنه الأصلي ما يقيم له الحياة الطيبة الكريمة، يقول الشاعر:

وإذا البلاد تغيّرت أحوالها فدع البلاد وأسرع التّحويلا
ليس المّقام عليك فرضاً واجباً في موطن يدع العزير ذليلاً^(٢)

(١) رواه أحمد (١٨٧١٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. والترمذي
في المناقب (٣٩٢٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وابن ماجه في المناسك (٣١٠٨)، عن
عبد الله بن عدي بن الحمراء.

(٢) من شعر أبي دلف. انظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (٦٤٢/٢)، نشر شركة
دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط ١، ١٤٢٠هـ.

لكن هذا حينما تضيق بالإنسان الأحوال، ولا يجد مناصًا من الهجرة. المفروض في المسلم أن يقاوم الباطل، وأن يأمر بالمعروف، وأن ينهى عن المنكر، وأن يحاول ما استطاع أن يغيّر السوء، وأن يتعاون في ذلك مع إخوانه، وأن يضع يده في أيديهم؛ فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته.

ولكن حينما لا يجد على الخير أعوانًا، ولا يجد يدًا له على تغيير الشرّ، ويخاف على نفسه وأهله، هنا تُشرع له الهجرة. المهمُّ أنَّ الإسلام شرع الهجرة.

انتشار الإسلام عن طريق هجرات المسلمين:

ومن أجل ذلك وجدنا من المسلمين من هاجر إلى بلاد شتّى، ولا حرج على ذلك، إذا استطاع المسلم أن يحتفظ بعقيدته وبإسلامه، أن يحتفظ بالإسلام حيًا دافعًا، يوجّه سلوكه ويسود حياته، ويسيطر على فكره وشعوره، هذا هو الواجب في المسلم؛ فالمسلم حيثما ذهب لا يتخلّى عن دينه: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

الإسلام ليس في المشرق فقط، الإسلام في المشرق والمغرب، الإسلام حيثما كان المسلم، هو الذي يقيم الإسلام بإقامته في المكان.

وقد عرفنا مسلمين هاجروا في الأزمنة الأولى، فلم يحتفظوا بإسلامهم فقط، بل نشروا نور الإسلام حيثما حلّوا، وهدى الله بهم أممًا وشعوبًا، فدخلوا في الإسلام أفواجًا أفواجًا، ولم يكن هؤلاء علماء ولا دعاة، بل كانوا تجارًا ومحترفين وأناسًا عاديين!

مساهمة أخلاق المسلمين في نشر الإسلام:

ذهب إخواننا من أهل الجنوب من حضرموت من اليمن، إلى ذلك المشرق الأقصى، إلى تلك البلاد النائية في إندونيسيا وما حولها، فأقاموا الإسلام هناك، وعرف الناس منهم هذا الدين الجديد، فدخل الناس في دين الله على أيديهم.

تعلم الناس الإسلام، وصار للمسلمين هناك مئات الملايين، دون أن يدخل هناك جيش.

لم تذهب هناك الجيوش الإسلامية، ولم يذهب هناك دعاة محترفون، إنما ذهب هؤلاء المسلمون تجارًا ولكنهم مسلمون، ينظر الناس إليهم، فيجدون أخلاقًا جديدة، ويجدون سلوكًا جديدًا، يجدون أناسًا ربانيين إذا جاء وقت الصلاة وقفوا لله خاشعين راعين ساجدين، لا يكذبون في قول، ولا يخونون في معاملة، ولا يقدمون على باطل، ولا يجترئون على شر، يحبون للناس ما يحبون لأنفسهم، يعينون الضعيف ويغيثون الملهوف.

سألوهم: من أنتم؟

قالوا: نحن مسلمون.

قالوا: وما الإسلام؟

قالوا: الإسلام كذا وكذا وكذا، فدخل الناس في هذا الدين، أحبوا الدين بحب هؤلاء الناس.

الإسلام إنما ينتشر من خلال أبنائه، لا ينتشر الإسلام بمجرد الخطب، ولا بمجرد الكلام، ولا بمجرد رسائل تُنشر، وإن كان لا بد من هذا، ولكن قبل كل شيء ينتشر الإسلام من خلال أشخاص يمثلون قدوات للناس، يجسمون الإسلام في حياتهم وسلوكهم.



هذا هو العنصر الأول المؤثر.

المسلم يهاجر فيحتفظ بإسلامه، بل أكثر من ذلك ينشر إسلامه في المحيط الذي يحلُّ فيه.

وعلاوة المؤمن الصالح أن يترك في كلِّ مكان يحلُّ فيه أثراً صالحاً. لتعرف صلاح الرجل تنظر: هل ترك أثراً صالحاً في هذا المكان يشهد له يوم القيامة؟ هل عمل خيراً أو قدّم شيئاً للناس يشهد له عند الله؟ هذا هو شأن الإنسان المسلم.

كان المسلمون المهاجرون الأوائل من هذه النماذج الصالحة، التي ترك وراءها أثراً صالحاً تشهد لها عند الله، وتشهد لها عند الناس. سجّل لهم التاريخ ذلك، وسجّل لهم الكرام الكاتبون في صحائف أعمالهم التي لا تبلى.

ذوبان المسلمين في المجتمعات الغربية:

ماذا صنع المهاجرون في عصرنا إلى هذه البلاد؟ للأسف، لم يصنعوا ما صنع أولئك الحضارمة التجار وأمثالهم. هناك منهم من ذاب في المجتمع كما ذاب الملح في الماء.

المهاجرون الأوائل في كثير من تلك الدول في أمريكا اللاتينية ضاع أولادهم، لقد ذهبوا يطلبون الرزق، يبحثون عن المال، وذهبوا فرادى في أوّل الأمر، فتزوجوا من غير ملّتهم، فكانت النتيجة أن شبّ أبناءهم وبناتهم على دين أمهاتهم، شبّوا على دين النصرانية، وهذا هو الخطر.

الخطر أن يتزوج المسلم من غير مسلمة في مجتمع غير مسلم، وهذا ما كتبت فيه وحذرت منه^(١).

الإسلام حينما أجاز للمسلم أن يتزوج كتابية، أجاز ذلك حينما يكون سلطان المجتمع الإسلامي قويًا، حينما يكون الإسلام هو الذي يحكم، والإسلام هو الذي يسود، بعقائده وقيمه وتعاليمه وشرائعه، هنالك حينما يتزوج المسلم غير المسلمة، تتأثر ولا تؤثر، وتنفع ولا تفعل، فإذا لم تدخل في الإسلام متأثرة بالجو الإسلامي، فلن تستطيع أن تؤثر في زوجها ولا في أولادها.

ولكن الخطر أن يتزوج المسلم في مجتمع غير مجتمعه، وينشأ له أولاد، هؤلاء الأولاد في مجتمع عقيدته غير عقيدة المجتمع الإسلامي، مفاهيمه غير مفاهيم المسلمين، تقاليد غير تقاليد المسلمين، لغته - حتى اللغة - مخالفة، هنا الخطر.

والأب مشغول طول النهار بكسب الرزق، فهو يكد ويكدح، ولا يكاد يرى ذريته، هنالك تتولى الأم غرس ما تريد من عقائد وأفكار في أنفس هذه الذرية الرطبة الطرية، هي لوح تنقش فيه ما تشاء الأم، هذه هي الخطورة.

ضاع كثير من الذرية بهذا.

وهذا ما لمستّه - أيضًا - حينما زرت قارة أستراليا في الصيف الماضي.

(١) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (١/٤٦٢ - ٤٧٦)، فتوى: زواج المسلم بغير المسلمة، نشر دار القلم، الكويت، ط ٥، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

قالوا لي: إنّ أوّل المهاجرين إلى هذه البلاد كانوا من الأفغان، جاؤوا بهم لينبوا وليقوموا بأعمال صعبة، ولكنّهم جاؤوا فرادى - أيضًا، رجالًا بدون نساء، فاضطروا أن يتزوجوا من غير دينهم، فكانت النتيجة أنّ الجيل الأوّل احتفظ بدينه وعقيدته، وبنوا مساجد لا تزال قائمة، ولكن الأجيال التالية لم تستطع أن تحتفظ بهذا.

هذا هو الخطر، الخطر هو ضياع الذرية.

مشكلة الأبناء في المهجر:

المشكلة الكبرى في المهاجرين هو الخوف على الأبناء، الخوف على الأولاد، الخوف على الذرية، ولذلك قلت لهم - وقلت لمن قبلهم للمهاجرين في أستراليا والمهاجرين في أمريكا الشمالية والمهاجرين في أوربا: من لم يستطع منكم أن يحافظ على أبنائه وبناته مسلمين ومسلمات، فلا بقاء له في هذه الديار، ولا يجوز له أن يظلّ يومًا واحدًا، من لم يستطع أن يحافظ على دين ذريته فليبدأ رحلة العودة من الغد؛ لأنّه لا خير في هجرة تكسب منها مالًا وتخسر بها أولادك، تكسب الدنيا وتخسر الدين، بسّست الصفقة إذن.

إذا استطعتم - هكذا قلت للمسلمين - أن توجدوا مجتمعًا صغيرًا لكم داخل المجتمع الكبير، تحتفظون فيه بعقائدكم وشعائركم وتقاليديكم فابقوا، وإلا فلا بقاء لكم.

الإنسان يتعلّم من عدوّه، واليهود في تلك القارات الكبيرة أقلية صغيرة، ولكنّها استطاعت أن تعيش وأن تبقى وألا تنماع ولا تذوب فيها، لماذا؟

لأنهم حرصوا على أن ينشئوا لهم داخل المجتمع الكبير مجتمعاً صغيراً خاصاً بهم، عن طريق «حارة» اليهود، ذلك المجتمع المغلق، ذلك المصنع الذي يصوغ العقلية اليهودية والنفسية اليهودية، عن طريق تعاليم التوراة وأحلام التلمود.

بهذا استطاع هؤلاء القوم أن يؤثروا ولا يتأثروا، وأن يعيشوا في مجتمعات ضخمة دون أن يذوبوا فيها، بل خطّطوا أن تكون عناصرهم هي المؤثرة في هذه المجتمعات الكبيرة، ونجحوا إلى حد بعيد بعيد.

ولكن المسلمين - للأسف - في كثير من المجتمعات ذابوا.

المهاجرون الجدد منذ أربعين أو خمسين سنة بدؤوا يفكرون في الأمر، وبدؤوا ينشئون جمعيات إسلامية للحفاظ على أنفسهم وعلى أولادهم، وهذا هو الواجب.

ما يجب على المسلمين في المهجر:

الواجب على المسلمين أن يحافظوا على أنفسهم عن طريق العمل الجماعي، الإنسان وحده في وسط هذه المجتمعات لا يستطيع أن يحتفظ بنفسه، إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، الذئب لا يأكل الشاة في وسط القطيع، هي في داخل القطيع محمية به، ولكنه يظل يتربص وينظر حتى إذا وجد شاة شردت عن القطيع انفرد بها فالتهمها، هذا هو المخوف.

ولذلك أوصانا النبي ﷺ بالجماعة: «يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار»^(١).

(١) رواه الترمذي في الفتن (٢١٦٧)، وقال: غريب من هذا الوجه. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (١٨٤٨)، دون قوله: «ومن شذَّ شذَّ في النار»، وضعفه النووي في شرح مسلم =

حاول المسلمون أن ينشئوا الجمعيات، وينشئوا المساجد التي يحتفظون فيها بدينهم، ولكن هناك وجدنا حائلاً وحاجزاً آخر، هذا الحاجز: أن كثيراً من أبنائهم لم يحافظوا على لغتهم، ففقدوا اللغة العربية، وتكلموا اللغة البرتغالية - لغة البرازيل - أو اللغة الإسبانية - لغة بقية الدول في أمريكا اللاتينية - وفقدان اللغة العربية أمر خطر؛ لأنه يحول بين الناشئة المسلمة وبين قراءة قرآنها، وتلاوة أحاديث نبيها، والسماع لخطبة في المسجد أو موعظة أو درس، وأكثر الدعاة والخطباء لا يعرفون تلك اللغة؛ لأننا للأسف لم نعد العدة لمثل هذا الأمر، ليس عندنا مؤسسات على مستوى عالمي تعد العدة وتهيي الأهبة لمثل هذه الأحوال، فتبعث دعاة يتكلمون بالبرتغالية وباللاتينية وبكل اللغات، وهذه - أيضاً - إحدى المشكلات: ليس عندنا مؤسسات ترعى المهاجرين.

= (٦٧/١٣)، ورواه الحاكم في العلم (١١٥/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧/٣)، وقال: غريب من حديث سليمان بن عبد الله بن دينار، لم نكتبه إلا من هذا الوجه. وقال المناوي في فيض القدير (٣٤٤/٢): قال ابن حجر رحمته الله: في تخريج المختصر، حديث غريب خرجه أبو نعيم في الحلية، واللالكائي في السنة، ورجاله رجال الصحيح؛ لكنه معلول، فقد قال الحاكم: لو كان محفوظاً حكمت بصحته على شرط الصحيح، لكن اختلف فيه على معتمر بن سليمان على سبعة أقوال، فذكرها وذلك مقتضى للاضطراب، والمضطرب من أقسام الضعيف. وقال السخاوي في المقاصد ص ٧١٦: بالجملة فهو حديث مشهور المتن ذو أسانيد كثيرة، وشواهد متعددة في المرفوع وغيره.

قال القرطبي: ولكن هناك من الدلائل ما يشهد لهذا الحديث، منها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]، فوجود هذه الأمة الهادية بالحق، يمنع أن تجتمع على ضلالة، ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَفْرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، ومنها قوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، ومنها أحاديث الطائفة القائمة على الحق إلى قيام الساعة، التي سماها العلماء: «الطائفة المنصورة»؛ فليعلم هذا.

المهاجرون الذين هاجروا من الشام من غير المسلمين كانت مؤسساتهم الدينيّة وراءهم، تمُدُّهم وترعاهم، وتبعث إليهم بالقسيسين والدعاة، وتربطهم بالكنيسة الأمّ، مع أنّهم ذهبوا إلى مجتمع غير مخالف لهم في عقيدتهم، مجتمع يدين بدينهم، ومع هذا لم يهملوهم.

ولكنّا - نحن المسلمين - أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، فقدنا الخلافة التي كانت تضمُّ شمل المسلمين في العالم، ولم يوجد عندنا بديل، ليس عندنا كهنوت، ليس عندنا إكليروس، ليس عندنا بابوية، فلم يعد هناك مؤسسات إسلاميّة ترعى هذا الأمر.

ولذلك كان الخطر كلّ الخطر في فصل الدولة عن الدين في الإسلام؛ لأنّ فصل الدولة عن الدين في النّصرانية - مثلاً - لا يضرُّ كثيرًا؛ لأنّ لهم مؤسسات دينيّة ذات سلطات، وإمكانات ضخمة، تستطيع أن تقوم بأمرها، ولكننا لسنا عندنا هذا فإذا انفصلت الدولة عن الدين بقينا في فراغ.

وهذه هي الخطورة التي نعانيها اليوم، لا خليفة لنا، ولا بابا، ولا جمعيات إسلاميّة على مستوى العالم، ماذا نفعل؟

هذه هي الخطورة.

آفة التفرُّق والاختلاف:

المسلمون يحاولون أن يصنعوا شيئًا في تلك الآونة، ولكن آفتهم - أيضًا - في تلك الديار هي آفة المسلمين في كلّ مكان: التفرُّق والاختلاف.

الأقليات في العالم كلّها تتساند وتتكاتف وتتعاون لتحافظ على وجودها أمام الأكثرية، هذا ما نشاهده ونلمسه ونسمعه ونقرؤه عن كلّ لأقليات في العالم، إلّا الأقليات الإسلاميّة!

ما وجدنا دينًا يجعل الوحدة إيمانًا والتفرُّق كفرًا مثل الإسلام.

ما وجدنا دينًا يحضُّ على الوحدة والتضامن، ويريد من المسلمين أن يكونوا كالبنيان يشدُّ بعضهم بعضًا، وكالجسد الواحد إذا أصيب منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

ما وجدنا دينًا كالإسلام يحضُّ على هذا، وما وجدنا جماعة كالمسلمين بينهم وبين الإسلام مراحل ومراحل في هذه الناحية!

داء المسلمين حيثما وجدوا هو الاختلاف فيما بينهم، هكذا وجدناهم في كلِّ مكان، حتَّى الأقليات الكبرى، الأقليات الضخمة كالأقلية الإسلامية الهندية مثلاً، المسلمون في الهند أقلية ولكنهم يقاربون المائة وخمسين مليوناً!

أي: يقاربون عدد المسلمين في العالم العربي! ولكنهم متفرِّقون فيما بينهم، هذا ديوبندي، وهذا دلهوي، وهذا صوفي، وهذا سلفي، وهذا من الجماعة الإسلامية، وهذا من جماعة الندويين، وهذا، وهذا، مختلفون فيما بينهم.

مشكلة المسلمين حيثما ذهبوا هو هذا الاختلاف، أنَّهُم متفرِّقون، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومع هذا يتفرَّق المسلمون ويختلفون فيما بينهم، من أجل ماذا؟

لا أدري.

علام يختلفون؟

جمعيات مختلفة، كلُّ قرية تكاد تكون لها جمعية، كلُّ عائلة وما حولها من أقاربها تكاد تكون لها جمعية، كلُّ جماعة يريدون أن يكونوا هم الزعماء! هذا هو الخطر.

ولذلك قلت لهم: حبّذا لو أخلّيتم الطريق للشباب من ورائكم، دعوا هذه الزعامات والوجهات وأعطوا العمل للشباب.

العمل الإسلامي في أمريكا الشمالية في يد الشّباب الملتزم المتحمّس، ولذلك قاد السفينة بجدارة وإيمان.

أمّا هؤلاء الذين يتنافسون على الزعامة والوجهة والرئاسة، فلم يستطيعوا أن يصنعوا شيئاً.

الإسلام قوي، ولكن المسلمين ضعفاء، هذه هي الآفة.

الإسلام أعظم دين، ولكنّه لا ينتصر بغير رجال.

لقد صدق الرجل الذي قال كلمته - حينما قرأ عن الإسلام: يا له من دين لو كان له رجال!

الإسلام إنّما ينتصر بالرجال، وللإسلام ألف مليون في العالم، ولكن أين الرجال منهم؟ أين الذين ينتصرون له، ويبدلون له، ويعيشون له، ويموتون عليه؟ أين هؤلاء؟

في البرازيل وجدت معظم المدن اسمها:

سان كذا، سان بولو، سان برناردو، أي أنّ هذه المدن تحمل أسماء قديسين وقسيسين، هؤلاء سمّيت بأسمائهم المدن، ولعلّهم كان هناك منهم من كان، أي أنّ الطابع الديني النّصراني ثابت واضح هناك.

بعد أن هُزم المسلمون في الأندلس، انداح هؤلاء النَّاس وذهبوا إلى تلك البلاد.

كان يمكن أن تكون هذه القارة إسلاميّة.

حاول المسلمون أن يصلوا إلى هذه القارة وكادوا، بل إنَّ المسلمين هم الَّذِينَ كانوا الأدلة للذين وصلوا إلى أمريكا الجنوبيّة وإلى أمريكا الشماليّة.

كانوا الأدلة لهؤلاء، ولكن قَدَّر الله أن يأتي ذلك في عصر كان المسلمون فيه في إدبار، وكان أولئك القوم في إقبال، بدأنا ننام وبدؤوا يستيقظون، فأخذوا دفّة السفينة، وتغيّر مجرى الريح، ولو قَدَّر الله شيئاً آخر لكانت هاتان الأمريكتان في يد المسلمين اليوم.

لا ندم على ما فات، المهمُّ أن نعرف يومنا ونعدُّ لغدنا.

ما يجب على المسلمين في الخارج والداخل:

نحن المسلمين أمام مسؤوليات كبيرة داخل أوطاننا وخارجها:

لا يجوز أن ينفصل المسلمون في المشرق عن المسلمين في المغرب، لا يجوز أن ندع هؤلاء، لا بدّ أن يكون هناك تواصل دائم بين المسلمين بعضهم وبعض.

هم قوّة يمكن أن يُنتفع بها لو وجّهوا أنفسهم للتأثير في ذلك المجتمع، كما فعل إخوانهم الذين ذهبوا إلى المشرق قديماً.

سألت بعضهم: ماذا علّمت هؤلاء النَّاس في أمريكا اللاتينية؟ ماذا أخذوا منكم يا مَنْ تحملون رسالة الإسلام ودعوة محمّد - ﷺ؟

قالوا: أخذوا مِنَّا أشياء كثيرة، علَّمناهم أكل التُّبولة والصفحة والكبة وبعض الأكلات وهذه الأشياء!

هذا ما علَّمه هؤلاء للنَّاس هناك!

كان الأولى أن يحملوا إليهم الرسالة المنقذة رسالة الإسلام.

ولكن كيف يحملونها، وهم أنفسهم لم يكونوا صورة لها؟!

وفاقد الشيء لا يعطيه، وقد ضلَّ من كانت العميان تهديه!

إنَّ الإسلام في حاجة إلى رجال، لو وجد هؤلاء الرجال لاستطاع أن ينشر نوره في العالم، وهو على ذلك قادر، والمسلمون مؤهَّلون اليوم أن يحملوا الرسالة، لو أعددنا العُدَّة وأهلَّنا المسلمين من الشَّباب المخلصين المتحمِّسين، وهم موجودون في كلِّ مكان، ولكن كما قال الأستاذ محب الدين الخطيب رَحِمَهُ اللهُ منذ سبعين سنة - كان يرفع هذا الشعار على مجلته -: المسلمون إلى خير، ولكن الضعف في القيادة.

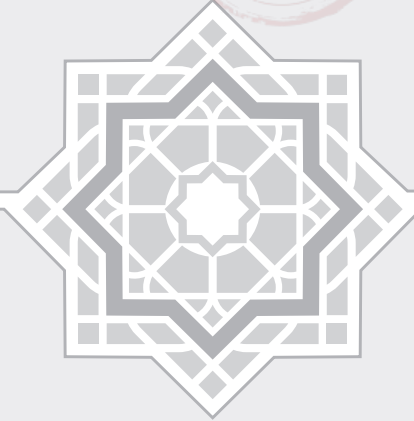
فعسى الله أن يرزق المسلمين القيادة التي تستطيع أن ترى وتحسَّ، وتعي، وتوجَّه، وتقدر بعد ذلك على التنفيذ.

اللهمَّ اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٥٦
سورة البقرة		
﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾	٨	١٢٨
﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٩	١٢٨
﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾	٣٢	٣٦٠
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾	٧٤	١٧٣، ١٩٩، ٢١٧، ٢٧٩
﴿لِيَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾	٧٩	٣٥٦
﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾	٨٧	١١٣
﴿أَحْرَصَ النَّاسُ عَلَى حَيَوتِهِ﴾	٩٦	١٥٤
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١١١	٣٥٩
﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾	١١٥	٥١، ٤٠٤
﴿وَإِذْ أَبَدَّلَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾	١٢٤	١٦٨، ٢٧١

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾	١٤٣	٢١، ١١٨، ٢٩١، ١٤٩
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	١٥٤	٣٢١
﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾	١٧٤	٣٢٠
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُّوا﴾	١٩٠	١٧٤
﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	٢٠١	٣٦٠
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾	٢٠٨	٤٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَكُمْ﴾	٢١٦	٢٨٤
﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾	٢٤٦	١٨٩
﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٢٤٩	٢٢٥
﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾	٢٨٥	٦٥
سورة آل عمران		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٩	١٩٥
﴿إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٦٨	١٩٦، ١٦٨
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾	٧٥	٢٧٩، ٢٠١
﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٧٠
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	١٠٢	٣٩٧
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٧٣، ٢١١، ٢٩١، ٣٩٧، ٤١٢
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	٤١٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾	١١٠	٢٩١ ، ١٧١ ، ١١٨
﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحُبْلِ مِنَ النَّاسِ ﴾	١١٢	١٢٢
﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتَمِ أَذَلَّةً فَأَتَقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾	١٢٣	٢٢٥
﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ﴾	١٤٠	١٢٢ ، ٩٩ ، ٣٥ ٣٠٥ ، ٢٨٧ ، ١٦٢
﴿ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴾	١٤١	٩٩
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا ﴾	١٤٧	١٦٢ ، ٤٢ ٢٢٨ ، ١٨٥ ٣٠٩ ، ٢٦٢ ٣٦٤ ، ٣٤٦
﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُم ﴾	١٦٠	٢٤٣ ، ١٠١ ، ٤
﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾	١٧٣	٣٢٥
﴿ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى الْقَوْمِ فَصُورَهُمُ الْقَوْمُ فَأَخَذَهُمُ الْمَوْتُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا أُولَئِكَ هُمُ الرَّاغِبُونَ إِلَى الْمَوْتِ فَكَفَى لَهُمْ حَسْبًا ﴾	١٧٤	٣٢٥
﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾	١٨١	٢١٧ ، ٢٠٠
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	٢٠٠	٢٨٧ ، ١٢٣
سورة النساء		
﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾	٣٢	٧٥
﴿ هَتُولَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴾	٥١	٢٠٢
﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾	٥٣	٢٨٨
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴾	٧٥	٣٨٠
﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْلَكْتُمْ ظَالِمًا أَنْفُسِهِمْ... وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾	٩٧ - ٩٩	٤٠٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٢٨٥
﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥	١٦٨
﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	٦٥
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ﴾	٣	١٢٨
﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ﴾	٥	٣٥٦، ١٩٠
﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً﴾	١٣	٢٧٩، ١٩٩، ١٧٣
﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْدُوا عَلَىٰ أَذْبَارِكُمْ﴾	٢١	١٦٥
﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾	٢٢	١٩٥، ١٦٦
﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنِعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾	٢٣	١٩٥
﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ﴾	٢٤	١٩٥، ١٦٦
﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	٢٥	١٦٦
﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٦	١٦٦
﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	٣٦١
﴿بِمَا اسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾	٤٤	٣٥٦
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ رَتَدَ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	٤١٠
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾	٦٤	٢٠٠، ٢١٧
﴿فَرِيقًا كَذَبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾	٧٠	٢١٧
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾	٨٢	٣٨٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾	٨٩	٤١٠
﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٢٧	٤٦
﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِثْلَ آبَائِهِمْ خَنِيفًا﴾	١٦١	١٦٨
﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٢	٣٢٤ ، ٦٩ ، ٢٥٨
﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٣٢٤ ، ٦٩ ، ٢٥٨
سورة الأعراف		
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٣٤	٣٢٤
﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٥٤	٤٧
﴿يَقَوْمُ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾	٥٩	٤٩
﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمْ﴾	٨٦	٢٩٥
﴿وَالْعِقْبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	١٢٨	١٧٧
﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٣٥٥
﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُبُّكَ لِيُبَعِثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُوءُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾	١٦٧	٢٥٤ ، ١٦٨ ، ١١٣
﴿وَقَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾	١٦٨	١٦٨ ، ١١٣ ، ٢٦٨ ، ٢٥٤
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	٤٧
﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٨١	٤١٠ ، ٨٢
سورة الأنفال		
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾	٣٠	١٧٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	٥٥	١٤٨، ٤ ٢٣٧، ٢٠٠
﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَنْقُوتُ﴾	٥٦	٢٠٠، ١٤٨، ٤ ٢٣٧، ٢١٧
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾	٦٠	٢٨٥، ٢٨١، ٨٨
﴿وَلِنْ جَنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾	٦١	٤٧
﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصَرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٢	٧٣، ٦٢
﴿وَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾	٦٣	٧٣، ٦٢
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ﴾	٧٣	٣٣٦
سورة التوبة		
﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾	٣٢	٢٦٠، ٩٤
﴿إِلَّا نَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٤٠	٥٢، ٣٢، ٣١
﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾	٤١	٢٢٧، ٢٢٤ ٣٨١، ٣٢١
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾	٥١	٣٢٤
﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾	٥٢	٩٧، ٤١ ٣٢٠، ٢٢٦
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا﴾	٦٠	١٣٥
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٢٢٨، ٤
﴿اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾	١١١	٢٧٧
سورة يونس		
﴿إِنَّا كُنَّا وَكَدَّ عَصِيَّتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾	٩١	١٣٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾	٦	٧٦
﴿مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾	٤٥	١٩٦
﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾	٤٦	١٩٦
﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾	٨١	١٦٢
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨	١٣٣
سورة يوسف		
﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾	٢١	١٠٠
﴿يَصْصَحِي السَّجْنَاءُ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾	٣٩	٦٨
﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾	٦٤	٣٢٥، ١٨١
﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	٩٨
﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾	٩٣	١٦٥
﴿وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾	٩٩	١٩٤
سورة الرعد		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١	٣١٦، ٣٠٦
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾	٢٨	٦٩
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٣١	١٩٥
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ءَلِيْبَيْنَ لَهُمْ﴾	٤	٧٩

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾	٢٤	٧٨
﴿ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ﴾	٢٥	٧٨
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾	٣٣	٧٣
﴿ وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾	٣٤	٧٣، ٥٤
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾	٣٩	١٦٩
سورة الحجر		
﴿ يَفْنَىٰ مِنْ رَّحْمَةِ رَبِّيهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾	٥٦	٩٨
سورة النحل		
﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ﴾	١٨	٥٤
﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٩	٥٤
﴿ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾	١٢٣	١٦٨
سورة الإسراء		
﴿ سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾	١	١٤٩، ١٥٠، ٢٢٩، ٢٥١
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُمْ عُدتُمْ ﴾	٨	٢٥٤
﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾	٤٤	٥٤
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾	٧٠	٧٢
﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	٢٦٠
سورة الكهف		
﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾	٩٨	١٩٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة طه		
﴿ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى... إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾	٤٣ - ٤٦	٥١
﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾	٨٤	٣٢٧
﴿ وَسَيِّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَيِّحْ ﴾	١٣٠	٧٤
﴿ وَالْعَقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	١٣٢	١٧٧
سورة الأنبياء		
﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾	١٨	١٧٨
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾	٤٧	٦٥
﴿ يَنَارُ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾	٦٩	٥٣
﴿ وَنَجِّنِيهِ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾	٧١	٢٥٠ ، ١٥٠
﴿ وَسَلِّمْنَا مِنَ الرِّيحِ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾	٨١	١٥٠
﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	٩٢	١١٨ ، ٢٩١
﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾	١٠٥	٢٧٠ ، ٩٨
سورة الحج		
﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ ﴾	٢٨	٣٩٠
﴿ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾	٣٩	٤٥
﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾	٤٠	٤٥ ، ٢٨
﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَنْتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾	٤١	٢٨
﴿ وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	٦٨	١٣٣
﴿ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾	٦٩	١٣٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المؤمنون		
﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	٥٢	٢٩١
سورة النور		
﴿كَسْرَابٍ بَقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾	٣٩	٢٥٧ ، ١٤٧
سورة الفرقان		
﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٣٥٤
سورة الشعراء		
﴿قَالَ أَصْحَبُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ﴾	٦١	٥١
﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٥٢ ، ٥١
﴿أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾	٦٣	٥٢
سورة النمل		
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾	١٥	١١٦
﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِنْ طَرَفِ الطَّيْرِ﴾	١٦	١١٦
﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾	٣٤	٢٦٩
﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾	٧٩	٥٧
سورة القصص		
﴿وَالْعَقِيبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٨٣	١٧٧
سورة العنكبوت		
﴿الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	١ - ٣	٣٢٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٤٥	٤٣، ١٠٢، ١٢٤، ١٤١، ١٨٥، ٢٢٨، ٢٦٣، ٣١٠، ٣٢٨، ٣٦٤، ٣٩٩
﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ﴾	٤٦	٣٥٦
﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾	٥٦	٤٠٣
سورة الروم		
﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * نِنصِّرُ اللَّهَ﴾	٤ - ٦	٢٨٨، ٣٤٦
﴿فَاقْمْ وُجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾	٣٠	٤٨
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	٢٠
سورة لقمان		
﴿الَّذِينَ تَرَوُا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠	٧٢
سورة الأحزاب		
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾	٢٣	٢٦١
﴿تَجِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ، سَلَامٌ﴾	٤٤	٤٦
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	٤٣، ١٢٤، ١٦٢، ١٨٥، ٢٦٢، ٣٠٩، ٣٢٨، ٣٦٤، ٣٩٩
سورة سبأ		
﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَقٍ﴾	١٩	٢٦٨
﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾	٣٩	٣٩٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الصافات		
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾	١٠١، ١٠٠	٦٦
﴿ يَتَابَعَتِ أَعْمَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾	١٠٢	٦٦، ٦٧
﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾	١٠٣	٦٧
﴿ يَتَابَرَهُيمُ * قَدْ صَدَّقَتِ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾	١٠٤، ١٠٥	٦٧
﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾	١٠٦	٦٧
﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرْكَنَّا عَلَيْهِ فِي ﴾	١٠٧ - ١١٣	٦٧، ١٦٨، ٢٧١
سورة ص		
﴿ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ... نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾	١٧ - ٢٠	١١٦
سورة الزمر		
﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ ﴾	٢٩	٦٨
سورة غافر		
﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾	٧ - ٩	٥٥
﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾	٨٤	١٣٤
﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسًا سُنَّتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ﴾	٨٥	١٣٤
سورة الشورى		
﴿ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾	١٥	١٣٣، ٢٥٠
سورة الزخرف		
﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	٤٣	٥٧
﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾	٨٠	٢٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾	١٣	٧٢
﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنْكَ مِثْلَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾	١٩	٣٧٣
﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	٢٤	٥٠
سورة محمد		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصَرِّحُكَمُ وَيُنَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	١٠١
﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ﴾	٣٥	٣٠١، ٢٨٥
سورة الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾	٤	٦٩
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا﴾	٧	٣٢
سورة الحجرات		
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾	٧	٧٣
﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾	٨	٧٣
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	١٠	٥٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	١٣	٢٠٨
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾	١٧	٧٣
سورة الذاريات		
﴿أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾	٥٣	٣٩٢
سورة النجم		
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾	٤٢	٦٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرحمن		
﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾	٤، ٣	٧٢
سورة الحديد		
﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾	٤	٥١
سورة المجادلة		
﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴾	٧	٥١
سورة الحشر		
﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ﴾	١٠	٣٤٦، ٥٣ ٣٩٩، ٣٦٤
﴿ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾	١٤	٢٠٥، ٦٠ ٢٥٦، ١٥٤
﴿ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ﴾	٢٣	٤٦
﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	٢٤	٥٤
سورة الممتحنة		
﴿ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾	٨	٢٥٠
﴿ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُواكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾	٩	٢٥٠
سورة الصف		
﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بَنِينَ مَرْصُوفًا ﴾	٤	٣٠٧، ٢٠٥، ١٣٨
سورة الجمعة		
﴿ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١	٥٤



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المنافقون		
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾	٤	١٧٩
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٢٨٥ ، ٩٩ ، ٤٢
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾	١١	٣٢٤
سورة التغابن		
﴿وَصَوِّرْكُمْ فَالْحَسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾	٣	٧٢
سورة الملك		
﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾	١٥	٤٠١
سورة المزمل		
﴿وَأَخْرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾	٢٠	٣٩٨ ، ٤٠١
سورة المدثر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٥٢ ، ٣٢
سورة الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾	١	٧١
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾	٢	٧١
سورة الطارق		
﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَكَيْدَ كَيْدًا * فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤِيدًا﴾	١٥ - ١٧	٣٧٩ ، ١٨١
سورة البلد		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾	٤	٧٢
﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾	٨ ، ٩	٧٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التين		
﴿وَاللَّيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾	١	١٥٠
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	٧٢
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	١	٢٩٩
﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿	٥ ، ٤	٧٢
سورة البينة		
﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	٨	٧٤

* * *

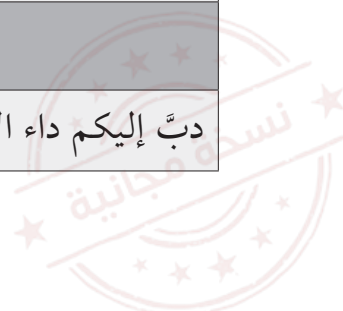




فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
أ	
٧٥	اتَّقِ المحارِمَ تَكُنْ عَبْدَ النَّاسِ، وارضَ بما قسم الله لك تَكُنْ أغنى النَّاسِ
١١٦	أحبُّ الصيام إلى الله: صيام داود، كان يصوم يوماً ويُفطر يوماً
١٧٤	اخرجوا باسم الله، قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله، لا تعتدوا، ولا تغلُّوا
٢٨٠	أدِّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك
٣٢٦	إِذْ يُعْقَرُ جَوادُكَ وتُستشهد في سبيل الله
٧٥	ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس
٣١٨	أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غُثاء كغُثاء السيل، تُنتزع المهابة من قلوب
ب	
٢٨	بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير إلى الأوس والخزرج
ح	
٣٩٤، ٣١٩ ٣٩٥	حبُّ الحياة، وكراهية الموت
د	
٣٥٦	دبَّ إليكم داء الأمم قبلكم: الحسد، والبغضاء، والبغضاء



الحديث	رقم الصفحة
ر	
رَتَّبَ مَنْ يَرُدُّ الْأَمَانَاتَ إِلَى أَهْلِهَا	٣٠
رَتَّبَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ بَيْتَ فِي مَكَانِهِ	٣٠
ص	
صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ	٣٣٠
ف	
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِذْنٌ يُعَقَّرُ جَوَادُكَ وَتُسْتَشْهَدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	٥
فَنَحْنُ أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَصَامَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ	١١٧
فِيهِ سَاعَةٌ لَا يَصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يَصْلِي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ	١٠٢، ١٤١، ٢٨٩
ك	
كَيْفَ بَكَ يَا سَرَّاقَةً إِذَا أَلْبَسَكَ اللَّهُ سِوَارِي كَسْرِي؟!	٣٣
ل	
لَا، بَلْ أَنْتُمْ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غَثَاءٌ كَغَثَاءِ السَّيْلِ	٣٩٣، ٣٩٢
لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كَفَارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ	٨٩
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعَدَوْهُمْ قَاهِرِينَ	١٢٣، ١٥١
لَا تَشْدُ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا	١٥٢
لَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا - أَي: بِجَثِّ الْأَعْدَاءِ - وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيَدًا	٢٨١
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ	٥، ٢٨٦
لَا هَجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاَنْفَرُوا	٤٠٢



رقم الصفحة	الحديث
٨٢	لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم
٧٤	ليس الغنى عن كثرة العرض، إنما الغنى غنى النفس
م	
١١٦	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده
١١٨	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد
٦٣	المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَهُ النَّاسُ
١٨٠	مِمَّ تضحكون؟ لرجل عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أحد
٤٠١	من جاءه الموت، وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام
٢٧٧	من جهَّز غازياً في سبيل الله فقد غزا...
٨٣	من صمت نجا
١٩١	من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ
٤٠٠، ٣٧٠	من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم
٢١١، ١١٨	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً
ن	
٣٢	نسج العنكبوت
٣١٩	نُصِرْتُ بالرعب مسيرة شهر
هـ	
٣٠	هَيَّا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ تَأْتِي لَهَا بِالزَّادِ
٢٩	هَيَّا الدَّلِيلُ الْخَرَّيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَرْيَقِطَ
٣٠	هَيَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ رَاعِي غَنَمِ أَبِي بَكْرٍ لِيُعْفِيَ عَلَى آثَارِهِمَا بَغْنَمَهُ



الحديث	رقم الصفحة
و	
والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله	٤٠٣
ولو اجتمعت الأمة على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله	٣٢٤
ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن	٣٩٣، ٩٩
ي	
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟	٥٢، ٣١
يد الله على الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار	٤٠٩
يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم	٣١٧
يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها	٣٩٢، ٣١٧، ٢٠٤

* * *



فهرس الموضوعات

- من الدستور الإلهي للبشرية ٤
- من مشكاة النبوة الخاتمة ٥
- مقدمة ٧
- مقدمة ١٩
- ١ - بين عامين ٢١
- وقفه لحساب النفس ٢٢
- وقفه الحساب الختامي للعام ٢٤
- قيمة الوقت في حياتنا ٢٥
- وقفه مع الهجرة النبوية ٢٦
- بحث عن دار الإسلام ٢٧
- من دروس الهجرة: التخطيط ٢٨
- من دروس الهجرة: الأمل ٣١
- وقفه مع حال الأمة الإسلامية ٣٦
- مؤامرات اليهود ضد المسلمين ٣٨
- تحذير من رابطة الدفاع اليهودي ٣٩
- ٢ - الإسلام وثقافة السلام ٤٤
- هل انتشر الإسلام بالسيف؟ ٤٤



- ٤٦.....الإسلام دين السّلام
- ٤٧.....السّلام النّفسي
- ٤٨.....الإيمان وفطرة الإنسان
- ٥١.....المؤمن يعيش في معيّة الله
- ٥٢.....صُحبة النّبیین والمؤمنين طَوّال التاريخ
- ٥٤.....أنس المؤمن بالوجود كلّهُ
- ٥٥.....نعمة اليقين والسكينة
- ٥٨.....السّلام الأعور
- ٦٣.....٣ - الإيمان والسّلام النّفسي
- ٦٤.....الإيمان مصدر السّلام
- ٦٤.....وحدانيّة النفس
- ٦٥.....التسليم لله ﷻ
- ٦٨.....معرفة الإنسان لغايته
- ٧٠.....الرضا واليقين
- ٧٢.....نعمة العقل
- ٧٢.....نعمة تسخير الكون
- ٧٣.....نعمة الهداية
- ٧٣.....نعمة الأخوة
- ٧٧.....الإيمان الحقيقي
- ٧٩.....دعوة لمساندة مشروع إسلام أون لاين
- ٨٣.....٤ - أمّتنا لن تموت
- ٨٣.....آثرت الصمت حيناً
- ٨٤.....لم يمنعني أحد من المنبر

- ٨٥..... الغارة الوحشية على لبنان وصمت العرب
- ٨٦..... قمة شرم الشيخ لمكافحة الإرهاب
- ٨٨..... أين أنتم يا عرب؟!.....
- ٨٩..... أين أنصار السلام الأعرج؟.....
- ٩٠..... لم يعد لنا معتصم يغيث من يستغيث.....
- ٩١..... من الرابع من وراء هذه السياسات؟.....
- ٩٢..... لا تطبيع مع الصهاينة.....
- ٩٢..... شحنة الغضب يجب أن تبقى.....
- ٩٤..... الإسلام هو المقصود بالحرب.....
- ٩٥..... فلسفة تجفيف منابع.....
- ٩٦..... إعلان الحرب على الإسلاميين.....
- ٩٨..... أمّتنا لن تموت.....
- ١٠٠..... لن نباع بثمان بخس.....
- ١٠٣..... ٥ - التفك الإسرائيلي.....
- ١٠٣..... تركيا الجديدة.....
- ١٠٥..... السلام المزعوم.....
- ١٠٨..... قمة خماسية في واشنطن.....
- ١١١..... نريد قمة في مكة لا في واشنطن.....
- ١١٣..... تشتت اليهود عقوبة إلهية لهم.....
- ١١٣..... بعد إفسادهم وطغيانهم وتعديهم.....
- ١١٥..... نحن أولى بداود وسليمان منهم.....
- ١١٧..... واجب الأمة نحو فلسطين.....
- ١١٩..... ألا يجتمع علماء الإسلام؟.....
- ١٢٣..... المرابطون في المسجد الأقصى.....



٦ - القوّة والضعف في تاريخ الإسلام ١٢٥

لماذا تخلف المسلمون؟ ١٢٥

هل الإسلام سبب تخلفنا؟! ما بالنا - نحن المسلمين - هكذا؟

أهذا راجع إلى إسلامنا؟ ١٢٦

انتصار الإسلام على السيف ١٢٩

انتشار الإسلام بالقيم والأخلاق ١٣٠

خصائص حضارتنا الإسلامية ١٣٢

من صفحات تاريخنا المشرق ١٣٤

حضارتنا علّمت العالم ١٣٦

بُعَدنا عن الإسلام فتخلفنا ١٣٦

بروز الصّحوة الإسلامية ١٣٧

التخطيط لضرب الصّحوة ١٣٧

ماذا يدبّر لأمتنا؟ ١٣٨

٧ - وا قدساه! المؤامرة الكبرى لتهويد القدس ١٤٢

مخطط اليهود لتفريغ القدس من أهله ١٤٢

السلام المزعوم ١٤٥

أين المسلمون؟ ١٤٧

مكانة القدس في الإسلام ١٤٨

لا حلّ إلّا الجهاد ١٥٢

لماذا تنتصر علينا إسرائيل؟ ١٥٣

ذكريات مريّة في هذا العام ١٥٦

والآن ما الحلّ؟ ١٥٨



- ٨ - القدس عربيّة إسلاميّة..... ١٦٣
- الكلام عن القدس لا ينتهي..... ١٦٣
- هل لليهود حقّ ديني في فلسطين؟..... ١٦٤
- دعوى الحقّ التاريخي..... ١٦٥
- حقيقة وعد الله لليهود بفلسطين..... ١٦٩
- خصائص الطبيعة اليهوديّة..... ١٧١
- لماذا حدّثنا القرآن عن طبائع اليهود؟..... ١٧٦
- لماذا نقاتل اليهود؟..... ١٧٦
- تحية لرموز الجهاد الفلسطيني..... ١٧٩
- رثاء الشّيخ محمود شاكر..... ١٨١
- رثاء الشّيخ عنتر حشّاد..... ١٨٣
- ٩ - لماذا نقاتل اليهود؟..... ١٨٦
- لماذا نحارب اليهود؟..... ١٨٧
- واجب المسلمين نحو القدس..... ١٩٢
- مزاعم يهوديّة..... ١٩٤
- تطويع العقل المسيحي لخدمة اليهود..... ١٩٧
- مصادرنا لمعرفة اليهود..... ١٩٨
- لماذا هزمنا اليهود؟..... ٢٠٤
- الإسلام حرب على العنصريّة..... ٢٠٨
- ليس كلّ يهودي إسرائيليًّا..... ٢٠٩
- إسرائيل وراء كلّ فتنة..... ٢١١
- ١٠ - دروس من انتفاضة الأقصى..... ٢١٤
- الشعب الفلسطيني لم يمت..... ٢١٤



- اليهود دمويون لا عهد لهم ٢١٦
- تأييد الغرب المطلق لإسرائيل ٢١٧
- أمتنا لا تزال بخير ٢١٩
- لنعرف عدونا ٢٢٠
- الفجوة بين الشعوب والقادة ٢٢١
- سراب السلام ٢٢٢
- القدس قضية كبيرة ٢٢٣
- واجبنا الوقوف مع الانتفاضة ٢٢٤
- ١١ - القدس قضيتنا جميعاً ٢٢٩
- الربط بين المسجدين في الإسراء ٢٢٩
- ذوو العزائم الصادقة ٢٣٠
- تجاوب الجماهير مع الانتفاضة ٢٣١
- القدس قضية المسلمين الأولى ٢٣٢
- ما تملكه الأمة لمواجهة اليهود ٢٣٣
- هذه الأمة تملك الكثير ٢٣٣
- ماذا نريد من قادتنا؟ ٢٣٦
- معركتنا مع هؤلاء ٢٣٨
- واجب المقاطعة للكيان الصهيوني ٢٣٩
- نطالب دولة قطر ٢٣٩
- ماذا نريد من الشعوب؟ ٢٤١
- ١٢ - خمسون عاماً على ضياع فلسطين ٢٤٤
- ضياع الأندلس الجديدة ٢٤٤
- محاولة اليهود رشوة السلطان العثماني ٢٤٦



- ٢٥١..... المعركة بيننا وبين إسرائيل معركة إسلامية
- ٢٥٦..... هناك متناقضات في داخل إسرائيل
- ٢٥٧..... يجب أن نوحّد الكلمة ما استطعنا
- ٢٥٨..... أين الأمة؟ أين أمّة العرب والإسلام؟
- ٢٦٠..... أنا أقاوم إذن أنا موجود
- ٢٦١..... زيارة الشيخ أحمد ياسين للدوحة
- ٢٦٤..... ١٣ - فلسطين عبر التاريخ
- ٢٦٦..... دعوى اليهود بالحقّ التاريخي
- ٢٦٩..... دعوى الحقّ الديني ووعده الله لليهود
- ٢٧٢..... محاولات فاشلة مع السلطان عبد الحميد
- ٢٧٢..... وعد بلفور
- ٢٧٣..... استعلاء اليهود للانتداب البريطاني في فلسطين
- ٢٧٤..... الفلسطينيون يقاومون
- ٢٧٥..... حسن البنا وقضية فلسطين
- ٢٧٧..... دخول الجيوش السبعة فلسطين
- ٢٧٨..... قيام الكيان الصهيوني
- ٢٧٩..... دولة عنصرية
- ٢٧٩..... دولة تقوم على العنف والإرهاب
- ٢٨٣..... شرّ استعمارٍ في الأرض
- ٢٨٤..... طريق الجهاد والمقاومة
- ٢٨٧..... لا تطبيع مع العدو
- ٢٩٠..... ١٤ - رسالة إلى المؤتمر الإسلامي التاسع
- ٢٩٠..... الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم

- أمة بمنطق الدين..... ٢٩١
- بمنطق التاريخ..... ٢٩١
- بمنطق الجغرافيا..... ٢٩٢
- منطق العصر..... ٢٩٢
- بمنطق أعداء الأمة..... ٢٩٤
- امتلاك الأمة مقومات السيادة..... ٢٩٥
- مطالبنا من القمة الإسلامية..... ٢٩٩
- النظرة التشاؤميّة لحال الأمة..... ٣٠٤
- وجوب الوحدة الإسلامية..... ٣٠٧
- ١٥ - نتائج مؤتمر القمة الإسلامية التاسع بقطر..... ٣١١
- القرارات كما توقّعناها لا كما أردناها..... ٣١١
- هناك من يكره كلّ ما هو إسلامي..... ٣١٢
- وفاة مسيرة السّلام المزعومة..... ٣١٣
- الشعوب عليها المّعول بعد الله..... ٣١٤
- تفعيل المقاطعة الاقتصادية..... ٣١٦
- الأمة في المرحلة الغنائية..... ٣١٧
- ما الذي أوهن الأمة أمام أعدائها؟..... ٣١٩
- مكايد بني صهيون ضدّ شخصي الفقير..... ٣٢٢
- أخاف الله ولا أخاف بني صهيون..... ٣٢٣
- نحب لقاء الله ونتمنّى الشهادة..... ٣٢٥
- ١٦ - مشروع الهيئة الخيريّة الإسلامية العالميّة..... ٣٢٩
- مدّ وجزّر في تاريخ الإسلام..... ٣٢٩
- الحروب الصليبيّة..... ٣٣١



- ٣٣٦.....تجمُّع الجبهات المعادية على المسلمين
- ٣٣٦.....والجبهة الغربيَّة بقواها المختلفة
- ٣٤٢.....وجوب التحرُّك للعمل الخيري
- ٣٤٧.....١٧ - التنصير في منطقة الخليج
- ٣٤٧.....غزو في عقر دارنا
- ٣٤٩.....حملات التبشير في مصر
- ٣٥٠.....التبشير في المنطقة العربية
- ٣٥٣.....مؤتمر كلورادو
- ٣٥٧.....قصة عن التنصير في السودان
- ٣٦١.....التحريض الأمريكي على السودان
- ٣٦٥.....١٨ - وا معتصماه مأساة البوسنة والهرسك
- ٣٦٥.....كوارث متعدّدة على المسلمين
- ٣٦٧.....مأساة إخواننا في البوسنة والهرسك
- ٣٦٨.....مجازر وحشيّة
- ٣٧٤.....يوم كان المسلمون مسلمين
- ٣٧٥.....بعد تهديم قلعة الخلافة
- ٣٧٦.....أندلس أخرى
- ٣٧٧.....هاتوا من المليار مليوناً صحاحاً من صحاح
- ٣٧٧.....يا أيُّها المسلمون في كلّ مكان
- ٣٨٢.....١٩ - وا إسلاماه
- ٣٨٢.....استمرار الغارة على الإسلام
- ٣٨٢.....حرب الإبادة الدينيّة
- ٣٨٥.....حرب تغيير هُوية المسلمين

- حروب عسكريّة..... ٣٨٦
- عدوان عالمي على الإسلام..... ٣٨٧
- الحجّ مؤتمر إسلامي..... ٣٩٠
- الأمة ومرحلة الغثائية..... ٣٩٢
- لا بدّ من عودتنا للإسلام..... ٣٩٥
- ٢٠ - المسلمون في أمريكا الجنوبيّة..... ٤٠٠
- مسوّغات الهجرة في الإسلام..... ٤٠١
- الهجرة فرارًا بالدين..... ٤٠٢
- انتشار الإسلام عن طريق هجرات المسلمين..... ٤٠٤
- مساهمة أخلاق المسلمين في نشر الإسلام..... ٤٠٥
- ذوبان المسلمين في المجتمعات الغربيّة..... ٤٠٦
- مشكلة الأبناء في المهجر..... ٤٠٨
- ما يجب على المسلمين في المهجر..... ٤٠٩
- آفة التفرّق والاختلاف..... ٤١١
- في البرازيل وجدت معظم المدن اسمها..... ٤١٣
- ما يجب على المسلمين في الخارج والداخل..... ٤١٤
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٤١٩
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... ٤٣٥
- فهرس الموضوعات..... ٤٣٩





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ



المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٦٩

خطب الشيخ القرظاوي

٦

إعداد

د. خالد السعد



غير مرخصة للطباعة

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[التوبة: ١١٩].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا
وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

[الحج: ٧٧].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[الحجرات: ٦].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ
يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ *
وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا
الْفُسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ
لِالْعَرِصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٤].

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان في بعض أيامه التي لقي فيها العدو ينتظر حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: «يا أيُّها الناس، لا تَتَمَنَّوْا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف». ثم قام النبي ﷺ وقال: «اللهم منزل الكتاب، ومُجْرِي السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم، وانصُرنا عليهم». متفق عليه.

عن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاخُمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمِثْلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى». متفق عليه.

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: يا أيُّها النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]. وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا ظَالِمًا، فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ». رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وصلوات الله وسلامه على سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا محمّد، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

(أمّا بعد)

فهذا هو الجزء السادس من خطبي المنبريّة، التي تولّى الأخ الكريم الباحث الداعية الموقّق الدكتور الشّيخ خالد السّعد المدرس بجامعة البحرين - حفظه الله ورعاه، وسدّد خطاه - تفريغها من أشرطتها، وكتابتها بخطّه وقلمه، والتعليق عليها أحياناً بما يراه ملائماً، مع ترقيم الآيات، وتخريج الأحاديث تخريجاً موجزاً.

وقد تعود أن يبعث بها إليّ لأراجعها، فقد أعدّل بها بعض العبارات التي يقتضيها الارتجال، أو أملأ بعض الفجوات نتيجة الخلل في التسجيل، أو أخرّج بعض الأحاديث التي قد يستعصي عليه تخريجها، وأضع لها بعض العناوين الجانبية، وأكتب لها مقدّمة موجزة، ثم أدفع بها إلى المطبعة.

وها هو قد فعل مع الجزء السادس كما فعل مع إخوته الخمسة من قبل، وهو يتناول موضوعات حيّة وساخنة من الموضوعات التي تعيشها أمّتنا، ولا يستطيع الخطيب أن يعزل نفسه عنها.

وقد أعدّ الأخ الدكتور خالد خمس عشرة خطبة، وأعدّ مكثبي في قطر: الخمسة الأخيرة من أحدث الخطب، لتتمّ العشرين، كما التزمنا في الأجزاء السابقة: أن يشتمل كلّ منها على عشرين خطبة؛ لأنّها عادة خطب طويلة، وإن كنت أنصح قرائي وأبنائي من خطباء المساجد ألاّ يُقلّدوني في هذا التطويل؛ فقد يحتمل الناس منّي ما لا يحتملون منهم، وقد قبلني الناس على ذلك، وهم يأتون من أماكن بعيدة لذلك، وقد كنت أتمنّى أن أكون تعودت غير ذلك.

وإنّي لأسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الخطب قائلها وجامعها وناشرها وقارئها، إنّه سميع مجيب.

الفقير إلى عفو ربّه

يوسف القرضاوي

القاهرة في: ذي القعدة ١٤٢٥هـ

ديسمبر ٢٠٠٤م





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

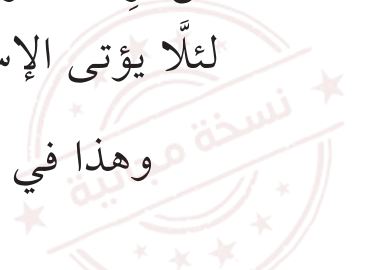
الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين.

(وبعد)

فهذا هو الجزء السادس من «خُطْبُ الشَّيْخِ القُرْضَاوِي» أكرمه الله ورعاه، يَسَّرَ الله جمعه وإخراجه لينضمَّ إلى إخوته الخمسة التي سبقته، وليساهم معها في تبصير الأمّة وتوعيتها في هذا الوقت بالذات، لا سيّما أنّه يعالج في جملة من مواضيعه حادثة «الحادي عشر من سبتمبر» من عام (٢٠٠١م) التي أخذ فيها الأبرياء بأوزار المسيئين، وما أعقبها من تداعيات خطيرة لا تزال تفعل فعلها في عالم الإنسانيّة المُعَذَّب، وتخصُّ أمتنا بمزيدٍ من القهر والأذى.

أمام هذا الحدث الرهيب والمُلمّة الصّعبة، وقف الشَّيْخُ القُرْضَاوِي - وقد استشعر الخطر الذي يُهدّد قلعة الإسلام - شاهراً سلاحه في وجه من يُريد اختراقها، وكأنّه مقاتلٌ في معركة، يصول ويجول، ويكرّ ويفرّ؛ لئلاّ يؤتى الإسلام من قبله.

وهذا في الحقيقة هو شأنه في كلّ معركة موجّهة ضدّ الإسلام



وأَمَّتْه، يبدو فيها هذا الشَّيخ الوقور أصلب من الحديد، لا يَهَاب ولا يَلِين، ولا يخضع لإغراءٍ أو وعيد، حتَّى لو كَلَّفَه ذلك حياته كما صرَّح هو غير مرَّة.

هكذا عهدناه من قبل في العديد من القضايا مثل: قضية فوائد البنوك، وقضية سلمان رشدي، ومؤتمر السَّكَّان بالقاهرة، ومعركة الحجاب في فرنسا، وقصة «وليمة أعشاب البحر»، والمكتب التجاري الإسرائيلي بالدوحة، واستقبال بيريز في قطر، والتطبيع مع دولة الغدر والعدوان، واتفاقيات السَّلام المزعوم، ومقاطعة البضائع الأمريكيَّة والإسرائيليَّة، والعمليات الاستشهاديَّة ضدَّ المُحتَلِّين، والانتفاضة الفلَسْطِينِيَّة الأولى والثانية، وقضايا المسلمين في البوسنة وأفغانستان، وكشمير والشيَّشان، والفلبين والسُّودان، وكوسوفو وجنوب لبنان، وأخيرًا العراق، إلخ.

وما أحوج أَمَّتْنا في مثل هذه الظروف المعقَّدة، والقوارع التي تنهال عليها وتتابع: أن تفرَّع - بعد الله - إلى علمائها الأفاضل، وشيوخها الثقات؛ لمعرفة الموقف السَّديد فتلتزمه، والواجب المطلوب فتؤدِّيه، عسى أن يُبدِّل الله حالها إلى أحسن حال، ويهيئ لها من أمرها رشدًا.

حفظ الله شيخنا الكريم، وأبقاه بيننا ناطقًا بالحقِّ، مناضلاً في سبيله، سنين عديدة، وأعوامًا مديدة، موفور الصَّحة والعافية، وسائر علماء الإسلام الصَّادقين الأحرار.

خالد السَّعد





قَتْلُ الْبِرَاءِ جَرِيْمَةٌ كَبْرَى سَوَاءٌ أَكَانَ لِلدُّنْيَا أَمْ لِلدِّينِ (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

شَهِدْتُ فِي بَعْضِ مَحَطَّاتِ التَّلِفِزِيَّوْنَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ - مِنْذُ يَوْمَيْنِ
فَقَطْ - مَشَاهِدَ تَرَكْتُ فِي نَفْسِي أَثْرًا عَمِيقًا، وَعَلَى الْأَخْصِّ مَشْهَدَيْنِ:

الْقَتْلُ لِأَجْلِ السَّرْقَةِ:

الْمَشْهَدُ الْأَوَّلُ: مَشْهَدُ ثَلَاثَةِ مِنَ الشُّبَّانِ فِي مِصْرَ قَتَلُوا امْرَأَةً وَطِفْلَهَا
الصَّغِيرَيْنِ، قَتَلُوا الْمَرْأَةَ وَابْنَهَا وَابْنَتَهَا الطِّفْلَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ.

لِمَاذَا قَتَلُوا هَؤُلَاءِ؟

مِنْ أَجْلِ مَصْوَغَاتِ تَلْبَسُهَا الْمَرْأَةُ!

مِنْ أَجْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَقْتُلُونَ هَذِهِ الْأَنْفُسَ الْبَرِيَّةَ!

هَؤُلَاءِ الشُّبَّانُ - وَهُمْ فِي الْعَشْرِينِيَّاتِ مِنَ الْعَمْرِ، فِي عَمْرِ الزُّهْرِ، فِي

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدَّوْحَةِ فِي نَوْفَمْبَرِ ١٩٩٧ م.

ريعان الشباب ومقتبل العمر - كيف طوّعت لهم أنفسهم أن يقتلوا هذه المرأة ولا ذنب لها إلا أن يأخذوا ذهبها وحليّها؟
وكيف طوّعت لهم أنفسهم أن يقتلوا الطفلين ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]؟

أمن أجل قطعة من الذهب يفعل هذا كله؟!
ماذا حدث لأبنائنا؟ ماذا حدث لشبابنا؟ ما الذي حدث؟ ما الذي غير هؤلاء؟
ما كانت هذه الأشياء تحدث في الزمن الماضي إلا على نُدرة، ومن مُجرمين عُتاة.

أمّا من شباب في مُقتبل عمرهم يفعلون هذا، يقتلون بنتًا صغيرة، وابناً صغيراً، ويقتلون امرأة، يخنقونهم إلى الموت، أو يذبحونهم بالسكين، فما كان يحدث هذا.
من أجل الدنيا حدث هذا.

لقد تطوّرت مفاهيم الناس وتغيّرت قيمهم.
أصبح الإنسان لا يبالي بإزهاق الرُّوح وسفك الدم، من أجل قطعة من الذهب أو من الحلي!

وحوش في لبوس البشر:

هذا يدلُّ على أنّ مجتمعاتنا انحدرت انحدارًا كبيرًا، وأصبح الإنسان أقرب إلى الحيوان.
لا، بل أقرب إلى الوحش.



الحيوان لا يؤذي، البقرة لا تقتل، والحمار لا يقتل، هذا شرٌّ من البقرة والحمار ومن الأنعام، إنه وحشٌ كاسر.

بل إن كثيرًا من الوحوش لا تقتل إلا إذا جاعت، الأسد لا يأكل الإنسان إلا إذا جاع، يقتله من أجل أن يملأ معدته.

فالوحوش أرحم من هؤلاء، هؤلاء الذين يرتدون ثياب البشر وليس في صدورهم قلوب البشر، نزع الرحمة من قلوبهم، فهم أولى ألا يُرحموا من الله تعالى، فإنما يرحم الله من يرحم الناس: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»^(١).

ولهذا كتب الله على هؤلاء القصاص، كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٧٨]، أي: فرض عليكم، كما قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣]، ففرضية القصاص كفرضية الصيام.

والناس في عصرنا في الحضارة الحديثة يلغون عقوبة الإعدام، ويطالبون المسلمين بأن يلغوا عقوبة الإعدام، يرحمون القاتل ولا يرحمون المقتول وأهل المقتول، يُشفقون على المجرم ولا يُشفقون على ضحاياه، يزعمون أنهم أرحم من الله بعباده، وهيئات هيئات.

إن الله الذي خلق الناس هو أعلم بهم، أعلم بما يصلحهم وما يفسدهم، وهو أرحم بهم من الوالدة بولدها، ولكنه قرّر القصاص: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُولِي أَلْبَابٍ لَّعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

(١) رواه أحمد (٦٤٩٤)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، وقال: حسن صحيح. والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤)، وقال بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة. ووافقه الذهبي. وصحّحه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

حُرمة دم المسلم:

هذا هو المشهد الأول.

ومثل هذا المشهد يتكرر كثيرًا فيما نقرؤه في الصحف، وفيما نسمعه في الإذاعات، وفيما نشاهده في أخبار التلفازات.

أحداث هائلة من هذا النوع الذي تُراق فيه الدماء، من أجل بضعة دولارات، أو جنيهات، أو آلاف، أو حتى ملايين.

والله إنَّ نفس الإنسان لأعظم عند الله من هذا كُلِّه، والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «لزوال الدنيا أهونُ على الله من قتل مؤمنٍ بغير حقٍّ»^(١)، زوال الدنيا كُلِّها... لأنَّ الله هو الَّذي بنى هذا الإنسان فلا يَمْلِك مخلوق أن يهدمه، لا يَمْلِك أحد أن ينتزع رُوحه إلَّا الَّذي وهبها له، في الوقت الَّذي حدَّده له.

لا يجوز لإنسان أن يتعدَّى على حقِّ الله تعالى ويقتل الإنسان بغير حقٍّ، إلَّا إذا كان إنسانًا شريرًا خرج من إنسانيته.

ومنذ فجر البشريَّة وُجد الشرُّ في حياة النَّاس، وُجد الإنسان الخيِّر والإنسان الشرِّير، الإنسان الطيِّب والإنسان الخبيث.

منذ كانت البشريَّة أسرة واحدة، عائلة واحدة، قتل ابن آدم أخاه، ابن آدم الشرِّير قتل أخاه الطيِّب الخيِّر، بغير جُرم جناه، بغير ذنب اقترفه، إلَّا أنَّهما قدَّما قربانًا إلى الله فتقبَّل من أحدهما ولم يتقبَّل من الآخر!

ما ذنبي أنا إذا لم يقبل الله قربانك؟

(١) رواه الترمذي في الديات (١٣٩٥)، مرفوعًا وموقوفًا، ورجَّح الموقوف، والنسائي في تحريم الدم (٣٩٨٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٧)، عن عبد الله بن عمرو.

هنالك قال له حسداً وبغياً: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۖ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨].

ومع هذه الموعظة البليغة المؤثرة لم يرتدع هذا الإنسان الشرير: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

سلالة ذلك الشرير لا تزال في عصرنا وفي كل عصر، وفي بيئتنا وفي كل بيئة يوجد هذا الإنسان الشرير الذي لا يبالي أن يقتل أخاه من أجل أي شيء يراه.

ما أكثر الأحداث التي نشاهدها في عصرنا من قتل، حتى رأينا من يقتل أولاده، ورأينا من يقتل زوجته، ورأينا من تقتل زوجها، ورأينا من يقتل أخاه، ورأينا من يقتل عمته أو خالته!

كل ذلك من أجل دُنْيَا يتهافتون عليها تهافت الذباب على الطعام أو على الجيف، هذه الجيفة التي يسمونها: «الدنيا» يتهافت الناس عليها، ويقتلون من أجلها، حتى يقتل الإنسان أقرب الناس إليه.

هذا المشهد الأول أيها الإخوة، مشهد هؤلاء الشباب، الفتية الذين قتلوا المرأة وطفليها من أجل حُلِيِّها.

قتل السِّيَّاح المستأمنين في بلادنا:

المشهد الثاني رأيته أمس في التلفزيون في قناة الجزيرة: مشهد الشابين اللذين قتلوا ثمانية من السِّيَّاح الألمان ومعهما سائق الحافلة المصري، وصدر عليهما بالأمس حكم بالإعدام من المحكمة العسكرية العليا.

هذان الشابان استقبلا هذا الأمر - حكم الإعدام - بفرح وسرور، وهنأ أحدهما الآخر، وقالا للصحفيين حينما قالوا لهما: ما شعوركما؟: هذا يوم عيد!

ثم سأل أحد المذيعين الشاب الأول المخطط الأول للجريمة الذي دفع أخاه إليها وأخذه معه، صابر أبو العلا هذا: ما الذي جعلك تفعل هذا؟ قال: أنا لم أفعل هذا من أجل دنيا، لم أفعل هذا من أجل مال، ولا من أجل نساء، ولا من أجل ذهب ولا فضة، فعلت هذا لله، فعلت هذا من أجل الدين!

وهذه مصيبة أخرى، لا تقل عن مصيبة الذي قتل من أجل الدنيا.

إخلاص مصحوب بحماقة:

إنه لا يكفي أن يكون الإنسان مخلصاً ليكون عمله صحيحاً.

هذا قتل لله كما يقول، قتل أناساً برآء لله! من أجل الله! من أجل الدين! أناساً جاؤوا بلاد الإسلام مستأمنين، لهم حق الأمان وحق العهد، والنبي ﷺ يقول: «من قتل معاهداً لم يُرح - أو لم يرح - رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»^(١).

هؤلاء لهم عهد الله وميثاقه، ونحن مأمورون أن نفي بالعهد: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل: ٩١]، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤]، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨، المعارج: ٣٢].

ما ذنب هؤلاء المدنّيين؟

(١) رواه البخاري في الجزية (٣١٦٦)، عن عبد الله بن عمرو.



لم يقاتلونا، ولم يحاربونا، حتّى نقتلهم.

يقول هذا الشاب: أنا قتلتهم لله، مخلصًا، نيّته نيّة خالصة.

حُسْن النِّيَّة لا يُبَرِّر الأعمال الطائشة:

ولكن لا يكفي أن تكون النّيّة خالصة، لا بدّ أن يكون العمل مشروعًا، لا بدّ أن يشرّع الله هذا العمل.

سُئل الإمام العالم الزاهد أبو عليّ الفضيل بن عياض عن قول الله تعالى: ﴿لِبَلْوَاكُمْ أَيْكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [المُلْك: ٢]. قيل له: يا أبا عليّ، ما أحسن العمل؟

قال: أحسنُ العملِ إخْلَصُه وأصوبه، إنّ الله لا يقبل العمل إذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، ولا يقبل العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا، وإنّما يقبله إذا كان خالصًا صوابًا، وخلوصه أن يكون لله، وصوابه أن يكون على السُنّة^(١).

أي: على المنهج الشرعي، على الصّراط المستقيم الذي جاء به محمّد ﷺ.

لا يكفي الإخلاص حتّى يكون العمل مشروعًا.

المبتدعون مخلصون في ابتداعاتهم، يتقرّبون إلى الله بالبدعة، والنبي ﷺ يقول: «كلُّ بدعة ضلالة، وكلُّ ضلالة في النار»^(٢).

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٩٥/٨)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤٣٣٤)، بدون ذكر: «وكل ضلالة في النار»، والنسائي في صلاة العيدين (١٥٧٨)، وابن خزيمة في الجمعة (١٧٨٥)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (١٣٥٣)، عن جابر بن عبد الله.

يتقربون إلى الله بما لم يشرّعه لعباده، شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

هم مخلصون في هذه الزيادات وفي الغلوّات في الدين، ولكن لا يكفي الإخلاص وحده.

كثير من هؤلاء آفتهم ليست في إخلاصهم ولا في ضمائرهم، إنّما آفتهم في عقولهم وأفهامهم.

الآفة ليست في النفوس، وإنّما في الرؤوس.

مشكلة هؤلاء أنّهم لم يفقهوا دينهم.

النبي ﷺ قال عن أسلافهم من قديم: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، أي: لا يتعمّق في قلوبهم وفي أعماق نفوسهم.

الخوارج قديمًا كانوا من أعبد الناس لله، كانوا صوّامًا قوّامًا، يقوم أحدهم ليله يقرأ القرآن، ولكنهم كانوا يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل الإسلام، يستحلّون دماء الناس وأموالهم، ولذلك صحّ فيهم الحديث - كما قال الإمام أحمد - من عشرة أوجه كلّها تذرهم وتحذر منهم^(١)، يقول الحديث: «يَحْقِرُ أَحَدَكُمْ صَلَاتُهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَقِيَامُهُ مَعَ قِيَامِهِمْ، وَقِرَاءَتُهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢)!

(١) نقل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٥٣٦/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

لهم قراءة، ولهم قيام، ولهم صلاة، ولهم صيام، حتّى إنّ الصّحابة ليحقر أحدهم عبادته بجانب عبادتهم، ولكنّهم يمرقون من الدين! لماذا؟

لأنّهم استحلّوا دماء المسلمين وأموالهم، حتّى إنّهم كفّروا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فارس الإسلام، الابن البكر للإسلام، حكيم الأُمّة.

كفّروه، واستحلّوا دمه وقتلوه، وقال قائلهم يمدح قاتل عليّ: يا ضربة من تقّي ما أراد بها إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضواناً إنّي لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البريّة عند الله ميزاناً^(١) يعتبر قاتل عليّ أوفى النّاس ميزاناً عند الله!

ما أراد بهذه القتلة وبهذه الضربة بالسيف «إلاّ ليبلغ من ذي العرش رضواناً»! أراد بها رضوان الله.

هذه مشكلة، الذين يقتلون النّاس تدنيّاً، ولا يفرّقون بين بريء ومسيء. بعض هذه الجماعات - التي تقتل في الجزائر وفي غيرها - لا يفرّق بين مدني وعسكري، لا يفرّق بين مجرم وضحية، لا يفرّق بين كبير وصغير، يقتل الشيوخ والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

(١) من شعر عمر بن حطّان، مفتي الخوارج وزاهدها وشاعرها الأكبر. انظر: الملل والنحل (١٢٠/١)، نشر مؤسسة الحلبي. وردّ عليه بعض العلماء فقال:

بل ضربة من شقي ما أراد بها
إني لأذكره يوماً فأحسبه
أشقى البرية عند الله ميزاناً
إلاّ ليبلغ من ذي العرش خساراً

أخلاق الإسلام في الحرب:

مع أنّ الإسلام في حربه الرسميّة بينه وبين أعدائه المشركين وغيرهم نهى عن قتل النساء، ونهى عن قتل الشيوخ الكبار، ونهى عن قتل الأطفال الصغار، وجاء ذلك في أحاديث النبي ﷺ^(١).

ورأى الإمام عليّ عليه السلام امرأة مقتولة في إحدى الغزوات فأنكر ذلك وقال: «ما كانت هذه لتقاتل»^(٢).

إنّما نقاتل ونقتل من يُقاتلنا، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

روى الإمام ابن جرير الطبري عن ابن عباس ترجمان القرآن رضي الله عنه أنّه فسّر «الاعتداء» هنا بقتل النساء والشيوخ والأطفال^(٣). وهكذا جاءت الأحاديث النبويّة تنهى عن ذلك.

وجاءت الوصايا الراشديّة من أبي بكر وعمر تنهى عن قتل هؤلاء، بل جاء عن أبي بكر رضي الله عنه قال: ستجدون رجالاً قد حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له^(٤).

(١) منها حديث أنس: «انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة». رواه أبو داود في الجهاد (٢٦١٤)، وابن أبي شيبة في الفضائل (٣٣٧٩٠)، والبيهقي في السير (٩٠/٩)، وقال عبد الحق الإشبيلي في الأحكام الوسطى (٤٢/٣، ٤٣): خالد بن الفزr ليس بقوي. وضعّفه الألباني في ضعيف أبي داود (٤٥٠)، وحسّن عوامة إسناد أبي داود في تعليقه على المصنف.

(٢) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٥٦٣/٣) في تفسير الآية (١٩٠) من سورة البقرة، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٤) رواه الطبري في تاريخه (٢٢٥/٣، ٢٢٦). نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

نهى عن قتل الرهبان؛ لأنَّهم لا يقاتلون.

وكذلك نهى عمر عن قتل الفلاحين، قال: إنَّهم لا ينصبون لكم الحرب؛ فدعوهم وشأنهم^(١).

ولذلك ذهب من ذهب من فقهاء المسلمين؛ بأنه لا يُقتل حرَّاث: أي زراَع.

وهكذا كان شأن الصَّحابة حينما فتحوا البلاد في العراق وفي الشام وفي مصر: تركوا الفلاحين في أرضهم وزراعاتهم، لم ينالوا أحدًا منهم بسوء.

فما بال هؤلاء؟ ما بال هؤلاء يقتلون كلَّ من هبَّ ودبَّ؟

جاء الفقه الإسلامي ينهى عن قتل من لم يقاتل: لا يُقتل راهب، ولا يُقتل زمن - أي: إنسان مصاب بالشلل أو نحو ذلك ولا يستطيع أن يُحارب - ولا يُقتل أعمى، ولا صاحب عاهة، لا يُقتل واحد من هؤلاء إلا إذا كان له مشاركة في الحرب، ولو بالرأي والتدبير.

لو كان هناك شيخٌ كبير ولكنه يشارك في الحرب برأيه وتدبيره وكيدِه وتخطيطه، هذا نعتبره مقاتلاً أو في حكم المقاتل.

وقد قال أبو الطيب:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ، وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي^(٢)!
أَمَّا مَا دُونَ هَؤُلَاءِ فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَبَدًا أَنْ نَقْتُلَهُمْ.

(١) رواه سعيد بن منصور في الجهاد (٢٦٢٥)، وابن أبي شيبة في السير (٣٣٧٩٢).

(٢) انظر: الحماسة المغربية (٥٠٠/١)، تحقيق محمد رضوان الداية، نشر دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.

هذا ما جاء به الإسلام.

الإسلام يقتصد في القتل حتّى في حروبه الرسميّة بينه وبين أعدائه، ولذلك كانت الوصايا النبويّة والوصايا الراشدية من الخلفاء: ألا يقتلوا شيخاً، ولا طفلاً، ولا امرأة، ولا يهدموا بناء، ولا يقطعوا شجراً، ولا يحرقوا شيئاً في طريقهم، إلّا ما اقتضته ضرورة الحرب.

ولذلك وُصف المسلمون بأنّهم كانوا أرحم النّاس في الحروب، وقال أحد المؤرخين - غوستاف لوبون -: ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب (يعني: المسلمين)^(١).

هكذا كانت هذه الأمّة.

أبو بكر رضي الله عنه أرسل إليه أحد قادة المسلمين برأس قائد من أعدائه، جاءه مندوب يبشّره ومعه صرّة، فتح أبو بكر الصديق الصرّة فوجد فيها رأس إنسان مقتول، فاستعاذ بالله وقال: ما هذا؟

قالوا له: يا خليفة رسول الله، إنّهم يفعلون بنا مثل ذلك، فارس والروم إذا قُتل أحد من قادتنا يبعثون برأسه إلى ملكهم أو إمبراطورهم أو قائدهم الأعلى يبشّرونه بهذا الأمر، فنحن نعاملهم بالمثل.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: أستانّ بفارس والروم؟ - أنستنّ بهم؟ نقتدي بهم؟ أنتخذهم أساتذة لنا؟ نجعلهم أسوة لنا؟ - والله لا يُحمل إليّ رأس بعد اليوم^(٢).

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون ص ٦٠٥، ترجمة عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م. ونصّ عبارة جوستاف لوبون: «فالحقُّ أنّ الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب، ولا ديناً سمحاً مثل دينهم».

(٢) رواه سعيد بن منصور في الجهاد (٢٦٤٩)، والبيهقي في السير (١٣٢/٩)، وقال الأرنؤوط في تعليقه على المسند (٢٣١/٤٥): إسناد رجاله ثقات.

هذا هو المنهج الإسلامي.

فكيف بهؤلاء الشباب الذين يتقربون إلى الله بقتل الناس المَدَنِيِّين
وتفخيخ السيارات في الشوارع؟!

صحيح في بعض البلدان - كما في الجزائر - اختلط الحابل بالنابل،
والتبس الحقُّ بالباطل، وما عدنا نعرف: ما الذي تفعله تلك الجماعات
المسلَّحة، وما تفعله السلطة وما يفعله الآخرون؟

حتى إننا نرى أحياناً مجزرة تحدث وتظلُّ ساعات يحدث فيها
التذبيح والتقتيل بأشدَّ أنواع الأساليب وحشية، ضرباً بالفؤوس أو
قطعاً للرؤوس بالسكاكين أو البلطة أو بغير ذلك أو بالتحريق في
الأفران!

أشياء فظيعة جداً، ولا يأتي أحد من رجال الأمن أو من رجال
الجيش أو من رجال الشرطة!
أين هؤلاء؟

ولذلك اختلطت علينا الأمور.

كلُّ ما نقوله: إننا نُنكر هذه الأحداث أيّاً كان فاعلها، نُنكر أن تحدث
باسم الدين أو باسم السياسة، نُنكر العنف العشوائي الذي لا يُمَيِّز بين
بريء ومسيء، هذا ما لا يجوز بحال من الأحوال.

إننا نرى هاتين الصورتين - أيُّها الإخوة -: صورة من يقتل من أجل
الدُّنيا، وصورة من يقتل من أجل الدين.
هذه مصيبة.



احترام الإسلام للنفس البشرية وصيانتها:

نرى ما يحدث في أفغانستان: سنوات من القتل والقتال وسفك الدماء بين إخوة الأُمس الذين كانوا رفقاء الجهاد ورفقاء السّلاح. كيف يحدث هذا؟

يزعمون أنّهم يفعلون هذا من أجل الدّين!
 آلدين أمركم أن يقتل بعضكم بعضاً، أن ترجعوا كفّاراً كالجاهليّة
 يضرب بعضكم رقاب بعض^(١)؟!
 هذا ما نُنكره.

الدم المسلم يجب أن يُصان، ألا يُراق إلاّ بحقّه، وحقّه معروف
 حدّثه الأحاديث: «الثّيب الزاني، والنّفس بالنّفس - أي: القصاص -
 والتارك لدينه المفارق للجماعة»^(٢).

لا يجوز أن يتعدّى النّاس، ويتجاوزوا، ويقتلوا من لا يستحقّ القتل.
 إنّ القرآن الكريم اعتبر قتل النّفس جريمة كبرى: ﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا
 بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا
 فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

قتل النّفوس أمر اتّفقت الشّرائع السماوية والأرضيّة على تجريمه.

(١) بل الدين نهانا عن ذلك وجاء في الحديث: «لا ترجعوا بعدي كفّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الديات (٦٨٧٨)، ومسلم في القسامة والمحاربين (١٦٧٦)، عن ابن مسعود.

كلُّ الشَّرائع لا يمكن أن تبيح سفك الدماء، وفقهاؤنا أجمعوا على أنَّ الضروريات الشرعيَّة خمس، الضروريات التي جاءت الشريعة - بكلِّ أحكامها وأوامرها ونواهيها - للمحافظة عليها هي خمس: المحافظة على الدين، والمحافظة على النَّفس، والمحافظة على العقل، والمحافظة على النَّسل، والمحافظة على المال.

الدين ثمَّ النَّفس: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

ماذا نقول في هذا العصر الذي استهان النَّاس فيه بحُرمة النَّفس الإنسانية، فأصبحنا نرى القتل هنا وهناك؟

هذا ما لا يجوز بحالٍ من الأحوال.

ومما يؤسف له ما قرأناه بالأمس عن محاولة اختطاف أو اغتيال السفير القطري في اليمن، هذا أمر غريب - أيضًا.

لا ينبغي أن يُستهان بأرواح النَّاس ولا بحرمتهم ولا بحريَّاتهم إلى هذا الحدِّ.

آفة الغلو والتَّطرف:

حتَّى من كان يعارض المؤتمر الاقتصادي - أنا أعارض المؤتمر الاقتصادي، ولكن نعارض الرأي بالرأي، والحجَّة بالحجَّة، والكلمة بالكلمة - لا يتعدَّى ذلك إلى أن نختطف النَّاس، هذا أمر لا يقرُّه شرع ولا خلق ولا قانون.

متى تستطيع هذه الأمة أن تتعامل بحريَّة وصراحة، ويقول بعضها لبعض: نعم ولا، هذا صواب وهذا خطأ، وهذا يجوز وهذا لا يجوز؟

وينبغي أن تتسع الساحة للجميع، ولا يضيق أحد ذرعًا بكلمة الحق، كلُّ يقول ما عنده، أمّا أن يتعدّى ذلك من اللسان إلى اليد، أن أتكلم بلغة الدم، بلغة العنف، فهذا ما نرفضه.

إننا نهيب بالأُمَّة أن تعود لتربية شبابها تربية إسلاميّة متوازنة، تنفخ فيها من رُوح الإيمان، تَغرس فيها قِيَم الحق والخير، تُعَلِّمها الإسلام الصحيح المتوازن، لا إسلام الغلو والتَّطُّع.

لقد جاء في الحديث: «هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ - الْمُتَزَيِّدُونَ الْمُتَعَمِّقُونَ - هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(١). قالها النَّبِيُّ ﷺ ثلاثًا؛ لعظم خطر التَّنَطُّع.

وقال: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا هَلِكُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ»^(٢).

﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَنْبِرَ بِصَائِرِنَا، وَأَنْ يَفْقِّهَنَا فِي دِينِنَا، وَأَنْ يَعَلِّمَنَا مَا يَنْفَعُنَا، وَأَنْ يَنْفَعَنَا بِمَا عَلَّمَنَا، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه مسلم في العلم (٢٦٧٠)، وأحمد (٣٦٥٥)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٨٥١)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحّحه على شرطهما، وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

هناك تنبيهان أردتُ أن أذكّر بهما:

أولهما: أنّ وزارة الأوقاف في قطر أنشأت صندوقاً للزكاة، تأخذها من الأغنياء لتردها إلى الفقراء.

وهذا الصندوق مفتوح لكلّ من يريد أن يحرّر نفسه من رجس الشح ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩، التباين: ١٦].

الله تعالى يقول: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

ذكرى وعد «بلفور» المشؤوم:

والتنبيه الثاني: أنّه بعد غد يكون قد مرّ ثمانون عاماً على وعد بلفور.

بلفور وزير خارجيّة بريطانيا الذي وعد اليهود في العالم بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين.

كان ذلك في (٢) نوفمبر سنة (١٩١٧م) أثناء الحرب العالميّة الأولى.

مرّ ثمانون عاماً على هذا الوعد الذي علّق عليه من قال: إن من لا يملك وعد من لا يستحقّ.

وعلّق عليه مفتي فلسطين الأكبر المجاهد الحاج أمين الحسيني رَحِمَهُ اللهُ فقال: إنّ فلسطين ليست وطنًا بغير شعب حتّى تستقبل شعبًا بغير وطن.



ولكن الدول الغربيّة - وفي مُقدّمها بريطانيا في ذلك الوقت ثمّ أمريكا بعد ذلك ودول الغرب بصفة عامّة - كادوا للفلسطينيين، وكادوا للعرب، وكادوا للمسلمين، وكادوا للأُمّة الإسلاميّة حتّى قامت «إسرائيل» في هذه الأرض.

ولا تزال إسرائيل تركل بقدميها هذه الجبهة، وتضرب تلك الجبهة، وتصفع تلك الجبهة، وتتحدّى، وتتصدّى، وتتعدّى، ولا تجد من يقاومها، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

تجد الاستسلام الهزيل المرّ، تجد هذا الخنوع الذي نراه هنا وهناك، إلّا فتية آمنوا برّبهم وزادهم هدى، وضعوا رؤوسهم على أكفّهم، وأرواحهم في أيديهم، وبذلوها لله، وقال أحدهم: وعجلت إليك ربي لترضى.

هؤلاء هم الأمل، وهم معقّد الرجاء إن شاء الله في تحرير فلسطين، وفي إعادتها إلى أهلها، إن لم يكن اليوم فغدًا، وإنّ غدًا لناظره قريب.

لن نئس أبدًا - أيّها الإخوة - الكثيرون يئسون، ونحن لن نئس من روح الله، ب ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِئُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إنّ الزمن قُلب، وإنّ الدُّنيا دول، وإنّ دوام الحال من المحال، والله تعالى يقول: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

من كان يظنّ أنّ الاتّحاد السوفيتي الذي يملك تلك الترسانة النوويّة الهائلة والقوة العسكريّة الضخمة، ويملك ما يملك، ينهار في سنوات قليلة؟

من كان يظنّ هذا؟

إِنَّ التَّارِيخَ لَا تَمْلِكُ زِمَامَهُ أَمْرِيكَ، وَلَا تَمْلِكُ زِمَامَهُ إِسْرَائِيلُ، إِنَّمَا يَمْلِكُ زِمَامَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

إِنَّ الْغَدَ لَنَا، وَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ لَنَا، الرِّصِيدُ فِي حِسَابِنَا يَزِدَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ. سَنَسْتَرُدُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَرِيبِ الْعَاجِلُ فِي يَوْمٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى سَنَسْتَرُدُّ حَقًّا، سَتَعُودُ إِلَيْنَا حَقُّونَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ.

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَفْتَحَ لَنَا فَتْحًا مَبِينًا.

اللَّهُمَّ افْتَحْ لَنَا فَتْحًا مَبِينًا، وَاهْدِنَا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَانصُرْنَا نَصْرًا عَزِيزًا، وَأَتَمِّمْ عَلَيْنَا نِعْمَتَكَ، وَأَنْزِلْ فِي قُلُوبِنَا سَكِينَتَكَ، وَانْشُرْ عَلَيْنَا فَضْلَكَ وَرَحْمَتَكَ.

اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ انصُرْنَا عَلَى الْيَهُودِ الْمُعْتَدِينَ.

اللَّهُمَّ رَدِّ عَنَّا كَيْدَهُمْ، وَفَلِّ حُدُومَهُمْ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَدْرَأُ بِكَ فِي نَحْوَرِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْهِمْ بِأَسْكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنْ الْقَوْمِ الْمَجْرِمِينَ.

اللَّهُمَّ انصُرْ إِخْوَتَنَا الْمَجَاهِدِينَ فِي فَلَسْطِينَ وَلُبْنَانَ، وَفِي كَشْمِيرِ وَالسُّودَانِ، وَفِي سَائِرِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ.

اللَّهُمَّ خُذْ بِأَيْدِي إِخْوَانِنَا الْمُضْطَّهَدِينَ وَالْمُؤْتَحَنِينَ وَالْمُعْتَقَلِينَ، اللَّهُمَّ افْكُكْ بِقُوَّتِكَ أَسْرَهُمْ، وَاجْبُزْ بِرَحْمَتِكَ كَسْرَهُمْ، وَتَوَلَّ بِعَنَائِكَ أَمْرَهُمْ.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجزنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.
اللهم لا تهلكننا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من
لا يخافك ولا يرحمنا.

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء وسائر بلاد الإسلام.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *



القصاص في الشريعة الإسلامية^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

منذ عدة أشهر والإعلام الغربي يُشَوِّش على الشريعة الإسلامية، والقضاء الشرعي في ديار الإسلام.

كتبوا المقالات وأثاروا الشُّبهات منذ أن حكم القضاء الشرعي في دولة الإمارات على فلبينية قتلت مخدومها، قتله عمداً ومع سبق الإصرار، وحكم القضاء الشرعي عليها بالإعدام قصاصاً، إلا أن يعفو أولياء الدم، وهذا أمر قرره الشرع الإسلامي بنص القرآن: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

ثم حدثت حادثة أخرى في المملكة العربية السعودية: قتلت امرأة بريطانية امرأتين أستراليتين، واحتكمتوا إلى القضاء الشرعي، فحكم القضاء بالقصاص من هذه المرأة القاتلة المتعمدة.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في أوائل نوفمبر ١٩٩٧م.

هذا هو الجزاء إذا احتكم هؤلاء إلى القضاء الشرعي كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة: ٤٢].

والقسط هو ما أنزله الله تعالى من القصاص من القاتل المتعمد كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

لماذا شرع الله القصاص:

شرع الله تعالى القصاص ليؤمّن الحياة للنّاس؛ حتّى لا يعتدي النّاس بعضهم على بعض، ولا يتناول بعضهم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً دون رادع.

إنّ للنفس الإنسانية منزلة كبيرة في هذا الدين، وإنّ لحياة الإنسان قيمة كبيرة عند الله؛ فهو بنيان الله تعالى ملعون من يهدمه، ملعون من يريد أن ينتزع الروح من بين جسد إنسان، ولم يُعْطِ الله تعالى هذا الحقّ.

ولذلك قرّر الله تعالى هذا القصاص لحياة النّاس: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، والله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨].

في سورة البقرة جاء هذا التعبير عدّة مرّات: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ [البقرة: ١٧٨] في القانون الجنائي.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠] في قانون الأسرة.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣] في قانون العبادات.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾ [البقرة: ٢١٦] في قانون العلاقات الدولية.

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ﴾، أي: فرض عليكم فرضية موثقة مؤكدة، فهكذا كتب الله القصاص على هذه الأمة ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

كما كتب الصيام وفرض الصيام كتب القصاص ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾ [البقرة: ١٧٨].

جاء ذلك كما قال المفسرون: إنَّ بعض قبائل العرب الذين كانت لهم عزة ومنعة، كانوا لا يقبلون أن يُقتل الإنسان بمثله، إذا قُتل عبد قالوا: نريد مقابله حرًّا من عندكم، وإذا قُتلت امرأة قالوا: نريد رجلاً، وإذا قُتل وضع قالوا: نريد سيِّداً من ساداتكم؛ فالله تعالى قال: ﴿ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى ﴾^(١).

بين القصاص والعفو:

ثمَّ شرع القرآن العفو: ﴿ فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ﴾^(٢) [البقرة: ١٧٨].

وانظروا إلى هذا التعبير: ﴿ مِنْ أَخِيهِ ﴾ أبقى الأخوة رغم جريمة القتل، ممَّا يدلُّ على أنَّ هذه الجريمة وحدها لا تُخرج الإنسان من الملة، كما

(١) انظر: تفسير القرطبي (٢/٢٤٤)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٢) راجع تفسير هذه الآية في تفسير الطبري (٣/١٠٧)، وتفسير القرطبي (٢/٢٤٤).

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]،
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ
مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

هذا ما جاء به الإسلام، لم يقل ما قالت المسيحية: إن من ضربك
على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر^(١)!

فهذا قد يصلح في زمن محدود لفئة محدودة خاصة، ولكنه لا يصلح
شريعة عامة وشريعة خالدة لكل الناس، ولكل البيئات، ولكل الأعصار.

الإسلام شرع العدل وشرع الفضل:

العدل أن تقتصر لنفسك: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]،
﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

والفضل أن تعفو وتتفضل: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، و﴿وَإِنْ
عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

ولهذا كان حكم القضاء الشرعي في هذه الحوادث هو: القصاص،
إلا أن يعفو أولياء الدم، فإذا عفو فهم أحرار.
هذا هو العدل الذي جاء به الإسلام.

رحمة في غير موضعها:

ولكن هؤلاء لا يفهمون العدل، هؤلاء يُشفقون على المجرمين،
ولا يُشفقون على الضحايا، إنهم مع الجاني المجرم الشرير، أحنى عليه

(١) إنجيل متى (٣٨/٥ - ٤٢)، (٤٣/٥ - ٤٥).



من الأم على أولادها، أمّا المجتمع الذي يضحّي بأمنه ويضحّي بماله ويضحّي بحرماته من هؤلاء العُتاة الذين لا يرحمون مخلوقاً ولا يخشون خالقاً، فهم مشفقون عليهم، مُتَرْفِقُونَ بهم.

هذا المجرم الذي يقتل، والذي يسرق، وأحياناً وهو يسرق لا يبالي أن يقتل، لا يبالي أن يُدَمَّر، لا يبالي أن يفعل ما يفعل.

قد ذكرتُ لكم في الأسبوع الماضي ذلك الرجل الذي قتل المرأة وطفليها من أجل أن يسرق حُلِيَّها، قتل ثلاثة أنفس، امرأة لا ذنب لها، وليست من الغنيّات ولا الثريّات، كلُّ ما تملكه هذه «الغوايش»، أو هذه الأشياء في يديها، وقتل طفلين زكّيين لا ذنب لهما من أجل أن يسرق.

هؤلاء رحماء مشفقون على هذا الجاني، لا ينبغي أن تقطع مثل يد هذا الإنسان المجرم.

ردع المجرمين ليستقيم ميزان العدل:

هؤلاء لا أدري كيف يُفَكِّرون يقولون: إنّنا خسرنا نفساً - وهو نفس الإنسان المقتول - فلا ينبغي أن نخسر نفساً بشريّة أخرى! وهي نفس القاتل.

نظروا هذه النّظرة الجزئيّة، ونسوا أن ترك هذا القاتل بدون عقوبة يُجَرِّئ غيره على القتل، يُغريهم بالقتل ما دام الإنسان لا يُقتل، وإنّما يُسجن، ثمّ في مناسبة من المناسبات يُفرج عنه، يُعطى عفواً مع من يُعفى عنهم، هذا لا يردع النّاس.

وبهذا يزداد عدد المقتولين، وعدد القاتلين أيضاً.

خصائص العقوبة الإسلامية:

إنَّ من خصائص العقوبة الإسلامية أنَّها:

١ - عقوبة رادعة: شرع ذلك مَنْ هو أرحم بالنَّاس من الوالدة بولدها، مَنْ هو أبْرُّ بالنَّاس من أنفسهم، مَنْ يعلم المفسد من المصلح ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك: ١٤].

شرع ذلك الله الَّذي يعلم أنَّ النفوس الشريرة لا يردعها إلا عقوبة زاجرة ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وكما قال ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ، ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا﴾ [الكهف: ٨٧]، هذا منطق الفطرة.

منطق الفطرة: أن يعاقب الجاني عقوبة رادعة تزجره أن يعود إلى مثل هذه الجريمة، وتردع غيره أن يقلده في مثلها.

ما الَّذي جرى في هذه المجتمعات التي تُشفق على الجاني وتعتبره إنساناً مريضاً! وتعتبره ضحية من ضحايا المجتمع! وتسلبه الإرادة والاختيار؟!!

ويقول قائلهم: إنَّ الفرد دُمِيَّةٌ يحرك خيوطها المجتمع!

سلبوا الإنسان الإرادة، سلبوه المسؤولية، مع أنَّه يفكر ويخطط وينفذ من أجل طمع في مال، أو من أجل انتقام، أو من أجل حقد، أو من أجل أي شيء من هذا.

الإنسان هو الإنسان، قتل الإنسان أخاه منذ فجر البشرية ﴿قَالَ لَا قُتْلَنَّاكَ... فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ...﴾ [المائدة: ٢٧ - ٣٠].

ولذلك قرّر الله تعالى بعد أن ذكر لنا هذه الحادثة، حادثة قتل ابن آدم لأخيه: ﴿أَنَّهُ، مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ بغير قصاص، يستحقُّ القتل.

﴿أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ النَّفْس إذا أفسدت في الأرض كما في حدّ الحراة وقطع الطريق وغيرها تستحقُّ القتل.

﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ يستمرئ الإنسان القتل، الاعتداء على الفرد كالاقتداء على النوع، من هان عليه أن يقتل إنساناً واحداً لا يبالي بعد ذلك بمن يقتل.

السجن وحده ليس رادعاً عن الجريمة:

من أجل هذا كان الردع بالقصاص، السجن ليس ردعاً، كتبوا على السجون هذه العبارة: السجن تأديب وتهذيب وإصلاح! ولكننا جرّبنا فلم نجد السجون هذبت، ولا أدّبت، ولا أصلحت.

رأينا الذي يسرق يدخل السجن فيخرج منه أشدّ ضراوة وأشدّ حنكة وتجربة، تعلّم من العتاة، من اللصوص الذين هم أسبق منه زمناً وأكثر منه خبرة، تعلّم منهم الإجرام.

لو كان معه الشهادة الابتدائية في الإجرام يجد من معه الثانوية! وإن كان معه الثانوية يجد من معه البكالوريوس أو الدكتوراه في

الإجرام!

هناك درجات في الإجرام!



ولذلك انتشرت السرقات، رغم عقوبات السجن في البلاد الإسلامية التي عطلت حدود الله تعالى.

حينما أقامت المملكة العربية السعودية حدَّ السرقة، وكان يُضرب بها المثل في اختلال الأمن، كان الناس يقولون في مصر قديمًا عندما يذهب الإنسان إلى الحج: الذهاب مفقود والعائد مولود!

وذلك لانتشار الجرائم هناك، والقتل والسطو وقطع الطريق وقطع الرقاب، فلما أقيمت هذه الحدود، لمّا أقيم هذا الجزء من حكم الشريعة كان له أثره، كان له أثره في إقامة الأمن في الحياة، في المجتمع كلّ، أصبح الإنسان يذهب إلى متجره ويتركه أحيانًا ويذهب إلى الصلاة، ويعود لا شيء يحدث، معظم جرائم السرقة تحدث من أناس يفدون من الخارج لهذا الأمر.

ماذا حدث في المجتمعات الغربية التي تسخر من حدود الشريعة الإسلامية، تسخر من حدَّ السرقة وتسخر من القصاص؟

اختلَّ الأمن اختلالًا تامًّا، لا تكاد تمرُّ دقيقة إلّا وحادث قتل أو سرقة أو جريمة، يحدث في مدينة من المدن، يعيش الإنسان خائفًا على نفسه، خائفًا على أهله، خائفًا على ماله، خائفًا على عرضه، لم يعودوا يستمتعون بالأمن، الخوف الجماعي هو السمة العامة في هذا المجتمع.

حينما تذهب إلى هناك يقولون لك: أغلق باب الحجرة في الفندق بالترباس، ولا تفتح لأي أحد يقرع بابك، انظر من العين السحرية، واحذر ثم احذر ثم احذر، وإذا خرجت فلا تخرج بعد الساعة السادسة

مساءً أو نحو ذلك، وإياك أن تخرج وحدك، وإذا خرجت فلا تأخذ معك مالا كثيرا في جيبك، ولا تخرج بغير مال أيضا؛ لأنّ هؤلاء اللصوص الذين يأتون يفتشونك فإذا لم يجدوا معك شيئا قالوا: إنك تستحقّ القتل وقتلوك، فاترك لهم شيئا يرضيهم في جيبك!

وهكذا الخوف من القتل، والخوف من الاعتداء هو السمة العامة في هذا المجتمع.

هذه هي تشريعاتهم الوضعيّة، هذه قوانينهم الأرضيّة، فماذا يعيرون علينا؟

إنّ الله شرع هذه الأحكام لمصلحة عباده، الله تعالى لا يناله نفع من وراء ذلك، هو غني عن العالمين، إنّما يشرع ما يشرع لمصلحة العباد في المعاش والمعاد، لمصلحة الفرد ومصلحة المجتمع، المصلحة الآنيّة والمصلحة المستقبلية، المصلحة الماديّة والمصلحة المعنويّة، المصلحة الخاصّة والمصلحة العامّة، المصالح يراها هذا الشرع العظيم لأنّه شرع الله، ليس شرع فلان ولا علان، شرع الله لعباده، حكم الله لخلقه: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

لهذا كان «الردع» في هذه الأحكام وفي هذه العقوبات هو أوّل خصائص هذه العقوبات: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

باب التوبة مفتوح للمجرمين:

ومع هذا فإنّ هذا الشرع العظيم فتح باب التوبة على مصراعيه لمن يريد أن يتوب.

في هذا الحدّ، السرقة الكبرى، حدّ الحرابة أو قطع الطريق يقول القرآن: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤]، هؤلاء الذين أُرهبوا النَّاسَ، وأرعبوا البشر، وأخافوا الطريق، إذا هيأت لهم أنفسهم أن يتوبوا، وأن يرجعوا عن غيهم، وأن يسيروا في طريق الاستقامة، فتابوا إلى الله، وقرعوا بابه، وجأؤوا وسلّموا أنفسهم مختارين ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

وبعد حدّ السرقة يقول تعالى: ﴿مَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٣٩].

بعض الفقهاء يشترط أن يتوب السارق قبل القدرة عليه ويردّ المال - كما يقول الأحناف^(١) - ويسلّم نفسه فلا تقطع يده.

والبعض يفتح الباب للتوبة باستمرار كما هو رأي الإمام ابن تيمية وابن القيم: أنّ من تاب وظهرت عليه علامات التوبة، فمن حقّ القاضي أن يسقط عنه الحدّ، وإذا سقط الحدّ ليس معناه سقوط العقوبة نهائياً، يسقط القطع ولكن يُعزّر بما يناسبه، يسقط الجلد ولكن يعزّر بما يناسبه، يسقط القصاص ولكن يعزّر بما يناسبه^(٢).

(١) انظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٣٤٤/٦ - ٣٤٦)، تحقيق عصمت الله عنایت الله

محمد وآخرين، نشر دار البشائر الإسلامية، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) الصارم المسلول ص ٥١١، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر الحرس الوطني

السعودي، السعودية.

ولكن فرق ما بين القصاص والحدود الأخرى: أنَّ القصاص حقُّ الإنسان، حقُّ أولياء الدم، هم أصحاب الحقِّ فيه.

الحدود الأخرى هي حقُّ الله، ولذلك لا يشترط في تلك الحدود أن يطالب بها مطالب، أمَّا في القصاص فلا بد أن يطالب ولي الدم، وهو حرٌّ إن شاء قبل الدية أو أكثر من الدية، وصالح القاتل على ما يتفقان عليه، وإن شاء عفا بغير شيء، وإن شاء أخذ حقه بالقصاص.

التوبة تُسقط الحدَّ، وهذه فرصة عظيمة في هذا الدين، إذا رأى القاضي أنَّ الجاني قد بدت عليه أمارات التوبة والاستقامة، وشعر منه بالصدق، فإنَّ من حقه أن يُسقط عنه الحدَّ.

لكن إذا رآه متلاعبًا، تاب مرَّة وعفا عنه ثمَّ جاء في المرَّة الثانية والثالثة وهكذا، هذا يضحك على القضاة، هذا لا بدَّ أن يُردع، ولا بد أن يُعاقب العقوبة التي تليق بمثله.

من خصائص العقوبة في الإسلام: الردع.

٢ - من خصائص العقوبة المساواة: من قتل يُقتل، يُقتل الصغير بالكبير، يُقتل الطفل بالإنسان الكهل، يُقتل من قتل فرأشًا أو ساعيًا وكان أستاذًا كبيرًا، يُقتل به، يُقتل الغني بالفقير، يُقتل الإنسان بالإنسان.

الإسلام ينظر إلى النفس الإنسانية: «النفس بالنفس»، أسود أو أبيض، غني أو فقير، كبير أو صغير، حاكم أو محكوم، لا فرق بينهما، حتَّى الحاكم يحكم عليه القاضي، يذهب الوالي إلى القاضي ويحكم عليه، حتَّى قال جمهور الفقهاء: الإمام الأعظم، الخليفة الأكبر لو ارتكب جريمة يذهب إلى قاضي المسلمين ويحكم عليه، وعليه أن يُنفذ، وإذا لم

ينفذ فإنه يعاقب أمام الله عقوبتين: عقوبة من أجل أنه استحقَّ عليه الحدّ، وعقوبة أخرى: أنه عطلَّ هذا الحدّ، وواجب عليه أن يراعه وينفّذه.

ليس في الإسلام إنسان كبير على حكم الله، القوانين الوضعيّة استثنت أناسًا كثيرين لا يُقام عليهم حكم القانون، أعطتهم حصانة، حصانة برلمانية، حصانة قضائية، حصانة دبلوماسية، حصانات مختلفة! الإسلام لا يُحصّن إنسانًا ارتكب جريمة وقامت عليه الأدلة، كلُّ النَّاس سواسية كأسنان المشط أمام أحكام الله تعالى.

هذه هي المساواة التي جاء بها هذا الدين.

ويكفي أن النَّبِيَّ ﷺ حينما همَّ قريشًا أمر تلك المرأة المخزومية التي تكرّرت منها السرقة، ثمّ قامت البيّنة عليها فوجب أن تُقطع يدها، فأهمَّ قريشًا أن هذه من بني مخزوم من ذؤابة قريش، إنَّها لفضيحة الدهر أن تُقطع يدها، فقالوا: ماذا نفعل؟

فكلّموا أسامة بن زيد حبَّ رسول الله ﷺ وابن حبّه ليشفع في هذه المرأة، فجاء أسامة ليشفع عند رسول الله ﷺ، فغضب النَّبِيُّ ﷺ وقال له: «يا أسامة، أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟ إنّما هلك الذين من قبلكم أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ، وإيم الله لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرق لقطع يدها»^(١). هكذا قال ﷺ، وهي أعزُّ النَّاس عليه، وأحبُّ النَّاس إليه، حماها الله من السرقة! النَّاس سواء في ميزان الإسلام، هذا ما جاء به هذا الدين.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٥)، ومسلم في الحدود (١٦٨٨)، عن عائشة.



٣ - من خصائص العقوبة: العدل: ثم هناك - أيضًا - من خصائص العقوبة الإسلامية أنها تقوم على العدل.

والعدل أكبر من المساواة، العدل أن تراعي الظروف، العدل أن تخفف عمن يستحق التخفيف.

ولذلك من عجائب ما جاءت به هذه الشريعة أنها جعلت عقوبة الحرّ ضعف عقوبة العبد، العبد يخفف عنه، على غير ما كان عند الرومان وغيرهم، كان العبيد يقتلون في جرائم بسيطة، وكان الأشراف والنبلاء إذا قتلوا عند الرومان لا يُقتص منهم، خصوصًا إذا قتلوا أحدًا من الطبقات الدنيا، الطبقات الضعيفة المسحوقة التي لا وزن لها عندهم.

الإسلام جاء وتحدث عن هؤلاء الإماء الجواري وقال: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: ٢٥]، أي: ما على الحرائر من العذاب، عليهن النصف.

ولذلك قال الفقهاء: إن عقوبة العبد نصف عقوبة الحرّ في الكم وفي الكيف، حتّى قالوا: إن السوط الذي يُجلد به العبد إذا ارتكب جريمة يجب أن يكون أخفّ من السوط الذي يُضرب به الحرّ؛ لأنّ هذا مقتضى التخفيف^(١).

العذر بالجهل:

من العدل أن تراعى ظروف الإنسان، إذا كان جاهلاً ومن شأنه أن يجهل - كما قال عمر رضي الله عنه: لا حدّ إلا على من علمه^(٢) - من يجهل أن

(١) انظر: الكافي في فقه الإمام أحمد (١١٠/٤)، نشر دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه عبد الرزاق في الحدود (١٣٦٤٥).

السرقه حرام ربّما كان في بادية لم يسمع بأحكام الإسلام، أو كان حديث عهدٍ بإسلام، أو نحو ذلك ممّن يُعذر بجهله، فيُخَفَّف عنه.

إذا سرق من حاجة - دفعته الحاجة لأن يسرق - يُخَفَّف عنه.

ومن أجل هذا نجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أوقف إقامة الحدّ في عام المجاعة، عام المجاعة الذي أصاب المسلمين في بلاد الحجاز أوقف فيه عمر الحدّ.

لم يُسقط عمر الحدّ كما يقول النّاس، إنّما لم يجد استيفاء الحدّ، لم يستوف الحدّ شروطه، ولم تنتف موانعه.

درء الحدود بالشُّبهات:

لا بدّ أن تتهيأ الشروط وتتوافر، وتنتفي الموانع، ومن هذه الموانع: الشُّبهات، فقد جاء: «ادرؤوا الحدود بالشُّبهات...»^(١).

وروى الحاكم وغيره: «ادرؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجًا فخلّوا سبيله، فإنّ الإمام أن يُخطئ في العفو خيرٌ من أن يُخطئ في العقوبة»^(٢).

هذا ما جاء به الإسلام، لا بدّ أن تنتفي الشُّبهات.

ولذلك قالوا: لو سرق إنسان من بيت المال لا يُقطع، لماذا؟

(١) رواه ابن حزم في الإيصال، كما في التلخيص الحبير (١٠٥/٤)، وصحّحه ابن حجر.
(٢) رواه الترمذي في الحدود (١٤٢٤)، قال: وقد روي عن عائشة موقوفًا ولم يرفع، وهو أصح. والحاكم في الحدود (٣٨٤/٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: يزيد بن زياد الأشجعي (أحد الرواة) قال النسائي: متروك. وضعفه الألباني في الضعيفة (٢١٩٧)، عن عائشة.



قالوا: «لأنَّ له حقًّا فيه»^(١).

إذا قال: أنا لم آخذ حقِّي وهذا بيت المال ولي حقٌّ فيه.

إذا سرق الوالد من ولده.

إذا سرق المرأة من زوجها، لأن هناك حقوقًا مشتركة.

لا بدَّ أن تنتفي الشُّبهة، وفي عام المجاعة الشُّبهة قائمة.

بعض الناس يقولون: إنَّ عمر برأيه وتقديرًا للمصلحة أسقط الحدَّ، ومن حقِّنا في عصرنا أن نُسقط الحدود بناء على ما اتجه إليه عمر!

وحاشى لله أن يُسقط عمر حدًّا من حدود الله، قد وُصف بأنه كان وقَّافًا عند كتاب الله.

كانت المرأة تقول له شيئًا فيقول: أصابت المرأة وأخطأ عمر^(٢).

(١) وقد حدث أن سرق رجل من بيت المال بالكوفة، فسأل ابن مسعود عمر عن سرق من بيت المال. فقال: أرسله فما من أحد إلا وله في هذا المال حقٌّ. انظر: المغني لابن قدامة (١٣٦/٩)، نشر مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

(٢) عن الشعبي قال: خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الناس، فحمد الله تعالى وأثنى عليه وقال: ألا لا تغالوا في صداق النساء، فإنه لا يبلغني عن أحد ساق أكثر من شيء ساقه رسول الله ﷺ، أو سيق إليه إلا جعلت فضل ذلك في بيت المال. ثم نزل، فعرضت له امرأة من قريش، فقالت: يا أمير المؤمنين، أكتب الله تعالى أحق أن يتبع أو قولك؟ قال: بل كتاب الله تعالى، فما ذاك؟ فقالت: نهيت الناس أنفاً أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَأَتَيْتُمُ حُدُودَهُنَّ فَنُطِرًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [النساء: ٢٠]. فقال عمر رضي الله عنه: كل أحد أفقه من عمر - مرتين أو ثلاثا - ثم رجع إلى المنبر فقال للناس: إنِّي كنتُ نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء ألا فليفعَل رجل في ماله ما بدا له. رواه الطحاوي في شرح مشكل الآثار (٥٠٥٩)، والبيهقي في الصداق (٢٣٣/٧)، وقال: منقطع. ورواه من طريق آخر عن بكر بن عبد الله المزني، عن عمر، وقال عقبه: مرسل جيد. وساقه ابن كثير في تفسيره (٢٤٣/٢، ٢٤٤) بإسناد أبي يعلى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق، عن عمر، وقال عقبه: =

كان عمر رجاءاً إلى النصوص، لا يمكن أن يفتات عليها، ولكنه رأى أن الحد لم يجب، لم يستوف شروطه، ولم تنتف موانعه.

وكذلك الغلامان اللذان سرقا ناقة، غلاما حاطب بن أبي بلتعة سرقا ناقة الرجل المُرني فحرّاهما، وأكلاها، واشتكاها الرجل، وهم عمر أن يقيم عليهما الحد، ولكن عرف أنهما فعلا ذلك من الجوع، فدعاه وقال: لولا أنني أظن أنكم تجيعونهم حتى إن أحدهم أتى ما حرم الله وعجل لقطعت أيديهم، ولكن والله لئن تركتهم لأغرمنك فيهم غرامة توجعك، ثم قال للرجل: كم ثمن ناقتك؟ قال: عرض عليّ فيها أربعمئة درهم، قال: فادفع له ثمانمئة درهم^(١).

غَرَمه ضعف ثمنها؛ وهذا لأنه لا يقبل الإسلام أن يقام الحد إلا على مجرم، أمّا من سرق من حاجة فليس بمجرم.

الحدود وحدها لا تكفي لاستقامة المجتمع:

ومن هنا نقول: إننا إذا أردنا أن نقيم الحدود اليوم فلا يجوز أن نأخذ الحدود وحدها ونقيمها دون سائر أحكام الشريعة، كأن الله لم ينزل في كتابه إلا: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

إن الحدود في القرآن لا تكاد تبلغ نحو عشر آيات، وهناك أكثر من ستة آلاف آية، فلماذا أخذنا هذه وحدها؟

= إسناده جيد قوي. وكذلك قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢٩٦/١، ٢٩٧)، والسخاوي في المقاصد (٨١٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٢١/٤، ٥٢٢): رواه أبو يعلى في الكبير. وفيه مجالد بن سعيد، وفيه ضعف، وقد وثق.

(١) رواه البيهقي في السرقه (٤٨٣/٨)، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب.

ومعظم الحدود جاءت في سورة «المائدة» وهي من أواخر ما نزل من القرآن، أي: بعد أن قام المجتمع الإسلامي واستقرت دعائمه ورسخ بنيانه بدأت هذه العقوبات.

والعقوبات للشواذ من الناس، لمن انحرفوا عن الطريق، أمّا القرآن والإسلام فجاء ليصنع الأسوياء، ليربي المستقيمين على الحق، فمن شدّ بعد ذلك عوقب بما يرّده إلى سواء السبيل.

إنّنا قبل أن نقيم الحدّ لا بدّ أن نقيم تعاليم الإسلام كلّها، قبل أن نقيم: ﴿فَأَقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]، لا بدّ أن نقيم ﴿وَأَنُؤُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، نأخذ الزكاة من الأغنياء لنردّها على الفقراء، نقيم العدالة الاجتماعيّة، التكافل الاجتماعي العام حتّى يصبح المجتمع كالأسرة الواحدة، وكالبنيان المرصوص يشدّ بعضه بعضاً، وكالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كلّهُ.

هذا ما ينبغي أن نفهمه في هذه العقوبات^(١).

إنّ العقوبات التي جاء بها الإسلام هي مفخرة لنا - نحن المسلمين، هي مآثرة من مآثر هذا الدين، وليست شيئاً نخجل منه، أو نستحي من الحديث عنه، إنّها عدل الله في أرض الله لعباد الله، ولن يحقّق المسلمون رخاء ولا استقراراً ولا ازدهاراً ولا أمناً حقيقياً إلّا إذا أقاموا حدود الله بشروطها، كما شرعها الله تعالى.

لا نريد أن يؤخذ من الإسلام الحدود وحدها.

(١) لمزيد من التفصيل انظر كتابنا: بينات الحل الإسلامي، وملاحم المجتمع المسلم الذي ننشده، نشر مكتبة وهبة، القاهرة. وراجع: أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع للدكتور محمد حسين الذهبي، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.



لا، وإنَّما يُؤخذ الإسلام كُلُّه، لا نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض،
وكما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ
أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٩].

لا يجوز أن يفتنك هؤلاء عن بعض ما أنزل الله إليك.

إذن لا بد أن تحكم بكل ما أنزل الله إليك ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٩].

أسأل الله تعالى أن يردنا إلى دينه وشريعته ردًا جميلًا، وأن يهيئ لنا
من أمرنا رشدًا، وأن يفقهنا في دينه، إنه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

موقف أمريكا من الإسلام:

لا أدري ماذا بيننا وبين أمريكا، لماذا تأخذ أمريكا دور المعادي للأمة الإسلامية، الممالي لأعدائها؟

لماذا تقف أمريكا أبداً مع إسرائيل؟

لا تضغط عليها، بل تدللّها، وتربت على كتفها، وتُملي لها، وتُرخي لها العنان لتفعل ما تشاء، وإذا أراد المجتمع الدولي أن يضغط على إسرائيل بقرار فإنّ «الفيّتو» الأمريكي واقف لهم بالمرصاد.

أمريكا وحصار السودان:

آخر ما صنّعه أمريكا في هذا الأسبوع هو القرار الذي اتخذته بالمقاطعة والحصار الاقتصادي الشامل لجمهورية السودان!

ما الذي جناه السودان حتّى يحاصر؟

وهو محاصر من زمن غير قريب.

السودان محاصر من جهات شتّى، ولكن يُراد الحصار الكامل الشامل على السودان.

ما جناية السودان؟ ما الجريمة التي صنعها السودان؟ هل ارتكب السودان ما ارتكبه إسرائيل؟

إسرائيل التي تسفك الدماء، وتهتك الحرمات، وتفعل ما تفعل في القدس، وتضمُّ ما تضمُّ، تقيم المستوطنات، تحفر تحت المسجد الأقصى، تفعل هذه الأفاعيل، ولا تعاقب بشيء، والسودان يعاقب!

ما جريمة السودان؟

قالوا: إنَّ السودان يؤوي الإرهاب العالمي!

وقال السودان مرارًا وتكرارًا: يا قوم، تعالوا هاتوا مُفتِّشِكُمْ، ابعثوا مندوبيكم ومراقبيكم، وأنتم لا يخفى عليكم شيء، الأرض أمامكم، اذرعوها شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا، وابحثوا هل هناك معسكرات للإرهابيين؟ هل هناك إرهابيون في السودان؟

كان هناك بعض الأفراد أوا إلى السودان في فترة ما، ثم تركوا السودان من أنفسهم، لم يريدوا أن يُخرجوا هذا البلد الذي يتَّجه إلى الإسلام.

قالوا: السودان يؤوي الإرهاب!

لماذا تركتم الإرهابي الأكبر إسرائيل ولم تعاقبوه بشيء؟

«السودان يؤوي الإرهاب» دعوى، مجرد دعوى.

والدَّعَاوَى مَا لَمْ تُقِيمُوا عَلَيْهَا بَيِّنَاتٍ أَبْنَاؤُهَا أَدْعِيَاءُ^(١)

دعوى لا دليل عليها ولا بَيِّنَة.

ويقولون: السودان يعتدي على الدول المجاورة، يُهدِّد أمن الدول

المجاورة؟!

(١) من شعر الإمام البوصيري في همزيته، انظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب (٢٥٠/١)، نشر دار الآثار الإسلامية، وزارة الإعلام، الكويت، ط ٢، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



يا سبحان الله، من الذي يُهدّد الآخر؟ ومن الذي يعتدي على الآخر؟
السُّودان مُعتَدٍ أو مُعتَدَى عليه؟

السُّودان اعتُدي عليه.

السُّودان وقف مع إريتريا حتّى استقلّت، رغم اعتراض كثير من
الإسلاميين على السُّودان، وقالوا: هؤلاء ليسوا أحبّاء لكم ولا أولياء
لكم، هم عدوّ لكم وستعلمون.

السُّودان وقف مع إريتريا، والآن إريتريا قلبت ظهر المِجَنّ للسُّودان،
وأصبحت تُهدّد السُّودان، وأصبح المعارضون في إريتريا، وأصبحت
القوّات تدخل من إريتريا، وكذلك من أوغندا، وكذلك من إثيوبيا.

السُّودان هو المُهدّد من جيرانه، فكيف انقلبت الآية؟ كيف انعكس
الأمر؟ كيف قلب الوضع؟!

هذا هو العجيب، هذا هو المنطق الذي يقلب الحقائق أباطيل
والأباطيل حقائق؛ لأنّه يستند إلى منطق القوّة، لا إلى قوّة المنطق،
أصبحت القوّة هي التي تتكلم:

تكلّم السيفُ فاسكتْ أيُّها القلمُ تحكّم الذئبُ فاخضعْ أيُّها الحملُ!

هذا هو المنطق الذي يقوله الأقوياء المتجبرّون المستكبرون في
الأرض، وكأنهم أصبحوا آلهة في هذا الكون لا يُسألون عما يفعلون.

لا، إنّ الله أكبر منهم، وأقوى وأعظم، ولن يستمرّ القوي قوياً، ولن
يستمرّ الضعيف ضعيفاً، دوام الحال من المحال، وسُنن الله تأبى ذلك:

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]



وقالوا: إِنَّ السُّودان يعتدي على حقوق الإنسان!

حقوق الإنسان مهدرة في السُّودان!

كيف هذا؟

إِنَّ الإنسان في السُّودان - كما رأيتُ - لا يستطيع أحد أن يهدر حقوقه. السُّودان بلد يقوم على العشائرية وعلى الخلطة بين النَّاس بعضهم وبعض، ليس هناك حاكم فرعون، ليس هناك حاكم مستكبر، الإنسان يستطيع أن يكلم رئيس الجمهورية، وأن يكلم أي وزير، وأن يحدث أي والٍ، ويستطيع أن يصل إليه.

ولذلك يتعذر أن يوجد في السُّودان ما يوجد في غيره.

وأنا أقول لهؤلاء الغيورين على حُرَمات الإنسان وعلى حقوق الإنسان: أين أنتم من البلاد التي رأينا فيها حقوق الإنسان وقد ضاعت، وكرامة الإنسان وقد أهدرت، وحياة الإنسان وقد هُددت، وأمن الإنسان وقد زال؟ أين أنتم من العذارى والنِّساء اللاتي يؤخذن من خدورهن ويُذهب بهن إلى المعتقلات؟ أين أنتم من المرأة التي تُجبر على أن تخلع حجابها، ويصبح الحجاب جريمة، وهو فريضة عليها من ربِّها؟!

لا تستطيع أن تذهب إلى مدرسة، ولا تستطيع أن تذهب إلى جامعة، ولا أن توظف في حكومة ولا مؤسسة عامّة، بل لا تستطيع أن تُعالج في مستشفى إلّا إذا خلعت حجابها وخمارها!

لماذا تسكتون عن هؤلاء؟ لماذا لا تعاقبونهم؟

السُّودان هو الذي ينتهك حقوق الإنسان؟! أين هذه الحقوق التي انتهكت؟



السُّودَان يُطَبَّق الشَّرِيعَةُ، وَقَالَ: إِنَّمَا تَطَبَّق الشَّرِيعَةُ عَلَى الْوَلَايَاتِ الَّتِي فِيهَا أَكْثَرِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ، وَالَّتِي لَيْسَ فِيهَا أَكْثَرِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ يُتْرَكُ لَهَا الْخِيَارُ، إِمَّا أَنْ تَقْبَلَ الشَّرِيعَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ إِذَا أَرَادَتْ، أَوْ تَقْبَلَ أَيُّ قَانُونٍ وَضَعِي.

تَرْكُوا الْخِيَارَ لِلنَّاسِ.

مَا الَّذِي فَعَلَهُ السُّودَانُ فِي انْتِهَاكِ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ؟

أَهَذَا مَنْطِقٌ؟ أَهَذَا مَنْطِقُ الْبَلَدِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ الْقُوَّةَ، وَأَصْبَحَ هُوَ الْقُوَّةُ الْوَحِيدَةُ وَالْقُطْبُ الْأَوْحَدُ فِي الْعَالَمِ؟!

إِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَعْطَاهُ اللَّهُ نِعْمَةً فَلَمْ يَصْنَعْهَا وَلَمْ يَشْكُرْهَا، فَإِنَّهُ جَدِيرٌ أَنْ تُزَالَ عَنْهُ هَذِهِ النِّعْمَةُ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

إِنَّا نُنَاشِدُ أَمْرِيكَ أَنْ تَكْفَ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْأُمَّةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ.

لِمَاذَا هَذَا التَّعَامُلُ مَعَ بِلَادِ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ وَحَدَهُم؟

لِمَاذَا الضَّغْطُ عَلَى الْعِرَاقِ وَحَدَهُ؟

نَحْنُ لِسْنَا مِنْ أَتْبَاعِ صِدَامِ حُسَيْنٍ، وَلِسْنَا مِنَ الْبَغْثِيِّينَ، وَلَكِنَّا مَعَ الشَّعْبِ الْعِرَاقِيِّ، مَعَ الْجَائِعِينَ، مَعَ الْأَطْفَالِ.

لَا نُرِيدُ أَنْ يَذُوقَ هَذَا الشَّعْبُ ثَمَرَةَ انْحِرَافِ حُكَّامِهِ.

لِمَاذَا هَذَا كُلُّهُ مَعَ الشَّعْبِ الْعِرَاقِيِّ حِينًا، مَعَ الشَّعْبِ اللَّيْبِيِّ حِينًا، مَعَ إِيرَانَ حِينًا آخَرَ، مَعَ السُّودَانِ آخِيرًا.

إننا نطالب أمريكا أن تكون منصفة، وأن تكون عادلة، وأن تراقب الله وقد أعطاه هذه القوة الهائلة، ولكن الله أقوى منها ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

* * *





أكذوبة اضطهاد الأقليات المسيحية!

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

التنصير في إندونيسيا:

تتناول الصحف الأجنبية والعربية في هذه الأيام، قضية اختلقتها وغذّتها وضخّمتها القوى المعادية للإسلام، ونفخ فيها الإعلام الغربي حتّى جعلها تسيطر وتتداعى بها وتتناقلها وكالات الأنباء وغيرها.

هذه القضية ما يُسمّونه: اضطهاد الأقليات المسيحية في الشرق الإسلامي! في بلاد العرب خاصّة، وبلاد الشرق الإسلامي عامّة.

فبعد أن كانوا من قبل يتّهمون مصر والسودان والسعودية وإيران، أضافوا إليها الآن ماليزيا وإندونيسيا.

ولماذا ماليزيا وإندونيسيا؟

قالوا: لأنّ هؤلاء يقفون ضدّ المُبشّرين الإنجيليين الأمريكيين، ولا يفتحون لهم الأبواب على مصاريعها!

هذا مع أن هؤلاء يعملون منذ عقود من السنين، والأبواب مُفَتَّحة أمامهم، والفرص متاحة، ولم يكن يسألهم أحد: لم؟ ولا يقول لهم: كيف؟ حتى إنه في إندونيسيا أقيم نحو ستين مطارًا للإرساليات المسيحية الأجنبية!

تعلمون أن في إندونيسيا آلاف من الجزر، المسلمون يتنقلون من جزيرة إلى أخرى عن طريق المراكب والقوارب، أمّا الإرساليات المسيحية فكانت تنتقل عن طريق الطائرات الهليكوبتر، وعن طريق المطارات التي وُجدت في كل مكان، حتى قاربت الستين مطارًا.

كان هؤلاء قد رسموا خطة وحددوا هدفًا: أن ينصروا إندونيسيا^(١) في خمسين عامًا، لا يمرُّ نصف قرن إلا ويغلب على إندونيسيا العنصر المسيحي.

هكذا خطّطوا: أن يضربوا أكبر بلد إسلامي في آسيا بل في العالم كُله وهو: إندونيسيا، ومثل ذلك في أكبر بلد إسلامي في إفريقيا وهو: نيجيريا. وعملوا عملهم، ونجحوا إلى حد كبير، ويجب أن نعترف بذلك، حتى إنني أذكر منذ نحو ربع قرن في أوّل مرّة أزور فيها إندونيسيا وبلاد الشرق الأقصى - وكنت مع الأخ المرحوم الشيخ عبد الله الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ - سألت المضيف في الطائرة: هل أنت مسلم؟

قال: لا، أنا مسيحي، ولكن زوجتي مسلمة!

تصوّروا الخلل الذي حدث.

(١) من أراد التوسع فليراجع: غارة تبشيرية جديدة على إندونيسيا لمؤلفه أبو هلال الإندونيسي،

نشر دار الشروق، ط ٤، ١٩٨٠م.



وسألت المضيضة: هل أنت مسلمة؟

قالت: لا، أنا مسيحية، ولكنني من أسرة مسلمة!

يعني أنها نصرت وارتدت، والعياذ بالله^(١).

فهكذا كانوا يفعلون في هذا المجتمع، وكانوا ساكتين في ذلك الوقت، ما دامت الأمور في صفهم فلا حرج في ذلك!

بل كانوا ينشرون ما بين الحين والحين أنهم فاشلون في المجتمعات الإسلامية، وأن التبشير لا يؤتي أكله، ولا يحقق هدفه.

لماذا يدعي التنصير الفشل في بلادنا؟

وقصدهم من هذا عدة أمور، من هذه الأمور:

١ - أن يستدرّوا عواطف أولئك الذين يدفعون إليهم بالملايين، فيقولوا لهم: إن المسلمين مستعصون علينا، نريد مزيداً من الدعم، ومزيداً من الإمداد، فتتوالى عليهم التدفقات المالية والتبرعات المليونية. هذا من ناحية.

٢ - ومن ناحية أخرى لعلهم أرادوا أن يُنَوِّمونا ويُخَدِّرونا لنقول: الإسلام بخير، والإسلام لا يستطيع أحد أن يواجهه، وننام على آذاننا، ونترك هؤلاء يعبثون في الأرض فساداً، ويعبثون بعقائد الأمة ومقدساتها، وبأبنائها وبناتها.

(١) انظر تفاصيل هذه الرحلة وما أسفرت عنه من دعوتي لإنشاء مؤسسة تحفظ على المسلمين إسلامهم وتدينهم، فكانت «الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» بالكويت، انظر: ابن القرية والكتاب (٣١٥/٣)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، و(٣٢١/٤)، ط ١، ٢٠١١م.



٣ - ولعلّهم - أيضًا - يعتبرون أن ما يحقّقونه هو شيء ضئيل بالنسبة لما يأملونه وينشدونه، فلذلك هم ينشرون أنّهم فاشلون، وأنّهم مُخفّقون في العالم الإسلامي.

هكذا كانت الأمور تجري في ذلك الوقت، فكانوا صامتين، ما كانوا يتحدّثون عن اضطهاد ولا عن شيء؛ لأنّهم هم الذين يكسبون، وهم الذين يغنمون، وهم الذين يُضلّلون.

فلما استيقظ المسلمون، ولما بدأ عصر الصّحوة الإسلاميّة، وبدأ المسلمون يفيقون من سكرتهم، ويستيقظون من سباتهم، ويعرفون هويّتهم وأنّهم مسلمون، وبدأ الدعاة إلى الله يعملون، بدأ هؤلاء يشعرون بإخفاقهم، وبدؤوا يثيرون هذه الثُّعرات وهذه الدعاوي الباطلة: أنّهم مضطهدون، وأنّهم لا تفتح لهم الأبواب.

وما هذا بصحيح.

الواقع أنّ الصّحوة الإسلاميّة هي التي عرّفت النّاس حقيقة هؤلاء.

هم لم يجيئوا بأهداف دينيّة حقيقيّة، وإنّما تحوّل بهم علامات استفهام، فهم طلائع الاستعمار الجديد، وإلّا كان عليهم أن يذهبوا إلى البلاد التي لا تعرف دينًا، إلى البلاد الوثنيّة والبلاد المُلحّدة، بدل أن يذهبوا إلى بلاد الإسلام بلاد التوحيد.

إنّ هذه الحملة الجديدة التي تُشنّ على العرب والمسلمين هنا وهناك، تشنّها القوى المعادية للإسلام في أمريكا اليوم، وأمريكا الآن تتزعم هذا الأمر، من لم يخضع لها؛ من لم ينحنِ لأوامرها؛ من لم ينفذ طلباتها، من لم يسر في ركبها، فلا بدّ أن تثير عليه المثيرات، ولا بدّ أن تُخلق حوله الأزمات.

وهكذا، وكلُّ بلد لا يقول: نعم، لا يحني رأسه، لا يُسلم بهذا الإله الجديد: أمريكا المُستَكْبِرة في الأرض بغير الحق، التي تريد النَّاس أن يكونوا عبيداً لها، كلُّ بلدٍ يخضع لهذه الأوامر تثير حوله هذه الشُّبهات وهذه الأزمات.

التسامح بين المسلمين والأقباط في مصر:

وهكذا الآن يُثار حول مصر؛ لأنَّها حاولت أن تتحرَّر من الضغط الأمريكي يثار حولها أنَّها تضطهد الأقباط.

وللأسف هناك بعض الأقباط ممَّن يعيشون في أمريكا غُذُوا هذا الأمر، ومشوا فيه أشواطاً.

وقد نشأنا في مصر صغاراً وشبنا فيها كباراً، وما رأينا اضطهاداً للأقباط، بل رأينا تعايشاً سلمياً.

كثيراً ما نجد الكنيسة والمسجد متجاورين، هذا مسجد وتجاهه كنيسة، ولم يحدث أي صراع أو أي نزاع.

أذكر وأنا صبي صغير كان في بلدنا صرَّاف اسمه «الحاج جرجس»! وكنت في صغري أحسبه مسلماً؛ لأنَّه «حاج»! حتَّى عرفت بعد ذلك أنَّه «حاج» أي حجَّ إلى القدس! وأنَّه ليس بمسلم.

بلدنا ليس فيه أي مسيحي، ولكن كان المسيحيُّون يحتكرون مهنة الصيرفة، وكلُّ الصيارفة كانوا مَسِيحِيَّين، حتَّى دخلها الأزهرِيُّون بعد ذلك، وأصبح المسلمون يكونون فيها أغلبيَّة، فما كنت أشعر بأي شيء بين المسلمين والمسيحيين، وأرى النَّاس يستقبلون هذا

الصَّرَاف ويكرمونه ويعيش بينهم، ولا أجد في ذلك أي شيء،
ولا يجد هو أي حرج.

ما عرف النَّاس هذا الأمر.

هل المسلمون والمسيحيون إخوة^(١)؟

المسلمون والمسيحيون عاشوا طَوَالَ العصور إخوة مُتَحَابِّين، هكذا
قلت من قبل.

فقال لي بعض الإخوة: كيف تقول: «إخوة مُتَحَابِّين»، والله تعالى
يقول: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠]؟

قلت له: الأخوة ليست كُلُّهَا دينية؛ هناك أخوة دينية كما في الآية:
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾، وكما في الحديث: «المسلم أخو المسلم...»^(٢).

ولكن هناك أخوة قومية أو وطنية كما قال الله تعالى: ﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ
الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ نُوحٌ ... كَذَبْتَ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ هُودٌ ...
كَذَبْتَ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُّ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ... ﴾ [الشعراء: ١٠٥ - ١٤٢].

أخوهم، أي: منهم؛ لأنَّه من قومهم، ولذلك لمَّا لم يكن شُعَيْب من
أصحاب الأيكة قال: ﴿ كَذَبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُّ شُعَيْبٌ ... ﴾
[الشعراء: ١٧٦، ١٧٧]؛ لأنَّه لم يكن واحدًا منهم، كانوا قومًا غير قومه؛ إنَّما كان
من مدين، ولذا قال تعالى: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [الأعراف: ٨٥].

فهناك أخوة قومية، وهناك أخوة وطنية.

(١) انظر ما ذكرناه في كتابنا: فتاوى معاصرة (١٩٢/٣) وما بعدها، نشر المكتب الإسلامي،
بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المظالم (٢٤٤٢)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٨٠)، عن ابن عمر.

هذه المعاشة وهذا الجوار كَوْن نسيجًا واحدًا من دِينَيْن مُخْتَلِفَيْن: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾ [الكافرون: ٦].

أسس التسامح مع المخالفين^(١):

هكذا علّمنا الإسلام: مع اختلاف الدين نستطيع أن نتعايش.

حلّ الإسلام هذه القضية بإيجاد أساس عقدي وفكري للتسامح، يقوم هذا الأساس على عدّة عناصر:

١ - **العنصر الأوّل:** أنّ اختلاف النّاس في أديانهم واقع بمشيئة الله تعالى، ومشيئته لا تنفصل عن حكمته؛ فلله في ذلك حكمة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۖ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هُود: ١١٨، ١١٩].

قال المفسّرون: ﴿وَلِذَلِكَ﴾، أي: وللاختلاف خلقهم^(٢)؛ لأنّه خلقهم وأعطاهم الحرّية والإرادة، فإذا أعطى الإنسان العقل والحرّية والإرادة فلا بدّ أن يكون له اتّجاه غير اتّجاه الآخر، لا بدّ أن يختلف النّاس.

فهذا بمشيئة الله، ولا يستطيع أحد أن يعارض مشيئة الله تعالى في كونه.

٢ - **العنصر الثاني:** أنّ النّاس وإن اختلفوا ما بين مؤمن وكافر، وبر وفاجر، ومهتد وضال، فإنّ الحساب بين هؤلاء ليس في هذه الدُّنيا، إنّما الحساب عند الله يوم القيامة، ولذلك يقول الله تعالى:

(١) راجع ما ذكرناه في: فتاوى معاصرة (١٨٤/٣) تحت عنوان: أساس التسامح الإسلامي، وانظر ذلك بالتفصيل أيضًا في رسالتنا: موقف الإسلام العقدي من اليهود والنصارى ص ٦١، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٩م.

(٢) وهذا القول هو الذي اختاره ابن جرير الطبري ورجّحه على القول الآخر وهو: «وللرحمة خلقهم». انظر: جامع البيان (٦٣٧/١٢).

﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج: ٦٨]، ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

٣ - وهناك عنصر ثالث: أن الإسلام يحترم الإنسان من حيث هو إنسان، كل إنسان أيًا كان دينه، آمن أو كفر، برّ أو فجر، له كرامة الإنسان، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

هو من حيث آدميته مُكْرَم، من حيث إنسانيته مَصُون الحُرُمات، ولهذا روى البخاري في «صحيحه»، أن النبي ﷺ مرّت به جنازة - نعش ميت - فقام لها واقفًا.

ف قيل له: إنها جنازة يهودي.

فقال ﷺ: «أليست نفسًا؟»^(١)

بلى.

معنى هذا أن لكلّ نفس في الإسلام حرمة ومكانة، وإن كانت نفس إنسان يهودي.

٤ - وعنصر رابع: أن الإسلام جاء بالعدل للناس جميعًا، عدل الله لكلّ عباد الله، هذه قضيتة مسلّمة ولا نزاع فيها، الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨].

﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ وليس بين المسلمين وحدهم؛ فالعدل لكلّ الناس.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٣١٢)، ومسلم (٩٦١)، كلاهما في الجنائز، عن سهل بن حنيف وقيس بن سعد.

ويقول تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، أي: لا يحملنكم شدة عداوة قوم وشدة بغضهم لكم على أن تظلموهم وعلى ألا تعدلوا بينهم ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. نزلت تسع آيات في سورة النساء تدافع عن يهودي اتُّهم ظلماً بالسرقة، وهم النبي ﷺ أن يدافع عن أولئك الذين هم المتهمون الحقيقيون، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَٰنًا أَثِيمًا﴾ * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٠٧، ١٠٨].

هذا هو أساس التسامح عند المسلمين.

شهادة التاريخ على سماحة المسلمين:

ومن أجل هذا كان المسلمون مضرب المثل في التسامح، لا يُعرف أمة تسامحت مع مخالفيها في الدين كما عُرف عن الأمة الإسلامية^(١)، وهذا ما شهد به المؤرخون المنصفون من الغربيين أنفسهم، شهد بذلك «غوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب»، وشهد بذلك «توماس أرنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، وشهد بذلك الكثيرون ممن كتبوا عن المسلمين.

ولسنا في حاجة إلى شهادتهم، الواقع ينطق بهذا، والتاريخ ينطق بهذا.

حينما غزا التتار دمشق وما حولها، أسروا جماعة من المسلمين ومن النصارى، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى قائدهم «قطلو شاه» يطلب منه أن يفك الأسرى عنده.

(١) انظر: فصل «تسامح فريد» من كتابنا: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ٦١ - ٧٤، نشر

مكتبة وهبة، ط ٧، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٢م.



فقال له: يا شيخ، إكرامًا لك أفكُ أسرى أهل ملَّتكَ من المسلمين.

فقال: لا والله، أهل ذمَّتنا قبل أهل ملَّتنا!

وأبى إلا أن يفكَّ أسر الجميع، وكان له ما أراد^(١).

وحينما أراد أحد خلفاء بني عُثْمان أن يتخلَّص من بعض أولئك الذين يجلبون عليه المشاغبات من غير المسلمين وقال: نقتل هؤلاء ونستريح منهم، وقف شيخ الإسلام والعلماء من ورائه في وجهه وقالوا: لا يبيح لك الدين هذا، والله تعالى عصم دماءهم وعصم أموالهم بما لهم من عقد الذِّمَّة.

وكلمة «الذِّمَّة» ليست كما يتصوَّرها بعض النَّاس كلمة فيها ذمٌّ أو تنقيص. الذِّمَّة معناها: العهد، أي: لهم عهد الله وعهد رسوله وعهد جماعة المسلمين: أن تُصان أديانهم وأموالهم وأعراضهم ومعابدهم وشعائهم وحرمااتهم.

وهكذا عاشوا طَوَالَ التاريخ الإسلامي.

حتى إنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما طعن وأصبح على فراش الموت كان وصيته: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذِّمَّة أن يُوفي لهم بعهدهم، وأن يُقاتل من ورائهم، وألا يُكلِّفهم فوق طاقتهم^(٢).

وحينما رأى ابن الخطاب رضي الله عنه - وهو يسير ليتفقد أمور الرعية - رجلاً شيخاً من يهود يسأل، قال: فيم تسأل؟

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦١٧/٢٨، ٦١٨)، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم،

نشر مجمع الملك فهد، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(٢) رواه البخاري في الجنائز (١٣٩٢).



قال: أسأل الجزية والحاجة والسن.

فقال: ما أنصفناك إذا أخذنا منك الجزية شابًا وأهملناك شيخًا.

ثم قال لخازن بيت ماله: افرضوا له ولضربائه - لأمثاله - من بيت مال المسلمين ما يكفيه، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠] قال: وهذا من مساكين أهل الكتاب^(١).

وبهذا استدلل بعض العلماء من علماء السلف أن الزكاة يجوز أن تُعطى لفقراء أهل الذمة عملاً بما صنعه عمر^(٢).

هذا ما كان عليه حال المسلمين^(٣).

لم يكن هناك بيننا وبين الأقليات المسيحية أو اليهودية أي صراع ولا أي مشاكل.

بالعكس، بعضهم تولّى الوزارة، وذكر الإمام الماوردي في كتابه «الأحكام السلطانية»: أن وزارة التنفيذ يجوز أن يتولاها أهل الذمة.

ورأينا من هؤلاء من وصل إلى مناصب كبيرة، حتّى قال أحد الشعراء الساخرين من مصر:

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٣٦٥/١٠)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

(٢) انظر كتابنا: فقه الزكاة (٧٥٢/٢) وما بعدها، نشر مكتبة وهبة، ط ٢١، ١٩٩٤م.

(٣) من أراد التوسع في هذا الموضوع ومعرفة المزيد فليراجع ما كتبتّه عن حقوق أهل الذمة في الإسلام في كتابنا: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي ص ١٧ - ٣٨، وتاريخنا المفترى عليه ص ١٢٩ - ٢٢٥، باب: تاريخ له مفاخر ومآثر، فصل: التسامح الإسلامي، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٦م.

يَهُودُ هَذَا الزَّمَانِ قَدْ بَلَغُوا غَايَةَ آمَالِهِمْ وَقَدْ مَلَكَوا
المَجْدُ فِيهِمْ وَالْمَالُ عِنْدَهُمْ وَمِنْهُمْ الْمُسْتَشَارُ وَالْمَلِكُ
يَا أَهْلَ مِصْرَ إِنِّي نَصَحْتُ لَكُمْ تَهَوَّدُوا، قَدْ تَهَوَّدَ الْفَلَكُ^(١)!

أراد هذا الرجل أن يلفت النظر أن اليهود بلغوا حدًا كبيرًا، فقال لهم:
أفضل طريقة لتصلوا إلى المال والمجد والملك والسلطان أن تكونوا
يهودًا: تهودوا قد تهوّد الفلك!

وهذا مبالغة - أيضًا - في التنازل عن الحقوق وعن الهويات، ولكن
لكي نعرف إلى أي حد وصل هؤلاء.

وقد رأينا بأعيننا في مصر اليهود يملكون أكبر المتاجر وأكبر
المحلات التجارية المشهورة.

من ممّا لا يذكر: شكوريل، وأركو، وسمعان، وصيدناوي، وبنزيون،
وداود عدس وغيرهم.

لم يُعرف المسلمون باضطهاد الأقليات في وقت ما، بل ربّما يُتهمون
بالغفلة أنّهم تركوا لهم الأمر، ليصلوا إلى أكثر ممّا ينبغي أن يصلوا إليه!
وما كانت هناك مشكلات.

متى بدأت الفتنة؟

بدأت المشكلات من عهد الحروب الصليبيّة، حينما جاءت الجيوش
الصليبيّة - جيوش الفرنجة كما يُسمّيها علماؤنا القدامى - من أوروبا، بقضّها
وقضيضها، وثالوثها وصلبيها، وأحقادها وأطماعها، وأثارت هذه الأمور.

(١) هو الحسن بن خاقان، كما في حسن المحاضرة للسيوطي (٢٠١/٢)، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط ١، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

ثمَّ جاء الاستعمار الحديث وكان ممَّا أعلنه أنَّ من أهدافه الدفاع عن الأقليَّات المسيحيَّة في بلاد الشرق!

ولا زال الأمر يظهر ما بين الحين والحين.

والآن تتولى أمريكا كبر هذا الموضوع، وخصوصًا بعد أن أصبح للوبي الصهيوني قوته وتأثيره ونفوذه، وأصبح هناك عدد من الوزراء في حكومة أمريكا الحالية من اليهود، وزراء: الدفاع، والماليَّة، والخارجيَّة، ونائب وزير الخارجيَّة لشؤون الشرق الأوسط، ومنسَّق السَّلام في الشرق الأوسط، وكبار الموظفين في الوزارات المختلفة، ومستشارو الأمن القومي، كلُّ هؤلاء يهود.

أصبح هناك تأثير صهيوني كبير على السياسة الأمريكيَّة، ومن أجل هذا بدأت تثير هذه الأمور.

سياسة الكيل بمكيالين:

ولا أدري لماذا لا تثير أمريكا الأمور الأخرى المقابلة؟

لماذا لا تثير قضية البلاد التي يُضطهد فيها المسلمون ولا ينالون فيها حقوقهم؟

لماذا لم تُثر ضدَّ تركيا العلمانيَّة التي ترفض أن يكون للمسلمين أيُّ تمثيل سياسي؟

لماذا لم تتدخل في هذه الأمور؟

لماذا لم تتدخل في البلاد التي تحرم المسلمين من أدنى حقوقهم حتَّى تحرِّم على المرأة أن تلبس الحجاب الشرعي في داخل بلاد المسلمين وخارج بلاد المسلمين، كما في فرنسا العلمانيَّة؟

والمفروض أنَّ العلمانيَّة تتَّخذ موقفًا محايدًا من أمور الدين، لا تقبل الدين ولا ترفضه، لا تؤيده ولا تعاديه.

أمَّا أن يتَّخذ موقفًا من الدِّين ويفرض على المسلمة أن تخالف أمر ربها وأن تخالف دينها، فهذا ما لا يُقبل.

لماذا سكّنت أمريكا عن هذا كلّهُ؟

لماذا لا تتحدّث عن الأقليّات الإسلاميّة؟

والأقليّات الإسلاميّة أقليّات ضخمة، بعضها عشرات الملايين.

المسلمون في الهند يُعتبرون أقلية، وهم أكثر من مائة وخمسين مليونًا! ماذا لهم؟ هل لهم وزراء؟ هل لهم أناس في السلطة السياسيّة؟ لا نعرف لهم أحدًا يمثلهم.

لماذا لا يذكرون هذا؟

يذكرونه فقط للتشويش على المسلمين.

ما رأينا المسلمين يَضطهدون أحدًا، لا في مصر، ولا في السُّودان.

في السُّودان نجد عددًا من الوزراء من المسيحيين في الجنوب، وأذكر مرّة ذهبت إلى ندوة هناك فكان الوزير الذي نجتمع تحت رايته من مسيحيي الجنوب.

لماذا يقال: إنّ السُّودانيين يَضطهدون المسيحيين، والمصريين يَضطهدون الأقباط، والماليزيين والإندونيسيين والسعوديين والإيرانيين...؟

هكذا، الآن أصبحت الحملة تشمل السعوديّة وتشمل إيران وتشمل عددًا من البلدان.

هل يريدون أن يغيّروا طبيعة هذه البلاد، أن يُسمح للتبشير - أو للتنصير - وأن تُفتح له الأبواب على مصاريعها ليغيّر أديان المسلمين وعقائدهم ونقول لهم: أهلاً ومرحباً؟ هل يسمح أي مجتمع بتغيير دينه بهذه السهولة؟ لا يقبل هذا أحد.

فكيف إذا كان هؤلاء تحوط بهم الشُّبهات؟

ليسوا دينيين مخلصين؛ إنَّهم يمثلون الجهات التي جاؤوا منها، يمثلون مطاعمها وأحلامها التوسعية في بلاد المسلمين.

لماذا لا يتحدّثون عن الفلسطينيين الذين يُضطهدون، والذين يُسجنون، والذين يُعتقلون، والذين تُكسّر عظامهم، والذين تُهدّم بيوتهم، والذين تُحاصر ديارهم، والذين تُصادر أرزاقهم؟ لماذا لا يتحدّثون عن هؤلاء؟

إذا كانوا هم حماة العدل - كما يزعمون - وأنَّهم مبعوثو العناية الإلهية في الأرض، وأنَّهم موكّلون بالحكم على البشرية كلّها بعد أن انفردوا بالقوة، فليحموا هؤلاء المستضعفين.

ونقول لهؤلاء: إن كنتم أصحاب قوّة فكونوا أصحاب عدل؛ فإنّ القوّة لا تدوم.

العدل إن دام عمّر، والظلم إن دام دمّر، والله تعالى «يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته» كما قال النبي ﷺ، ثمّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٨٦)، ومسلم في البرّ والصلة (٢٥٨٣)، عن أبي موسى.

إِنَّا - نحن المسلمين - سنظلُّ مُسْتَمْسِكِينَ بِدِينِنَا، بالعروة الوثقى لا انفصام لها، لن نبيع ديننا بِمُلْكِ المشرق والمغرب، لن نُفَرِّطَ فِي عَقَائِدِنَا مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الضَّغْطِ عَلَيْنَا، وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ التَّسَلُّطِ عَلَيْنَا.

الإسلام هو جوهر حياتنا وحقيقة وجودنا، نحن بالإسلام كلُّ شيء، وبغير الإسلام لا شيء، ولذلك سنظلُّ ثابتين على هذا الدين، لا نحيد عنه، ولا نُفَرِّطُ فِيهِ مَهْمَا تَكُنِ النَتَائِجُ، وَاللَّهُ مَعَنَا.

خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَتِنَا:

أَمَّا إِخْوَانُنَا الَّذِينَ يَعِيشُونَ بَيْنَنَا مِنَ الْمَسِيحِيِّينَ، فَهُمْ مَنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، الْقَاعِدَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَقُولُ: لَهُمْ مَا لَنَا وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْنَا.

فَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ، وَارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ عَنَّا وَعَنْ دِيَارِنَا، دَعُونَا نَتَعَاشِشَ مَعَ إِخْوَانِنَا.

وَإِذَا كَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ بَعْضُ الْمَشْكَلاتِ فَنَحْنُ جَدِيرُونَ أَنْ نَحْلُهَا مَعًا بَعِيدًا عَنْكُمْ، فِي ظِلِّ الْأُخُوَّةِ الْوُطْنِيَّةِ وَالْقَوْمِيَّةِ، نَحْنُ أَوْلَى بِحَلِّ مَشَاكِلِنَا، وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى وَصَايَةِ عَلَيْنَا؛ فَقَدْ بَلَّغْنَا الْأَشَدَّ، وَبَلَّغْنَا الرُّشْدَ، وَلَسْنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى أَوْصِيَاءَ.

هَذَا مَا نَقُولُهُ لِأُولَئِكَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَنْصُبُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْصِيَاءَ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا.

إِنَّ عِنْدَنَا مِنْ دِينِنَا وَمِنْ عَقِيدَتِنَا وَمِنْ شَرِيعَتِنَا وَمِنْ قِيَمِنَا وَمِنْ تَرَاثِنَا وَمِنْ مَصَادِرِنَا مَا يَكْفِينَا لِأَنْ نَسِيرَ عَلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْ نَهْتَدِيَ



سبلنا، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

ذريعة قتل السياح في بلاد المسلمين:

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قد يقول بعض النَّاس: أنت تقول: إنَّ المسلمين متسامحون، وإنَّ الإسلام دين التسامح، ولكن ها هي الأحداث تأتي يومًا بعد يوم لتدلَّ على أنَّ المسلمين متعصِّبون، وهم يقتلون الأجانب والسياح لغير ذنب اقترفوه، ولغير جرم ارتكبوه.

هم جاؤوا إلى بلادكم - أيُّها المسلمون - سائحين مستأمنين، فكيف قتلهم هؤلاء الذين يدَّعون أنَّهم مسلمون وأنَّهم جماعات إسلاميَّة؟

ونقول: إنَّ هذه الشريحة الضئيلة من الشَّباب لا تُمثِّل المسلمين، ولا تُمثِّل الإسلام.

هم شباب اختلط عليهم الأمر، التبس عليهم الحقُّ بالباطل، فسدت عقولهم، واختلَّ فقههم، ربَّما لم يكن الفساد في نياتهم وضمائرهم، ربَّما كان بعضهم مخلصين، ولكنَّهم ضلُّوا الطريق بفساد عقولهم، كما قال النَّبي ﷺ في أسلافهم قديمًا الخوارج، قال: «يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ إِلَى صَلَاتِهِمْ، وقيامه إلى قيامهم، وقراءته إلى قراءتهم»، ومع هذا وصفهم بأنَّهم: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، وقال: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»^(١)!

(١) سبق تخريجه ص ١٨.



أي: لا يتعمّق القرآن في أعماق عقولهم وقلوبهم، لم يفقهوا القرآن وإن كانوا يتلونونه بألسنتهم، ولكنها تلاوة لا تُؤثّر في العقول.

فساد هؤلاء في أفهامهم.

فهم ليسوا حُجّة على الأُمّة، ولا حُجّة على الإسلام، بل الإسلام حُجّة عليهم.

ثم إنّ هناك أسباباً أخرى^(١) اختلطت فيها أشياء بأشياء:

اختلط الثّار، الثّار من الدولة والثّار من النّاس، اختلط هذا بذلك.

معظم هؤلاء الشّباب في مصر من الصّعيد، ونحن نعرف أنّ الصّعيد عنده عادات وتقاليده، ويرى الثّار هذا من الكرامة، ولا يمكن أن يحيا الإنسان إذا لم يأخذ ثاره إلخ، إنّهُ لا يُعدّ في الرجال!

اختلطت هذه الأمور، وأدخلوها في الدّين، وألبسوها لباس الدّين.

براءة الإسلام من الأعمال الإرهابيّة:

ونحن نقول: إنّ الدّين من هذا براء.

ما ذنب السّائح الذي جاء من اليابان أو من كوريا أو من سويسرا أو من ألمانيا ليسيح في مصر؟

ما ذنبه حتّى نسفك دمه ونقطع رقبتَه؟

هَبْ أنّ بينك وبين الحكومة خلافاً، تُصَفّي خلافاً على حساب هذه الأرواح البريئة؟!

(١) انظر: أسباب العنف في العالم الإسلامي في كتابنا: الصحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٩٦، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



إِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يُجْزَ فِي حَالِ الْحَرْبِ الشَّرْعِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مُحَارِبِيهِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْتُلَ إِلَّا مَنْ يِقَاتِلُ.

لَمْ يُجْزَ قَتْلُ امْرَأَةٍ، وَأَنْكَرَ النَّبِيُّ قَتْلَ الْمَرْأَةِ فِي الْحَرْبِ وَقَالَ: «مَا كَانَتْ هَذِهِ لِتُقَاتَلَ»^(١).

وَنَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ وَالشُّيُوخِ^(٢)، وَنَهَى عَنْ قَطْعِ الْأَشْجَارِ وَهَدْمِ الْبَنَاءِ^(٣).

الحرب لمن يقاتل:

وَجَاءَ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ فَنَهَوْا عَنْ قَتْلِ الرِّهْبَانِ فِي الصَّوَامِعِ، وَنَهَوْا عَنْ قَتْلِ الْفَلَاحِينَ فِي الْمَزَارِعِ.

فَكَيْفَ اسْتَجَازَ هَؤُلَاءُ أَنْ يَقْتُلُوا هَؤُلَاءَ وَلَا ذَنْبَ لَهُمْ؟

مَا ذَنْبَ هَؤُلَاءِ السَّتِّينَ مِنَ السُّيَّاحِ الَّذِينَ كَانُوا فِي الْأَقْصَرِ حَتَّى يَطْلُقَ عَلَيْهِمُ الرِّصَاصُ أَوْ الْقَنَابِلُ أَوْ يَقْتُلُوا بِالْخَنَاجِرِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ؟

وَمَا ذَنْبَ عَدَدٍ مِنَ الْمَصْرِيِّينَ - أَيْضًا - كَانُوا مَعَهُمْ؟

إِنَّ هَذِهِ الْعَمَلِيَّاتِ لَا تُمَثِّلُ الْإِسْلَامَ، وَلَا تُمَثِّلُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَيْسَ هَؤُلَاءُ هُمُ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ جُمْهُورَ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

هَذَا فَصِيلٌ شَارِدٌ عَنِ الصَّحْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَأَصْبَحَ مَنْعَزًا عَنِ النَّاسِ.

(١) سبق تخريجه ص ٢٠.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٣٠١٤)، ومسلم (١٧٤٤)، كلاهما في الجهاد والسير، عن ابن عمر.

(٣) رواه مالك في الجهاد (١٦٢٧)، تحقيق الأعظمي، والبيهقي في السير (٨٩/٩)، عن أبي بكر موقوفًا عليه.

إنَّما الَّذي يمثِّل جمهور الصَّحوة هو جمهور الوسطية الإسلامية،
الَّذين يتعاملون مع النَّاس بِسماحة، ويتعاملون بعدل الإسلام
وسماحة الإسلام.

هؤلاء هم الَّذين يمثِّلون الإسلام بحق^(١).

الحوار مع جماعات العنف:

ونحن وإن كنَّا نُنكر على هؤلاء الشباب، وندين عملهم، ونقول: إنَّه
ليس من الإسلام، ولا يمتُّ إلى الإسلام بِصلة، ونحن برآء من أيِّ دمٍ
يسفك بغير حقٍّ - الإسلام يرفع دم الإنسان بل الحيوان، حتَّى إنَّ
النَّبي ﷺ يقول عن امرأة تركت هرة حتَّى ماتت إنَّها من أهل النَّار:
«دخلت امرأة النَّار في هرة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من
خشاش الأرض حتَّى ماتت»^(٢). هرة! فما بالك بالإنسان المكرَّم؟! - نحن
وإن كنَّا ندين هؤلاء وننكر عليهم أشدَّ الإنكار، نطالب بالحوار معهم.

لا بدَّ أن يحاور هؤلاء - مشكلة هؤلاء مشكلة فكريَّة، مشكلة في
عقولهم، وسيظلُّ هؤلاء موجودين، فلنحاول أن نعالج المشكلة من
جذورها - يُحاورهم علماء لا يُتهمون بأنَّهم من علماء السلطة أو من
عملاء الشرطة، علماء يثق هؤلاء الشَّباب بدينهم وعلمهم، ويحاولون أن
يردُّوهم إلى الصُّراط المستقيم، ويقيموا عليهم الحُجَّة أمام أنفسهم وأمام
النَّاس، وبعد ذلك يُعلن الأمر واضحًا بيِّنًا.

(١) انظر: معالم تيار الوسطية في كتابنا: الصَّحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد
ص ٢٥٤ - ٢٧٦.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٣١٨)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٦١٩)، عن
أبي هريرة.

أعتقد أن من مصلحة الأوطان، ومصلحة الأمة، ومصلحة الإسلام نفسه، أن نفعل ذلك، حتّى نكون على بينة^(١) ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

إنّ هؤلاء الشباب يُسيئون إلى أنفسهم، ويُسيئون إلى وطنهم، ويُسيئون إلى أمّتهم، ويُسيئون إلى دينهم، يُسيئون إلى الإسلام، يُشوّهون صورة الدّين عند النّاس، فيقول النّاس: المسلمون وحوش مُفترسة، والإسلام غول مُفترس.

والإسلام مظلوم، والمسلمون مظلومون، وهؤلاء لا يُمثّلون إلّا أنفسهم. نسأل الله تعالى أن يُنير طريقهم، وأن يَهْدِيَهُمْ سُبُلَهُمْ، وأن يردّهم عن غيِّهم، وأن يُهيئَ لهذه الأمّة من أمرها رشداً.

(١) قد حدثت محاورات مع هؤلاء الشباب بالفعل، انتهت بأن راجعوا أنفسهم، وأصدروا عدداً من الكتب سموها: «سلسلة تصحيح المفاهيم» أعلنوا فيها بشجاعة: رجوعهم عن الكثير من آرائهم القديمة، هذا ما فعلته «الجماعة الإسلامية»، ثم تلتها «جماعة الجهاد».



وقفات مع حجاج بيت الله الحرام

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

نفحات أيام مباركة:

في هذه الأيام الكريمة التي تعتبر من أحبِّ الأيام إلى الله تعالى، والعمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله ممَّا سواها من الأيام^(١)، وهي أيام عشر ذي الحجة، التي شرع الله فيها للإنسان أن يزداد تقربًا إليه سبحانه بالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد^(٢) والصدقة وفعل الخيرات وبالصيام، فقد شرع الله فيها الصيام، وأوكدها - بلا شك - هو صيام

(١) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُّ إلى الله تعالى من هذه الأيام» يعني: أيام العشر. قالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ثم لم يرجع من ذلك بشيء» رواه البخاري في العيدين (٩٦٩)، وأحمد (١٩٦٨).

(٢) عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحبُّ إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثرُوا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير». رواه الطبراني (٨٢/١١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٩٣٢): رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترعيب (١٢٧/٢).

التاسع من ذي الحجة «يوم عرفة» أفضل أيام السنة على الإطلاق، كما أن ليلة القدر هي أفضل ليالي السنة على الإطلاق، وقد قال النبي ﷺ: «صيام يوم عرفة إنني أحاسب على الله أن يكفر السنة التي قبله والسنة التي بعده»^(١) يعني: الصغائر من الذنوب؛ فإن الكبائر لا يكفرها إلا الندم والتوبة النصوح، وقد قال ﷺ فيما رواه مسلم في «صحيحه»: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفّرات لما بينهنّ إذا اجتنبت الكبائر»^(٢).

في هذه الأيام المباركة - أيها الإخوة المسلمون - تهبّ علينا روائح الحجيج، تهبّ علينا نسيمات الحجّ، تأتي عاطرة من الأرض المقدّسة، من مكة المكرمة.

تهبّ علينا هذه النفحات والنسمات لنستنشق عبيرها، ونعيش في هذه الأجواء الربّانية، أجواء تلك الشعيرة وتلك الفريضة العظيمة، التي هي الركن الخامس من أركان الإسلام: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾، أي: أعرض عن الحجّ، فوضع الله هذه الكلمة، كلمة الكفر موضع الإعراض عن الحجّ؛ ليخوّف بها من لم يشتق إلى الحجّ، من لم تهف نفسه إلى أداء هذه الفريضة المقدّسة، من لم يصطحب فيه الحجّ إلى بيت الله الحرام.

(١) رواه مسلم (١١٦٢)، وأبو داود (٢٤٢٥)، كلاهما في الصوم، عن أبي قتادة.

(٢) رواه مسلم في الطهارة (٢٣٣)، وأحمد (٨٧١٥)، عن أبي هريرة.



عبادات الإسلام المائيّة والبدنيّة:

إنَّ الإسلام قد شرع لنا فرائض وشعائر وعبادات، بعضها يسميه العلماء: عبادات بدنيّة، وبعضها يُسمُّونه: عبادة مائيّة، وبعضها يعتبرونه جامعًا بين البدنيّة والمائيّة.

الصَّلَاة عبادة بدنيّة تُؤدِّيها ببدنك، وكذلك الصَّوْم، وإن كانت الصَّلَاة فعلاً والصَّوْم تركاً، الصَّوْم إمساك عن شهوتي البطن والفرج لله تعالى، ولكنّه عبادة بدنيّة.

والزَّكَاة عبادة مائيّة، المال شقيق الروح، الإنسان يبذل المال لله تعالى؛ ليزكي بذلك نفسه، ويطهر ماله، وينتصر على الشحّ الغالب على النَّاس: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النِّسَاء: ١٢٨]، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإِسْرَاء: ١٠٠]، وصدق الله العظيم.

الحجُّ عبادة مائيّة بدنيّة:

أمّا الحجُّ فهو عبادة جامعة بين الأمرين: عبادة بدنيّة، وعبادة مائيّة. الإنسان بالحجِّ يجتهد، ويجهد، ويكدح ببدنه، وينتقل من وطنه إلى تلك الأراضي المقدّسة، ويحيا حياة بسيطة أشبه بحياة الكشّافين في الخيام، وقد ينام على الأرض وعلى التراب، ويتحرّك طائفاً بالبيت ساعياً بين الصفا والمروة، كلّها تحتاج إلى جهد بدني وسعي حركي. وهي من ناحية أخرى تقتضي مالا، لا بدّ للإنسان أن يحتاج إلى مال حتّى يسافر إلى تلك الأراضي، لم يكلفه الله أن يذهب ماشياً، إنّما يذهب راكباً. ولذلك اعتبر في الاستطاعة السبيل إلى الحجّ: أن يملك الزاد والراحلة.

وإذا أردنا أن نُعبّر تعبيرًا عصريًا عن الزاد والراحلة قلنا: أن يملك نفقات السفر، ونفقات الإقامة في الأرض المُقدَّسة خلال الفترة اللازمة له، على ما يليق بحاله، من غير إسرافٍ ولا تقتيرٍ.

قد يستطيع بعض النَّاس أن يركب الحافلة «الباص»، والآخر يركب السيَّارة ويذهب، وآخر لا يستطيع إلَّا أن يركب الطَّيَّارة، وآخرون يركبون البواخر والسفن.

لا بدَّ أن يملك نفقات السفر على ما يليق بحاله، ويملك نفقات الإقامة - أيضًا - على ما يليق بحاله، ويترك لأولاده ما يكفيهم حتَّى يعود، لا يدعهم دون شيء.

لذلك كان الحجُّ عبادةً بدنيَّةً وماليَّةً.

ولأنَّها عبادة مكلفة إلى هذا الحدِّ، جعلها الله مرَّةً واحدة في العمر. نجد الصَّلَاة في كلِّ يوم خمس مرَّات، والزَّكاة حولية، في الحَوْل مرَّةً، أو عندما يحصد الإنسان الثمر: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]، والصَّيَّام في كلِّ عام شهر، أمَّا الحجُّ فيجب في العمر مرَّةً واحدة.

ولهذا كان السلف رضوان الله عليهم يسمُّون الصلوات الخمس ميزان اليوم، إذا استقامت لك صلوات وأدَّيتها في أوقاتها، وأدَّيتها بشروطها وأركانها وآدابها وخشوعها، فقد استقام ميزان يومك.

وكانوا يسمُّون الجمعة ميزان الأسبوع، وشهر رمضان ميزان السَّنة، والحجَّ ميزان العمر.

قال النَّبي ﷺ: «أيها النَّاس، قد فرض الله عليكم الحجَّ فحجُّوا».

فقال رجل: أكلُ عام يا رسول الله؟

فسكت، حتَّى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم...»^(١).

إنَّما فرض الله الحجَّ في العمر مرَّة واحدة؛ تيسيرًا على النَّاس، وتخفيفًا عنهم.

وهكذا التكاليف في هذا الدين، لا يمكن أن تكلف الإنسان ما ليس في وسعه وما يخرجه في دنياه أو في دينه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

بعض حكم فريضة الحج^(٢):

فرض الله الحجَّ على من استطاع إليه سبيلاً لحكم عظيمة؛ ليستطيع المسلم أن يحقق القيم والمبادئ والمعاني التي جاء بها هذا الدين، يحققها مطبقة في واقع الحياة.

الانقياد والخضوع لله تعالى:

١ - جاء الإسلام بالعبودية لله تعالى، أن يقول الله تعالى: أمرتُ وحكمتُ، ويقول العبد: سمعتُ وأطعتُ.

أمرك الله أن تذهب إلى هذه الأرض فتسمع وتطيع، تطوف بالبيت سبْعًا لا خمسًا ولا عشْرًا، سبْعًا يعني سبْعًا، تبدأ من الحجر الأسود، لا يُحسب لك الطَّواف إلَّا من عند الحجر الأسود.

(١) رواه مسلم في الحجَّ (١٣٣٧)، وأحمد (١٠٦٠٧)، عن أبي هريرة.

(٢) راجع ما ذكرنا في كتابنا: العبادة في الإسلام ص ٢٣٨، نشر مكتبة وهبة، ط ٢٩، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

وليس الحجر الأسود كما يزعم بعض المُبَشِّرِينَ معبودًا عند المسلمين.

لا، الحجر الأسود هو بداية الطواف.

المسلمون لا يعبدون الحجر ولا يعبدون الكعبة، إنما هي رموز كما قال الشاعر قديمًا:

أُمِرُّ عَلَى الدَّيَّارِ دِيَّارٍ لَيْلَى أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارِ وَذَا الْجِدَارَا
وما حُبُّ الدَّيَّارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدَّيَّارَا^(١)

المسلم حين يطوف بالبيت ويُقَبِّلُ الحجر أو يستلمه بيده أو يشير إليه يقول: باسم الله والله أكبر، وبعض الناس يقول: اللهم إيمانًا بك - أي: لا بالحجر ولا بهذه الأشياء - وتصديقًا بكتابك ووفاء بعهدك.

المؤمن يطوف بهذا البيت امتثالًا لأمر الله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

يطوف بهذا البيت سبعا داعيًا الله تعالى خصوصًا بين الركن اليماني والحجر الأسود حيث كان النبي ﷺ يدعو بهذا الدعاء القرآني، الذي ما كان أكثر ما يدعو الله تعالى به: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

المسلم يطوف بالبيت، ويُصَلِّي ركعتين خلف مقام إبراهيم، والمسجد كله مقام إبراهيم، لو صَلَّى في أيِّ مكان في المسجد أجزاءه، يُصَلِّي صلاة خفيفة؛ حتَّى لا يؤذي النَّاسَ ولا يُضَيِّقَ عليهم، يقرأ في

(١) من شعر قيس مجنون بني عامر. انظر: خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب (٣٨١/٤)، نشر

مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



الركعة الأولى: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [سورة الكافرون] بعد الفاتحة، وفي الركعة الثانية يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص].

ثم يشرب من ماء زمزم، ويدعو الله عند شربه: اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً واسعاً، وشفاء من كل داء.

ثم يذهب إلى الصفا والمروة، يقف على تلك الهضبة التي وقف عليها محمد ﷺ، فقد وقف على هضبة الصفا وتلا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، ثم قال: «أبدأ بما بدأ الله به»^(١) هكذا قال رسول الله ﷺ. الله بدأ بالصفا: ﴿إِنَّ الصَّفاَ وَالْمَرْوَةَ﴾ فبدأ بما بدأ الله به، وسعى الأشواط السبعة، وانتهى بالمروة.

وبين الميَلَيْنِ الأخضرين هناك علامة ظاهرة بارزة يركض بينهما، يسعى، يكون أسرع في المشي، تذكيراً لما حدث لأم إسماعيل عليهما السلام «هاجر» حينما كانت تسعى تطلب الماء لطفلها الرضيع ملهوفة تدعو الله، حتى فجر الله الأرض من تحت أقدامه وكانت «زمزم».

الحج هو معايشة للذكريات القديمة والحديثة: الذكريات الإبراهيمية من قديم، والذكريات المحمدية من جديد.

المسلم يعيش في تلك الأيام مع إبراهيم عليه السلام، ومع محمد ﷺ، مطيعاً لله تعالى.

رمى إبراهيم الجمرات حينما أراد الشيطان أن يوسوس له وأن يغيره بعدم ذبح ابنه إسماعيل، فرماه بالجمرات.

(١) رواه مسلم في الحج (١٢١٨)، وأحمد (١٤٤٤٠)، عن جابر.

فالمسلم يطيع الله تعالى ويتعبد له برمي الجمرات.

يقول بعض الناس: وما قيمة أن يرمي الإنسان حصيات؟

هو يجسد الشرّ ثم يرمي هذا الشرّ، هو رمز لإعلان المقاومة، للإصرار على محاربة الباطل والشرّ والطاغوت.

وهكذا يتمثل الناس هذا الأمر، حتّى إنّ الناس يقولون عن الجمرات: إبليس الأكبر، وإبليس الأوسط، وإبليس الصغير، أو الجد والابن والحفيد، الناس يتصوّرون إبليس فيرمونه بالحصيات، وبعضهم يرميه بنعله إلخ.

الحجّ مليء بهذه اللّغة الرمزيّة، والرمزيّة لغة عالميّة، يستطيع كلّ إنسان أن يفهمها، وأن يفهمها.

هكذا الحجّ، هو تجسيد لمبدأ العبوديّة لله، والطاعة لله، يقول الله: أمرت، ويقول العبد: سمعت وأطعت يا رب. هكذا علّمنا الإسلام.

هل في الحجّ شوائب من الجاهليّة؟

بعض الأفّاكين يقولون: إنّ الحجّ الإسلامي فيه خليط ممّا كان عليه أهل الشّرك في الجاهليّة.

لا، بالعكس، لقد نقيّ الإسلام الحجّ من كلّ الشوائب الجاهليّة وأرجاسها.

كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلّا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك.

يعنون: الأصنام.

فأبطل الإسلام هذه التلبية وأبدلها بقوله: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لبيك، إِنَّ الحمد والنَّعمة لك والملك، لا شريك لك.

أبطل الإسلام حجَّ المشركين وطواف المشركين؛ فقد كانوا يطوفون بالبيت عرايا كما ولدتهم أمهاتهم، عوراتهم مكشوفة حتَّى النساء!

هذه الأشياء منعها الإسلام: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّ شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨].

جاء الإسلام وأبطل ذلك في الحجة التي حجَّ فيها أبو بكر رضي الله عنه، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلن على النَّاس هذه المبادئ الأساسية: «لا يحجُّ بعد العام مُشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»^(١).

الوحدة والتآلف:

٢ - في الحج - أيضًا - نتعلَّم معنى «الوحدة».

الله تعالى يجمع المسلمين من أنحاء الأرض، من المشرق والمغرب، من العجم والعرب، اختلفت ألوانهم ما بين أبيض وأسود، واختلفت أجناسهم، واختلفت طبقاتهم، واختلفت أوطانهم، ولكنهم جاؤوا جميعًا، صهرهم الإسلام في بوتقة واحدة، ربهم واحد، نبهم واحد، كتابهم واحد، قبلتهم واحدة، شعارهم واحد، نداؤهم واحد: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريك لك لبيك، إِنَّ الحمد والنَّعمة لك والملك، لا شريك لك.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٣٦٩)، ومسلم في الحج (١٣٤٧)، عن أبي هريرة.

جاء الإسلام لِيُجَسِّد وحدة المسلمين بهذه الفريضة.

الوحدة الإسلامية تتجلى في هذا الحج.

في هذا الموسم العظيم لا فرق بين مسلم ومسلم في هذه المناسك وأمام بيت الله الحرام، كلهم سواء.

عالمية الإسلام تتجسد في هذه الفريضة، الله تعالى يقول لرسوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿قُلْ يَتَائِبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

هذه العالمية تتجسد في الحج أوضح ما تكون، وأجلى ما تكون، هذا هو الدين العالمي، دين الأبيض والأسود، دين الشرقي والغربي، دين كل العروق والألوان واللغات والأقاليم.

هذا مؤتمر للمسلمين في أنحاء الأرض لم يدع إليه ملك ولا رئيس، ولا أمير ولا وزير، إنما دعا إليه ربُّ العباد، دعا إليه الله تعالى من فوق عرشه، دعا الناس جميعاً إلى هذا المكان الذي تتجسد فيه عالمية الإسلام. مليونان من الناس أو أكثر يلتقون في هذه الأرض المقدسة؛ ليؤدوا هذه المناسك، ويؤدوا هذه الشعيرة، ابتغاء وجه الله تعالى.

السَّلام:

٣ - من المعاني التي يُجسِّدها هذا الحج: السَّلام، الحجُّ رحلة سلام، يسالم الإنسان فيها الناس، حتَّى الجدال ممنوع في الحج: ﴿فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]. لا تجادل صديقك ولا رفيقك،

لا تجادل من تشتري منه أو تبيع له، كن سهلاً هيناً ليناً سمحاً حتى تمرّ هذه الرحلة بسلام.

سلام حتى مع الحيوانات، لا يجوز له أن يصطاد صيداً من البرّ، لا يصطاد أرنباً ولا حبارى ولا غزالاً ولا شيئاً من هذا ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] إلى آخر الآية الكريمة.

يريد أن يكون المسلم سِلماً في هذه البلدة المحرّمة، سِلماً للحيوانات، وسِلماً حتى للنباتات، مكّة لا يُقطع نباتها ولا حشائشها، إلّا الإذخر الذي يحتاج النَّاسُ إليه للحطب وللإشعال وغير ذلك، فالمسلم في رحلة سلام، والحجّ تدريب على السّلام.

لا يجوز القتال في أشهر الحجّ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهُدَى وَلَا أَلْقَافًا﴾ [المائدة: ٢].

هكذا أراد الإسلام: أن يعود المسلمين أن يعيشوا في مناطق كلّها سلام، وفي أشهر كلّها سلام، وفي حالة - وهي حالة الإحرام - كلّها سلام، إلّا إذا اعتدي عليهم، إذا اعتدي عليهم دافعوا عن أنفسهم، ولذلك النبي ﷺ حارب وقاتل في الأشهر الحُرْم؛ لأنّه بُدئ قبل الأشهر الحُرْم، فكان لا بدّ أن يدفع عن نفسه، وأن يستمرّ القتال ولو جاء في الأشهر الحُرْم، إنّما لا يبدأ المسلمون بقتال في الأشهر الحُرْم ﴿لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

المساواة:

٤ - من المبادئ التي تتجسّد في فريضة الحجّ: مبدأ المساواة، قيمة المساواة.

جاء الإسلام ليُزيل الفوارق، ليُحطِّم هذه الفوارق التي ميّزت بين الناس، بأجناسهم، بألوانهم، بطبقاتهم، بأقاليمهم، بأمور شتى فرّقت بين الناس بعضهم وبعض.

جاء الإسلام ليعلن المساواة بين الناس: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحُجرات: ١٣].

كلُّ عبادات الإسلام وفرائضه وشعائره تؤكِّد معنى المساواة.

الصَّلَاة نفسها هي دعوة إلى المساواة، تحقيق للمساواة، فلا يوجد في المسجد لائحة تقول: الصف الأول للوزراء، والصف الثاني لوكلاء الوزارات، والصف الثالث لمديري العموم، لا يوجد هذا، من سبق إلى مكان فهو أحقُّ به^(١).

ولكن يبقى في المسجد مكان للتمييز، هذا يلبس دشدشة، وهذا يلبس قميصًا وبنطلونًا، وهذا عاري الرأس، وهذا يلبس قلنسوة، وهذا يلبس عمامة.

النَّاس يختلفون في أزيائهم من بلد إلى بلد، ومن مهنة إلى مهنة.

أشياء كثيرة تفرِّق بين النَّاس، تطلُّ هذه في المسجد وفي الصَّلَاة.

ولكن عندما يذهب النَّاس محرمين للحجِّ: يخلعون هذه الأشياء كلّها، ويلبسون ثيابًا بسيطة بيضاء، أشبه ما تكون بأكفان الموتى، كأنما تذكّر النَّاس بالآخرة، تذكّر النَّاس بعرصات الحساب.

(١) راجع ما ذكرناه في كتابنا: العبادة في الإسلام ص ١٨٩ وما بعدها، تحت عنوان: المسجد ورسالته في الحياة.

يخلع النَّاسُ الأشياءَ الَّتِي تَمَيِّزُ بعضهم من بعض، وهناك ترى النَّاسَ وهم يلبسون هذه الثياب فلا تَمَيِّزُ أَمِيرًا من مأمور، ولا مرؤوسًا من رئيس، ولا غنيًّا من فقير، ولا وزيرًا من خفير، كلُّهم سواسية.

ومن هنا أعلن النبي ﷺ للنَّاسِ في عرفة: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ واحد، وَإِنَّ أَبَاكُمْ واحد، أَلَا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إِلَّا بالتقوى ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ﴾ [الحُجرات: ١٣]، أَلَا هل بَلَّغْتُ؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدَ الْغَائِبَ»^(١).

«إِنَّ رَبَّكُمْ واحد، وَإِنَّ أَبَاكُمْ واحد». الجميع مشتركون في العبودية لله والبنوة لآدم.

هكذا جاء الحجُّ يؤكِّد معنى المساواة الَّتِي تَمَيِّزُ بها الإسلام.

الحضارة القائمة حضارة تمييز عُنصري ولوني، حتَّى الكنائس عند الغربيين هناك كنائس للبيض وكنائس للسود، لا يعرفون المساواة، حتَّى الشيوعيون الَّذِينَ زعموا أَنَّهُمْ جاؤوا بالمساواة، وضَحُّوا بالحرية من أجل المساواة لم يحققوها، وحينما كان بعض الطلاب الأفارقة يدرسون في «موسكو» أيام استعلاء الشيوعية أَحَبَّ شابٌّ إفريقي فتاة روسية وأحبَّته، فكانت النتيجة أَنَّ غضب الطلاب البيض وقتلوا هذا الشاب الإفريقي! وهناك غضب له إخوانه وسيَّروا له مظاهرة تهتف بسقوط العنصرية

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠)، عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

والتمييز، فقام الطلاب البيض بمظاهرة مضادة يقولون لهم: عودوا إلى غاباتكم أيها القروء!

هذه هي النظرة الشيوعية إلى الشعوب الإفريقية التي كانوا يزعمون الدفاع عنها.

الإسلام هو الذي حقق المساواة بين الناس بعضهم وبعض، هي مساواة حقيقية.

عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيّدنا وأعتق سيّدنا^(١).

يقصد أعتق بلالاً رضي الله عنه.

وكلّ المسلمين في أنحاء الأرض يعظمون بلالاً رضي الله عنه، ويقولون: رضي الله عنه مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هذا ما جاء به الإسلام في فريضة الحجّ.

الحجّ فريضة عظيمة يحقّق الإسلام بها للمسلمين هذه المكاسب في حياتهم، خصوصاً المكسب الروحي.

المسلم ترتفع روحانيته، ترتفع موجة الإيمان في قلبه حينما يذهب إلى هذه البلاد مليئاً ذاكرًا طائفاً ساعياً راکعاً ساجداً داعياً لله تعالى، يحسّ بشحنة إيمانية أقوى من الشحنة العادية.

ولهذا يذهب كثير من النّاس عصاة ويعودون تائبين من أثر هذه الشّحنة، وكثير من النّاس يعلّق توبته على الحجّ، يقول: إن شاء الله ناوي أحجّ ثمّ أعود تائباً.

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٣٧٥٤)، عن جابر.

وتنوي بعض النساء أن تذهب إلى الحج وتعود محجبة وبعيدة عن
العري وعن الكاسيات العاريات إلخ.

الحج المبرور وشروطه:

الحج يعطي المؤمن هذه الشحنة، خصوصاً الحج المبرور الذي قال
فيه ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له
جزاء إلا الجنة»^(١).

فما هو الحج المبرور الذي يدعو الناس بعضهم لبعض فيقولون: جعل
الله حجك مبروراً، وسعيك مشكوراً، وذنبك مغفوراً؟ ما هو الحج المبرور؟
الحج المبرور له مقومات وشروط:

١- المال الحلال:

أول هذه الشروط: أن يكون من مال حلال.

بعض الناس يذهب فيكسب أمواله حيثما اتفق، بل يخطط لكسب
المال من الحرام، من الربا، من الرشوة التي كثيراً ما يسمونها: «العمولة»،
من هذه الأموال التي تؤكل بالباطل، لم تكد فيها يمينه، ولم يعرق فيها
جبينه، جمع هذه الثروة من هنا وهناك، وكما جاء في حديث البخاري:
«يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام»^(٢).

هذا الذي يأكلها «والعة» متأججة يأتي بعد ذلك ويقول: أذهب إلى
بيت الله الحرام لأطهر نفسي!

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩)، كلاهما في الحج، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

لا يطهرك الحج ولا العمرة ولا الصيام ولا القيام، إلا أن تردّ الأموال إلى أصحابها، إلا أن تتطهر من هذا المال الحرام؛ فإن الله لا يقبل صدقة من غلول^(١)، لا يقبل الله الصدقة من المال الحرام، ولا الحج من المال الحرام. وجاء في بعض الأحاديث: أن الإنسان إذا كسب ماله من حرام وحج من حرام وقال: لبيك اللهم لبيك. قيل له: لا لبيك ولا سعديك وحجك مردود عليك، ارجع مأزورًا غير مأجور^(٢).

هذا الذي يحج من المال الخبيث لا يستجاب له، ولا يقبل منه، حجه مردود عليه، ويقول الشاعر:

إِذَا حَجَّجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنَسٌ فَمَا حَجَّجْتَ وَلَكِنْ حَجَّتِ الْعِيرُ^(٣)!

الجمال الذي حججت عليه هو الذي حج، إنما أنت لم تحج.

الآن نقول: السيارة هي التي حجّت، أو الطائرة هي التي حجّت، أمّا أنت فلم تحج.

لا يقبل الإسلام أن يأكل الإنسان مال الناس بالباطل، وبأي طريق، ثم يقول: أذهب إلى الحج أو العمرة، أو أبني مسجدًا لله، أو أكفل الأيتام. لا، أكفل من مالك لا من مال غيرك، هذا المال ليس ملكك، تطهر منه قبل كل شيء.

أول شروط الحج المبرور: أن يكون من مال حلال.

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤)، وأحمد (٤٧٠٠)، عن ابن عمر.

(٢) رواه ابن مردويه في ثلاثة مجالس من الأمالي (٤٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠٩١)، عن عمر بن الخطاب مرفوعًا.

(٣) البيت لأبي الشمقمق مروان بن محمد. انظر: معجم الشعراء ص ٣٩٧، نشر مكتبة القدسي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.



٢ - إخلاص النية لله:

وثاني الشروط: أن يُخلص النية لله، يجعل نيته لله تعالى، لا رياء ولا سُمعة، لا ليكون اسمه: الحاج أحمد.

لا، اجعل نيتك لله، حُجَّ لله تعالى: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...»^(١)، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢].

فلا بد أن تجرّد نيتك، وتحرّر بواعثك، من كلّ هذه الشوائب التي تشوب الإخلاص لله تعالى.

بعض الناس لا يخلص النية لله، تشوبها بعض الشوائب.

ذهب بعضهم لیسلم على حاجّ جاء من هذه الرحلة، فأراد أن يُعرّف زائرَه أنه حجّ مرّات فقال: هاتوا لنا طبق كذا، فجاؤوا بطبق، قال: هذا طبق من الحجّة السابعة، هاتوا طبقاً من الحجّة الجديدة هذه!

يريد أن يُعرّف أنه حجّ مرّات ومرّات، وبهذا يبطل عمله - والعياذ بالله، ﴿كَأَلَيْدِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤].

النية، النية أساس قبول العمل، الإخلاص لله تعالى.

٣ - تجنّب الرّفث والفُسوق والجدال:

الأمر الثالث: أن يسلم حجّه من الرّفث والفُسوق والجدال، كما قال الله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر بن الخطاب.



الرَّفَث: ما يتعلَّق بالأُمُور الجَنَسِيَّة، يجب أن ينزَّه الإنسان نفسه
ولسانه من هذه الأُمُور خصوصًا ما دام في حالة الإحرام.

﴿وَلَا فُسُوقَ﴾: لا يرتكب المعصية، المعصية محرَّمة في كلِّ وقت،
ولكن في هذا الوقت تزداد حُرمتها، وتتضاعف عقوبتها.

﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾: ليكون رحلة سماحة، ومسالمة.

ولذلك جاء في الحديث الصحيح: «من حجَّ فلم يرفث، ولم يفسق،
رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمُّه»^(١)، ميلاد جديد للإنسان، وإذا حجَّ حَجًّا
مبرورًا تطهَّر، وُلد من جديد.

فليعد ليبدأ صفحة جديدة مع الله.

من كان معوجًّا قبل الحجِّ فليستقم بعد الحجِّ، من كان عاصيًا قبل
الحجِّ فليتُبَّ بعد الحجِّ، من كان متنجِّسًا بالمعاصي والقاذورات قبل
الحجِّ فليتطهَّر بعد الحجِّ، لتتغيَّر حياته.

هكذا ينبغي أن يكون المسلم الذي يحجُّ.

لقد أثر الحجُّ في حياة المسلمين من قديم، وكان الحجُّ يكلف
الإنسان كثيرًا، لم يكن كهذا العصر، الآن ساعتان وتكون في جُدَّة،
النَّاس كانوا يأتون من بلاد بعيدة.

رأى بعض العلماء أحد النَّاس يطوف وهو ينشد ويقول:

زُرْ مَنْ تُحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ وَحَالُ مَنْ دُونَهُ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ
لا يَمْنَعُكَ بُعْدٌ عَنْ زِيَارَتِهِ إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٥٢١)، ومسلم (١٣٥٠)، كلاهما في الحجِّ، عن أبي هريرة.

فعرف أنّه جاء من مكانٍ بعيد، فقال: من أيّ البلاد جئت؟

قال: من كذا وكذا... من الصين أو نحوها.

قال: ومتى خرجت؟

قال: أترى رأسي ولحيتي الآن؟

قال: نعم أراها بيضاء ليس فيها شعرة سوداء.

قال: خرجت من بلدي وليس فيّ شعرة بيضاء^(١)!

لأنّه كان يذهب ويعمل في الطريق، كلّما نزل بلدًا عمل بها، بلد ترفعه وبلد تحطّه - كما يقولون - حتّى يصل.

الآن يسّر الله أمر الحجّ.

أثر الحجّ في الشخصية المسلمة:

الحجّ له أثر بالغ في حياة المسلمين، حتّى إن رئيس البعثة التبشيرية في مصر في أوائل هذا القرن كتب تقريرًا عن الحالة الإسلامية في مصر، قال في ختام هذا التقرير: سيظلّ الإسلام في مصر صخرة عاتية تتحطّم عليها محاولات التبشير المسيحي ما دام للمسلمين هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر (أي: العلماء الذين يُعلّمون الناس)، واجتماع الجمعة الأسبوعي (الذي يجمع المسلمين على موعظة وعلى ذكر الله تعالى)، ومؤتمر الحجّ السنوي (يذهب المسلم عاصيًا ويرجع مطيعًا، يرجع بشحنة قويّة) فهكذا قرّر هؤلاء.

(١) تفسير النسفي (٤٣٦/٢)، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار الكلم الطيب، بيروت، ط ١،

الحجُّ هو من المؤثرات التي تبقى على الشخصية المسلمة، تبقى عليها مستقيمة مع أمر الله.

يا أيُّها الإخوة، هذه بعض لمحات عن تلك الفريضة العظيمة التي خصَّنا الله بها - نحن المسلمين - لنشهد منافع لنا: منافع دينية ومنافع دنيوية، منافع فردية ومنافع اجتماعية، منافع اقتصادية ومنافع رُوحية، ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ [الحج: ٢٨].

نسأل الله تعالى أن يجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل. أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

اغتيال إسرائيل لقادة «حماس»:

بالأمس ودّع عشرات الآلاف من الجماهير الفلّسطينيّة الغاضبة جثمان الشهيد «محيي الدين الشريف»، ودّعوه إلى مثواه الأخير.

هذا الشهيد تدلّ كلّ الدلائل على أنّ «الموساد» الإسرائيلي هو الذي قام باغتياله، قتله بالرصاص ثمّ وضعه في سيارة مفخخة تسمية؛ ليقال: إنّ السيارة انفجرت فيه.

ولكن الدلائل كلّها تكذبهم، وتشير إليهم، تشير إلى هؤلاء الإرهابيين الذين قتلوا من قبل سلفه المهندس يحيى عياش، وقتلوا فتحي الشقاقي، وحاولوا قتل خالد مشعل رئيس المكتب السياسي، ولا زالوا يحاولون كما قال الوزير الإرهابي المعروف «آريل شارون» وزير البنى التحتية في إسرائيل، قال: إذا كنّا فشلنا في اغتيال خالد مشعل المرّة الأولى، فهذا لن يجعلنا نبيّس، سنحاول مرّة ومرّة ومرّة، ولن يفلت منا.

ولكن الله من ورائهم محيط.

هذا كلّهُ يدلّنا على ما قلناه وكرّرناه وأكّدهنا ولا زلنا نوّكّده: أنّ الإرهابي الأكبر هو إسرائيل، هم هؤلاء الصهاينة الذين لا يراعون لأحد عهداً ولا حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة، يستبيحون الدماء، ويستبيحون الأموال، ويستبيحون الحرمات، ويقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّاتِ سَكِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

عَلَّمَهُمْ تَلْمُودَهُمْ أَنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ الْأَغْيَارِ مُسْتَبَاحُ الدِّمَاءِ وَالْحَرَمَاتِ،
كُلَّ الْعَالَمِ أَحْطُ مِنَ الْبَهَائِمِ وَأَذَلُّ مِنَ الْكِلَابِ عِنْدَهُمْ. فَلَا مَانِعَ أَنْ يَسْفِكُوا
الدِّمَاءَ، وَأَنْ يَهْتَكُوا الْأَعْرَاضَ، وَأَنْ يَنْتَهَكُوا الْحَرَمَاتِ، وَأَنْ يَدْمُرُوا كُلَّ
شَيْءٍ فِي سَبِيلِ تَحْقِيقِ أَهْدَافِهِمْ وَأَغْرَاضِهِمْ؛ فَالْغَايَةُ عِنْدَهُمْ تَبَرُّرُ الْوَسِيلَةِ.
هُمْ قَوْمٌ لَيْسُوا أَخْلَاقِيْنَ، لَا يَعْتَمِدُونَ الْأَخْلَاقَ، الْأَخْلَاقُ عِنْدَهُمْ مَهْدَرَةٌ.
الْمُسْلِمُونَ قَوْمٌ أَخْلَاقِيُونَ، لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا أَجَازَهُ لَهُمْ دِينُهُمْ،
وَدِينُهُمْ لَا يَجِيزُ لَهُمْ الشَّيْءَ إِلَّا بِشُرُوطٍ وَضَوَابِطٍ شَدِيدَةٍ.

الإسلام يرفض مبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»، إنَّه يريد الغاية الشريفة
والوسيلة النظيفة، لا بدَّ لشرف الغاية من طُهر الوسيلة.

ولهذا الإسلام في الحرب يقول: لَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تَقْتُلُوا
وَلِيدًا، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا، وَلَا تَهْدُمُوا بِنَاءً، وَلَا تَقْتُلُوا امْرَأَةً^(١)، حَتَّى
الرَّهْبَانِ فِي الصَّوَامِعِ نَهَى عَنْ قَتْلِهِمْ.

أَمَّا هَؤُلَاءِ فَلَا يَحْرَمُونَ شَيْئًا، يَسْتَبِيحُونَ كُلَّ شَيْءٍ.

وَأَحَبُّ أَنْ أَقُولَ لَهُؤُلَاءِ: افْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، هَذَا لَنْ يَفْتَّ فِي أَعْضَادِ
الْمُؤْمِنِينَ.

أبناء حركة حماس الذين فقدوا هذا الشهيد وفقدوا شهداء من قبله،
لَنْ يَفْتَّ هَذَا فِي أَعْضَادِهِمْ؛ فَقَدْ بَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ، وَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ عَلَى
أَكْفِهِمْ، وَجَعَلُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي أَيْدِيهِمْ وَوَهَبُوهَا لِلَّهِ تَعَالَى، وَقَالَ قَائِلُهُمْ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي^(٢)

(١) سبق تخريجه من أثر أبي بكر ص ٢٠.

(٢) هو سيدنا خبيب بن عدي. رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩).

لن يخذلهم، ولن يضعفهم، ولن ينال منهم: من يُقدّموه من الشهداء، بل يزيد المعركة وقودًا، كلّما قدّم شهيدًا كان هذا شعلة جديدة، وزيتًا جديدًا لهذه المعركة، يزيد في رصيد الإخوة المجاهدين.

العجيب أنّه حتّى الأمّهات يستقبلن هذه الحوادث بالزغاريد، وهذا يُذكّرنا بالإخوة في الشّودان حينما يُقدّمون الشهداء يقيمون بعض الليالي يسمّونها: «عرس الشهيد»، الشهيد ذهب إلى ربّه ليتزوج من الحور العين.

هذا عرس، لا يكون، ولا يلطمون خدًا، ولا يشقّون جيبًا.

هذه هي الرّوح الإسلاميّة التي صنعها الإسلام، وهي التي تخيف اليهود. عندما سعى «رابين» و«بيريز» إلى اتفاق «أوسلو» كانوا يريدون أن يُخمدوا هذه الشّعلة، وأن يطفئوا هذه الثورة - الانتفاضة الإسلاميّة - التي انطلقت من المساجد، وجعلت راياتها المصاحف، وكان نشيد أطفالها:

خبر خبر يا يهود جيش محمّد سوف يعود
أرادوا أن يتخلّصوا من هذه الانتفاضة الإسلاميّة، ويلهوا الفلسطينيين بهذا الاتفاق الذي لم يأخذوا من ورائه شيئًا، لم يكسبوا منه قليلًا ولا كثيرًا، ولا نقييرًا ولا قطميرًا.

كانوا يريدون أن يضربوا الفلسطينيين بعضهم ببعض، ثمّ يتفرّجوا. والحمد لله لم يحدث ذلك، بل نتوقّع - إن شاء الله - أن تفشل هذه المسيرة من أولّها إلى آخرها، الكتاب يُقرأ من عنوانه، هذه المسيرة ستصير إلى إخفاق، وستنضمّ السلطة إلى الشعب، وتعود انتفاضة جديدة أقوى وأعمق وأشدّ ممّا كانت.

المهمُّ أن نثق بأنفسنا، أن نتحرَّر من ضعف الأنفس، من اليأس، من الوهن الذي حذرنا منه النبي ﷺ، قيل: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وكراهية الموت»^(١).

ينبغي أن نتحرَّر من حبِّ الدُّنْيَا ومن كراهية الموت، وأن نُقبل على الموت لا نبالي، كما يُقبل هؤلاء الشَّباب من أبناء حماس، لا يُبالون ما يصيبهم في سبيل الله.

كان خالد بن الوليد يرسل رسائله إلى قادة الفرس والروم يدعوهم إلى الإسلام ثمَّ يقول في ختام رسائله: «وإلَّا غزوتكم بقوم يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة»^(٢).

وكما قال أبو بكر لخالد: «احرض على الموت توهب لك الحياة»^(٣).
 عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهمَّ صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في التاريخ (٣٤٤١٧)، وأبو يعلى (٧١٩٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٨): رواه أبو يعلى، وفيه مجالد، وهو ضعيف، وقد وثَّق. عن الشعبي مرسلًا.

(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٦٧/٣)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.



الاستقامة وأثرها في حياة المسلم

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

كثرة أخبار السرقة والاختلاس:

تطلع علينا الصُّحُفُ ووسائل الإعلام ما بين الحين والحين بأنباء يندى لها الجبين، ويتقطّع منها القلب، لما تدل على ضعف الدين، وقلة اليقين، وانحراف الأخلاق، وموت الضمائر.

تطلع علينا الصُّحُفُ باختلاسات يختلسها الكبار من النَّاسِ، ليست بالمئات ولا بالآلاف، إنّها بالملايين أحياناً، وبعشرات الملايين وبمئات الملايين.

هكذا نقرأ ما بين الحين والحين عن اختلاسات كبار ووزراء ومديرين، اختلاسات من أموال الدولة، ومن أموال المؤسسات العامة التي ائتمنهم النَّاسُ عليها.

وآخر ما قرأناه من هذه الاختلاسات التي يذهل لها الإنسان وتذر الحليم حيران: ما قرأناه عن بنك دبي الإسلامي، أوّل بنك أقيم في هذا العالم على أساس من الإسلام؛ لِيُحِلَّ ما أحلَّ الله ويحرّم ما حرّم الله.



كان لدبي هذا السبق، وكان لها هذا الفضل، والفضل للمبتدي وإن أحسن المقتدي.

ولكن كيف استطاع هؤلاء اللصوص أن يصلوا إلى هذه المؤسسات الإسلامية، وأن يتسببوا ذروتها، ويسيطروا على أجهزتها، ويتحكموا فيها؟ ولو كان الاختلاس من موظف عادي لقلنا: يمكن أن يُعقل.

أمّا أن يكون الاختلاس والسرقة من المدير، فهذا ما ينطبق عليه المثل القائل: حاميها حراميها!

وكما قال الشاعر قديماً:

وَرَاعِي الشَّاةِ يَحْمِي الذُّبَّ عَنْهَا فكيف إذا الرعاة لها ذئابٌ^(١)؟!

الراعي يحمي الغنم من الذئب، فكيف إذا كان الذئب هو الراعي؟! هذه هي المصيبة التي نراها في كثير من المؤسسات العامة والمؤسسات الحكومية.

آفة فساد الضمير والخلق:

علام يدلُّ هذا؟

يدلُّ هذا على موت الضمائر، على فساد الأخلاق، على أن الناس لم يعودوا يؤمنون بالله إيماناً حقيقياً، ولا بالآخرة، لم يعودوا يرجون الله ويخافونه، فغلبوا حبُّ الدُّنيا على الآخرة، غلبوا الأولى على الآخرة، غلبوا حبُّ المال على حبِّ الله تعالى، فلم يبالوا ما أخذوا أمن حلال أم من حرام؟

(١) البيت ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين (٦١/١)، نشر دار المعرفة، بيروت.

بل خطّطوا لكسب الحرام.

والإنسان إذا لم يُقنعه الحلال، لا يُشبعه شيء؛ لا هو بالقليل يقنع، ولا من الكثير يشبع،

فصاحب العشر يبغي عشرة مائة وصاحب الألف يبغي الألف مليوناً وصاحب المليون يريد المليون عشرة ملايين أو مائة مليون، وصاحب المائة يريد مائة ملياراً، وصاحب المليار لا يكتفي بالمليارات وإنما يريد أن يزيد ويزيد.

مثل هؤلاء كمثّل جهنم، يُقال لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟! هذه هي المصيبة، مصيبة فساد الأخلاق، وفساد الأخلاق من ضعف الإيمان واليقين، وإذا فسدت أخلاق أمة فقد أصبحت مهددة بالانهيار أو بالزوال، كما قال أمير الشعراء شوقي رَحِمَهُ اللهُ:

فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهب أخلاقهم ذهبوا^(١) وقال:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقيم عليهم مأتماً وعويلاً^(٢) ويقول:

وليس بعامرٍ بُنيان قومٍ إذا أخلاقهم كانت خراباً^(٣) الإنسان إذا خربت أخلاقه ومات ضميره، يبيع نفسه، يبيع عائلته، يبيع شرفه، يبيع وطنه لأعدائه.

(١) انظر: شعراء الوطنية في مصر لعبد الرحمن الراغب ص ٦٥، نشر دار المعارف، ط ٣.

(٢) انظر: أحمد شوقي العمال الشعرية الكاملة (١/١٨٣)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

(٣) انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١/٦٥).

من أغرب ما قرأته: ذلك الإنسان الفلسطيني - نسيت اسمه ذكرته
 الصُّحف - الذي يطالب إسرائيل بخمسة وعشرين مليون دولار، لماذا؟
 لأنه ساعدهم على قتل المهندس المؤمن المجاهد «يحيى عيَّاش»،
 أوصلهم إليه على أن يدفعوا له خمسًا وعشرين مليون دولار، وبعد أن
 نفَّذ العملية ضحكوا عليه، إلى جهنم وبئس المصير.
 ماذا تقولون في مثل هذا الإنسان، الذي يبيع ضميره، ويبيع وطنه،
 ويبيع دينه، ويبيع أمته؟

حاجة الأمة إلى الاستقامة:

نحن في حاجة إذن إلى استقامة، استقامة أخلاقية، الحياة
 لا تستقيم ولا ترتقي إلا بأهل الاستقامة ﴿الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ
 اسْتَقَامُوا﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠].

لا تستقيم الحياة ولا تنهض ولا يرتقي الناس، إلا بهؤلاء
 المستقيمين.

جاء سفيان بن عبد الله الثقفي الطائفي إلى النبي ﷺ، وقال:
 يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك.
 فقال له: «قل: آمنتُ بالله، ثم استقم»^(١).

الرجل لا يريد إكثار الوصايا، يريد وصية جامعة موجزة يحفظها
 ويعيها ويعمل بها، وكان النبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فقال له فيما
 رواه مسلم: «قل: آمنت بالله، ثم استقم».

(١) رواه مسلم في الإيمان (٣٨)، عن سفيان بن عبد الله الثقفي.

وفي رواية الترمذي: أنه قال: يا رسول الله، حدثني بأمر أعصم به؟

فقال: «قل: ربي الله، ثم استقم».

قال: ما أخوف ما تخاف علي؟

فأخذ رسول الله ﷺ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»^(١).

أخاف عليك هذا اللسان.

«قل: ربي الله، ثم استقم». وهذا اقتبسه ﷺ من القرآن حيث قال

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

وفي السورة الأخرى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٠ - ٣٢].

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ جاء عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «ثُمَّ اسْتَقَمُوا»، أي: لم يلتفتوا إلى إله غير الله^(٢).

يعني: أخلصوا التوحيد، أحكموا حقيقة التوحيد.

وعن عمر رضي الله عنه قال: استقاموا - والله - لله بطاعة الله، ولم يروغوا روغان الثعالب^(٣).

(١) رواه الترمذي في الزهد (٢٤١٠)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٢)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٦٩٩)، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح.

(٢) رواه أبو داود في الزهد (٣٨)، تحقيق ياسر بن إبراهيم، نشر دار المشكاة للنشر والتوزيع، حلوان، ط ١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) رواه ابن المبارك في الزهد (٣٢٥)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

يعني: استقامة حقيقة على الصراط المستقيم.

الله تعالى علّمنا أن نسأله الهداية كلّ يوم إلى الصراط المستقيم:
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧].

هذه هي الاستقامة، الاستقامة على هذا الصراط.

أمر الله رسوله مرّتين في القرآن بالاستقامة في سورة هود وفي سورة الشورى:

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ [هُود: ١١٢].

وقال: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ كما أمرك الله.

ذكر القشيري رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ أَحَدَ الصَّالِحِينَ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَسَأَلَهُ وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ قُلْتَ: «شَيَّبَتْنِي هُودٌ وَأَخَوَاتُهَا»^(١)، فَمَا الَّذِي شَيَّبَكَ مِنْ هُودٍ؟

فَقَالَ لَهُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٢).

(١) رواه الترمذي في التفسير (٣٢٩٧) وقال: حسن غريب. والحاكم في التفسير (٣٤٣/٢)

وصحّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) الرسالة القشيرية (٣٥٧/٢)، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار

المعارف، القاهرة.

الاستقامة تعني: أن تثبت على الحق، وأن تقف عند حدود الله، وأن تبعد عما حرم الله، وأن تسير في الطريق إلى الأمام، لا ترجع إلى القهقري، رجوع القهقري ليس استقامة، ولا تتوقف؛ فإن المتوقف لا يُسمى مستقيماً، ولا تنحرف يميناً ولا يساراً؛ فالاستقامة ضد الانحراف.

النبي ﷺ - كما روى ابن مسعود - خطَّ لأصحابه على الرمل خطاً مستقيماً ثم قال: «هذا سبيل الله»، ثم خطَّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله (أي: متعرجة مائلة) وقال: «هذه سُبُل على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه»، وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]^(١).

الاستقامة: هي السير إلى الأمام في خطِّ مستقيم؛ هو الصِّراط الذي رسمه الله تعالى لعباده.

استقامة القلب:

الاستقامة: هي استقامة القلب أولاً على حقيقة التوحيد، فلا ترجو إلا الله، ولا تخشى إلا الله، ولا تعتمد إلا على الله، ولا تثق إلا بالله، ولا تحب ولا تكره إلا في الله، ولا تُعطي ولا تمنع إلا لله، كلُّ شيء عندك لله، موصول بالله «من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»^(٢).

(١) رواه أحمد (٤١٤٢)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والنسائي في الكبرى في التفسير (١١١٧٤)، وابن حبان في المقدمة (٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. والحاكم في التفسير (٢٣٩/٢)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه أبو داود في السنة (٤٦٨١)، والطبراني (١٣٤/٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٢٩): حسن صحيح. عن أبي أمامة.



هذه هي استقامة العقيدة، أن تستقيم على التوحيد، فلا تتخذ غير الله ربًّا، ولا تتخذ غير الله وليًّا، ولا تبتغي غير الله حكمًا.

استقامة القلب أولاً؛ فإن القلب هو ملك الأعضاء، والأعضاء جنود، وكما جاء في الحديث الصحيح: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

استقامة اللسان والجوارح:

ثم بعد ذلك استقامة اللسان، كما روى الإمام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»^(٢)، استقامة اللسان دليل على استقامة القلب.

وفي حديث آخر: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان - أي: تخضع له - فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا»^(٣).

ثم بعد ذلك استقامة الجوارح كلها على طاعة الله، تستقيم يدك، وتستقيم رجلك، وتستقيم بصرك، وتستقيم سمعك، وتستقيم كل جوارحك على طاعة الله، فلا ترتكب الحرام، ولا تتعدى حدود الله تعالى. هذه هي الاستقامة.

- (١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.
- (٢) رواه أحمد (١٣٠٤٨)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والقضاعي في مسند الشهاب (٨٨٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٥): رواه أحمد وفيه علي بن مسعدة، وثقه يحيى بن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره. وحسنه الألباني في الترغيب والترهيب (٢٥٥٤)، عن أنس بن مالك.
- (٣) رواه أحمد (١١٩٠٨)، وقال مخرجه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٤٠٧) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد، ولم يرفعه وهذا أصح. عن أبي سعيد الخدري.

الاستقامة على طريق الحق:

ومن مكمّلات الاستقامة ما ذكره الله تعالى في سورة «هود» من اللائين، قالوا: الدين بين لاءين، وهي قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾، أي: تاب معك من الصّحابة، تابوا من الشّرك وتابوا من انحرافات الجاهليّة، ﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ * وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿ [هُود: ١١٢، ١١٣].

﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾، ﴿وَلَا تَرْكُنُوا﴾: الطغيان: أن تتجاوز الحدَّ إمّا في حقوق النَّاس أو في حدود الله، أن تتجاوز الحلال إلى الحرام، أن تتجاوز العدل إلى الظلم، كما وصف الله تعالى فرعون حينما قال لموسى: ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه: ٢٤].

والله تعالى يعلمنا الاستقامة وعدم الطغيان فقال: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿ [الرحمن: ٧ - ٩].

هذه هي الوسطيّة، لا طغيان ولا إفسار.

﴿وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هُود: ١١٢]، يعلم كلّ أعمالكم ويصبرها، ويطلع عليها، جليّها وخفيّها، ويجازيكم عليها.

﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هُود: ١١٣] لا تطغى ولا تظلم، ولا تركن إلى طاغية أو ظالم، لا تكن عوناً لظالم، لا تكن سوطاً في يد ظالم، لا تُسخر نفسك خادماً لظالم؛ فإنك بذلك تكون شريكه، تكون معه من حطب جهنّم، أعوان الظلمة كلاب النار.

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هُود: ١١٣] الركون إلى الظلمة: الاستناد إليهم والاعتماد عليهم، بحيث تسير في ركابهم، وتحرق البخور بين أيديهم، وتكون معهم في الخير والشر، والعدل والظلم، والحسن والقبيح، والمعروف والمنكر.

هذا ما يُنكره الإسلام.

الإسلام يريد من المسلم أن يكون مع الحق والعدل، لا مع الباطل والظلم. وقف سيّدنا أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله ﷺ على المنبر وقال: يا أيُّها النَّاسُ، إنكم تقرأون هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ»^(١).

وهذا ما قاله القرآن: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

لا تكن طاغية، لا تطغى، ولا تركز إلى ظالم، ولا تكن عوناً لظالم، هذه هي حقيقة الاستقامة.

حاجة أمتنا للاستقامة:

نحن في حاجة إلى أمة تستقيم على أمر الله، إنّما نجح المسلمون في العصور الأولى، إنّما انتصروا على الدول الكبرى، على كسرى وقيصر،

(١) رواه أحمد (٣٠)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي في الفتن (٣٠٥٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الفتن (٤٠٠٥)، عن أبي بكر الصديق.

على الفرس والروم، وأقاموا دولة العدل والإحسان، وأنشؤوا حضارة العلم والإيمان، إنما فعلوا ذلك يوم كانوا أهل استقامة على أمر الله.

استطاع رسول الله ﷺ أن ينشئ من عرب الجاهلية عرب الإسلام، أن يحول عمر الجاهلية إلى عمر الإسلام، وخنساء الجاهلية إلى خنساء الإسلام.

بهؤلاء انتصر الإسلام في العالم، وقامت دولة الإسلام الكبرى، وانتشر الإسلام في العالمين.

ربى النبي ﷺ الصحابة، والصحابة ربوا التابعين، والتابعون ربوا أتباعهم، وهكذا انتشرت التربية النبوية المحمدية إلى العالم.

التربية على الاستقامة: أن تقول: ربي الله ثم تستقيم على هذا الأمر، وتثبت عليه، وتدفع ضريبته مهما كانت.

كلمة «ربي الله» ليست كلمة هيينة؛ إن موسى ﷺ قال: ربي الله؛ حين سأله فرعون وأخوه هارون معه: ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَى﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى ﴿طه: ٤٩، ٥٠﴾ - فأراد فرعون أن يقتل موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦] فساق الله لموسى رجلاً مؤمناً من آل فرعون يكتُم إيمانه، ووقف يدافع عنه بقوة المؤمن وإيمان القوي ويقول: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨] أمن أجل أن يقول: ربي الله تقتلونه؟

قالها رسول الله ﷺ فأوذي ما أوذي في نفسه وأهله وأصحابه.

قالها الصحابة فعذبوا، وأوذوا، وشردوا، وهاجروا وأخرجوا من

ديارهم كما قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴿[الحج: ٣٩، ٤٠].

ما كان لهم من ذنب اقترفوه، ولا جرم ارتكبهوه، إلا أنهم قالوا: ربنا الله، ولنعم ما قالوا.

«قل: ربي الله ثم استقم»^(١)، ليستقم سلوكك، ويستقم عملك، كما استقامت عقيدتك، وكما استقام إيمانك، واثبت على ذلك حتى يكون لك الجنة، وحتى تنزل عليك الملائكة عند الموت وعند البعث ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ * مبشرة ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿[فصلت: ٣٠، ٣١].

كنا معكم أولياء ونُصراء في الدنيا، ونحن في الآخرة معكم نستقبلكم.

فهكذا ينبغي أن يكون أهل الإيمان.

لا تصلح الحياة إلا بالاستقامة، لا تنهض المجتمعات إلا بالاستقامة، لا تستقيم المؤسسات إلا بالاستقامة.

وليس معنى الاستقامة: العصمة من الذنوب، لا يوجد إنسان معصوم، النبي ﷺ يقول: «استقيموا ولن تحصوا...»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ١٠٥.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٧٨)، وقال مخرجه: صحيح. وابن ماجه (٢٧٧)، والدارمي (٦٨١)، كلاهما في الطهارة، عن ثوبان.



لن تُحصوا، أي: لن تقدروا على الكمال، سدّدوا وقاربوا.
والله تعالى يقول لرسوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فُصِّلَتْ: ٦].

معنى ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: أنكم لا بدّ أن تصدر منكم هفوات وخطايا، فإن
الإنسان ليس معصوماً، والإنسان خلق من طين، والطين لا يخلو من
الكدر، فإذا حدث منك شيء فراجع نفسك وعُد إلى الله تائباً مستغفراً
﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾.

وكما قال النبي ﷺ لأبي ذرّ: «... وأتبع السيئة الحسنة تمحها...»^(١)،
وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتٍ﴾ [هُود: ١١٤].

ما أحوج أمّتنا إلى الاستقامة، ما أحوجنا أفراداً وجماعات إلى
الاستقامة.

بالاستقامة تطمئن نفوسنا، تسعد قلوبنا بالسكينة، بدل القلق الذي
أتعب النَّاسَ وعذب النَّاسَ.

الاستقامة بالإيمان والاستقامة بالسلوك تجعل الإنسان يعيش مرتاح
الضمير، ويعيش فينام ملء جفنيه، ليس بينه وبين أحد خصومة، لم
يسرق، ولم يختلس.

هؤلاء السارقون المختلسون لن يهنؤوا بما سرقوا وما اختلسوا،
سيبتليهم الله بما ينغص عليهم حياتهم، لن يسعدوا بما سرقوه
وما اختلسوه - والله، وإن كانوا يلعبون بالملايين لعباً.

(١) رواه أحمد (٢١٤٠٣)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٨٧) وقال:
حسن صحيح. والحاكم في الإيمان (٥٤/١) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم
يخرجاه. ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٩٧)، عن أبي ذر.

ليس المال هو كل شيء في الحياة، الحياة أكبر من المال، وأعمق من المادة، وأوسع من هذه المحسّات التي يركّز الناس وراءها، وكما قال النبي ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس»^(١).

وقال عليّ رضي الله عنه:

يَعِزُّ غِنَى النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ وَيَغْنَى غِنَى الْمَالِ وَهُوَ ذَلِيلٌ^(٢)
أسأل الله تعالى أن يكفيننا بحلاله عن حرامه، وبطاعته عن معصيته، وبفضله عمّن سواه.

ونقول كما قال الحسن رضي الله عنه عندما قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة^(٣).

اللهم آمين.

ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٥١)، عن أبي هريرة.

(٢) نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار ص ٩٩، نشر دار العباد، بيروت.

(٣) تفسير القرطبي (٣٥٨/١٥)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

الكوارث المتكررة في رمي الجمرات:

سمعنا بالأمس خبراً أحزننا، كنّا نظن موسم الحجّ هذا العام موسماً يمرّ بخير، لا ندري ما الذي أصاب المسلمين؟

في كلّ سنة تحدث لهم في هذا الموسم العظيم مصيبة.

ومنذ سنوات حدث مثل ما حدث بالأمس، مات مئات النّاس تحت الأقدام في مرمى الجمرات.

ولا شكّ أنّ المملكة العربيّة السعوديّة تبذل جهوداً كبيرة - لا ينكرها إلاّ مكابر - في سبيل فتح الأنفاق وإقامة الجسور، وتذليل الطرقات والصعوبات، وخدمة النّاس بسبل شتى، ولكن تبقى هناك بعض الآفات التي لا يسلم النّاس منها، ومن هذه الآفات:

تدافع النّاس إلى مرمى الجمرات تدافعاً غير معقول، وخصوصاً في ساعة الزوال.

وهذا يؤكّد ما قلته وأقوله باستمرار: إنّهُ لا داعي أن نلزم النّاس بالرمي ساعة الزوال.

إنّ هناك ثلاثة من الأئمة قالوا بجواز الرمي قبل الزوال:

إمام التابعين وفقه مَكَّة: عطاء بن أبي رباح.

وإمام اليمن وفقهها: طاوس بن كيسان.

وإمام أهل البيت: أبو جعفر الباقر.

وقال بذلك بعض فقهاء الشافعية: إنه يجوز الرمي منذ طلوع الشمس.

وألف في ذلك العلامة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رَحِمَهُ اللهُ رئيس المحاكم الشرعية في قطر منذ حوالي أربعين عامًا رسالة سمّاها: «يُسّر الإسلام في مناسك بيت الله الحرام»، أفتى فيها بجواز الرمي قبل الزوال، ودلّل بأدلة كثيرة منها: قيام الإسلام عامّة والحجّ خاصّة على التيسير، وأنّ النبي ﷺ ما سُئِلَ عن أمر قُدِّم أو أُخِّر في الحجّ إلّا قال: «افعل، ولا حرج»، «افعل ولا حرج»^(١)، وهذا الرمي أمر يتمّ بعد التحلّل النهائي من الحجّ، لا هو من الأركان ولا من الأشياء الأساسيّة، وأجازوا النيابة فيه، وأجاز الحنابلة أن يؤخّر الرمي كلّهُ إلى اليوم الأخير^(٢).

فلماذا نشدّد على النَّاس؟

هذه نتيجة التشديد.

الذين يمرّون بالميكرفونات يقولون للنّاس: من رمى قبل الزوال فرميه باطل وحجّه باطل إلخ! والنّبي رمى عند الزوال، تحيّنوا الزوال وارموا كما رمى النّبي ﷺ فينتظر النَّاس الزوال ويندفعون أمواجًا هائلة، فيحدث ما يحدث.

أما آن لنا أن نتّعظ ونيسّر على النَّاس ونفتيهم بجواز الرمي قبل الزوال؛ حتّى لا يتكدّسوا ساعة الزوال؟

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٣٧)، ومسلم (١٣٠٦)، كلاهما في الحجّ، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) انظر كتابنا: فتاوى معاصرة (٢٧١/٣ - ٢٨٠)، فتواي حول الكوارث المتكرّرة في رمي الجمرات، ومائة سؤال عن الحج والعمرة والأضحية والعيدين، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.



مليونان أو أكثر من مليونين، وأعتقد أنّ في الأعوام القادمة سيزيد العدد كلّما دخل الحجُّ في وقت أخفّ حرارة وألطف هواء.

ماذا يمكن أن تفعله السعودية لمواجهة هذه الأعداد المتزايدة أكثر ممّا فعلته؟

ما أظن أن عندهم شيئاً يفعلونه أكثر من هذا، إلاّ التخفيف في الفتوى. العدد كبير، والزمان محدود، والمكان ضيق، ولا بدّ أن يقف الناس بحيث تصل الحصوة إلى المرمى، ولا يمكن أن نوسّع في المرمى.

في المطاف ممكن أن نوسّع، وإنّما في المرمى لا يمكن أن نوسّع فيه لأنّه محدود، فماذا تفعل السعودية إلاّ أن تزيد في الزمان ما أمكن فتقول: الرمي من الصباح وإلى ما شاء الله من المساء؟

وبذلك نخفف على الناس، ولا يندفع الناس ساعة الزوال بهذه الأمواج البشرية التي لا يستطيع الإنسان أن يفعل فيها شيئاً.

ماذا تفعل إذا وجدت إنساناً تحت رجلك؟

لا تملك أن تفعل شيئاً لأنك مسير لا مخير، الأمواج تدفعك، لا تملك نفسك.

فمن هنا ينبغي أن نُيسر على عباد الله في الحجّ حتّى نتفادى هذه المصائب التي تحدث لنا، سنة تُحرق الخيام، وسنة يموت الناس في التّفق، وسنة يموتون في مرمى الجمرات، ما هذا؟

هذا لا يليق بأمة الإسلام.

نسأل الله تعالى أن ينير بصائرنا، وأن يفقّهنا في ديننا.

أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ مَاتُوا فَهُمْ شُهَدَاءُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُمْ مَاتُوا وَهُمْ يُؤَدُّونَ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ الطَّاعَاتِ، وَمَاتُوا غُرَبَاءَ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَمِنْ مَاتَ غَرِيبًا مَاتَ شَهِيدًا، هُمْ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مَاتُوا بِنِيَاتِهِمْ «وَأِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١).

إِنَّمَا نَحْنُ نَبِحثُ عَمَّا يَنْبَغِي عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ تَفْعَلَهُ؛ حَتَّى لَا تَقَعَ فِيهَا مِثْلُ هَذِهِ الْهَزَاتِ فِي كُلِّ عَامٍ.

عِبَادَ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

* * *

(١) جزء من حديث عمر، وقد سبق تخريجه ص ٩٣.



من المسؤول عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر^(١)؟

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

عَمَلٌ نَسْتَنْكِرُهُ وَنَدِينُهُ:

كانت أمريكا في الزمن الماضي تعتقد أنَّها محصَّنة من أي خطر يهدِّدها داخل بلادها؛ فهي تعيش بعيدًا بعيدًا عن سائر العالم، يحميها محيطان كبيران، المحيط الأطلسي من ناحية، والمحيط الهادي من ناحية أخرى، فكانت هي القادرة على أن تغزو ولا تُغزى، وأن تضرب ولا تُضرب، وأن تهدد من شاءت في المشرق أو المغرب، ولا تخشى أن يهددها أحد من العالمين.

ثمَّ فوجئت أمريكا بما لم يخطر لها على بال، واستيقظت على ضرب أكبر برجين في نيويورك، بل في العالم، وتحويلهما إلى خرابة، ثمَّ ضرب بنائية وزارة الدفاع «البنيتاجون» في واشنطن، فأصابه ما أصابه من دمار!

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدَّوْحَةِ فِي ٤ رَجَبِ ١٤٢٢ هـ الْمَوْافِقِ ٢١ سَبْتَمْبَرِ ٢٠٠١ م.

فمن هذا الجريء الذي اجتراً على حرمت أمريكا، وضربها في أعز ما تملك؟

هذا ما جعل الأحلام هناك تطيش، وما جعل القرارات المتسرعة تبرز إلى الناس قبل أن يتحققوا: من الفاعل؟

لقد أشارت أصابع الاتهام - قبل أن يبدأ التحقيق وقبل أن يأخذ مجراه - إلى العرب والمسلمين دون بيّنة ولا دليل!

لقد سارع العرب والمسلمون لاستنكار ما حدث، وكنت ممّن أنكر ذلك على أساس أنّ الإسلام يقاتل من يقاتله، ولا يتعرّض للأبرياء، لا يأخذ البريء بذنب المسيء، ولا المظلوم بجريرة الظالم. هذا مبدأ إسلامي.

وقد رأى النّبِيُّ ﷺ امرأةً مقتولةً في إحدى الغزوات، فأنكر ذلك على أصحابه وقال: «ما كانت هذه لتُقاتل»^(١).

معنى هذا: أنّ المبدأ الإسلامي ألا يُقتل إلا من يقاتل، ولذلك حرّم النّبِيُّ ﷺ قتل النساء والصبيان والشيوخ، ومنع الخلفاء الراشدون قُوداً عساكرهم من قتل الرهبان في صوامعهم، أو قتل الحرّاثين، الزارعين في الأرض؛ لأنّهم لا ينصبون لهم الحرب^(٢).

ولذلك استنكرنا قتل البراء بغير حقّ، وقلنا: لعل هذه الحوادث توقظ الضمير الأمريكي.

(١) سبق تخريجه ص ٢٠.

(٢) انظر كتابنا: الصّحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد ص ٢٨٩ - ٢٩١.



الأحداث الكبرى من شأنها أن تنبّه الغافل، وتذكّر الناسي، وتعلّم الجاهل، وتجعل الإنسان يراجع نفسه، ويحاسب نفسه، ويعرف أخطاءه من صوابه، عسى أن يرجع عن الخطأ ويتحرّى الصواب.

الله تعالى حدّثنا عن أولئك المؤمنين الذين قُتل منهم من قُتل في معاركهم مع أعدائهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

قبل أن يسألوا الله تعالى النصر والتثبيت سألوه أن يغفر لهم ذنوبهم وإسرافهم في أمرهم، أي: ما قصّروا فيه من قبل.

كان على الأمريكان أن يراجعوا حساباتهم، أن يكون هذا الحادث الأليم موقظاً لضمير الإدارة الأمريكية لتراجع سياستها الخارجية في العالم، وما ارتكبته من مظالم حتّى تستطيع أن تُصحّح المسيرة وتعالج الأدواء من جذورها، ولكنّها - للأسف - لم تفعل ذلك، ركبهم الغرور، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

اتِّهام مُتَسَرِّعٍ للمسلمين:

لقد أشارت أصابع الاتهام من أوّل الأمر إلى المسلمين وإلى العرب كما هي العادة، وكما حدث من قبل في حادث «أوكلاهوما» حينما اتهموا العرب والمسلمين، ثمّ أثبتت التحقيقات السريعة أنّ الفاعل أمريكي! هذا ما يحدث الآن.

من أوّل الأمر قالوا: المسلمون، العرب، «ابن لادن»! وما الدليل؟

لم يقدّموا دليلاً.

الأشياء التي قدّموها تضحك: أسماء بعضهم مات من سنين، بعضها موجود في السعودية، بعضها أطفال، بعضها رجل مع زوجته! أمثل هذا يؤخذ الناس؟!

الإسلام علّما: «لو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى رجال أموال قوم ودماءهم، ولكنّ البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر»^(١). والدّعاوى ما لم تُقيموا عليها بيّنات أبناؤها أدعياء^(٢) لا بدّ من البيّنة: «على مثل الشمس فاشهد»^(٣). والبيّنة: كلّ ما أبان الحقّ وأظهره.

فهل عندكم بيّنات؟ لا والله، ليس عندهم بيّنات. قالوا: إنّ «ابن لادن» هو المشتبه فيه الأوّل! أبالاشتباه تُعاقبون الناس؟!

مشتبه فيه! حتّى لم يصل إلى درجة مُتهم! لا يجوز أن تُنزل عقوبة بشخص من أجل أنّك تشتبه فيه.

(١) رواه البيهقي في الدعوى والبيّنات (٢٥٢/١٠)، وحسنه النووي في الأربعين النووية، الحديث الثالث والثلاثون، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (٢٨٣/٥)، وأصل الحديث في الصحيحين: «لو يُعطى الناس بدعواهم؛ لادّعى ناسٌ دماء رجال وأموالهم، ولكن اليمين على المدّعي عليه». رواه البخاري في التفسير (٤٥٥٢)، ومسلم في الأفضية (١٧١١)، عن ابن عباس.

(٢) ذكره محمد أمين المحبي ولم ينسبه في خلاصة الأثر (٣٧٨/١)، نشر دار صادر، بيروت.

(٣) رواه الحاكم في الأحكام (٩٨/٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: واه. والبيهقي في الشهادات (٢٦٣/١٠)، وقال: لم يرو من وجه يعتمد عليه. عن ابن عباس.



المُتَّهَم الأصل فيه أنه بريء حتَّى تثبت دينونته.

وقد قالوا: الشكُّ يُفسَّر لمصلحة المُتَّهَم.

أمَّا أن تُلقَى التهمة جُزْأً على النَّاس فهذا ليس من العدل في شيء.

الاشتباه لا يوجب العقوبة أبدًا.

النَّبِيُّ ﷺ علَّمنا هذه القاعدة فقال: «لا يقضي القاضي وهو غضبان»^(١)؛ لأنَّ الغضب يؤثِّر على سلامة الإدراك وسلامة الحكم، وكذلك كلُّ انفعال، ولذلك قال الفقهاء: إذا كان القاضي جائعًا شديد الجوع أو عطشان أو حزينًا أو فرحًا شديد الفرح - أي عاطفة تسيطر - لا ينبغي أن يحكم ولا أن يصدر منه حكم وهو في هذه الحالة.

أمريكا غاضبة، والرأي العام غاضب، وتريد أن ترضي الرأي العام بأي طريقة، فهي تتسرع في هذا الحكم، وهو حكم كبير، إنه ليس على «ابن لادن» وحده، ولكن على «ابن لادن» وأفغانستان وبلاد أخرى ومنظمات كثيرة في العالم.

الله أعلم من تريد أمريكا بهذه المنظمات؟

حزب الله من هذه المنظمات، المنظمات الجهادية من هذه المنظمات.

ما الإرهاب الذي سيحارب؟

ما هو الإرهاب الذي تقول أمريكا: إنها ستعلن عليه الحرب؟

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأحكام (٧١٥٨)، ومسلم في الأفضية (١٧١٧)، عن أبي بكرة.

إنَّ الإرهابي الأعظم والإرهابي الأوَّل في العالم هو دولة الصهاينة، الدولة القائمة على الاغتصاب والعدوان، والتي انحازت لها أمريكا بالحقِّ وبالباطل، ووقفت بجانبها عسكريًا واقتصاديًا وسياسيًا، هذا هو الإرهاب الحقيقي، فلماذا لم تحاربه أمريكا؟

التركيز على «ابن لادن»!

هل «ابن لادن» هو الفاعل الحقيقي؟

إنَّ حركة طالبان - أو الإمارة الإسلامية في أفغانستان - حظرت على «ابن لادن» أن يتحرَّك بالعمل ضد أي دولة أخرى، وهو قد بايعهم على السمع والطاعة لأمر المؤمنين، ولا يجوز له أن يخالف هذا شرعًا ولا دينًا، فأعتقد أنَّه ملتزم بهذا الأمر.

ومن رأى منكم حديثه بالأمس في قناة الجزيرة وهو حديث معاد من ثلاث سنوات قال: إنني لا أستطيع أن أتحرَّك للعمل ضد أي شيء، كلُّ ما أفعله: الدعوة والتحريض.

يعني هو يقول: قاتلوا أمريكا، حاربوا أمريكا، أخرجوا أمريكا من دياركم، هذا هو الذي يملكه، وليس عنده من وسائل الاتصال ما يستطيع أن يحرك به الآخرين خارج أفغانستان.

أعتقد أنَّ الأمريكيان أنفسهم يعرفون أنَّه ليس له يد في هذه القضية، ولا يستطيع أن يحرك فيها ساكنًا.

والله أعلم بمن فعل هذه الأفاعيل: هل هم مسلمون؟ هل هم عرب؟ هل هم عجم؟ هل هم أمريكيان؟ هل هم يابانيون؟ أي فئة من النَّاس؟

إنَّ أعداء الأمريكان كثيرون.

أمريكا لتجبرها وتفرضها بالنفوذ وسيطرتها على العالم، أصبح لها أعداء كثيرون في أنحاء العالم، وأعداء تاريخيون، منذ أن ضربت «هيروشيما» و«ناجازاكي» وقتلت مئات الآلاف من البراء من الناس الذين لا ذنب لهم، الناس الذين لا يزالون يدفعون ثمن القنابل النووية إلى اليوم من حياتهم ومن صحتهم، وهناك حرب فيتنام، والحروب الأخرى في الشرق الأقصى، وحروبها مع العرب والمسلمين، مع الإيرانيين، ومع العراقيين، ومع السودان، ومع ليبيا، ومع غيرها، كلها أمور معروفة.

أعداء أمريكا كثيرون حتى داخل أمريكا، داخل أمريكا من يعاديه، وقد دلت حادثة «أوكلاهوما سيتي» على أنَّ هناك من الأمريكان البيض من يضمرون الشر والحق للحكومة الفيدرالية، وقد رأينا هذا الرجل الذي حوكم وأعدم من قريب. ما يدرينا لعلَّ هناك أناسًا أرادوا أن يثاروا له.

لا تزر وزارة وذر أخرى:

على كلِّ حال، الاشتباه لا يمكن أن يكون سببًا في إنزال العقاب بأيِّ أحد من الناس حتى تستبين الحقائق واضحة جلية كالشمس.

الأصل في الناس البراءة، هذا ما تقرره الشرائع السماوية والقوانين الوضعية والقيم الأخلاقية والأعراف الدولية، كلها تقول: لا يجوز أن يعاقب بريء حتى تثبت دينونته ثبوتًا حقيقيًا.

فأين هذا الثبوت في هذه القضية؟

لا نجد ما يثبت شيئًا هنا أبدًا.



ثمَّ إِنَّ مِنَ القواعد المقرّرة: أَنَّ المسؤوليّة فرديّة، أي: كلُّ إنسان مسؤول عن نفسه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المُدَّثِّر: ٣٨]، ولا يجوز أن يُعاقب الإنسان بذنب غيره. هَبْ أَنْ أَحَدَ الأبناء ارتكب خطأ هل يعاقب أبوه بسببه؟ أو يعاقب أخوه؟ أو يعاقب قريبه؟

لا.

في زمن الحجاج الثقفي - وكان رجلاً جبّاراً طاغية - اعتُقل أحد الناس، لماذا؟

لأنَّ قريباً له ارتكب ذنباً فبحثوا عنه فلم يجدوه، فأخذوه بسببه، فلما مثَّلَ أمام الحجاج وسأله عن ذنبه، فقال له: جنى جانٍ من عُرض العشيرة فأخذت به.

فقال: أمّا علمت قول الشاعر:

ولرُبِّ مأخوذٍ بذنبٍ عَشِيرَةٍ ونجا المُقَارِفُ صاحبُ الذَّنْبِ^(١)؟

قال: أيُّها الأمير، إذا كان الشاعر قد قال ذلك فقد سمعت الله تعالى قال غير ذلك.

قال: ويحك، وماذا قال الله؟

قال: قال على لسان يوسف وقد قالوا: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ ۖ ۖ أَي: لأخيه ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ ۖ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۖ﴾ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ ۖ إِنَّا إِذَا ظَلَمُومُونَ﴾ [يوسف: ٧٨، ٧٩].

(١) من شعر ذؤيب بن كعب، كما في نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي ص ٤٢٩، تحقيق د. نصرت عبد الرحمن، نشر مكتبة الأقصى، عمّان.



فذهل الحجاج وارعد من هذه الآية وقال: صدق الله، وكذب الشاعر، خلُّوا سبيل الرجل^(١).

تربُّص أمريكا بأفغانستان:

لا يؤخذ أحدٌ بذنب أحد، فكيف يُراد أن يؤخذ الشعب الأفغاني كلُّه بأسامة بن لادن؟!

ومن قال: إنّ الدولة الأفغانِيَّة أو الإمارة الإسلاميَّة في أفغانستان أيّدت هذا الأمر؟ وأي دليل على ذلك؟ أم هي تصفية حسابات؟
أو أن أمريكا خطّطت لأمر ثمّ اتخذت هذا الحادث تُكأة لتنفيذ ما خطّطته من قبل.

أمريكا تريد أن تنفذ إلى هذا المكان من العالم، وأن يكون لها فيه وجود عسكري وإستراتيجي، وتريد أي سبب من الأسباب حتّى تتمكّن من الذهاب إلى هذه الأرض والبقاء فيها.

يبدو أنّ هذا هو الأمر الصحيح، وإلاّ فلا ذنب لأفغانستان.

ما ذنب هذا الشعب المسكين الذي قدّم من أبنائه ما قدّم، مليونين أو أكثر من الشهداء وأمثالهم من الجرحى والمعوّقين، والذي يقاتل ويكافح من أجل كسب عيشه.

ما الذي جناه هذا الشعب الفقير حتّى يُقاتل ويُضرب بالصواريخ الجوية؟ من تقاتلون؟

(١) العقد الفريد (٢٧٧/٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.



إنَّ الصاروخ يتكلَّف مليون دولار ولا يوجد في أفغانستان شيء
يساوي مليون دولار!

تضربون الشَّعب المسكين البريء؟ من أجل ماذا؟

حُرمة التعاون مع أمريكا لضرب أفغانستان:

والعجيب أن نجد من المسلمين والعرب من يُسهِّل لهم الطريق، من
يساعدهم على هذا العدوان.

لا، لا يجوز لمسلم أن يساعد على قتل أخيه «المسلم أخو المسلم
لا يظلمه ولا يُسْلِمه»^(١).

لا يُسلمه، أي: لا يخذله ولا يتخلَّى عنه، بل يكون ردءًا له، يشدُّ
أزره، ويقوِّي عضده، كلَّما نزلت به المصائب وادلهمت به الحوادث،
وكما جاء في الحديث: «المسلمون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم
أدناهم، وهم يدٌ على مَنْ سواهم»^(٢).

هم كالبنيان المرصوص: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ
صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ مَّرْصُوفٌ﴾ [الصَّف: ٤]، «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ
بعضه بعضًا»^(٣)، وكالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله^(٤).

(١) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٢) رواه أحمد (٦٧٩٧)، وقال: حديث صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٧٥١)، وابن الجارود في
المنتقى (١٠٧٣)، وصحَّحه الألباني في إرواء الغليل (٢٢٠٨)، عن عبد الله بن عمرو.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى
الأشعري.

(٤) كما جاء في حديث النعمان بن بشير: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحيمهم وتعاطفهم مثل
الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى». متَّفَق عليه: رواه
البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٦).

هذا هو تصوير الأمة الإسلامية.

الأمة الإسلامية أمة واحدة جمعتها العقيدة، وجمعتها الشريعة، ووحدتها القبلة، فلا يجوز أن يخذل بعضها بعضاً، ولا يجوز أن يُعين بعضها أعداءها عليها، هذا ما يُستغرب جداً.

الله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

فقهاؤنا قالوا: الكفر كله ملّة واحدة^(١): يوالي بعضهم بعضاً، ويساند بعضهم بعضاً.

ولذلك نراهم يختلفون فيما بينهم ويتفقون علينا، إذا كان العدو هو الإسلام فإنّ كلمتهم تكون واحدة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ يعني - أيّها المسلمون -: إلّا يوال بعضهم بعضاً، ويساند بعضهم بعضاً، ويقف بعضهم بجانب بعض ويتكّتل بعضهم مع بعض ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

وأي فتنة وأي فساد إذا كان الكفر يتجمّع والإسلام يتفرّق؟!

إذا كان هناك عمل في جانب الكفر وسلبية وفراغ في جانب الإسلام؟!

هنا الخطر: ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

ولهذا لا يجوز لأي دولة إسلامية أن تتيح لأمريكا أن تضرب من

(١) روى سعيد بن جبير عن عمر أنّه قال: الكفر كله ملّة واحدة. انظر: الاختيار لتعليل المختار (١١٦/٥)، تحقيق محمود أبو دقيقة، نشر مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.

أرضها إخوانهم في الإسلام، هم لم يقتربوا إثمًا، ما فعلوا جريمة حتّى تُضرب أراضيهم بالصواريخ، وتُهدم منشآتهم بأسلحة الترسانة الأمريكية. إنّي أناذي البلاد الإسلامية في كلّ مكان: ألا يقدّموا العون لأمريكا في عدوانها على أفغانستان أو على غيرها؛ لأننا لا ندري من هي البلاد التي ستضربها أمريكا، وما هي المنظّمات التي ستضربها؟

قالوا: سيضربون حزب الله في لبنان! لماذا؟

حزب الله قاوم الإسرائيليين المحتلّين المعتدين، فلماذا يُضرب حزب الله؟ يضربون حماس والجهاد الإسلامي، لماذا؟

لأنّهم يدافعون عن أرضهم وحرّماتهم ومقدّساتهم.

من يضربون؟

كيفية علاج الإرهاب:

وهل هذا علاج للإرهاب حقًا؟

إن علاج الإرهاب لا يكون بمثل هذه الحروب.

علاج الإرهاب يكون بإقامة العدل في الأرض، أن تقيم الحقّ وتقاوم الباطل، أن تكون مع الضعيف ضدّ القوي، ومع المظلوم ضدّ الظالم.

هذا العدل هو الذي يجتث أسباب الإرهاب من الأرض، أمّا إذا بقيت هذه الأسباب وبقيت المظالم وبقي اعتداء القوي على الضعيف، وبقي منطق: تحكّم الذئب فاخضع أيّها الحمل، إذا بقي هذا المنطق فسيظلّ الإرهاب، ولو قتلوا «ابن لادن».

إنّ هذا لا يزيد الداء إلّا علّة، ولا يزيد الطين إلّا بلة، ولا يزيد النّار إلّا تأجّجًا.

إنهم بهذا يصبُّون الزيت على النَّار.

لا بدَّ لأمريكا أن تصحو، وأن تستيقظ يومًا ما، مرَّة واحدة في دهرها تُحاسب نفسها، وتراجع نفسها.

أمريكا ليست إلهاً، إنَّها بشر من البشر، وقد جرَّبت هذا، وأنَّها ليست مستعصية على أن تُضرب ولا على أن تُغزى، رغم ترسانتها العسكرية وأسلحتها النَّووية وما تملكه من قُوى اقتصادية وما... وما... رغم هذا ضُربت أمريكا.

وسيظلُّ العالم يفرِّخ أناسًا مثل: «ابن لادن» إذا ظَلَّت أمريكا على حالها، وظَلَّت القوَّة الباطشة الطاغية هي التي تتحكم وليس الحقُّ والمنطق.

حربٌ ضد الإسلام لا لإرهاب:

إننا نحذّر من خطورة هذه الحرب التي سمّاها «جورج بوش» الرئيس الأمريكي: حربًا صليبيّة!

قال: إننا نخوض حربًا أو حملة صليبيّة!

اعتذر بعضهم عنه وقال: إنَّها زلَّة لسان ولا يقصدها!

ونقول: إنَّ زلات اللسان كثيرًا ما تكون تعبيرًا عما تكنُّه الصدور وتخفيه.

وقد قال سيّدنا عليٌّ عليه السلام: غش القلوب يظهر على صفحات الوجوه وفتلات الألسن^(١).

(١) انظر: صبح الأعشى (٢٦٧/٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت. ولسيدنا عثمان بن عفان قول قريب من هذا: ما أسر أحد سريرة، إلّا أبدأها الله على صفحات وجهه، وفتلات لسانه. انظر: مجموع الفتاوى (١١٠/١٤).

هذه الفلتات هي التي تُعبّر عن الغش المكتوم، والقرآن الكريم يتحدث عن المنافقين فيقول للنبي ﷺ: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحَنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

عرفنا «جورج بوش» من لحن قوله، ومن فلتات لسانه، وهذا ليس بالأمر الجديد.

كتب كاتبوهم وفلاسفتهم أن الإسلام هو العدو المرتقب!

بعد سقوط الاتحاد السوفيتي - دولة الشر كما كان يسميها «ريجان» - أرادوا أن يكون لهم عدو جديد، يُعبّئون المشاعر ويُعبّئون القوى ضد هذا العدو، فمن يكون هذا العدو؟

لقد رشّحوا الإسلام ليكون هو العدو القادم! ولم يفعل لهم الإسلام شيئاً ولكنهم فعلوا هذا!

إنّها بقايا من الأحقاد القديمة والعُقد التي تحكم الغربيين، رغم أن الأمريكيان لم يشاركوا في الحروب الصليبية، ولكن كثير منهم أوربيو الأصل فتحكمهم هذه العُقد.

رشّحوا الإسلام ليكون هو العدو وقالوا: إنّ الخطر الأحمر - الشيوعي والروسي - قد زال بسقوط الاتحاد السوفيتي، والخطر الأصفر الصيني أصبحنا نتقارب معه، ولكن بقي خطر واحد هو: الخطر الأخضر! الخطر الإسلامي.

وهناك من كتّابهم وأساتذة جامعاتهم ومفكّريهم من قاوم هذه الفكرة وقال: إنّها أسطورة وليست حقيقة، الإسلام ليس خطراً.

وإذا كانوا يعتبرون الإسلام في حالة ضعفه ووهن أهله وتفرُّق حُكَّامه، إذا كان الإسلام خطرًا في هذه الحالة، فما بالكم لو قويت شوكة الإسلام وأصبح للإسلام قوَّة في هذه الأرض؟!

الإسلام ليس خطرًا على أحد:

الواقع أنَّ الإسلام ليس خطرًا، الإسلام رحمة الله للعالمين، الإسلام هو العدالة الإلهية، الإسلام هو الَّذي جاء بالعدل والميزان؛ ليقوم النَّاس بالقسط، ولكن الإسلام خطر على الإلحاد، خطر على الاستعباد، خطر على الفساد، على الإباحية، خطر على هذه الأشياء.

كتب كاتبهم المعروف «هانتنغتون»^(١) كتابه المسمَّى «صراع الحضارات» أو «صدام الحضارات»، وذكر أنَّ هناك ثماني حضارات في العالم، وهذه الحضارات يمكن التفاهم معها ما عدا حضارتين خطيرتين: حضارة الصين ويسمِّيها الحضارة «الكونفشيوسية» والحضارة الإسلامية. وذكر أنَّ الحضارة «الكونفشيوسية» ممكن التقارب معها، الخطر يكمن في الحضارة الإسلامية!

الكلام كلُّه يتَّجه إلى الحضارة الإسلامية، كلُّ هذه تغطية لما في الأنفس.

الإسلام إذن هو المقصود، هو الخطر الَّذي يجب أن تُعبَأ له القوى، هو الَّذي يجب أن توجَّه له الحرب الصليبية.

(١) هو «صمويل هانتنغتون» أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد الشهيرة، وأحد أساتذة الدراسات الاستراتيجية القريبين من صنَّاع القرار، بالإضافة إلى أنَّه يهودي. انظر كتابنا: المسلمون والعولمة ص ١١٠، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.



ونقول لهؤلاء: إِنَّ الحرب الصليبيّة القديمة انتصرت في أوّل أمرها، ثمّ دُحرت نهائيّاً، وأُخرجت من المنطقة مهزومة مدحورة لم تحقّق لها هدفاً، والحرب الصليبيّة الجديدة لن تكون أحسن حظّاً من الحرب الصليبيّة القديمة.

إنّنا ننصح الأمريكيّان بدل أن يحاربوا العالم الإسلامي، ويتخذوا من الإسلام عدوّاً، ننصحهم أن يقيموا الصلّات الحسنة مع المسلمين، بأن يتخلّوا عن ظلمهم وعدوانهم وعن تحييزهم لهذه الدولة المعتدية الصهيونيّة، وأن يقفوا موقف الحقّ والعدل.

إنّ أمريكا بلد غني، آتاه الله من الخيرات والثروات ما لم يؤت غيره. كان «ماوتسي تونغ» الزعيم الصيني الشهير يقول: إنّه يجب إعادة توزيع السُّكّان في العالم، فليس من العدل أن تكون أمريكا وكندا تستمتعان بقارة كاملة تكفي لأضعافها من الملايين، وأن يعيش الصينيون - ألف مليون أو أكثر - في هذه البقعة المحدودة من العالم!

أمريكا تتمتع بهذه الخيرات، كلّ شيء واسع، كلّ شيء كبير، ما أغناها عن أن تتدخّل في شؤون العالم، وأن تتمتع بهذا الجبروت: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشُّعراء: ١٢٨ - ١٣٠]، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ * وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخِرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبَالْمُرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

الأمم التي طغت وأفسدت لم تسلم من عقاب القدر، لم تسلم من عقوبة السماء، كان ربك لها بالمرصاد، مهما بلغت من العُتُو ومهما



بلغت من الكبرياء فإن الله أكبر منها وأقوى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

من الخير لأمريكا أن تصادق العالم الإسلامي وتصادق العالم كله، بدل أن تجعل نفسها سيدة العالم وقائدة العالم.

وإذا رضيت أن تكون قائدة العالم، فقيادة العالم لها شروط ولها أوصاف: أن تقود العالم بالعدل والإحسان لا بالظلم والعدوان.

القيادة العالمية الحقّة لا بدّ أن تؤدي أمانتها وإلا تعرّضت لعقاب الله تعالى.

يا أيُّها الإخوة المسلمون، إنّنا ننكر ما حدث في «نيو يورك» وما حدث في «واشنطن»؛ لأنّه نال أناساً برّاء لا ذنب لهم، ومن هؤلاء البرّاء: مسلمون وعرب وأناس آخرون.

قال لي بعض الإخوة في أمريكا: إنّ في مركز التجارة العالمي أكثر من ألفي مسلم، وكان لهم مكان اتخذه مسجداً يصلُّون فيه الجمعة، يحضر فيه أكثر من ألف وخمسمائة مُصَلٍّ.

فهناك مسلمون في هذه الديار، ولذلك نحن ننكر هذا.

ولكن ننكر أشدَّ الإنكار أن تحاول أمريكا أن تتخذ من هذا الأمر تُكأة لتضرب المسلمين، وتضرب المنظّمات الدعوِيّة والجهاديّة في العالم، باسم محاربة «الإرهاب»!

من هو الإرهابي؟ وما هو الإرهاب؟

إنّ هناك كثيراً من الأنواع التي يسمونها إرهاباً ليست إرهاباً.



كيف يُعتبر حزب الله إرهابيًا، وهو يدافع عن أرضه، ويقاوم عن
حُرّماته ومقدّساته؟!!

كيف يُعتبر الذين يدافعون عن ديارهم، ويدافعون عن استقلالها
وسيادتها وحُرّماتها، كيف يعتبر هؤلاء إرهابيين؟!!

إننا لا نستطيع أن نترك لأمريكا أن تحدّد «الإرهابي» على هواها، بل
نحن نطالبها إذا كانت تريد العدل حقًا أن تُشرك في التحقيقات التي
تُجرى غير الأمريكيين، أن تُشرك نفرًا دوليين ومسلمين ومن كلّ الفئات؛
لأننا لا نطمئنُ إلى عدالة تحقيقها، إنها تُسمّي الحرب التي تشنها: حرب
العدالة المطلقة، العدالة الأبدية!

وهل تملكون أنتم العدالة المطلقة؟

من ملّكم هذا بحيث تعتبرون حروبكم عدالة مطلقة؟

إنّها خالية من العدالة، إنّها عدالة فرعونية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ
وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص: ٤].

ولذلك نطالبهم - إذا كانوا يريدون العدل حقًا - أن يُشركوا أناسًا في
التحقيق لنطمئن على سير التحقيق، وإذا ثبت إدانة «ابن لادن» وغيره
فيجب أن يمثل أمام محكمة دولية وفيها قضاة مُسلمون، فنحن لا نمانع
ذلك. ولكن أين الدليل؟ أين البيّنة؟

إننا لا نجد أيّ دليل ولا أيّ بيّنة، إلّا دعاوي عريضة، تبلغ عَنان
السما، وتشقُّ الأجواء، وليس وراءها شيء.

إننا نريد العدل، ونريد الحقّ، ولا نريد لأحد أن يظلم، ومن الذين
يُظلمون الآن في أمريكا وأوربا إخواننا المسلمون والعرب هناك، فقد أصابهم

ما أصابهم وقُتل منهم من قُتل، وضُرب منهم من ضُرب، واعتُدي على مساجدهم وعلى مراكزهم الإسلامية وعلى مدارسهم، وأصبح الكثيرون منهم يتخوّفون أن يخرجوا من بيوتهم، حتّى النّساء المسلمات أصبحن يتحرّجن ويتخوّفن أن يخرجن إلى الطريق، أصبحت المسلمة تخاف أن تخرج وهي لابسة حجابها فتعرض أقلّ ما تتعرض له إلى: الإهانة والبصق عليها والشتيمة وغير ذلك، وقد يعتدي عليها بعض الجهلة والسّفهاء.

على أمريكا أن تحذّر من الظلم:

ما ذنب هؤلاء المسلمين؟

إنّهم جزء من المجتمع الأمريكي، إنهم يعملون فيه بجدّ وإخلاص، باعتبارهم مواطنين.

وبعضهم وُلدوا في أمريكا، وبعضهم أمريكيون أصليون.

هناك سبعة ملايين - أو أكثر من سبعة ملايين - من هؤلاء في أمريكا، وهناك عشرات الملايين في أوروبا، فكيف يُنظر إلى هؤلاء على أنّهم معتدون؟ كيف يُعاقب الإنسان بذنب غيره وبلا تحرّ ولا تدقيق؟

إنّنا نحذّر من هذه المعاملة، ونحذّر أمريكا أن تستجيب لعواطف الشارع الهائج في هذه الفترة لتضرب ضربتها لإرضاء هذا الشارع، وليس هذا شأن القيادة المسؤولة، ليس هذا شأن من يريد أن يقود العالم، وأن يكون القطب الأوحد في العالم، ليس من شأنه أن يتخذ القوّة وحدها ذريعة.

القوة لا يمكن وحدها أن تنصر حقّاً، إنّما ينتصر الحقُّ بتأييد الشُّعوب وتأييد الجماهير التي تنشد العدل، وتتحزّى العدل، وتحبّ الحقّ، وتجري وراءه، وتركض من أجله.



هذا هو الذي ينصر القضايا العادلة.

تحذيرنا لأمريكا أن تجري وراء أهوائها وشهوات الاستعلاء عندها لتضرب شعوباً بريئة فيتجمع العالم الإسلامي كله ضدها.

قد يخنع كثير من الحكّام لبطش أمريكا وتهديدها، ولكن الشعوب، ولكن الجماهير، ولكن الشارع لن يخضع، لن تخيفه أمريكا، لن ترهبه الترسانة العسكرية، لن تخيفه الأسلحة النووية، لن تهدده القوة الاقتصادية؛ لأنّه رضي بالله ربّاً، وكان مع الله فكان الله معه: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لقد قرّر علماء المسلمين من جميع مذاهبهم أنّه إذا اعتُدي على بلد مسلم بغير حقّ فيجب على أهلها أن يقاوموا عن بكرة أبيهم، فرض عين عليهم أن يقاوموا، وواجب على المسلمين في أنحاء العالم أن يساعدهم ويساندوهم بكلّ ما يحتاجون إليه من المال والسّلاح والرجال؛ لأنّ المسلمين أمة واحدة يسعى بدمّتهم أدناهم وهم يد على من سواهم، ولا يجوز لمسلم أن يُفِرّط في أخيه أو يسلمه ويخذه ويتركه لعدوه يفتريسه وهو يتفرّج عليه.

نسأل الله تعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علّمنا.

اللهمّ أكرمنا ولا تُهّنّا، وأعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تُؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهمّ عليك بأعدائك أعداء الإسلام، اللهمّ ردّ عنا كيدهم، وفلّ حدّهم، وأدلّ دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهمّ إنّنا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم.

اللهمّ مُنزل الكتاب ومجري السّحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم.

اللهمّ أنزل بهم بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين.



اللهم زلزل أقدامهم، ونكس أعلامهم، وأذهب ريحهم، ولا تدع لهم سلطاناً على أحد من عبادك المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمين.

وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



القمة الإسلامية المسيحية الأولى في روما حول الإرهاب وأسبابه^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

المراد من الحوار الإسلامي المسيحي:

في الأسبوع الماضي (أكتوبر ٢٠٠١م) دُعيت إلى المشاركة في مؤتمر للحوار الإسلامي المسيحي، عُقد في مدينة «روما» عاصمة إيطاليا، وتردّدت في أوّل الأمر أن أستجيب لهذه الدعوة، ولكن بعد أن استخرت الله تعالى واستشرت العقلاء من حولي، قبلت الدعوة، ولأول مرّة أشارك في هذا النوع من الحوار.

وكان المقصود من هذا الحوار ألا يكون هناك مواجهة بين الإسلام والنصرانية، وأنّ ما يجري الآن ليس صراعاً بين الإسلام من جانب والنصرانية من جانب آخر.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٥ رجب ١٤٢٢هـ الموافق ١٢ أكتوبر ٢٠٠١م.

وقلنا لهم: نحن نُرحِّب بالحوار، الحوار بين الإسلام وبين النصرانية؛ لأننا - نحن المسلمين - مأمورون بالحوار^(١).

الحوار يُسمِّيه القرآن: الجدل، أو الجدل بالتي هي أحسن، فهو منهج من مناهج الدعوة في القرآن: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [التحل: ١٢٥].

الحكمة والموعظة الحسنة مع الموافقين، والجدل بالتي هي أحسن مع المخالفين، وخصوصاً مع أهل الكتاب، الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، أي: اذكروا القواسم المشتركة بينكم وبينهم.

هناك نقاط تمايز واختلاف ونقاط لقاء واشتراك، في أثناء هذا الحوار والجدل بالتي هي أحسن: اذكروا نقاط الالتقاء والاشتراك؛ حتى يسهل التقريب بين الفريقين.

هذا منطق قرآني في التقريب بين الناس، حتى إن القرآن حينما جادل المشركين يقول: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٢٤، ٢٥]، وكان مقتضى المقابلة أن يقول: ولا نُسأل عما تُجرِّمون، ولكن للتلفظ بهم وإيناسهم والرفق بهم لم يشأ أن ينسب الإجماع إليهم صراحة وقال: ﴿وَلَا تُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

(١) الحوار الذي ندعو إليه ونؤمن به، له أسس وضوابط، راجع هذه الأسس والضوابط في كتابنا: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق ص ٤٩ - ٥٢، نشر دار الشروق، ط ٢، ٢٠٠٥م.

مجالات مشتركة للقاء:

فعلى هذا المنطق التقينا بالقوم، في مؤتمر مشترك، أطلقوا عليه: «القمة الإسلامية المسيحية الأولى» وقلنا: إنَّ هناك مجالات يمكن أن يشترك فيها الدينان وأهل الدينين معًا:

هناك الوقوف ضد الإلحاد ودعاة الإلحاد والجحود بالله تعالى، الذين لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالآخرة، ولا يؤمنون بالنبوات، ولا يؤمنون بالقيم الأخلاقية، ولا يؤمنون بالتعبُّد لله - تعالى، هؤلاء يجب أن نقف جميعًا جبهة متراصة في وجوههم.

وهناك دعاة الإباحية الذين يريدون الحرية الجنسية المطلقة، ويبيحون الشذوذ الجنسي، وقيمون أندية للعرافة، ويبيحون زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، إلى آخر هؤلاء، فيجب أن نقف معًا ضد هؤلاء.

كما يجب أن نقف جميعًا ضد المظالم التي تقع في الأرض، مثل المظالم التي تقع على الشعب الفلسطيني، الذي يعاني ما يعاني منذ سنين طويلة من تجرُّ الكيان الصهيوني على هذا الشعب الأعزل المستضعف في الأرض، والذي بذل من دمائه وبذل من نفسه ومن معاناته الكثير والكثير.

هناك مجالات يمكن أن نشترك فيها.

ولقد أسمعنا القوم كلمتنا واضحة صريحة في هذا الموقف المهم من تاريخ البشرية.

ننكر الإرهاب:

قلنا لهم: نحن ضد الإرهاب، ونحن أنكرنا من أوَّل يوم حوادث التفجيرات التي وقعت في «نيو يورك» و«واشنطن»، ولكن من المهم



جدًّا أن نحدّد: ما هو الإرهاب، ولا نترك الأمور يختلط بعضها ببعض، وهذا أمر في غاية الأهمية.

إنّ أمريكا تريد أن تترك مسألة الإرهاب قائمة غائمة، مائة رجاجة تفسّر الإرهاب كما تشاء؛ لتدرج ضمن الإرهابيين من لا يمكن أن يكونوا من الإرهابيين.

وقد رأيناها أدخلت في المُنظّمات والشخصيات السبعة والعشرين التي ذكرتها: «حركة المجاهدين الكشميريين»، وهي حركة مقاومة مشروعة، حركة من أبناء كشمير تدافع عن أرضها، وعن مقدّساتها، وعن حرياتها، وعن حقّها في تقرير مصيرها، اعتبرتهم أمريكا من الإرهابيين! هناك جمعية «الوفاء» وهي جمعية خيرية إغاثية إنسانية تشتغل بحفر الآبار وبناء المساجد والمدارس وهذه الأشياء، ولا علاقة لها بالسياسة، أيضًا صنّفتها ضمن المنظّمات الإرهابية!

وفي التقارير السنوية لأمريكا تجعل جماعة «حماس» وجماعة «الجهاد الإسلامي» و«حزب الله» من المُصنّفين في مربع الإرهاب! والجماعات الموجودة في سوريا من الفصائل الفلسطينية تجعلها من الإرهاب، وهكذا، فهذا أمر مرفوض.

معنى الإرهاب:

لا بدّ أن نُحدّد: ما هو الإرهاب؟

فالإرهاب أقرب ما يكون إلى البغي والحراقة - بالمصطلح الشرعي - اللذين هما من كبائر الذنوب في الشريعة الإسلامية.

والإرهابي: هو الذي يقتل النَّاس البراءَ بغير حقٍّ، ولا يُميِّز بين بريء ومسيء، ويستخدم المَدَنِيِّين في تحقيق أغراضه.

الإرهاب الذي ننكره:

أنا منذ سنين طويلة، منذ خُطفت الطائرة الكويتية وقُتل أحد ركَّابها، ورُمي من فوق كما تُرمى الأحجار، كأنه لا بشر ولا إنسان له كرامة، وهُشِّم وجهه ورأسه! منذ ذلك الحين أصدرت فتوى بتحريم خطف الطائرات واعتبار ذلك عملاً إرهابياً وعملاً مُجرماً ومُحرِّماً، ولا يجوز^(١)؛ لأنَّه: ما ذنب الرُّكَّاب؟

قد تكون أنت، وقد أكون أنا، وقد يكون ابني أو ابنك، أو أخي أو أخوك، قد يكون هؤلاء أحد هؤلاء الركاب.

ما ذنبنا حتَّى نخوِّف بنا حاكماً، أو نخوِّف بنا حكومة، أو تهدِّد بنا آخرين، أو تطلب بنا أشياء وتعرِّضنا للخطر؟

وحينما خطف «أبو سيَّاف» في جنوب الفلبين بعض الرهائن من الغربيين ومن الفلبينيين، وهَدَّد بهم الحكومة الفلبينية: إما أن تدفعوا كذا، وإما أن أقتل هؤلاء الرهائن، حرَّمت هذا، وأنكرت هذا، وذكرت على هذا المنبر هذا الأمر.

لا يجوز أن يُستخدم المدنيون أدوات للتأثير على الآخرين أو لتهديدهم. ولذلك لا نَجِيز أن تُستخدم الطائرات المدنية لتكون أدوات لتهديد الآخرين.

(١) انظر هذه الفتوى من كتابنا: فتاوى معاصرة (٢/٥٤٧ - ٥٥٢)، نشر المكتب الإسلامي، ط ١،

ما ذنبي أنا إذا كنت راكبًا هذه الطيارة وأنت تريد أن تحقق هدفًا ما؟

تقتلني وأنا لم أفعل شيئًا حتّى تقتلني!

الذين كانوا يركبون هذه الطائرات الأربع قطعًا أناس لا ذنب لهم،
لا ناقة لهم ولا جمل، ولا عنزة ولا حَمَل، فيما يجري في أمريكا.

ما ذنبهم حتّى تضرب بهم مركز التجارة العالمي؟

هذا لا يجوز.

والذين في مركز التجارة العالمي هم أناس - أيضًا - مدنيون برآء
وبعضهم مسلمون.

في مركز التجارة العالمي حوالي ألفين وخمسمائة مسلم، وكان
يجتمع منهم في كلّ جمعة - كما قال لي بعض الإخوة - حوالي ألف
 وخمسمائة يصلّون الجمعة في هذا المكان، ما ذنب هؤلاء؟

أنا أريد - أيّها الإخوة - أن تحرّروا مشاعركم، وتضبطوها بأحكام
الشرع.

لا ينبغي أن نتجاوب مع كرهنا لأمريكا، فنجيز مثل هذه الأعمال.

هذه أعمال ندينها ونجرّمها؛ لأنّ الإسلام يحرمّ تحريمًا قاطعًا ضرب
المَدَنِيِّين أو قتل المَدَنِيِّين البرآء أو قتل من لا يقاتل، هذا ما أوضحناه من
أوّل يوم، أصدرت بيانًا أنكرت فيه هذه الأعمال، والنبي ﷺ حينما وجد
امرأة في إحدى الغزوات مقتولة غضب وأنكر على أصحابه وقال لهم:
«ما كانت هذه لتقاتل»^(١)، يعني: لماذا تُقتل؟

(١) سبق تخريجه ص ٢٠.

إذن لا يُقتل إلا من يقاتل، من يحمل السلاح، ومن يعاون حاملي السلاح على قتالهم.

الإرهاب الذي نؤيده:

فهذا هو الإرهاب.

أمّا أن ندع الباب مفتوحاً بحيث يكون المقاتلون الفلسطينيون الذين يدافعون عن وطنهم، وعن مقدّساتهم، وعن أقصاهم، وعن حرّماتهم، داخلين في الإرهاب - وهذا ما تريده أمريكا - فنحن نرفض هذا.

لا بدّ أن نُحدّد: ما المراد بالإرهاب؟

من حقّ الفلسطينيين أن يدافعوا عن أنفسهم، من حقّهم أن «يقبل» الواحد منهم نفسه، أن يجعل من نفسه قبلة بشرية، ويفجّر نفسه في أعدائه، ويقتل مَنْ يقتل؛ لأن هذا المجتمع مجتمع عسكري، وهم غزاة محتلون، والشرائع السماوية والقوانين الوضعيّة والأعراف الدوليّة والقيم الأخلاقية تقرّ هذا، حتّى القيم الفطرية البيولوجية، في البيولوجيا أي جسم غريب يدخل إلى الجسم يقاومه الجسم ويرفضه.

فهذا حقّ فطري مشروع للنّاس.

من حقّ الفلسطينيين أن يقاتلوا ولو بهذه العمليّات الاستشهاديّة. العمليّات الاستشهاديّة مشروعة وقد أصدرت فتوى بذلك^(١)، ما دامت في أرض فلسطين، وما دامت للدفاع عن النّفس وعن المقدّسات وعن الحرّمات.

(١) نشرت في فتاوى معاصرة (٥١٨/٣ - ٥٢٦) تحت عنوان: شرعية العمليات الاستشهادية في فلسطين المحتلة.

فلا ينبغي أن تُخلط الأمور بعضها ببعض.

إنهم يريدون أن نحرم هذا العمل، يريدونا أن نقول: لا يجوز للإنسان أن يجعل من نفسه قبلة بشرية.

هذا ما يملكه المستضعفون.

الصهاينة يملكون ترسانة عسكرية هائلة، ترسانة نووية، ونحن نملك هذه القبلة البشرية، لا يستطيعون هم أن يفعلوا مثلما نفعل، أن يُضحوا بأنفسهم، ولكن نحن نستطيع أن نضحّي بأنفسنا، فنحن نملك ما لا يملكون.

من المهم جدًا أن نبين: ما هو الإرهاب؟

وأن ندين الإرهاب الحقيقي، أمّا الجهاد المشروع فهذا نعزّ عليه بالنواجذ، وننادي به، وندعو إليه، ونؤمن بأنه أصبح فريضة، وضرورة للدفاع عن أنفسنا.

الظلم أوّل أسباب الإرهاب:

ثم لماذا لا يتحدّثون عن أسباب الإرهاب؟

ما الذي أدّى إلى الإرهاب في العالم؟

إنّ الظلم، الظلم الذي يقع على البشر يدفع أناسًا إلى أن يفعلوا هذه الأعمال التي ندينها.

ولكن لا بدّ أن ننظر في أسبابها، إذا كانوا يريدون معالجة الإرهاب حقيقة فلا بدّ من معالجة أسبابه.



زارني القائم بأعمال السفارة الأمريكية في مكثبي منذ حوالي أسبوعين، وقلت له: إذا كنتم تريدون مكافحة الإرهاب أزيلوا الظلم، أنتم الآن رصدتم «أربعين مليار دولار» لمكافحة الإرهاب! وتبذلون الجهود وتريدون أن تجمعوا العالم وتقيموا تحالفًا دوليًا من أجل مكافحة الإرهاب.

قلت له: لو أنكم بذلتُم عُشر معشار هذا من الأموال والجهود لحلّ القضايا المعلقة والوقوف مع الحق والعدل، لو وقفتم مع الشعب الفلسطيني الذي يعاني الصَّاب^(١) والعلم طوال هذه السنين، ولم تقفوا مع الكيان الصهيوني المستكبر في الأرض بغير الحق، الذي يَسفك الدماء، ويخرّب الديار، ويقتل النَّاس الكبار والصَّغار والنِّساء والشيخ والأطفال، لو لم تقفوا معه بالمال وبالسَّلاح والفيديو، ما حدث ما حدث.

الذي حدث نتيجة هذا الظلم واستمرار هذا الظلم في الأرض.

قلت له: وأنا أخشى أن تصرفوا الأربعين مليار دولار وأكثر منها، ثم لا تقضون على الإرهاب، سيظلُّ الإرهاب قائمًا، ستكون النتيجة صفرًا، وربما كانت بالناقص.

ربما قضيتم على «أسامة بن لادن»، ولكن سيظهر ألف أسامة بن لادن بعده.

أسامة بن لادن ليس شخصًا، إنَّه ظاهرة، ظاهرة مقاومة المستضعفين في الأرض للأقوياء بأساليب لا تخطر على بالهم.

المستضعفون يفكرون في وسائل لا تخطر على بال الأقوياء، وهم مستعدُّون أن يضحُّوا بأنفسهم.

(١) الصاب: عصارة شجر مُرّ.

وقلت لهذا القائم بالأعمال: إنَّ الإرهابي شخص غير عادي، إنَّه ليس صاحب مصلحة، بل هو صاحب قضية، يجب أن ندرس نفسيته ونتعرَّف على دوافعه.

هو شخص مغلق على نفسه، شديد التعصُّب لفكرته، هو صاحب قضية مستعدُّ أن يضحي بنفسه من أجل قضيته، فلا يُجدي أن نقاوم عنفه بعنف مضاد؛ لأنَّ العنف المضاد سيزيده إصرارًا وتصلُّبًا وتعصُّبًا لموقفه. إنَّما تحارب الفكرة بالفكرة، نحاربه بتصحيح فكرته الخاطئة وتصحيح مفاهيمه المغلوطة، وهذا عمل أهل العلم والفكر والدعوة، عليهم أن يصحِّحوا ويقوِّموا ويرشدوا ويسدِّدوا، هذا هو عملهم.

قال: إذن هي حرب أفكار.

قلت: نعم هي حرب أفكار.

ثمَّ إنكم تحاربون الإرهاب بإرهاب مثله، يستخدم نفس منطق الإرهاب! الإرهابي الذي تحاربونه يقول: أنا لا أستطع أن أحارب «بوش» ولا أن أحارب (CIA)، لكنني أستطيع أن أحاربهم بتدمير منشاتهم، وفيها أناس مظلومون ولا ذنب لهم.

أنتم تستخدمون نفس هذا الأمر؛ لأنكم حين تضربون أفغانستان، تضربون شعبًا أعزل ليس هو الذي صنع الإرهاب.

فأنتم تستخدمون نفس المنطق، تحاربون الإرهاب بإرهاب آخر يستخدم نفس منطق الإرهاب.

والحرب الشاملة هذه لا تقضي على الإرهاب، الإرهابيون إنَّما يُقضى عليهم كأى مجرم، أي مجرم تريد أن تقضي عليه تقدِّمه لمحاكمة

عادلة، يأخذ جزاءه وفق الشَّرائع والقوانين المرضيَّة عند النَّاس، هذا ما ننادي به.

نحن نادينا بتدويل التحقيق وتدويل المحاكمة.

ما معنى تدويل التحقيق؟

أمريكا تريد أن تدوِّل الحملة الَّتِي تريدها، وهي ليست بحاجة إلى تدويلها، هي عندها من القوَّة ما يكفيها، ولكن تريد أن تأخذ شرعية بموافقة البلاد العربيَّة والإسلاميَّة على هذه الحملة، وقد ورطت البلاد العربيَّة والإسلاميَّة - للأسف - في هذا الأمر.

قلت له: بدل هذا التدويل، دوّلوا التحقيق، بمعنى: أن يشترك في التحقيق رجال من أنحاء العالم والمشهود لهم بالعدل والكفاية والإخلاص، يطمئن النَّاس إليهم. ما دامت القضية تهم العالم فأشركوا العالم معكم، ثمَّ لتكن المحاكمة دوليَّة - أيضًا - وليست أمريكيَّة فقط.

عنا على الأمريكيَّان أنَّهم منذ أوَّل يوم بل منذ الساعات الأولى اتجهت أنظارهم إلى العرب والمسلمين، ووجَّهوا التهمة إليهم قبل أن تبدو أية مؤشرات! وقد فعلوا ذلك في حادثة «أوكلاهوما سيتي» الشهيرة، ثمَّ تبَيَّن أنَّ العرب والمسلمين مظلومون وأنَّ الفاعل أمريكي، وقد حوكم وأخذ حقَّه بالإعدام.

ما الَّذي يمنع أن يكون هناك أناس ربَّما كانوا من الأمريكيَّين، ربَّما كانوا من اليابانيَّين، ربَّما كانوا من الصرب، ربَّما كانوا من تجار المخدرات، ربما... ربما...؟

الله أعلم.

وزير الخارجية القطري قال: إِنَّهُمْ أطلعونا على الأدلة التي عندهم فلم نجد لها حاسمة ولا جوهريّة... إشارات لا تدلُّ على شيء. وهم قالوا عن «ابن لادن»: إِنَّهُ المشتبه فيه الرئيسي! هذا الاشتباه لا يكون جريمة، ولا يوجب عقوبة، ولا يوجب شن حرب شاملة.

وقال رئيس لجان التحقيق: إِنَّ أماننا الآن نحو أربعين ألف خيط في دلائل وقرائن هذه القضية تحتاج إلى فرز وتصفية! أي تحتاج إلى شهور وشهور، وربما سنين حتّى يمكن القول: «مَنْ الْمُتَّهَم الحقيقي».

أربعون ألف خيط وربما تتزايد، فكيف يمكن أن نقول: إِنَّ فاعل هذا فلان وفلان، أو المجموعة الفلانيّة؟! نحن نريد أن يتحقّق العدل.

ثمّ لماذا لا تدين أمريكا الإرهاب الإسرائيلي وهو أعنف إرهاب في الوجود؟

إرهاب هذه الدولة الظالمة المستكبرة المتجبرة في الأرض لماذا لا تدينه؟ لماذا لا تقف ضده كما وقفت حينما كان الإرهاب ضدها وعندما وقع أثره عليها؟

ننشد العدل عند معالجة الإرهاب:

نحن - أيّها الإخوة - نحبّ العدل، ونقف مع العدل حيثما كان، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

إننا لا نريد أن يكون المنطق الشائع في الأرض هو منطق القوة، القوة التي لا تبالي بالناس، ما دام الإنسان يستطيع أن يفعل ما يشاء ولا يقول له أحد: قف مكانك أو قف عند حدك.

إنه المنطق الفرعوني الذي يتجبر في الأرض ويقول للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النّازعات: ٢٤]، ويقول لهم: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، رؤيته هي الرؤية، ورأيه هو الرأي، وسبيله هو الرشاد!

هذا هو المنطق الفرعوني المرفوض.

ما ذنب الشعب الأفغاني المسكين الأعزل الجائع البائس المكدود المهدود، الذي حطّمته الحروب أكثر من عشرين عامًا، وخرج من حرب إلى حرب؟

ما ذنب هذا الشعب لتدمّر منشآته، وتحطّم بُناه التحتية ليعود إلى العصر الحجري؟

كلّ البنى التحتية تدمّر الآن، واليوم قالوا: وقعت قبلة على أحد المساجد وقتلت مائتين من الذين كانوا في هذا المسجد. حتّى المساجد!

لماذا إذن تدينون الإرهاب الذي يقتل المدّنيين وأنتم تقتلون المدّنيين؟!

الشعب الأفغاني المسلم ليس له ذنب حتّى يُضرب بالقنابل، وليس عنده شيء.

تأتي الطائرات الضخمة وترجع أحياناً بحمولتها؛ لأنها لا تجد ما تضربه.

ثُمَّ لماذا تُفرض حكومة على هذا الشعب؟

مَنْ الَّذِي نَصَّبَ أمريكا شرطياً على العالم؟

مَنْ الَّذِي نَصَّبَهَا حاكماً على العالم تعطي من تشاء وتمنع من تشاء، وتعزُّ من تشاء وتذلُّ من تشاء، وتؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممَّن تشاء، كأنَّها إله في هذه الأرض، لا يُسأل عمَّا يفعل، ولا يُحاسَب على ما يقول؟

لماذا هذا التآله؟

إنَّها تريد أن تزيل حكومة «طالبان» وتقيم مكانها حكومة أخرى، وهذا ما يرفضه العالم.

العالم يرفض أن تكون هناك قوَّة هي المُتَحَكِّمَة، تكون هي الإمبراطور الذي يتحكَّم في مصير البشر.
هذا أمر لا يجوز.

الشَّعب الأفغاني شعب حرٌّ، هو الذي يقرِّر مصيره بنفسه، ويختار من يحكمه، وإذا كان هناك عشرة في المائة (١٠٪) من أراضي أفغانستان لا تسيطر عليها طالبان فإنها تسيطر على تسعين في المائة (٩٠٪).

نحن نرفض التدخل في أمر هذا الشَّعب الأفغاني وفي تقرير مصيره، ولا يجوز إلَّا أن يُترك لنفسه، لا يجوز أن يُفرض عليه حاكم، لا يجوز أن يؤتى بملك - أكل الدهر عليه وشرب عمره ستَّة وثمانون عاماً لا يعي ما يقول - ليُفرض على هذا الشَّعب من جديد، وقد انتهى من هذه

الملكية ومن آثارها وقد جنت عليه ما جنت، ولولا فساد الملكية وانحرافها ما أدت إلى حكم الشيوعيين، وما أدت إلى الحروب التي صارت إلى آخر ما صار.

كنا نتمنى من المؤتمر الوزاري الإسلامي الذي عُقد في الدوحة أن يقول كلمته بصراحة، وأن يرفض العدوان على أفغانستان، فهذا ما يقتضيه منطق الإسلام.

الفقه الإسلامي بجميع مذاهبه وجميع مدارس علمائه لا يجيز للمسلم أن يكون أداة لحرب أخيه المسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه...»^(١)، «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»^(٢)، «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٣)، «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النار»^(٤).

فكيف نجيز أن يُضرب هذا الشعب الأعزل بغير ذنب جناه؟

وقد قالوا، أي طالبان: إنه إذا ثبت أن «ابن لادن» فعل ما فعل وقُدِّمت إلينا أدلة مُقنعة، مُستعدُّون أن نُقدِّمه للمحاكمة.

ولكن لم يثبت، وهيئات أن يثبت الآن، إلا بعد مدّة قد تطول، خصوصًا أن الذين فعلوا هذه الجريمة قد ذهبوا إلى الدار الآخرة،

(١) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير بن عبد الله.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٤٨)، ومسلم في الإيمان (٦٤)، عن عبد الله بن مسعود.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٣١)، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٨)، عن أبي بكرة.



قتلوا وذهبت الأسرار الأساسية معهم: من الذي حرّضهم؟ ومن الذي دفعهم؟

وهل من حرّضهم يتحمّل المسؤولية مثلهم؟

هل هم جنود في جيش مأمورون أن يطيعوا؟

هم يستطيعون أن يقولوا: لا.

هم يتحمّلون نتيجة ما حدث، هم المسؤولون الأساسيون. فما مسؤولية غيرهم؟

هذه قضية تحتاج إلى قضاء عادل يبحثها وفق القوانين والمبادئ الشرعية والقانونية الدولية.

هذا أمر خطير.

نحن كنّا نودّ من المؤتمر الوزاري الإسلامي أن يقول: لا.

ولكن للأسف، إن معظم حكوماتنا تخشى من بطش أمريكا، وتجاهل أمريكا، ولا تستطيع أن تقول لها: لا.

يتعاملون معها تعامل الحمل مع الذئب، أو الفأر مع القط، ويربتون على أكتافها.

إنّهم ينافقونها في الظاهر ويلعنونها في الباطن، هذا ما رأيناه، كلّ حكامنا يلعنون أمريكا في داخلهم وبين أنفسهم وبين بعضهم وبعض، ولكن إذا اجتمعوا في الملأ لم يستطيعوا أن يقولوا: لا.

أحبّ أن أقول أيّها الإخوة، أمريكا ليست شيئاً واحداً، من الظلم أن نقول: إن كلّ أمريكا شيء واحد.

هناك أناس يرفضون هذه الحرب، وهناك أناس ضلّهم الإعلام.

وأقول للعقلاء في أمريكا:

إنكم وإن كسبتم بعض حكام البلاد الإسلامية، خسرتم الشعب الإسلامي، خسرتم الشارع الإسلامي، خسرتم ألف مليون وثلاثمائة مليون من المسلمين في أنحاء العالم، خسرتم معظم هؤلاء.

فمعظم هؤلاء أصبحوا يكرهونكم الآن، خصوصًا بعد ضرب أفغانستان، وقد جعلتم من «ابن لادن» بطلاً، أصبح الناس يحملون صورته لا حباً فيه ولكن كراهية لأمريكا، فأنتم الذين جنيتم على أنفسكم.

أنتم - أيها الأمريكان - تخسرون هذه الشعوب والجمهير الإسلامية في المشارق والمغارب.

لا، ليس هذا هو منطق العقلاء.

العقلاء ينبغي أن يكسبوا الشعوب، هذا رصيد مهم جداً، الحكام زائلون والشعوب هي الباقية.

أمريكا تخشى الإعلام المنصف:

أمريكا على جلاله قدرها، وعلى عظمتها، على ما تملك من أسلحة نووية وغير نووية، وما تملك من قوّة اقتصادية ومن جبروت إعلامي، أمريكا هذه اهتزّت وتزلزلت من أجل قناة الجزيرة!

قناة الجزيرة هذه القناة الصغيرة الكبيرة، التي صارت أكبر من قطر، ولم تعد قناة قطر، إنها أصبحت قناة العالم العربي والعالم الإسلامي، أمريكا تهتزّ وتزلزل من أجل كلمة تقولها قناة الجزيرة!



وقد ضاقت بها ذرعًا، وضاقت بها صدرًا، وشكوا إلى أمير قطر حينما زارهم، وقال لهم حفظه الله: «إنّها قناة مستقلّة وليس لنا سلطانٌ عليها، ونحن نريد أن نقيم دولة المؤسسات ودولة ديمقراطية، ونُعطيها الحقّ لتنظر في هذا الأمر وفق فلسفتها: «الرأي والرأي الآخر».

أمريكا تضيق بالرأي الآخر!

مجرد ظهور «ابن لادن» وإلقائه البيان جُن جنون أمريكا! لماذا تخافون؟

إنّها كلمة!

«ابن لادن»: سنحرم أمريكا من الأمن، لن تحلم بالأمن، ما دام أهل فلسطين لا يتمتعون بالأمن فستحرم أمريكا، كأنّ هذه الكلمة زلزال زلزل القوم.

وأصبح النَّاس يتحدّثون: هل تضرب أمريكا قناة الجزيرة؟

هل توجّه لها ضربة عسكريّة؟

يا سبحان الله! أيؤدي الجبروت في الأرض إلى هذا الحد؟!

أيمنع النَّاس من قول كلمة؟!

لا تستطيع أمريكا أن تفعل ذلك، ستثير الشّارع العربي والشّارع الإسلامي، والمسلمين في أنحاء العالم - من الفلبين ومن جاكارتا إلى الدار البيضاء إلى كلّ مكان في العالم - لو أصاب قناة الجزيرة شيء.

إنّها تتكلم باسم المسلمين، وباسم العرب، وباسم الأحرار والشّرفاء في أنحاء العالم.

لا يجوز أبدًا أن توجّه إلى هذه القناة الحرّة مثل هذه الاتهامات.

إننا ننصح أمريكا أن تراجع سياستها.

لو أنها تستفيد من الحوادث فالواجب أن تنبّهها هذه الكوارث، أن تعلمها هذه الحوادث.

الإنسان الخير إذا أصابته مصيبة فإنها تكون درسًا له، يتأمل في حياته، ويراجع رصيده، ويراجع حساباته، ويعرف: ماذا قدّم؟ وماذا أخر؟ وماذا فعل؟ وماذا ترك؟ حتّى يمكنه أن يقوم مسيرته، ويرشد مصيره.

هذا هو شأن الإنسان العاقل.

فإذا كانت أمريكا تستفيد من الحوادث فعليها أن تراجع سياستها الخارجية، وتنظر ما الذي جعل الكثيرين من أنحاء العالم يضمرون لها هذه الطاقة من البغض والكراهية؟ لماذا هذا؟

ينبغي أن تستفيد من هذا وتجعل ذلك مؤشرًا لمستقبلها: كيف تخطّط للتعامل مع الناس؟

أتعامل الناس بمنطق السيّد الذي يريد أن يجعل الناس عبيدًا يؤمّرون فيطيعون؟

أم تريد أن تعيش الناس بمنطق المساواة والبشرية؟

فنحن جميعًا أبناء لأب واحد وعبيد لربّ واحد كما قال محمّد ﷺ في حجة الوداع: «يا أيّها النّاس، إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ، ولا لعجميّ على عربيّ، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلّا بالتقوى، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم»^(١).

(١) سبق تخريجه ص ٨٩.

هذا هو المنطق الذي يجب أن يسود في العلاقة بين الناس، وليس منطق التحكّم، تحكّم القوي في الضعيف، ليس منطق الكراهية، منطق الكراهية هذا منطق لا وراءه إلا الدمار وإلا الخراب.

الإنسانية ينبغي أن يتعاون بعضها مع بعض، ولا ينبغي أن يتعادى بعضها مع بعض.

إنّ هناك كثيرًا من الأمريكيان يؤمنون بفلسفة الصراع والصدام بين الحضارات، كما قال ذلك أحد كتّابهم المشاهير، وخصوصًا بين الحضارة الغربيّة والحضارة الإسلاميّة.

ونحن قلنا لهم ولا زلنا نقول: إننا نؤمن بحوار الحضارات، وليس بصدام الحضارات، يمكن للحضارات أن تلتقي، وأن تتفاهم، وأن يأخذ بعضها من بعض، وأن يأخذ كلٌّ من الآخر ما تفوّق فيه.

على أن هذا لا يمنعنا أن ننقد ما في الحضارات من عور، وما فيها من تهافت.

ننقد الحضارة الغربيّة وما فيها من نزعة مادّيّة أو نزعة إباحيّة أو نزعة استعلائيّة، هذا هو الذي ينبغي.

أمّا أن يتخذ الإسلام عدوًّا، وأن يتخذ الإسلام خطرًا، وأن يسمّي العالم الإسلامي: «الخطر الأخضر القادم»، فهذا لا يجلب إلا الشرّ، ولا يجلب إلا الفساد.

نحن نمدُّ أيدينا لنقف على كلمةٍ سواء وندعو الآخرين جميعًا بما دعا به القرآن أهل الكتاب منذ أربعة عشر قرنًا ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].



قلوبنا مع الشَّعب الأفغاني، وألسنتنا تدعو للشَّعب الأفغاني، وأيدينا مبسوطة لمساعدة الشَّعب الأفغاني، وجزى الله أمير قطر الذي دعا إلى إنشاء صندوق لمعاونة الشَّعب الأفغاني؛ فالشَّعب الأفغاني في حاجة إلى المعونة من كلِّ جهة، لا يجد المدرسة التي يعلِّم فيها أبناءه، ولا يجد القوات الذي يستطيع أن يعيش عليه، ولا يجد، ولا يجد، فمن حقِّ هذا الشَّعب أن يُعان.

علينا أن نُعينه بأنفسنا، وأن نُعينه بأموالنا، وأن نقف معه ما استطعنا؛ «فالمؤمن للمؤمن كالبنیان يشدُّ بعضه بعضاً»^(١)، و«مَثَلُ الْمُؤْمِنِ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى»^(٢).

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وادعوا الله يستجب لكم.

* * *

(١) سبق تخريجه ص ١٢٨.

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٨.



محنة العالم الإسلامي^(١)

الخطبة الأولى

الحمد لله، الحمد لله الواحد القهَّار، العزيز المتكبر الجبَّار، مقلَّب الليل والنَّهار، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [آل عمران: ١٣].

الحمد لله، مُنْزِل الكتاب، ومُجْري السَّحاب، وسريع الحساب، وهازم الأحزاب.

الحمد لله، أمره بين الكاف والنون: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٢، ٨٣].

يا ربَّنَا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

سبحانك سبحانك، ما أعظم شأنك، وما أسطع برهانك، وما أغزر إحسانك، وما أعزَّ سلطانك.

سبحانك سبحانك، تؤتي الملك من تشاء، وتنزع الملك ممَّن تشاء، وتعزُّ من تشاء، وتذلُّ من تشاء، بيدك الخير، إنك على كلِّ شيء قدير.

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٣ شعبان ١٤٢٢هـ الموافق ٩ سبتمبر ٢٠٠١م.

سبحانك سبحانك، يا قاضي الحاجات، يا مجيب الدعوات،
يا كاشف الكربات، يا ربَّ الأرض والسموات.

سبحانك سبحانك، نشكو إليك دماء سُفكت، وحُرُمات انْتُهكت،
ومنازل دُمّرت، ومساجد خُربت، ومنشآت حُرقت، بأيّ ذنب قتلت،
وبأيّ جريرة دُمّرت.

سبحانك، نشكو إليك ضعف قوّتنا، وقلة حيلتنا، وهواننا على الناس
يا أرحم الراحمين، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربُّنا، إلى من تكلنا، إلى
عدوّ ملّكته أمرنا، أم إلى قريب يتجهمنا.

سبحانك، لا إله إلّا أنت، أنت الذي تعزُّ من تشاء، وتذلُّ من تشاء.
وأشهد أن لا إله إلّا الله، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم
الأحزاب وحده.

وأشهد أن سيّدنا وإمامنا وأسوتنا وحبينا محمّداً عبد الله ورسوله،
أدّى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده،
وتركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلّا هالك، فمن
يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ
ضلالاً مبيناً.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على هذا الرسول الكريم، وعلى آله
وصحابه، وأحينا اللهم على سنّته، وأمّتنا على ملّته، واحشرنا في زمّرتة،
مع الذين أنعمت عليهم من النبيّين والصّديقين والشّهداء والصّالحين،
وحسّن أولئك رفيقاً.

أمّا بعد، فإنا أئها الإخوة في الإسلام، أئها الإخوة في قطر، أئها الإخوة في الخليج، أئها الإخوة في مشرق العالم العربي ومغربه، أئها الإخوة في العالم الإسلامي، أئها الإخوة في كلّ مكان في هذه الأرض، في أوربا وأمريكا وفي الشرق الأقصى وفي آسيا وإفريقيا، أئها الإخوة المسلمون في كلّ مكان، تمرّ اليوم الأمّة الإسلاميّة خاصّة والعالم عامّة بمحنة قاسية، عرفنا أولها، ولا ندري آخرها:

أمريكا تتهياً لحرب أفغانستان:

يمرّ العالم الآن في محنة، في حرب كونيّة، حرب شاملة تأكل اليابس والأخضر، لا تفرّق بين بريء ومسيء، تأخذ الظالم والمظلوم معاً، إنّها الحرب العالميّة الثالثة، إنّها التحالف العالمي، التحالف العالمي الذي نشهده ليحارب فرداً واحداً.

أرايتم أقوى دولة في العالم وأعظم قوّة عسكريّة في التاريخ، تجنّد جنودها وجيوشها وعددها وعتادها، كلّ هذا من أجل فرد واحد إرهابي - كما يسمّونه - ومعه مجموعة من النّاس؟! -

أمن أجل هذا الشخص وهذه المجموعة تُشعل هذه الحرب العالميّة الضخمة؟! -

إنّ المجرمين عادة تتعقّبهم الشرطة، تهىء لهم الأسباب وتنصب لهم الشّباك حتّى تقبض عليهم.

أمّا أن تُشنّ حرب عالميّة كونيّة شاملة، فما سمعنا بهذا في التاريخ! إنّها لعجب من العجب، إنّها أيّام من أيّام الله في هذا الكون، وقد أمر الله سيّدنا موسى أن يذكرّ قومه بأيّام الله: ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٥].

نحن الآن في هذه الأيام العجيبة العصبية التي نرى فيها هذه الحرب التي تدمّر وتُهْلِك الحرث والنَّسل، والزرع والضَّرْع، والإنسان والحيوان، في هذا الشَّعب، الشَّعب المسكين، شعب أفغانستان الذي عانى ما عانى، وقاسى ما قاسى أكثر من عشرين عامًا، أهلكته الحروب والصراعات، وقَدَّم الملايين من الشُّهداء ومن الجرحى ومن المعوّقين ومن الأطفال الميتمين والأرامل والثكالى.

ألم يكف هذا الشَّعب ما قدَّمه؟

ما ذنب هذا الشَّعب المسكين حتّى يدمّر؟

وهو مُدَمَّر بالفعل، والمُدَمَّر لا يُدَمَّر!

لقد رأيت في «قندهار» بيوتًا لا يصلح أن يسكن فيها آدميون من بقايا العصور القديمة، وآخرين يسكنون في الخيام، وآخرين لا يجدون حتّى الخيام.

هذا الشَّعب هل يستحقّ كلّ هذه الحرب؟

إنَّها حرب مجنونة، حرب مجنونة لا عقل لها؛ لأنَّها تبحث عن عدو «زُبقي» لا يمكن الإمساك به، تبحث عن إنسان في مغارة في بلد فيه إحدى عشرة ألف مغارة! كيف يمكن الإمساك بشخص في هذه المغارات وقد عرفها وخبرها وعاشها سنين طويلة؟!

إنَّ الذي يلقي الثمرة المُرّة ويتجرَّعها هو الشَّعب الأفغاني.

إنَّها حرب لا عقل لها؛ لأنَّها حرب عُرف أوَّلها ولا يُعرف آخرها.

وهي حرب ظالمة؛ لأنَّها تقتل البرّاء، وتقتل المدنّيين من النَّاس، خطأً أو عمدًا، هذا هو الواقع.

وهي تدمر كل المنشآت الحيوية التي يملكها هذا الشعب، وكلّ
البُنى التحتية.

لم هذا كله؟

لم هذا الحشد من هذه المعدات الضخمة: (ب - ٥٢)، والقاذفات
العملاقة، والتنين السحري، والقنابل العنقودية والانشطارية، إلى آخر
هذه الأشياء؟

لم هذا كله؟

إنّها حرب ظالمة، حرب غير عاقلة.

وليت الشعب الأمريكي والإدارة الأمريكية يستفيدون من الدرس.

لقد وقفنا معهم حينما ضربت منشآتهم بغير حقّ، أدنّا هذا العمل،
وقلنا: لا يجوز بحال من الأحوال استخدام الناس المَدَنِيِّين في الطائرات
لنضرب بها أهدافاً أخرى، هؤلاء المدنيّون الذين يركبون الطائرات لم
يوكّلوا أحدًا في أن يقتلهم وأن ينتحر بهم، كذلك الذين ضربوا في مركز
التجارة العالمي، هؤلاء لا ذنب لهم، أدنّا هذا العمل.

ولكنّا ندين كذلك العمل المضاد لهذا العمل.

أمريكا تعالج الإرهاب بإرهاب أكبر:

إنّ أمريكا تستخدم نفس المنطق الذي يستخدمه الإرهابيّون!

الإرهابيّون يقولون: أمريكا ظلمتنا ووقفت ضدنا وفعلت كذا وكذا،
ونحن لا نستطيع أن نصل إلى الإدارة الأمريكية فنحن نضربها في
الأشياء التي توجعها.

هذا ما تقوله الإدارة الأمريكية! لا تستطيع أن تُمسِك بـ«ابن لادن»
فلتضرب الشعب الأفغاني كله!

بل أمريكا أعطت نفسها الحق الآن في أن تغتال من تشاء! كل من
تراه خطرًا عليها وعلى أمنها القانون قد أعطاهما الحق في أن تغتاله!
لا تُحاكمه، لا تُقدِّمه إلى محكمة.

لا، هي تُقرِّر، وهي التي تنفِّذ، هي الخصم والحكم، هي التي تملك
سلطة الادعاء، وسلطة القضاء، وسلطة التنفيذ!
هكذا يفعل الإرهابيون.

الإرهابيون أحدهم يجعل من نفسه مُفتيًا، وقاضيًا، وشرطيًا منفذًا!
هم يفعلون ذلك.

إذا كان الإرهابيون أفرادًا يمكن أن يقع منهم الخطأ ويقع الالتباس،
خصوصًا أنَّهم يعملون في السرايب وفي الظلام وبعيدًا عن أعين
الرقباء، فكيف تفعل ذلك الدول الكبرى؟! كيف تتخذ المنطق نفسه؟!
هذا ما لا يُقبل بحال من الأحوال.

والعجيب أن هذه الحرب حرب غير معروفة الزمان: متى تنتهي؟
ولا معروفة المكان: ماذا بعد أفغانستان؟

ولا معروفة الأعداء: من هم الذين سيُضربون بعد ذلك؟
كلُّ هذا مغطى ولا يُعرف شيء عنه.

لا يُعرف: متى تنتهي هذه الحرب؟

يقولون: إنَّها ستمتدُّ مُدَّةً طويلة غير معلومة، هكذا يريدونها.



على من يكون الدور بعد أفغانستان؟

ثمّ ماذا بعد أفغانستان؟ من العدو القادم؟ من الذي سٌكّال له الضربة؟
الله أعلم بذلك.

قد تكون العراق، قد تكون سوريا ولبنان، قد تكون إيران، وقد تكون باكستان التي هي حليفة اليوم، قد لا تصبح حليفة غدًا، قد تكون إندونيسيا، قد تكون أي بلد من هذه البلدان، لا يعرف.

قد تكون الصومال، يقولون: الصومال، وماذا في الصومال حتّى يُضرب ويدمر؟!

المثل يقول: الضرب في الميت حرام، فماذا يضرب في الصومال؟
إنّه لا يوجد في الصومال إلّا هذه الهياكل العظمية وبقايا الأدميين التي نراها على شاشات التلفاز، بقايا من البشر لا يجدون القوت، لا يجدون ما يمسك الرمق، أو يطفىء الحرق، فكيف يقاتل هؤلاء؟

وما الذي بينهم وبين الأمريكان؟

إذا كانت أفغانستان عندها «ابن لادن» فمن عند الصومال؟!

ثمّ العراق، ألم يكفهم هذا الحصار لمدة أحد عشر عامًا، وهذا الضرب المتواصل طوال هذه السنين؟

إنّ الذي يهّمنا العراق بلدًا، والعراق شعبًا.

هم يزعمون أنّهم يضربون «صدام حسين» ومن معه، والحقيقة أنّ الذي يُضرب هو الشعب العراقي، هو الوطن العراقي، هو القوّة العراقية، هم الأطفال الذين يموتون من الجوع كلّ يوم، مليون طفل في العراق

ماتوا من الحصار، ماتوا من قلة الغذاء، ومن قلة الدواء، ومن قلة الرعاية... ما ذنب هؤلاء الأطفال؟

إلى من تتجه الحرب بعد ذلك؟

ربما تتجه إلى بعض البلاد بحكم أنهم يؤوون الإرهاب.

وما الإرهاب؟

قلنا لهم: لا بد أن تحدّدوا مفهوم الإرهاب ومضمون الإرهاب، وهم قد رفضوا ذلك.

أرادوا أن يظلّ هذا المفهوم عائماً غائماً هلامياً رجراجاً يفسّره من يشاء بما يشاء وكيف يشاء.

«مصر» طلبت من مدّة طويلة أن يُعقد مؤتمر دولي للإرهاب يحدّد ما هو الإرهاب إلى آخره، ولكنهم لم يستجيبوا لذلك؛ لأنهم لا يريدون أن يحدّدوا مفهوم الإرهاب.

الإرهاب كما تراه أمريكا:

وقد رأينا الآن قائمة الإرهابيين: المنظّمات الإرهابيّة، والشخصيّات الإرهابيّة، أمريكا تجرّعها لنا جرعة بعد جرعة بالتدريج.

ذكروا في أوّل الأمر حركة المجاهدين الكشميريين اعتبروها من المنظّمات الإرهابيّة!

وسكتت باكستان وسكت العالم العربي على هذا الباطل الصراح، فحركة المجاهدين الكشميريين حركة وطنيّة، تدافع عن حقّها في الاستقلال والسيادة وفي تقرير المصير، تقاوم المحتلّين لبلدها.



اعتبروها إرهابية.

واليوم حصّص الحق، ووضح الصبح لذي عينين، وانكشف القناع، فإذا هم يعلنون علينا أنّ جماعة «حماس»، وجماعة «الجهاد الإسلامي»، وجماعة «حزب الله» في لبنان، و«الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» كلّ هؤلاء إرهابيون!

بل قال بعض كبارهم: إنّ الانتفاضة ليست إلّا إرهاباً!

هكذا، كتائب عزّ الدين القسام إرهابيون، سرايا القدس إرهابيون، كتائب تحرير الأقصى إرهابيون، جنود حزب الله إرهابيون، كتائب الثأر لأبي علي مصطفى إرهابيون!

وطبعاً الدول التي تؤوي هؤلاء تعتبر إرهابية!

لا مانع أن يحاربوا سوريا؛ لأنّ فيها فصائل فلسطينية من فصائل المقاومة!

لا مانع أن يحاربوا لبنان؛ لأنّه يؤوي حزب الله!

كلّ إنسان معرّض لأنّ يكون إرهابياً، قد أكون أنا مصنفاً في الإرهابيين؛ لأنّي أؤيد العمليات الاستشهادية داخل فلسطين، وقد تكونون أنتم إرهابين؛ لأنكم تسمعونني، وكلّ من يؤيد الجهاد في فلسطين والمقاومة المشروعة يعتبر في نظرهم إرهابياً!

أمّا «شارون» وجماعة شارون الذين يسفكون الدماء كلّ يوم، ويقتلون الأبرياء كلّ يوم، ويهدمون المنازل كلّ يوم، ويستعملون الدبّابات والصواريخ والمروحيات وسائر الأسلحة، ويحتلّون المدن والقرى، ويفتكون بهذا الشعب البريء الباسل، هؤلاء ليسوا إرهابيين!

شارون وجماعته ليسوا إرهابيين! إنهم ضحايا مظلومون، أمّا هؤلاء الصبيان الذين يقذفون بالطوب والحصى والحجارة! شارون وجماعته ضحايا هذا الظلم! ضحايا هذا العدوان الصباني! ماذا يفعلون أمام هذا التوحّش الفلسطيني؟!!

إنهم يقابلون الحصاة بالقنبلة والنبلّة بالمروحيّة!

هذا ما يقوله المنطق الأمريكي: هؤلاء ليسوا إرهابيين، وصبيان فلسطين أطفال الحجارة والحصا إرهابيون! أيّ منطق هذا يا قوم؟

ثمّ إنك ترى أن كلّ من يقدّم خيرًا للإسلام والمسلمين يوضع في موضع الشُّبهة، إلى أن يعلن عنه أنّه إرهابي.

بعض الجمعيات الإسلاميّة الخيريّة التي تُقدّم الخير للمسلمين، تُطعم الجائعين، وتداوي المرضى، وتكفّل اليتامى، وتؤوي المشرّدين، وتكسو العراة، هذه الجمعيات الإسلاميّة الخيريّة التي تقوم بعمل الخير في البلاد الإسلاميّة اعتبرت من الإرهابيين.

جمعية «مُوفّق» ومؤسّسها الشّابُّ الصّالح رجل الخير السعودي «ياسين قاضي» قالوا عنها: إرهابيّة!

أي إرهاب هذا؟!!

وبالأمس أضافوا «بنك التقوى»، و«شركة البركات» التي تعمل أكثر ما تعمل في الصُّومال المسكين الذي لا يجد قوت يومه.

«بنك التقوى» - وأنا رئيس هيئة الرقابة الشرعيّة لهذا البنك - كان

أنظف البنوك الإسلامية من ناحية معاملاته، كان أحرص على الالتزام بالأحكام الشرعية، ولم يدخل في أي معاملة فيها شبهة، حتى المربحات التي يساء تطبيقها كثيراً في البنوك الإسلامية تنزه عنها، حتى سوق السلع والمعادن لم يدخل فيها.

هذا البنك شنت عليه حرب منذ عدة سنوات - شنها الإعلام الغربي والأوروبي في سويسرا وفي إيطاليا وفي غيرها، في الصحف والإذاعات والتلفازات - لا لشيء إلا لأن القائمين عليه ملتزمون بالإسلام.

وخسر البنك، وكان يمكن أن يقف على قدميه، ولكن الحملات المتتالية استغلت هذا الأمر حتى سقط البنك صريعاً، وحول إلى التصفية.

والآن يضعونه على قائمة الإرهاب!

ماذا بقي في البنك حتى تضعونه على قائمة الإرهاب؟! إنه يصفى الآن، ولا يكاد يصل إلى أهله شيء يذكر من رؤوس أموالهم.

«وشركة البركات» التي تعمل في الصُومال هذا البلد المسكين، ماذا عند الصُوماليين؟

ليسوا من المليارديرات وليسوا من المليونيرات، إنه شعب مكافح معظمهم مغترب هنا وهناك، ويحول إلى أهله عن طريق هذه الشركة.

فإذا هم يضعون هذه الشركة في قائمة الإرهاب!

أي احتمال، مُجرّد شبهة، مُجرّد شك، الشك يُفسّر لمصلحتهم، وليس لمصلحة المُتهم.

كلُّ قوانين العالم تقول: الشكُّ يُفسَّر لمصلحة المُتَّهم، ولكن هذا كان قديمًا قبل الحادي عشر من سبتمبر، أمّا بعد الحادي عشر من سبتمبر فقد تغيّرت الدُّنيا، وتغيّرت القوانين، وتغيّرت الفلسفة.

حربٌ ضدَّ الإسلام الشامل المعتدل:

إنّنا نريد أن نُصدِّق الرئيس «بوش» بأنّ هذه الحرب ليست مواجهة مع الإسلام، ونريد أن نُصدِّقه في أن قوله: إنّها حملة صليبيّة كانت زلّة لسان.

ولكن الواقع الذي نقرؤه غير ذلك، إنّها تتبّع العمل الإسلامي، والعمل الخيري، والمؤسّسات الإسلاميّة، والشّخصيات الإسلاميّة، وحركات الجهاد الإسلامي، تتبّعها لتجعلها من الإرهاب! إذا كان هذا هو الإرهاب فإذن هذه مواجهة مع الإسلام.

ليست مواجهة مع الإسلام الخرافي، إسلام الموالد وإسلام الطقوس والإسلام الذي يسير في ركاب الظالمين، ولكنّها مواجهة مع الإسلام الحي، الإسلام المتحرّك، الإسلام الذي يرفض الخنوع والاستسلام للصهيونية الغادرة، وللصليبيّة الماكرة، وللوثنية الكافرة، هذا الإسلام هو الذي يراد.

وقد قال ذلك بصراحة أحد عبّيد الفكر الغربي «سلمان رشدي» المرتد المعروف، قال: لماذا تقولون: إنّها حرب مع الإرهاب، إنّها بصراحة حرب مع الإسلام السياسي.

ويقصدون بالإسلام السياسي: المسلمين الذي يطالبون بالإسلام منهجًا للحياة، ويطالبون بتحكيم شرع الله في أرض الله على عباد الله، يطالبون أن يُحكم المسلمون وفق عقيدتهم وشريعتهم.

أهذا ظلم؟ أهذا خروج على القانون؟

كل إنسان من حقه أن يكيّف حياته وفق عقيدته حتّى يرضي ربّه،
وينال مغفرته، ويدخل جنّته، وينجو من ناره وعقابه.

أليس هذا من حقّ كلّ إنسان؟

فلماذا لا يُترك هذا للمسلمين ليحكموا أنفسهم؟

هذا اسمه «الإسلام السياسي»، والإسلام السياسي هو مصدر
الإرهاب في نظر «سلمان رشدي»، الذي يسانده الغرب، ويقوّيه ويشدُّ
أزره، ويفتح له الأبواب المُغلقة.

التحريض على الإسلام:

بل إنّ أحد الذين حصلوا على جائزة «نوبل» هذا العام هو كاتب
أديب حصل على هذه الجائزة في كتاب قال فيه: إنّ أخطر شيء على
البشريّة هو: دين الإسلام. ما دام هذا الدين قائماً فسيظلُّ يُفرّخ هذه
الأنواع من العنف ومن الإرهاب إلخ. ولا نجاة للبشريّة إلّا بأن يختفي
هذا الدّين، حتّى إنّ الأجناس التي دخلت في الدين من غير العرب لن
تعود إلى سماحتها وإلى طبيّتها إلّا إذا خلعت رداء هذا الدّين وعادت
إلى أصلها وإلى وثنيّاتها القديمة!

هذا الكاتب كوفئ بهذا الكلام فأعطي جائزة «نوبل».

وهناك القسّ «روبرتسون» الذي رشّح مرّة لرئاسة الجمهوريّة سنة
(١٩٨٨م).

وهناك الأصوليّة المسيحيّة في أمريكا التي يُسمّيها بعضهم:



الصهيونية المسيحية، التي تؤيد إسرائيل وتطلعات إسرائيل وأطماع إسرائيل، وترى في انتصار إسرائيل بشيراً بالعودة الثانية للمسيح! هذا كله يجري أيها الإخوة.

إننا نريد أن نصدّق أنّ هذه الحرب ليست مواجهة مع الإسلام. فنحن لا نريد مواجهات بين الأديان بعضها وبعض، ولا بين الحضارات بعضها وبعض، ولقد شاركنا في الحوار الإسلامي المسيحي في روما وفي القاهرة، وقلنا: إنّه لا مانع أن تتعدّد الحضارات وتتعدّد الأديان، نريد أن نشيع ثقافة الحوار بدل ثقافة الصراع.

ولكن الفلاسفة السياسيين في أمريكا يقولون: إنّ الصراع حتمي بين الحضارات وخصوصاً الحضارة الإسلامية^(١)!

وكلمة الحضارة تخفي وراءها هذا القناع: «الدين الإسلامي». إنهم لا يريدون أن يقولوا: «الدين الإسلامي» بصراحة، فهم يُعبّرون عنه بالحضارة الإسلامية.

وهناك كاتب آخر له كتاب يسمّى: «نهاية التاريخ»^(٢) التاريخ انتهى إلى انتصار الرأسمالية الليبرالية الغربية على كلّ ثقافات العالم، وعلى كلّ فلسفات العالم، وعلى كلّ حضارات العالم.

إنّها «العولمة» التي يريدون أن تشيع في العالم وتحكم العالم.

(١) وممن قال بذلك: «صمويل هانتنغتون» وذلك في كتاب صدام الحضارات، أو صراع الحضارات، الذي ظهر في سنة ١٩٩٥م، انظر كتابنا: المسلمون والعولمة ص ١١٠ - ١١٥.

(٢) لمؤلفه فرنسيس فوكوياما، المفكر الأمريكي الياباني الأصل، وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٩٩٣م. انظر كتابنا: المسلمون والعولمة ص ١٠٧ - ١١٠.

والعولمة - أيُّها الإخوة - هو اسم جديد للاستعمار القديم.

الاستعمار القديم أراد أن يلبس لبوسًا جديدًا، ويتزيا بزي جديد، ولكنه هو هو. تتغيّر الأسماء والعناوين وتبقى المسمّيات والمضامين.

الاستعمار يريد أن يغزو العالم الآن تحت اسم: العولمة.

والعولمة في حقيقتها ليست إلّا «الأمركة».

إنّهم يريدون أمركة العالم: أن يدخل العالم تحت جناح هذا العملاق الكبير الذي أصبح مُتَفَرِّدًا في حكم العالم.

كان النَّاس قديمًا يجدون في اختلاف القُطْبَيْن الكبيرين رحمة، وكان السلف الصالح يقولون: اللهم أشغل الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين.

الآن انتهى الاتّحاد السوفيتي، انتهى دوره ولم يعد له دور يذكر، وأصبحت أمريكا هي القطب الأُحد الذي يسيطر على العالم، يُعلن الحرب متى شاء، ويُعلن السّلم إن شاء، ويُعلن أعداءه كما يريد، يقولون: إما أن تكونوا معنا أو مع الإرهاب!

يا سبحان الله، ألا يوجد أناس يقولون: لسنا معكم، ولا مع الإرهاب؟ قديمًا كانوا يقولون: إما أن تكونوا معنا أو مع السوفيت.

فقامت كتلة بشرية ضخمة من آسيا وإفريقيا تسمّي نفسها: كتلة عدم الانحياز، وتقول: لسنا معكم ولا مع السوفيت.

لماذا لا يقوم الآن من يقول: لسنا معكم، ولا مع الإرهاب؟

ولكن من يجرو أن يعلّق الجرس في عنق القط؟



مَنْ يملك أن يقول لأسد الغابة: لا؟

مَنْ يملك أن يتصرّف بحُرِّيَّة وسيادة؟

إنَّه لا يستطيع ذلك، سَتَسَلِّط عليه أجهزة الإعلام تهاجمه صباح مساء، كما تهاجم الآن المملكة العربيَّة السعوديَّة، كما تهاجم مصر، وهؤلاء من حلفاء أمريكا، ومع هذا أمريكا تريد لهم أن يكونوا معها شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، في الحقِّ وفي الباطل، خطوة خطوة، وكلمة كلمة.

لا تريد أن يكون لهم أي موقف.

وتريد من السعوديَّة أن تغير نظام تعليمها ونظام فلسفتها التعليميَّة؛ حتَّى يكون تعليمها وفق الفلسفة الأمريكيَّة، وفق الفلسفة الليبرالية.

أمَّا أن يكون وفق العقيدة الإسلاميَّة ووفق الشريعة الإسلاميَّة، فهذا التعليم لا يخرج إلَّا إرهابيَّين! هو الَّذي خرَّج «ابن لادن» وأنصار «ابن لادن»!

هذا ما يريده هؤلاء.

إنَّنا نعجب من هذا الموقف.

على أمريكا أن تعيد حساباتها:

كنا نريد من أمريكا أن تأخذ درسًا وعظة من هذه الأحداث.

الإسلام يُعَلِّم النَّاس إذا نزلت بهم مصيبة أن يسألوا: لماذا حدثت؟ ﴿أَوَلَمْآ أَصَبْتَكُمْ مُّصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ من أين هذا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، ﴿وَمَا أَصَبَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورى: ٣٠].



هذا هو شأن الإنسان المؤمن، إذا حدث له أحداث أن يقول: ما الذي حدث؟ لماذا؟ لماذا؟ لعلّي أخطأت، لعلّي أذنبت، يراجع نفسه، يراجع رصيده، ويقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

هذا هو شأن المؤمنين.

كُنَّا نريد من أمريكا وقد وقعت بها هذه الأحداث الهائلة أن تتخذ منها درسًا وعبرة، وأن تقف وقفة المحاسبة وتقول: لماذا يكرهني الناس في كل مكان؟

لماذا وأنا أقدم معونات هنا ومعونات هناك؟

لا بدّ أن هناك خللاً، لا بدّ أن هناك خطأ.

لماذا المظاهرات ضد العولمة، وضد منظمة التجارة العالمية حيثما عقدت في أي بلد؟ لم هذا؟
كلّه ضدّ أمريكا.

ستّ وعشرون ألف منظمة تعارض العولمة، وتعارض مؤسسات العولمة. لماذا هذا كلّه؟ ألا يحقّ لأمريكا أن تنظر في هذا؟

أهذه الشعوب كلّها على خطأ وعلى باطل؟

أيكفيها أن بعض الحكّام يجاملونها ويسيرون في ركابها؟

هؤلاء لا يكفون.

التعامل مع الشعوب، مع نبض الجماهير، مع إحساس الضعفاء، مع الفقراء، مع المساكين، مع الجائعين، هو الأولى.

إنَّ أمريكا عليها أن تتحسَّس آلام المستضعفين في الأرض، بدل أن تحاربهم، وتحاول أن تقضي عليهم.

إنَّ أمريكا في حاجة إلى أن تراجع نفسها.

صحيح أنَّ أمريكا عندها من الأسلحة النوويَّة والكيماوية والجرثومية ما تستطيع أن تؤدب به من تشاء، ولكن الضعفاء عندهم أسلحة أخرى، عندهم أسلحة لا يملكها الأمريكان.

الضعفاء والمظلومون عندهم سلاح «الدعاء» يتضرَّعون به إلى الله، يرفعون أكفَّهم إلى السماء، ويقولون: يا ربَّ يا ربَّ، «ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الربُّ: وعزَّتي لأنصرنك ولو بعد حين»^(١).

كان بعض السلف يقول: إِيَّاكَ ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم فإنهما تسريان بالليل والنَّاس نيام^(٢).

وقال النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل: «اتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين الله حِجَاب»^(٣).

لا تَظْلِمَنَّ إِذَا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا فالظلمُ ترجعُ عُقْباهُ إلى النَّدمِ
تَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَظْلُومُ مُتَّبِعُهُ يدعو عليك وعينُ الله لم تَنَمْ^(٤)

(١) رواه أحمد (٩٧٤٣)، وقال مخرَّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٣٥٩٨)، وقال: حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٥٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٢١/١)، من قول أبي الدرداء، نشر دار السعادة، القاهرة، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٤٨)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن معاذ.

(٤) ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ص ١٨٤، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ١٩٨٨م.

إِنَّا نَحْذَرُ «بوش» وإدارته من سهام القدر، ودعاء السحر، وكلّ أشعث أغبر لو أقسم على الله لأبرّه.

نحذره من هذه السهام... سهام الدعوات التي تصدر من ألف مليون مسلم في العالم، يوجهونها إلى الله، بأكفّ ضارعة، وقلوب خاشعة، وأعين من خشية الله دامعة.

نحذره من هذه السهام:

سِهَامُ اللَّيْلِ صَائِبَةُ الْمَرَامِي إِذَا وَتِرَتْ بِأَوْتَارِ الْخُشُوعِ
يُصَوِّبُهَا إِلَى الْمَرْمَى رِجَالُ يُطِيلُونَ السُّجُودَ مَعَ الرُّكُوعِ
إِذَا أُوتِرْنَ ثُمَّ رَمَيْنَ قَلْبًا فَمَا يُغْنِي التَّحَصُّنُ بِالذُّرُوعِ^(١)

أسأل الله تعالى أن يجعل يوم هذه الأمة - بل يوم هذه البشرية - خيراً من أمسها، ويجعل غدها خيراً من يومها، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، ويُجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

ادعوا الله يستجب لكم.

* * *

(١) القائل هو إبراهيم الدسوقي، صاحب الضريح المشهور بمصر، كما في روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين للشيخ أحمد بن محمد وتري ص ٥٠، نسخة حجرية، نشر المطبعة الخيرية، الجمالية، القاهرة، ١٣٠٦هـ.

الخطبة الثانية

أمّا بعد:

حول منعي من دخول الإمارات:

فقد سألني كثير من الإخوة عمّا حدث معي في «مطار أبو ظبي» الدولي، بعض هؤلاء يسألون مخلصين، وبعضهم يريد أن يصطاد في الماء العكر، أو أن يعكّر الماء ليصطاد، يريد أن يجعل من الحَبّة قُبّة، ومن الشرارة نارًا محرقة.

وأودُّ أن أقول لهؤلاء الإخوة مخلصين كانوا أو غير مخلصين: إن ما بيني وبين دولة الإمارات وشعب الإمارات: أعمق وأعظم وأكبر من أن يُؤثّر فيه حادث عارض، سواء كان سببه تصرفاً فردياً خاطئاً، أو انفعالاً سطحيّاً عارضاً، فلا يجوز لعقلاء النَّاس أن يتّخذوا مواقفهم بناء على تصرّفات فردية خاطئة، أو انفعالات سطحية طارئة.

لقد ظللتُ ثلاث سنوات أذهب إلى فضائية «أبو ظبي» في برنامج مفتوح على الهواء: أسأل وأجيب ولا حرج علي، ولم يعترض عليّ أحد، لم يكتشف أحد أنني إرهابي، لا بعد أسبوع أو أسبوعين، ولا بعد شهر ولا شهرين، ولا بعد سنة ولا سنتين.

وكان هذا بطلب وإصرار من وزير الثقافة والإعلام الشيخ عبد الله بن زايد.

وكانت جريدة «الاتّحاد» الطيانية اليومية تنشر لي في كلّ يوم مقالة، في كلّ يوم خلال السّنوات الماضية.

وحينما عاد سمو الشيخ زايد بن سلطان رئيس الدولة، ذهبْتُ لأُسلم عليه وأُهنئَه بالشفاء وبسلامة العودة.

وقلتُ في حوار لي مع أحد الصحفيين: إنَّ الشيخ زايد رجل أحبَّ شعبه فأحبه الشعب.

ونشر ذلك في الصفحة الأولى وفي أوَّل خبر في الصحيفة.

وأنا قلت هذا مخلصًا، والرجل حينما لقيته احتفى بي احتفاءً بالغًا وبودٍّ وحبٍّ غير متكلف.

وقد كَرَّمَتَنِي - أيُّها الإخوة - دولة الإمارات في رمضان الماضي في إمارة دبي، في شخص الشيخ محمَّد بن راشد آل مكتوم الفارس الشاعر الَّذي كَرَّمَنِي بكلامه أكثر ممَّا كَرَّمَنِي بجائزته، وتبنى مشروعات إسلاميَّة كبرى هو وأخوه الشيخ حمدان بن راشد: المؤسسة الإسلاميَّة العالميَّة لرعاية الموهوبين، وموقع «Islam online» على شبكة الإنترنت.

أنا أقول هذا لا نفاقًا لأحد، فوالله ما تعودت في حياتي أنْ أنافق حاكمًا، فكيف أنافق وأنا في الخامسة والسبعين؟

أنا أقول هذا مخلصًا.

أنا - والحمد لله - أغناني الله، ولست في حاجة إلى أحد، ولم أخف، ولم أطمع.

مم أخاف، وفيم أطمع؟

أنا لا أخاف إلا الله، ولا أطمع إلا في مغفرته ومثوبته، وبينني وبين القبر خطوات.



أنا أقول هذا بإخلاص، وأقول هنا ما قاله أبو العتاهية في أرجوزته:
حسبك ممّا تبتغيه القوت ما أكثر القوت لمن يموت^(١)!
وأنا عندي أكثر من القوت.

الإمام الشافعي رحمته الله يقول:

أَمْطِرِي لَوْلَا جِبَالَ سِرْنَدِ ب وَفِيضِي آبَار تَبْرِيزَ تَبْرَا
أنا إن عشتُ لستُ أعدمُ قُوتًا وإذا مِتُّ لستُ أعدمُ قَبْرًا
هِمَّتِي هِمَّةُ الْمُلُوكِ وَنَفْسِي نَفْسُ حُرٍّ تَرَى الْمَذَلَّةَ كُفْرًا
وإذا ما قِنَعْتُ بِالْقُوتِ عُمْرِي فلماذا أهابُ زيدًا وعمراً^(٢)؟

أنا لا أهابُ زيدًا، ولا عمراً، ولا أطمع في زيد ولا عمرو.

إنّما أحب أن تكون صلتِي بالنّاس صلة مودة ورحمة ومحبة.

وهكذا كانت صلتِي بدولة الإمارات، وبحكّام دولة الإمارات: الشيخ الدكتور سلطان القاسمي الذي كرّمني في أكثر من مناسبة، الشيخ حميد بن راشد النعيمي الذي كرّمني في أكثر من مناسبة، وشعب الإمارات نفسه اعتبرهم أهلي وأسرّتي، وإخوتي وأحبّتي.

بل أنا - أيّها الإخوة - لا أعادي مسلماً قط، وإن ظلمني.

هناك من هاجموني وشتّموني، ولكنّي متصدّق بعرضي عليهم، وأعرف أنّهم لم يعرفوني، والله لو عرفوني ما قالوا ما قالوا، ولكنّي أنا مسامح في حقّي، حقّي الشّخصي مسامح فيه.

(١) انظر: ديوان أبي العتاهية ص ٤٩٣، أرجوزة الأمثال، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

(٢) ديوان الشافعي ص ١١٨، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، نشر دار القلم، دمشق، ط ١،

الذي لا أسامح فيه هو حق الإسلام وحق الأمة المسلمة، الذين يعتدون على هذا الدين أو على أمته، لا أملك أن أسامحهم.

أما من أساء إليّ فأنا أسامح وأعفو، وأسأل الله تعالى أن يغفر للجميع، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

نزل هذا في شأن أبي بكر حينما وقف من بعض أقاربه الذين أساءوا إلى ابنته عائشة رضي الله عنها، فقال: بلى أحب أن يغفر الله لي ^(١).

بل أنا لا أعادي غير المسلمين إذا كانوا مسالمين لهذه الأمة.

أنا لا أعادي إلّا من يعادي هذه الأمة، ولا أحارب إلّا من يحاربها.

أما المسالمون من غير المسلمين فأنا أبرهم وأقسط إليهم كما علّمنا القرآن: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فالذين يُسالمون المسلمين أبرهم، وأقسط إليهم، وأحبّ الخير لهم، وأتمنّى الهداية لهم، وأتعامل معهم باعتبارهم إخوتي في البشرية.

فالإسلام علّمنا أنّ البشرية كلّها أسرة تشترك في العبوديّة لله والبُنة لأدم، كما جاء في الحديث: «يا أيّها النّاس، إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلّا بالتقوى، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم» ^(٢).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٥٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠)، عن عائشة.

(٢) سبق تخريجه ص ٨٩.

الحرب الثقافية على المسلمين^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الحوار مع الآخر:

نحن المسلمين نؤمن بالحوار مع الآخرين، وبالتسامح مع المخالفين، هذا ما يفرضه علينا ديننا، وما يأمرنا به كتاب ربنا.

فالحوار مع المخالف من منهج الدعوة الذي أمر الله به المسلمين حينما قال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] اكتفى في الموعظة بأن تكون حسنة؛ لأنها مع الموافقين، ولم يرض في الجدل إلا بأن يكون بالتي هي أحسن، بالطريقة التي هي أجود وأمثل؛ لأنه مع المخالفين.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالدُّوْحَةِ فِي ٢٧ شَوَّالٍ ١٤٢٢ هـ الْمَوْافِقُ ١١ يَنَائِرَ ٢٠٠٢ م.



ومن أجل هذا شاركت في أكثر من مؤتمر للحوار مع النصارى، ذهبت إلى روما للحوار مع كرادلة المَسيحيين في روما، وذهبت إلى القاهرة للحوار مع مسيحيي الشرق والغرب.

هذا ما يأمرنا به الدين، وهذا ما نؤمن به.

ولكن المشكلة أنَّ هناك من لا يريد أن يحاورنا إلاَّ بسنان السيِّف، من لا يريد أن يكلمنا إلاَّ بلغة الحرب والقتال، بالمدافع تدكُّ بلادنا، بالصواريخ، بالسُّفن البحريَّة، وبالطائرات الجوية، ما حيلتنا في هذه الحالة؟ ونحن هنا نقرأ قول الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾، والقتال المكتوب علينا اليوم ليس هو أن نقاتل والقتال كره لنا، ولكن كُتب علينا أن نقاتل نحن ولا نقاتل، وأن نحارب ولا نحارب، وأن نُضرب في عقر دارنا ولا نستطيع أن نُضرب.

هذه هي الحرب المفروضة علينا اليوم.

إنَّ حرب اليوم في أفغانستان، وقد تكون غداً في الصُّومال، أو في العراق^(١)، أو في اليمن، أو في إندونيسيا، كما قالوا.

هم الذين أنفسهم يقولون: هناك بلاد مرشحة لأن تُضرب وتُغزى بعد أفغانستان.

(١) وقع الغزو الأمريكي الغاشم للعراق في أبريل ٢٠٠٣ م.



حرب ثقافيّة على المسلمين:

والأكثر من ذلك الحرب الثقافيّة المفروضة علينا نحن المسلمين.
هناك حرب فكريّة ثقافيّة إعلامية مفروضة علينا نحن المسلمين.
منذ زمن، منذ سقوط الاتحاد السوفيتي والإسلام مرشّح لأن يكون
عدوًّا للغرب!

لا بدّ للغرب عامّة ولأمريكا خاصّة من أن يكون لهم عدو يعبّئون
القوى والمشاعر - مشاعر الكراهية - ضده.
كان الاتحاد السوفيتي - كما قال «ريجن» - يمثّل دولة الشرّ، وقد
سقطت دولة الشرّ. فمن هو العدو الجديد؟

هنالك كتب الكاتيون وفكّر المفكّرون وخطّط المخطّطون ليجعلوا
من الإسلام العدو الجديد، وأصبحوا يتحدثون عن الخطر الإسلامي،
الخطر الكامن في الإسلام، وسمّوه: الخطر الأخضر.

قالوا: إنّ هذا الخطر هو الخطر الأشدّ، بعد أن سقط الخطر الأحمر
بسقوط الاتحاد السوفيتي، وبعد أن تقاربنا مع الخطر الأصفر، الخطر
الصيني، لم يبق إلّا الخطر الأخضر، الخطر الإسلامي.

إنّ هذا المارد أو العملاق النائم يخافون أن يستيقظ، ربّما يدافع عن
أرضه، ربّما يذود عن حرّماته، ربّما يقف في وجه الصهيونيّة المغتصبة،
ربّما يقف في وجه الصليبيّة المؤيّدة للصهيونية.

إسلامنا ليس خطرًا على أحد:

ووقف بعض عقلائهم وبعض منصفهم ضد هذه الدعوة، وكتب
منهم من كتب يقول: هل الخطر الإسلامي حقيقة أو أسطورة؟

وبَيَّنوا فيما كتبوه أَنَّ هذه أسطورة، لا يوجد خطر إسلامي، أين يوجد
الخطر الإسلامي؟

الإسلام في الحقيقة ليس خطرًا، الإسلام رحمة الله للعباد: ﴿وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ
مُّهْدَاة»^(١).

لم يكن الإسلام خطرًا، هو خطر على الاستعمار والاستعباد، وهو
خطر على المظالم والاستبداد، وهو خطر على الإباحية والفساد، ولكنه
ليس خطرًا على العالم، وليس خطرًا على البشرية السوية.
ولكن هكذا أرادوا.

وكتب الكاتبون يبررون للسياسات الأمريكية المرتقبة، التي يريدون
أن يسيطروا بها على العالم، وقد أصبحت القطب الأوحـد، والقوة
المتفردة بالنفوذ والسيطرة في العالم، يريدون أن يفلسفوا لأمريكا
سياساتها، كما يفعل بعض المفتين للسلطين، حينما يفرّخون لهم فتاوى
تبرّر لهم جرائمهم، وتحلّل لهم استبدادهم، ومظالمهم، بأساليب فقهية.
نجد من الكتّاب والمُفكِّرين الغربيّين من يفعلون ذلك مع الساسة،
يبرّرون لهم جرائمهم، ويُسوِّغون لهم مظالمهم، باسم الفلسفة السياسيّة،
وباسم العلم، وباسم النظريّات المختلفة.

رأينا مثل ذلك فيما كتبه «فرانسييس فوكوياما» الأمريكي - الياباني
الأصل - عن نهاية التاريخ.

(١) رواه الحاكم في الإيـمان (٣٥/١)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي. وصحّحه الألباني
في الصحيحة (٤٩٠)، عن أبي هريرة.



كتب كتاباً اسمه: «نهاية التاريخ»، ذكر فيه أنّ التاريخ قد انتهى، وتوقّفت حركته بانتصار النّظام الغربي على أنظمة العالم! النّظام الغربي بوجهه السياسي الديمقراطي، وبوجهه الاقتصادي الرأسمالي وبوجهه الاجتماعي الليبرالي، هذا النّظام الغربي قد انتصر على كلّ أنظمة العالم، وعلى كلّ فلسفات العالم!

وقام كاتب آخر بعده بسنتين فكتب مقالة وسّعها وعمّقها تحت عنوان: «صراع الحضارات» أو «صدام الحضارات»، وقال: إنّ هناك حضارات سبعاً أو ثمانية في العالم - عدّها - ولكن قال: من هذه الحضارات حضارتان هما المخوفتان: الحضارة الكنفوشيوسية (أي: حضارة الصين)، والحضارة الإسلامية، وإذا تعاونت هاتان الحضارتان كانتا خطراً علينا.

وذكر أنّ الحضارة الكنفوشيوسية يمكن التفاهم والتقارب معها، ولكن الحضارة الخطرة هي الحضارة الإسلامية.

هذا ما قاله هذا الرجل «هانتنغتون» في كتابه هذا.

والآن هؤلاء الكتاب - فوكوياما وهانتنغتون وغيرهما - يكتبون من جديد ليشعلوا المعركة بين الغرب والإسلام وبين أمريكا والإسلام، فكتب «هانتنغتون» هذا يقول: الآن نحن في عصر حروب الإسلام، وأن حروب الإسلام بدأت!

مع أنّ الحروب الآن ضد الإسلام، الإسلام لا يحارب، ولا يقاتل، ولكنه يقاتل ويُغزى في عقر دياره.

وكتب «فوكوياما» هذا مقالة طويلة يقول: إنّ هناك مشكلة مع الإسلام، مشكلة مع الأصولية الإسلامية، وسماها: «الفاشية الإسلامية»،



كما كانت هناك مشكلة من قبل مع الفاشية الإيطالية، والنازية الألمانية، والشيوعية الروسية والسوفيتية، يقول: مشكلة اليوم مع الفاشية الإسلامية! وتتجسد هذه المشكلة في رأيه في أنها ضد الحداثة، أي أن الإسلام إذا نُظر إليه في أصوله يجد أن التعاليم الإسلامية والقيم الإسلامية والأحكام الإسلامية ضد الحداثة.

ما الحداثة؟

الحداثة هي الأفكار الحديثة والنظريات الحديثة الجديدة التي تحكم العالم، وتقود العالم فكريًا، ثم تقوده بعد ذلك اجتماعيًا وسياسيًا واقتصاديًا.

هل الإسلام ضد الحداثة؟

إن كانت الحداثة التجديد في أساليب الحياة، فإن الإسلام يرحب بكل جديد نافع، كما ينتفع بكل قديم صالح، من أجل هذا ننتفع بنتائج العلم والتكنولوجيا العالمية وبثورات العلم المختلفة: الثورة التكنولوجية، والثورة الإلكترونية، والثورة البيولوجية، والثورة المعلوماتية، والثورة الاتصالية، ننتفع بهذا كله، ولا نجد في ذلك حرجًا، بل ديننا يحتم علينا أن نأخذ بالتي هي أحسن: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨].

المؤمن يرنو إلى التي هي أحسن في كل شيء، وهذه الأشياء «بضاعتنا ردت إلينا»؛ نحن الذين ابتكرنا المنهج العلمي التجريبي الاستقرائي، وأخذته من الحضارة الغربية التي كانت تعتمد الفلسفة الصورية الأرسطية القديمة، باعتراف مؤرخي العلم أنفسهم:

«جوستاف لوبون» و«جورج سارتون» و«درايبر» و«بريفولت» وغيرهم، قالوا: إِنَّ المنهج العلمي التجريبي إِنَّمَا أُخِذَ واقتُبِسَ من حضارة العرب والمسلمين.

فهذه بضاعتنا رُدت إلينا.

لذلك نرحّب بكلّ وسائل التكنولوجيا، وبكلّ نتائج ثورات العلم، ولكنّا نستخدمها بمنطق الإسلام، وتحت مظلة الإسلام، وتحت سلطان قيم الإسلام، فنحن بها نُحيي ولا نُميت، ونبني ولا نهدم، ونعمر ولا نخرب، هذا ما أمرنا به ديننا.

فإذا كانت الحداثة هذا، فنحن نستفيد من الحداثة، ومن أجل هذا بعثنا طلابنا إلى الغرب يستفيدون من علومهم، وركبنا طائراتهم، واشترينا أسلحتهم.

وإن كنّا - للأسف نحن المسلمين - لا نزال عالة على غيرنا، والمفروض فينا بحكم ديننا أن يكون لنا قدرات ذاتية واكتفاء ذاتي بحيث لا نحتاج في أمورنا إلى غيرنا.

للأسف كم قلت: إِنَّ أُمَّةَ سورة «الحديد» لم تتعلّم إلى اليوم صناعة الحديد، لم تتقن صناعة الحديد، ولا زلنا عالة على مَنْ سوانا.

وحتى في الزراعة، بلادنا بلاد زراعية، ومع هذا نستورد نصف أقواتنا أو أكثر من غيرنا، هذا ما لا يجوز لهذه الأمة.

على كلّ حال، الحداثة إذا كان المقصود منها أن نأخذ بالأساليب العلمية، فنحن نأخذ بالأساليب العلمية، ونأخذ أفضل ما عند الغرب، أو هكذا يُفترض فينا.

إذا كان عنده نظام جيد للنواحي الصحية أو لتوزيع البريد أو رعاية الأطفال أو نحو ذلك، فنحن نأخذ بهذا ولا نرى في ذلك حرجاً.

الحدائث التي يرفضها الإسلام:

ولكن عندنا قيم تحكمنا، عندنا شريعة تضبط سلوكنا، عندنا عقيدة نستمسك بها.

فهل يُراد بالحدائث أن ننسلخ من عقيدتنا، وأن نتحرّر من شريعتنا، وأن نتحلّل من قيمنا؟ هل يراد بالحدائث هذا؟

كأن هذا هو ما يريده «فوكوياما»: أننا لكي نكون حدثاء، لكي نكون مع الحدائث لا بدّ أن نحلّل الربا، ولا بدّ أن نجعل المرأة والرجل سواء في كلّ شيء، وأن يستمتع الرجل بالمرأة وتستمتع المرأة بالرجل!

لم هذه التحريمات الكثيرة: الخلوة بالمرأة ممنوعة، تبرّج المرأة ممنوع، الزنا حرام، مقدّمات الزنا حرام! حتّى النّظر بشهوة لا يجوز؟!

هذه ضد الحدائث، لا يجوز أن نفرض على المرأة الحجاب: ﴿وَلَا يُبْدِيَنَّ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] هذا ضد الحدائث!

ضد الحدائث أن نحرم الشذوذ الجنسي! الشذوذ الجنسي حلال عند القوم ومباح، زواج الرجال بالرجال، وزواج النساء بالنساء أمر جائز! نوادي الشواذ وجمعيات الشواذ يجب أن يُسمح بها!

عابوا على مصر أنّها حاكمت بعض الشواذ واعتبرت الشذوذ جريمة، وهذا مخالف للعصر ومخالف للحدائث!

هذه هي الحادثة التي يريدونها، يريدون أن نُحلَّ ما حرَّم الله، ونحرِّم ما أحلَّ الله، وأن نسقط الفرائض، وأن نتخلَّى عن الشريعة، هذه مخلفات العصور القديمة!

كيف تحكمنا شريعة نزلت منذ أكثر من أربعة عشر قرناً؟!

نحن في القرن الخامس عشر، أبعد أربعة عشر قرناً تحكمنا شريعة نزلت من ذلك الوقت^(١)؟

هذا ضد الحادثة!

معنى هذا أن «فوكوياما» يريد أن نتخلَّى عن إسلامنا، أن نتخلَّى عن عقائد هذا الدين، وعن قيم هذا الدين، وعن شرائع هذا الدين، لنسير في ركاب الغرب، ونسير خلف أمريكا، ونسير خلف هذه النظريات الحديثة التي أرادوا أن يفرضوها علينا في مؤتمر السكان في القاهرة في صيف (١٩٩٤م)، وأن يفرضوها على العالم في مؤتمر المرأة في بكين (١٩٩٥م)، ولا زالوا إلى اليوم يحاولون أن يفرضوا موافقتهم، ويفرضوا وثائق معينة حول المرأة وحول الطفل ويسمُّون هذا: «أشكال التمييز»!

الإسلام يقول هناك رجل وامرأة: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ [النجم: ٤٥]، وجعل لكل منهما خصائص جسمية وعصبية، فهذا خلق الله.

هم يريدون أن يلغوا جميع أشكال التمييز، ويعتبرون أي تمييز بين الرجل والمرأة منافياً للحادثة، ومنافياً لتوجّه الحضارة الحديثة.

(١) أجبت عن هذه الشبهة بإفاضة وتفصيل، راجع كتبنا: شريعة الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان، وعوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية، والاجتهاد في الشريعة الإسلامية، والخصائص العامة للإسلام، وغيرها.

هل هذا ما يريده منّا السيّد «فوكوياما»؟ هل يريد أن نتخلّى عن ثوابتنا؟ لو كان يريد منّا أشياء هامشية ممّا تختلف فيها الاجتهادات، وتتطور بتطور الزمان وتتغير بتغيّر المكان والإنسان، لقبلنا هذا، بل نحن من الدعاة إلى الاجتهاد وإلى التجديد، ولكنّه يريد أن نتخلّى عن الثوابت. وأي أمة تتخلّى عن الثوابت فقد فنت وذهب ريحها؛ لأنّها لم تعد أمة.

إنّها أمة بثوابتها، فإذا تغيّرت ثوابتها لم تعد هذه الأمة أمة.

ماذا يريد منّا هؤلاء القوم؟

لا يريدون أن يُبقوا على شيء فينا، يريدون أن ينشئونا خلقًا آخر!

العلمانيّة ليست دواء ناجحًا لنا:

إنهم يشخّصون داءنا في أننا ضد الحداثة، وأنّ دواءنا في أن نقبل العلمانيّة، وأنّ العلمانيّة هي التي تقبل التسامح والتعايش مع الآخرين.

ومعنى العلمانيّة: فصل الدين عن المجتمع وعن الحياة وعن الدولة، وأنّ يكون الدين شيئًا في ضمير الفرد، فإذا خرج من ضميره فليكن بين جدران المسجد.

أمّا أن يكون الدين موجّهًا للحياة، للفرد، للأسرة، للمجتمع، للحاكم والمحكوم، للتعليم، للتربية، للثقافة، للاقتصاد، للسياسة... فهذا ما ترفضه العلمانيّة.

ونحن عندنا دين يوجّه الإنسان من المهد إلى اللحد، منذ أن يولد وإلى أن يموت.

هناك أحكام تتعلّق بالمولود عند ولادته وبالميت عند احتضاره وبعد موته.

إنّه يصحب الإنسان في رحلة حياته، ويصحب الإنسان في كلّ جوانب حياته، في المسجد إذا عبد، في الطريق إذا مشى، في البيت إذا جلس، في مكتبه إذا ذهب إلى المكتب، في مدرسته، في جامعته، في مصنعه.

إنّه يعلمه ويتدخل في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه وحياته كلّها، يقول له: لا تأكل كذا ولا تشرب كذا، ولا تلبس كذا، ولا تفعل كذا ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

إنهم يريدون أن نتخلّى عن شمول هذا الدين، وأن نجعل الدين عقيدة في الضمير فقط، لا تحكم الحياة، ولا تنظّم مسيرة الفرد أو الأسرة أو المجتمع.

إن هذا أمر غير الإسلام.

إنهم يريدون أن يبدّلوا ديننا بدين آخر.

إذا كانت المسيحية تقول: أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله، فإن ديننا يقول: قيصر وما لقيصر لله الواحد القهار.

كلّ شيء في هذه الدُّنيا لله.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٨٤] و﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٦] و﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠، الشورى: ٤٩].

له كلّ ما في هذا الكون مُلْكًا وملكًا، فهو الملك وهو المالك، فكيف يُراد منّا أن نتخلّى عن ثوابت ديننا، والله تعالى

يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

﴿صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ لا يتصرف فيها غير الله، الله هو الأمر الناهي، هو المحلل المحرم، ولا أحد غير الله يملك ذلك: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١٤٤]؟

نحن المسلمين متمسكون بديننا، لا نرى لنا حياة بغير هذا الدين، ولا عزة بغير هذا الدين، ولا قوة بغير هذا الدين، ولا سعادة بغير هذا الدين.

فالدين هو مرجعنا، والدين هو أساس وجودنا، والدين هو مبرر بقائنا، ولن نتنازل عن ديننا بملك المشرق والمغرب، لو وضعوا الشمس في أيماننا والقمر في شمائلنا: لن نتنازل عن ديننا ما دام فينا عرق ينبض، حتى يظهره الله أو نهلك دونه.

ونحن موعودون أن هذا الدين منصور وظاهر على الأديان كلها كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ كأنما حسبوا أن هذا النور الإلهي - أو الشرع الإلهي - شمعة يمكن أن تنفخ فيها فتطفئ جذوتها.

وهيهات؛ إنه كالشمس، ولو نفخت الآلاف والملايين في الشمس لتطفئها هل تنطفئ الشمس؟

هكذا هو نور الله.

﴿وَيَأْتِي اللَّهَ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ﴾ وهذا الإباء الإلهي هو الذي يطمئنا على مستقبل هذا الدين.

أمريكا وتغيير مناهج التعليم في بلادنا:

إنَّ أمريكا طلبت من عدد من البلاد الإسلامية أن تراجع مناهجها التعليمية في الثقافة الإسلامية، والدراسات الدينية، وأن تحذف منها ما لا يتفق مع العصر.

وأحب أن أقول: إننا قبل أن تطالبنا أمريكا، طالبنا المسلمين بهذا من عشرات السنين.

كتبنا في هذا^(١)، وحاضرنا في هذا، وخطبنا في هذا، نحن نوجه المسلمين دائماً أن يتجددوا ويجددوا.

ولكن لا يمكن أن نقبل لدولة من الدول مهما كانت عظمتها أو كبري أن تفرض علينا رؤيتها، لا يمكن أن نحول الإسلام إلى إسلام أمريكي كما يريد الأمريكيان لهذا الدين، وأن نغيّر في طبيعة الإسلام حتّى يرضى عنّا الأمريكان!

أهذا معقول؟

أمة إسلامية تبلغ ملياراً وثلاث مليارات من البشر يُراد من فئة من الناس أن تسيّرهما كما تريد، وأن تصبغها بالصبغة التي تريدها، وهي مصبوغة بالصبغة الربانية: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

(١) انظر على سبيل المثال ما كتبت حول هذا الموضوع في كتابنا: رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد ص ٩٩ - ١١٧، تحت عنوان: مراجعة المناهج، نشر مكتبة وهبة، ط ٣، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م. وانظر كذلك ما ذكرته في مذكراتي: ابن القرية والكتّاب (١٨٣/١ - ٢٢١)، نشر دار الشروق، ط ٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. وفيه كتبت وقفات مع مراحل التعليم المختلفة التي مرت بها.

نرحب بتطوير التعليم وفق تعاليمنا وقيَمنا:

نحن ندعو إلى تطوير التعليم، ومناهج التعليم، ومناهج الإعلام، ومناهج الثقافة، وأن ننظر فيها بأنفسنا، بأعيننا لا بأعين غيرنا، نفكر برؤوسنا لا برؤوس غيرنا، لسنا غنماً تساق، لسنا قطيعاً من قطعان المواشي سيروننا كما يريدون.

نحن أمة لها رسالتها، ولها مقوماتها، ولها خصائصها.

فنحن الذين نُصلح من أنفسنا، ونغيّر ما بأنفسنا ليغيّر الله ما بنا وفق القاعدة القرآنية الصلبة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

نحن مطلوب منّا أن نجدد مناهجنا التعليميّة، وأن نجدد أنظمتنا السياسيّة، وأن نجدد حياتنا الاجتماعيّة.

ومعظم ما يطلب تجديده منّا أن نردّ هذه الحياة الثقافيّة والفكريّة والدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة إلى أصول الإسلام الصحيحة؛ لأنّه قد أفسدنا تقليد الغرب.

معظم ما نشكو منه في الواقع هو تقليدنا الأعمى للغرب، التّطرف العلماني الذي يريد أن يسلخنا من جلدنا، ويجعل منّا أذناً لغيرنا، نتبعهم في الخير والشر، والحلو والمُر، ما يحب وما يكره، وما يُحمد وما يُعاب، هذا هو التقليد الأعمى الذي نقصده.

نحن ضد التقليد، نرفض التقليد الأعمى، سواء كان تقليدًا للأقدمين من علمائنا وأئمتنا، أو كان تقليدًا للآخرين من وراء البحار.

التقليد لغيرنا مرفوض، سواء كان هذا الغير في المكان أو في الزمان.

نحن نريد أن نكون أتباع أنفسنا، نفكر بعقولنا وفق أصولنا المرعية وضوابطنا الشرعية، فنحن لسنا أمة سائبة، نحن أمة منضبطة، رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالقرآن منهاجاً وإماماً.

فلا بد أن تفكر في هذا الإطار، فهي ليست أمة منقطعة عن موارثها، إنها أمة ذات رسالة، أمة ذات أصول.

أمّا أن يُراد لهذه الأمة أن تتخلّى عن ربّانيتها، وعن أخلاقيتها، وعن شريعتها، وعن منهجها، وعن تراثها، وتتبع سنن الآخرين شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتّى لو دخلوا جحر ضب لدخلته وراءهم، فهذا ما ننكره، وهذا ما نرفضه.

ومما يؤسف له أن نجد من بعض أبناء المسلمين - من أبناء جلدتنا الذين هم منّا ويتكلمون بالسنتنا - من يحطب في جبل «فوكوياما» وأمثاله، ويسير في ركابهم، ويتبنى نداءاتهم، ويريد من الأمة أن تغيّر كلّ شيء وفق ما يريدون.

هذا من العجيب العاجب، وهذا من الهوس، هوس العصرنة، وهوس الرؤية، والتباس المفاهيم: أن نجد من أبناء المسلمين من يدعو إلى اتباع الآخرين واقتفاء سننهم، هذا ما لا نحب أن يكون.

ما نريده من المسلمين:

وما نريده من أبناء المسلمين: أن يراجعوا أنفسهم، وأن يفكروا بعقولهم، متحرّرين من التأثير بهذا الغزو الماكر.

نحن أمة خالدة، أمة لها دينها، ولها ميراثها، ولها تقاليدها.

نحن ندعو إلى استلها الماضي، ومعايشة الحاضر، واستشراف المستقبل.

لا نريد أن ننقطع عن ماضينا، ولا نريد أن ننقطع عن حاضرنّا، ولا عن رؤية مستقبلنا.

فلا بدّ أن نراعي سنن الله تعالى.

هذا ما نريده من هذه الأمة.

إننا واثقون بأنّ هذه الأمة لن تموت، إن شاء الله.

هذه الأمة قد تنام أو تنوّم، ولكنّها لن تموت.

نحن - أيّها الإخوة - ضد الغلو، وضد التّطرف، وقد كتبت كتباً عدّة ضد الغلو والتّطرف، من أوائل هذا القرن نُشر كتابي «الصّحوة الإسلاميّة بين الجحود والتّطرف»^(١)، حلّلت فيه ظاهرة التّطرف الديني، وبيّنت أسبابها، وشخّصت الداء ووضعت الدواء والعلاج.

وفي كتب أخرى كثيرة.. أنا ضد الغلو وضد التّطرف، وأدعو إلى المنهج الوسطي، منهج الاعتدال.

ولكن بعض النّاس ربّما يفهم منهج الاعتدال بأنه منهج التساهل والتفريط في الأصول والثوابت.

لا، الأصول والثوابت نعض عليها بالنواجذ، ونستقتل دونها، ونموت في سبيلها، ولا نفرط في شيء منها صغر أو كبر.

الأمة بثوابتها، الأمة بأصولها.

(١) وهو الكتاب الثاني من سلسلة كتاب الأمة، ثم نشرته بعد ذلك مؤسسة الرسالة.



نحن نيسّر في الفروع، ونشدّد في الأصول؛ لأنّ الأصول هي التي تمسك الأمة أن تفتنى أو أن تذوب.

يا أيّها الإخوة، إنّنا في حرب ثقافيّة علينا، ليست الحرب حرباً عسكريّة فقط، ولكنّها حرب ثقافيّة، يشنها علينا الغرب بأدوات شتى، وهو يملك من الأدوات ما لا نملك، حتّى إنّ الرجل الذي أخذ جائزة «نوبل» هذا العام في الأدب إنّما أخذها لأنّه كتب ضد الإسلام - هو بريطاني من أصل آسيوي - وقال: الإسلام هو الذي يغيّر فطرة النّاس، حتّى إنّّه غيّر فطرة الشّعوب الآسيوية وأفسدها، ولن تعود هذه الشّعوب الآسيوية إلى فطرتها إلّا إذا تخلّت عن الإسلام، وعلينا أن نساعدنا على أن نتخلّص من هذا الدين المتوحش!

من أجل هذا أعطوه جائزة نوبل في الأدب.

الغرب يريد منّا ما لا يمكن أن نقبله.

نحن نريد أن نتفاهم مع الغرب، وأن نتحاور مع الغرب، وأن نتفاعل مع الغرب، وأن نتعايش مع الغرب؛ لأنّ الإسلام لا يفرّق بين غرب وشرق، والله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْاْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

نحن لا نقول كما قال ذلك الأديب قديماً: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.

لا، بل نقول: يمكن أن يلتقيا، وهناك مسلمون الآن في الغرب - في أوروبا وفي أمريكا - بالملايين، وهم يقومون بأنشطتهم.

بعض البلاد أقرب من بعض في التسامح، هناك بلاد متسامحة مع المسلمين، وهناك بلاد متشدّدة مع المسلمين.



ونحن ننصح المسلمين حيثما كانوا أن يثبتوا في مواقفهم، وأن يصبروا على دينهم، وألا يتزعزعوا بالتهديدات أو بمجرد الإشاعات.

لا بد أن يثبتوا ويظلوا في أماكنهم، مستمسكين بالعروة الوثقى لا انفصام لها، داعين إلى هذا الدين القويم بالحكمة والموعظة والحوار بالتي هي أحسن، حتى يظهر الله دينه ولو كره المشركون: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.





الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

حول الأحداث في أرض فلسطين:

ما يجري في أرض النُّبوت، أرض المقدّسات، أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى، ما يجري فيها من أحداث تقشعر منها الأبدان، وتشيب لهولها الولدان، ما يجري من سفك للدماء، ما يجري من تخريب للمنازل، حتّى إنَّهم بالأمس دمّروا أكثر من سبعين منزلاً لعوائل فقيرة لا تملك شيئاً، حتّى أصبح معظم الشعب الفلسطيني يعيش في الخيام.

هذا الشعب المسكين الذي قدّر عليه منذ أكثر من خمسين سنة أن يعيش في المخيمات، أصبحت المخيمات والخيام تزيد يوماً عن يوم.

ماذا يجري في فلسطين؟ ماذا يجري بين السُّلطة والشَّعب؟ ماذا يجري بين السُّلطة وفصائل الجهاد؟

إنَّ الذي يجري أمر خطير، والذي أريد أن أنبّه عليه اليوم - ولا بدّ أن أعود إليه في الخطبة القادمة - هو أن شارون لا يمكن أن يرضيه شيء.

مهما حاولت السُّلطة، ومهما حاول الرئيس عرفات وأعوانه، مهما حاولوا أن يرضوا شارون فشارون لن يرضى.

لن يرضى شارون إلّا أن يقضي على الشعب الفلسطيني، أن يفرّغ فلسطين من أهلها، أن يجبر هؤلاء النَّاس على أن يغادروا، أن تصبح فلسطين كلّها «إسرائيل»، وهي الآن إسرائيل.



ماذا يملك الفلسطينيون؟

لا يملكون أرضًا ولا سماء، حتّى إن عرفات نفسه لم يستطع أن
ينتقل من مكان إلى مكان إلّا إذا أذنوا له!
أي سلطة هذه؟!

وهل من أجل هذا نضحى بإخواننا ونلاحقهم ونعتقلهم ونقدّمهم إلى
أعدائنا وأعدائهم؟

هذا أمر في غاية الخطورة، ولا بدّ لنا من العودة إلى الحديث عنه.
لا يمكن أن ينقذ فلسطين إلّا الجهاد، إلّا المقاومة، ما أخذ بالقوة
لا يستردّ إلّا بالقوة، وقد أذن الله للذين ظلموا أن يقاتلوا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ
يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّكَ أَلَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩].
هذه سنة من سنن الله لا يمكن أن تهمل.





ماذا قدّم العرب لفلسطين خلال عام هجري مضى^(١)!

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ذكريات مع العام الهجري:

حينما كنّا طلابًا، كنّا ننتظر مطلع العام الهجري؛ لنرى ماذا يقول الأدباء والشُعراء حول هذا العام الهجري، وكانت بعض المجلات الأدبية والثقافية تحتفي بهذه المناسبة، وتُصدر عددًا خاصًا حافلًا، يتحدّث فيه عدد من الكتاب في مقالاتهم، وعدد من الشعراء في قصائدهم عن العام الهجري، وعن آلام الأمة وآمالها، على خلاف ما يرگز عليه كثير من الخطباء والوعاظ حينما يستقبلون عامًا ويودّعون عامًا، كلُّ ما يهمهم: ماذا يفعل الفرد؟ وماذا عليه، وهو يحاسب نفسه على عامٍ مضى.

وهذا شيء لا بأس به، ولكن إهمال أمر الأمة هو الأمر الخطير.

كنّا معنيين بأمر الأمة، وماذا قدّمت وأنجزت، وماذا خسرت

(١) أُلقيت في مارس ٢٠٠٢م.

وضيَّعت، وكان الشعراء الإسلاميون هم الذين يغذُّون مشاعرنا في تلك الفترة.

وأذكر من هؤلاء الشعراء شاعرًا كانت قصائده تنال منَّا كلَّ الرضى، كان شاعرًا إسلاميًا فحلاً هو الشاعر «محمود غنيم».

في سنة من سنوات الهجرة، وفي ذكرى من ذكرياتها، وفي مطلع العام، أنشأ قصيدة ينعى فيها حال المسلمين في وقته سمّاها: وقفة على طلل، على أطلال الحضارة الإسلامية، وقف الرجل على الطلل يبكي ويرثي وينعى ويقول:

ما لي وللنَّجم يرعاني وأرعاهُ	أَمسى كلانا يعافُ الغمضَ جفناه
لي فيك يا ليل آهات أرددها	أواه، لو أجدت المحزون أواه
ويح العروبة كان الكون مسرحها	فأصبحت تتوارى في زواياها
كم صرَّفنا يدُ كُنَّا نصرِّفها	وبات يملكننا شعبٌ ملكناه
أنَّى اتَّجهت إلى الإسلام في بلدٍ	تجده كالطير مقصوَصًا جناحاه ^(١)

هكذا وقف الرجل على الطلل، وبكى حال الأمة في تلك الأيام.

ولم تكن حال الأمة كحالنا هذه، فحالنا اليوم حال يرثى لها، حال تُبكي العيون وتُدمي القلوب.

الرجل بكى حال الأمة في ذلك الوقت، ولم تكن الأمة وصلت إلى ما وصلت إليه الآن، وكان كثير الحزن والأسى في شعره، حتَّى إنَّه في مرَّة من المرَّات قال:

(١) انظر: شعر محمود غنيم الأعمال الكاملة (٧٩/١)، قصيدة: وقفة على طلل، وهي من روائع الشعر العربي في العصر الحديث، نشر دار الغد العربي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

قالوا: عجبنا ما لشعرك باكيًا في العيد ما هذا بشعر معيد!
 ما حيلة العصفور قصُّوا ريشه ورموه في قفصٍ وقالوا: غرَّد^(١)!
 كيف يغرَّد العصفور المهيض الجناح، المقصوص الريش، المحبوس
 في قفص؟ هل يغرَّد أم ينوح؟
 هذه هي حالنا أيُّها الإخوة.

مأس أصابت الأمة في عامها المنصرم:

لقد ودعنا عامًا هجريًا، واستقبلنا عامًا جديدًا.
 ماذا أنجزنا في ذلك العام الماضي؟
 ماذا قدّمت هذه الأمة من مكاسب في العام الماضي؟
 أمّا «شارون» وعصابته فيستطيعون أن يقولوا: قد قدّمنا الكثير،
 وأنجزنا الكثير.
 استطاع شارون أن يقتحم بدبّاباته المدن والقرى والشوارع
 والحارات، وأن يقتحم على الناس بيوتهم، ويدخل غرف نومهم،
 ويستبيح كلّ محرّم.
 شارون وعصابته استطاعوا أن يفعلوا الأفاعيل، أن يسفكوا الدماء، أن
 ينتهكوا المحرّمات، أن يخرّبوا المنازل، أن يحرقوا المزارع، أن يدمّروا
 المساجد، أن يدمّروا المدارس، ألاّ يبقوا شيئًا، لم يكتفوا بحصار هذا
 الشعب لجوع، أرادوا أن يقتلوه قتلاً.

(١) الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم (١٠٣/١).

فعل شارون الكثير: استخدم الدبابات، استخدم المدرعات والمصفحات، استخدم الأباتشي... استخدم ال إف - ١٦، استخدم المروحيات، استخدم كل شيء، ولم يبال بشيء، لم يستح من شيء، ولم يخجل من شيء، ولم يخف من أحد، فمعه السلاح الأمريكي، والمال الأمريكي، والفيتو الأمريكي، ومعه تخاذل العرب، واستخذاء العرب الذين سكتوا عمّا يجري.

الشيء الوحيد الذي أنجزته الأمة في العام الماضي هو: مقاومة الشعب الفلسطيني، بسالة الشعب الفلسطيني، بطولة الشعب الفلسطيني، تضحيات الشعب الفلسطيني.

حيثوا هذا الشعب، حيثوا شعب فلسطين، حيثوا أبناء فلسطين، حيثوا بنات فلسطين، حيثوا أمهات فلسطين، حيثوا شيوخ فلسطين، حيثوا شباب فلسطين، حيثوا هذا الشعب الباسل البطل، الذي جعل من الضعف قوة، وجعل من لا شيء كل شيء؛ لأنه ضحى بنفسه في سبيل الله، لم يبال بالموت في سبيل الله.

ولستُ أبالي حين أُقْتَلُ مُسْلِمًا على أيّ جنبٍ كان في الله مَصْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ يُبَارِكْ على أوصالٍ شلُوْ مُمَرَّعٍ^(١)

هذا الشعب وضع رؤوسه على أكفّه، وقدم النماذج الرائعة، الشباب الذين يفجرون أنفسهم، الشباب الذين يقفون في سبيل الدبابات، وفي وجه الدبابات، وينسفون بعض الدبابات، الشباب الذين يهاجمون المستوطنات، حتى العمليات الاستشهادية^(٢) تغيرت نوعيتها، أصبح

(١) هذان البيتان قالهما الصحابي الجليل خبيب بن عدي، قبل أن تصلبه قريش. وقد سبق تخريجه ص. ٩٨

(٢) راجع فتوانا حول مشروعية العمليات الاستشهادية في كتابنا: فتاوى معاصرة (٣/ ٥١٨ - ٥٢٦).

هناك هجوم وأصبح هناك مقاومة، ما عاد هؤلاء الشَّباب يخاف هذه الدَّبَّابات ولا هذه المروحيات ولا هذه الطائرات، لقد ضحَّى وصمَّم على أن يضحِّي.

هذه البطولة، هذه المقاومة، هي وحدها الشيء الرائع الذي أنجز في ساحة أمّتنا كلّها.

مواقف مُخزِية للعرب تجاه فلسطين:

أمّا ما هو موقفنا - نحن العرب؟ ماذا قدّمنا - نحن العرب - لهؤلاء الأبطال؟ ماذا قدّمنا لهؤلاء الآباء الذين يرفضون أن يقبلوا التعازي في أبنائهم إذا استشهدوا؟ ماذا قدّمنا للأمّهات اللاتي يستقبلن استشهاد أبنائهن بالزغاريد؟ ماذا قدّمنا للأم التي تنصح ابنها وهو ذاهب ليفجّر نفسه - كما نصحت الخنساء أبنائها الأربعة وهم يقاتلون في القادسية - أن يثبّت في سبيل الله، وأن يعلم أنّه إن مات فهو حي يرزق: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]؟

ماذا قدّمت أمّة العرب؟ ماذا قدّم قادة العرب؟ ماذا فعلوا لمساندة إخوانهم في العروبة والإسلام؟ هل قدّموا شيئاً يُذكر؟ ما قيمة هذه الجامعة العربيّة؟ ما قيمة هذه القمم التي تُعقد؟ ما قيمة هذه الأسلحة التي تُشترى بالمليارات وتُترك حتّى تصدأ؟ أين الدفاع العربي المشترك؟ أين العروبة؟ أين الأخوة؟ أين الغيرة؟ أين الحماسة؟

إنّي - والله - لا أجد لهذا أي تبرير في تاريخ العرب، لا في جاهليتهم ولا في إسلامهم.

العرب كانوا يثورون وتأخذهم الحمية لإنسان يستجير بهم، لو استجار بهم مستجير فإنهم مستعدون أن يدفعوا عنه بأنفسهم وأموالهم، ويرون ذلك من الشَّهامة العربيَّة، والأخلاق العربيَّة التي تأبى أن تدع من يستجير بهم دون حماية.

فكيف وإخوانكم وهم منكم وأنتم منهم ولا تقدّمون لهم شيئاً؟!

النخوة عند عرب الجاهليَّة:

العرب في الجاهليَّة رأينا منهم مثل: المهلهل بن ربيعة الذي اشتهر عند النَّاس باسم «الزير سالم»، كان رجل شهوات في حياته، رجل كاس وطاس وزير نساء، ولكن حينما قُتل أخوه كليب أبي إلا أن يطلق هذه الأمور كلّها، وأن يعيش لشيء واحد: أن يثأر لأخيه المقتول، وقال في ذلك قولته:

ولستُ بخالِعٍ درعي وسَيْفِي إلى أن يَخْلَعَ الليلَ النَّهارُ^(١)

ولم يخلع درعه ولا سيفه حتّى أخذ بثأر أخيه، وانتقم من بني بكر.

وفي يوم من الأيام قُتل أحد كبرائهم، فقال له بعضهم: يكفيك هذا بكليب. قال: هذا يبوء بشسع نعل كليب^(٢).

هذه حميّة العرب في الجاهليَّة.

عمرو بن كلثوم كان عند ملك الحيرة «عمرو بن المنذر» أو «عمرو بن هند»، وكانت معه أمّه، فأرادت أم الملك أن تستخدمها في

(١) ديوان المهلهل بن ربيعة ص ٣٤، شرح وتقديم طلال حرب، نشر الدار العالمية.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٤٨٢/١، ٤٨٣)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

بعض الأشياء، أمرتها أن تأتي لها ببعض الأشياء، فكبر ذلك على المرأة أم الفارس عمرو بن كلثوم، وأخبرت بذلك ابنها فثار، وقال قصيدته الشهيرة التي قالوا فيها: إنها كانت حوالي ألف بيت، وما بقي منها وما حفظه الرواة منها:

وقد علم القبائل من معدٍّ إذا قُبِّبَ بأبْطَحِها بُنِينَا
بأنَّا المَانِعُونَ إذا غَضِبْنَا وأنَّا المَانِحُونَ إذا رَضِينَا
وأنَّا نوردُ الراياتِ بيضًا ونُصدِرهنَّ حُمْرًا قد رَوِينَا
إلى آخر ما قال:

إذا بلغ الفطام لنا صبيًّا تخرُّ له الجبابر ساجدينَا^(١)

وقامت معركة بعد ذلك بينه وبين عمرو بن هند، وقُتل عمرو بن هند ملك الحيرة، وانتهب بنو تغلب قصره وأشياءه؛ انتقامًا لكلمة قالتها أم الملك، اعتبروها إهانة لأم عمرو.

كلمة تقوم من أجلها معركة وتحدث مقتلة!

هؤلاء هم العرب، لا يقبلون الذلَّ.

ويقول عنتره في شعره:

لا تَسْقِنِي ماءَ الحياةِ بذِلَّةٍ بل فاسْقِنِي بالعزِّ كَأْسَ الحَنْظَلِ!
ماءُ الحياةِ بذِلَّةٍ كَجَهَنَّمَ وجهنَّهم بالعزِّ أَطْيَبُ مَنْزِلٍ^(٢)!

هكذا كان القوم.

(١) انظر: جمهرة أشعار العرب للحسين الزوزني ص ٢٩٤ - ٢٩٩، نشر نهضة مصر.

(٢) انظر: ديوان عنتره ص ٢٥ وما بعدها، تحقيق فاروق الطباع.

نخوة عرب قريش:

وفي أول الإسلام حينما هُزمت قريش في معركة بدر الكبرى، قُتل منهم سبعون من الصناديد، وأُسِر منهم سبعون، وكان أبو سفيان بن حرب لا زال مشرّكًا، وكان يُعتبر زعيم القوم في ذلك الوقت، خصوصًا بعد أن مات من مات من الصناديد والكبار في بدر، فألى على نفسه ألا يمسّ بدنه ماءً من غسل جنابة^(١)، يعني ألا يُعاشِر امرأته.

وحزمت قريش على نفسها أن يبكي أحد بكاء نوح، يعني بكاء بأصوات وكلام، وألزمهم أن يكتموا ذلك في أنفسهم حتّى لا ينفسوا عن أنفسهم؛ ليظل هذا الغضب مكبوتًا إلى أن يأخذوا بثأرهم.

وفي يوم من الأيام سمع بعض الناس امرأة تبكي وتصرخ ببعض الشّعر، فظنوا أنّهم أبيح لهم أن يبكوا وأنّ يشعروا وأنّ يعبروا عن أنفسهم، فلما خرجوا وسألوا قالوا: هذه امرأة ضلّ بغيرها فهي تبكي بغيرها الذي ضاع، فقال أحدهم في ذلك:

أتبكي أن يضلّ لها بغيرٌ ويمنعها عن النّوم الشّهودُ
فلا تبكي على بكَرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الجُدود^(٢)
إلى آخر ما قال.

العرب حرّموا على أنفسهم النّوح حتّى يثأروا، وثأروا فعلاً في غزوة أُحُد، فما بالنا نحن؟

(١) ووفّى أبو سفيان بنذره، وخرج في مائتي راكب، وخرج النّبي ﷺ لملاقاته، وهي غزوة السويق، للمزيد راجع: زاد المعاد لابن القيم (١٦٩/٣، ١٧٠)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٢) القائل هو: الأسود بن عبد المطلب، وكان ضيرير البصر، وكان قد أصيب له ثلاثة من أبنائه يوم بدر. انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦٤٨/١)، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، نشر مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط ٢، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.

النخوة في العهد الإسلامي:

في العهد الإسلامي رأينا عمر بن عبد العزيز حينما سمع أن رجلاً مسلماً في بلاد الروم قد أهين، فكتب عمر بن عبد العزيز إلى ملك الروم يقول له: لقد بلغني أن مسلماً استُذِلَّ عندكم وأُسر، فإذا وصلك كتابي هذا فخلّ سبيله، وإلا غزوتكم بجنود أولها عندك وآخرها عندي^(١).

من أجل فرد استُذِلَّ وأُهين تُجَيِّش الجيوش وينهض الخلفاء. وكلُّنا يعرف القصة الشهيرة، قصة المرأة التي لُطمت على خدها في بلاد الروم، فصاحت صيحتها التاريخية: وا معتصماه^(٢).

كلُّ مسلمة وكلُّ مسلم في ذلك الزمن كان يحسُّ أن له كياناً وأن له كرامة، وأنَّ هناك من يسأل عنه فقالت المرأة ملطومة الخد في بلاد الروم: وا معتصماه. تستنجد بالخليفة وبينها وبينه وهادٌ ونجادٌ وبُحور.

وبلغ المعتصم هذه الصيحة، فماذا قال؟ قال: لبيك أختاه، لبيك أختاه. وجنّد جنوده وجيَّش جيوشه وحارب الروم في معركة تاريخية معروفة: معركة عمورية، التي قال فيها أبو تمام بانيته الشهيرة:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ
بِيضُ الصَّفَائِحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي مَتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ^(٣)

(١) انظر: سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ١٤٣، ١٤٤، نشر مكتبة وهبة.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٥٦/٩ - ٧١)، والكامل لابن الأثير (٣٨/٦).

(٣) انظر: زهر الآداب وثمر الألباب (٤٨٠/٢)، نشر دار الجيل، بيروت، وديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي (٣٢/١)، تحقيق راجي الأسمر، نشر دار الكتاب العربي، ط ٢، ١٩٩٤م.

أي: المنطق للقوّة، للسيف لا للقلم، بيض الصفائح: السيوف،
لا سود الصفائح: لا ينفع في هذا الوقت سود الصفائح ولا الكلام.
هكذا كانت أمّتنا في عهد الجاهليّة، وفي عهد الإسلام.

لم يُعد لنا مُبرّر للسكوت:

فما الذي جرى؟ ما الذي جرى ونحن نرى بأعيننا؟
لو كنّا لا نرى لكان لنا بعض العذر، ولكن هذه التلفازات أسقطت
الأعذار وأبطلت التعلّلات؛ لأنّنا نشهد بأعيننا، ونسمع بأذاننا، ونرى
ما يحدث لإخواننا وأخواتنا وأبنائنا وبناتنا.

هل تجمّد الدم في العروق؟ هل بردت هذه الدماء الساخنة
فأصبحت ثلجاً؟

ماذا جرى لهذه الأمّة؟ لماذا لا تهّب لنجدة إخوانها؟

أعجب - والله - ثمّ أعجب لما يحدث اليوم من سكوت، ومن
صمت، ومن استخفاء.

بل أعجب ثمّ أعجب حين كنت أسمع أوّل أمس - يوم الأربعاء
الماضي - إحدى الإذاعات، إذاعة القرآن تقول: حدثت بالأمس عملية
انتحاريّة! وقد قُتل الانتحاري!

يا الله، إذاعة عربيّة، إذاعة إسلاميّة تقول عن هؤلاء الشّهداء الأبطال:
انتحاريّون! أو تُسمّي العملية: عملية انتحاريّة! وتجرى في ركاب إسرائيل
ومن وراء إسرائيل!

من هو البطل إذن، ومن هو الشهيد إذن، إذا لم يكن هؤلاء الذين
أسقطوا فرض الكفاية عن الأمّة؟

ولم يُعدّ الجهاد فرض كفاية على الأمة، الجهاد فرض عين على الأمة، كلٌّ عليه أن يجاهد بما يستطيع بنفسه، بماله، بكلامه، بكلِّ ما يقدر عليه.

الجهاد فرض على الأمة كُلِّها، كُلٌّ في حدود دائرته وفي حدود استطاعته.

هؤلاء انتحاريُّون؟ كيف يُقال هذا؟

والله عجبت وعجبت وعجبت، ولا أدري هل هذه الإذاعة تستعمل هذه المصطلحات طوال أيامها؟ أم كان ذلك خطأ؟
لا أتابع مثل هذه الأشياء.

أين الأمة؟ أين أمة العرب وأمة الإسلام؟

يعتمدون على أمريكا راعية السَّلام، وعليها هي أن تحقِّق السَّلام!

أمريكا تكيل بمكيالين:

ولكن أمريكا ليست راعياً محايداً، إنّ أمريكا مع إسرائيل بالحقِّ وبالباطل، بالعدل وبالظلم، بالصواب وبالخطأ، هي منحازة لإسرائيل.

الَّذين يدافعون عن أنفسهم من أبناء فلسطين، الَّذِينَ يقاومون الطغيان المتجبر والجبروت الطاغوي، الَّذِينَ يقاومون عدوان شارون ومَن مع شارون، الَّذِينَ يقاومون الدَّبَّابات والطائرات، هؤلاء إرهابيُّون!

حماس إرهابيَّة! الجهاد إرهابيَّة! الجبهة الشَّعبية إرهابيَّة! حزب الله إرهابي! واليوم أضافوا كتائب شهداء الأقصى وهي فصيل من فتح، ضُمَّت إلى قائمة الإرهاب! هؤلاء إرهابيُّون!



أَمَّا شَارُون وعصابته فهم يقولون: من حقّهم أن يدافعوا عن أنفسهم!
 شَارُون وجماعته مدافعون، مظلومون، معتدى عليهم!
 أَمَّا الفلّسطينيّون فهم المعتدون، وهم الظالمون، وهم الجائرون،
 وهم الإرهابيّون.

ضُمُّوا إلى قائمة الإرهاب الأمريكيّة!
 وعلى العرب والمسلمين جميعًا أن يحاربوهم؛ لأنّ المنطق: إما أن
 تكون معنا أو تكون مع الإرهاب!
 فعلى جميع العرب وعلى جميع المسلمين أن يحاربوا حماس، وأن
 يحاربوا الجهاد، وأن يحاربوا كتائب الأقصى، وأن يحاربوا حزب الله؛
 لأنّ كلّهم إرهابيّون!
 هذا هو منطق الأمريكان!

كنت في الشهر الماضي في بيروت، في الجلسة الافتتاحية لمؤسّسة
 «القدس»، هذه المؤسّسة العالميّة التي تضمّ مسلمين ومسيحيين، وعربًا
 وعجمًا، تضمّ كلّ من يدافع عن قضيّة القدس وفلسطين، وقد شرّفتني
 الإخوة برئاسة مجلس أمنائها، وقلت في تلك الجلسة الافتتاحيّة: إذا كان
 كلّ من يدافع عن وطنه ويستमित في الدفاع عن مقدّساته إرهابيًا، فأنا
 أوّل الإرهابيّين.

وأنا أدعو الله وأقول: اللهمّ إن كان هذا إرهابًا، فأحيني اللهمّ إرهابيًا،
 وأمتني إرهابيًا، واحشني في زُمرَة الإرهابيّين.

هل هذا هو الإرهاب؟

هذا ما تريده أمريكا.

شَارُون بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب، شَارُون حَمْلٌ وديع!

شجاعة أهل فلسطين:

أمّا الفلسطينيون فهم ذئاب كاسرة، وسباع كاشرة! هؤلاء إرهابيون،
أهل عنف وأهل دماء!

الذين يدافعون عن أنفسهم، الذين يعيشون تحت وطأة الحصار هذه
الشهور الطويلة، الذين يصبرون ويصابرون ويرابطون مجرمون وإرهابيون
يجب أن يُقاتلوا، وأن يُقاتلهم العرب والمسلمون أنفسهم مع أمريكا،
وإلا كانوا مع الإرهاب وعُدّوا في زمرة الإرهابيين!

إننا نشدّ على يد إخواننا في الانتفاضة في أرض فلسطين، نشدّ على
أيديهم، نبارك جهادهم، نحیی صمودهم، ويستطيعون أن يفعلوا الكثير.

إنّ الفلسطينيين لا يهتمّهم ما يقدّمون من شهداء، هذه طبيعتهم،
وهذه طبيعة القتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]،
﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلُمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

لن يهتمّ الفلسطينيون ما قدّموا وما يقدّمون من شهداء وتضحيات،
ولكن الإسرائيليين يهتمّهم جدّا أي واحد يسقط منهم، أي حادثة تقع لهم
تهزّ أركانهم هزّا، تزلزلهم زلزالاً شديداً، تجعل الآلاف يطلبون الهجرة
ويفرّون في أوّل فرصة، لماذا أيّها الإخوة؟

لأنّ الفلسطيني هذه أرضه فهو يتشبّث بها، وقد تعلّم الفلسطينيون
من معارك (١٩٤٨م) أنّهم لن يتركوا ديارهم ولو تحولت قبوراً.

أمّا الإسرائيلي هذا، فهو إنسان لا يتشبّث بجذور الأرض، ليس له
فيها جذور يتشبّث بها، هو غريب، وافد، مهاجر من أوروبا الشرقية أو

الغربيّة أو أمريكا أو غيرها، فهو يشعر أنّه ليس له أصول في هذه البلاد، لا تمتد جذوره إلى عروق أرضها، ولذلك لا يصعب عليه أن يتركها. فهذا هو الذي يزلزل إسرائيل ويخيفها.

لو صبرت العرب وصبر قادة العرب على المقاومة وعلى الانتفاضة وأمدوها بعض المدد بالمال والسلاح، لاستطاعت الانتفاضة أن تؤدّي دورًا كبيرًا، وأن تُقلق إسرائيل وتزعج إسرائيل، وتنتهي في النهاية بالنصر. قالوا: الشجاعة صبر ساعة، ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

تحول غريب في سياسة العرب:

ولكن العرب لا يصبرون، ويريدون أن يضغطوا على الفلسطينيين ليقبلوا بوقف إطلاق النار.

العرب الذين كانوا شركاء في المعركة، أصبحوا اليوم وسطاء في المعركة! يتوسّطون ليقنعوا الفلسطينيين بأن يوقفوا إطلاق النار، وأن يوقفوا العنف، وأن يجلسوا على مائدة المفاوضات.

الشركاء بالأمس ووسطاء اليوم، أخرجوا من المعركة.

هذا أوّل ما كسبته إسرائيل: أنّها أخرجت بعض العرب المهمين والمهمين جدًّا - مثل: مصر والأردن - من المعركة، وأصبح كلّ همّهم الآن «الوساطة»، أن يكونوا وسيط خير بالصلح، ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

كيف يحدث الصلح بين اللحم والسكين، الصلح بين الضحية والجلاد، الصلح بين الذبيحة والجزار؟ أي صلح هذا أيّها الإخوة العرب؟

يا أيُّها العرب، لماذا لا تستعيدون ثقتكم بأنفسكم؟ لماذا لا تعيدون إلى الجامعة العربيّة حيويتها وقوتها؟ لماذا لا يقف العرب وقفة الرجال الأبطال كما تنتظر منهم شعوبهم، وكما نحسُّه من نبض الشارع العربي في كلّ مكان، الذي ينتفض ويغلي غليان المرجل فوق النّار؟

وقد رأينا شيئاً من هذا حينما أُتيح بعض الحرّية للتعبير، رأينا الشّباب في جامعات مصر في القاهرة والإسكندرية والمنصورة وطنطا وكفر الشّيوخ والزقازيق... رأينا الشّباب ثاروا في كلّ مكان، في سوريا... في الأردن ثار هؤلاء الشّباب.

نريد من قادة العرب أن يحسوا بهذا النبض، نبض الشارع، وأن يكونوا معبرين عن حقيقة أمّتهم، لا أن يعيشوا غرباء عنها.

هذا ما نريده من القمّة المنتظرة في الأسبوع القادم، وألا تكون قمّة تُضاف إلى القمم السابقة، تجتمع وتنفض، ولا تُحدث شيئاً.

إن أميركا تريد أن تسوق العرب إلى ما تريد هي، لا إلى ما يريدون هم.

وهي تريد أن تتحكم في العالم، تريد من العرب أن يعطوها صكّاً أو توقيعاً على بياض، أو تفويضاً مطلقاً بضرب أي بلد يريدون، خصوصاً العراق، يريدون ضرب العراق، وما سمّوه محور الشرّ: العراق وإيران وكوريا الشماليّة.

ثم سحبوا كوريا الشماليّة من هذا المحور، وما كانوا سيفعلون شيئاً معها؛ فالمقصود هو بلاد العرب والمسلمين، وإيران ليس وقتها الآن، ولكن الآن يريدون ضرب العراق.

هل سيعطيهم العرب هذا التوقيع على بياض؟ هل سيبصمون لهم بما يريدون، كما فعل العرب والمسلمون حينما بصموا ووقَّعوا وأعطوهم هذا «الكارت» الموقَّع بضرب أفغانستان؟

هل يفعل العرب هذا ويبيحون لهم ضرب إخوانهم؟
أعتقد أنَّها ستكون خيانة عظيمة لو فعل العرب ذلك.

فهم حقيقة المؤامرة الأمريكية على العراق:

أنا لست بعثيًا، ولا صداميًا، ووقفت ضد صدام وضد البعث حينما أغار على الكويت، ولكنني لا أقبل أبدًا أن نسمح بضرب بلد عربي وشعب عربي وجيش عربي، لا نوكل أمريكا بتأديب العراق ولا تأديب صدام، الشَّعب العراقي هو القادر على أن يغيِّر حكومته إنْ أراد، أمَّا أنْ نُعطي أمريكا الحقَّ في ضرب العراق وتدمير العراق، وهي تدمِّر وتضرب منذ أكثر من عشر سنوات، جَوَّعت هذا الشَّعب وقتلت من أطفاله مَنْ قتلت، ولم يكفها هذا، تريد أن تقضي على ما بقي من هذا الشَّعب.

يا الله، أين الأخوة؟ أين أخوة العرب؟ وأين شهامة العرب؟ وأين نجدة العرب؟

الشَّاعر العربي يقول:

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لَا أَخَا لَهُ كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغير سلاحٍ
وإنَّ ابنَ عمِّ المرءِ فاعلمْ جَنَاحَهُ وهل ينهض البازي بغير جَنَاحٍ^(١)!

(١) من شعر مسكين الدارمي. انظر: تاريخ دمشق (٥٣/١٨)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي،

نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

كيف تقبل أن يُكسر جناح أخيك، وأن يُنتف ريش أخيك، وأن تكون مع المغير والمعتدي، وأن تقف ضد إخوانك مهما يكن خطؤهم في الماضي؟

أنا أقول لإخواننا في الكويت: الاعتداء على الكويت شيء، ولكن الاعتداء على العراق الآن شيء آخر، إنَّ العراق ليس له أي دخل فيما سمّوه: «الإرهاب»، ولم يثبت عليه أي شيء، ولكنهم الآن بدؤوا يغيّرون النغم، بعد أن كانت الحرب ضد الإرهاب قالوا: ضد أسلحة الدمار ومن يملكون أسلحة الدمار!

أمريكا وحدها هي وحلفاؤها من حقّهم أن يملكوا ما شاؤوا من أسلحة الدمار، الأسلحة النوويّة، والأسلحة الجرثوميّة، والأسلحة الكيماويّة، وكلّ أنواع الأسلحة ما وُجد منها وما لم يوجد، من حقّهم أن يمتلكوه، وليس من حقّ الآخرين أن يمتلكوه.

إذا امتلكه الأمريكيّان وحلفاؤهم فهذا حلال زلال، وأمّا إذا ملكه الآخرون فهو منكر وحرام حرام!

أي منطق هذا؟!

يا أيّها الإخوة، إنّ على هذه الأمّة أن تعرف قدرها، وأن تعرف واجبها في هذه المرحلة، إنّ الله سائل هذه الأمّة عما يجري.

أمّة من ثلاثمائة مليون من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين، كيف تُستذلّ هذه الأمّة وتُضرب في عُقر دارها ويُراد لها أن تُساق إلى ما لا تريد؟ بأي منطق هذا؟ وبأي حجة هذا؟

إنّ روابط الإسلام وروابط العروبة ونداءات الحقّ والضمير، كلّها



تطالبنا بأن نقف وراء إخواننا في فلسطين، ووراء إخواننا في العراق،
ووراء المظلومين في كل مكان، فهذه هي حقيقة الأخوة، وصدق الشاعر
العربي الذي قال:

فإمّا أن تكون أخي بصدقٍ فأعرف منك غثي من سميني
وإلا فاطرحني واتخذني عدواً أتقيك وتّقينني^(١)

اللهم هيئ لنا من أمرنا رشداً، واجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا
على الثّقى، وأنفسنا على المحبّة، وعزائمنّا على عمل الخير وخير
العمل.

اللهم آمين.

ادعوا ربّكم يستجب لكم.

* * *

(١) الشاعر هو المثقّب العبدى. انظر: المفضليات ص ٢٩٢، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٦.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

اضطهاد المسلمين والمسلمات في أمريكا:

رأينا في نشرات هذا اليوم أنّ إخوتنا في أمريكا يتعرّضون لألوان من الاضطهاد، وهم إخوة يعملون في الميدان الثقافي والتربوي، وليس لهم علاقة لا بالعنف، ولا بالإرهاب، ولا بالجهاد العسكري، ولا بشيء من ذلك. ورأينا الأمريكيان ذهبوا إلى الجامعة الإسلامية الاجتماعية في ولاية «جينا» على ما أظن، واقتحموها وفتّشوها وأخذوا منها أشياء، وأخذوا رئيس هذه الجامعة أخانا العالم الفقيه الداعية الشيخ الدكتور طه جابر العلواني، وذهبوا كذلك إلى عدّة مؤسسات: مجلس الفقه الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عدّة مؤسسات تعمل في مجال الثقافة ومجال العلم ومجال الدعوة والتربية، ولكن أخذوا أناسًا، وأخذوا بعض النساء، حتّى إن امرأة أخذوها وقيدوا يديها من الخلف لمدة ثلاث ساعات، حتّى صرخت وبكت، فأنقذوها وقيدوها من الأمام ساعتين آخرين!

ما هذا؟

أمريكا التي تدّعي الحرّية وتدّعي حقوق الإنسان، تعامل الناس بهذه الطريقة.

وقد اعتقلوا أكثر من ألف شخص في أمريكا ولم تُوجّه تهمة إلّا لواحد منهم، واحد فقط هو الذي اتُّهم بأنه على صلة بالقاعدة، والآخرين لم يُوجّه إليهم سؤال ولا اتهام.

أهذا هو ما يدّعون من رعاية حقوق الإنسان؟ أهذا هو ما يدّعون من حرية الإنسان وكرامة الإنسان؟ أهذه هي المواثيق الدوليّة؟ أهذا ما تقوم عليه الأمم المتّحدة؟

إننا نعجب أن أمريكا وصلت إلى هذا الحدّ

من التجاوزات، وتركت للأجهزة المختلفة عندها تنفّذ أشياء غير الأشياء التي تقولها هي في الصّحف والإذاعات والتلفازات، ويعاملون النّاس وكأنهم ليسوا آدميين.

إننا نصرخ محتجّين على هذه المعاملة، ونرى أنّ هؤلاء - وكثير منهم أمريكيان أصليون، وكثير منهم يحملون الجنسيّة الأمريكيّة، وكثير منهم يحملون إقامة شرعية من سنوات طويلة، فلهم حقوق المواطنين - يجب أن يعاملوا باحترام وتكريم كما أراد الله للإنسان حينما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيَّ آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠].

* * *





الأمّة الإسلاميّة تحت وصاية الغرب^(١)

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

ماذا يُراد بتغيير التعليم في بلادنا:

قُدِّرَ على أمتنا في هذه المرحلة أن تكون تحت وصاية غيرها من الأمم، تتحكّم فيها وفي مصايرها وفي أمورها كيف تشاء.

يُراد لهذه الأمّة أن تُغيّر من طبيعتها، وتُغيّر من حقيقتها، ومن مقوماتها وخصائصها، حتّى تُرضي الآخرين، ولن يرضى الآخرون عنها حتّى تتبّع ملّتهم.

يُراد لهذه الأمّة أن تُغيّر تعليمها الديني!

طلبت الولايات المتّحدة الأمريكيّة من أكثر من دولة إسلاميّة أن تعيد النظر في التعليم الديني عندها.

ما المراد بالتعليم الديني؟

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٤ ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ١٨ يناير ٢٠٠٢م.

هل التعليم الديني في المدارس العامّة الذي يعلّم التلاميذ ما يجب عليهم في عقيدتهم، وشريعتهم، وسلوكهم، وأخلاقهم؟
 أم يراد بالتعليم ما يأخذه بعض الطلاب في الجامعات من مقرّر الثقافة الإسلاميّة الذي يعطي المسلم فكرة عن الرسالة الإسلاميّة، وعن فلسفتها العامّة بحيث يتخرّج الطالب الجامعي وقد عرف شيئاً عن هذا الدين يليق بنموه في هذه المرحلة؟

وهذا واجب على كلّ من يعيش في بلاد الإسلام، سواءً كان مسلماً أم غير مسلم؛ لأنّ الإنسان لا يكون مثقّفًا إذا جهل الدين الذي يؤمن به عامّة قومه، لا يكون مثقّفًا إذا جهل هذه الأصول الفكرية والعقدية التي يعيش عليها النّاس ويموتون عليها.

أم يراد بالتعليم الديني هذا التعليم الخاص الذي تقوم عليه المعاهد الدينية، والكليات الشّرعيّة، والجامعات الإسلاميّة في عدد من البلاد، مثل: الأزهر في مصر، مثل: الزيتونة في تونس، مثل: القرويين في المغرب، مثل: الجامعة الإسلاميّة وجامعة الإمام محمّد بن سعود وجامعة أم القرى في المملكة العربيّة السعوديّة، مثل: جامعة ديوبند وندوة العلماء في الهند، مثل: الجامعات الإسلاميّة المتخصّصة في باكستان وفي كوالا لامبور وغيرها؟

هل يراد بالتعليم الديني هذا التعليم؟

الغالب أن هذا كلّ مراد.

يُرَاد أن يُغيّر التعليم الديني بحيث يُصاغ صياغة ترضى عنها أمريكا. وهذا أمر عجيب حقًّا: أن يفرض علينا - نحن العرب والمسلمين - ما فُرضَ على اليابان وألمانيا بعد الحرب العالميّة الثانية.

فُرضَ على ألمانيا وعلى اليابان أن تُغيّرا من دساتيرهما، وتغيّرا من تعاليمهما، ومن ثقافتهما؛ لأنّ هؤلاء كانوا أعداء لأمريكا وللحلفاء، ودخلوا معهم حرباً فقد فيها الملايين من الضحايا.

ونحن لسنا أعداء، البلاد التي يُطلب منها هذا التغير تُعتبر بلاداً صديقة لأمريكا، وبينها وبين أمريكا اتفاقات ومعاهدات، وسفارات وقنصليات، ولم يحصل بيننا حرب حتّى تُفرض علينا هذه الأشياء. لماذا يُفرض علينا ما يُفرض على المنهزمين في الحرب، ونحن لم ندخل حرباً؟

ولكن هذا حُكم القوي في الضعيف، حُكم الغالب في المغلوب. تحكّم الذئب فاخضع أيّها الحملُ تكلّم السيف فاسكت أيّها القلمُ! هذا هو الذي يجري في هذه الأيام.

هل التعليم الديني يُثمر إرهاباً؟!

ماذا تريد أمريكا؟

تريد أمريكا أن تُغيّر التعاليم الدينيّة بحيث لا تُنتج الإرهاب، ولا تُثمر الإرهاب!

من قال: إنّ التعليم الديني هو الذي أثمر الإرهاب؟

هذه خرافة وأسطورة لا أصل لها.

الذين اتهموهم بالإرهاب هل تخرّجوا من التعليم الديني؟

هل «ابن لادن»، أو الظواهري، أو عبد السلام فرج، أو عبود الزمر، أو خالد الإسلامبولي، أو هؤلاء الذين اتهموهم بالإرهاب، هل أحد من هؤلاء تخرّج في الأزهر أو في التعليم الديني؟



ليس أحد من هؤلاء ممّن تخرّج في كلية دينيّة أو معهد شرعي.

طالبان هم طلبة شرعيون حقًا، ولكن هل طالبان إرهابيّون؟

من قال: إنّ طالبان إرهابيّون فقد أخطأ خطأ مبينًا، وضلّ ضلالًا بعيدًا، وظلم هؤلاء النّاس ظلمًا بينًا.

طالبان جماعة منغلقة جامدة، تعيش في الماضي ولا تعيش في الحاضر، لا تستلهم الحاضر ولا تستشرف المستقبل.

هذا ما يعاب عليه جماعة طالبان.

أمّا أن يُتهموا بالإرهاب، فلا.

حتى أمريكا لم تقل هذا، قالت عن «ابن لادن» والقاعدة: إنّهم الإرهابيّون وسنقاتلهم ونقاتل من يؤويهم، فاعتبرت طالبان مؤوين للإرهاب وليسوا إرهابيّين.

ما بالهم يقولون الآن: إنّهم أصبحوا إرهابيّين؟!

كلّ ما فعلته جماعة طالبان: أنّهم آووا «ابن لادن»، وليسوا هم - في الحقيقة - الذين آووه.

«ابن لادن» ومجموعته موجودون في أفغانستان من قديم، منذ أيّام الجهاد الأفغاني الذي شجّعته أمريكا ودعّمته وأيدته، وشجّعته البلاد العربيّة والإسلاميّة عامّة، ثمّ أصبح هؤلاء المجاهدون مجرمين بعد ذلك، وسُدت في وجوههم الأبواب، وتقطّعت دونهم الأسباب، ولم يستطيعوا أن يعودوا إلى بلادهم إلّا إذا أُدخلوا السجون، فعادوا إلى أفغانستان، والأفغانيون تحكمهم قيّم، تحكمهم تقاليد، تحكمهم أخلاقيات، وأن من لجأ إليهم لا يستطيعون أن يتخلوا عنه.

هذا شيء غير الإرهاب:

فلماذا يقولون: إنَّ التعليم الديني يُفَرِّخ الإرهاب ويُولِّد الإرهاب؟
هذا كلام باطل لا أساس له، ولا يقوم على أي منطق عقلي
ولا نقلي، أو ديني أو خلقي، أو عرفي أو وضعي، كلام مرفوض من
ألفه إلى يائه.

ماذا تريد إذن أمريكا من التعليم الديني؟

وهناك في العالم ألوان من الإرهاب ليس لها علاقة بالدين
ولا بتعاليمه.

«عبد الله أوجلان» هذا الكردي رئيس حزب العمال الكردستاني،
وهو رجل محسوب على الماركسية والشيوعية واليسارية، وليس محسوبًا
على الدين ولا على قيم الدين بحال من الأحوال.

فلماذا نقول: إنَّ الدين هو الذي يُفَرِّخ الإرهاب؟!

الإرهاب الذي يوجد في عدد من البلاد: وُجد في أمريكا نفسها وفي
حادث «أوكلاهوما سيتي»، ووجد في بريطانيا في الجيش الجمهوري
الآيرلندي، ووجد في اليابان في جماعة الحقيقة السامية، ووجد في
الهند وقُتلت «أنديرا غاندي» وابنها «راجيف غاندي»، ووجد في إسرائيل
وقتل «إسحاق رابين»، ووجد في كل مكان.

لماذا التعليم الديني الإسلامي فقط هو الذي يُحمِّل وزر الإرهاب
في العالم؟

هذا أمر عجب.

مؤامرة لتقليص دور الدين في الحياة:

ثم أقول: ماذا تريد أمريكا من تغيير التعليم الديني؟
هل تريد أن تقلص دوره وتحجمه وتقزّمه وتضيّق مساحته، بحيث لا يكون له تأثير على حياة المسلم؟ أهذا ما تريده؟

إن كان هذا فهذا لا يؤثر في منع الإرهاب، ولكنه يؤثر في أخلاقيات الأمة، يجعل الأمة أمة بلا قواعد راسخة، بلا أصول ولا جذور تمتد إليها وتمسك بها، تصبح أمة سائبة، أمة ضائعة.

الأخلاق أساسها الدين، الدين هو جوهر الحياة وسرّ الوجود، فإذا فقد من الحياة لم تعد الحياة لها معنى.

والدين هو القوة الحافزة إلى الخير، والقوة الرادعة عن الشرّ، والضابطة لسلوك الإنسان، فإذا قلّصنا دور الدين معناه: انتشر الشرّ، وانتشر الإجرام، وانتشر الفساد، وانتشرت الإباحية، وانتشر فساد الذمم وبيع الضمائر.

هذا ما يحدث إذا تقلّص دور الدين في الحياة.

يريدون للأمة الإسلامية - كما ذكر «فوكوياما» في مقالته التي أشرنا إليها في الأسبوع الماضي - أن تقلد تركيا العلمانية المتطرّفة، تقلدها في تقليص دور الدين.

الدين لا يُعلّم في مدارس تركيا، وحينما أراد الشعب التركي أن يستعيض عن ذلك فأنشأ مدارس قرآنية - عشرات آلاف المدارس القرآنية - أنشأها الناس بأموالهم في كلّ المدن والقرى تعلّم الأطفال القرآن، ويتعلّمون بغير لغتهم، يقرؤون: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] ولا يعرفون معناها.

أهذا يُفَرِّخ إرهابًا؟

ومع هذا منعت تركيا العلمانيّة هذه المدارس وأغلقت أبوابها.

أهذا ما يريدونه؟

محاولة لمسح وتشويه التعليم الديني:

أيريدون تغيير مناهج التعليم الديني بحيث يُحذف من هذه المناهج كلُّ ما ينشئ الشَّخصية المسلمة المتكاملة، الشَّخصية التي تؤمن بالحق، وتجاهد في سبيله، وتدعو إلى الخير، وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقاوم الباطل، وتمسّك بالحق، ولا تبالي في سبيل مبادئها ما أصابها من أذى ومن بلاء، الشَّخصية التي تستعد أن تضع رأسها على كفّها في سبيل الله، تُضحّي كما يُضحّي إخواننا في «حماس» و«الجهاد الإسلامي» وغيرها من فصائل الجهاد؟

أيريدون أن يحذفوا هذا من المناهج؟

لعلّهم يريدون هذا.

وقد فعلت هذا بعض البلاد العربيّة العلمانيّة العريقة في العلمانيّة والمتطرّفة فيها، ما سمّوه: تجفيف المنابع، المنابع التي يتفجّر منها الدين، والإيمان القوي، والشَّخصية المتماسكة المعترّزة بدينها وبربّها وبإسلامها، هؤلاء حاربوا هذا النّوع من التعليم والتربية وسمّوه: تجفيف المنابع.

قالوا: لا يكفي أن تحارب المتدينين، وأن تُدخلهم السجون، وأن تُسلّط عليهم أدوات التعذيب الماديّة والنفسية، قالوا: كلُّ هذا لا يصلح، لا يصلح حرب الدين إلّا إذا جفّفنا الينابيع التي يأتي منها الدين!

فلعلَّ أمريكا تريد من تغيير المناهج هذا اللون، هذا يعتبرونه إصلاحًا وتجديدًا، وما هو بإصلاح ولا تجديد، ولكنه إفساد وتبديد.

أم تريد أمريكا أن تُغيّر المناهج بحيث تنشأ العقلية الإسلامية المتفتّحة، العقلية التي تؤمن بالحوار مع الآخرين، والتسامح مع المخالفين، والبرّ مع المسالمين، والنظر إلى البشر باعتبارهم إخوة وأُسرة واحدة، ينتسبون إلى أب واحد، وإلى ربّ واحد، كما جاء في الحديث: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لَأَدَمَ وَآدَمَ مِنْ تَرَابٍ»^(١)؟

إن كان هذا ما تريده أمريكا فنحن أسبق منها في هذه الدعوة، لنا عشرات السنين ونحن نُعلّم المسلمين هذا الإسلام، وندعو المسلمين إلى هذا الدين، الدين المتفتّح، الدين المتسامح.

ندعو المسلمين، وندعو المتشدّدين منهم، والغلاة والمتطرّفين أن يخرجوا من التعصب والانغلاق إلى التسامح والانطلاق، من التعسير والتنفير إلى التيسير والتبشير، من الغلو والانحلال إلى الوسطية والاعتدال، من العنف والنقمة إلى الرفق والرحمة^(٢).

ندعو المسلمين إلى هذا، لا لأن أمريكا تطلب منا هذا، بل لأن ديننا هو الذي يأمرنا بهذا.

فإذا كان الإصلاح مبنياً على أسس إسلامية، ومن وجهة نظر إسلامية،

(١) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

(٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

(٢) هذه بعض الخطوط العشرة التي ذكرناها لترشيد الصّحوة الإسلامية، وهي ضمن كتابنا: الصّحوة الإسلامية من المراهقة إلى الرشد، فليراجع.

فهذا ما نطالب به، ولسنا في حاجة إلى أن يُفرض علينا هذا من أمريكا ولا من حلفاء أمريكا.

إننا ندعو إلى تعليم ديني منبثق ممّا كان عليه الصّحابة والتابعون، وهم أكثر النّاس فهماً لهذا الدين، وفقهاً لروحه، ولمقاصده، والتزاماً به، وعملاً بأركانه وبمقوماته وآدابه.

نحن ندعو إلى الإسلام كما فهمه الجيل الأوّل الذي ربّاه محمّد ﷺ ونشأت عليه هذه الأمة التنشئة المطلوبة.

نحن ندعو إلى هذا، ولسنا في حاجة إلى من يُعلّمنا ديننا. نحن أولى النّاس بأن نتعلّم ديننا من مصادره الأصيلة، وأن نُخرّج فروعها على أصولها، وأن نبنيها على ركائز متينة وقواعد راسخة، من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ.

لماذا لا يُطالب غيرنا بتغيير مناهجه التعليمية؟

ثمّ نحن نسأل أمريكا: لماذا المسلمون وحدهم؟ لماذا تطالب المسلمين دون غيرهم بمراجعة تعاليمهم الدينيّة؟ لماذا لم تطالب الإسرائيليين بهذا؟

الإسرائيليّون الذين استباحوا الدماء، واستباحوا الأموال، واستباحوا الحرمات، ليس عندهم أي بأس من أي دم يُسفك، أو أي عرض يُهتك، أو أي حرمة تُنتهك، وهذا بناء على تعاليمهم الدينيّة في التوراة.

التوراة التي تقول لموسى: إنك إذا انتصرت على قوم ودخلت بلداً فاضرب أهلها رجالها ونساءها بحدّ السيف، واقتل بقرها وغنمها وحميرها وكلّ شيء فيها!

يعني: اجعلها خرابًا يبابًا، استبح كل شيء فيها.

هذا ما تقوله التوراة في أسفارها.

أمّا ما يقوله التلمود فهو أشدّ وأنكى، وأخزى وأقسى؛ لأنّه يستبيح كلّ الأمم! الأمم أحطّ عنده من البهائم وأذلّ من الكلاب!

المفروض في هؤلاء الأغيار أن يكونوا عبيدًا للشّعب المختار، شعب إسرائيل!

هذا ما يقوله تلمودهم وما نصّوا عليه.

والقرآن يشير إلى هذا حينما قال: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّتِنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

كلّ من عداهم أمّيون، ليس لهم حرمة، وليس لهم منزلة، وليس لهم قيمة، وليس عليهم فيهم سبيل، كذبوا على الله ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

لماذا لم تطالب أمريكا إسرائيل ولا سيّما الأحزاب الدينيّة في إسرائيل: حزب «شاس» وأمثاله من هؤلاء المتطرّفين الذين يريدون أن يقتلوا العرب ولا يبقوا لهم من باقية؟

أحلال للإسرائيليين حرام على العرب والمسلمين؟!

لماذا لم يطالبوا الذين ينادون بالأصوليّة المسيحيّة في أمريكا؟

الأصوليّة المسيحيّة التي تناصر إسرائيل وتناصر الصهيونيّة وتعتبر ذلك جزءًا من دينها.

وقد تأثر بتعاليم هؤلاء عشرات الملايين، وممن تأثر بهم رؤساء

أمريكا السابقون منذ عهد «كارتر» و«بوش» الأب و«ريغان» و«كليتون» و«بوش» الصغير.

كلُّ هؤلاء من ضحايا هذه المسيحية التي يسمونها: المسيحية الصهيونية أو المسيحية الأصولية.

ولعلَّ من فعل حادثة «أوكلاهوما سيتي» من هذا النوع.

وهناك أحزاب وجمعيات متطرّفة بالعشرات داخل أمريكا، لماذا لم تطالبهم؟

لماذا لم تطالب الجيش الأيرلندي الكاثوليكي الذي يحارب البروتستانت في بريطانيا؟

لماذا لم تطالب أي جماعة من الجماعات بالنظر في تعاليمها الدينية إلّا المسلمين؟!

المسلمون وحدهم هم الذين أصبحوا يؤمرون فيطيعون، ويدعون فيستجيبون، ولا يستطيعون أن يقولوا: لم؟ فضلاً عن أن يقولوا: لا.

حتى الأعمال الخيرية، قرأنا بالأمس واليوم: الوفود الأمريكية التي تجوب منطقة الخليج يميناً وشمالاً، تجوب هذه المنطقة لتضبط الأعمال الخيرية حتّى لا يتسرّب منها شيء إلى الإرهاب!

يعني: لا يتسرّب منها شيء إلى فلسطين، إلى حماس، إلى الجهاد، إلى حزب الله، إلى فصيلة من فصائل المقاومة، لا ينبغي أن يتسرّب إليها شيء؛ فهم يريدون أن يضبطوا الأعمال الخيرية في بلاد الخليج، يريدون أن يفرضوا وصاية علينا في كلّ شيء.

إنَّه استعمار جديد، باسمٍ جديد، وبأسلوبٍ جديد.

وينبغي لهذه المنطقة ولغيرها من مناطق العروبة والإسلام أن ترفض هذا التدخل، فلسنا عبيدًا لأحد؛ نحن عبيد لله وحده: ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

دعوة لتطوير مناهجنا التعليمية وتجديدها:

لا أنكر - أيُّها الإخوة - أنَّ في مؤسَّسات التعليم الديني كثيرًا من ألوان القصور والتقصير، كغيرها من المؤسَّسات في بلادنا.

المؤسَّسات العامَّة في بلادنا كلُّها في حاجة إلى مراجعة، وفي حاجة إلى تقويم، والأمة الحية هي التي تراجع نفسها ما بين الحين والآخر دون أن يفرض عليها هذا من أحد.

أمريكا نفسها نقدت نظام التعليم فيها، وجاءت بفريق ياباني ليقدم إليها مشورته في إصلاح النِّظام التعليمي فيها، ولكن هي التي فعلت هذا، لم يفرض أحدٌ عليها هذا.

نحن ندعو، ودائمًا التربويون ينادون بالمراجعة والتقويم ما بين الحين والآخر، هذا أمر طبيعي.

التعليم الديني كثير منه يشكو الجمود: إنَّه يعيش جامدًا، لم يفتح على هذا العصر وعلى آفاقه الواسعة، وعلى ثقافته المتنوعة، وعلى مشكلاته المتجدِّدة، ونحن نطالب الذين يتعلَّمون الدين أن ينظروا إلى التراث بعين وإلى العصر وتياراته بعين أخرى، كما جاء في تراثنا: رحم الله امرأً عرف زمانه واستقامت طريقته.



وجاء في بعض الآثار: وينبغي للعقل: أن يكون عارفاً بزمانه، حافظاً
للسان، مقبلاً على شأنه^(١).

نحن نريد من التعليم الديني أن يخرج من الانغلاق، ومن الجمود،
وأن يفتح على آفاق المعرفة الواسعة.

نحن نريد من هذا التعليم أن يخرج من قصوره.

التعليم الديني والعلوم التجريبية الإنسانية:

بعض مدارس التعليم الديني لا تعرف شيئاً عن العلوم الحديثة،
لا تعرف شيئاً عن الجغرافيا، ولا عن الفيزياء، ولا عن الكيمياء، ولا عن
الأحياء، ولا عن هذه الأشياء!

كيف يعيش الإنسان في هذا العصر وهو جاهل بهذه الأمور؟!
ولذلك حينما نناقش بعض القضايا التي لها صلة بالعلم، نجد هؤلاء
أبعد ما يكونون عن معرفة الواقع.

وعلماءنا قالوا: لا بدّ للمفتي أن يفقه الواقع^(٢) كما يفقه النصّ.

بدون الجمع بين النصّ والواقع لا يستطيع أن يُحسن الفتوى،
لا يمكن أن يعرف شيئاً في قضية الهلال، وهل نأخذ بالحساب الفلكي؟
إذا كان لا يعرف شيئاً عن الفلك، ولا عن الكسوف، ولا عن
الخسوف، ولا عن مسار الشمس، ولا عن مسار القمر، كيف يستطيع أن

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الصمت (٣١)، عن وهب بن منبه، قال: في حكم آل داود... فذكره.

تحقيق أبو إسحاق الحويني، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ.

(٢) ذكرنا أنواع الثقافات التي يجب على الداعية أن يكون ملماً بها، ومنها الثقافة الواقعية، انظر

كتابنا: ثقافة الداعية ص ١١٠ - ١٢٣، نشر مكتبة وهبة، ١٩٩٦م.

يتحدّث عن بعض الأشياء، مثل التي تتعلق بشتل الجنين، والتحكّم في جنس الجنين، وهو لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور؟

حتى إن بعضهم مرّة علّق على فتوى لي قال: القرضاوي يقول: إنّ المرأة تبيض!

من قال: إنّ المرأة تبيض؟!

المرأة تلد ولا تبيض!

معروف أنّ المرأة عندها بيضة كل شهر عربي، هذا أمر أصبح معروفاً.

كيف يتكوّن الجنين؟

يتكوّن من الحيوان المنوي للرجل والبيضة من المرأة.

هؤلاء لا يعرفون هذا.

هناك قصور في هذه المؤسّسات الدينيّة، وبعض هذا القصور يرجع إلى القصور المادي والمالي.

كنت في الفلبين من نحو خمس وعشرين سنة، وزرت المعاهد العربيّة والإسلاميّة، وهذه المعاهد العربيّة والإسلاميّة منتشرة في أنحاء العالم بالمئات والآلاف، وجزى الله الأمير محمّد الفيصل خيراً حينما أسّس اتحاداً لهذه المدارس العربيّة أمينه الدكتور توفيق الشاوي، وعمل في بعض الأوقات على محاولة تطوير هذه المدارس والمعاهد العربيّة، فأقام لها دورات تربوية تطويرية في بلادها، وبعث إليها أناساً، وطلب من بعض الجامعات أن تتبرع بإرسال بعض الأساتذة للمشاركة، وذهب

بعض إخواننا في جامعة قطر ليشارك في تطوير هذه المعاهد، وتطوير المدرسين، وإعطائهم جرعات من التربية وأسس التربية الحديثة.

المهم أنني حينما زرت الفلبين في ذلك الوقت - وكنت مع فضيلة الشيخ الجليل عبد الله الأنصاري رَحِمَهُ اللهُ - وجدتهم يعيشون في الماضي كما كان الأزهر منذ مائة سنة، قلت لهم: لماذا لا تتعلمون اللغة الإنجليزية؟ لماذا لا تتعلمون العلوم الحديثة؟ لماذا لا تُطوِّرون الأساليب التدريسية أو تستعينون بالوسائل السمعية والبصرية؟

قالوا: هذا كله يحتاج إلى فلوس، ونحن نعتمد على مدرسين متطوعين، وإذا أخذوا شيئاً أخذوا القليل، فمن أين لنا أن ندفع راتباً لمدرس الإنجليزي ومدرس الفيزياء والكيمياء ومدرس الجغرافيا؟ المشكلة إذن هناك نقص في موارد التمويل لهذه المؤسسات.

والعجب أن كثيراً من المسلمين عندهم فائض أموال، وعندهم رغبة في عمل الخير، ولكن معظم أثرياء المسلمين وتجار المسلمين إذا أرادوا أن يعملوا خيراً لم يفكروا إلا في شيء واحد: أن يبنوا مسجداً، وكأن المسجد هو كل ما يحتاج إليه المسلمون.

المسلمون في حاجة إلى المدرسة مثل حاجتهم إلى المسجد أو أشدّ، وإلا لن يذهب إلى المسجد إذا لم تأت المدرسة بمن يعلمه الذهاب إلى المسجد!

نحن في حاجة إلى المسجد، في حاجة إلى المدرسة، في حاجة إلى النادي، في حاجة إلى المؤسسات المختلفة التي بها يكتمل المجتمع ويؤدّي دوره.



هذا ما نريده - أيُّها الإخوة - للتعليم الديني، أن ينمو ويرتقي
ويتطوّر، ويعايش العصر، ويمشي مع ركب الحياة، حتّى يؤتي أكله كلّ
حين بإذن ربّه.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يفقّهنا في ديننا، وأن يعلّمنا ما ينفعنا، وأن
ينفعنا بما علّمنا، إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد:

ثبات الشعب الفلسطيني أمام المجازر:

فلعلّكم - أيّها الإخوة - تتابعون معي ما يحدث في أرض الإسراء والمعراج، في أرض الثُّبوات والمقدّسات، في أرض المسجد الأقصى، في أرض فلسطين.

إنّ ما يحدث شيء يتقطّع له نياط الفؤاد، وتتفتّت له الأكباد، ويرجع الإنسان حزينًا مليئًا بالحسرة والنكد كلّما استمع أو شاهد نشرة من نشرات الأخبار، أو قرأ ما تنشره الصُّحف صباح كلّ يوم، إنّهُ شيء لا يصدّق.

إنّ شارون وعصابته المجرمة أصبحوا يُملّون إرادتهم، ويفرضون مشيئتهم، على أبناء فلسطين.

والعجب أن نجد من أبناء فلسطين من يستجيب لهذه الإرادة.

الشَّعب الفلسطيني رفض التسلُّط الشاروني، وقاوم ذلك بصدوره، قاوم الدبّابات في الأرض، والمروحيات والطائرات من الجو، والبوارج من البحر، قاوم هذا بما يملكه من أدوات، وبعضها لا يُغني شيئًا أمام هذا التجبُّر، ولكن الشُّعوب حينما تقاوم، تقاوم بما تقدر عليه، والله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، لم يقل: أَعِدُّوا لهم مثل ما أعدُّوا لكم، إنّما قال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ولم نجد شعبًا من الشُّعوب قاوم المحتلّ والمستعمر بمثل ما يملك المستعمر من قوى وأدوات، لا يوجد هذا في التاريخ أبدًا.

ولذلك الشَّعب الفلسطيني البطل الباسل أثبت وجوده منذ بدأت الحركة الصهيونيَّة وبدأ المشروع الصهيوني، قاوم بثورات متَّصلة وبذل ما بذل، لولا المؤامرات والخيانات من قديم ومن حديث.

هذه الانتفاضة الثانية، الانتفاضة المباركة، يجب أن تستمرَّ.

إنَّ إيقاف الانتفاضة جريمة بكلِّ المقاييس، وخيانة لله ولرسوله وللفلسطين وللأمَّة، لا يجوز أنْ تقف هذه الانتفاضة، يجب أنْ تستمرَّ.

ماذا نريد في مقابل وقف الانتفاضة؟ أن يرضى شارون؟

والله مهما عملنا لن يرضى شارون.

أنصح عرفات بالعودة إلى النضال:

ماذا يريد الرئيس عرفات من شارون؟ يريد أن يفرج عنه ليتحرَّك كما يريد؟

هو سجين في رام الله، وقال شارون: إنَّه سيظلُّ حبيس رام الله مدَّة طويلة! هو الَّذي يتحكَّم فيه. ما قيمة هذه الرئاسة؟!

أنا أقترح على السَّيد ياسر عرفات أن يعود كما كان من قبل، أن يتخلَّى عن كرسي الرئاسة هذا الَّذي لم يُعد له قيمة، ولم يُعد له معنى، ولا يستطيع أن يستقرَّ عليه، ويعود ثائرًا مناضلاً مجاهدًا كما كان من قبل، أن يرمي بغصن الزيتون ويحمل البندقيَّة، أن يأتي بالكوفية على وجهه ويتلثَّم مع المتلثِّمين، أن يعلن الجهاد من جديد.

أمَّا أن يترضى شارون ليرضى عنه حتَّى يتحرَّك داخل سلطته!

أي رئيس هذا الَّذي لا يملك أن يتحرَّك داخل السلطة وهو رئيسها؟!



لم يسمح له شارون أن يحضر المؤتمر الوزاري الإسلامي!
تُرى هل يسمح له أن يحضر مؤتمر القمة العربي الذي سينعقد عن
قريب؟!

إنَّ عرفات يحاول أن يرضي شارون بأن يبذل له بعض ما يريد،
فيعتقل بعض قادة الفصائل النضالية والجهادية التاريخية في فلسطين
ليُرضي شارون!

هذا عبث، وهذا خطأ، ولن يرضي شارون.

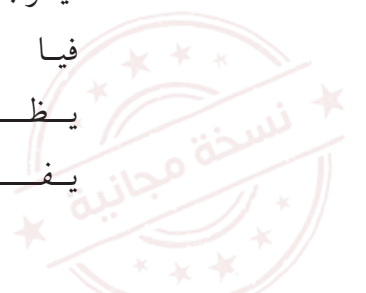
إننا ننادي السُّلطة، وننادي الشعب في فلسطين: أن يقفوا جميعاً صفّاً
واحداً لا يُخترق، لا يسمحون للصهاينة أن يخترقوه.

قوة هذا الشعب في تماسكه، في تلاحمه، في اتحاده، والله تعالى يقول:
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ مَّرْصُومٌ﴾ [الصف: ٤].

أمّا اللهاث وراء عملية السلام^(١) - أي سلام كان، السلام كما تفسّره
إسرائيل وكما تريده إسرائيل - فهذا لا يخدمنا، وليس في صفّنا،
ولا يحقق لنا هدفاً، سنظلّ طوعاً أمراً إسرائيل، سنظلّ رهن إشارة إسرائيل،
سنظلّ تحت إرادة إسرائيل وهيمنة إسرائيل والصهيونية.

(١) لنا قصيدة حول هذا السلام الهزيل أسميناها: سلام السراب أو سراب السلام، في ديواننا:
المسلمون قادمون ص ٧٨ وما بعدها، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، ٢٠٠٠م. ومن أبياتها:

سلام من بني صهيو	ن عفواً يا بني جنسي
أيرجى السلم من ذئب	أيرجى الدّر من تيسر؟
فيا عجباً لمن يجري	وراء سرابيه النفسي
يظن له به رياء	ويرجع فارغ الكأس
يفرط في دم الشهدا	يا للعار والبؤس



أهذا ما يراد لنا؟

أهذا ما أراده ياسر عرفات بعد هذا العمر من الجهاد: أن يصبح رهن إشارة الكيان الصهيوني يتحكّم فيه كيف يشاء؟

لا حلَّ إلّا أن يلتحم الشَّعب الفلسطيني كلُّه ويقف وقفة رجل واحد، ويرفضون هذا الاستسلام، ويرفضون هذه الإهانة، ويستعدُّون لبذل كلِّ ما يستطيعون؛ ليعيدوها جَذَعَةً من جديد، فما كسبوا شيئاً حتّى الآن إلّا الحصار والتجويع والقتل والتخريب والتدمير يلقونه كلَّ يوم.

إنّنا نَحْيِي هؤلاء المجاهدين الشَّباب الذين ضُحُّوا بأنفسهم، ووضعوا رؤوسهم على أكفِّهم، وأرواحهم في أيديهم، وقَدَّموها رخيصة في سبيل الله، وهاجموا الصهاينة في عقر دارهم، وقتلوا منهم من قتلوا، واستشهدوا في سبيل الله.

نَحْيِي هؤلاء، وهذا تغيير نوعي، بدل عمليَّات الاستشهاد والتفجير: الدخول في المعركة، القتال لهؤلاء، المقاومة لهم، هذا أسلوبٌ جديدٌ نَحْيِيه ونُشَجِّعه، ونرى أنّه لا يمكن أن يُخضع الإسرائيليّين إلّا الجهاد.

إنَّ الحرّية لا تُستجدي، إنّ الاستقلال لا يُوهب، ولكنّه يُؤخذ أخذاً، ورحم الله أمير الشعراء شوقي حينما قال:

وللحرية الحمراء بابٌ بكلِّ يدٍ مضرّجةٍ يُدقُّ^(١)

لا يُدقُّ باب الحرية إلّا باليد المضرّجة بالدماء، أمّا اليد الناعمة التي

(١) أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (٧٧/٢)، نشر دار العودة بيروت.

تلبس القفاز، وهذه الشخصيات التي لا تريد الجهاد، والتي قال فيها الشاعر قديماً:

خَطَرَاتُ النَّسِيمِ تَجْرُحُ خَدَّيْهِ وَلَمَسُ الْحَرِيرِ يُذْمِي بَنَانَهُ^(١)!
فهؤلاء لا تنتصر بهم أمة، ولا تتحقق بهم حرية، ولا يأتي على أيديهم استقلال.

* * *

(١) من شعر شهاب الدين الإعزازي، كما في نفع الأزهار في منتخبات الأشعار لشاكر بن مغامس البتلوني ص ٩، تحقيق إبراهيم اليازجي، نشر المطبعة الأدبية، بيروت، ط ٣، ١٨٨٦ م.



إغلاق المؤسسات الخيرية الإسلامية لمصلحة من^(١)؟

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

حالة هوان تعيشه الأمة:

لعلّ الأمة الإسلامية لم تمرّ بمرحلة هوان ومحنة ومذلة كالمرحلة التي تعيشها اليوم.

لقد ابتُلينا باستعمار عنصري صهيوني استيطاني إحلالي، استباح الدم، واستباح الأرض، واستباح العرض، واستهان بالمقدّسات.

ابتُلينا بهذا الاستعمار الصهيوني البغيض، الذي احتلّ أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، الأرض التي بارك الله فيها للعالمين كما قال القرآن الكريم: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا...﴾ [الإسراء: ١]، ﴿وَنَجِّنَهُ وَلَوْطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، ﴿وَلَسُلَيْمَنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٢هـ الموافق ٨ فبراير ٢٠٠٢م.

وابتلينا في هذا العصر بأن غُزيت الأمة في عُقر دارها، وما غُزي قوم في عُقر دارهم إلا ذلوا.

ولكن المشكلة: حينما تكون مع الغزاة أن تجبرك الأوضاع على أن تساعد الغزاة لأرضك وأن تقف معهم، وهذه مصيبة كبرى.

قالوا: تعالوا نحارب الإرهاب، وسلّم لهم من سلّم، فقد قالوا: إما أن تكونوا معنا، وإما أن تكونوا مع الإرهاب! حتّى لم يقولوا: أو تكونوا علينا، بل قالوا: وإما أن تكونوا مع الإرهاب! وخاف الناس أن يكونوا مع الإرهاب، فقالوا: نحن معكم.

ولكنهم لم يحدّدوا: ما هو هذا الإرهاب الذي نحاربه؟

تركوه مائعًا فضفاضًا رجراجًا هلاميًّا بحيث يفسّرونه كما يهونون، وكما يحلو لهم.

ماذا كان هذا الإرهاب؟

انتهى الإرهاب الذي يحاربونه إلى أن كلّ مسلم يدافع عن وطنه ويقاوم الغزاة المحتلّين ويدفع في ذلك دمه ونفسه وماله، اعتبر هذا إرهابيًّا.

ولذلك صنّفوا في قائمة الإرهاب: حركة المقاومة الإسلاميّة «حماس»، منظمّة الجهاد الإسلامي، كتائب شهداء الأقصى، منظمّة فتح، الفصائل الإسلاميّة المختلفة المقاومة والمعارضة في فلسطين.

كلّ هذه أصبحت ضمن منظمّات الإرهاب.

حزب الله في لبنان كذلك منظمّة إرهابيّة، جماعة المجاهدين في كشمير منظمّة إرهابيّة!

كلُّ من يدافع عن دينه ووطنه فهو إرهابي! وعلينا أن نقاوم معهم، وأن نغزو معهم هؤلاء الإرهابيين؛ لأننا إذا لم نكن معهم كنّا مع الإرهاب!

أرأيتم هواناً مثل هذا الهوان!

لقد قال الشاعر قديماً في قبيلة تيم:

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودٌ^(١)

نحن الآن قبيلة تيم، بل أذلُّ من تيم؛ لأنهم يتصرّفون فينا كما يريدون، ولا يُسألون عمّا يفعلون، كأنّما هم آلهة في هذه الأرض، لا تُسأل عما تفعل ولا تُحاسب على ما تقول!

إنّه منطق القوّة والجبروت ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥].

ومن العجب أن نجد بعض قادتنا يردّدون ما يقوله هؤلاء، ويحطّون في حبلهم، ويسيرون في ركبهم، ويطلقون صفة الإرهاب على كلّ هذه المنظّمات الجهاديّة الأصيلة إرضاء لأولئك، ولن يرضوا عنك حتّى تتبّع ملّتهم، وحتّى تفنى فيهم، وحتّى تذوب شخصيتك في شخصيتهم، وحتّى تطيع أمرهم وتكون عبداً ذليلاً لهم في كلّ شيء، وربّما لو فعلت ذلك لم يرضوا عنك أبداً.

يا أيّها الإخوة، لقد أصبح هؤلاء يتدخلون في أخصّ شؤوننا كأننا أمّة لا وجود لها، ولا مقوّمات لها، ولا خصائص لها، ولا رسالة لها.

(١) انظر: ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (٣٣٢/١)، تحقيق د. نعمان محمد أمين طه، نشر

دار المعارف، القاهرة، ط ١.

يريدون أن نغيّر تعليمنا، خصوصًا التعليم الديني، وطلبوا ذلك صراحة من بعض البلاد، وطلبوا ذلك خفية من بلاد أخرى.

محاربة العمل الخيري الإسلامي:

ولم يكتفوا بذلك، بل قاوموا العمل الخيري الإسلامي، اعتبروا جمعيات العمل الخيري الإسلامي جمعيات إرهابية، ووضعوا أسماء بعضها، ولا زال هناك أسماء أخرى في الجعبة تظهر بين الحين والحين. هذه الجمعيات التي تعمل في إغاثة الإنسان الملهوف، في أن تمسح دمة المحزون، في أن تُطعم الكبد الجائعة، في أن ترقّ على هؤلاء المساكين من أبناء المسلمين الذين لا يجدون ما يُمسك الرmq أو يطفئ الحرق.

هذه الجمعيات أصبحت جمعيات إرهابية! العمل الخيري أصبح جريمة! ماذا يُراد إذن منّا نحن المسلمين؟

يُراد منّا أن نترك إخواننا المسلمين يموتون جوعًا، وعُريًا ومرضًا ويئّمًا وتشردًا، ولا نمُدّ لهم يدًا بالمساعدة لنطعم الجائع، أو نسقي الظمآن، أو نكسو العريان، أو نداوي المريض، أو نكفل اليتيم، أو نووي المشرد، أو نقضي حاجة المحتاج، هذا ما يُراد بنا.

عوامل التزام المسلم بعمل الخير:

إنّ العمل الخيري جزء من كيان الفرد المسلم والأمة المسلمة، لا يستطيع المسلم أن يعيش دون أن يُساهم في العمل الخيري، وذلك بوجوه عدّة:

١ - المسلم مأمور بفعل الخير:

أولاً: إنّ المسلم مأمور بفعل الخير، والدعوة إلى الخير، والدلالة على الخير؛ الله تعالى يقول: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فكما أنّ المؤمن مأمور بالعبادة والركوع والسُّجود والصَّلَاة مأمور بفعل الخير، هذا جزء من مهمّة الفرد المسلم والجماعة المسلمة: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

وهو لا يفعل الخير فقط، بل يدعو إليه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والنبي ﷺ يقول: «من دلّ على خيرٍ فله مثل أجر فاعله»^(١).

وإذا لم يستطع أن يفعل الخير أو يدلّ عليه فلينوه في نفسه، فإنّما لكلّ امرئ ما نوى، ولذلك جاء في الحديث أن ممّن يشبه الله تعالى: «... عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربّه ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل».

وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته». قال النبي ﷺ: «فأجرهما سواء»^(٢).
الذي فعل والذي نوى وكان صادق النية - كما يعلم الله منه، فهما في الأجر سواء.

المسلم مطالب بفعل الخير، والدلالة على الخير، ونية الخير.

(١) رواه مسلم في الإمامة (١٨٩٣)، وأحمد (١٧٠٨٤)، عن أبي مسعود الأنصاري.

(٢) رواه أحمد (١٨٠٣١)، وقال مخرّجوه: حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٢٥)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٣٥)، عن أبي كبشة الأنماري.

٢ - مطالبة المسلم بمعاونة إخوانه:

ومن ناحية ثانية: المسلم مطالب بمعاونة إخوانه المسلمين حيثما كانوا، يشدُّ أزرهم، ويُجلِّد ظهرهم، ويقوِّي عضدهم؛ فالأُمَّة الإسلامية أُمَّة واحدة، هم إخوة حيثما كانوا في مشرق أو مغرب، لا تحدُّ بينهم حدود، ولا تقطع بينهم أقاليم، «المسلم أخو المسلم - هكذا قال رسول ﷺ - لا يظلمه ولا يُسلمه»^(١).

معنى «لا يُسلمه»: لا يتخلَّى عنه، لا يتركه ضحية للظالمين يأكلونه، ولا يتركه فريسة للجوع والعُري والمرض، بل يعمل على إنقاذه.

ويقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] المؤمنون حيثما كانوا إخوة «كونوا عباد الله إخواناً»^(٢) كما أمركم الله.

«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً». هكذا قال رسول الله ﷺ، ثمَّ شبَّكَ أصابعه^(٣).

«مثل المؤمنين في تَوَادُّهم وتراحمهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحُمَّى»^(٤).

كيف تنام ملء جفئك، وكيف تأكل ملء بطنك، وكيف تضحك ملء سنك، وإخوانك هناك حول الأقصى في أرض فلسطين لا يجدون ما يأكلون؟

(١) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٥)، ومسلم في البرِّ والصَّلة (٢٥٥٩)، عن أنس بن مالك.

(٣) سبق تخريجه ص ١٢٨.

(٤) سبق تخريجه ص ١٢٨.



الحصار قد قطع عليهم الطريق وسدّ عليهم الأبواب.
 كيف تستطيع أن تهناً بعيشك وإخوانك في بلاد شتّى من أرض
 الإسلام لا يجدون القوت الضروري لهم؟
 المسلم مأمور أن يعاون إخوانه هؤلاء حيثما كانوا، وليس بمؤمن
 «من بات شعباناً وجاره جائع»^(١)، وكلُّ المسلمين جيران لك.
 في عصرنا قالوا: إنّ العالم أصبح قرية صغرى.
 معنى هذا: أن تعيش مع النَّاس حيثما كانوا فهم جيرانك.
 هذا من جهة ثانية.

٣ - فعل الخير للبشرية جمعاء:

ومن جهة ثالثة: المسلم مأمور أن يمدّ يده بالمساعدة للمحتاجين
 ولو كانوا غير مسلمين؛ لأن الإسلام دين الرحمة العامة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ
 إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، حتى إنّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «والَّذِي نَفْسِي
 بِيَدِهِ، لَا يَضَعُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ».
 قالوا: كلُّنا يرحم.

قال: «ليس برحمة أحدكم صاحبه؛ يرحم النَّاسُ كَافَّةً»^(٢).

(١) رواه البزار (٧٤٢٩)، والطبراني (٢٥٩/١)، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٣٨٧٤)، والهيثمى في مجمع الزوائد (١٣٥٥٤)، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٥)، عن أنس.

(٢) عزاه المنذري للطبراني في الترغيب والترهيب (٣٤٠٩)، وقال: رواه رواة الصحيح. وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٦٧١). ورواه النسائي في الكبرى في القضاء (٥٩٢٨)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تَرَاكُمُوهَا». عن أبي موسى الأشعري.



رحمة الجميع مسلماً أو غير مسلم.

والله تعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ويصف الله تعالى الأبرار من عباده فيقول: ﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨].

الأسير مشرك كافر، ولكن يطعمه الطعام وهو يحبه ويحتاج إليه ويشتهي، ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ [الإنسان: ٩].

لا يقتلون الأسرى كما فعل أولئك الذين قتلوا ستمائة أسير وأيديهم مقيدة مكتوفة وراء ظهورهم.

بل الإسلام يدعو إلى الرحمة بالحيوان الأعجم الذي لا ينطق ولا يُبين عن نفسه: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صحاحاً، وكلوها سماناً»^(١)، «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت»^(٢)، ودخلت امرأة بغي الجنة بسبب كلب عطف عليه فسقته فشكر الله لها فغفر لها^(٣).

هذا هو الإسلام يدعو إلى الرحمة بخلق الله، حتى الحيوانات.

(١) رواه أحمد (١٧٦٢٥)، وقال مخرجه: إسناده صحيح. وأبو داود في الجهاد (٢٥٤٨)، وابن خزيمة في المناسك (٢٥٤٥)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (٩٦٦)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٣)، عن سهل ابن الحنظلية. ومعنى «المعجمة»: التي لا تقدر على النطق؛ فتشكو ما أصابها من جوع وعطش. والقصد التحريض على الرفق بها، والتحذير من التقصير في حقها. فيض القدير للمناوي (١٢٥/١) برقم (١٢٠)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٥.

(٣) متَّفَق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٧)، ومسلم في السلام (٢٢٤٥)، عن أبي هريرة.

٤ - فريضة الزكاة:

ثمَّ من ناحية رابعة: الإسلام جعل من فرائضه الأساسية وعباداته الركنية: الزَّكاة، الركن الثالث في الإسلام، هي عمل خيري، تؤخذ من أغنيائهم فتردُّ على فقرائهم، إنَّها تقوم بحقِّ التكافل الاجتماعي، إنَّه أمر أساسي في المجتمع.

لا يستحقُّ المسلم أن يدخل في جماعة المسلمين وأن يستحقَّ أخوتهم الدينيَّة إلا بإقام الصَّلاة وإيتاء الزَّكاة ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخِوُنْكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التَّوْبَةُ: ١١].

واجبات أخرى سوى الزَّكاة^(١):

وليست الزَّكاة هي الحقُّ الوحيد في المال، إنَّها أوَّل الحقوق وليست آخرها.

هناك حقوق كثيرة في المال، هب أنك أدَّيت الزَّكاة ورأيت إنساناً جائعاً تتركه يموت من الجوع إلى أن يحول الحول؟ أهذا معقول؟ لا، لا بدَّ أن تُطعم المسكين.

فإذا لم تستطع أن تُطعمه فحرِّضْ غيرك على إطعامه، حرِّضْ على طعام المسكين: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿وَلَا يُحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

الإنسان الكافر الذي لا دين له هو ذلك الإنسان صاحب القلب

(١) للمزيد من هذا انظر ما ذكرنا في كتابنا: فقه الزكاة (١٠١١/٢) تحت عنوان: أفي المال حقٌّ سوى الزَّكاة؟

القاسي المتحجر الذي لا يرقُّ على ضعيف ولا يرحم مسكيناً ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ يدفعه ويقهره بعنف ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ الذي لا يحضُّ على طعام المسكين هو من أصحاب الشمال، مَنْ يأخذ كتابه بشماله ويستحقُّ النار ﴿خَذُوهُ فَعُوهُ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوهُ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢]. لماذا؟

﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿[الحاقة: ٣٣، ٣٤].

كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لزوجته أم الدرداء: يا أم الدرداء، إنَّ لله سلاسل لم تزل تغلي بها مراحل النار منذ خلق الله النار إلى اليوم، قد كسرنا نصفها بالإيمان بالله، وبقي النصف الآخر يا أم الدرداء، فحضي على طعام المسكين حتَّى نكسر السلسلة كلّها^(١).

وصف الله المجتمع الجاهلي وذمّه بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿[الفجر: ١٧، ١٨].

اليتيم ضائع في المجتمع الجاهلي، والمجتمع الجاهلي مجتمع أناني، كلُّ إنسان فيه مشغول بنفسه، بشهوته، بمصالحه المادّية.

أمّا المجتمع المسلم فهو يتحاضُّ على طعام المسكين؛ يقول الأستاذ الإمام محمد عبده: إنَّ هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨] أصل في وجوب إنشاء الجمعيات الخيرية التي ترعى وتُعنى بأمور الضعفاء والفقراء واليتامى والمساكين.

هذا هو المجتمع المسلم.

(١) رواه أبو عبيد في الأموال (٩٠٢)، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر، بيروت.



دور العمل الخيري في الحفاظ على عقيدة الأمة:

العمل الخيري عمل أساسي في المجتمع المسلم، وخصوصًا إذا تعرّض هذا المجتمع للتهديد في عقيدته، أو في قيمه، أو في هويته، وأصالته، كما نرى اليوم هناك مجتمعات إسلامية تهددها الغزوات التنصيرية، وتهدها العقائد المستوردة كما قال بعض السلف: إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر: خذني معك!

معنى الكفر: الشيوعية أو التنصير أو غير ذلك من الدعوات الإلحادية والإباحية، الفقر يُضعف مقاومته ويجعله فريسة لتلك الأفكار الغازية من الشرق أو من الغرب.

ومن هنا كان على المسلمين أن يقاوموا هذه الموجات.

وعندما اجتمع المنصّرون الأمريكيون في سنة (١٩٧٨م) في ولاية «كلورادو» اجتمع مائة وخمسون من عتاة المبشّرين المنصّرين بهدف معلن، هذا الهدف هو تنصير المسلمين في العالم، وأنشؤوا لذلك معهدًا سمّوه: معهد زويمر مهمته تخريج متخصصين في تنصير المسلمين، ورصدوا لهذا الهدف «ألف مليون دولار» جمعوها في ليلة واحدة، ألف ملياردير كل واحد عليه مليون جمعوها الألف مليون، في ذلك الوقت طفت في عدد من أقطار المسلمين أدعو إلى مقاومة هذه الموجة الغازية المكتسحة الجديدة، ودعوت إلى إنشاء مؤسسة لمقاومة هذا التيار^(١).

(١) طرحت هذه الفكرة في خطبة: «المسلمون في مواجهة القوى المعادية»، انظر: خطب الشيخ القرضاوي (١/ص ١٢٧ - ١٣٧)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، وخطبة: «مشروع الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية» (٥/٢٠٥ - ٢١٦)، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

وانتهينا إلى إنشاء الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية.

لم يكن هدفنا أن نؤسلم النصارى كما يريدون هم تنصير المسلمين، إنما كان هدفنا أن نحمي المسلمين، نحمي الوجود الإسلامي من هذه الغزوة.

وقلنا: علينا أن نجمع ألف مليون دولار؛ لنستثمرها وننفق من ريعها وعوائدها على المشروعات الخيرية التي تحمي المسلمين.

وقلنا: إن المسلمين أكثر من ألف مليون في العالم، لو دفع كل واحد في المتوسط دولارًا لجمعنا الألف مليون دولار، ورفعنا شعارًا يقول: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا.

كان اليهود قديمًا رفعوا شعارًا في أوّل أحلامهم في الهجرات الجماعية إلى أرض فلسطين يقول: ادفع دولارًا تقتل عربيًا.

نحن لا نريد أن نقتل أحدًا، قلنا: ادفع دولارًا تنقذ مسلمًا.

ومع هذا - أيّها الإخوة - أتدرون ماذا جمعنا منذ حوالي عشرين عامًا؟

لم نجمع أربعين مليونًا!

هناك أشياء كثيرة وأعمال خيرية من الزكاة والصدقات والأوقاف، ولكن الهدف الأصلي الذي أقمنا من أجله الهيئة: أن نجمع ألف مليون نستثمرها وننفق من عوائدها، لم يتحقق عُشره ولا أقل من عُشره.

أمّة الإسلام هذه كلّها لم تستطع أن تجمع ألف مليون دولار؛ لأنّها أمّة لا قيادة لها.

مشكلة الأمّة أنّه ليس لها قيادة، ليس عندنا بابا ولا ماما!

هم عندهم قياداتهم، ونحن ليس عندنا قيادات.

المهم - أيُّها الإخوة - أنَّ العمل الخيري رغم ضآلته هذه في مقابل ما يجمعون - قال لي بعض الإخوة: إنَّ الألف مليون دولار التي جمعوها في «كلورادو» هي مرَّة من المرَّات، ولكنَّهم جمعوا بعد ذلك مليارات ومليارات، وعندما يريدون المليارات عندهم طرق شتَّى لجمعها - هذا العمل الخيري المحدود أتعبهم وأقلقهم، ويريدون أن يوقفوه حتَّى يفتح المجال أمام الهجمات التنصيرية ليعملوا.

هناك أربعة ملايين وسبعمائة وخمسون ألف مُنَصِّر ومُنَصِّرة في أنحاء العالم! هؤلاء يعملون وتُدفع لهم الملايين بسهولة.

ونحن إذا جمعنا مبالغ ضئيلة لجمعياتنا الخيريَّة لتتحرك بها هنا وهناك نوصف بأننا إرهابيُّون، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

أزعجهم هذا العمل الخيري؛ لأنَّه يقف ضد هجمات التنصير؛ ولأنَّه - من ناحية أخرى - يثبت وحدة الأُمَّة الإسلاميَّة.

من فوائد العمل الخيري وثمراته المباركة أنَّه وحد مشاعر الأُمَّة.

السياسة - للأسف - لم تستطع أن توحد الأُمَّة، لم تستطع أن تجعلها تقف موقفًا إيجابيًا موحدًا، ولكن هذه الجمعيات استطاعت أن توحد مشاعر الأُمَّة، أن تجعل المسلم في المشرق يتحرَّك ويتألم ويتحرَّق من أجل إخوانه في المغرب.

المسلم في جاكارتا يتحرَّك من أجل إخوانه في فلسطين، أو إخوانه في السودان، أو إخوانه في الصُّومال، أو إخوانه في تشاد.

هذا هو عمل مهمٍّ وحد مشاعر الأُمَّة.

حينما نجد جمعِيَّة خيريَّة في قطر، أو في المملكة العربيَّة السعوديَّة، أو في الإمارات، أو في الكويت، أو في أي بلاد من بلدان الخليج تعمل من أجل إخوانها في أفغانستان، أو في الشيشان، أو في البوسنة والهرسك، أو في كوسوفو، أو في إفريقيا، حينما نجد هذه الجمعِيَّات الخيريَّة تتحرَّك على مستوى العالم، وتجعل المسلم يحسُّ بآلام إخوانه المسلمين.

هذا كسب هائل، ربَّما لم نلاحظه نحن المسلمين، ولكن الذين يقفون بالمرصاد بأجهزتهم الراصدة الحساسة يدركون هذا الأمر، ولذلك يريدون أن يقفوا في سبيله، يريدون أن يقتلوه، وأن يئدوه حتَّى لا يُؤتي أكله، ولكن هيهات - إن شاء الله.

سيظلُّ العمل الخيري قائمًا، وسيظلُّ العمل الخيري ممتدًا، وسيحقِّق أهدافه، ولا يمكن أن تستسلم هذه الأمة لما يُراد بها.

مصادر تمويل العمل الخيري:

إنَّ عندنا موارد ومصادر لتمويل العمل الخيري، بعضها من الزَّكاة الفريضة الرُّكنية، وبعضها من صدقات التطوع التي يبغي بها المسلم وجه الله، وبعضها من وصايا الأموات «إِنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ عِنْدَ وَفَاتِكُمْ بثلث أموالكم...»^(١) الذين يوصون بالثلث أو بالربع أو بالخمس، أو بما قلَّ من ذلك أو أكثر.

(١) رواه ابن ماجه في الوصايا (٢٧٠٩)، وضعَّف إسناده البوصيري في مصباح الزجاجة (١٤٣/٣)، وقال ابن حجر في بلوغ المرام (٩٧٢): روي عن معاذ، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، من طرق كلها ضعيفة، لكن قد يقوى بعضها ببعض. وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢١٩٠).

هذه الوصايا من أهل الخير والبرّ هي رصيد للعمل الخيري.

الصدقات الجارية التي تبقى للإنسان بعد موته وتتمثل في أوقاف خيرية تميّز بها المسلمون خلال العصور، وثبت في حُجج الوقف أنّ المسلمين لم يتركوا مكاناً للبرّ أو موضعاً للخير إلّا ووقفوا عليه أموالهم، حتّى الكلاب الضالة، حتّى الخادم الذي يكسر الصحن ويخشى أن يؤذى من سيده أو من سيدته، وقف بعضهم وقفاً للصحن المكسورة، إذا وقع الصحن من يد الخادم وانكسر يذهب به إلى هذا الوقف ليعطوه صحنًا آخر.

انظروا إلى هذه الرحمة التي تمثّلت في الوقف الإسلامي، حتّى وُجد وقف لإيناس المرضى، ناس يذهبون إلى المرضى في مستشفياتهم ليعودوهم، ربّما ليس لهم أهل ولا أقارب، فيذهبون لوجه الله ويؤنسون المريض ويقولون له: ما شاء الله وجهك اليوم مشرق ويدخلون عليه السرور والأمل؛ لأنّ الجانب النفسي له أثره في التعجيل بشفاء المريض^(١).

هذه كلّها موارد ومصادر لتمويل العمل الخيري.

نحن أمّة الخير: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨، المائدة: ٤٨]،
﴿يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ [الأنبياء: ٩٠، المؤمنون: ٦١].

نحن أمّة الخير، وخير الخير هو الإسلام.

هذه الأمّة ستظلّ في عملها الخيري، ستظلّ تداوي الجراح، ستظلّ تُسعف المصابين، ستظلّ تُغيث الملهوفين، ستظلّ تمسح دموع المنكوبين.

(١) راجع ما ذكرناه في كتابنا: الإيمان والحياة ص ٢٤٦ وما بعدها، نشر مؤسسة الرسالة، ط ١٨، ١٩٩٦م.

هذا هو الذي يجب علينا، ولا يمكن أن نعتبر هذا العمل الخيري جريمة.

إنَّ من المصائب أن نعتذر عن العمل الخيري، ونعتذر عن التعليم الديني، هذه الأشياء التي نعتزُّ بها ونفخر ونغالي ونباهي، أصبحت جريمة، وأصبحت وصمة عار.

لله دُرُّ البُحْثري حينما قال:

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي أُدِلُّ بِهَا كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ^(١)!

كيف نعتذر من محاسننا ومآثرنا التي يعتبرها هؤلاء النَّاسُ ذُنُوبًا؟!

لن نعتذر، وسنمضي في طريقنا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التَّوْبَةُ: ١٠٥].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وادعوه يستجب لكم.

(١) ديوان البحتري (٩٥٤/٢)، تحقيق حسن كامل الصيرفي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الْإِخْوَةُ:

فضل العشر الأوائل من ذي الحجة:

نحن مقبلون على شهر حرام، شهر ذي الحجة، وهو من الأشهر الحُرْم ومن أشهر الحج: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وفي أوائل هذا الشهر الكريم عشرة أيام أقسم الله بها في كتابه: ﴿وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ١، ٢].

وهي من أفضل الأيام عند الله، والعمل الصالح فيها مضاعف الأجر والمثوبة عند الله، كما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ^(١).

التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد والصدقة والصلاة وتلاوة القرآن، كلُّ هذا تزيد مثوبتها عند الله في أيام عشر ذي الحجة.

والصَّيَام في هذه الأيام سنة مؤكدة، وأؤكد هذه الأيام، يوم التاسع من ذي الحجة، يوم عرفة فهو يوم يقول النَّبِيُّ ﷺ فيه: «إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكْفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ...» ^(٢).

فاحرصوا على أن تستفيدوا من هذه الأيام المباركة؛ ليكون ذلك لكم رصيِّداً عند الله تعالى، فما أكثر ما نحتاج إلى رصيد الحسنات ليقاوم ما نقترفه من السيئات، وما عند الله تعالى لن يضيع: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

(١) سبق تخريجه ص ٧٧.

(٢) سبق تخريجه ص ٧٨.



عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





لا لضرب العراق

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الزمن الأمريكي:

قَدَّرَ عَلَيْنَا أَنْ نَعِيشَ حَتَّى نَدْرِكَ الزَّمَنَ الْأَمْرِيكَى، وَالزَّمَنَ الصَّهْيُونِي،
وَلَا أَدْرِي أَيُّهُمَا هُوَ الْأَصْلُ وَالْآخِرُ هُوَ التَّبَعُ؟

هَلِ الصَّهَائِنَةُ تَابِعُونَ لِلْأَمْرِيكَانِ، أَمْ الْأَمْرِيكَانُ تَابِعُونَ لِلصَّهَائِنَةِ، أَمْ ذَابَ
أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، أَوْ تَزُوجُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ زَوْاجًا
كَاثُولِيكِيًّا لَا طَلَاقَ فِيهِ، وَأَيُّهُمَا الزَّوْجُ وَأَيُّهُمَا الزَّوْجَةُ، أَوْ اخْتَلَطَ أَحَدُهُمَا
بِالْآخَرِ كَمَا تَخْتَلَطُ أَجْزَاءُ الْمَرْكَبِ الْكِيمَاوِيِّ حِينَمَا تَصْبِحُ الْأَشْيَاءُ شَيْئًا وَاحِدًا؟

عَشْنَا حَتَّى أَدْرَكْنَا الزَّمَنَ الْأَمْرِيكَى وَالزَّمَنَ الصَّهْيُونِي، زَمَنَ السَّامَرِيِّ.

كَانَ النَّاسُ فِي الْقَرْنِ الْمَاضِي يَعْيشُونَ تَحْتَ سُلْطَانِ قَوْتَيْنِ مُتَنَازَعَتَيْنِ
مُتَنَافِسَتَيْنِ، وَكَانَ اخْتِلَافُ الْأَقْوِيَاءِ رَحْمَةً لِلضَّعَفَاءِ.

كَانَ سَلْفُنَا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ أَشْغَلِ الظَّالِمِينَ بِالظَّالِمِينَ، وَأَخْرِجْنَا مِنْ
بَيْنِهِمْ سَالِمِينَ.

أمريكا ومنطق الجبروت:

ولكن المصيبة حينما يوجد ظالم واحد يستكبر في الأرض بغير الحق، ولا يجد قوّة تعارضه، ولا يجد أحدًا يجرو أن يقول له: لم؟ ناهيك أن يقول له: لا.

هذه هي مشكلة عالمنا اليوم: أن هناك قوّة واحدة تنفرد بالعالم، وتريد أن تحكم العالم كلّه، قوّة متجبرة، متألّهة في الأرض، تقول ما قال نمرود حينما حاجّه إبراهيم في ربّه أن آتاه الله الملك، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَی: نمرود ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قوة تقول ما قال فرعون: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النّازعات: ٢٤]، ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزّخرف: ٥١].

هكذا تقول أمريكا: ألسن الوحيدة التي تتصرّف في العالم ولا يعارضها أحد؟

تقول أمريكا ما قالت عاد قديماً، وقد حكى الله عنهم: ﴿فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

تنفرد أمريكا اليوم بحكم العالم والتصرّف في العالم، وتريد أن تسوق النّاس بعصاها كما يسوق الراعي غنمه، لا تريد لأحد أن يفكر برأسه، ولا تريد لأحد أن يختار بإرادته، هي التي تفكر للنّاس، وهي التي تختار للنّاس، وعلى النّاس أن يسمعوا ويطيعوا.

اتخاذ الإسلام عدوًّا بديلاً عن الشيوعية:

جاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر - والتي مرَّ عليها عام أو أكثر من عام - لتعطي أمريكا الفرصة ولتمنحها المبرر؛ لضرب من تشاء، والعدوان على من تشاء.

ولكن هل كانت أحداث سبتمبر هي السبب الحقيقي لما يجري اليوم؟
الواقع يقول: لا.

الذين تابعوا المواقف وكانوا يبحثون ويدرسون، عرفوا أنَّ أمريكا من قبل سبتمبر بسنوات، وحينما سقط الاتحاد السوفيتي كانت تبحث عن عدوٍّ جديد، ورشَّح لها رجالها ومفكروها «الإسلام» عدوًّا جديدًا!
إنَّها في حاجة إلى عدو، تعبئ المشاعر، وتحشد العواطف، وتجند قوى الشعب لكرهية هذا العدو ومقاومته.

كان الاتحاد السوفيتي هو العدو الذي قال عنه «ريغان»: إنَّه دولة الشرّ.
سقطت دولة الشرّ. فما البديل؟

قالوا: الإسلام هو البديل! هو المرشَّح لعداوة المستقبل! هو العدو المنتظر!

دعوى صدام الحضارات:

وكتب الكاتبون من فلاسفة الفكر السياسي، وفلاسفة الإستراتيجية السياسية المقربين من الخارجية الأمريكية ومن السلطات التنفيذية، كتب هؤلاء عن صدام الحضارات وصراع الثقافات، وقالوا: إن في العالم حضارات سبعاً أو ثمانية يمكن أن يُفاهم معها إلا حضارتين: الحضارة



الإسلاميّة والحضارة الكنفوشيوسيّة - كونفوشيوس هذا فيلسوف من فلاسفة الصين القدماء - يقصدون الحضارة الإسلاميّة والحضارة الصينيّة، ومن الخطر كلّ الخطر أنّ تتفاهم هاتان الحضارتان فتكونان قوّة ضدنا، ولذلك ينبغي أن نتفاهم مع الحضارة الكونفوشيوسية ونقترب منها.

وإذن تبقى هناك حضارة واحدة، هي الحضارة الناشزة التي تأتي على أن تنصاع، وأن تخضع، وأن تلين قناتها، وأن تسير في الركاب، وأن تتمسح بالأعتاب، إنّها حضارة الإسلام.

وكلمة حضارة تُخفي وراءها الديانة، يقصدون بصراحة: دين الإسلام. هذا هو الدين المخوف.

ورغم أنّ هذا الدين في فترة ضعف، وفترة استخذاء، وفترة هوان، إلّا أنّهم قالوا: إنّ إمكانية القوّة كامنة فيه، ولهذا يجب أن نحذر هذا المارد أن يخرج من قمقمه يوماً ما، إنّها قوّة كامنة فلا بدّ أن نتربّص بها، ونكيد لها.

مؤامرة على الإسلام دُبّرت بليل:

هكذا كانوا يفكّرون قبل الحادي عشر من سبتمبر.

وهناك أحد الصحفيين المعروفين: الأستاذ محمود المراغي، كتب كتاباً سمّاه: «حرب الجلباب والصاروخ»! جمع فيه وثائق وزارة الخارجية في أبريل سنة (٢٠٠١م)، أي: قبل أحداث سبتمبر بأشهر، وهناك تحضير للأعداء والخصوم المرادين، تحضير لما جرى بعد ذلك.

كانت الفرصة تُهيأ، وكان المناخ يُعد لضربات مقبلة لهذا العدو المنتظر.

سمّوه: «الخطر الأخضر» بعد أن زال «الخطر الأحمر» المتمثل في الاتحاد السوفيتي، وتقاربوا مع «الخطر الأصفر» وهو الخطر الصيني، تقاربوا معه وتفاهموا، بقي خطر واحد، هو: «الخطر الأخضر»، أي: خطر الإسلام.

والحقيقة أن الإسلام ليس خطرًا؛ الإسلام رحمة الله للعالمين، وهدايته للناس أجمعين.

الإسلام لا يكون خطرًا إلا على الإلحاد والاستعباد، والفساد والظلم. أمّا الإسلام في ذاته فليس خطرًا على أحد.

ولكنهم يريدون أن ينفردوا بالعالم، وأن يحكموا العالم وحدهم، فلا يريدون أي قوة حاضرة، ولا أي قوة محتملة أن تظهر في المستقبل. وجاءت أحداث الحادي عشر من سبتمبر - أو أيلول - فكانت الفرصة الملائمة.

ولا نريد أن نخوض في هذه الأحداث، ومن وراءها، ومن فعلها، فقد أدناها من أول يوم، وأنكرتها في الصحف القطرية والعربية، وفي «إسلام أون لاين Islam on line» وفي هذا المسجد، أنكرنا هذه الفعلة أيّا كان فاعلها، مسلمًا كان أم غير مسلم، عربيًا كان أم غير عربي.

أنكرنا هذا الأمر، أنكرنا الهدف، وأنكرنا الوسيلة.

أمّا الهدف وهو ضرب أبراج تجارية، يعمل فيها موظفون مسالمون من مختلف الأديان والجنسيات، وفيهم عرب ومسلمون، فهذا هدف غير مشروع في ذاته، ليس هدفًا حربيًا.

والوسيلة اتخاذ طائرات مدنية يركبها ركاب مسالمون، ليس لهم علاقة لا بالسياسة ولا بالحرب، ولا ناقة لهم ولا جمل، قد تكون أنت وقد أكون أنا من ركابها.

اتخذوا هذه الطائرات أداة قاذفة، أو صاروخاً موجّهاً ليضربوا تلك الأهداف، وهذا لا يجوز.

وأنا من سنين طويلة منذ بضعة عشر عاماً، أصدرت فتوى^(١) حرّمت فيها خطف الطائرات؛ لأنّ المخطوفين لا ذنب لهم، ليس بين الخاطف وبين ركاب الطائرة أي مشكلة، هم لهم مشكلة مع حكومة ما فيريد أن يطلب منها مطالب: إفراج عن مسجونين، عن أسرى، عن كذا، ويجعل هؤلاء الركاب رهائن عنده، فهو يعاقب أناساً برآء بذنب أناس آخرين، والقاعدة: ﴿أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وَزِرَةٌ أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٣٨]، و﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المُذْتَر: ٣٨]، وأنّ المسؤولية مسؤولية فردية.

لهذا أنكرنا أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولكنّا طالبنا أمريكا في ذلك الوقت ألاّ تتصرف بعجلة؛ فإن العجلة من الشيطان، وألاّ تندفع وراء دافع الغضب؛ فقد قال رسولنا ﷺ: «لا يقضي القاضي وهو غضبان»^(٢)، لا بدّ أن تترى حتى تهدأ العاصفة، ويزول الانفعال، وتنظر في الأمر بروية وأناة.

ولكن أمريكا بمنطق القوي لم تترى ولم تتأن، وأسرعت بالاتهام، وعاقبت المتهم قبل أن تحاكمه، بل قبل أن تعرفه مائة في المائة (١٠٠٪)، إنّما قالت: «ابن لادن»؛ لأنّه هو المشتبه الرئيسي عندها، ولكن هذا

(١) انظرها في كتابنا: فتاوى معاصرة (٢/٥٤٧ - ٥٥٢).

(٢) سبق تخريجه ص ١٢٣.

المشتبه عاقبته، وعاقبت تنظيمه، وعاقبت دولاً أخرى منها أفغانستان، عاقبت هذا الشعب المسكين الذي قَدَّم ما قَدَّم من ملايين الضحايا، بعضهم شهداء وبعضهم معوّقون.

أصبح هذا الشعب - الذي فيه ملايين الأراامل واليتامى - عُرضة لكلِّ معتد؛ كان عُرضة من قبل للاتحاد السوفيتي، وأصبح من بعد عُرضة للعدوان الأمريكي.

أدنا أحداث الحادي عشر من سبتمبر وقلنا في ذلك الوقت لأمريكا: إنَّها فرصة لتراجع فيها سياستها الخارجية وتحلّل لماذا حدث هذا؟

لماذا يكره النَّاس أمريكا في المشارق والمغارب، وقد شاهدت أمريكا هذا بعينها، ولمسته بيدها في مؤتمر «دربان» في جنوب إفريقيا، وجدت العالم كلّهُ ضدها، وفي المؤتمرات العالمية المختلفة للبيئة وغيرها يخرج النَّاس يهتفون بسقوط أمريكا وبالعداء لأمريكا.

ألا يدفع هذا هؤلاء القوم أن يبحثوا: لماذا؟

العاقل هو الذي يهتمُّ بهذا السؤال، بمعرفة الأسباب.

العاقل لا يهتمُّ بسؤال: ماذا؟ ومن ذا؟ وكيف؟

ولكن يهتمُّ سؤال: لماذا؟

لا بدّ للإنسان أن يعرف الأسباب إن كان عاقلاً؛ حتّى يعالجها.

القرآن الكريم علّم المسلمين أن يبحثوا عن الأسباب إذا أصابتهم مصيبة في حرب أو سلم.

بعد غزوة أحد قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مَصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].



من أين جاءنا هذا؟ من أين هُزِمنا وقَدِّمنا سبعين من الشُّهداء، وقد انتصرنا من قبل في بدر، فقتلنا سبعين وأسَرنا سبعين ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا﴾، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ ابحثوا في أنفسكم.

أمريكا وتدخلها في شؤون الآخرين:

ليت الأمريكان بحثوا في أنفسهم وعرفوا هذا، وحاولوا أن يغيِّروا من سياستهم، ولكن الأمريكان يتصرَّفون بمنطق الفتوة، لا بمنطق الرجل الحكيم، يتصرَّف بالعضلات لا بالعقل.

فما سألوا أنفسهم هذا السؤال، وربَّما سألوه وأجابوا عنه إجابة خاطئة، واتهموا العالم ولم يتهموا أنفسهم: أنَّ العالم هو الذي ظلمهم، العالم يحسدهم على ما هم فيه!

وهذا ليس صحيحًا؛ لأنَّ العالم قبل ذلك ما كان يكره أمريكا، بالعكس، كان النَّاس يتعاملون مع أمريكا معاملة طيبة؛ لأنَّها لم تستعمر البلاد كما استعمرتها بريطانيا أو فرنسا أو إسبانيا أو غيرها من الدول، كان النَّاس يتصرَّفون معها تصرُّفًا طبيعيًّا.

ولكن حينما أرادت أن تتدخل في شؤون النَّاس، وأن تفرض على النَّاس ما تريد، وأن تجعل النَّاس عبيدًا لها، هناك كرهها النَّاس.

النَّاس يكرهون التسلُّط، ويكرهون الظلم، ويكرهون الاستكبار في الأرض بغير الحقِّ، يكرهون كلَّ جَبَّار عنيد ﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾﴾ [إبراهيم: ١٥، ١٦].

لم تبحث أمريكا: ما الذي جعل مجموعة من الشَّباب يقومون بهذا العمل إن كان هذا صحيحًا وقيينًا؟

لم تبحث؛ لأنها في غنى عن هذا البحث.

هي تريد أن تؤدّب العالم كلّ بقوتها الباطشة، بطغيانها، هذا الطغيان الذي حدّثنا القرآن عن سببه حين قال: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّاهُ اسْتَعْصَمَ﴾ [العلق: ٦، ٧].

ليس الاستغناء سبباً في الطغيان؛ فقد يكون الإنسان غنياً ولا يطغى على أحد، قد يكون «الغني الشاكر» كما كان كثير من الصّحابة الأخيار مثل: عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، و«نعم المال الصالح للرجل الصالح»^(١).

الخطر ليس في الغنى، ولكن في رؤية الإنسان نفسه مستغنياً عن الآخرين، على حين يحتاج الآخرون إليه، هذه الرؤية المغرورة هي سبب الطغيان، وهي سبب طغيان أمريكا.

لماذا تريد أمريكا غزو العراق، وضرب العراق؟

تقول أمريكا: إنّها تضرب العراق لمصلحة العراقيين أنفسهم؛ لإنقاذهم من هذا الحُكم المستبد المتسلّط، من حُكم صدام حسين.

فهل هذه الدعوى صحيحة؟

كلا؛ لقد أيّدوا صداماً من قبل في حربه لإيران، وأمّدوه بما أمّدوه به لضرب الثورة الإسلاميّة، ولماذا صدام وحده، وهناك طغاة كثيرون يحكمون العالم العربي والعالم الإسلامي، وبينهم وبين أمريكا علاقات حميمة، فلماذا التفريق بين المتساويين؟!

(١) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وصحّحه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

المطامع الأمريكية في العراق:

الواقع أنَّ أمريكا تريد أن تضرب العراق لهدف واحد: إنها تريد تدمير القوة العراقية، قوَّة الجيش العراقي، وقوة الشعب العراقي.

العراق يملك قوَّة لها اعتبارها: قوَّة عسكرية وقوة علمية.

العراق استطاع في السنوات الماضية أن يؤسس قاعدة علمية متطورة، حتَّى قال الغربيون: إنَّ العراق يستطيع في سنة أو أقل أن ينشئ قوَّة نووية. فهم يريدون تدمير هذه القوَّة.

لحساب من؟

إنَّ هذا كلُّه لحساب إسرائيل، لحساب الصهيونيَّة، لخدمة الكيان الصهيوني وحماية الكيان الصهيوني، لا لشيء آخر.

ليس هذا حبًّا في الكويت، ولا حبًّا في الخليج، وإنَّما هو حماية لهذا الحليف.

أقول: حليف، هو أكثر من حليف، الشريك، هو أكثر من شريك.

قلت: إنَّه اختلاط كاختلاط المركَّب الكيماوي بين أمريكا وإسرائيل؛ فأمریکا هي إسرائيل، وإسرائيل هي أمريكا!

هذا ما تريده أمريكا، تريد أن تدمر القوَّة العراقية لمصلحة إسرائيل.

ومن هنا يجب أن نعلم هذه الحقيقة: المقصود ليس صدًّا.

نحن لسنا مع صدام ولا مع حزب البعث، ووقفنا ضده أيَّام غزو الكويت، ولكنَّا مع الشعب العراقي، نحن مع الوطن العراقي، نحن مع

هذا الجزء الغالي من أوطاننا ومن أمتنا، نحن ضد الظلم والجبروت المستكبر في الأرض بغير الحق.

نقف مع الشعب العراقي ونقول لأمريكا: لا.

ويجب أن يقول العرب لأمريكا: لا.

ويجب أن يقول المسلمون جميعًا لأمريكا: لا.

ويجب أن يقول الشُّرفاء والأحرار في العالم كله لأمريكا: لا.

يجب أن نقول لأمريكا التي تريد أن تضرب العراق وتدمّر العراق: لا، ثم: لا، ثم: لا.

هذا ما يجب علينا عربًا ومسلمين وأحرارًا في العالم.

لا يجوز أن ندع أمريكا تضرب العراق، والله لو ضربت العراق وكان لها ما أرادت، فإنها ستضرب بعد ذلك غير العراق، والمثل العربي يقول: إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلُ الثَّورَ الْأَبْيَضَ.

حينما خان الثور الأسود صديقه الثور الأبيض وفرط فيه، وترك الأسد يأكله، لم يكن يعلم أَنَّ الأسد سيأكله بعد ذلك، وقد كان، وحينما هجم عليه قال له: إِنَّمَا أَكَلْتُ يَوْمَ أَكَلُ الثَّورَ الْأَبْيَضَ وسكت عليه، لو كنت أنا والثور الأبيض وقفنا بقروننا ننطح وندافع ما جرؤت علينا.

نحن نستطيع أن نفعل الكثير إذا تجمعت القوة، إذا وقفنا صفًا واحدًا «كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضنا بعضًا»^(١)، وقلنا لأمريكا: لا.

وهذا هو الواجب علينا بحكم الدين، وبحكم القومية، وبحكم المصلحة، وبحكم المصير المشترك، أن نقول: لا، ثم: لا.

(١) سبق تخريجه ص ١٢٨.

لا يجوز أن نفرط في هذا الأمر، وإلا كان الدور علينا بلدًا بعد بلد، ووطنًا بعد وطن، وحاكمًا بعد حاكم.

أمريكا ليس لها أصدقاء، والغرب كله، قال أحد فلاسفتهم يومًا: ليس لنا عداوات دائمة ولا صداقات دائمة، ولكن لنا مصالح دائمة.

أمريكا كانت صديقة لفصائل الجهاد الأفغاني، وكانت صديقة لهؤلاء الأفغان العرب الذين كوّنوا «القاعدة» بعد أن طردوا من بلادهم، وأصبحوا مجرمين في نظر أوطانهم، كانت صديقة لهؤلاء، ثمّ انقلبت عليهم.

وأمريكا كانت صديقة لصدّام حينما كان يحارب إيران، وكان لها هدف في ضرب إيران، وإضعاف إيران وقطع الطريق على هذه القوة النامية، ثمّ خاصمت صدّامًا بعد ذلك.

هؤلاء ليسوا أصدقاء حقيقيين؛ فقد كانوا أصدقاء لبلاد الخليج، وأصدقاء للمملكة العربيّة السعوديّة، وأصدقاء لمصر، والآن أصبحنا نراهم يديرون لهم ظهر المِجن.

وحتى لو كانوا أصدقاء فالشاعر العربي يقول:

اخْذَرْ عَدُوَّكَ مَرَّةً واحذر صديقك ألف مرّة
فلربّما انقلب الصديق فكان أعلم بالْمَضَرَّة^(١)

وخصوصًا مثل هذا الصديق الذي لا تقوم صداقته على عواطف حقيقية، ولا على مودة حقيقية، وإنّما هو صديق مصالحه، صديق منفعته، ومثل هذا لا يُعتمد عليه أبدًا.

(١) ينسب إلى منصور بن عيسى الفقيه. انظر: زهر الأكم في الأمثال والحكم (١/١٦٥)، نشر دار الثقافة، ط ١، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

واجبنا نحو العراق:

إننا نقف مع الشعب العراقي، نقف معه بأنفسنا، ونقف معه بأموالنا، ونقف معه بدعائنا، ونقف معه بقلوبنا.

نقف مع الشعب العراقي لأنّه منّا ونحن منه.

لا نوافق على كثير من سياسات الرئيس العراقي، ولكن هذا شيء، وضرب العراق شيء آخر.

حينما يُضرب العراق هل سيضرب صدام وحده؟

ستُضرب البنية التحتية للشعب العراقي، وتُضرب القوة العسكرية للجيش العراقي.

وإننا لنُحيي السياسة الحكيمة التي لجأت إليها القيادة العراقية، حينما قطعت الطريق على الدبلوماسية الأمريكية فقرّرت القبول بعودة المفتشين الدوليين، بلا شرط ولا قيد، أستم تقولون: إنّ العراق يملك أسلحة الدمار؟ تعالوا فتشوا.

والعجب: إذا كان العراق يملك أسلحة الدمار، فلماذا لم تقاوموا أسلحة الدمار التي تملكها إسرائيل، وهي تملك الأسلحة الكيماوية والجرثومية، والأسلحة النووية؟ لماذا تحرّمون هذا وتحلّلون ذاك؟

يفرضون على العالم أن يدخل اتفاقية حظر الأسلحة النووية، ولا يفرضون ذلك على إسرائيل!

إسرائيل هي الطفل المدلل، الذي له كل شيء، وليس عليه أي شيء، له كل الحقوق، وليس عليه أي واجب.



يُرَاد ضرب العراق؛ لأنَّه يملك أسلحة الدمار! وقد دخل المفتشون العراق سنوات، وحوصر العراق، وجاع الشَّعب العراقي، ومات الآلاف بل ربَّما الملايين من أبناء الشَّعب وأطفال الشَّعب طوال تلك السنوات، وقرَّر المفتشون أنَّ العراق تخلَّص من أسلحة الدمار عنده.

ومع هذا الأمريكيان لم يكتفوا بهذا القرار، وقالوا: إنَّه لا بدَّ من ضرب العراق!

هذه هي سياستهم.

إنَّ قضية أسلحة الدمار، أو قضية حقوق الإنسان هي تعلَّات، هي ثُكَاة لأمريكا، وليست حقيقة.

أمريكا ستضرب العراق وافقت الأمم المتَّحدة أم لم توافق، وافق العرب أم لم يوافقوا.

إنَّ القوَّة الطاغية لا تنتظر أحدًا، إنَّ منطقها:

تحكَّم الذئب فاخضع أيُّها الحَمَل تكَلَّم السيف فاسكت أيُّها القلم!

إنَّها تتصرَّف بمنطق «الفُتُوَّة»، بمنطق القويِّ الَّذي لا يخشى الله، ولا يستحيي من النَّاس.

ومثل هذا لا تردعه إلَّا قوَّة مناسبة، نرجو أن تظهر إن شاء الله.

كلُّ ما نريده من العرب والمسلمين: ألا يساعدوا العدوان الأمريكي في ضرب إخوانهم في العراق، وهذا هو الحدُّ الأدنى.

إذا لم تستطيعوا - يا عرب - أن تقفوا مع إخوانكم، وتدافعوا عنهم بحكم اتفاقية الدفاع المشترك والاشتراك في الجامعة العربيَّة، إذا

لم تستطيعوا أن تحقّقوا عروبكم الّتي تتغنون بها - دعوكم من الإسلام
الّذي تنتسبون إليه - فأقلّ ما يُطلب منكم: ألاّ تساعدوا العدوان
الأمريكي، أن تكفّوا أيديكم عنهم، ألاّ تسمحوا لهم باستخدام أرضكم
ومطاراتكم وأجوائكم لضرب إخوانكم.

لا بدّ أن تُعلنوا هذا؛ حتّى يعرف النّاس موقفكم.

وهذا ما قرّره وزراء الخارجيّة العرب في اجتماعهم بالجامعة العربيّة،
ونريد لهذا القرار أن يكون حقيقة بالفعل، لا مجرد كلام باللسان.

لا نملك - أيّها الإخوة - إلّا أن ندعو لإخوتنا في العراق، لشعب
العراق ووطن العراق أن يثبّت الله أقدامهم، وأن ينير بصائرهم، وأن يردهم
إليه ردّاً جميلاً، وأن تكون هذه الفرصة مناسبة ليعودوا فيها إلى الله،
ويستمسكوا فيها بالعروة الوثقى، ويرجعوا إلى هذا الدين، الّذي هو مصدر
قوّة هذه الأمّة، ومصدر عزّة هذه الأمّة، ومصدر التمكين لهذه الأمّة.

اللهمّ هيّئ لإخواننا في العراق من أمرهم رشداً.

اللهمّ افتح لهم فتحاً مبيناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً
عزيزاً، وأتمّ عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم
فضلك ورحمتك، وردّهم إلى دينهم ردّاً جميلاً.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



قضية العراق^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

سُرُّ غِيَابِي عَنِ الْمَنْبَرِ:

منذ آخر جمعة من شعبان لم يقدّر لي أن أعتلي هذا المنبر، ومن عادة النَّاسِ إِذَا تَغَيَّبَ طَوِيلًا عَنِ الْمَنْبَرِ لِسَبَبٍ أَوْ لآخر، أَنْ يَظُنُّوا الظُّنُونُ، وَيَتَوَهَّمُوا الْأَوْهَامَ، وَيُشِيعُوا الْأَقَاوِيلَ.

فَقَالَ مَنْ قَالَ: إِنَِّّي مُنَعْتُ مِنْ صُعُودِ هَذَا الْمَنْبَرِ لِحَسَاسِيَةِ الْمَوْقِفِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ.

وَأَحِبُّ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ - وَقَدْ قَلْتُ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ -: إِنَِّّي مِنْذُ وَطِئْتُ قَدَمَايَ أَرْضَ قَطْرِ - مِنْذُ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً - وَأَنَا أَعْتَلِي الْمَنَابِرَ لِلخُطْبَةِ، وَأَجْلِسُ فِي الْمَسَاجِدِ لِلدَّرْسِ، وَأَحَاضِرُ فِي الْأَنْدِيَةِ، وَأَكْتُبُ فِي الصُّحُفِ، وَأَذِيعُ فِي الْإِذَاعَةِ، وَأَقْدِمُ الْبَرَامِجَ فِي التَّلْفِزِيُونِ، أَقُولُ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ حَسَبَ مَا يَمْلِكُهُ عَلَيَّ دِينِي وَضَمِيرِي، وَأَتَعَرَّضُ لِلْقَضَايَا الْعَامَّةِ دَائِمًا،

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْدُوحَةِ فِي ٤ مُحَرَّمِ ١٤٢٤هـ الْمَوْافِقِ ٧ مَارَسِ ٢٠٠٣م.



بحكم تكويني ورسالتي وفهمي للإسلام بشموله وتكامله، عقيدة وشريعة، ودينًا ودنيا، ودعوة ودولة، وبحكم إيماني برسالة العالم المسلم، ودوره في إيقاظ الشَّعب وتنويره، وتوعيته بقضايا الإسلام الكبرى؛ حتَّى لا يظلَّ معزولاً عن الحياة وعن واجبه نحوها.

رغم هذا كلِّه، لم يقل لي أحد في قطر يومًا ما: لا تقل كذا وقل كذا، أو أنّك تجاوزت في كذا أو أسرفت في كذا.

لا والله، وقد عاشرت أمراء ثلاثة في قطر، لم يقل لي أحد منهم ذلك، وربّما كان على بعضهم ضغوط من جهات معينة، ولكن لم يفعلوا ذلك. هذا أقوله للإنصاف وللتاريخ.

وقال بعض الإخوة: إنّ الشَّيخ لم يقل له أحد لا تخطب، ولكنّه أراد ألاّ يُخرج نفسه في هذا الموقف الحساس، فانسحب مختارًا من نفسه ولم يصعد المنبر.

وأود أن أقول لهؤلاء الإخوة الأحبة: إنّني منذ اعتليت المنبر لأول مرّة في حياتي، وأنا ابن السابعة عشرة في قريتنا الصغيرة منذ ستّين عامًا، قد أخذت موثقًا مع نفسي، وموثقًا مع ربّي، ألاّ أقول فوق هذا المنبر إلّا الحقّ، لا أخاف في الله لومة لائم ولا نقمة ظالم، شعاري قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

وطالما خطبت قبل أن آتي إلى قطر وبعد أن جئت إلى قطر، ومن قبل قطر كم كلّفتني هذه الخطب في السجون والمعتقلات، ولكن أحمد الله أن هذا لم يثن عزمي، ولم يخن رأسي.

سأظلُّ أقول الحقَّ ما حييت، وإنَّ أحدًا لا يملك أن يقدم أجلي لحظة أو ينقص رزقي لقمة؛ فالأرزاق مقسومة، والآجال محتومة: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١].

يا أيُّها الإخوة، ما منعني - والله - إلَّا المرض، منذ منتصف شهر رمضان اشتدَّت عليَّ آلام الركبة اليسرى، ومنعني بعض الأيام من الصَّلاة، وانقطعت عن المسجد بعض الأيام في رمضان، ثمَّ قضيت بقية الشهر مصليًا التراويح قاعدًا، ثمَّ اشتدَّ عليَّ - منذ أكثر من شهر - الألم أكثر فأكثر، فأصبحت لا أستطيع أن أصلي إلَّا بالإيماء، وأنا رضيت أن أخطب جالسًا وما تعودت أن أخطب جالسًا، ولكن للضرورات أحكامها.

أيُّها الإخوة الأحبة:

إننا في موقف صعب، وفي أيَّام حاسمة، وفي لحظات رهيبة من تاريخ الأمة.

في هذه اللحظات لا يسعنا إلَّا أن نوعي أمَّتنا بما يجب عليها.

إننا الآن نقول من أجل قضية العراق، وهي قضية العرب الآن، وقضية المسلمين، وقضية دول عدم الانحياز، وقضية الشُّرفاء والأحرار في العالم كلِّه، حتَّى إنَّ أوربا كلَّها نهضت لتطالب برفض الحرب ورفض العدوان على العراق.

خمسة عشر مليونًا في أنحاء أوربا - وخصوصًا في البلاد التي تقف حكوماتها مع أمريكا في العدوان، في بريطانيا وفي إيطاليا وفي إسبانيا - ذهبت هذه الملايين تنادي: لا للحرب، لا للعدوان.

واعتقد أننا - نحن المسلمين ونحن العرب - أولى بأن نقول: لا للحرب، لا للعدوان.

موقفي من قضية ضرب العراق:

سألني مَنْ سألني: ما موقفك في هذه القضية؟
وأنا قد أعلنت موقفي أيُّها الإخوة، لم أخبئ موقفي، ولم أخرس
لساني أبداً.

أعلنت موقفي في أكثر من مرّة في برنامج الشريعة والحياة،
وأعلنت موقفي في الصحف، وأعلنت موقفي للإعلام في بريطانيا وفي
بعض البلاد الأوربية، وأعلنت موقفي لصحفيين أمريكيين زاروني هنا
في قطر وسألوني.

موقفي معروف غير مجهول، مكشوف غير مستور؛ لأنّه لا يمكن إلّا
أن يكون موقف الشرع الإسلامي من هذه القضية.

موقف الشرع من ضرب بلد مسلم:

ما موقف الشرع من غزو بلد إسلامي؟ هل يجهل أحد هذا الموقف؟
هل هذا الحكم الشرعي مجهول لأحد؟

إنّ جميع الفقهاء من جميع المذاهب كلّها يقولون: إذا غزا الكافر
بلداً مسلماً فإنّ على جميع أهله أن يخرجوا وينفروا لمقاومته وطرده
من ديارهم.

هذا يُعتبر فرض عين على أهل البلد جميعاً، رجالهم ونسائهم، كلّ
مَنْ يقدر على المقاومة لا بدّ أن يقاوم.

حتى قال الفقهاء: تسقط الحقوق الفرديّة في هذه الحالة؛ فتخرج
المرأة بغير إذن زوجها، ويخرج الولد بغير إذن أبيه، ويخرج الخادم بغير



إذن سيده؛ لأنّه حقُّ الجماعة، وحقُّ الأمّة فوق حقوق الأفراد، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

على أهل البلد أن يقاوموا الغزاة خفأً وثقلاً، مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

فإن قدروا على طردهم وإخراجهم من ديارهم فيها ونعمت، وإلا انتقلت الفرضية إلى جيرانهم ومن يليهم من المسلمين، فيجب عليهم أن ينضمّوا إليهم ويقاوموهم بما يستطيعون من الرجال والمال والسلاح، ويصبحوا جماعة واحدة في مقاومة الغزاة المحتلّين.

فإن عجز من يليهم انتقل الواجب إلى من يليهم، ثمّ من يليهم، حتّى يشمل المسلمين كافّة.

وذلك أنّ الأمّة الإسلاميّة في مشارق الأرض ومغاربها، أمّة لا إله إلّا الله محمّد رسول الله، أمّة القرآن، أمّة محمّد ﷺ، أمّة الإجابة - هذه الأمّة أمّة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدّ على من سواهم.

تضامن الأمّة في الدفاع عن أراضيها:

المؤمنون إخوة، لا يفرّق بينهم لغة، ولا يفرّق بينهم إقليم، ولا يفرّق بينهم عرق، ولا يفرّق بينهم لون، كلّ المسلمين أمّة واحدة، هم إخوة بعضهم لبعض.

ولذلك يجب أن يساند بعضهم بعضاً، وأن يؤيّد بعضهم بعضاً، وأن ينصر بعضهم بعضاً، وأن يشدّ بعضهم أزر بعض.

ومن هنا قال النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يُسلمه...»^(١).

«لا يسلمه»، أي: لا يتركه ويتخلى عنه أمام الأعداء.

أنت إذا وقفت متفرّجاً وأخوك المسلم يُغزى في عقر داره فقد أسلمته وخذلت، «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»^(٢).

هذا مقتضى الأخوة الإسلامية، حتّى قال الفقهاء في تفاريعهم الفقهية: لو أنّ امرأة أسرت بالمشرق وعجز أهل المشرق أن يخلّصوها وجب على أهل المغرب أن يفعلوا ذلك؛ لأنّ المشرق والمغرب كلّهم أمّة واحدة، لا يفصل مشرق عن مغرب، ولا شمال عن جنوب.

الأمة الإسلامية أمّة واحدة:

أرأيتم حينما دخل الصليبيون أرض فلسطين قديماً، وأقاموا فيها ممالك وإمارات بخيانة الضعفاء والمنافقين من الحكّام في تلك الأيّام، قام إخوة لنا - ليسوا من العرب - أتراك وأكراد: عماد الدين زنكي، وابنه نور الدين محمود الشهيد، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي الكردي، هؤلاء هم الذين قاموا بالنجدة لإخوانهم العرب؛ لأنّ الإسلام هو الذي كان يحكمهم، الإسلام عربهم وعرب عواطفهم وأفكارهم ومشاعرهم.

المسلمون أمّة واحدة.

حينما حدثت حادثة الخامس من حزيران - أو يونيو - سنة (١٩٦٧م)، ودخل اليهود الضفة الغربيّة وغيرها، وحطّمو الطائرات المصرية، وفعلوا

(١) سبق تخريجه ص ٦٠.

(٢) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٥٢)، عن أنس.

ما فعلوا، واحتلوا الجولان، هنا في قطر فتحو الباب للتطوع، عن طريق منظمة التحرير الفلسطينية، أتدرون مَنْ كان أعظم الناس حماسًا للتطوع، لإنقاذ أرض الإسراء والمعراج والمسجد الأقصى؟

إخواننا الباكستانيون والهنود والبنغاليون وهؤلاء العجم!

الأمّة الإسلاميّة أمّة واحدة.

ولذلك فإنّ موقفنا هو: الرفض المطلق لهذه الحرب العدوانية.

نحن في عالم يتنادى بالسّلام، فلماذا هؤلاء يتنادون بالحرب؟

نحن ضد الحرب إلّا لضرورة.

الإسلام يرحّب بالسّلام، ويدعو إلى السّلام، وإلى قبول السّلم إذا جنح إليه العدو ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]، إذا انتهت المعركة بغير دماء يقول القرآن: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [الأحزاب: ٢٥]، ولكن إذا كانت هناك ضرورة للقتال فلا بدّ من القتال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

موقفنا من الحروب العدوانية:

نحن نرفض الحرب العدوانية.

سألني بعض الصحفيين: ما رأيك في هذه الحرب؟

قلت: أنا ضدّ كلّ حرب عدوانية، سواء كانت من أمريكا، من أوروبا، من العرب... من المسلمين، أنا ضدّ أيّ حرب على أيّ شعب.

كيف بحرب صليبية عدوانية إجرامية تشنها أمريكا على شعب شقيق لنا، على إخوة لنا لم يرتكبوا إثماً ولا عدواناً؟!

نحن ضد هذه الحرب، أنا ضد كلّ عدوان.

لقد وقفت ضد العدوان العراقي على الكويت، ومن فوق هذا المنبر في أوّل العدوان ألقى خُطبة نارية نقلتها الصُحف، وتحدّثت عنها الإذاعات، وكانت إذاعة الكويت المؤقتة - خارج الكويت - تذيعها كلّ عدّة ساعات مرّة، لم يكن عندها برامج في تلك الأوقات.

حينما كان العراق معتديًا وقفنا ضد العراق، وحينما يكون العراق معتدى عليه نقف مع العراق.

نقف مع العراق بكلّ قوّة، ونقول للمعتدين: ارجعوا عن عدوانكم، ونقول للعدوانيين: لا، لن تقبلكم شعوبنا، لن تقبلكم أرضنا، ستلعنكم الأرض التي تمشون عليها، ستبصق الشعوب في وجوهكم. نقول هذا للمعتدين، أيّا كان اسم هؤلاء المعتدين.

موقف أمريكا من جرائم إسرائيل:

ولماذا تشنّ أمريكا هذه الحرب؟

أمريكا شنت هذه الحرب الكونية العالميّة بدعوى أنّها حرب على الإرهاب، وقالت: نحن لسنا ضد الإسلام ولا المسلمين، ولكنّا ضد الإرهاب. وأبوا أن يعرّفوا الإرهاب، أو يعطوا له مدلولاً محدوداً، حتّى يدخلوا في مضمونه ما يشاؤون من الدول والهيئات والجمعيات والأفراد، ولذلك أدخلوا في قائمة الإرهاب الجماعات الجهاديّة التي تدافع دفاعاً مشروعاً عن أوطانها؛ جعلوا «حماس» و«الجهاد» و«حزب الله» و«كتائب الأقصى» و«كتائب أبو علي» وكلّ المقاومين والفصائل الإسلاميّة

والوطنية التي تقاوم هذا الطاغوت وهذا الطغيان الشاروني والصهيوني الأعمى، الذي لا يبالي بما يسفك من دماء، وما يزهق من أرواح، وما يدمر من منازل، وما يخرّب من مساجد، وما يحرق من مزارع - جعلوا هؤلاء إرهابيين!

أمريكا تسكت عن جرائم شارون، وترى أن شارون رجل مسكين، غلبان، ضحية، مظلوم، يدافع عن نفسه أمام هؤلاء الذين لا يملكون شيئاً إلا أنفسهم، يفجّرونها في عدوّهم!

شارون - وعصابته الإجرامية - الذي نرى من شناعاته كلّ يوم ما نرى ليس إرهابياً! هو مدافع عن نفسه!

أمّا جماعات الجهاد هذه جماعات مجرمة، إرهابية!

أهذا ما يريده «مستر بوش» من تعريف الإرهاب؟

الإرهاب في قانون بوش: الجماعات الإسلامية المدافعة عن أوطانها، إنّها الجمعيات الخيرية التي تعمل لإطعام الجائع، وكسوة العاري، وعلاج المريض، وكفالة اليتيم، وإيواء المشرّد، هذه الجمعيات دخلت في دائرة الإرهاب عند هؤلاء! وهي الآن تحارب بكلّ سلاح، ويُصدّ عن سبيلها، ولا تستطيع أن تفعل شيئاً.

هذا ما نراه.

التضييق على المؤسسات الخيرية:

ذهبوا إلى الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت، وظلّوا واحداً وعشرين يوماً يفتشون أوراقها، ووضعت أمامهم الأشياء كلّها مكشوفة، وعرفوا: من المتبرعون؟ وأين تذهب التبرعات؟



هذه لمسجد، وهذه لحفر بئر، وهذه لإنشاء مدرسة، وهذه لإنشاء طرق إلخ.

وبعد الواحد والعشرين يومًا قالوا: لم نجد عليكم شيئًا.

قالوا: أعطونا ورقة بأنكم لم تجدوا عندنا ما يريب.

قالوا: لا، لا نعطيكم ورقة!

أصبحت الجمعيات الخيرية لا تستطيع أن تبعث بما التزمت به إلى البلاد، جمعية قطر الخيرية كان عندها ما يقرب من خمس وعشرين ألف يتيم في بلاد شتى: في أفغانستان، في البوسنة والهرسك، في الصومال وفي غيرها، ما عادت تستطيع أن ترسل هذه المساعدات؛ لأن أي أموال تذهب إلى الخارج تعتبر أموالاً ذاهبة لتمويل الإرهاب! وليمت هؤلاء اليتامى المساكين من أجل سواد عيون الأمريكان.

أمريكا تحارب العمل الخيري الذي كان يجمع الأمة خيريًا.

الأمة ممزقة سياسيًا، ولكنها كانت مترابطة خيريًا وإنسانيًا بواسطة هذه الجمعيات.

هم يريدون الآن أن يوقفوا «ائتلاف الخير»^(١) الذي يسعى إلى إنقاذ إخواننا في فلسطين، يطعم جائعهم، ويؤوي مشرّدهم، ويعطيهم الحد الأدنى ممّا يكفل لهم المعيشة الإنسانية المعقولة.

لا، لا يريدون ذلك، كل عمل خيري هم ضده.

(١) ائتلاف الخير: هيئة خيرية عالمية تضم أكثر من خمسين جمعية خيرية، وتقوم بالتنسيق بين المؤسسات الخيرية العاملة لفلسطين، ومشاريعها ذات طابع إنساني تهتمّ بالجوانب التعليمية والصحية والتنمية الاجتماعية، وأشرف بأن أكون على رأس هذا الائتلاف الخيري، وقد أثار الأعداء أسئلة وشبهات وأباطيل حول هذا المشروع، وقد أرسل إليّ الإخوة هذه الأسئلة، وقد أجبت عليها.



هل في العراق أسلحة دمار شامل:

هذه الحرب ليست من أجل الإرهاب - كما يقولون.

قالوا: هذه الحرب من أجل نزع أسلحة الدمار التي يملكها العراق.

هل هذا صحيح؟

افترضنا أنّ هذا صحيح، فهل العراق وحده هو الذي يملك أسلحة الدمار في العالم؟

كم من الدول تملك أسلحة الدمار؟ كم من الدول تملك الأسلحة النووية؟

ولكن أمريكا ترى أنّها هي وحلفاؤها هم الذين لهم الحق في امتلاك أسلحة الدمار، ومن عداهم فلا يجوز لهم.

أسلحة الدمار حلال على أمريكا وعلى إسرائيل حرام على العرب.

إسرائيل التي تملك من الرؤوس النووية ما تملك، وتملك هذه الترسانة الهائلة، لا يجوز لأحد من العرب ولا للعرب مجتمعين أن يملكوا ولا عشر معشارها.

هل العراق يملك أسلحة الدمار؟

لقد دُمّرت أسلحة العراق خلال السنوات الماضية، وقد فتّش المفتّشون من قبل وفتّشوا من بعد، وكثّفوا النشاط وقالوا: إننا لم نجد شيئاً حتّى الآن.

ولكن بوش خرج بنظرية جديدة تقول: إن على العراق أن يثبت أنّه لا يملك أسلحة الدمار!

المتهم عليه أن يُثبت براءته!

في كلّ قوانين العالم وفي شريعتنا الإسلامية: البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه.

ولكن بوش له قانونه الخاص: المتهم مجرم منذ توجّه إليه التهمة وعليه هو أن يُثبت أنه بريء! منطق القوّة الغاشمة.

هل العراق يحارب من أجل أسلحة الدمار؟ لا.

هل العراق يحارب لأنّ بوش يملك قلب الأمّ الحنون من إشفافه على العراق، وحنوه عليه، وحبّه لشعبه، يريد أن يخلّصه من ديكتاتورية حاكمه صدام حسين؟

يا لله، من أين هذه الرحمة التي نزلت عليك يا سيّد بوش؟!

ألم تكن أنت الذي ساندت صدام من قبل؟

أنت - أي: أقصد أمريكا - الذي أمددته بالأسلحة الكيماوية لضرب الإيرانيين، ولضرب الأكراد في حلبجة، لماذا تحلّونه عامًا وتحرمونه عامًا؟ بل أنتم - أيها الأمريكان - الذين أغريتموه بضرب الكويت، أنتم وراء هذه الفتنة التي أشعلت في هذه الأمة.

أمريكا تريد أن تخلص العراق من استبداد صدام!

لماذا إذن تسكتون عن ديكتاتوريين ومستبدين في كثير من البلاد العربية والإسلامية؟

أنتم الذين تساندونهم سرًا وعلانية، أنتم الذين تساندون الديكتاتوريات المكشوفة، والديكتاتوريات المقنعة المتسترة بالديمقراطيات الزائفة، أنتم وراء هذا.

ومن العجيب أن المعارضة العراقية تصدّق هذه الأكذوبة، وتظنّ أن أمريكا ستحرّر العراق لتعطيهم الحكم لقمة سائغة وبيضة مقشورة. هيهات هيهات أيّها الواهمون.

أهداف أمريكا من غزو العراق:

أمريكا إذا غزت وإذا قتلت، فإنّما تقاتل لنفسها لا لكم، تقاتل لأهدافها هي.

وما أهدافها؟

أهداف أمريكا معروفة:

الهدف الأوّل: الاستيلاء على نفط العراق، تريد أن تستولي على نفطه كما استولت على نفط بحر قزوين، وكما تريد أن تستولي على مصادر النفط في العالم.

فهي تفعل لمصلحتها، وهذا أمر لا يشكّ فيه الخبراء الإستراتيجيون.

الهدف الثاني: أن أمريكا تريد أن تدمّر كلّ إمكانات العراق العسكرية والماديّة والبشريّة؛ فقد كان العراق يملك أقوى قوّة عسكريّة في المنطقة العربيّة، وما زال هؤلاء وراءه حتّى أوقعوه في الفخ ليصدروا هذا القرار ويوافق عليه العرب جميعًا بتدمير أسلحة العراق، ودمّروا أسلحة العراق، ولا زالوا يدمّرون.

حتى ما ليس من أسلحة الدمار الشامل مثل: صواريخ «صمود» يدمّرونها، ويحطّمونها.

والله أقول لكم: كلّما حطّموا صاروخًا من هذه الصواريخ كأنّما كسروا ضلعًا من ضلوعي.

هذه صواريخ أقيمت بعقول أبناء الأُمّة وبأموال الأُمّة فكيف تدمّر؟

ولماذا لا تدمّر صواريخ إسرائيل وترسانة إسرائيل؟

إنّهم يريدون أن يدمّروا القوّة المادّيّة للعراق، القوّة العسكريّة للعراق، القوّة البشريّة للعراق.

فمن المعروف أنّ العراق كوّن قاعدة علمية بشريّة طوال هذه العقود من السنوات، وهم لا يريدون أن يبقى للعراق أي قوّة، ولذلك يريدون أن يلتقوا بالعلماء وأن يروا العلماء! يريدون نزع العلم من الأدمغة لا نزع الأسلحة فقط.

هذا هدف.

وهدف آخر بعد ذلك: هو أنّ هذا كلّه يجري لخدمة هدف كبير، هذا الهدف الكبير هو: امتداد الصهيونيّة، وتحقيق أحلام الدولة الصهيونيّة في التوسع من «الفرات إلى النيل ومن الأرز إلى النخيل»، من العراق إلى مصر ومن الأرز في لبنان إلى النخيل في المدينة وخيبر.

لا تقولوا: هذه أحلام وأوهام، فقد كان من قبلنا وكنا نحن نقول عن أحلام إسرائيل: إنّها أوهام وأحلام، حتّى أصبحت حقيقة واقعة.

إنّ هذا كلّه يصب في خدمة إسرائيل الكبرى.

يا أيُّها الإخوة، أمريكا حينما تغزو العراق لا تغزوها من أجل العراقيين، ولا من أجل التخلُّص من صَدَّام حسين. إنَّها ستتخلَّص من صَدَّام لتحلَّ محله جنرالاً أمريكياً يحكم الشعب العراقي.

هذه بعض أهداف أمريكا في منطقتنا.

موقفنا من غزو أمريكا للعراق:

ماذا ينبغي أن يكون موقفنا؟

إنَّ العالم كلَّه وقف ضد هذه الحرب، وإن قمنا العربيَّة والإسلاميَّة، وقمَّة عدم الانحياز كلَّها قالت: لا للحرب، ورفضت الحرب رفضاً قاطعاً، ولكنَّا كنَّا نريد من العرب شيئاً أكثر من مجرد الرفض.

قالوا: نرفض الحرب، ويجب الامتناع من الاشتراك في أي عمليَّات عسكريَّة.

ولكن البعض فسَّروا هذا البند بأنَّ الامتناع يعني: ألاَّ نبعث بجنود يحاربون مع الأمريكان!

ولكن أليس من المشاركة: أن تمهِّد الطريق للأمريكان، أن تفتح لهم الموانئ لبوارجهم الحربية وحاملات طائراتهم العملاقة، أن تفتح المطارات لتنطلق منها المقاتلات وقاذفات القنابل، أن تفتح الأرض لتضمَّ الجيوش وتنطلق منها الجيوش والمقاتلون؟

أليس هذا من الاشتراك في الحرب؟
هذا الاشتراك في الحرب.

كنّا نريد من القادة العرب أن يقولوا لأمریکا: لا، لا نستطيع أن نقدّم لكم أي تسهيلات، ولا أن نفتح لكم برّنا ولا بحرنا ولا جوّنا؛ لأنّ ديننا يحرم علينا تحريمًا قاطعًا أن نعینکم على إختوتنا، ديننا یوجب علينا أن نكون معهم لنحاربکم، فإذا عجزنا عن ذلك فأقلّ ما يجب علينا ألاّ نقدّم تسهيلات لغزوهم. كان عليهم أن يقولوا هذا، أن يقولوا: لا.

تحية للبرلمان التركي والأتراك:

حيّا الله البرلمان التركي الذي خالف حكومته وعارض أن تكون أرض تركيا مجالًا لانطلاق الجيوش والطائرات منها، ودلّ هذا على جذورهم الإسلامية حقًا.

وإن كنت الآن أخشى عليهم؛ لأن هناك من يقول لهم: أتريدون أن تكونوا عربًا أكثر من العرب؟ ملكيين أكثر من الملك؟

إذا كان العرب فتحوا أرضهم وأجواءهم وبرّهم وبحرهم فلماذا تقفون؟ لماذا تخسرون هذه المليارات؟

الأتراك كانوا سيكسبون من هذه الحرب مليارات، والعرب يقدّمون هذه الأشياء مجانًا لوجه الله وسواد عين أمريكا!

بل ربّما أخشى أن يساهم بعضهم في دفع فاتورة الحساب.

حيا الله الأتراك، وأرجو أن يثبت الله أقدامهم ولا يقلّدوا العرب؛ فتقليد العرب حرام في هذه الحالة.

كنت أريد من قادة العرب أن يقولوا لأمریکا: لا، لا نستطيع ذلك؛ لأنّ عروبتنا وديننا وإسلامنا لا يجيز لنا ذلك، ونخشى أن نفتضح أمام

شعوبنا، أن تنكشف سوءاتنا، أن يبصق النَّاس في وجوهنا، أن يلعننا التاريخ ونكون سبة لأولادنا وأحفادنا حين يقولون: هؤلاء الذين ساندوا الأمريكان في ضرب إخوانهم.
إنَّها لعنة التاريخ.

ما نتمنَّاه من حكام العرب:

كنتُ أودُّ من قادة العرب أن يقفوا هذا الموقف.
ولكن قادة العرب - إلا من رحم ربك وقليل ما هم - إذا تكلموا مع الأمريكان اصطكت أسنانهم، وارتعدت فرائصهم، وارتعشت أجسامهم، ولم يستطيعوا أن يقولوا شيئاً، لم يستطيعوا أن يقولوا: لا.
كنا نودُّ أن يقول حكامنا العرب، العرب المسلمون، أبناء الأمة القرآنية، أبناء خالد وصلاح الدين وطارق بن زياد، كنا نودُّ أن يقول هؤلاء: لا، كما قال أحدهم: يعجبني الرجل إذا سيم الخسف أن يقول بملء فيه: لا، لا^(١).

أحبُّ أن يتذكروا قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وأن يذكروا قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

كنت أودُّ من العرب أن يتذكروا قول شاعرهم القديم:

(١) رواه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٠١/٥) من قول زياد بن أبيه، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، نشر دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

وكنْتُ إذا قومٌ غَزَوْنِي غَزَوْتُهُمْ فهل أنا في ذا يا لَهْمَدَانَ ظَالِمٌ؟!
 متى تَحْمِلِ القلبَ الذكي وصارمًا وأنفًا حميًا تجتنبك المَرَاغِمُ^(١)
 ولكن يبدو أنَّ العرب ما عادوا يحملون قلوبًا ذكية، ولا أنوفًا حمية،
 ولا عزائم أبيّة، ولا سيوفًا عربيّة.

أصبح العرب كما قال المثل: ترى الفتیان كالنخل وما يدريك
 ما الدخل! ﴿كَانَهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

كنت أريد هذا من العرب: أن يقفوا ضد الأمريكان ومعهم الحق،
 والحق يقوِّيهم ويرفع رؤوسهم، ولكن القادة لم يفعلوا ذلك.

أرسل إليَّ أحد الإخوة من أهل العلم في الكويت بعد حلقتي منذ
 أسبوعين في «الشريعة والحياة» يقول لي: كيف تلوم الكويت إذا قدّمت هذه
 التسهيلات للأمريكان وبين الكويت وأمريكا معاهدات واتفاقات موقعة؟

أليس الله تعالى يأمرنا أن نفي بالعهود: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ
 مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]؟

قلت لهذا الأخ الذي التبس عليه الأمر: يا أخي، إنَّ هذه الاتفاقات
 إنّما أقيمت على أساس الدفاع عن الكويت، أو عن أي بلد إذا مسّ
 أمنها، أو اعتدي عليها، وليس في هذه الاتفاقات أن تعان أمريكا على
 غزو بلد عربي مسلم، ولو كانت الاتفاقات تتضمن ذلك لكان هذا البند
 باطلاً شرعاً؛ لأنّه لا يجوز أن تتضمن هذه الاتفاقات والمعاهدات
 العدوان على بلد مسلم.

(١) هو عمرو بن بركة الهمداني، انظر: الوحشيات ص ٣٢، تحقيق عبد العزيز الميمني
 الراجكوتي، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٣، والمؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء
 ص ٨١. تحقيق الدكتور ف. كرنكو، نشر دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.



هكذا يلتبس الحقُّ بالباطل في أذهان كثير من الناس.

ويسألني الكثيرون من أبناء الخليج: هل يجوز أن نشارك في «درع الجزيرة»؟ هل يجوز أن نذهب إلى الكويت؟

وقلت لهم: لا مانع أن تذهبوا إذا كُلفتم بذلك، ولكن لتذهبوا - كما أُعلن - للدفاع عن أمن الكويت الداخلي، أمّا تشاركوا في حرب إخوانكم، فهذا لا يجوز؛ الإسلام يحرم المشاركة في الظلم وفي القتل، حتّى جاء في الحديث: «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله»^(١).

ولو بشطر كلمة، لا بالسلاح ولا بالدبابات ولا بالتسهيل، ولا بفتح المطارات. «بشطر كلمة»!

قال بعض العلماء: يعني لا يقول له «اقتل» وإنما يقول له: «اق» ولا يكمل الكلمة، حتّى هذه محرمة!

لا يجوز لنا أن نتجاوز حدودنا ونقف مع الظالمين.

الإسلام يقوم على أمرين: لا تكن ظالمًا، ولا تكن عونًا لظالم.

سبب تعدي أمريكا وظلمها:

سألني صحفي أمريكي لقيني في بيتي هنا في قطر وأخذ مني لقاءً طويلاً، وكان من ضمن أسئلته: هل المشكلة في أنّ أمريكا قوية جدًا، أو أنّ العرب ضعاف جدًا؟!

(١) رواه ابن ماجه في الديات (٢٦٢٠)، عن أبي هريرة، ورمز له السيوطي بعلامة الضعف. وانظر: فيض القدير للمناوي (٧٢/٦) برقم (٨٤٧١). وذكره الألباني في ضعيف الجامع (٥٤٤٦).



قلت: والله، المشكلة ليست في قوّة أمريكا ولا في ضعف العرب، المشكلة تكمن في طغيان أمريكا؛ طغيان أمريكا هو الذي سبّب هذا؛ أمريكا طغت حين اغترّت بقوتها العسكرية وقوتها الاقتصادية وقوتها العلمية والتكنولوجية، ورأت أنّها فوق العالم، كما قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * إِنَّ رَأْيَهُ أَسْتَفْتَى﴾ [العلق: ٦، ٧].

هذا الطغيان هو الذي دفع أمريكا إلى أن تنفرد بالعالم، أمريكا تريد التألّه، تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، ولا رادّ لقضائها، ولا معقّب لحكمها.

إذا كان الله تعالى لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون، فأمريكا لا تريد أن تُسأل عمّا تفعل، تفعل ما تريد، هذا ما تريده أمريكا.

وهذا هو الذي سيسبّب زوالها؛ لأنّ عاقبة الطغيان إذا زاد وتجرّب إلى الزوال؛ الله تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح البطر والأشر والغرور ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله ربّ العالمين ﴿[الأنعام: ٤٤، ٤٥].

«إنّ الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته»^(١)، ثمّ قرأ: ﴿وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبَلَدِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْنَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لِبَالِغُ الْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦ - ١٤].

(١) سبق تخريجه ص ٦٩.

الله تعالى يُهمَل ولا يُهْمَل، يَمْلِي للظالم، يستدرجه ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿[القلم: ٤٤، ٤٥]، ثُمَّ تثار السماء، ويغضب القدر، ويتدخل تدخلًا مباشرًا، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بَعِزٌّ﴾ [فاطر: ١٧].

إِنَّ دموع الباكين، وَأَنَات الشاكين - من الثكالى والأمّهات، من الأرامل والزوجات، من اليتامى والأطفال، والديار التي خربت - لن تذهب سُدى، ولن تضيع دعواتهم هدرًا، ولن تضيع شكواهم إلى الله هباء، إِنَّ الله سيسمع لهم، «... ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء»، ويقول الربُّ: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»^(١).

أَتَهْزَأُ بِالْدُعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ وما يُدْرِيكَ ما صنع الدُّعَاءُ؟
سَهَامُ اللَّيْلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لها أمدٌ وللأمدِ انقضاءٌ
فَيُمْسِكُهَا إِذَا مَا شَاءَ رَبِّي ويرسلها إذا نفذ القضاء^(٢)

سنستعدي على الطغاة غضبات القدر، ودعوات السحر، وكلّ أشعث أغبر، لو أقسم على الله لأبرّه.

لسنا ضد الشعب الأمريكي:

إننا - أيُّها الإخوة - لسنا ضد الشعب الأمريكي، الشعب الأمريكي لمن عرفوه في مجمله شعب طيب، ولا يعرف الأمور، يضلُّه الإعلام الأمريكي الذي يؤثر عليه اللوبي الصهيوني والإعلام الصهيوني، ولكنّا

(١) سبق تخريجه ص ١٧٩.

(٢) ذكرها الأبشيهي من غير نسبة في المستطرف ص ١١٧، نشر عالم الكتب، بيروت، ط ١،

ضد الإدارة الأمريكية المتجبرة، ضد هذه الحكومة العدوانية، ضد هذا التوجّه المضاد للإسلام وللمسلمين.

نحن نقف ضد هؤلاء، وندعوهم أن يراجعوا أنفسهم، وأن يكسبوا صداقة مليار وثلث مليار من المسلمين، بدل أن يكسبوا كراهِيتهم وعداوتهم. والله كنّا قديمًا لا نضمّر أي شرٍّ لأمريكا، كانت أمريكا أقرب إلينا؛ لأنّها لم تستعمر بلادنا قديمًا مثل: بريطانيا وفرنسا وغيرهما.

والعرب والمسلمون ذهبوا لأمريكا للعمل، وذهبوا للهجرة، وذهبوا للتعلّم، وذهبوا للاستشفاء، ولكن أمريكا اليوم غيّرت موقفها.

لا تظنّوا - أيّها الإخوة - أنّ أحداث الحادي عشر من سبتمبر هي السبب الأساسي في هذا الأمر.

لا، لقد أثبت الدارسون والخبراء الإستراتيجيون أنّ هذه إستراتيجية أمريكية مخطّطة من قبل، ونشر الأستاذ محمود المراغي الصحفي المصري - الذي يكتب في صحف قطر هنا - كتابًا سمّاه: «حرب الجلباب والصاروخ» أثبت فيه أنّ ما حدث كان مخطّطًا من قبل، رسائل من وزارة الخارجية إلى البنتاغون وإلى كذا كلّها تثبت أنّ هذا كان أمرًا مخطّطًا.

إنّ أمريكا تريد أن تغيّر المنطقة، هكذا قال «كولن باول» في مجلس «الكونجرس» قال: إنّنا بعد الانتصار على صدام سنعيد ترتيب المنطقة ترتيبًا جذريًا، سنرسم خارطتها من جديد، سنبنّيها على أسس جديدة لمصلحة أمريكا!

هم يريدون تغيير هوية المنطقة، يريدون تغيير التعليم الديني، يريدون أن يحذفوا من القرآن ما يحذفون، ويحذفوا من التاريخ



ما يحذفون، ويحذفوا من أبواب الفقه ما يحذفون، يريدون أن يحذفوا من أبواب الفقه باب الجهاد، ويحذفوا من التاريخ خالدًا، وأبا عبيدة، وصلاح الدين، وعمر المختار، وكلّ هؤلاء.

إنهم يريدون أن يغيّرونا ويسلخونا من جلدنا.

ولكنّا نقول لهم: هيهات هيهات، لقد انتصرت هذه الأمة طوال التاريخ، انتصرت على الروم، وانتصرت على الفُرس، وانتصرت على الصليبيين، وانتصرت على التتار، وانتصرت حديثًا على الاستعمار، وستنتصر عليكم؛ لأنكم معتدون وظالمون، والله قد يُمهّل للظالمين، ولكنه يأخذهم أخذ عزيز مقتدر.

أسأل الله تعالى أن يبصّر أمّتنا بغايتها وطريقها، وأن يفتح لها فتحًا مبينًا، ويهديها صراطًا مستقيمًا، وينصرها نصرًا عزيزًا.

اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، وصلى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

لا أخاف الاغتيال، بل أتمنى الشهادة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ملاحقة أمريكا لمخالفينا:

بعد خُطبة الجمعة الماضية لقيني عدد من إخواني وتلاميذي، وقالوا لي: لقد بيّنت الأمور في خطبتك، وشفيت الصدور، وأثرت الشُّجون، وأبكيت العيون، ولكنّا بعد هذه الخطبة أصبحنا نخاف عليك.

قلت: ممّن تخافون عليّ؟

قالوا: نخاف عليك من الأمريكان؛ فإن ذراعهم طويلة، وإنهم يستطيعون أن ينالوا خصومهم في أيّ مكان.

قلت لهم: وهل هذه أوّل خُطبة من نوعها؟

قالوا: لا. ليست أوّل خُطبة، ولكن الوطيس الآن حامٍ، والماء في درجة الغليان، وربّما لم يصبر عليك القوم كما صبروا عليك من قبل، أمّا علمت القانون الذي صدر في الكونجرس، القانون الذي يجعل من حقّ

(١) أُلقيت في جامع عمر بن الخطاب بالدوحة في ١١ محرم ١٤٢٤هـ الموافق ١٤ مارس ٢٠٠٣م.



أمريكا في أي مكان وفي أي بلد أن تلاحق كل من تعتبره أمريكا عدوًّا لها أو خطرًا عليها، تلاحقه باستخباراتها، تخطفه، تعتقله، تغتاله بأي وسيلة من الوسائل، لا تتقيد بقانون ولا بأخلاق ولا بأي اعتبار من الاعتبارات؟ ألم تقرأ هذا القانون؟

قلت لهم: بلى، قرأته وعرفته، وعرفت بهذا أن أمريكا أصبحت أعظم «بلطجي» في العالم! لأنها تقتل الناس وتغتالهم بدون عريضة اتهام، ولا محاكمة، ولا دفاع ولا قضاء، وهي التي تزعم أنها تقاتل من أجل حقوق الإنسان، وحرية الإنسان، وحرمان الإنسان، وهي تقتل الناس بمجرد رأي رآته استخباراتها، دون أن تسمع دفاع الآخرين وأن تعرف ما ذنبهم... هذه أكبر بلطجة في العالم.

وقد نفّذت هذا في اليمن وضربت بالصواريخ أناسًا في صحراء اليمن، ولها سوابق في هذا في أنحاء العالم.

قلت لهم: أعرف هذا، ومع هذا كله، ومع أنني أعرف طول ذراع أمريكا وسوابقها في اغتيال خصومها في القارات الخمس، وسوابقها الحديثة والقديمة، مع هذا فإني لا أخاف أمريكا.

أسباب عدم خوفي من أمريكا:

لا أخاف أمريكا لأسباب ثلاثة:

١ - أمريكا ليست إلهًا:

السبب الأوّل: أن أمريكا ليست إلهًا، وهي تريد أن تتأله في الأرض، ولكنها ليست إلهًا، تفعل ما تشاء، وتحكم ما تريد، ولا رادّ لقضائها، ولا معقّب لحكمها. ليست أمريكا إذا قالت للشيء: كن، فيكون.

أمريكا بشر من البشر ومخلوق من مخلوقات الله، لو سلَّط الله عليها بعض الزلازل، أو الأعاصير، أو الفيضانات لا تستطيع أن تفعل شيئاً. هذا هو السبب الأول.

٢ - إيماني بالقدر:

السبب الثاني: أنا - نحن المسلمين - نؤمن بشيء اسمه: «القدر». هذا القدر هو الذي يتحكّم في هذا الكون، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

الله تعالى علّم رسوله ليعلّمنا فقال: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]، ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

هذا ما نؤمن به.

علّم النبي ﷺ ابن عمّه عبد الله بن عباس وهو غلام، قال له: «يا غلام، إنني أعلمك كلمات - وكان من هذه الكلمات -... واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك.

وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصُّحف»^(١).

لا نخاف، أعمارنا محدودة، آجالنا محدّمة، أرزاقنا مقسّمة، لا يستطيع أحد أن ينقص من رزقك درهماً ولا لقمة، ولا يستطيع أحد أن ينقص من

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرّجوه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥١)، عن ابن عباس.

أَجَلُكَ يَوْمًا وَلَا سَاعَةً وَلَا دَقِيقَةً وَلَا لَحْظَةً ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١].

كان علي بن أبي طالب عليه السلام يخوض المعارك وهو ينشد:
 أَيُّ يَوْمَيَّ مِنَ الْمَوْتِ أَفْرُ يَوْمَ لَا يَقْدِرُ أَمْ يَوْمَ قُدِرَ
 يَوْمَ لَا يُقْدَرُ لَا أَحْذَرُهُ وَمِنَ الْمَقْدُورِ لَا يَنْجُو الْحَذِرُ^(١)
 إذا كان قُدْر عليّ فلا ينجني منه شيء. ولذلك إذا لم يُقَدَّر عليّ
 فلماذا أخاف؟

هذا هو شأن المؤمنين.

٣ - لا أخاف الموت شهيداً:

السبب الثالث: أن أقصى ما تستطيعه الاستخبارات الأمريكية وحلفاؤها من الموساد، أو الموساد وحلفاؤه من الأمريكان، أقصى ما يستطيعونه وقد هدّدوا به من قبل أن يغتالوني.
 هذا هو أقصى ما يستطيعونه.

وهل هذا يخيف؟

فوالله هذا الاغتيال لا يقلقني، ولا يخيفني، ولا يحرك فيّ شعرة واحدة.
 إنَّ هذا الأمر لو حدث فقد حقّقوا لي أمنية طالما دعوت الله بها في سجودي، ودعوته بها في الأسحار، أن يجعل ختام حياتي شهادة في سبيله وابتغاء مرضاته، تكون ختاماً لحياتي، وكفّارة لسيئاتي، وثقلاً في ميزاني.

(١) انظر: العقد الفريد (٩٦/١).

وهل هناك كسب أعظم من أن يعيش الإنسان داعية ويموت شهيداً؟
 وهل أنا أعزُّ وأغلى من الشُّهداء الذين نسمع عنهم كلَّ يوم يسقطون
 في سبيل الله برصاص الإسرائيليين؟
 كلُّ يوم، وكلُّ نشرة أخبار نسمع بشهداء جدد، اليوم خمسة شهداء
 سقطوا برصاص الإسرائيليين.

كلُّ يوم نسمع بهؤلاء الشُّهداء، هل أنا أعزُّ من هؤلاء وأغلى من
 هؤلاء؟ هل أنا أغلى من يحيى عيَّاش، وفتحي الشقّاق، و(أبو علي)
 مصطفى، وصلاح شحادة، والمقادمة وغيرهم؟

وهل أنا أغلى من الشُّهداء الذين سقطوا في سبيل الإسلام: حسن
 البنا، وسيد قطب، وأحمدو بيللو، وفيصل بن عبد العزيز، وعبد الله عزام؟
 قوافل الشُّهداء لا زالت مستمرة، ويجب أن تستمرَّ قوافل الشُّهداء.

لماذا نضنُّ بأنفسنا أن نسقط صرعى في سبيل الله؟
 لا يخيفني - والله - هذا أبداً.

الإمام البنا وأمنية الشهادة:

لقد استمعت منذ ما يقرب من ستين عاماً - وأنا طالب في معهد
 طنطا - إلى الشيخ حسن البنا رَحِمَهُ اللهُ وهو يخطب في ألوف قد احتشدت،
 في مؤتمر وطني من أجل مقاومة الاحتلال الإنجليزي وطرده الإنجليز من
 مصر والسودان، وكان الشيخ يعبئ الجماهير ويحرّض الحاضرين ويقول
 لهم: إنني كنت في شبابي أتلو بعض الأوراد والأدعية، وكان من هذه
 الأدعية دعاء يقول: اللهم ارزقني الحياة الحسنة والموتة الحسنة... ما هي
 الموتة الحسنة أيها الإخوان؟



يقول الشيخ: أتظنون الموتة الحسنة أن يموت الإنسان على فراشه
الوثير بين أهله وأولاده وأحبابه؟

أهذه الموتة الحسنة؟ كلُّ النَّاس يموتون هكذا؟

الموتة الحسنة: أن يُفصل هذا الرأس عن هذا الجسد في سبيل الله.
ضجَّت الجماهير وكبَّرت.

وماذا جرى؟

لقد ختم الله لهذا الرجل بأمنيته التي تمنّاها، وحقَّق له دعاءه الذي
دعا به.

وأنا أسأل الله: أن يلحقني بشيخي شهيداً في سبيل الله.

لا أخاف الموت أيُّها الإخوة، وماذا بقي من عمري حتّى أضن به أو
أحرص عليه؟

لا أخاف التضيق عليّ في الرزق:

قال صاحبي: ربّما ضيَّقوا عليك في رزقك، ربّما صادروا مالك.

قلت لهم: وهذا - أيضاً - لا يخيفني والله، وأنا معظم أموالي
ومدّخراتي كانت في بنك التقوى وقد صادروه باعتباره مؤسسة إرهابيّة،
وباعتبار أصحابه من الإرهابيّين، بدعوى أنّهم يساعدون حماس!

وما بقي من مالي حتّى لو صادروه، أنا - والله - لم أنشأ في الحلية
والنعيم، ولست ممّن وُلد وفي فمه ملعقة من ذهب، أنا وُلدت في بيئة
فقيرة، أكلت (المش بدوده)، نمت على الحصير، أكلت (الفرافيت)،
أستطيع أن أعيش على الخبز والملح إذا كان ذلك في سبيل الله.



وأنا هنا أتمثل بقول الإمام الشافعي:

أنا إن عشت لست أعدم قوتا وإذا متُّ لست أعدم قبراً
همّتي همّة الملوك ونفسي نفس حرّ ترى المذلة كفراً^(١)

شغلونا عن القدس:

أيّها الإخوة، لقد شغلنا هؤلاء القوم، وشغلوا العالم كلّه معنا بقضية العراق، وضرب العراق، والعدوان على العراق، كما شغلوا العالم قبل ذلك مدّة بتنظيم القاعدة، وقادة القاعدة، وابن لادن والظواهري، وفي كلّ يوم يفكرون في جديد، ويشغلون العالم بقضية بعد قضية.

شغلونا بهذا كلّه عن المأساة الكبرى التي تحدث أمام أعيننا في كلّ يوم، عن قضية القضايا، عن أمّ القضايا، عن قضية المسلمين الأولى، عن المسجد الأقصى، عن أرض الإسراء والمعراج، وما يحدث فيها صباح مساء من أعمال تقشعر لها الأبدان، وتشيب من هولها الولدان.

كلّ يوم، كلّ نشرة أخبار نسمع من الأحاديث ما يمزّق القلوب حشرات، ما يُصعّد النفوس زفرات، ما تذرف العيون معه العبرات والعبرات، ولكن تبلّدت المشاعر، ماتت القلوب، من كثرة ما تراه في كلّ يوم، كأن هذه الأشياء لم تُعد تحرك ساكنًا، لم تُعد تنبّه غافلاً، لم تُعد عين تذرف دمعا، لم تُعد نفس تُصعد زفرة، ممّا يجري في أرض فلسطين.

لقد قلت لكم في الجمعة الماضية: إنني أحسّ كلّما دمّروا صاروخاً من صواريخ الصمود في العراق أنّ ضلعاً من ضلوعي يتكسّر.

(١) انظر: ديوان الشافعي ص ١١٨.

وأنا أقول اليوم: كلَّما سمعت أو قرأت أو شاهدت شجرة من شجر الزيتون تُقطع كأنَّما قطعوا شرياناً أو عرقاً من عروقي، كلَّما أحرقوا أو دمَّروا منزلاً من منازل إخواننا في فلسطين كأنَّما أحرقوا قلبي ومهجتي، كلَّما أطلقوا رصاصة تقتل طفلاً أو شاباً أو امرأة أو شيخاً كأنَّما هذه الرصاصة تخترق صدري.

البلادة أصابت المسلمين في مشاعرهم:

أين المشاعر؟ أين العواطف؟ أين القلوب الحية؟

لماذا قابل النَّاس هذا بالهمود، بالجفاف، بالموت، بموت القلوب وهو شرُّ موت؟ أين أمَّة العرب؟ أين أمَّة الإسلام؟

ثلاثمائة مليون من العرب يرون ما يحدث يوميّاً، ولكنَّهم لا يفعلون شيئاً، كأنَّ الأمر لا يعينهم، إخوانهم يقتلون ويذبحون يوميّاً، كانوا من قبل كلّ عدَّة أشهر يدمِّرون منزلاً لأحد الشُّهداء - وهذا أمر ما عرفناه في أي قانون ولا في أي خُلق أن تُعاقب أسرة الرجل بما يجني، كلّ قوانين الأرض وشرائع السماء تقول: إِنَّ الْمَسْئُولِيَّةَ فَرْدِيَّةٌ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المُدَّثِّر: ٣٨] و﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر: ١٨]، ما ذنب أسرتي أن تعاقبها وتدمِّر منزلها؟

أتعرفون ما معنى تدمير المنزل؟

إنهم يُخرجون أصحابه في دقائق، ثمَّ يدمرون المنزل ويجعلونه أنقاضاً ويسوونه بالأرض، كلُّ ما فيه من أثاث وكلُّ ما فيه من متاع وكلُّ ما فيه من مدَّخرات وكلُّ ما فيه من ملابس، كلُّ هذا يُدمَّر في لحظات، وتبقى هذه العائلة في العراء، لا تجد مأوى، مشرَّدة، أصبحت أبناء سبيل.



أي قانون في الدُّنيا يجيز هذا؟

كان هذا يحدث في الزمن الماضي كلّ مدّة، كلّ أشهر، الآن يكاد يحصل كلّ يوم أو كلّ عدّة أيام: يدمّرون منزلاً، يدمّرون خمسة منازل، يدمّرون عشرة منازل، يدمّرون بضعة عشر منزلاً!

إسرائيل تفعل ما تشاء في غيبة العالم وانشغال العالم وانشغال العرب بأنفسهم، كلّ يقول: نفسي نفسي.

أين أمّتنا العربيّة والإسلاميّة:

أين العروبة التي يزعمونها؟ أين جامعة الدول العربيّة؟ أين الدفاع المشترك؟ أين الغيرة؟

أعجب والله، العرب في (١٩٤٨م) بعثوا بجيوشهم، كانت الجامعة العربيّة سبع دول، فبعثوا بجيوش سبعة، وكانت جامعة الدول العربيّة وليدة لها ثلاث سنوات فقط.

الآن جامعة الدول العربيّة وقد صارت أكثر من عشرين، وصار لها أكثر من نصف قرن، لم تفعل شيئاً.

يقف العرب صامتين، جامدين، مشلولين، مكّثفي الأيدي، وإخوانهم يجري عليهم هذا.

هذا عجب.

أين أمّة العرب؟ أين أمّة الإسلام؟ أين أمّة القرآن؟ أين أمّة محمّد ﷺ؟ هذه الأمّة التي تحرّكت يوم أحرق المسجد الأقصى - أو أحرق جزء من المسجد الأقصى، أو أحرق منبر المسجد الأقصى - وحركت القادة لأول مرّة فاجتمعوا وأقاموا منطمة المؤتمر الإسلامي.

أين منظّمة المؤتمر الإسلامي؟ أين موقفها؟ أين موقف هذه الدول السبع والخمسين أو الأكثر؟ ألا تستطيع أن تفعل شيئاً؟ لماذا تسكت هذه الأمة؟

فتوى الأزهر لنجدة العراق:

لقد أصدر مجمع البحوث في الأزهر فتوى تطالب المسلمين أن يهّبوا لنجدة العراق، وأن يجاهدوا لنصرة العراق.

إذا غزي العراق وجب على المسلمين في أنحاء العالم أن يهّبوا لنجدة إخوانهم ويجاهدوا من أجلهم؛ لأنّ المسلمين أمة واحدة، يسعى بدمّتهم أدناهم، وهم يدّ على من سواهم.

نحيي الأزهر على هذه الفتوى، وهذا هو المرجو منه، وهذا هو المتوقّع منه.

ولكن كنّا نودّ أن يصدر فتوى أخرى: بأنّ على المسلمين في أنحاء العالم أن يجاهدوا من أجل إنقاذ المسجد الأقصى الأسير في يد الصهاينة، من أجل إنقاذ أرض الإسراء والمعراج، على المسلمين في أنحاء العالم أن يهّبوا لنجدة إخوانهم.

هذا هو واجب المسلمين، لا يجوز لأمة الإسلام أن تتخلّى عن إخوانهم وهم يرونهم كلّ يوم يُقتلون ويُذبحون.

وليس التقتيل والتذبح فقط أيّها الإخوة، الهوان يجري على الإخوة الفلسطينيين.

تعرّض الفلسطينيون للتعذيب والهوان:

كتب أخونا الكاتب الإسلامي المعروف الأستاذ فهمي هويدي منذ فترة قريبة مقالة عنوانها: المسكوت عنه في فلسطين، وقصّ أحداثاً غريبة

وعجبية ممّا يفعله الجنود الإسرائيليون لإخواننا الفلسطينيين، خصوصًا عند الحواجز: كم يطلبون من الشُّيوخ أن ينتفوا لحاهم! كم يطلبون من شيخ كبير أن يرقص أمامهم! وإذا لم يفعل انهالوا عليه بالضرب المبرّح! وهذا ما أمرهم به قادتهم. قالوا هذا في التلفزيون الإسرائيلي وأذيع: أن قادتهم أمروا بهذا.

وكلّما دخلوا بيتًا ليفتّشوه ضربوا أهله، وكم تعرّضت النساء الفلسطينيات والبنات الفلسطينيات للهوان ومحاولة اغتصابهن، وقد يُقتلن في سبيل هذا ولا يفرّطن في عرضهن.

وهناك عندهم شيء اسمه: التعذيب بالقرعة!

عند الحواجز يوجد جندي إسرائيلي معه مثل الدلو مليء بورق، يقول للشخص: اختر لك ورقة من هذه الأوراق، فيختار ورقة، ورقة تقول: يُضرب فوق رأسه حتّى يسقط، ورقة تقول: يُكسر أصبعه الخنصر، ورقة تقول: تُقطع يده، ورقة تقول: يُكسر ذراعه، ورقة تقول تُقطع يداه ورجلاه، وقد حدث هذا.

واحد كان حُظّه في هذا اليانصيب: أن تُقطع يداه ورجلاه، فضربوه ضربًا مبرّحًا، وبعد ذلك أمسكوا بذراعه وخلعوه، فعرّف الرجل القضية فأغمي عليه، ولم يستيقظ إلّا بعد أن نُقل إلى إحدى المستشفيات، نقله بعض الفلسطينيين.

ما يجرى عند الحواجز - أيّها الإخوة - شيء لا يُصدّق.

أين أمّة العرب؟ أين أمّة الإسلام؟ إنّه العجز العربي، إنّه الوهن الإسلامي، إنّه الغياب العالمي.



أين العالم، العالم المتمدين، عالم الحضارة، عالم القرن الحادي والعشرين الذي غزا الفضاء وحطّم الذرة وصنع الكمبيوتر؟

أين هذا العالم الذي تقدّم علميًا وتأخّر أخلاقيًا؟

أين الحضارة التي أفلست في الجانب الروحي والجانب الخُلقي وتعاملت مع القضايا بمعايير مزدوجة، تجلّ هذا عامًا وتحرّم هذا عامًا، وتوجب أشياء لأناس وأشياء أخرى لأناس آخرين؟

هؤلاء المطفّفون ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿[المطففين: ٢، ٣].

أين عالم الحضارة؟ أين هذا العالم؟

لقد قامت منذ شهرين مسيرة في روما فيها أكثر من ألف شخص، هذه المسيرة تنادي بحفظ كرامة القطط وحرمة القطط!

في روما قالوا: إنّ فيها أكثر من مائة وخمسين ألف قطّة شاردة ليس لها مأوى، وهذه القطط تشعر بالبرد أيّام الشتاء، فغار هؤلاء على القطط، وأقاموا هذه المسيرة، وسيروا هذه المسيرة يطالبون بحقّ القطط في الحياة!

من يوقف طغيان شارون؟

ألا توجد مسيرة - أيّها العالم المتحضّر - تنادي بحقّ الفلسطينيين في الحياة، في الكرامة، في الحرية؟!

القطط والكلاب في الغرب تنعم برغد العيش، وتتمتع حيثما تريد، والإنسان الفلسطيني لا يجد شيئًا من هذا! وإذا دافع يومًا عن نفسه أمام الجبروت الصهيوني، أمام الطغيان الشاروني، أمام المجازر



اليوميّة التي يتعرّض لها من الترسانة الهائلة التي تملكها إسرائيل: الدبابات من تحت، والمروحيات من فوق، والصواريخ من كلّ جانب، تضرب وتقتل وتذبح وتدمّر وتهدّم، والعالم لا يقول شيئاً! أين صوتك أيّها العالم المتحضّر؟

هناك عجز عربي، هناك وهن إسلامي، هناك غياب عالمي، وهناك طغيان صهيوني، طغيان لا يقف عند حدّ.

أنا - والله - لا أستطيع أن أقول: طغيان وحشي. الوحوش تقتل من تقتل من أجل أن تأكل، الأسد حينما يغتال فريسته إنّما يريد أن يُشبع بطنه، لا يريد الاعتداء على أحد، فإذا أشبع بطنه ترك فريسته ولم يعتد على أحد، إنّّه يريد أن يأكل، ومن حقّه أن يأكل، وهذه الفريسة هي طعامه. أمّا هؤلاء فهم يتلذذون بقتل البشر، بسفك الدماء، بإزهاق الأرواح، بتخريب الديار.

الوحوش خير منهم، وأرحم منهم.

هؤلاء لا يخشون خالقاً، ولا يرحمون مخلوقاً، ولا يراعون لأحد حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمّة.

هذا الطغيان الشاروني الصهيوني المستكبر المتجبر يؤيّد الأمريكان، النفوذ الأمريكي، المال الأمريكي، السّلاح الأمريكي، بهذا السّلاح تضرب إسرائيل إخواننا وتقتلهم. وأمريكا لا أقول: إنّها ساكتة.

لا، هي مؤيّدّة ومساندة، ومعضّدة وشريكة في كلّ ما يجري.

ما يجري في فلسطين تستطيع أن تقول: تفعله إسرائيل بمساندة أمريكا، أو تفعله أمريكا بمساندة إسرائيل، فليس هناك فرق بين هذا وهذا.

أمريكا هي فرعون هذا العصر، هذا الفرعون الذي علا في الأرض كما قال الله عن فرعون القديم: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

هذه فرعونية العصر.

فرعون قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النّازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

وفرعون العصر وطاغوت العصر يقول هذا لقومه، ويقول هذا للبشرية كلها: إِنَّهُ الْإِلَهُ الْأَعْظَمُ! إِنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى! على الجميع أن يطيعوه، وعلى الجميع أن ينحنوا له، وعلى الجميع أن يخروا راکعين له.

هذا ما يجري في فلسطين، في غياب العالم، ووهن المسلمين، وعجز العرب، وتهالك السلطة الفلسطينية على إرضاء الأمريكان، فما يطلبه الأمريكان ينبغي أن يُجاب.

هل يستطيع أحد أن يقول للأمريكان: لا؟

ولهذا ترى السلطة تسارع إذا حدثت عملية استشهادية - يدافع بها الفلسطينيون عن أنفسهم بعض الدفاع - تدين هذه العملية التي قدّم فيها إخوانهم أبناء فلسطين أرواحهم فداء في سبيل الله، هذه العملية تُجرّم عندهم.

هذا التهالك هو الذي أضعفنا.

يا أيُّها الإخوة، إِنَّ قُضِيَّةَ فلسطين هي قُضِيَّةُ الأُمَّة كُلِّها، لا يجوز لنا أن ننساها، لا ينبغي أن يشغلنا عنها شاغل، حتَّى ما يجري في العراق - أيُّها الإخوة - هو لخدمة الصهيونيَّة، هو لخدمة إسرائيل.

المستفيد الأوَّل من وراء هذا كله هو إسرائيل، إضعاف العراق قوَّة لإسرائيل، تدمير أسلحة العراق خدمة لإسرائيل، كلُّ ما يجري هو لإسرائيل، فتش عن الصهيونيَّة وراء الأحداث كُلِّها ستجد أصابعهم الخفية وراء كثير من الأحداث.

واجباتنا نحو فلسطين:

ونحن علينا أن نقف وقفة الرجال، كثير من الإخوة والأبناء يسألونني: وماذا بإمكاننا أن نفعل؟

والله نستطيع أن نفعل الكثير:

١ - أوَّل ما نفعله: أن نصطحب نيَّة الجهاد في أنفسنا، حينما تُتاح لنا الفرصة نطلق كالأسود لا نلوي على شيء، هذه النيَّة مهمَّة جدًّا.

وقد يُثاب الإنسان ويحصِّل أجر المجاهدين بنيَّته؛ جاء في «الصحيحين»، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لأصحابه وهو في غزوة تبوك: «إن بالمدينة أقوامًا ما سِرْتُم مسيرًا ولا قطعتم واديًّا إلَّا كانوا معكم».

قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟!!

قال: «وهم بالمدينة، حَبَسَهُم العُدْر»^(١).

(١) رواه البخاري في المغازي (٤٤٢٣)، عن أنس.

﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢].

لم يجدوا ركوبًا، وليس معهم أموال يشترون بها مطية، هؤلاء لهم أجر المجاهدين. ولذلك جاء في رواية لمسلم: «إلا شركوكم في الأجر»^(١).

انور الجهاد، اجعل الجهاد في قلبك، إن لم تستطع بيدك فجاهد بقلبك، وذلك أضعف الإيمان.

٢ - الأمر الآخر - أيها الإخوة - أن نظلّ مقاطعين للبضائع الإسرائيلية والأمريكية، وإذا دخل البريطانيون المعركة يجب أن نضمّ إلى القائمة البضائع البريطانية.

لا زال الكثيرون من الشعب البريطاني يعارضون، وقد قلت لهم عندما كنت في «لندن»: الكثيرون يطالبون بأن نقاطع بضائعكم، وعندنا امتحان، إذا دخلتم الحرب ستعلن مقاطعتكم في كل مكان.

الآن على الأقل نقاطع البضائع الإسرائيلية والأمريكية، المأكولات والمشروبات والملبوسات والسيارات وغير هذه الأشياء لا يجوز لنا أن نستعملها.

هذه الأشياء لا تظنّوا أنّها هيّنة، إنّها على مستوى العالم الإسلامي لها أهميتها وتأثيرها، بعض المحلات أغلقت أبوابها، المتاجر الكبرى شعرت بخسارة هذا العام، الحسابات أظهرت خسارة عندهم.

لنضمّ على المقاطعة حتّى لو لم يخسروا، هذا واجبنا، واجبنا ألا نأكل من طعام هؤلاء، تأكل (الشُم الهاري) إذا أكلت من أطعمتهم؟! تشرب (الشُم الهاري) إذا شربت من مشروباتهم؟!

(١) رواه مسلم في الإمارة (١٩١١)، عن جابر.

لا يا أخي، امتنع عن هذا، هذا أقلُّ ما يجب أن نقدّمه: أن نقاطع بضائعهم ونقاطع ثقافتهم ونقاطع كلّ ما يمكننا مقاطعته.

٣ - وعلينا أن نبذل لإخواننا ما نستطيع، الأميركيّان يريدون أن يقطعوا عن إخواننا كلّ عون، من أجل هذا حاربوا الجمعيات الخيرية كلّها، ولا يريدون أن يبقى منفذ يصل منه شيء إلى إخواننا في فلسطين، يريدون أن يرگّعوهم، أن يجوّعوهم، أن يقتلوهم جوعاً، حتّى «ائتلاف الخير» يريدون أن يوقفوه.

أنا أوصي الإخوة المسلمين جميعاً أن يساعدوا بكلّ سبيل، بما يستطيعون من مال.

فإذا لم نستطع أن نجاهد بأنفسنا فعلى الأقلّ نجاهد بأموالنا ولو بالقليل، القليل على القليل كثير إن شاء الله.

٤ - بعد ذلك علينا أن نجاهد بالدعاء إلى الله، والتضرّع إلى الله سلاحنا الذي لا يفشل، إنّ بيننا وبين السماء صلة، الله تعالى يقول: ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦]، خصوصاً في ساعات الكرب، في ساعات الشدّة ليس لنا إلا الله، نقرع بابه، ونبسط أيدينا إليه ونقول: يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، نشكو إليك ضعف قوّتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس يا أرحم الراحمين.

هذا سلاح المؤمنين.

أوصي الإخوة أئمة المساجد وخطباء المساجد أن يدعوا بقنوت النّوازل بعد الركوع الأخير من الصّلوات خصوصاً الصّلوات الجهرية: صلاة الفجر والمغرب والعشاء، أن يدعوا الله تعالى أن يؤيّد إخوانهم



بنصرٍ من عنده، وأن يفتح لهم فتحًا مبينًا، وأن يهديهم صراطًا مستقيمًا، وأن يُذلَّ أعداءهم ويخزيهم وينصرهم عليهم، ويشفي صدور قوم مؤمنين.

نسأل الله تعالى أن يجيب دعاءنا، وأن يغيث لهفتنا، وأن يكشف الغُمَّة عن هذه الأمة، وأن يردَّ كيد الكائدين في نحرهم.

اللهم آمين.

ادعوا الله تعالى يستجب لكم.

* * *

فرنسا وقضية الحجاب^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الإسلام دين انتشاري:

الإسلام دعوة عالميّة، جاء للنّاس كافّة، عربهم وعجمهم، شرقيهم وغربيهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٤]، ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فلا عجب أن تضيء أنوار الإسلام في المشرق والمغرب، وأن نرى المسلمين في كلّ مكان من أرض الله، ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَوْا فثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وُجد المسلمون في قارات الدُّنيا الست، بعضهم من أهل البلاد الأصليين، وبعضهم ممّن هاجر إليها، وقد أصبحت الهجرة مفتوحة في

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في ٢٥ ذي القعدة ١٤٢٤هـ الموافق ١٦ ديسمبر

أنحاء العالم، وأصبح العالم متقاربًا، حتّى زعموه قرية من القرى بعد ثورة الاتصالات، فلم يعد هناك حجاب بين قطر وآخر، وإنّما أصبح النَّاس يسرون من مكان إلى مكان، وينتقلون من دولة إلى دولة، ومن قطر إلى قطر، ولذلك لا عجب أن تجد الإسلام في إفريقيا وآسيا، وأن تجده في أوروبا وأمريكا، وأن تجده في أستراليا ونيوزيلندا، هذا هو شأن دينٍ انتشاري مثل هذا الدين، الَّذي أرسل الله رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّ، ولو كره المشركون.

الأقليات المسلمة في العالم:

ولذلك لا عجب أن نرى عشرات الملايين من المسلمين في أوروبا، بعضهم من أهل البلاد الأصليين، وبعضهم مهاجرين إليها، وبعضهم تجنّسوا بجنسيتها.

هناك مسلمون في أوروبا الشرقية من أهل تلك البلاد: في البوسنة والهرسك، وألبانيا، وكوسوفو، وبلغاريا، وغيرها، ملايين.

وهناك مسلمون في أوروبا الغربية جاؤوا إليها منذ القرن الماضي وقبل القرن الماضي، وتجنّسوا بجنسيتها.

وهناك مسلمون قديموا بعد ذلك بأسباب شتى: في بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وفي كلّ البلاد الأوروبية.

وأعظم أقلية إسلاميّة وأكثرها عددًا هم المسلمون في فرنسا، هناك نحو خمسة أو ستّة ملايين من المسلمين يعيشون في فرنسا، ونصفهم - تقريبًا - مجنّسون بالجنسيّة الفرنسيّة، بعضهم فرنسيون في الأصل، وبعضهم هاجروا من بلاد شمال إفريقيا، أو من السنغال، أو غيرها من

البلاد التي كانت تستعمرها فرنسا، حملوا الجنسية الفرنسية وأصبحوا مواطنين فرنسيين، لهم كلُّ الحقوق التي للمواطن الفرنسي، وبعضهم يعيشون في إقامة مشروعة.

هؤلاء لهم حقُّ أن يمارسوا دينهم، كما يمارس غيرهم دينهم، هذا ما تقتضيه الحضارة، وما يقتضيه ميثاق حقوق الإنسان، ومواثيق الأمم المتحدة، وما تقتضيه الدساتير الحديثة التي توفر الحرية لكلِّ مواطن، ولكلِّ مقيم على أرض الوطن، وهذا ما تفخر به الحضارة الحديثة: أنها حضارة الحريات وحقوق الإنسان، وبخاصة ما تفتخر به فرنسا، فرنسا التي تُعدُّ نفسها أمَّ الحريات، وتُعدُّ ثورتها أمَّ الثورات، وتقول: نحن بلد الحضارة والنور والانفتاح.

هذا ما تقوله فرنسا التي انطلقت ثورتها في أواخر القرن الثامن عشر لتنادي بمبادئ ثلاثة: الحرية، والمساواة، والإخاء.

ولذلك عجبنا من موقف فرنسا في السنوات الأخيرة من قضية اتخذت منها أمراً إدارياً، وضخمتها تضخيماً كبيراً؛ قضية المسلمة التي تريد أن ترتدي الحجاب، طاعة لأمر ربها، والتزاماً بواجبات دينها.

صفحات من تاريخنا مع فرنسا:

منذ تسع سنوات، أُلقيتُ خطبة من فوق هذا المنبر عن هذه القضية، حينما حضرت مؤتمراً للمستشرقين في فرنسا في أواخر سنة ١٩٩٤م، وناقشت بعض الفرنسيين في قضية الحجاب مناقشة طويلة، وقلت لهم: إننا - نحن المسلمين - نريد أن نتعامل مع فرنسا معاملة الندِّ للندِّ، وأن ننسى ما كان بيننا وبين فرنسا في الماضي البعيد، والماضي القريب.

فقد كان للمسلمين مع فرنسا تاريخ أي تاريخ، منذ القرن الأول وصل المسلمون إلى أوروبا، وفتحوا الأندلس، ووصل الفاتحون إلى جنوب فرنسا، وكادت الجيوش الإسلامية تتوغل، لولا معركة قَدَّر الله فيها أن ينهزم المسلمون بقيادة البطل الإسلامي: عبد الرحمن الغافقي، المعركة التي يسمونها معركة: «بواتيه»، والتي قال أحد مؤرخيهم: لولا انتصارنا في هذه المعركة كنا نرسف تحت ظلام الإسلام إلى اليوم!

والإسلام ليس ظلامًا، الإسلام نور، وكتابه نور، وشريعته نور، ونبيه نور ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

صفحة الحروب الصليبية:

ثمَّ كان لنا تاريخ مع فرنسا في الحروب الصليبية، الحروب التي سمّاها مؤرخونا: حروب الفرنجة، وسمّاها الغربيون: الحروب الصليبية؛ لأنهم رفعوا الصليب شعارًا.

وكان لفرنسا فيها دور كبير في هذه الحروب، كان لهم دور في فلسطين، وكان لهم دور في مصر، وقد جاء ملكهم - الذي كان يعتبر أحد القديسين - الملك لويس التاسع، واصطدم بالمسلمين في مصر، وأسره المسلمون في «المنصورة»، ووضعوه في دار شهيرة، اسمها: «دار ابن لقمان»، حتّى قبل المسلمون أن يفكّوا أسره، وأن يقبلوا فدية كبيرة ليعود الملك إلى بلاده.

وبعد ذلك حينما أراد الفرنسيون أن يهدّدوا المصريين في عهد خلفاء صلاح الدين الأيوبي، في عهد الملك الصالح أيوب نجم الدين أرسل إليه الشاعر ابن مطروح يقول:

قُلْ لِلْفِرْنَسِيْسِ إِذَا جِئْتَهُ مَقَالَ صِدْقٍ مِنْ قَوْلِ فَصِيحٍ
دار ابن لقمان على حالها والقيْدُ باقٍ والطواشي صبيح^(١)

قال له: نحن حاضرون وجاهزون، دار ابن لقمان منتظرة، والقيود التي قيّد بها ملككم، والطواشي «المملوكي الحارس» كما هو باق، هكذا كنّا.

تاريخ فرنسا الاستعماري:

ونسينا هذا التاريخ، ثمّ جاء تاريخ آخر دخلت فيه فرنسا بلاد المسلمين مستعمرة لسوريا، ولبنان، وقبل ذلك: الجزائر، والمغرب، وموريتانيا، والسنغال، وبلاد شتّى في إفريقيا، وكان آخر البلاد التي تحرّرت من نير الاستعمار الفرنسي هي الجزائر، التي خاضت معركة ضروسًا طويلة المدى مع الاستعمار الفرنسي، وهو استعمار استيطاني، ليس استعمارًا طارئًا، ينهب الأموال والثروات والخيرات، ثمّ يعود بعد حين إلى دياره، ولكنّه استعمار استيطاني، استوطن الجزائر واعتبرها جزءًا من فرنسا، وأراد أن يلغي هويتها، فألغى لغتها العربيّة ليحولها إلى الفرنسيّة، وأراد أن يلغي دينها الإسلامي، كثيرًا ما رأيت في الجزائر مساجد حوّلت إلى كنائس، أو حوّلت إلى متاحف.

(١) انظر: السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (٤٦٠/١)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر

دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

وظلَّ هذا الاستعمار مائة وثلاثين عامًا، قاتل فيه الجزائريون منذ عهد الأمير عبد القادر، إلى عهد الثورة الجزائرية الأخيرة التي سقط فيها أكثر من مليون شهيد، وتحرَّرت الجزائر من فرنسا، وأصبحت دولة مستقلة، كما أصبحنا دولاً مستقلة نتعامل مع فرنسا معاملة المستقلَّ للمستقلَّ.

فرنسا والحجاب:

وإن كنَّا نأخذ على فرنسا في بعض الأوقات انسياقها مع التيار المعادي للإسلام، ولكن - والحق نقول - في المدة الأخير كثيرًا ما نوَّهنا بالموقف الفرنسي من قضايانا العربيَّة والإسلاميَّة، فنحن نقول للمحسن: أحسنت، كما نقول للمسيء: أسأت.

حينما وقفت فرنسا من قضايانا العربيَّة كقضيَّة فلسطين، وقضيَّة الحرب على العراق، وقفت موقفًا لم تكن فيه ذيلًا لأمريكا، وإنَّما وقفت موقفًا مستقلًّا إيجابيًا: أشدُّنا بالموقف الفرنسي، ورحبنا بالموقف الفرنسي.

ولكن ها هي فرنسا اليوم تتَّخذ موقفًا من المسلمين في ديارها يغضب مسلمي العالم كلَّه، لا تبالي فرنسا أن تغضب ستين بلدًا إسلاميًا تضمُّهم منظمَّة المؤتمر الإسلامي، سبحان الله!

هناك لجنة حكماء شكَّلتها الرئيس شيراك لتبحث في أمر الرموز الدينيَّة وهذه الأشياء، وأصدرت توصيتها بأنه: يجب منع كلِّ الرموز الدينيَّة، ومنها: الحجاب الإسلامي؛ حفاظًا على الوجه العلماني لفرنسا، وتأييدًا للفصل الكامل بين الدين والدولة!

وأي دخل للدولة في قضية الحجاب، هذا أمر شخصي بحث يتعلق بحرية الإنسان واختياره، هل هذا سيؤثر على الدولة الفرنسية؟

عجب كلُّ العجب أن يقال: إنَّ ارتداء الحجاب - وكلمة الحجاب أصبحت تطلق عرفاً على الخمار، أو ما يسمَّى «الإيشارب» أو «الطرحة» التي توضع فوق الرأس - ضد علمانية الدولة!

الحجاب أمرٌ من الله واجب التنفيذ:

إنَّ الحجاب أمرٌ أمر به الله تعالى، وليس من اجتهاد الفقهاء، ولا من ابتداع المسلمين، هذا أمر قرآني، يقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] يضربن بخمار الرأس على الجيب، وهو فتحة الصدر.

المراد: أن يغطي هذا الخمار الرأس والنحر والعنق، هذا أمر أجمع عليه المسلمون بكلِّ مذاهبهم؛ المذاهب الأربعة، والمذاهب الثمانية، والمذاهب التي انقرضت، مذهب الأوزاعي والثوري والطبري، وغير المذاهب: فقه الصحابة والتابعين والأتباع، وكلُّ الفرق الإسلامية، والمدارس الإسلامية، كلها أجمعت على أنَّ الخمار واجب، وفرض ديني، أمر به الله ورسوله.

وهذا إجماع نظري ارتبط بالتطبيق العملي خلال ثلاثة عشر قرناً، في القرون الثلاثة عشر الماضية لم تُعرف مسلمة كشفت رأسها، بعد أن تبلغ، بل حتَّى قبل أن تبلغ، منذ أن تصبح فتاة تُشتهي تضرب الخمار عليها، رغبة في الاحتشام، واستجابة لداعي الحياء،

و«الحياء من الإيمان»^(١)، وهو «خيرٌ كُلُّهُ»^(٢)، كما قال رسول الله ﷺ، هذا أمر لا شك فيه.

هل الجماعات الإسلامية وراء الحجاب؟

لم تفكر مسلمة في التمرد على أمر الله هذا، إلا منذ دخل الاستعمار بلاد المسلمين، ولذلك أعجب لإحدى الصحفيات التي قالت: إن الحجاب هذا بدعة اخترعتها الجماعات الإسلامية في هذا العصر؛ لأنه لم تكن المسلمات يلبسن هذا الحجاب، ومنذ ظهرت الجماعات الإسلامية لبست النساء الحجاب.

يعني أنها تعتبر الفترة التي طغى فيها الاستعمار الغربي على المسلمين، وبدأ الناس يقلّدون الغرب شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، في الأفكار والمفاهيم والتقاليد: تعتبر هذه الفترة هي الأصل، مع أنها فترة استثنائية في تاريخ الأمة.

الجماعات الإسلامية لم تفعل شيئًا إلا أنها أيقظت المسلمين، وحركتهم ليلتزموا بدينهم، فكانت الصحوة الإسلامية المعاصرة، التي ردت الناس إلى ربهم ودينهم، فأصبح الناس يشعرون أنهم مسلمون، وبدأت المرأة المسلمة تشعر بأنها مسلمة، وأنها غير المرأة الغربية، وأن عليها واجبًا أمرها الله به أن تغطي رأسها.

هذا هو عمل الصحوة الإسلامية، عادت بالمرأة إلى الأصل.

وهذا أمر نسائي بحت، حركة الحجاب بين المسلمات: حركة نسائية طوعية اختيارية، لم يلزم بها أب ولا زوج، بل كثيرًا ما رأيت بعض

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٢٤)، ومسلم (٣٦)، كلاهما في الإيمان، عن ابن عمر.

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٣٧)، عن عمران بن حصين.



الأمّهات ينهين بناتهن عن التزام الحجاب، ورأيت بعض الأزواج ينهين زوجاتهم عن الحجاب، وكثيراً من الزوجات يتخاصمن مع أزواجهن من أجل هذا، هي حركة نسائية تتعلق بإرادة المرأة المسلمة نفسها.

وهذا ما حدث في فرنسا، وما حدث في بلاد أوربية مختلفة، فلماذا يمنعون المرأة؟

أيها الفرنسيون:

أليست حضارتكم وثورتكم هي التي نادت وتنادي بحق الإنسان في أن يلبس ما يشاء، ويتصرّف في خاصّة شؤونه كما يشاء، والتي تقرّر الحرية الشخصية، والحرية الدينية؟!

ثورة الحرية والمساواة، تضغط على النساء وتقهرهن على ما لا يردن، هذا ضد مبادئ أساسيين من مبادئ الحرية: الحرية الشخصية، والحرية الدينية.

الحرية الشخصية في أنّ الإنسان يلبس ما يشاء، وهذه من الحريات المدنية الأساسية، واحدة تلبس «جابونيز»، وواحدة تلبس طويلاً، وواحدة تلبس قصيراً، لا أحد يتدخل في هذا، لماذا تتدخلون في المرأة التي تريد أن تحتشم؟!

هذا حقّها المحض، وهو ثمرة حريتها الشخصية.

الحجاب من الحرية الدينية للإنسان:

ثمّ هذا من الحرية الدينية، المقرّرة والمصونة في كلّ الدساتير الحديثة ومواثيق حقوق الإنسان.

الإنسان حرٌّ في أن يعتنق من الأديان ما يشاء، وأن يلتزم بدينه، وبواجبات دينه، بل هذا أكثر من كونه مجرد حرّية؛ لأن الحرية في الحقيقة تتعلق بالمباحات، أي: بالأشياء التي يجوز للإنسان أن يفعلها، ويجوز له أن يتركها.

أمّا الحجاب فلا يجوز للمسلمة الملتزمة أن تتركه؛ لأنّ الله أمرها به، فكيف تجبرون المسلمة على أن تفعل شيئاً يخالف أمر ربّها؟!!

ولذلك نقول: هذا ضد الحرية، وضد المساواة؛ لأنّ معنى هذا: أنكم تضطهدون المسلمة الملتزمة بالدين، التي تريد أن ترضي ربها بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، تقولون لها: لا حقّ لك في أن تتديني، فأنت إذن تعطي الملحدة واللا دينيّة حقّ أن تفعل ما تشاء ولا تعطي للمتدينة هذا الحقّ، أليست هذه تفرقة؟

أين المساواة التي تزعمونها إذن؟!!

الإنسانة المؤمنة بالله، الملتزمة بأحكامه وتعاليمه، لا تستطيع أن تمارس هذا الحقّ، على حين تستطيع الملحدة والمتحلّلة أن تفعل كلّ ما تريد، دون أن يمنعها أحد!

فأين المساواة، وأين التسامح الديني؟!!

تزعمون أنكم أهل التسامح، أين التسامح إذا فرضت عليّ ما لا أريد؟! إذا فرضت عليّ أن أخالف أمر ربي!

وقد قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، هذا أمر، ﴿وَلْيَضْرِبْنَ﴾ هذه اللام لام الأمر، والأمر القرآني للوجوب المحتم اللازم،

كما قال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٣]، أي أن أمر الله لا بد أن يجاب ويطاع، فكيف تجبر المسلمة على أن تخالف دينها وتترك أمر ربها؟

أنا أعجب من حضارة يباهون بها وبتسامحها تتعصّب ضد إنسان؛ لأنّه يعمل ما يأمره به دينه دون أن يضرّ بذلك أحداً، ما شأنك أنت؟ واحدة تلبس طرحة على رأسها، ماذا يضيرك أنت؟

المصريون لهم نكتة يقولون فيها: «واحد شایل ذقنه - مطلق لحيته - أنت زعلان ليه؟»، واحدة تضع طرحة على رأسها، ماذا يؤذيك من هذا؟

الحجاب بين الفرضية والرمزية:

ومن المهمّ هنا: أن نصحّ خطأ كبيراً شائعاً، فمن أكبر الأخطاء الشائعة: أن يقال عن الحجاب: إنّهُ رمز ديني!

وهذا عجب من العجب، الحجاب ليس رمزا دينياً، ولا يخطر ببال من تلبس الحجاب: أنّها تريد أن تعبّر عن دينها، وأنّها تعلن أنّها مسلمة، بدليل أنّ المسلمة في قلب بلاد المسلمين تعمل هذا، وليست في حاجة إلى الإعلان.

الحجاب ليس رمزا، الرمز الديني هو ما ليس له وظيفة إلاّ الإعلان عن انتماء صاحبه لهذا الدين، مثل امرأة تلبس صليباً على عنقها، هذا الصليب ليس له فائدة - فيما يظهر لنا - إلاّ أنّها تريد أن تقول: أنا نصرانية مسيحية.

اليهودي الذي يلبس قلنسوة تغطي قطعة من رأسه، هذه ليس لها وظيفة؛ لأنّه لو أراد أن يغطي رأسه لغطى رأسه كلّهُ، هذا رمز ديني.

أمّا الحجاب فليس رمزًا، ولكن له وظيفة، وهو أنّه يستر شعر المرأة، ويستر نحرها وعنقها، هذه وظيفة فتسميته رمزًا تسمية خاطئة لا تدلُّ على عمقٍ في الفكر، أو تأملٍ حقيقي في هذا الموضوع، وبعض المسلمين تأثروا بهذا الكلام، وقالوا: هو رمز ديني، وهذا خطأ، فهو ليس رمزًا دينيًا بحال. هذا أمر.

ثمَّ إنّ الرمز الديني، يكون الإنسان حرًّا فيه ومختارًا، يعني يستطيع أن يضع الصليب على صدره، أو تضع الصليب على صدرها، ويقدر على ألا يفعل، لكن هذا الحجاب ليس أمرًا اختياريًا بالنسبة للمسلمة، هذا أمرٌ أمر الله تعالى به، فليس لمسلمة الاختيار في هذا، هي مجبورة على أن تمتثل أمر الله تعالى، ولذلك لا يقال: إنّ الحجاب رمز ديني.

على أنّ الرمز الديني لا يختلف باختلاف الأحوال والأوضاع، ولكن الحجاب يختلف، فالمرأة تلبسه أمام الرجال الأجانب عنها، ولا تلتزم به أمام النساء، ولا أمام أبيها وأخيها، وعمّها وخالها، وأبناء إخوانها وأخواتها، وسائر محارمها، فهل يوجد مثل هذه التفرقة في أي رمز من الرموز الدينيّة؟!

وحتى لو كان هناك رموز دينيّة، وكان الحجاب منها، فالواقع أنّهم لم يمنعوا غير الحجاب!

ففي فرنسا قالوا: سنمنع الصليب الكبير، ما معنى الصليب الكبير؟

وهل التي تلبس الصليب تلبس صليبًا يزن نصف كيلو؟!

هو صليب صغير في العادة، والصليب الصغير لا يُمنع!



إذن يكون الأمر منصبًا على منع الحجاب الإسلامي!
 هذا هو المقصود، والدليل: أنه لم تثر القضية إلا بعد أن أصبحت
 قضية الحجاب مثارة في كل مكان؛ حينما وجدت فتاتان أبوهما يهودي
 وصممتا - بعد أن أسلمتا - على ارتداء الحجاب، وأبوهما يدافع عنهما
 وعن حقهما في لبس الحجاب، فثارت هذه القضية ووصلت إلى
 ما وصلت إليه.

صور من سماحة الإسلام مع الآخر:

نحن المسلمين متسامحون، نحن نتسامح فيما هو أكثر من ذلك،
 نحن نطالب الفرنسيين ونطالب الحضارة الغربية: أن تسامحنا فيما نراه
 أمرًا واجبًا دينيًا، ولكننا - نحن المسلمين - نسامح فيما هو أكثر من هذا
 وأوسع دائرة، إننا نسامح فيما يراه الشخص مباحًا في أمر دينه،
 ولا نضيّق عليه فيه، وإن كنّا نحن نراه حرامًا.

نحن نرى: أن أكل لحم الخنزير حرام، ولكن لا نمنع المسيحي من أن
 يأكل لحم الخنزير، وأن يربي الخنزير في بيته، أو مزارع عنده، هذا حقّه،
 لا نريد أن نضيّق عليه في أمر مباح عنده، مع أن الأمر المباح يستطيع
 الإنسان أن يتركه، فليس من الواجبات الدينية أن يأكل المسيحي لحم
 الخنزير، هو مباح له، ولكن الإسلام يقول له: أنت حرّ فيما أبيح لك.

وشرب الخمر مباح عند المسيحيين، ولكنه محرّم عندنا؛ فالخمر أم
 الخبائث، ومفتاح الشرور، وهي من كبائر الإثم، ومع هذا لا نضيّق على
 المسيحيين في أن يشربوا خمرًا، بشرط: أن يشربوها في مناطقهم
 الخاصّة، ولا يبيعوها للمسلمين، ولا يُعلنوا بها في المناطق الإسلامية،
 هذه هي سماحة الإسلام.

بل مذهب الإمام أبي حنيفة: أَنَّ المسلم لو كسر دَنًا من خمر لذميَّ نصراني: فَإِنَّ عليه أن يغرم قيمته؛ لَأَنَّهُ مال متقوَّم عند صاحبه. هكذا نتسامح إلى هذا الحد.

فأين هذا التسامح ممَّا نراه في فرنسا الآن؟

التنوع الثقافي في حضارتنا:

إِنَّ حضارتنا الإسلامية في أَيَّام بلوغها الذروة، في أَيَّام عطائها المدرار كانت حضارة متسامحة: اتسعت لكلِّ الأديان، ولكلِّ الثقافات، آمنت بظاهرة التنوع، شارك في بناء الحضارة الإسلامية مسلمون ومسيحيون ويهود ومجوس، ومن كلِّ الملل والنحل، شاركوا في الحضارة الإسلامية، ووسعتهم الحضارة الإسلامية.

الحياة مبنية على التنوع، الكون قائم على التنوع، مختلف ألوانه، هذا الكون فيه أشياء كثيرة مختلف ألوانها، أي: أنواعها، فلماذا يريد الفرنسيون أن يمنعوا ظاهرة التنوع والتعدد؟

هذه ظاهرة رجعية؛ أن تحاول أن يكون هناك لون واحد، ودين واحد، وثقافة واحدة، وزبي واحد، هذا هو التأخر والتخلف، ليست هذه حضارة. الحضارة: أن تسع الآخرين.

هذا - للأسف - ما وجدناه عند فرنسا المتنورة، المتحضرة، المتمدنة، أمَّ الثورات، وأمَّ الحرِّيات، تضيق بهؤلاء المسلمات!

نريد من فرنسا، ونريد من دول الغرب كلَّها: أن تتسع لمن يخالفها في الدين، أو يخالفها في العرق، أو يخالفها في الثقافة، أمَّا سياسة



التطهير العرقي، أو التطهير الديني، أو التطهير الثقافي، أو عدم السماح بأي مخالف، ومحاولة صهر المجتمع كله في بوتقة واحدة، وفي طريقة واحدة، فهذا ما لا يُقبل بحال من الأحوال.

لونان من العلمانيّة:

يقولون: نحن نحافظ على الوجه العلماني لفرنسا!
وأودُّ أن أقول هنا: العلمانيّة نوعان: علمانيّة معتدلة، وعلمانيّة متطرّفة.
العلمانيّة المتطرّفة رأيناها عند الماركسيين والشيوعيين، الذين لا يسمحون بأي دين، ولا بأي فلسفة مخالفة، وترى: أن «الدين أفيون الشعب»، وينصّ دستورها على: أن «لا إله، والحياة مادة»!
والغريبيون الذين كانوا يسمّون أنفسهم: العالم الحر، كانوا ينكرون هذا ويقاومونه ويحاربونه، وهذه هي العلمانيّة المتطرّفة.
فما بال الغربيين اليوم يتبنون هذه العلمانيّة؟!
وهناك علمانيّة معتدلة، لم هي معتدلة؟

إنّها تقف من الدين موقف الحياد، يعني: هي لا تؤيّد الدين ولا تعاديه، لا تقبله ولا ترفضه، ليس لها علاقة بالدين الذي يريد أن يتدين فهو حرّ، ولكن الدولة لا تتدخل في تأييد هذا الدين، ولا في رفض هذا الدين.

هذه هي العلمانيّة الحقيقيّة؛ لأنّها إذا وقفت من الدين موقف العداء معناها أنّها فرّقت بين المواطنين بعضهم وبعض؛ لأن من المواطنين من يتدين، ومنهم من لا يتدين، فإذا وقفت ضد المتدين فلم تسوّ بينهما.

خوف يتبعه مخاوف:

ونحن نخشى أنّهم إذا قالوا اليوم: نريد أن نمنع التميّز الديني في الزيّ، فنخاف مستقبلاً أن يقولوا: نمنع التميّز الديني في العبادة.

لماذا يتميّز المسلمون بأن يكون لهم مساجد يصلُّون فيها؟

هذا نوع من الخلاف السائد في فرنسا، وإذا كان هناك من يشرب الخمر، ومن لا يشرب الخمر، فكيف نميّز بينهما؟

هل يجب أن يشرب كلُّ النَّاس الخمر؟!

هناك من يدخن ومن لا يدخن، هناك من تحتشم ومن لا تحتشم، فيظلُّ هناك فروق.

إذا مرَّ هذا الأمر ولم يعترض النَّاس أمكن أن يقولوا بعد ذلك: لماذا تمتنع عن الأكل والشرب في رمضان، والنَّاس كلُّهم من حولك يأكلون ويشربون؟

أعني: أنّ هذه قضيّة في غاية الخطورة، فإذا فتحنا هذا الباب فمعناه: أن يتدخل النَّاس في الشؤون الشَّخصية للفرد، في أخصّ الخصوصيات، وهذا لا يقبله أحد، وهو لا شكَّ ضد حقوق الإنسان.

العلمانيّة المتطرّفة:

نحن ننكر على فرنسا هذا الموقف، ونرى: أن هذا ردّة عن تراث فرنسا، وعن موقفها من الحرّيات، ومن حقوق الإنسان، وأنّه لا يليق بها هذا، وأنّها بموقفها هذا تغضب المسلمين في أنحاء الأرض، بعد أن صَفَّقوا لها، ووقفوا منوّهين بسياستها المستقلّة عن أمريكا.

وإن ممّا يندى له الجبين، ومما ينقطع له نياط الفؤاد، وتفتت من أجله الأكباد: أنّ في بعض بلادنا الإسلامية من يفعل مثل فرنسا، وما هو أشدّ من فرنسا؛ لأنّ فرنسا تمنع هذا في المدارس.

أمّا في بلادٍ إسلاميّة عربيّة معروفة في شمال إفريقيا فنها تمنع الحجاب في المدارس والجامعات، وتمنع دخول المحجبة في الوظائف الحكومية، ووظائف القطاع العام، وتمنعها من دخول المستشفيات، ولو للعلاج أو الولادة، بل أصبحوا الآن يدفعون السائقين إلى ألا يركبوا امرأة محجبة في سيارة التاكسي.

هذه بلاد إسلاميّة، ولذلك بعضهم يقولون: إذا كنتم لا تستطيعون أن تمنعوا هذا في البلاد الإسلاميّة، فلماذا تريدونه أن يُمنع في بلادنا؟! هذا أمر مؤسف! ولكن هذه البلاد معروفة بمعاداة الحرّيات، وبالتنكر لحقوق الإنسان، ولا نحبّ لفرنسا أن تكون مثلهم، ولا هي تحبّ أن تكون كذلك.

دور المسلمين نحو قضية الحجاب:

نحن - أيّها الإخوة - ينبغي أن نقول لفرنسا: ما فعلتموه لا يرضي المسلمين في أنحاء العالم، والمسلمون في أنحاء العالم وقفوا معكم في قضايا كثيرة، وأشادوا بكم، ونوّهوا بمواقفكم، فلا تجلبوا عداوة المسلمين عليكم.

كلّ من عنده استطاعة أن يبعث ببرقية إلى الرئيس الفرنسي ينبغي أن يفعل، وعلى الجهات الإسلاميّة، والجمعيات الإسلاميّة، والجامعات الإسلاميّة، وعلى المؤسّسات الإسلاميّة المختلفة أن تفعل ذلك.

لم أستطع أن أقول: وعلى حكام المسلمين أن يفعلوا ذلك؛ لأنّ بلاد المسلمين كلّها لها عند فرنسا مصالح، وفرنسا لها عندها مصالح، ولو قال حكام المسلمين كلمة واحدة: هذا لا يرضينا نحن المسلمين، والله لا ارتدعت فرنسا.

ولكن لا أحد يهتمّ بأمر الإسلام ولا المسلمين! حتّى قال أحد العلماء حينما سئل عن هذا الأمر، قال: هذا أمر داخلي، ولا علاقة لنا به، ولا يجوز لإنسان أن يتدخل في أمر بلد آخر!

نحن لا نتدخل، ولكن نقول: هذا ضد مبادئكم، وضد دستوركم، وضد حقوق الإنسان، ونقول: هذا يؤلمنا ويؤذينا ويعكّر علاقتنا بكم، هذا هو الذي نريده.

نسأل الله تعالى أن يهيئ للمسلمين من أمرهم رشداً، وأن يجعل يومهم خيراً من أمسهم، ويجعل غدهم خيراً من يومهم، إنّه سميع قريب. أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

إلقاء القبض على صدام حسين:

نشرت الصحف، وبثت وكالات الإعلام نبأ اعتقال الرئيس العراقي السابق صدام حسين.

وقد كنت في مؤتمر في مكة حينما سمعت هذا النبأ وقلت: هذا أمر كان لا بدّ أن يقع، ولا يمكن أن يظلّ الرجل مخفياً أبد الدهر، خصوصاً: أن من أقرب المقرّبين إليه من هو مستعدّ أن يبيعه ولو بثمن بخس.

ومثل هؤلاء الذين لم يتربوا في حضانة الإيمان مستعدّ أن يبيع صديقه بعرض يسير من الدنيا، فلهذا وشى به أقرب الناس إليه.

وكان بجواري في هذا المؤتمر أحد كبار العلماء العراقيين من أهل السنة قلت له: أسمعت نبأ اعتقال صدام؟

قال: نعم، سمعت وهذه نهاية كلّ ظالم، أمّا قال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ»، ثُمَّ تلا قول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هُود: ١٠٢] (١).

قلت له: ولكن كنّا نحبّ أن يكون ذلك على أيدي العراقيين لا على يد الأمريكيين.

قال: وهل يسمح الأمريكيون للعراقيين أن يُسقطوا طاغية؟

(١) سبق تخريجه ص ٦٩.

هل يسمحون للمسلمين في أي بلد أن يُسقطوا طاغية من طاغيتهم؟

قلت له: لا والله، لا يسمحون، وما سمحوا بذلك في بلد قط، سمحوا في أوروبا الشرقية أن تثور الشُّعوب على طاغياتها، شاوشيسكو وغيره، وأن يسقطوهم، ولكنهم لم يسمحوا بذلك في البلاد الإسلامية التي كانت تحكمها الشيوعية، البلاد التي كانت منتمية إلى الاتحاد السوفيتي، أوزباكستان وطاجيكستان وكل هذه البلاد، أبقوا فيها الحكام الشيوعيين القدامى كما هم، ووفروا لهم الحماية اللازمة، ولم يسمحوا بثورة على هؤلاء الطغاة.

هم فعلاً لا يسمحون بأن يقوم الشَّعب العراقي ليسقط طاغيته، هم أيَّدوا صدام حسين حينما كان توجهه يخدم سياستهم، أمْدُوهُ بالسَّلاح، وبما يحتاج إليه حتَّى كَوَّن جيشه الَّذي حارب به جيرانه، ولكن حينما بدأ يختلف معهم تخلَّوا عنه، هم الَّذين أغروه بأن يغزو الكويت؛ حتَّى يقع في المطب وفي الفخ، ثمَّ بدؤوا يحاربونه، ويؤلَّبون عليه حينما بدأ يكون سلاحاً نووياً، وبدأ يكون خطراً على إسرائيل، هنا بدؤوا يدركون خطورة هذا الرجل، وخطورة العراق.

فمن أجل هذا حاربوه، لم يحاربوه من أجل سواد عيون الشَّعب العراقي، أو من أجل خاطر المعارضة العراقية.

لست صدامياً!

أنا لا أحزن على صدام حسين، فلم أكن في يوم من الأيام صدامياً، دعا صدام حسين العلماء، وذهب العلماء إلى العراق، وحضروا مؤتمراتهم من المشرق والمغرب، إلَّا عالمين لم يحضرا، ووضعوا في القائمة

السوداء عنده: الشيخ أبو الحسن الندوي في الهند، ويوسف القرضاوي في قطر، هذا العالمان لم يستجيبا لدعوة صدام.

على كلِّ حال نحن لا نريد أن نبكي على صدام، كما لا نريد أن نهلّل للأمريكيين، لا نريد أن نطبل ونزمرّ لهم، وأن نسير في ركاب المطبّلين والمزمرّين لهؤلاء، إنّما نحن مع كلِّ موقف حقٍّ، ونحن ضد كلِّ ظالم سواء كان هذا الظالم عربيًّا أم عجميًّا، شرقيًّا أم غربيًّا، نحن نرى أن نهاية الظالمين لا بدّ أن تأتي قُرب اليوم أو بُعد، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هُود: ٨٣]، ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠]، ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [تِلْكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] [النمل: ٥٢].





المستقبل للإسلام

الخطبة الأولى

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

مآسي تبعث على اليأس:

في مجلسٍ مع بعض الأصحاب والتلاميذ، قال بعضهم - وقد غشت وجهه سحابة من الحزن والأسى، واخترقت قلبه سكين من اليأس والقنوط -: ألا ترى هذا الظلام المخيم على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؟

ألا ترى هذه الهجمة الشرسة على الأمة الإسلامية والصّحوة الإسلامية؟

ألا ترى الإسلام في إدبار والكفر في إقبال؟

ألا ترى الصالحين يؤخّرون والطالحين يُقدّمون؟

ألا ترى إسرائيل تصول وتجول، وتعربد في المنطقة وتتكلم بصلف وغرور، كأنّما الأمر كلّهُ أصبح لها، ولم يعد هناك شيءٌ لغيرها؟

هكذا أعلن «رابين» في مؤتمر الدار البيضاء: أنَّ القدس هي العاصمة الأبدية لإسرائيل! وهكذا تحدَّى الحاضرين جميعًا، وهكذا أظهر طموحاته ومطامعه، ولا زال العرب يتساقطون واحدًا بعد الآخر، والكلُّ يعدُّ العدة لإنهاء المقاطعة من قريب.

ألا ترى ما يحدث لإخوتنا في البوسنة والهرسك؟

ألا ترى هذا العالم الصامت عمَّا يجري هناك، ولا زال يمنعهم حقَّهم المشروع في الدفاع عن النَّفس، وأنَّ يشتروا الأسلحة بأموالهم؟
ألا ترى الصرب المتوحَّشين يفعلون ما يفعلون، وقد أوشكوا أن يستعيدوا ما ربحه المسلمون في تلك الجولات الأخيرة؟

ألا ترى ما يصنعه الهندوس في كشمير؟

ألا ترى ما يصنعه النَّصارى الكاثوليك في الفلبين؟

ألا ترى ما يحدث في الصومال؟

ألا ترى ما يحدث في الجزائر؟

ألا ترى ما يحدث هنا وهناك من تحكُّم الكفار في المسلمين، والأشرار في الأخيار، والفجَّار في الأبرار؟

ألا ترى الفلسفة التي تنتشر في أقطار كثيرة الآن: فلسفة تجفيف الينابيع، يناعيع تعليم الدين!

ينبغي أن تجفَّ هذه المنابع في التربية والتعليم، وفي الثقافة والإعلام؛ حتَّى لا ينشأ مسلم غيور على دينه، حريص على أمَّته، مدافع عن حُرَّماته مجاهد في سبيل الله.

ألا ترى علامات الساعة وقد كثرت وانتشرت الآن، فأصبح يُخَوَّن الأمين، ويؤتمن الخائن، ويُصدَّق الكاذب ويُكذَّب الصدوق؟
ألا ترى، ألا ترى، ألا ترى؟
هكذا قال صاحبي.

قال صاحبي هذا كله يريد أن يُدخل اليأس في قلبي والقنوط إلى نفسي.
فهل هذا صحيح؟ هل صحيح أنَّ الإسلام في إدبار والكفر في إقبال؟

خُلُط في فهم علامات الساعة:

إننا لو نظرنا إلى الأمور نظرة فيها إنصاف وفيها موضوعية، لرأينا الأمر غير ذلك.

رأينا أنَّ هناك بشائر كثيرة تنبئنا أنَّ الغد لهذا الدين، وأنَّ المستقبل لهذا الإسلام، وأنَّ هذه الأمة لن تموت، وأنَّ في هذا الدين رُوحًا بَنَاءً تظهر وتستيقظ حينما تتعاضم الشدائد، فتحيط بهذه الأمة.

حينما يُهاجم الدين في عُقر داره، هنالك ينتفض هذا الدين، ينتفض هذا المارد، يستيقظ العملاق، ويخرج من قُقمه.

إذا كانت هناك أحاديث تدلُّ على أنَّ علامات الساعة قد ظهرت، وأنَّ النَّاس قد ضيَّعوا الدين، وأنَّ هناك من يتبع سنن غير المسلمين شبرًا بشبر وذراعًا بذراع «... حتى لو دخلوا جُحر ضب تبعتموهم...»^(١) كما صحَّ في ذلك الحديث.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٧٣٢٠)، ومسلم في العلم (٢٦٦٩)، عن أبي سعيد الخدري.

إذا كان ذلك قد صحَّ، فقد صحَّت أشياء أخرى.

إنَّ علامات الساعة الصُّغرى قد ظهرت بظهور بعثة محمَّد ﷺ كما قال القرآن: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمَّد: ١٨]، وقال ﷺ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»^(١) وأشار بأصبعه السبابة والوسطى.

فهو نبي آخر الزمان، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

ولكن إذا كانت الساعة قد ظهرت علاماتها، وإذا كانت الساعة قريبة كما قال القرآن: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] فالقرب والبعد أمر نسبي، والزمن الذي عاشته هذه الدنيا لا نعرف: كم هو؟

يقدره الجيولوجيون والعلماء بملايين وعشرات الملايين من السنين، ولذلك فإن آلاف السنين ومئاتها لا تعتبر في هذا الزمن العميق الغور.

إنَّ علامات الساعة الصُّغرى قد ظهرت، ولكن - أيضًا - هناك بشائر تدلُّنا على أن هذا الدين لا بدَّ أن ينتصر، لا بدَّ أن تكون له جولة، وتقوم له دولة، وترتفع أعلامه خفاقة فوق العالمين.

مبشرات بانتصار الإسلام من القرآن:

هذا ما نطق به القرآن، وما نطقت به صحاح الأحاديث.

القرآن الكريم يقول:

١ - ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

هكذا قال في سورة «الصف».

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٤)، ومسلم في الفتن (٢٩٥١)، عن أنس.

٢ - وفي سورة التوبة: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾: هذا الإباء الإلهي هو الذي يطمئنا على مصير هذا الدين وعلى مستقبل هذا الدين. ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ﴾: لا بد أن يتم هذا النور وينتشر في الآفاق كل الآفاق.

٣ - ويقول الله تعالى في آيات ثلاث في سور ثلاث من كتابه: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩]، جاء ذلك في سورة «التوبة» وجاء ذلك في سورة «الصف»، وجاء ذلك في سورة «الفتح»: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨].

لا تقولوا: إن هذا قد حدث في القرون الأولى، فقد ظهر الإسلام على الأديان الكتابية: على اليهودية، وعلى النصرانية، وعلى المجوسية التي قال فيها: «سننوا بهم سنة أهل الكتاب»^(١)، ولكنه لم يظهر على الأديان الوثنية المنتشرة في آسيا وإفريقيا التي يبلغ أتباعها مئات الملايين وآلاف الملايين.

والآيات هنا تقول: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ لا بد من ظهوره وغلبته وسيطرته على كل الأديان، هذا وعد من الله، و﴿اللَّهُ لَا يُخْلِفُ أَلْعِصَادَ﴾ [آل عمران: ٩، الرعد: ٣١].

(١) رواه مالك في الزكاة (٦١٦)، رواية يحيى الليثي، والشافعي في الجهاد (٤٣٠)، ترتيب السندي، والبيهقي في الجزية (١٨٩/٩)، وقال عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٦١/٦): منقطع مع ثقة رجاله. عن عبد الرحمن بن عوف.

٤ - ويقول الله سبحانه في سورة «النور»: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]. وهذا وعد دائم، بشرط أن يكونوا من:

أ - الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ب - وأن يعبدوا الله لا يشركون به شيئاً: أن يخلصوا التوحيد لله، أن يحققوا التوحيد في حياتهم، فلا يبتغون غير الله رباً، ولا يتخذون غير الله ولياً، ولا يبتغون غير الله حكماً.

هذا ما جاء به القرآن الكريم، وعد من الله ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧]، بشرط أن نفي بالشرط حتى يحقق الله لنا المشروط: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ * الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

مبشرات من السنة النبوية:

وهناك بشائر من السنة، من الأحاديث التي صححت عن رسول الله ﷺ:

١ - فقد روت عائشة، أن النبي ﷺ قال: «لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣، الصف: ٩] أن ذلك تاماً (أي: سيكون تاماً وواقعاً) فكيف يرجع الناس إلى عبادة اللات والعزى؟!

قال: «إنَّه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثمَّ يبعث الله ريحًا طيبة فتوفِّي كلَّ من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم»^(١) دين الشرك. فهذا سيكون، سيظهر الإسلام على الدين كله، الرسول يؤكِّد لعائشة أنَّ ما فهمته من الآية صحيح، وسيكون منه - إن شاء الله - ما يكون.

٢ - ويقول النَّبي ﷺ - فيما رواه أحمد وغيره: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر - بيت من حجر أو بيت من شعر، أي: في الحضر أو في البادية - إلَّا أدخله الله هذا الدين، بعزٍّ عزيز أو بذلٍّ ذليل، عزًّا يعزُّ الله به الإسلام وذُلًّا يذلُّ الله به الكفر»^(٢).

«ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار»، أي: سيشمل الكرة الأرضية كلها، سيصل هذا الإسلام إلى تلك الديار، سينتشر الإسلام في العالم كله؛ لأنَّ العالم أحوج ما يكون إلى هذا الدين، إنَّه يحتاج إليه حاجة الظمآن إلى الماء، وحاجة العليل إلى الشفاء.

٣ - ويقول ﷺ فيما رواه مسلم عن ثوبان: «إنَّ الله زوى لي الأرض - أي: جمعها وضمَّها - فرأيت مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمَّتي سيلبغ ملوكها ما زوي لي منها»^(٣)، أي: سيلبغ المشارق والمغارب.

فإذا كان الحديث الماضي يدلُّ على انتشار الدين، فهذا الحديث يدلُّ على اتساع الدولة، دولة الإسلام وملك الإسلام، سيملك المسلمون

(١) رواه مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٩٠٧).

(٢) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. والحاكم في الفتن والملاحم (٤٣٠/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٣)، عن تميم الداري.

(٣) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥).

المشارك والمغارب، ويقيمون عدل الله في الأرض، وينشرون التوحيد في دنيا الناس.

٤ - وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي قبيل قال: كنّا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فسأله أحد الناس: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية أو رومية؟ - رومية هي كما يقول ياقوت في «معجمه»: «روما» عاصمة إيطاليا - فأخرج عبد الله صندوقاً له خلّق، وأخرج من الصندوق كتاباً، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب (كانوا يكتبون منذ عهد النبي ﷺ) وإذا رجل يسأله: يا رسول الله، أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطينية أو رومية؟ فقال: «مدينة هرقل تفتح أولاً»^(١). ومدينة هرقل هي القسطنطينية التي كانت عاصمة الدولة الرومانية، وهرقل هو الإمبراطور الذي كان معاصراً للنبي ﷺ.

وفعلًا فتحت هذه المدينة «القسطنطينية» التي سُميت الآن «إستانبول»، فتحها ذلك الشاب العثماني الطموح المسلم الغيور: محمد بن مراد، الذي اشتهر في التاريخ باسم «محمد الفاتح»، ابن الثالثة والعشرين، الذي قرأ في كتب الحديث: «لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ، فَلْنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا، وَلْنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ»^(٢). فتاقت نفسه أن يكون هو ممن صدق فيه هذا الحديث، وفعلًا ربّ وخطّط لفتح القسطنطينية، حتّى فتحها، وكتب الله له ذلك الفخر.

(١) رواه أحمد (٦٦٤٥)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد

(١٠٣٨٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، غير أبي قبيل وهو ثقة. والحاكم في الفتن

والملاحم (٥٥٥/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٤).

(٢) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحّحه،

ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

ومن زار إستانبول يجد جامع محمّد الفاتح، وهذا الحديث مكتوب على بابه.

فُتحت القسطنطينية، وبقي أن تُفتح رومية، ومعنى هذا أن الإسلام سيعود إلى أوربا مرّة أخرى بعد أن طُرد منها: طُرد من الأندلس، وقد بقي فيها ثمانية قرون، أقام فيها حضارة عظيمة، جمعت بين العلم والإيمان، بين الرقي المادي والسمو الروحي والأخلاقي.

وطُرد مرّة أخرى من أوربا من البلقان، بعد أن وصل إلى أبواب «فيينا» وطُرق أبوابها عدّة مرّات.

سيعود الإسلام إلى أوربا، وأظنّ هذه المرة أنّه سيفتحها عن طريق الدعوة، عن طريق الفكر، فأوربا الآن أشدّ ما تكون عطشاً إلى دين يخرجها من قلقها، من حيرتها، مما تعانيه نتيجة المادية والإباحيّة، ولن تجد هذا الدواء إلّا في الإسلام.

٥ - ومما جاء عن رسول الله ﷺ ما رواه الإمام أحمد وغيره عن حذيفة قال: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون ملكاً عاضاً - ملكاً ظالماً - فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون ملكاً جبريّاً - تجبر وتحكّم في خلق الله أشد من الملك العضوض - فتكون ما شاء الله أن تكون، ثمّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثمّ تكون خلافة على منهاج النبوة»^(١)

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. والبخاري (٢٧٩٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٩٦٠) رواه أحمد والبخاري والطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. وصحّحه الحافظ العراقي في كتابه محجة القرب إلى محبة العرب (١٧٦/١)، نشر دار العاصمة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م. =



هكذا قال النَّبي ﷺ، بعد الملك العاض والملك المتجبر تكون خلافة على منهاج النبوة، قال ذلك النَّبي ﷺ وسكت.

فنحن نتظر هذه الخلافة على منهاج النبوة، على منهاج الراشدين.

بعض النَّاس ظنَّ أن هذا كان لعمر بن عبد العزيز، ولكن عمر بن عبد العزيز كان بعد مُلك عاضٍّ ولم يكن بعد ملك الجبرية هذا، ملك التحكُّم، الحكم العسكري والحكم المطلق والحكم الذي لا يبالي بحقوق النَّاس ولا بحرِّياتهم ويدوس كراماتهم.

فنحن نتظر هذه الخلافة على منهاج النبوة.

٦ - وجاءت الأحاديث تدلُّنا على أنَّ لنا معركة مع يهود ينتصر فيها الإسلام، ويأخذ بحقِّه منهم، كما جاء في «الصحيحين»، من حديث ابن عمر: «تقاتلكم اليهود، فتسلطون عليهم، ثمَّ يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فاقتله»^(١).

وكذلك روى مسلم من حديث أبي هريرة: «لا تقوم الساعة حتَّى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتَّى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله»^(٢).

= والملك العاض - وفي رواية: «العضوض» - هو الذي يصيب النَّاس فيه عسف وظلم؛ كأن له أنيابًا تعض. أمَّا ملك الجبرية فهو القائم على الجبروت والطغيان، أشبه بالحكم العسكري المستبد في عصرنا. المبشرات بانتصار الإسلام ص ٣٤، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المناقب (٢٩٢٥)، ومسلم في الفتن (٢٩٢١).

(٢) رواه مسلم في الفتن وأشراف الساعة (٢٩٢٢)، وأحمد (٩٣٩٨).

سواء نطق الحجر من باب الكرامة وخوارق العادات، أو كان ذلك مجازاً وكناية عن أن كل شيء يكون مع المسلمين ويدل على عورات عدوهم، وإذا آتاك الله النصر فكل شيء يكون معك، وإذا خُذلت - والعياذ بالله - فكل شيء يكون ضدك، حتى السلاح الذي في يدك، لا تنتفع به، كما رأينا ذلك في سنة (١٩٦٧م).

٧ - ومن البشائر: أن النبي ﷺ جاء عنه في عدد من الأحاديث الصحاح أن هناك طائفة منصوره في هذه الأمة، تقوم على الحق، وتجاهد في سبيله، وتدافع عنه، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون. صح ذلك عن عدد من الصحابة: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله، وهم ظاهرون على الناس»^(١).

وجاء في حديث أبي أمامة: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خالفهم، إلا ما أصابهم من لأواء - أي: من أذى - حتى يأتي أمر الله وهم كذلك». قيل: يا رسول الله، وأين هم؟ قال: «بيت المقدس وأكناف بيت المقدس»^(٢) في المنطقة التي يسمونها: «الشرق الأوسط» في مصر والشام وفلسطين، هذه كلها أكناف بيت المقدس.

٨ - ويقول النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً»^(٣). سيوسع الله لهم في الرزق، وستعود أرض العرب

(١) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١١٦)، ومسلم في الإمارة (١٠٣٧)، عن معاوية بن أبي سفيان.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال مخرجه: صحيح لغيره، دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم، إلخ، وهذا إسناده ضعيف. وأطالوا في التخريج فلينظر، والطبراني (٨ / ١٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه، والطبراني ورجاله ثقات.

(٣) رواه مسلم في الزكاة (١٥٧) (٦٠)، عن أبي هريرة.

مروجًا وأنهارًا، يخرجون من التخلُّف إلى التقدُّم، ومن الفقر إلى الغنى، ومن العسر إلى اليسر، حتَّى جاء في بعض الأحاديث: «لا تقوم الساعة حتَّى يكثُر فيكم المال فيفيض، حتَّى يُهم ربُّ المال من يقبل منه صدقته، وحتَّى يعرضه فيقول الَّذي يعرضه عليه: لا أرب لي»^(١). أغنى الله النَّاس.

فهذه بشائر لا بدَّ أن نذكرها حتَّى لا نئس ف ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، حتَّى لا نقنط؛ فإنه لا ﴿يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

مُبَشِّرَات من التاريخ:

وإذا نظرنا إلى التاريخ وجدنا بشارة أخرى: أنَّ هذا الدين لا يُمكن أن ينهزم، وأنَّ هذه الأمة لا تموت، قد تضعف، قد يصيبها المرض، ولكنها لا تموت.

قد تكون الجولة لأعداء الله يومًا، ولكن سرعان ما يستعيد هذا الدين قوّته، سرعان ما ينفخ الرُّوح في أبنائه نافخ، فإذا بهذه الأمة تظهر على حقيقتها من جديد.

برز ذلك منذ العصر الأول، منذ مات النَّبي ﷺ وظهرت الردّة، وظهر المتنّبون الكذابون: مسيلمة وسجّاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي، ممن تبعهم قومهم عصبية وقالوا: كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مُضر^(٢)!

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٤١٢)، ومسلم (١٥٧) (٦١)، كلاهما في الزَّكاة، عن أبي هريرة.

(٢) تاريخ الطبري (٣/ ٢٨٦).

وظهر الذين منعوا الزكاة وقالوا: نصلي ولا نزكي، وأبى أبو بكر هذا الرجل الرقيق البكاء، إذا به يتحول إلى أسد هصور، ويقول: والله لو منعوني عقلاً كانوا يؤذونه لرسول الله لقاتلتهم عليه.

وكان عمر قد تردّد في أول الأمر، ولكن أبا بكر ظلّ راسخاً كالجبل وأبى إلا أن يقاتل، فعرف عمر أنّ الله شرح صدر أبي بكر للحقّ فسار معه^(١)، وسار معه الصحابة، وقاتلوا المرتدين حتّى أعادوهم إلى حظيرة الإسلام.

وكان هؤلاء المرتدون الذين عادوا من أشدّ الناس نكاية في الأعداء، وأكثرهم استبسالاً في القتال في فتح فارس والروم، كانوا يكفرون عن خطاياهم، عن خطيئة الرّدة، فكانوا هم المقاديم دائماً في ساحة الحرب.

هكذا انتصر الإسلام على الرّدة. وانتصر الإسلام على مانعي الزكاة، وكانت الدولة الإسلامية أول دولة في التاريخ تقاتل من أجل حقوق الفقراء، قبل أن يعرف الناس ما سمّي الاشتراكية أو الشيوعية أو غيرها.

فهذا التاريخ منذ عصر الصحابة يدلّ على أن هذا الإسلام قوي، فيه قوّة ذاتية تظهر عند الشدائد، فإذا هو أصلب ما يكون عوداً، وأصفى ما يكون جَوْهراً، وأشدّ ما يكون شكيمة، عندما تحيط به النوائب، وتنزل به المصائب، وتتخلّق حوله الكروب، وتنزل بساحته الخطوب.

هكذا رأينا الإسلام مرّة أخرى حينما جاء الصليبيون من الغرب، وجاء التتار من الشرق، جاء هؤلاء وجاء هؤلاء بقضّهم وقضيضهم.

جاء الصليبيون من أوربا في تسع حملات، تريد أن تأخذ القدس والمسجد الأقصى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الاعتصام (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

وفعلًا، أخذوا القدس والمسجد الأقصى وظلُّوا فيه تسعين سنة، وكانت لهم ممالك وإمارات في فلسطين ظلَّت مائتي سنة (قرنين من الزمان). حتَّى هَيَّا اللهُ رجلاً لهذا الدين مثل: عماد الدين زنكي، وابنه الشهيد نور الدين محمود، وتلميذه صلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وغير هؤلاء، فاستطاعوا أن يردُّوا الصليبيين ويدحروهم في معركة حطين ومعركة فتح بيت المقدس، وعاد هؤلاء إلى ديارهم خائبين، واستردَّ الإسلام ملكه وقوته.

وكذلك التتار، انتصروا على المسلمين، وحطَّموا الدولة الإسلامية في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، دمَّروا معالم الحضارة والثقافة، ألْقَوْا كتب العلم في دجلة حتَّى اسودَّ ماء دجلة، ذبحوا النَّاس حتَّى سالت الدماء من الميازيب، وكان المثل السائر عند النَّاس: إذا قيل لك: إنَّ التتار قد انهزموا فلا تصدِّق! أي: شاعت أسطورة القوَّة التي لا تقهر.

وبعد أن فتحوا بغداد سنة (٦٥٦هـ) أرادوا أن يفتحوا مصر سنة (٦٥٨هـ)، وأرسل قائدهم إلى القائد المملوكي في مصر الرجل الصالح المظفر سيف الدين قطز، بعث إليه برسالة تُبرق وتُرعد، وتُرغي وتُزبد، يقول فيها: نحن الذين قتلنا العباد وخربنا البلاد، وسفكنا الدماء، ولا يقوم أحد في وجهنا ونحن فعلنا وفعلنا.

فلما جاء رسولهم إلى قطز أخذ الرسالة وبعد أن قرأها على النَّاس مزَّقها، وجاء بالرسولين فقتلها مع أنَّ الإسلام لا يجيز قتل الرسل، ولكنَّه أراد في هذه الحالة أن يبلغ هؤلاء أنَّه لا يبالي بهم، وأنَّ يقوِّي قلوب المسلمين من حوله لقتال هؤلاء.

وفعلًا نهض لقتالهم، ولقيهم في الخامس والعشرين من رمضان سنة (٦٥٨هـ) بعد سنتين من هزيمة المسلمين في بغداد، لقيهم هناك في قرية عين جالوت في فلسطين، وكانت المعركة الحاسمة «معركة عين جالوت». في أوّل الأمر هُزم المسلمون، فألقى قُطر خوذته على الأرض، وصاح صيحته التاريخية المعروفة: وا إسلاماه، وا إسلاماه، وا إسلاماه، فما كاد النَّاس يسمعون هذه الصيحة حتّى أقبل المدبر، وثبت المتردّد، وتشجّع الجبان، وكانت الجولة للمسلمين وانتصروا في هذه المعركة، ولم تقم قائمة للتتار بعد ذلك.

ثمّ شرح الله صدورهم ودخلوا في الإسلام.

انتصر الإسلام عليهم عسكريًا، وانتصر عليهم معنويًا.

هذا ما يقوله التاريخ: الإسلام أقوى ما يكون في ساعات الشدّة.

مبشرات من الواقع المعيش:

أمّا ما يقوله الواقع: فنحن نعلم أنّ هناك صحوة إسلاميّة شرّقت وغرّبت، وذهبت شمالًا وجنوبًا، في بلاد العرب، وفي عالم الإسلام، وخارج عالم الإسلام.

هذا الشّباب المؤمن الذي هو قُرّة عين هذه الأمّة، الشّباب الصّوّام القوّام، الذي يذكر الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، الشّباب الذين نذروا أنفسهم لهذا الدين، وباعوا أرواحهم لله.

هذه الصّحوة نراها في كلّ مكان، رأيتها - والله - حيثما يمتّ، وحيثما ذهبت في مشرق أو مغرب، رأيت هؤلاء الشّباب المستغفرين

بالأسحار، القارئ للقرآن، القارئ لكتب الحديث، المجتمعين على طاعة الله.

رأيت أولئك الشابات الملتزمات بالحجاب، الممتنعات عن العبث، اللائي اخترن الإسلام طوعًا وسرن في طريق الله.

هذه الصّحوة الإسلامية التي نرى آثارها في المساجد يعمرها المصلون. كنّا نرى قديمًا عمّار المساجد من الشيوخ الكبار الذين أكل الدهر عليهم وشرب! بعد أن يبلغ الإنسان سن المعاش يذهب إلى المسجد، وقلّمًا كنّا نرى في المساجد شابًا.

انظروا: الذين أراهم الآن أمامي في هذا الوقت، والذين أراهم خلفي في صلاة التراويح، هم الشّباب! الذين يملؤون مواسم الحجّ والعمرة، غالبيتهم العظمى من الشّباب!

من الذي صنع هذا؟

الذي صنع هذا هو الإسلام، الإسلام ردّهم إليه ردًّا جميلًا.

هذا الدين قوي لا يضعف، هذا الدين مكين لا يتزلزل، هذا الدين راسخ لا يتزعزع.

في كلّ بلاد الإسلام صحوة والحمد لله، حتّى البلاد التي فرضت عليها العلمانية بالحديد والنّار - كما في تركيا - نرى المدارس القرآنية بالآلاف وعشرات الآلاف! يحفظ الأطفال - ذكورًا وإناثًا - القرآن الكريم.

نرى هذه العودة التي تملأ المساجد برغم أنّ الدستور لا يزال علمانيًا.

الإسلام قوي، والصَّحوة الإسلاميَّة موجودة في كلِّ مكان، ينبغي ألاَّ ننكر هذا.

رأينا هذه الصَّحوة في المجال الثقافي: انتشار الكتاب الإسلامي، وحرص النَّاس على اقتناء الكتب الإسلاميَّة، وظهور مكتبة إسلاميَّة ضخمة في كلِّ ناحية من نواحي الثقافة الإسلاميَّة.

في المجال الاقتصادي: رأينا البنوك الإسلاميَّة، والمؤسَّسات التجارية الإسلاميَّة، وقد كانوا قديمًا يقولون: لا تحلموا بنوك بغير فوائد، إنَّ الاقتصاد عصب الحياة، والبنوك عصب الاقتصاد، والفوائد الربوية عصب البنوك. ولكن الله خيَّب ظنونهم، وظهرت بنوك إسلاميَّة وانتشرت والحمد لله.

في المجال العسكري: ظهر الجهاد الإسلامي في أماكن كثيرة: ظهر في أفغانستان ودحر الروس، ونسأل الله أن يجمع كلمة إخواننا ولا يخزونا أمام الآخرين، وأن يُصلح ذات بينهم... ظهر في فلسطين في حركة المقاومة الإسلاميَّة، في الجهاد الإسلامي، الَّذي أخزى اليهود وأرعب اليهود.

ماذا يفعل اليهود أمام إنسان باع روحه، ووضع رأسه في كفِّه، ولا يبالي ما يصيبه في سبيل الله؟

هذا الشاب الَّذي فعل ما فعل في تل أبيب، أو فعل ما فعل في غزَّة، هذا باع نفسه لله.

مهما أوتيت إسرائيل من الأسلحة الكيماوية والجرثومية والنَّووية لا تستطيع أن تفعل أمام هؤلاء النَّاس المستشهدين في سبيل الله شيئًا.

الجهاد في سبيل الله في كشمير، في الفلبين، في السودان، هذا كُلُّه من عمل الصَّحوة الإسلاميَّة.

إخواننا في البوسنة والهرسك رغم الحصار المفروض عليهم، صمدوا وصبروا وصابروا ورابطوا، وقاوموا الصرب ومَن وراء الصرب، فالصرب ليسوا وحدهم، وراءهم الكاثوليك من الفرنسيين، وراءهم البروتستانت من الإنجليز، وراءهم الأرثوذكس من الروس واليونان، وراءهم هؤلاء جميعًا، ولكن إخواننا صمدوا، واستطاعوا أن يحافظوا على أنفسهم.

كان المفروض أن تسقط «سرايفو» بعد أسبوعين أو ثلاثة، وكانت الاحتفالات معدَّة لهذا، ولكن الله خَيَّب ظنونهم، وضيَّع أحلامهم، ولا زال إخواننا صامدين.

هذه كُلُّها تدلُّ على قوَّة هذا الدين، هذا الدين قوي، ولا يمكن أن يسقط - أيُّها الإخوة.

ثمَّ هناك شيء آخر: العالم كُلُّه في حاجة إلى هذا الدين.

نحن المسلمين أحوج ما نكون إلى شريعة الله، وإلى منهج الله نحكِّمه في حياتنا، حتَّى نطعم من جوع، ونأمن من خوف، ونقوى من ضعف، ونعزَّ من ذلٍّ، ونسعد من شقاء، ونستقرَّ من اضطراب، ونتماسك من تفشُّخ.

المسلمون في حاجة إلى الإسلام، وغير المسلمين في حاجة إلى الإسلام.

الحضارة الغربيَّة التي استطاعت أن تصل إلى القمر، لم تستطع أن تُسعد الإنسان على سطح الأرض!

ما قيمة أن تصل إلى القمر والناس في هذه الأرض أشقياء تعساء؟!

ماذا يصنع الإنسان بحضارة الأضرار الأتوماتيكية والعقول الإلكترونية، وهو غير سعيد النفس، ولا مطمئن القلب، ولا مستقر الحياة؟!

هذا ما يشكو منه الناس، يشكون جوعاً في أرواحهم، ظمأ في نفوسهم، فراغاً في قلوبهم، لم يجدوا العقيدة التي تملأ هذا الفراغ وتجب عن الأسئلة الحائرة التي يسألونها: من أنا؟ ولم خلقت؟ وإلى أين أذهب؟ ولماذا أحياء؟ ولماذا أموت؟

الإسلام هو الذي يملك الإجابات الشافية عن هذا كله، الذي يستطيع أن ينقذ الغرب مما هو فيه هو: الإسلام، الإسلام وحده هو المنقذ.

والدور لنا وليس الدور علينا، كان العالم في وقتٍ ما قيادته شرقية، أيام الحضارات القديمة: الفرعونية والبابلية والكلدانية وغيرها، ثم انتقلت دورة الحضارة وشعلة الحضارة إلى الغرب، فأصبحت القيادة للغرب أيام فلسفة اليونان وحضارة الرومان، ثم انتقلت الشعلة مرةً أخرى إلى الشرق أيام انبعاث الإسلام وحضارة الإسلام وازدهار أمة الإسلام، وظلت الأمة الإسلامية هي الأمة الأولى في العالم قرونًا عديدة، كانت أستاذة العالم وسيدة العالم، ثم انتقلت الشعلة إلى الغرب على يد النهضة الحديثة والحضارة الحديثة.

ولكن الغرب لم يرع الأمانة، أفلس في القيادة، استطاع الإنسان أن يخلق في الهواء كالطير، وأن يغوص في البحر كالحيوت، ولكنه لم يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان.



العالم في حاجة إلى حضارة جديدة وإلى رسالة جديدة، وهذه الحضارة لن تكون إلا حضارة الإسلام، وهذه الرسالة لن تكون إلا رسالة الإسلام.

الغد لنا، والمستقبل لنا، فلا ينبغي - أيها الإخوة - أن نئس أبداً، ولا ينبغي أن نقنط أبداً^(١).

سنظلُّ نعمل ونعمل، ونستمرُّ في العمل والدعوة والجهاد، سندعو إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، سنجادل بالتي هي أحسن، سنعرض بضاعتنا، وبضاعتنا هي هذا الدين، والعالم كله محتاج إلى هذه البضاعة، محتاج إلى هذه الرسالة ﴿وَيَأْتِكُ اللَّهُ إِلَآ أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، وصلى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وآله وصحبه، فادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) راجع كتابنا: المبشرات بانتصار الإسلام، وهي إحدى رسائل ترشيد الصحوة، نشر مكتبة وهبة، القاهرة.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

رثاء الشيخ خليل الحامدي:

قبل الصّلاة بقليل تلقيت رسالة بالفاكس من لاهور في باكستان، تبليغي بوفاة عالم جليل، وداعية من الدعاة الصادقين، هو: الشيخ خليل بن أحمد الحامدي، في حادث مروري أليم. وكان هذا الرجل من الذين نذروا أنفسهم للإسلام، وعاشوا للدعوة إلى الله، وشرّق في البلاد وغرّب.

كان مديراً لدار العروبة والدعوة الإسلامية في لاهور بباكستان، ونشر كثيراً من الكتب الإسلامية وترجمها إلى العربيّة، خصوصاً كتب الأستاذ أبي الأعلى المودودي.

فنسأل الله تعالى أن يغفر له ويرحمه، وأن يتقبّله في الصالحين والشهداء، وأن يجزيه عن الإسلام والدعوة خير الجزاء، وأن يعوّض المسلمين فيه خيراً.

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وعافنا واعف عَنَّا، ولا تُهلكنا بما فعل السفهاء مِنَّا، ولا تسلّط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].



عباد الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
وأقم الصلاة.

* * *



التعددية في الإسلام^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

وحدانية الخالق:

يقوم التصوُّر الإسلامي للوجود على حقيقتين أساسيتين:

الحقيقة الأولى: هي وحدانية الخالق.

والحقيقة الثانية: هي تعددية الخلق.

ولهذا كان التوحيد في الإسلام هو جوهر هذا الدين، وهو أساس هذا البناء كلّهُ، التوحيد رُوح الوجود الإسلامي ﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وهذه كانت دعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً، كلُّ الرسل دعوا قومهم

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَّةِ، فِي ٣ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٤هـ الْمَوْافِقَ ٢٦ دَيْسَمْبَرِ ٢٠٠٣م.



إلى التوحيد ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا
الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، والطاغوت: كلُّ ما يُعبد ويعظم ويطاع طاعة مطلقة
من دون الله، سواء كان من البشر أم من غير البشر.

لقد حرّر الإسلام البشريّة من عبادة غير الله، من عبادة الأشياء أو عبادة
الذوات: عبادة الأشخاص، أو عبادة الأفلاك، أو عبادة الحيوان، أو عبادة
الإنسان، أو عبادة الهوى والذات، وبكلمة موجزة: تحرير البشر من
العبوديّة لغير الله.

كانت رسالة الأنبياء جميعاً التي تركّزت وتجسّدت في الدين الخاتم
- الذي بُعث به محمد ﷺ - أن ينعم الناس بظلال الحرّية، ويتنسّموا
نسيم الحرّية، فقد كان يعبد بعضهم بعضاً، ويذلُّ بعضهم لبعض، ولذلك
رفع الإسلام الجباه أن تسجد لغير الله، والظهور أن تطأطئ لغير الله،
فلا انحناء إلا لله راكعين، ولا تعفير لجهة إلا لله ساجدين.

وكانت رسائل النبي ﷺ إلى قيصر الروم وغيره من أمراء النصارى
تدعوهم إلى هذا التحرّر، ويختمها بالآية الكريمة: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى
كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا
بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].
هذه هي الحقيقة الأولى.

تعدُّدية الخلق:

والحقيقة الثانية - وهي المقصودة بالحديث في هذا اليوم بعد
وحدانية الخالق - هي: التعدُّدية، التعدُّدية في الخلق: التعدُّدية العرقية،
والتعدُّدية اللسانية، والتعدُّدية الدينيّة، والتعدُّدية الثقافيّة، والتعدُّدية
الحزبية، كلُّ هذه التعدُّديات شرعها الإسلام، أنت لست وحدك في هذا



الوجود، لست إلهاً حتّى تكون متوحداً: لا شريك لك، ولا ندّ لك، ولا كفء لك، ولا شبهه لك.

لا، هناك آخرون يشاركونك، وينبغي أنّه يفهم النّاس هذه الحقيقة، أنّ هناك تعدّداً.

هناك تعدّد في الأجناس والعناصر، والله تعالى يقول: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] خلقناكم من ذكر وأنثى، كلّكم أبناء آدم وحواء، وكلّكم أبناء رجل وامرأة، وجعلناكم شعوباً وقبائل، هذا الشعب العربي، وهذا الشعب التركي، وهذا الشعب الهندي، وهذا الشعب الأفغاني، وهذا الشعب الفارسي، شعوباً وقبائل لتعارفوا ولتتفاهموا ولتتعاونوا، لا تتناكروا ولا تتصادموا ولا تتعادوا.

هكذا خلق الله البشر عروفاً وأجناساً كلّها تنتمي لأب واحد هو آدم، وتنتمي لربّ واحد هو الذي خلقها وسوّاها، هو الله تعالى، وهذا ما عرّفه النّبي ﷺ للألوف المؤلفة في حجة الوداع حينما قال: «أيها النّاس، إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، كلّكم لآدم، وآدم من تراب»^(١).

لا بدّ أن يعترف النّاس أن هناك عروفاً وأجناساً مختلفة، وليس لجنس سيادة على جنس؛ كما يدعي اليهود: أنّ الجنس الإسرائيلي هو شعب الله المختار، وعليه أن يسود العالم.

أو كما اعتقد بعض الفلاسفة اليونان: أنّ النّاس يتفاوتون بحكم الخلقة، فمنهم شعب خلق ليسود ويقود ويحكم، وشعوب أخرى خلقت لتقاد وتساق وتحكم، هناك سادة وهناك عبيد.

(١) سبق تخريجه ص ٢٣٢.

أو كما اعتقد الآريون الأوربيون في وقت من الأوقات - مثل: هتلر وغيره - أنَّ الجنس الآري هو سيّد الأجناس، لا بدّ أن يحكّم العالم! أو كما اعتقد رينان وغيره من الفلاسفة المُحدّثين: أنَّ الأجناس تتفاضل، فهناك جنس أفضل من جنس، وعرق خير من عرق.

لا، فهذه المقولات مرفوضة في نظر الإسلام، إنَّ الإسلام يقول: النَّاسُ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمَشِطِّ مُتَسَاوُونَ فِي الْعِبَادَةِ لِلَّهِ، وَالْبَنُوَّةُ لِآدَمَ، إِنَّمَا يَتَفَاوَتُ النَّاسُ بِالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالْإِحْسَانِ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر: ٩]، ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [النِّسَاء: ٩٥]، ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

النَّاسُ تَتَفَاوَتُ بِعِلْمِهَا، وَبِأَعْمَالِهَا، وَبِتَقْوَاهَا، وَبِفَضَائِلِهَا، وَبِمَا تَقَدَّمَهُ لِلنَّاسِ مِنْ خَيْرَاتٍ وَصَالِحَاتٍ.

الأجناس كلّها متساوية، ويجب أن يسع بعضها بعضاً، لا يحاول جنس أن يطغى على جنس، فضلاً عن أن يُبيد جنساً آخر، كما رأينا الأوروبيين عندما ذهبوا إلى أمريكا، أرادوا أن يبيدوا الجنس الأصلي الذي يسكن البلاد «الهنود الحمر»، وقامت مذابح إبادة هائلة.

وكذلك عندما دخلوا أستراليا أعملوا سيف الإبادة في أهلها الأصليين! وحينما دخلوا بلاداً شتّى حاولوا أن يبيدوا عناصر أخرى وأجناساً أخرى!

ليس من حقّ جنس أن يحكّم على جنسٍ بالإبادة.

هذا خلق الله، لهم حق في الاستخلاف في هذه الأرض وعمارتها، كما لكم حقوق في العيش عليها.

بل إن رسول الإسلام ليعلن هذه الحقيقة الكبيرة: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»^(١) حتى أمم الحيوان لا ينبغي أن تُباد، وإن كانت تؤذي الإنسان أحياناً، والرسول هنا يشير إلى الحقيقة القرآنية التي سجّلها القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨].

التعددية اللسانية واللغوية:

هناك التعددية العرقية، وهي حقيقة من الحقائق، وهناك التعددية اللسانية: أن الله خلق الناس تختلف ألسنتهم ولغاتهم، القرآن يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ السِّنِّكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الرؤم: ٢٢] هذا يتكلم بالعربية، وهذا بالفارسية، وهذا بالهندية، والهندية فيها مئات اللغات، وهذا يتكلم بالتركية أو بالسواحلية، فالناس يتكلمون بلغاتهم.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] حتى

(١) رواه أحمد (١٦٧٨٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. وأبو داود في الصيد (٢٨٤٥)، والترمذي في الأحكام (١٤٨٦)، وابن ماجه في الصيد (٣٢٠٥)، عن عبد الله بن مغفل.

وفي الحديث إشارة إلى حقيقة كونية قرّرها القرآن الكريم وهي: أن الكائنات الحية الأخرى - غير العاقلة - لها كينونتها الاجتماعية الخاصة، التي تميّزها عن غيرها، وهذا يعني أنها لم تُخلق عبثاً، ولهذا فلا يحسن الأمر باستئصالها. راجع ما كتبناه في كتابنا: السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة ص ١٤٦، نشر دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م، ورعاية البيئة في شريعة الإسلام ص ٩٢، نشر دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠١م.

الرسالة العالمية - رسالة الإسلام، ورسالة القرآن - جاءت بلسانٍ عربيٍّ مبين، كيف نبّلغها إلى العالم؟

نترجم إلى العالم هذه الرسالة حتّى يعرفوها، ولكن لا بدّ أن نعرّف أن هناك لغات شتّى، وألسنة شتّى مختلفة يتحدّث بها النّاس، وهذه آية من آيات الله تعالى، هناك تعدّدية لسانية ولغوية، ولا ينبغي لأحد أن يضيق بلغة غيره، أو يحاول أن يضيق عليها، أو يتعصّب ضدها.

التعدّدية الدينيّة:

وهناك تعدّدية دينيّة؛ الله تعالى خلق النّاس مختلفين، خلق لكلّ منهم عقلاً يفكر به، ومنحه الإرادة ليُرجّح بها، ومنحه ملكات وقوى ومواهب مختلفة، على أساسها اختار النّاس لأنفسهم.

ولو شاء الله أن يجعل النّاس كلّهم مؤمنين به لفطرهم على التوحيد والإيمان كما فطر الملائكة، ولكن الله خلق من خلقه خلقاً مفطورين على عبادته: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وهؤلاء هم الملائكة.

وخلق من خلقه نوعاً ميّزه بالإرادة والاختيار، هو الذي يقرّر مصير نفسه ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّٰ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ [يونس: ١٠٨]، ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢] أعطاه المشيئة والإرادة والاختيار والقدرة ليقرّر مصيره.

هذا النوع هو الإنسان، لم يشأ الله أن يجبره على دين واحد، وعلى الإيمان به، بل ترك له الحرّية، أعطاه الأدوات التي يفكر بها، وبعث له



الرُّسُل، وأنزل له الكُتُب؛ لتعاونه في اختيار الطريق، ولكنه ترك له الحرية، هكذا خلق الله النَّاس ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هُود: ١١٨، ١١٩].

قال كثير من المفسرين: ﴿وَلِذَلِكَ﴾، أي: للاختلاف خلقهم؛ لأنه خلقهم متغايرين في الفكر والإرادة، فلا بد أن يتغايروا في الدين الذي يختارونه، ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

لا، لا يكره النَّاس على شيء؛ فمن عهد سيّدنا نوح قال لقومه: ﴿أَنْزِلْكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾ [هُود: ٢٨] أنزلكم بالهداية؟

لا، أنتم أحرار فيما تختارون لأنفسكم.

خلق الله النَّاس على أديان مختلفة، ويجب أن يسع أهل الأديان بعضهم بعضاً، لا يُجبر أناس على أن يتركوا دينهم ليعتنقوا ديناً آخر ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولذلك ينبغي أن نسع المخالفين، لا يجوز لنا أن نقهرهم على أن يتبعوا ديننا، وكما لا نجيز لأحد أن يقهرنا على ترك ديننا، أو يمنعنا من طاعة ربنا، لا يجوز لأحد أن يتدخل في دين أحد.

هذه التعددية الدينية هي التي قرّرها الإسلام منذ العهد المكي والعهد المدني، هناك سورة جمعت بين أمرين قد يظنهما بعض النَّاس متناقضين: الاعتزاز بالدين إلى أقصى حد، والتسامح في الدين مع المخالف إلى أقصى حد، هذه السورة هي سورة «الكافرون»، السورة الوحيدة التي خاطب الله فيها الكافرين بعنوان الكافرين؛ فالله تعالى يخاطب الكافرين عادة بـ:

«يا أيُّها النَّاسُ» «يا عبادي» «يا بني آدم»، ولكن قال في هذه السورة: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

كان المشركون يساومون النبي ﷺ ويفاوضونه، يريدونه أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، أي: ليجرب كلُّ منَّا دين الآخر!

هذه المساومات أراد القرآن أن يقطعها بقرار حاسم، فهذا أمر مرفوض، ولذلك قال: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ هذا التكرار والتأكيد مقصود؛ لتثبيت النبي ﷺ والمؤمنين على دينهم والتشبث به، والاعتزاز به إلى آخر مدى.

وفي آخر السورة يأتي هذا التسامح العجيب: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الحياة تتسع لي ولكم، وإن اختلفت أدياننا، لكن المشركين المتعصبين قالوا له: لا، لنا ديننا، وليس لك دينك!

هذا هو التعصُّب بعينه، أن تثبت نفسك، وتنفي من عداك.

هل هناك أديان غير الإسلام؟

ولذلك خطَّأت بعض الإخوة الذين يقولون: لا دين غير الإسلام، مستدلِّين بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩] لا مانع أن تعتقد أن دينك هو الحق، فكلُّ مؤمن بدين يعتقد أن دينه وحده هو الحق، ولا ملام على ذلك.

ومع هذا نقول: هناك أديان أخرى، حتَّى دين المشركين الوثنيين؛ فالله قال لهم على لسان رسوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾، كذلك أهل



الكتاب لهم دينهم ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]، ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾ [المائدة: ٧٧].

هناك أديان أخرى وسعها الإسلام، وعاشت في ظلال الإسلام قرونًا: عاشت النصرانية، وعاشت اليهودية، وعاشت المجوسية، وعاشت الهندوسية، وغيرها من الديانات.

والمسلمون كانوا هم سادة العالم، ولهم القوة الأولى في الدنيا، وكانوا يستطيعون أن يفرضوا عليهم دينهم، وأن يقهروهم على الإسلام، لم يحدث ذلك أبدًا؛ لأنَّ الإسلام لا يقبل إيمانًا فيه شائبة إكراه، الإيمان لا بدَّ أن يكون اختيارًا محضًا، ولذلك لم يُجبر غير المسلمين في وقت من الأوقات على دخول هذا الدين.

وهذا ما قرَّره المستشرقون الغربيون أنفسهم مثل: توماس أرنولد في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»، الذي قال: لم يحدث في تاريخ المسلمين أنَّ جماعة أُجبرت على أن تدخل في الإسلام إكراهًا أبدًا، كان هؤلاء يعيشون في المسلمين كأهل ذمَّة، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، لهم كنائسهم، ولهم صُلبانهم، ولهم نواقيسهم، ولهم أزيائهم، ما أُجبر أحد على أن يغيّر زيه ليكون مثل المسلمين، بالعكس قيل: إنَّهم أمروا أن يلزموا زيهم ولا يغيّروه، وحتى هذا غير ثابت؛ فالإنسان له الاختيار ما دمت تركت له دينه، فمن حقّه أن يعيش بدينه، وأن يقيم شعائره، وأن يؤدّي واجباته.

بل من عجائب التسامح الإسلامي: أنّه لا يجبر الإنسان على أن يترك مباحًا له في دينه ليجامل المسلمين بتركه، لم يجبره على أن يترك

أكل الخنزير أو شرب الخمر، وسمح للنصارى في بلاده أن يعيشوا فيها وهم يشربون الخمر، ويربون الخنازير، ويأكلون لحومها، وهو أمر مباح في دينهم.

حتى إنَّ من أراق خمراً لذمّي، يغرّم قيمتها، كما يرى الإمام أبو حنيفة وأصحابه، وهي في نظر المسلمين جميعاً أمُّ الخبائث ورجس من عمل الشيطان!

هذا هو التسامح الحقيقي، التعددية الدينية تحتاج إلى التسامح، كيف يتسامح الإنسان وهو يعتقد أنَّ دينه هو الحقُّ، وأنَّ غيره هو الباطل، وأنَّ ﴿الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْأِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] لو كان يعتقد هذا كيف يتسامح مع غيره؟! هذا ما يحتاج إلى بيان، فقد يلتبس على كثيرين.

مفاهيم تعين المسلم على التسامح:

من روائع ما جاء في الإسلام: أنَّ المسلم برغم اعتزازه بإسلامه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَتْ: ٣٣] رغم اعتزازه بالإسلام، ومباهاته بالإسلام، ومغالاته بالاعتزاز بهذا الدين، رغم هذا فقد غرس فيه الإسلام من العقائد والمفاهيم والأفكار ما يجعله يتعايش بتسامح منقطع النظير مع المخالفين له.

١ - الاختلاف واقع بمشيئة الله:

من هذه المفاهيم الأساسية: أَنَّهُ عَلَّمَهُ أَنَّ اخْتِلَافَ النَّاسِ وَاقِعٌ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢] هكذا خلق الله النَّاسَ، وَأَنَّ هَذَا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هُود: ١١٨]،

وما دام هذا من مشيئة الله التي لا تنفصل عن حكمته، فلا يعقل أن يقاوم الإنسان مشيئة الله؛ لأنَّ مشيئة الله هي النافذة، وهي الغالبة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

ولهذا استراح المؤمن أن هذا هو ما يشاؤه الله، هل سنعدّل على الله خلقه أو كونه، وقد خلقه هكذا؟! وهو الذي أحسن كلَّ شيء خلقه؟!!

٢ - حساب النَّاس موكول إلى الله وحده:

الأمر الثاني: أنَّ النَّاس إذا اختلفوا، آمنوا أو كفروا، اهتدوا أو ضلُّوا، صلحوا أو فسقوا، ليس حسابهم في هذه الدار، وإنَّما هناك دار أخرى للحساب والجزاء، والذي يتولَّى الحساب والجزاء فيها هو: الله تعالى، وهذا يطمئننا فإنَّ الذي يجزي الجميع ربُّ عادل لا يظلم أحداً.

يقول القرآن: ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ * ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ * [الحج: ٦٨، ٦٩]، ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ * [الشورى: ١٥]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ * [الحج: ١٧].

٣ - احترام آدمية الإنسان:

الأمر الثالث: أنَّ الإسلام يكرِّم الإنسان من حيث هو إنسان؛ فالإنسان من حيث آدميته مكرَّم في هذا الدين ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَلَدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ * [الإسراء: ٧٠]،

فأسبغ الله على الإنسان نعمه ظاهرة وباطنة، وجعله خليفة في الأرض؛ فالإنسان هو زبدة هذا الوجود، وهو الذي كَرَّمه الله تعالى بغض النظر عن لون عينيه، أو نعومة شعره أو جعودته، أو لونه أبيض أو أسود، أو أنفه كيف هو.

الإنسان مكرم عند الله من حيث هو إنسان، بغض النظر عن لونه أو عرقه أو طبقته، بل عن دينه، روى الشيخان في صحيحهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرُّوا عَلَيْهِ بِجَنَازَةٍ، فَقَامَ لَهَا وَاقِفًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا جَنَازَةٌ يَهُودِي! قَالُوا ذَلِكَ مُتَعَجِّبِينَ مِنْ قِيَامِهِ وَاحْتِرَامِهِ لَهَا، فَقَالَ ﷺ: «أَلَيْستَ نَفْسًا؟!»^(١) أَلَيْستَ نَفْسًا بَشَرِيَّةً؟!!

فما أروع الموقف، وما أروع التعليق!

النَّفْسُ الْبَشَرِيَّةُ مَكْرَمَةٌ مَعْصُومَةٌ مَصُونَةٌ فِي الْإِسْلَامِ ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

هذا هو الأمر الثالث الذي يمحو به الإسلام التعصُّب من نفسية المسلم، ويغرس فيها التسامح والأفق الواسع.

٤ - الإنصاف والعدل مع الجميع:

الأمر الرابع: أَنَّ الْإِسْلَامَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ مَعَ النَّاسِ جَمِيعًا، مَعَ مَنْ تَحَبُّ، وَمَعَ مَنْ تَكْرَهُ، مَعَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ، مَعَ الصَّدِيقِ وَالْعَدُوِّ، مَعَ الْمُسْلِمِ وَالْكَافِرِ، مَعَ الْمَسَالِمِ وَالْمُحَارِبِ، الْعَدْلُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا.

(١) سبق تخريجه ص ٦٢.

هذا هو عدل الله لكلّ عباد الله، وهذا ما ينبغي أن يراعيه المسلم، يقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

هذا عدل مع من تحبُّ.

ويقول في الآية الأخرى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلّٰهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ [المائدة: ٨] لا يحملنكم شنائهم يعني: شدة بغضهم لكم، أو شدة بغضكم لهم، لا يحملنكم هذا على ألا تعدلوا ﴿أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٨].

العدل مع الجميع.

ولما حاول اليهود أن يرشوا سيّدنا عبد الله بن رواحة، وهو يُقدّر ما يجب عليهم في النّخل، كانوا قد عاملهم النّبي ﷺ على أن يزرعوا الأرض ويعطوا النّبي النّصف ولهم النّصف، وكانت طريقتهم: خرص النّخل، يعني: تقدير ثمر النّخل تقديرًا تقريبيًا، كم تحمل النّخلة، وكان الرسول ﷺ يترك لهم الحرّية في الأكل من النّخل أو التصرف فيه بعد الخرص.

ووكّل النّبي ﷺ أمر هذا التقدير للخبراء، وكان من هؤلاء الخبراء: سيّدنا عبد الله بن رواحة، فأراد اليهود - على طريقتهم - أن يرشوه حتّى يقلّل ما يجب عليهم من النّخل، فقال لهم: يا أعداء الله ترشونني! والله لأنتم أبغض إليّ من القردة والخنازير، ولرسول الله أحبّ إليّ من نفسي، ولكنّي - والله - لا أحيف عليكم مثقال ذرة!

فقالوا: هذا هو العدل الذي به قامت السماوات والأرض^(١)!

العدل مع النَّاس جميعًا، بهذا غرس الإسلام رُوح التسامح مع المخالفين، فلا يضيق المسلم بمن يخالفه، يعاملهم بالعدل والرحمة والقسطاس المستقيم، ويعلم أنَّ الأرض تسعه وتسعهم.

التعدُّدية الثقافية:

هذه هي التعدُّدية الدينيَّة، والتعدُّدية الدينيَّة تترتب عليها تعدُّدية ثقافيَّة، فما دام النَّاس يتعدَّدون دينيًّا فلا بدَّ أن يتعدَّدوا ثقافيًّا، هناك من الناحية الثقافيَّة ما يتصل بالحياة ومفاهيمها، وتقاليدها، وعادات النَّاس فيها.

النَّاس تختلف في هذه الأمور كلَّها، يختلفون في ملابسه، وماكلهم، ومشاربهم، ومساكنهم، لكلِّ جماعة طريقة اتخذتها، ناس تأكل أشياء، وناس ترى هذه الأشياء سيئة جدًّا لا تؤكل، ناس تبني بيوتها بطريقة، وناس تبني بطريقة أخرى، ناس تتكلَّم بلغة وتكتبها بطريقة، والآخرين يكتبون بطريقة أخرى، هناك من يكتب اللغة بطريقة الخطوط، والحروف عبارة عن خطوط، وناس تكتبها في خطوط ونقط فوقها وتحتها كما هي العربيَّة، وناس تكتب اللغة بالصور، يعني: حروفها عبارة عن صور مثل: اليابانية والصينية والكورية، وناس تكتب من اليمين إلى الشمال، وناس تكتب من الشمال إلى اليمين، وناس تكتب من فوق إلى أسفل كتابة رأسيَّة.

النَّاس يختلفون في هذه الأمور.

(١) رواه أحمد (١٤٩٥٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده قوي على شرط مسلم. والطحاوي في شرح معاني الآثار (٣٠٩٥)، وصحَّحه الألباني في غاية المرام (٤٥٩)، عن جابر بن عبد الله.



والإسلام قدّر هذا الاختلاف في ثقافة النَّاس، ووسّع هؤلاء جميعًا، وكان في الحضارة الإسلاميّة وفي الديار الإسلاميّة أناس من كلّ هذه الأنواع، لم يفرض على النَّاس لونًا معيّنًا من المآكل أو المشارب، تريد أن تأكل بطريقة مُعَيَّنة كلّ كما شئت، تلبس لباسًا معيّنًا، البس كما شئت، ما فرض على النَّاس شيئًا من التقاليد يجب أن يفعلوه مجارة للمسلمين حتّى لا يتميزوا عن المسلمين.

النَّاس لهم الحرّية في ثقافتهم وتقاليدهم وأعرافهم وعاداتهم، لم يتدخل المسلمون في هذا الأمر.

تنوّع الثقافات يثري الحضارة:

والحضارة الإسلاميّة شاركت فيها أنواع عدّة من العناصر والأجناس والأديان المختلفة، وكلّ له ثقافة، وكلّ تركّ له بصمة في ناحية من النّواحي، وهذا من التنوّع، فالتنوّع فيه إثراء وغنى للحضارات.

والحضارة التي تقوم على شكل واحد، ولون واحد، وصورة واحدة، هذه الحضارة فقيرة.

الحضارة الغنية الخصبة: هي التي تأخذ من الجميع، وتستفيد من الجميع، وتقتبس من الجميع، هذا هو التنوّع.

والتنوّع ظاهرة كونيّة، أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانُ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٧، ٢٨].

العلماء هم الذين يعرفون أسرار الله في الكون، يعرفون أسرار اختلاف الألوان، التنوّع يعبر عنه القرآن باختلاف الألوان، أي: اختلاف

الأنواع والأصناف، وبهذا تثرى الحياة، وتزدهر، لا نفرض على الناس لوناً واحداً، ونحاول أن نبين الألوان الأخرى.
هذه التعددية الثقافية.

التعددية السياسية والحزبية:

وهناك التعددية الحزبية، التي يتحدثون عنها في الفكر السياسي والعلوم السياسية، وهو: أنَّ الدولة لا بدَّ أن تسمح بتعدد الأحزاب والجماعات، وهذا ما يتغنُّون به في النظام الديمقراطي، ويقولون: النظام الديمقراطي هو الذي يسمح بالتعددية السياسية والتعددية الحزبية.

وهذا ما جاء به الإسلام من قديم، وترك للناس أن يعبروا عن آرائهم، وأن يخالفوا الحاكم، سواء كان المخالفون أفراداً أم جماعات.

معارضة الأفراد للحاكم:

يقول سيّدنا أبو بكر الصديق خليفة المسلمين الأوّل: «إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم»^(١).

وعمر بن الخطاب يقول: من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقوّمني.
فقام بعض الناس وقال: لو رأينا فيك اعوجاجاً يا ابن الخطاب لقوّمناه بحدّ سيوفنا.

(١) رواه الطبري في تاريخه (٢١٠/٣)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٤١٥/٩)، وصححه إسناده، عن أنس. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

لم يقل عمر: اقبضوا على هذا الرجل الإرهابي، ضعوه في السجون!
أو ابحثوا عن مصدر السيوف التي يريد أن يقاومني بها!
لم يقل هذا، بل قال: الحمد لله الذي جعل في المسلمين من يقوم
اعوجاج عمر بحد سيفه^(١)!

معارضة الأحزاب للحاكم:

وعلي بن أبي طالب كان يعارضه حزب، ولم يكن مجرد أفراد
يعارضونه، بل هو في الواقع: حزب له مبادئه وأفكاره ومنطلقاته، كان
يُسمَّى: «حزب الخوارج»، وهو حزب قوي ومسلح، وقامت بينه وبينهم
معارك انتصر فيها عليهم.

هذا الحزب له مبادئه في تكفير مرتكب الكبيرة، وفي معارضة
الحكام وغير ذلك.

وحينما أراد علي رضي الله عنه أن يحاربهم، عندما قاوموه مقاومة مسلحة،
أرسل إليهم قبل ذلك عبد الله بن عباس؛ ليناقشهم ويجادلهم ويحاجهم
بالمنطق القرآني، والمنطق الإسلامي، وقد حاجَّهم فحجَّهم وغلبهم،
ورجع منهم عدَّة آلاف^(٢)، وبقي الآخرون مصرِّين على رأيهم.

هؤلاء قالوا لعلي بن طالب: إن الحكم إلا لله، يريدون: أنه خرج عن
المبادئ الشرعية حينما حكم الرجال في دين الله.

(١) ذكره علي بن خلف في كفاية الطالب الرباني على رسالة ابن أبي زيد (١٩١/١)، تحقيق محمد
محمد تامر، نشر مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة. ورواه ابن أبي شيبه في الزهد (٣٥٦٢٩)
بنحوه بدون ذكر السيف.

(٢) حديث طويل رواه الحاكم في قتال أهل البغي (١٥٠/٢، ١٥١)، وصحَّحه على شرط مسلم،
ووافقه الذهبي.

فردّ عليهم قائلاً: كلمة حقّ يُراد بها باطل.

صحيح أنّ الحكم لله، أي: التشريع الأعلى لله، ولكن ليس معنى هذا ألا يختار الناس في شؤونهم من يحكمونهم في النزاعات، الله حكّم في نزاعات أقل من هذا شأنًا، فقد حكّم في الأسرة فقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ [النساء: ٣٥]، وفي شؤون الصيد في حالة الحجّ والإحرام: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَلِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥].

ثمّ قال لهم علي بن أبي طالب: لكم علينا ثلاث:

- ١ - ألا نمنعكم مساجد الله أن تصلّوا فيها معنا.
- ٢ - وأن نعطيكم حقّكم في الفياء والغنيمة، إذا كانت سيوفكم مع سيوفنا.
- ٣ - وألا نبداكم بقتال، أي: ما دمتم مغمدين سيوفكم في جراتها وأغمادها لا نبذوكم بقتال^(١).

أرأيتم توسعه أكثر من هذه؟

حزب معارض وأفراده مسلّحون؛ لأنّ الناس في ذلك الزمن كانت بطبيعة الحال كلّ معه سلاحه، ولكن قال لهم: لن نبداكم بقتال، ما دمتم لا تشهرون سيفًا على إخوانكم.

تسامحنا وتسامحهم!

هذه هي التعدّدية السياسيّة، الإسلام يقرّ التعدّدية بكلّ ألوانها وصورها، ويعلم المسلمون: أنّ الحياة تتسع للمخالف، ولا بدّ أن يُربّى

(١) رواه ابن أبي شيبة في الجمل (٣٩٠٨٥)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٨٤/٨).

النَّاس على هذه الحقيقة، أن يسع بعضهم بعضًا، ويقبل بعضهم بعضًا، وتتسع صدورهم لمخالفهم في العقيدة، أو في الفكر، أو في اللون، أو في اللسان، أو في العرق، أو في الثقافة. يجب أن يُربَّى النَّاس على هذه الحقيقة.

ولذلك نستغرب أنَّ أوروبا التي تقول: إنَّها أم الديمقراطية وأم الحرية تحاول أن تضغط على بعض مواطنيها حتَّى يفقدوا شخصيتهم الدينيَّة، وحرَّيتهم الدينيَّة، وتفرض عليهم الأغليَّة بقرار منها، ومعنى ذلك: أن تصبح الأكثرية ديكتاتورية مسلَّطة تفرض رأيها على الأقلية، وتذيبها بالقوة، ولا تبقي لها أي شخصيَّة دينيَّة أو ثقافيَّة.

لقد كان الإسلام أعرق منهم في إقامة التعدُّدية بكلِّ ألوانها وبكلِّ صنوفها، ولهذا عاش النَّاس في بلاد المسلمين يعرف بعضهم حقوق بعض، ويتسع بعضهم لبعض، ويتفاهم بعضهم مع بعض، ويتعاون بعضهم مع بعض، بقيت المساجد والكنائس، في كثير من الأحيان متجاورة، يسمع النَّاس أذان المؤذِّن، ويسمعون دقَّات النواقيس في بلاد الإسلام، لم يضق صدر المسلمين بهذا، بل بقوا متفاهمين متعاونين، وهذا هو الدين السَّمح، الدين صاحب الأفق الواسع الرحب، دين الإسلام.

ونسأل الله تعالى أن يوفِّقنا لفهم هذا الدين، وحُسن الالتزام به، وحُسن الدعوة إليه، إنَّه سميع قريب مجيب.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

شائعة احتساب يوم الجمعة في قطر يوم عمل:

يَعْلَمُ الْإِسْلَامُ الْمُسْلِمَ أَنَّ يَكُونُ صَادِقًا فِي قَوْلِهِ وَفَعْلِهِ وَنِيَّتِهِ، وَأَلَّا يَشِيعَ إِلَّا الصَّدَقَ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الصَّادِقِينَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

وَحَذَّرَ مِنَ الْكَذِبِ وَاعْتَبَرَهُ مِنْ خِصَالِ النِّفَاقِ، بَلْ مِنْ خِصَالِ الْكُفَّارِ ﴿يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل: ١٠٥]، وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَلَّا يَقُولَ الْكَذِبَ أَبَدًا، يَنْبَغِي أَنْ يَمْتَنَعَ عَنِ الْكَذِبِ إِلَّا لِمُضْرُورَاتٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الْحَرْبِ، أَوْ فِي الْإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، أَوْ فِي إِرْضَاءِ الزَّوْجَةِ، وَحَذَّرَهُ - أَيْضًا - مِنْ أَنْ يَقُولَ الْكَذِبَ، لَا يَقُولَ الْكَذِبَ، وَلَا يَنْقُلَ الْكَذِبَ.

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَتَحَرَّى فِي نَقْلِ الْكَلَامِ، يَسْمَعُ كَلِمَةً مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَاكَ فَيُطِيرُ بِهَا فِي الْآفَاقِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي هَذَا الْكَلَامِ مَا يَضُرُّ بِفَرْدٍ مَعِينٍ، أَوْ يَضُرُّ بِأُسْرَةٍ مَعِينَةٍ، أَوْ يَضُرُّ بِفِئَةٍ فِي الْمَجْتَمَعِ، أَوْ يَضُرُّ بِالْمَجْتَمَعِ كُلِّهِ، وَلِذَلِكَ حَذَّرَ الْإِسْلَامُ مِنْ هَذَا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

كَثِيرًا مَا يَتَسَاهَلُ بَعْضُ النَّاسِ الطَّيِّبِينَ فِي نَقْلِ الْكَلَامِ الْكَذِبِ، وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كَذِبٌ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَتَحَرَّوْا، الْمُسْلِمُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَحَرَّى الصَّدَقَ، الْكَلَامَ الَّذِي لَا يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّهُ صَدَقَ لَا يَشِيعُهُ.

أضرب لكم بعض الأمثلة:

كثيرًا ما أغيب عن هذا المنبر لظروف معينة، بعضها صحي، وبعضها للأسفار، فيشيع الناس: الشيخ القرضاوي مُنع من الخطابة، ويسألني بعض الناس: هل مُنعت؟

فأقول: يا أخي، ما مُنعت، فقد صار لي أكثر من أربعين سنة ما منعني أحد. كذلك أسافر بعض الأسابيع فأغيب يوم الأحد عن برنامج «الشريعة والحياة» فيقولون: مُنع الشيخ، حتّى اتصل بي بعض الإخوة يقولون: هل مُنعت من «الشريعة والحياة»؟

وأحدهم يقول: هل ألغي برنامج «الشريعة والحياة»؟
من قال هذا؟

البرنامج موجود، حتّى عندما أغيب تقدّم فيه بعض الناس.
الآن اتصل بي بعض الناس ويسألون: هل قطر قرّرت أن تلغي يوم الجمعة، وتجعله يوم عمل، وتجعل الإجازة يوم السبت ويوم الأحد؟
فقلت: يا أخي، هذا لا أصل له، وقد سألت أكثر من شخص من المسؤولين، وليس لهذا أساس من الحقيقة، قطر بلد عربي، وبلد مسلم، يوم كانت قطر تحت الانتداب الإنجليزي، وكان هنا مستشار بريطاني مسموع الكلمة، بقيت قطر وإجازتها يوم الجمعة، لماذا يشيع الناس هذه الإشاعة عن هذا البلد العربي المسلم ويثيرون البلبلة في النفوس؟

لا ينبغي للمسلم أن يكون أسير هذه الإشاعات، قطر بلد عربي مسلم إجازته يوم الجمعة، كانت الخميس والجمعة، ليس هناك مانع أن تصبح

الجمعة والسبت، إنّما يوم الجمعة هذا يوم أساسي في البلد، وينبغي أن يعرف الناس هذه الحقيقة.

قطر رأسست المؤتمر الإسلامي سنوات، وكان لها موقف جيد في شتى القضايا الإسلامية، ومساعدة البلاد الإسلامية المختلفة، ومساعدة الجمعيات الإسلامية.

فلا ينبغي أن نصدق مثل هذه الإشاعات، ونتحرى فيما نقوله وفيما نسمعه، الكاذب آثم، ومشيع الكذب مشارك في الإثم، بل ربّما كان أكبر إثما منه؛ لأنّ الذي يقول الكلمة يقولها في نطاق محدود، والذي يشيعها ينشرها في الآفاق، ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

التبّين والتثبت هو صفة الإنسان المسلم الذي لا يدور مع كلّ دائر، ولا يطير مع كلّ طائر، بل شأنه التثبت، ومراعاة الصدق، واتّباع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

* * *



الثقافة الإنسانية المنشودة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الثقافات المغلوطة وأثرها:

ما تعانيه البشرية اليوم من حروب وكروب، ومن آفات وويلات، ومن صراعات لا تنتهي، سببها: الثقافات المغلوطة التي تُلقن للناس، وتجعل البشر بعضهم أعداء لبعض، ويكيد بعضهم لبعض، ويمكر بعضهم ببعض، ويستعلي بعضهم على بعض.

ولو أَنَّ البشر لَقَّنُوا ثقافة سليمة قوينة لهدتهم من ضلالة، وعَلَّمْتَهُمْ من جهالة، ولَعَلَّمْتَهُمْ ثقافة الحوار بدل ثقافة الصراع، وثقافة المحبة بدل ثقافة الكراهية، وثقافة السلم بدل ثقافة الحرب، وثقافة التسامح بدل ثقافة التعصُّب، وثقافة التعايش بدل ثقافة التهاوش، وثقافة التنوع بدل ثقافة الانفراد، وثقافة المساواة بدل ثقافة الاستكبار، وثقافة الانقياد للحق بدل ثقافة المباهاة بالقوة.

(١) أُلْقِيَتْ فِي جَامِعِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُلُوْحَةِ فِي ١٧ ذِي الْقَعْدَةِ ١٤٢٤هـ الْمَوْافِقُ ٩ يَنَآيِرَ ٢٠٠٤م.

مصدر الثقافة الحقيقيّة:

لو أنّ البشر لقّنوا هذه الثقافة السليمة النيرة ما رأينا ما نراه في العالم اليوم، ولكن البشر تقودهم ثقافات شيطانية أفسدت عليهم مفاهيمهم، وأفسدت عليهم سلوكهم، وأفسدت عليهم ضمائرهم، وأفسدت عليهم علاقاتهم، وأفسدت عليهم حياتهم كلّها.

الثقافة الحقيقيّة هي التي تنطلق من منهج قويم، مؤسّس على معرفة صحيحة بالإنسان وبالحيّة وبالعالم والوجود، ولا يتمّ هذا إلاّ بوحي من الله الذي لا يضلّ ولا ينسى.

وهو ما جاء به هذا الدين الخاتم الذي بعث الله به خاتم رسله، وأنزل به آخر كتبه القرآن الكريم، وهدى النّاس فيه للتي هي أقوم، وأرشدهم إلى الصّراط المستقيم، الذي يسأله النّاس ربّهم كلّ يوم سبع عشرة مرّة على الأقل ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] الذي لا عوج فيه ولا انحراف، ولكنّه يوصل إلى الغاية من أقرب طريق، صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض.

هذا الصّراط هو الذي يقوم العوج، ويصلح الفساد، ويحيي الضمائر، وينور العقول، ويهدي النّاس إلى طريق الحقّ لا طريق الباطل.

ثقافة الحوار لا الصراع:

يغرس في النّاس ثقافة الحوار، وما يسميه القرآن: «الجدال بالتي هي أحسن»، وهو جزء من المنهج الأساسي للدعوة الإسلامية، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]؛ فالمسلمون مأمورون بالحوار، وليس شيئاً اختيارياً أو تطويعاً لهم، إن شاؤوا فعلوه، وإن شاؤوا تركوه.

لا، بل هو أمرٌ من الله للمسلم بأن يدعو الموافقين بالحكمة والموعظة الحسنة، ويدعو المخالفين بالجدال بالتي هي أحسن، خصوصاً أهل الكتاب؛ فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، حصر الجدال في هذه الطريقة، بمعنى: أنه لو كانت طريقة حسنة وطريقة أحسن منها، فالمسلم مطالب أن يجادل بالتي هي أحسن، الطريقة التي هي أمثل وأجود في كسب القلوب، وفي كسب الخصوم، وفي تقريب المتباعدين ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

أي: اذكروا القواسم المشتركة، اذكروا النقاط التي تجمع بينكم وبين خصومكم، لا نقاط التمايز والاختلاف.

هكذا يأمر القرآن أتباعه بهذا الحوار بالحسنى ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ لا بالتي هي أحسن.

وهكذا يلقي الإسلام أتباعه ثقافة الحوار، لا ثقافة الصراع، ولا ثقافة الإملاء أو الإكراه، فهو لا يقبل الإكراه، ولا يعترف بنتائجه لو حدث، كما قال تعالى في القرآن المكي ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقال في القرآن المدني: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والقرآن كتاب مليء بالحوار: بين الرسل وأقوامهم، كما ترى في حوار نوح لقومه، وحوار إبراهيم لقومه، وحواره لأبيه، وحوار موسى لفرعون، وكذلك غيرهم من الرسل.

بل نجد في القرآن حوار الله تعالى لخلقه، كما في حوارهِ للملائكة حين أراد أن يخلق آدم ويستخلفه في الأرض، بل نجد في القرآن حوار الله جلَّ شأنه مع شرِّ خلقه إبليس، كما في سورة الأعراف والحجر والإسراء وص.

وبهذا كله تتركز في العقول والضمائر ثقافة الحوار.

ثقافة السَّلام لا الحرب:

وكذلك يلقن الإسلام أتباعه ثقافة السَّلام لا ثقافة الحرب، إنَّه لا يخوض الحرب إلَّا مُكرهاً، ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ولكن إذا استطاع أن يتجنَّب الحرب فيها ونِعمت، ولذلك علّق الله تعالى في كتابه على غزوة الأحزاب التي حوَّص فيها المسلمون، وأريد فيها تصفيتهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم، وجأؤوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظن النَّاس بالله الظُّنون، القرآن الكريم يعلِّق على هذه الغزوة، بعد أن أنزل الله جنوداً لم يرها النَّاس، وأرسل على المشركين ريحاً خلعت خيامهم، وأكفأت قدورهم، وفعلت بهم ما فعلت، ورجعوا مهزومين، يقول القرآن الكريم معلّقاً على هذه الأحداث: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالُ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

الإسلام إذن لا يتشوّف للقتال، ولا يتعطّش للدماء، بل إذا انتهت معركة بغير دماء فأهلاً ومرحباً، كفى الله المؤمنين القتال.

ففي صلح الحديبية أنزل الله سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، وقال أحد الصَّحابة: أفتح هو يا رسول الله!

قال: «نعم، هو فتح»^(١).

لم يتصور فتحًا بغير حرب، ولكن الرسول قال له هذا، والقرآن أنزل هذه السورة كلها في هذه القضية ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حَتَّى امْتَنَّ بِكَفِّ أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ عن المشركين.

الإسلام يلقن أتباعه ثقافة السَّلام لا ثقافة الحرب، ولكن إذا اضطر المؤمنون إلى أن يحاربوا دفاعًا عن أنفسهم فليكونوا رجالًا، وليذلوا أرواحهم، وليضعوا رؤوسهم على أكفِّهم، ولذلك جاء في «الصحيحين»، عن عبد الله بن أبي أوفى: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، ولكن إذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»^(٢).

لا نتمنى لقاء العدو، ومقارعة السيوف، بل نتمنى السَّلام والسَّلامة دائمًا، ولكن إذا أجبرنا الأعداء على أن نخوض المعركة: خضناها رجالًا أبطالًا، لا نبخل بنفس ولا بنفيس، ولا نضن بغال ولا رخيص في سبيل ديننا وعقيدتنا. الإسلام يغرس في نفس المسلم ثقافة السَّلام، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ كَلِمَةَ «حَرْبٍ» ويقول: «أَقْبَحُ الْأَسْمَاءِ حَرْبٌ وَمُرَّةٌ»^(٣). لا يحبُّ للمسلمين أن يتسمَّوا باسم: «حَرْبٍ» كما كان أهل الجاهليَّة يفعلون.

(١) رواه أحمد (١٥٤٧٠)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الجهاد (٢٧٣٦)، وابن أبي شيبه في المغازي (٣٨٠٠٢)، والحاكم في قسم الفيء (١٣١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن مجمع بن جارية.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري (٢٩٦٥، ٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢)، كلاهما في الجهاد.

(٣) رواه أحمد (١٩٠٣٢)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٥٠)، والنسائي في الخيل (٣٥٦٥)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٠٤٠)، عن أبي وهب الجشمي. وعلل ابن قتيبة قبح اسم «حَرْبٍ» لما في الحرب من المكاره. غريب الحديث لابن قتيبة (٢٨٧/١)، تحقيق د. عبد الله الجبوري، نشر مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٣٩٧هـ.

ثقافة الحب لا الكراهية:

والإسلام يغرس في نفس المسلم ثقافة المحبة لا ثقافة الكراهية، يغرس الإسلام في نفس المسلم أن يحب الله تعالى؛ فهو مصدر الجمال، ومصدر الجلال، ومصدر الكمال، ومصدر الإحسان ﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

كلُّ ما ننعم به من خيرات وبركات إنما هي من الله، والإنسان يحبُّ من أحسن إليه، الإنسان أسير الإحسان:

أَحْسِنَ إِلَى النَّاسِ تَسْتَعْبِدَ قُلُوبُهُمْ فَطَالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانُ إِحْسَانُ^(١)

فكيف بمن يصدق عليك النعم من رأسك إلى قدميك، من يوم وُلدت وإلى أن تموت، ومن قبل أن تولد، حتَّى وأنت جنين في بطن أمك نعم الله تعالى عليك تتوالى، أحبُّوا الله، ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

المؤمن يحبُّ ربَّه تعالى، ويحبُّ رسوله الذي أتى إليه بهداية الله تعالى، «ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يحبَّ المرء لا يحبُّه إلَّا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار»^(٢).

حُبُّ الله، وحبُّ رسوله، وحبُّ المؤمنين ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

(١) من شعر أبي الفتح البستي. انظر: قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

يحبُّ كلَّ من أحبَّ الله، كلَّ من سار في طريق الله، كلَّ من سعى في عمل الخير، يحبُّه المسلم؛ لأنَّه موصول بالله، ما دام يحبُّ الله فيحبُّ كلَّ من اتصل حبله بالله.

والإنسان لا يتصل حبله بالله إلا بعمل الصالحات، واستباق الخيرات، واجتناب السيئات، فحبُّ الله، وحبُّ أحباب الله من المؤمنين: يشيع الخير، ويشيع الحق، وينصر الحق، ويتعاون النَّاس على البرِّ والتقوى، يحبُّ المسلم الله ويحبُّ المؤمنين.

حتى غير المسلمين ممَّن لا يعادون المسلمين ولا يحاربونهم: يحبُّهم المسلم ويتمنَّى لهم الخير، ويبرِّهم ويقسط إليهم ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

كلُّ من فعل خيراً أحبَّه المسلمون ولو كان غير مسلم، كلُّ من أسدى معروفًا، كلُّ من قدَّم خدمة للإنسانية يضر له المسلم الخير، حتَّى الكافر يُشفق المسلم عليه، ويتمنَّى له الهداية، ويسأل الله أن يختم له بخير، لا يعادي إلا من عادى الله ورسوله، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

المسلم ينظر إلى أبناء البشر جميعًا - على اختلاف أجناسهم وألوانهم - على أنَّهم أسرة واحدة، وأنَّهم إخوانه في الإنسانية، وصلتهم رحمُ البنوة لأدم.

وفي هذا يقرأ المسلم هذا النداء الرباني الشامل في أول سورة النساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وما أجدر كلمة «الأرحام» المذكورة في هذه الآية: أن تشمل - فيما تشمل - الأرحام الإنسانية العامة بدلالة السياق، واقتضاء المقام؛ فالله تعالى يقول: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ ومن هذه النفس الواحدة تفرعت الذرية كلها، هناك رحم مشتركة بين بني الإنسان جميعاً، وكما قال الشاعر المسلم:

إذا كان أَصْلِي من تُرَابٍ فَكُلُّهَا بلادي وكلُّ الْعَالَمِينَ أَقَارِبِي^(١)

هذا هو الأفق الواسع الذي ينظر منه المسلم، الإسلام يغرس في نفس المسلم حبَّ الله، وحبَّ رسوله، وحبَّ المؤمنين، وحبَّ الإنسانية، وحبَّ الحياة، وحبَّ الموت، يحبُّ كلَّ ما حوله، حتَّى إِنَّ الرِّسُولَ ﷺ حينما قدِم من تبوك، وبدت له المدينة من بعيد قال: «هذه طابة - وطابة أو طيبة هي المدينة - وهذا أُحُد، جبل يحبُّنا ونحُبُّه»^(٢).

انظر إلى هذا الوجدان الحي، إلى هذا القلب الكبير، الذي يقول عن جبلٍ من جبال الطبيعة، وقعت تحته واقعة انكسر فيها المسلمون، وفقدوا فيها مَنْ فقدوا، فقدوا سبعين من أبطالهم، منهم: عمُّ رسول الله، وأسدُّ رسوله: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وفلان وفلان من الصَّحابة الكرام، كان يمكن أن يتطير أو يتشاءم من هذا الجبل، ولكنه

(١) هو أبو العرب: مصعب بن محمد الصقلي. انظر: خريدة القصر وجريدة العصر ص ٢٢٣، قسم شعراء المغرب والأندلس، تحقيق آذرتاش آذرنوش، نشر الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٨١، ١٤٨٢)، ومسلم في الحج (١٣٩٢)، عن أبي حميد.

قال: «هذا أحد، جبلٌ يحبُّنا ونحُبُّه». يا عجبًا، كأنَّ للجبل قلبًا، وكأنَّ له مشاعر وأحاسيس، فهو يُحِبُّ ويُحَبُّ، هذا جبلٌ يحبُّنا ونحُبُّه. وهذه هي الثقافة التي يغرستها الإسلام.

ثقافة التنوع لا الانفراد:

كما يغرَس الإسلام في نفس المسلم: ثقافة التنوع، لا الثقافة الأحادية التي ترفض كلَّ ما سواها، ولا تسمح له بالعيش معها.

وقد حدَّثتكم منذ جمعيتين عن التعدُّدية، الإسلام يقرُّ التعدُّدية، يقرُّ ظاهرة التعدُّد والتنوع واختلاف الألوان، ولا يفرض لونا واحداً على النَّاس؛ فالنَّاس تختلف أديانهم، وتختلف أعراقهم، وتختلف ألوانهم، وتختلف ألسنتهم، وتختلف بلادهم وأوطانهم، وتختلف ثقافتهم، هذا التنوع حقيقة من حقائق الكون.

فعلى الإنسان المسلم أن يقرَّ بهذه الحقيقة الكونية، والحقيقة البشريَّة، ولا يحاول أن يفرض لونا واحداً على النَّاس، ويلغي ما عداها من الألوان والأنواع، كما تريد أن تفعل بعض القوى العظمى الآن، تريد أن تفرض نوعاً من الثقافة، ونوعاً من التقاليد، وتجبر الآخرين على أن يلغوا ثقافتهم، ويلغوا تقاليدهم، ويخرجوا عن دينهم؛ ليخضعوا لمنظومتهم القيمية والفكرية!

هذه ليست ثقافة سوية، ولا ثقافة مَرْضِيَّة.

الإسلام يغرَس التنوع، لا يجوز أن تنفرد ثقافة واحدة، ولا ينفرد دين واحد، ولا ينفرد لسان واحد، أو لغة واحدة لتفرض على النَّاس ويلغي ما عداها.

فالإسلام لا يقبل هذا، الإسلام يغرس ظاهرة التنوع وقبول هذا التنوع في البشر؛ لأن الله هو الذي أراد هذا ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿[هُود: ١١٨، ١١٩].

ثقافة التسامح لا التعصّب:

ويغرس الإسلام كذلك في أنفس أتباعه: ثقافة التسامح لا التعصّب.

فهو رغم أنّه يلقّن أتباعه أنّه دين الحقّ، وهو الدين المقبول عند الله ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

رغم هذا، يلقّن المسلم مفاهيم أساسية يعتقدونها ويؤمن بها، لا تثمر إلا التسامح، نذكر منها:

١ - اعتقاد المسلم أن اختلاف البشر لا بدّ منه، وأنّه واقع بمشيئة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

٢ - اعتقاد المسلم أنّ الذي يحاسب الناس على ضلالهم إذا ضلّوا، أو كفرهم إذا كفروا هو الله تعالى، وأنّ موعد ذلك هو الدار الآخرة لا هذه الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج: ١٧].

ولهذا أمر المسلم أن يقول لمخالفه في العقيدة: ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ عَلَيْنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى: ١٥].



ولهذا رأينا المسلمين في تاريخهم أكثر الأمم تسامحاً مع مخالفهم، ولا سيّما في أيّام قوتهم، وعظمة دولتهم، فقد ضربوا أمثلة رائعة في التسامح سجّلها التاريخ^(١).

ثقافة المساواة لا الاستعلاء:

ويغرس الإسلام المساواة بين النَّاس، لا ثقافة الاستعلاء والغطرسة وازدراء الآخرين: أن ينظر الإنسان إلى نفسه نظرة استعلاء واستكبار، وينظر إلى الآخرين نظرة ازدراء واحتقار، لم هذا؟

أَخْلَقْتَ - أيُّها الإنسان المستكبر - من ذهب، وخُلِقْتَ أنا من تراب؟ لماذا هذا التكبر؟ أيجري عليّ الموت ولا يجري عليك؟ أتسري عليّ الأمراض ولا تسري عليك؟ أتحكمني السُّنن الكونية ولا تحكمك؟ نحن في البشريّة سواء، نخضع جميعاً لسُنن الله في الصّحة والمرض، والحياة والموت، ويتعاقب علينا الليل والنّهار، والصيف، والشتاء، لماذا يستكبر بعض النَّاس على بعض؟ هذا ما ينكره الإسلام.

الإسلام يغرس المساواة؛ فالنَّاس سواسية كأَسنان المشط، لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلّا بالتقوى، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾ [الحُجرات: ١٣]؛ فالأكرمية هنا عند الله، فلا يجوز أن تقول: أنا أكرم منك؛ لأنني أتقى.

(١) راجع: التعصّب والتسامح بين المسيحية والإسلام للشيخ محمد الغزالي، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية، وكتابنا: تاريخنا المفترى عليه ص ١٨١، باب: تاريخ له مآثر، فصل: التسامح الديني.

لا، كرامتك عند الله، والتقي لا يقول: أنا تقي؛ لأنّ التقي دائماً يخاف على نفسه، يعمل الحسنات ويقول: أخشى ألاّ تُقبل مني، بينما المنافق يعمل السيئات ويقول: أطمع أن يُغفر لي.

فالمساواة فريضة فرضها الإسلام، سوى بين النَّاس، ففي العبادات: نجد الكلّ يقف أمام الله تعالى في صفوف، لا تميز فيها بين غني ولا فقير، ولا بين كبير وصغير، ولا بين مأمور وأمير، الكلّ يقف في صف الصّلاة بجوار أخيه، لا تميّز لأحد على أحد، في الحجّ يلبس الجميع هذه الثياب البيضاء، التي هي أشبه بأكفان الموتى.

هذا ما يغرسه الإسلام في عباداته، النَّاس سواسية، في معاملاته النَّاس سواسية، في عقوباته كذلك، يقول النَّبي ﷺ: «إنّما هلك من كان قبلكم: أنّهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ. وايم الله، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرق لقطعت يدها»^(١) أعادها الله من ذلك، لو أنّ فاطمة بنت محمّد سرق لقطعت يدها.

وقبل أن يموت قال: «أيّها النَّاس، من كنتُ أخذت له مالاً فليأتني ليأخذ ماله، ومن كنت جلدت ظهره فهذا ظهري فليستقد مني - يقتص مني - ولا يخش الشّحناء؛ فإنها ليست من شأني»^(٢).

(١) سبق تخريجه ص ٤٢.

(٢) رواه أبو يعلى (٦٨٢٤)، والطبراني في الأوسط (٢٦٢٩)، وفي الكبير (٢٨٠/١٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٢٥٢): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو يعلى بنحوه، وفي إسناد أبي يعلى عطاء بن مسلم: وثّقه ابن حبان وغيره، وضعّفه جماعة، وبقيّة رجال أبي يعلى ثقات. وفي إسناد الطبراني من لم أعرفهم. عن الفضل بن عباس.

وهكذا أقر أصحابه هذه المساواة بين الناس بعضهم وبعض، ليس في الإسلام تفاضل، التفاضل عند الله تعالى، ولكن الحقوق مقرّة للجميع.

أتى رجل من مصر إلى عمر بن الخطاب ليشكو الوالي وابن الوالي الذي ضربه، فيقتص له منه، ويقول للولد المضروب: إن شئت فأدرها على صلعة عمرو، فإنما ضربك بسلطان أبيه!

فيقول: يا أمير المؤمنين، إنما ضربت من ضربني.

ثم يلتفت إلى عمرو ويقول: يا عمرو، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً^(١)؟

هذه الكلمة التي قالها ابن الخطاب على البديهة، أصبحت تفتح بها مواثيق حقوق الإنسان، أول مادة في ميثاق حقوق الإنسان: «يولد الناس أحراراً متساوين» أخذوها من فم ابن الخطاب على البديهة بدون تحضير، هذا هو الإسلام.

والعجيب: أن هذا الرجل لم يُسلم، يعني: أخذ حقه وبقي على دينه، لم يجبره أحد على ترك دينه.

والأعجب - أيضاً: أن مثل هذا الرجل في مصر كان يُضرب ويهان، ويؤخذ ماله، وتصادر أملاكه، ويفعل به ما يفعل، ولا يحرك ساكناً، ولا يرفع رأسه أيام الرومان، حينما كان الرومان يحكمون مصر - وهم مسيحيون مثل أهل مصر، ولكنهم مختلفون في المذهب - كان هذا

(١) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ص ١٩٥، نشر مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، وحسن المحاضرة للسيوطي (٥٧٨/١).

الرجل وأمثاله تنزل بهم المظالم الكبيرة والغليظة، ولا يفكر أحد أن يشتكي، لمن يشتكي؟

إنَّ الذي يشتكيه هو الذي يظلمه ويقرُّ الظلم، ولكنَّه هنا اشتكى إلى ابن الخطاب وكلف نفسه رحلة من الفسطاط، من مصر القديمة إلى المدينة المنورة، شهرًا ذهابًا، وشهرًا إيابًا.

الإسلام يقرُّ ثقافة المساواة، ولا يقرُّ ثقافة التمييز بين الناس، ولا ثقافة الاستكبار والاستعلاء بغير الحقِّ، كما نرى بعض القوى في عصرنا تستكبر في الأرض بغير الحقِّ، وتقول: من أشدُّ منَّا قوَّة؟ كما قالت عاد قوم هود من قبل: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِعَايِنَتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [فُصِّلَتْ: ١٥].

ثقافة التعايش لا التهاوش:

وكذلك يغرس الإسلام في الأنفس «ثقافة التعايش» هذه الثقافة التي تُنشئ علاقات تواصل وتقارب وتفاهم بين الناس، تخلق جوًّا للتفاهم والتعايش، بدلًا من التصادم والتهاوش.

يمكن أن نختلف، ولكن يمكن أن يعيش بعضنا مع بعض، الحياة تتسع لنا، الكون الكبير الذي خلقه الله على هذه السَّعة يتسع للإنسان ومخالفه، لا مانع أن تكون كافرًا، وأن أكون مسلمًا، والحياة تسعنا، هكذا قال القرآن: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [سورة الكافرون].

قِمة الاعتزاز بالعقيدة والتمسُّك بها، ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ هذه مساومة لا تُقبل، هذه مفاوضة مرفوضة، وهذه

قضية محسومة، التوحيد هو رُوح وجودنا ولا نحيد عنه، ولا نقبل التنازل عنه، ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿، ولكن: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ نعم لك دينك، ولي ديني، ولكن المشكلة حينما يقف الآخرون يقولون لك: لنا عملنا وليس لك عملك ﴿وإن كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ٤١]، ولكن هؤلاء يقولون: لا، لنا عملنا، وليس لك عملك، ليس لك حرية في دينك، وليس لك حرية في دعوتك، وليس لك أن تتصرّف، الطرق مسدودة عليك، والأبواب مغلقة دونك، وهذا ما يُرفض.

شرط ثقافة التعايش مع الآخرين:

الإسلام يقبل التعايش مع الآخرين، بشرط: أن يتركوا له حرية دعوته، أن يُترك له مساحة ليقول للنّاس ما يريد أن يقول، أمّا أن يصادر، وأمّا أن يلجم دعاته، ويمنعوا من أن يبلغوا دعوته إلى النّاس، ويُضطهد ويؤذى من دخل فيه، فهذا تكون الفتنة، ﴿وَقَالُوا هُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، إذا فُتن النّاس في دينهم، إذا مُنعوا من أن يُظهروا شعائرهم، أو أن يعتنقوا الدعوة التي يؤمنون بها، وقاوم النّاس حقّهم بالسيف وبالقوة، فهنا لا بدّ للإسلام أن يدافع عن نفسه، وهذا أمر مشروع.

ليس معنى السّلام: أن نطأطئ الرؤوس، وأن نحني الظهر، وأن نقبل الضّيم، هذا أمر مرفوض.

بهذه الأنواع من الثقافات يغرس الإسلام في أنفس المسلمين أن يتعايشوا مع الآخرين، أن يفتحوا صفحات للحوار والتفاهم، والتعاون معهم على البرّ والتقوى.

أَمَّا أَنْ يَرِيدَ الْآخَرُونَ أَنْ يَحْجِرُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَتَمَتَّعُوا هُمْ
بِالتَّصَرُّفِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَعْتَبِرُوا الْكَوْنَ كُلَّهُ مُلْكًا لَهُمْ، وَأَنْ يَعْتَبِرُوا
النَّاسَ عِبِيدًا أَوْ كَالْعَبِيدِ لَا دِينَ إِلَّا دِينُهُمْ، وَلَا ثِقَافَةَ إِلَّا ثِقَافَتَهُمْ،
وَلَا مَفَاهِيمَ إِلَّا مَفَاهِيمَهُمْ، وَلَا حَضَارَةَ إِلَّا حَضَارَتَهُمْ، فَهَذَا هُوَ الْعَدْوَانُ،
وَهَذَا هُوَ التَّجْبُرُ، وَهَذَا هُوَ الْاِسْتِكْبَارُ فِي الْأَرْضِ الَّذِي نَرْفُضُهُ.

بيدنا خير دواء:

نحن نفتح صدورنا، ونفتح أذرعنا للتفاهم مع النَّاسِ، والحوار مع
النَّاسِ، والتعايش مع النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ، نفتح أذرعنا وصدورنا لتتجاوز
ونتفاهم، ونتعاون معهم فيما فيه الخير للجميع، على أَنْ نتعامل معاملة
النَّدِّ لِلنَّدِّ، أَمَّا أَنْ يَعَامِلُونَا مِنْ فَوْقَ، يَنْظُرُونَ إِلَيْنَا مِنْ عَلٍ، وَكَأَنَّا نَحْنُ فِي
السَّفْحِ، وَهُمْ فِي الْقِمَّةِ، فَهَذَا مَا لَا نَقْبَلُهُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ.

إِنَّا خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّا الْأُمَّةُ الْوَسْطَى الَّتِي تَحْمِلُ لِلْبَشَرِيَّةِ
النُّورَ وَالْهَدَايَةَ، تَحْمِلُ قَارُورَةَ الدَّوَاءِ، وَتَحْمِلُ مَضْخَةَ الْإِطْفَاءِ لِهَذَا الشُّعَارِ
الَّذِي أَصَابَ الْبَشَرِيَّةَ، هَذَا الْحَرِيقُ الَّذِي كَادَ يُلْتَهُمُ أَخْضَرُهَا وَيَابِسُهَا.

نحن وحدنا الذين نملك رسالة النُّورِ وَالْهَدَايَةَ الرَّبَّانِيَّةِ، وَعِنْدَنَا وَحْدَنَا
آخِرَ كَلِمَاتِ اللَّهِ لِلْبَشَرِيَّةِ أَنْزَلَهَا فِي كِتَابِهِ الْخَالِدِ الْقُرْآنِ ﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ أَيْنَهُ،
ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ [هُود: ١]، ﴿لَا يَأْنِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ
خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَتْ: ٤٢].

نداء للبشرية كلها:

هذا ما ننادي به البشرية كلها، نقوله بوضوح وجلاء وصراحة، ننادي
النَّاسَ كُلِّ النَّاسِ، فِي الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ: أَنْ يَتَعَامَلُوا مَعَنَا عَلَى قَدَمِ

المساواة، أمّا أن يعتبروا الإسلام ديناً للإرهاب وللعنف، ويصفوا المسلمين كلّهم بهذا، وكأنّ الإرهاب والعنف في بلاد المسلمين وحدهم، وقد رأينا الإرهاب والعنف في العالم كلّهُ، فلماذا يخصّون المسلمين؟ هذا هو الافتراء، وهذا هو العدوان، وهذا هو الجبروت الذي يريد أن يفرض نفسه على الناس، وأن يتألّه في الأرض فلا يُسأل عمّا يفعل، ولا يحاسب على ما يقول.

نحن آمنّا بالله وحده ربّاً، لا نقبل الألوهية لغير الله، لا نبتغي غير الله ربّاً، ولا نتخذ غير الله وليّاً، ولا نبتغي غير الله حكماً ﴿قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْنِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

رثاء الأستاذ مأمون الهضيبي:

نقلت إلينا وكالات الأنباء وفاة المرشد العام للإخوان المسلمين الأستاذ «مأمون حسن الهضيبي»، الذي وافته المنية هذه الليلة، ويصلي عليه بعد صلاة الجمعة - إن شاء الله - هذا اليوم.

كان الأستاذ مأمون الهضيبي قد بويع مرشداً للإخوان منذ رمضان قبل الماضي، وتولّى قيادة الدعوة الإسلامية في مصر، ولكن لم يمهل القدر. هذا الرجل الذي عذب في الله، وأوذي في الله هو وأسرته جميعاً، هو ووالده وإخوانه كلّهم أودوا في الله سنة (١٩٥٤م)، وفي سنة (١٩٦٥م)، لكن هذه الأسرة عرفت بالصبر والجَلاد والثبات، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله، وما ضعفوا وما استكانوا، والله يحبّ الصابرين.

كان والده الأستاذ الهضيبي المرشد الثاني للإخوان - بعد مؤسس الجماعة حسن البنا - قد لاقى ما لاقى في سجنه رغم شيخوخته وكبر سنّه، ورغم أنّه ممّن نشأ بعيداً عن هذا الجو، وعن هذه العقبات والمصائب، كان قاضياً في محكمة النقض والإبرام، ومن كبار الشخصيات، ولكنّه حينما تحمّل الدعوة، تحمّلها صابراً مصابراً، وكذلك حملها ابنه رَحِمَهُ اللهُ، وعاش لهذه الدعوة، ومات عليها، وقَدّم لها أغلى ما يملك الإنسان، رغم أنّ حمل هذه الدعوة في هذه الظروف ليس مغنماً، ولكنّه مغرم، ليس استفادة ولكنّها تضحية.

الذي يحمل هذه الدعوة في هذه الأجواء والعالم كله يقف ضد الإسلام، العالم الغربي والقوى الكبرى تصدر حقّ هذا الدين في الدعوة، وحتى في بلادنا - للأسف - يقف الإسلام محروماً من حقّه في التعبير عن نفسه.

في كثير من البلاد، وفي بعض البلاد يحارب حتّى من عبّر عن نفسه، حتّى المسلمة التي تعبّر عن نفسها بلبس خمار على رأسها تُمنع، بهذا احتجّ علينا الفرنسيون، قالوا: إذا كان عندكم في بلاد المسلمين من يمنع هذا لماذا تُنكرون علينا؟!

القيادة مغرم لا مغنم:

من حمل لواء الدعوة ومنصب المرشد العام في هذه الظروف فإنّه يحمل مغرمًا لا مغنمًا، ويتعرّض لبلاء لا يصبر عليه إلّا ذو حظّ عظيم.

إننا نتمنى للإخوان المسلمين أن يوفّقوا في مسيرتهم القادمة، أن يختاروا قيادة من جيل الوسط، الجيل الذي يحمل حماسة الشّباب وحكمة الشيوخ، القيادات التاريخية الكبيرة أعتقد أنّها انتهت بوفاة الأستاذ مأمون الهضيبي، وأملنا في الشّباب الذي قرب من الكهولة - أيضًا، هؤلاء الذين عليهم أن يحملوا الراية، ويحملوا اللواء، ويتقدّموا بالسفينة بين هذه الأمواج المتلاطمة من هنا وهناك، من شرق وغرب، ومن شمال وجنوب.

نسأل الله لهم الهداية، ونسأل الله أن يسدّد خطاهم، وينور الطريق لكلّ العاملين للإسلام.

سنصلّي - إن شاء الله - صلاة الغائب على روح الأستاذ الهضيبي بعد أن نفرغ من صلاة الجمعة.



الشيخ أحمد ياسين رجل بأمة^(١)

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيها الإخوة المسلمون:

تفاوت أقدار الناس:

تفاوت أقدار الناس في هذه الدنيا تفاوتًا بعيدًا؛ فمن الناس من لا يساوي صفرًا، بل إنَّ عدمه خيرٌ من وجوده، من الناس من يكون وجوده شرًّا على نفسه، وشرًّا على أهله، وشرًّا على مجتمعه، وشرًّا على أمته، وشرًّا على الإنسانية جمعاء، أولئك هم الذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ فَاكْثُرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿[الفجر: ١١ - ١٤].

هناك من لا يساوي صفرًا، بل هناك من عدمه خير من وجوده، وهناك من يساوي كسورًا من الرجال، نصف رجل! رُبع رجل! عُشر رجل! واحدًا في المائة أو في الألف من رجل، كثير من هؤلاء الذين تراهم يأكلون ويشربون ويتمتعون، ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، أولئك أناس نراهم يعيشون ويموتون وليس لهم هدف ولا رسالة.

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب، في ٥ من صفر ١٤٢٥هـ الموافق ٢٦ مارس ٢٠٠٤م.

هؤلاء أصناف نراها من الغافلين عن حقيقة أنفسهم، الغافلين عن مصيرهم، الغافلين عن أعظم قضية في الوجود، قضية المصير، قضية الآخرة والجنة والنار، هؤلاء نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أنساهم حقيقة ذواتهم، فلا يعرفون من هم ولا ما هم، هذا صنف من الناس، كسور من البشر لا تبلغ واحداً صحيحاً.

لماذا يعيش المسلم؟

وهناك من البشر من يعيش إنساناً صحيحاً، وهو إنسان واحد، هذا هو الذي عرف لماذا يعيش؟ لماذا يحيا الإنسان؟ لماذا خلق هذا المخلوق الذي آتاه الله من المواهب والقدرات والمَلَكَاتِ الرُّوحِيَّةِ والمَادِّيَّةِ والعقلية والنفسية، وسخر له ما في السماوات والأرض جميعاً منه، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وأنزل له الكتب، وبعث له الرسل؟

عرف لماذا يعيش؟

يقولون في الأمثال: «الأحمق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش»، الأحمق كلُّ مُهَمَّتِهِ وهدفه وغايته: أن يأكل ويتمتع بألوان من الأكل، يملأ بطنه كما يملأ الثور والأنعام بطونها، هذا أحمق.

أمَّا العاقل فقالوا: إنَّه يأكل ليعيش.

ولكن هذا لم يحل العقدة؛ لأنَّه سيظلُّ هناك سؤال مطروح: هذا العاقل يأكل ليعيش، فلماذا يعيش؟ هل العيش في ذاته غاية؟ هل الحياة في نفسها هدف؟ لا بدَّ أن يسأل الإنسان نفسه: لماذا أعيش؟ لماذا أحيأ؟

العيش وسيلة، هل هناك من هدف وراء هذه الحياة؟ هل هناك من رسالة لهذه الحياة؟

نرى كثيرًا من الناس - في أوروبا وأمريكا وغيرها من البلاد - لا يعرفون للحياة معنى، ولا يتذوقون لها طعمًا، ولا يعرفون لها هدفًا، يشعرون بالتفاهة والضياع، ولذلك ما أسرع ما يتخلّصون من هذه الحياة لأدنى سبب بالانتحار، الحياة لا تستحق أن يعيش الإنسان لها، ويعاني من أجلها.

هؤلاء معذورون؛ لأنهم لا يعرفون لهم هدفًا في الحياة.

المؤمن يعيش لهدف، أن يعرف الله ويعبده، إذا كان الأحق يعيش ليأكل، والعاقل يأكل ليعيش، فالمؤمن يعيش ليعرف الله حق المعرفة، ويعبده حق العبادة، ويتقيه حق التقوى.

معرفة الله:

يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

لماذا خلق هذا العالم العلوي والسفلي بسماواته وأرضه؟

﴿لِنَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، أي: أن تعرفوا الله بأسمائه الحسنی، وصفاته العليا.

وأبرز هذه الصفات: أنه محيط بكل شيء علمًا، ومحيط بكل شيء قدرة، فإذا عرفنا الله أدينا له حقّه، وحقّه: أن يُعبد وحده ولا يشرك به شيئًا.



لا يستحقُّ العبادة من الإنسان إلا الله وحده، لا شيء في الأرض ولا في السماء يستحقُّ أن تحني ظهرك، أو تطأطئ له رأسك، أو تعفّر له جبهتك، أو تمدّ يدك إليه متضرّعا، أو تذللّ له وتخشع، لا أحد إلا الله، هو صاحب النعم العظمى، يكفي أنّه هو الذي خلقك فسوّاك، وقدر لك فهداك، وأنعم عليك بنعم تغمرّك من قرنك إلى قدمك.

الله هو صاحب النعم العظمى: نعمة الخلق والحياة، والإيجاد والإمداد، الذي علّمك البيان، وأعطاك العقل والإرادة، وهياً لك ما هياً، هو وحده الذي يستحقُّ العبادة، فلا بدّ أن تتحرّر من العبوديّة لغيره، وتخلص له العبادة وحده، تعبدّه وحده، وتستعين به وحده، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

كانت رسالة الإسلام تحريراً للبشريّة من ذلّ العبوديّة لغير الله، العبوديّة للأشخاص، والعبوديّة للأشياء، والعبوديّة للذات وللهوى، والعبوديّة لأي شيء إلا الله، هذا هو التحرّر الحقيقي، ولذلك كان النداء الأوّل في كلّ رسالة من رسالات الأنبياء: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

المؤمن بين عبادة الله وخلافته في أرضه:

رسالة المؤمن في الحياة: أن يعرف الله تعالى ويعبده، وأن يكون خليفة له في أرضه، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، هذه المنزلة التي اشرأبت إليها أعناق الملائكة، ورنت إليها أبصارهم، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ [البقرة: ٣٠]، أنتم لم تهيؤوا لهذا، ليس عندكم غرائز، ولا هذه الأشياء، ولا تصلحون لعمارة الأرض.

خَلَقْتَ مخلوقًا هو الَّذِي سيقوم بهذه الخلافة، هو آدم وذريته، الإنسان هو خليفة الله في الأرض، ومن تمام هذه الخلافة: أن يعمر الإنسان أرض الله، يعمرها بالعلم والعمل، والإصلاح والتنمية، ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦]، ﴿هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هُود: ٦١].

﴿وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ أي: طلب إليكم أن تعمروها ولا تخربوها، وأن تصلحوها ولا تفسدوها، وتحيوها ولا تميتوها، لهذه الأهداف الكبيرة يعيش الإنسان.

وكَلَّمَا اتضحت هذه الأهداف للإنسان، وكلَّمَا أَعَدَّ لها العُدَّة ليقوم بخدمة هذه الأهداف وتحقيق هذه الأهداف، في نفسه، وفي الحياة من حوله، وكلَّمَا اتَّسعت دائرة النفع به: كانت قيمة الإنسان، فليس من يعمل لنفسه كمن يعمل لغيره، وليس من يعمل لقريته كمن يعمل لأُمَّته، وليس من يعمل لأُمَّته كمن يعمل للإنسانية جمعاء.

منزلة المرء على قدر إيمانه:

النَّاسُ يتفاوتون، وعلى قدر إيمان المرء تتفاوت منزلته، هناك أناس آتاهم الله من الإيمان ما يستطيعون أن يواجهوا به المشكلات، ويتخطوا به العقبات، ويصنعوا به ما يشبه المستحيلات، ولذلك قالوا: فردُّ ذو هَمَّةٍ يحيي أمة، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠].

هناك أفراد كبار الفرد منهم بأُمَّة، الشاعر العربي يقول:

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَأَلْفٍ إِنْ أَمَرُ عَنَا^(١)

(١) ديوان الإمام أبي بكر بن دريد الأزدي ص ١٤٠، تحقيق عمر بن سالم، نشر مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، ط ١، ٢٠١٢م.

هناك ألف بواحد، وهناك واحد بألف، وهناك واحد بأكثر من ألف،
بمجتمع بأسره، بقُطر بأسره، بأمة بأسرها.

النَّاس يتفاوتون، بماذا يتفاوت النَّاس؟ هل بضخامة أجسامهم؟
لأنَّهم أبطال في الملاكمة أو في المصارعة أو غير ذلك؟

وما قيمة أن تكون بطلاً في الملاكمة، أو المصارعة، أو ألعاب
القوى، أو الكرة، أو في أي شيء من هذا ولا تقدّم لمجتمعك شيئاً؟
تخاف على جسمك أن تعالج به مشكلة، أن تبذله في خدمة الحقِّ
والخير، ما قيمة هذا؟

هذا هو الذي يُقال له:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته أطلب الرِّبح ممّا فيه خُسران؟
أقبل على النَّفس واستكمل فضائلها فأنت بالنَّفس لا بالجسم إنسان^(١)

ويقول النَّبي ﷺ فيما رواه البخاري: «يأتي الرجل العظيم السمين يوم
القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة». عظيم سمين طويل عريض
فلا يزن عند الله جناح بعوضة، ثمَّ قال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُفِيمُ لَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]^(٢). لا وزن لهم عند الله.

كان عبد الله بن مسعود أحد أئمة الصَّحابة، وأحد علماء الصَّحابة،
وأحد السابقين الأولين، وكان رجلاً قصير القامة، نحيل الجسم،
دقيق الساقين، صعد يوماً على شجرة فبدت ساقاه، وبدت هاتان

(١) ديوان أبي الفتح البُستي ص ١٨٣، تحقيق درية الخطاب ولطفي الصقال، مطبوعات مجمع
اللغة العربية، دمشق، ١٩٩٨م.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٨٥)، عن
أبي هريرة.

الساقان نحيلتين هزيلتين كأنها عصي، فضحك الصحابة، فقال النبي ﷺ: «م تضحكون؟»

قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه!

فقال: «والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد»^(١).

الساقان النحيلتان النحيفتان الهزيلتان أثقل في الميزان من جبل أحد!

نعم، فالناس لا يوزنون بحمل أجسامهم من لحم، بل بما تحمل قلوبهم من علم وإيمان؛ فالله تعالى قال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] وقال العرب: ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدخل؟

الشيخ أحمد ياسين رجل بأمة:

أقول هذا بمناسبة وداعنا - أيها الإخوة - لهذا الشيخ الجليل أحمد ياسين، هذا الرجل الذي عاش عمره قعيداً على كرسي لا يتحرك إلا بمحرك يحركه، ولا يستطيع أن يفارق هذا الكرسي إلا بمن يعينه، هذا الرجل الأشل الضعيف هو الذي زلزل الطغمة الطاغية الباغية في الكيان الصهيوني، هو الذي أدخل الرعب في قلوبهم، هو الذي حرّك مسيرة الجهاد في غزة والضفة الغربية، هو الذي أسس حركة المقاومة الإسلامية.

هذا الرجل الأشل الجسم لم يكن أشل العقل، ولا أشل الإرادة، كم من أناس في دنيانا أصحاء الأجسام، مراض العقول، مراض الإرادة،

(١) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره. والطبراني (٨٤٥٢)، والبخاري (٣٣٠٥)، وابن حبان في مناقب الصحابة (٧٠٦٩)، وحسنه الألباني في غاية المرام (٤١٦)، عن ابن مسعود.

ولكن هذا الرجل كان صحيح العقل والفكر، كان صحيح الإرادة والعزم، ولذلك عاش عمره في تعليم الدين، وفي تجميع الشَّباب على الإيمان، وفي تربيتهم على أخلاق الإسلام، وفي أن يملأ صدورهم حماسة لهذا الدين، ويُشعل فيهم هذه الجذوة التي انتهت بهم إلى أن يعيشوا حياة الجهاد.

الشيخ أحمد ياسين القعيد الأشلُّ الذي زلزل إسرائيل وأمريكا والطُّغاة في أنحاء العالم، يُعدُّ نموذجًا للإنسان المؤمن، عاش عمره لهدف ولرسالة، ليس كأولئك الذين يعيشون لبطونهم وفروجهم، أو أولئك الذين يعيشون لمناصبهم، أو يعيشون من أجل كرسيِّهم، يعبدون الكرسي لا يشركون به شيئًا، من أجل الكرسي يقدمون تنازلات وراء تنازلات، من أجل الكرسي لا يستطيعون أن يقولوا: (لا) مرَّة واحدة، كما قال أحدهم: «يعجبني من الرجل إذا سيم الخسف - أي: طُلب منه الذلُّ - أن يقول بملء فيه: لا»^(١).

هؤلاء العبيد لا يستطيعون أن يقولوا: لا، إلَّا من رحم ربُّك منهم، وقليل ما هم.

إرادة صلبة وعزم لا يلين:

أحمد ياسين كان رجلًا بأمَّة، زارنا في قطر، واستمعتم إليه هنا في هذا المسجد بعد الصَّلَاة، وزار عددًا من البلاد العربيَّة بعد أن أُطلق سراحه، وقد عاش سنين طويلة في سجون الصهاينة، ولكنه ما خضع ولا لان، ولا وهن ولا استكان، كان كالذين قال الله فيهم:

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٥.

﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾
[آل عمران: ١٤٦]، طالما عَرَضَ عليه الإِسْرَائِيلِيُّونَ أَنْ يَتَنَازَلَ بِعَظْمِ الشَّيْءِ
لِيُطْلَقُوا سَرَاحَهُ، وَيَفْكَوْا أَسْرَهُ وَيَخْلُوا سَبِيلَهُ، وَلَكِنَّهُ أَبَى.

كان صاحب إرادة، كان قادراً على أن يقول: لا.

هذا أحمد ياسين.

كان في السجن صابراً مصابراً مرابطاً، وكان بعد السجن صابراً
مصابراً مجاهداً مصمماً على أن يحرّر أرضه من هذا الرّجس الذي لوثها،
مصمماً على ذلك، قال مناحم بيجن في كتابه «التمرد»: أنا أحارب إذن
أنا موجود، فقال الشيخ أحمد ياسين: وأنا أقاوم إذن أنا موجود.

الذي يدل على وجودي: هو المقاومة، ولذلك أنشأ حركة المقاومة
الإسلامية لتقوم بدورها في الجهاد والمقاومة، والمدافعة والتحرير
لأرض المقدّسات والنُّبُوت، لأرض الإِسْرَاءِ والمعراج، لأرض المسجد
الأقصى الذي بارَك الله حوله.

المعلم والمجاهد والعابد:

عاش الشيخ ياسين معلماً مجاهداً عابداً. قال سيّدنا عمر رضي الله عنه: «لولا
ثلاث لما أحببت البقاء في هذه الدنيا: أن أحمل أو أجهّز جيشاً في سبيل
الله، وأن أكابد الليل - يقوم الليل في الأسحار - وأن أعيش مع أقوام من
أهل العلم؛ ينتقون أطيب الكلام كما تنتقى أطيب الثمر»^(١).

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/٢٦٩)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣،

هذه هي الثلاث التي من أجلها أحبَّ عمر البقاء، لولا هذه الثلاث لما أحبَّ البقاء في الدنيا: الجهاد والعبادة والعلم.

وقد عاش الشيخ أحمد ياسين للعلم، عاش معلِّمًا ومربيًا، وعاش عابدًا قانتًا لله تعالى، وظلَّ يعبد ربَّه حتَّى أتاه اليقين.

ميتة شريفة:

كان الشيخ ياسين قد تعب كثيرًا من مرض ألمَّ به، فاضطر أن يدخل المستشفى، ورأى الأطباء أنَّ الشيخ في حاجة إلى أن يبقى في المستشفى عدَّة أيام، ولكنَّه أبى، فقد يعلم الصهاينة بوجوده فيه، فيحاولون أن يضربوه فيه، فيموت أعداد من النَّاس لا ذنب لهم.

كان الشيخ يستطيع أن ينجو - أيُّها الإخوة - لو كان ممَّن يحرصون على حياة أي حياة، كالذين قال الله عنهم: ﴿وَلَنَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ﴾ [البقرة: ٩٦] لو كان حريصًا على أي نوع من الحياة لاستطاع أن يتجنَّب هذه الميتة التي ماتها، كان يستطيع أن يتنقَّل من مكان إلى مكان ويعمِّي على الطغاة الصهاينة، وألَّا يصلي في المسجد، ولكن أصرَّ وصمَّم على أن يبقى في بيته، وأن يصلي في المسجد القريب منه، ويصلي الصلوات الخمسة كلَّها في المسجد حتَّى الفجر.

وقد مات بعد أدائه لصلاة الفجر في الجماعة، وقبل الفجر طلب بعض اللقيمات ليتسحر للصيام، فقليل له: إن صحَّتك لا تساعدك، فصمَّم على أن يصوم.

وبهذا لقي ربَّه متوضئًا مصليًا مسبِّحًا صائمًا!



ما أعظمها من نفس! وما أكرمها من نفس! تصمّم على ما عاشت له، لتعيش عليه، وتموت عليه، وقدّر الله له أن يموت هذه الميتة الشريفة، ليختم له بالشهادة.

عاش سعيدًا ومات شهيدًا!

نحن نقول في أدعيتنا التي علّمها لنا النبي ﷺ: «اللهم إنا نسألك عيش السُّعداء، وموت الشُّهداء، والفوز في القضاء، والنّصر على الأعداء»^(١)، وقد عاش الشيخ عيشة السُّعداء، لم يكن يعيش عيشة الأغنياء ولا المترفين، ولكنّه كان سعيدًا بإيمانه، سعيدًا برسالته، سعيدًا بأبنائه؛ أبنائه من صلبه الأحد عشر، وأبنائه الرُّوحيين وما أكثرهم! الذين ربّاهم على الجهاد، وآهم أمامه يقدّمون أرواحهم، ويضعون رؤوسهم على أكفّهم، ويفجّرون أنفسهم في عدو الله وعدوهم.

ألا يعيش سعيدًا من رأى ثمرة عمله؟!

إنّه كان من أسعد السُّعداء رغم ضيق عيشه، لو أراد الملايين لجاءته الملايين، ولكنّه عاش في بيته المتواضع، وفي حياته التي بدأها، وظلّ عليها إلى أن مات، ثمّ قدّر الله له أن يموت شهيدًا، وأي شهادة؟!

إنّ الشيخ أحمد ياسين ليس كأَيّ شهيد، إنّ العصابة المجرمة - عصابة شارون السّفاح ومن معه - أبت إلا أن تنتقم من الشيخ ياسين فتقتله - فيما زعموا - شرّ قتلة، ولذلك ضربوه بثلاثة صواريخ أمريكية الصنع من طائرة الأباتشي كما يسْمُونها، تحميها مقاتلة أمريكية (F16)،

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤١٩)، وقال: حديث غريب. وابن خزيمة في الصلاة (١١١٩)، وضعّفه الألباني في ضعيف الجامع (١١٩٤)، عن ابن عباس.

ضربوا هذه الصواريخ على الشيخ ومن حوله، حتّى مزّقت جسده الطيب الطاهر شذر مذر، هل رأيتم جسد الشيخ أحمد ياسين؟ هل رأى أحد وجهه؟ هل رأى أحد له جسداً؟!

لقد تمزّق هذا الجسد الشريف الطهور، مزّقه صواريخ أمريكا، ولذلك قالوا في الأخبار: دفنوا ما بقي من جثمانه.

خَطَّط لذلك شارون بنفسه، وأشرف على العملية بنفسه، وظلّ يتابعها حتّى تمّت، ثمّ هنأ القائمين على هذه العملية، علام تهنئون أيّها الأنذال، أيّها الجبناء؟!

قتلتم رجلاً قعيّداً بهذه الترسانة الهائلة، وبهذه الإمكانيات الهائلة، هل في هذا شجاعة أو بسالة، الأمر لا يحتاج إلى تهنئة.

قال أحد الإخوة: لن يشفي غليلنا في الشيخ أحمد إلّا قتل شارون.

قلت له: وهل شارون كفء للشيخ أحمد؟

نحن نقول له: بُؤ بشسع^(١) نعل أحمد، كما قال المهلهل بن ربيعة - وقد قتل أحد أبطال بكر بن وائل، فقالوا له: هذا بأخيك كليب؟ قال: بأخي كليب؟ لبيؤ بشسع نعل كليب^(٢)!

ونحن نقول: شارون بشسع نعل أحمد ياسين.

أحمد ياسين رجل والرجال قليل في هذه الدُّنيا، بطل من أبطال هذه الأمّة، لا يكفيها فيه عشرات، ولا مئات، ولا ألوف من هؤلاء، ونحن لسنا طلاب ثأر، ولكنّا طلاب حقّ.

(١) الشسع: هو ما يُربط به النعل.

(٢) انظر: الكامل في التاريخ (٤٨٢/١، ٤٨٣).

الذي يكفينا فيه: أن تتحرّر فلسطين كل فلسطين، وتتطهر من رجس الغاصبين الظالمين، هذا هو الذي يشفي غليلنا.

بركة الشيخ أحمد ياسين حيًا وميتًا:

كان الشيخ أحمد ياسين رجلًا مباركًا في حياته، وكان رجلًا مباركًا في مماته، لقي ربّه شهيدًا، وصدق ما عاهد الله عليه ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾ ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٤ - ٧].

بعد أن ذكر الشهداء طلب النصر، أن نصر الله لينصرنا الله.

أُمْنِيَّةٌ مُحَقَّقَةٌ:

لقي أحمد ياسين ربّه، حقّق الله له أُمْنِيَّتَهُ الَّتِي كَانَ يَطْلُبُهَا فِي سَجُودِهِ وَيَطْلُبُهَا فِي حَيَاتِهِ.

وكم نتمنّى - أيّها الإخوة - أن يختم الله لنا كما ختم لأحمد ياسين: أن نلقى الله شهداء في سبيله.

سمع النّبي ﷺ رجلًا يقول: اللهمّ آتني أفضل ما آتيت عبادك الصالحين، فقال له: «إِذْنُ يُعْقَرُ جَوَادُكَ، وَتُسْتَشْهَدُ»^(١).

(١) رواه البزار (١١١٣)، وأبو يعلى (٧٦٩)، وابن خزيمة في الصلاة (٤٥٣)، والحاكم في الإمامة وصلاة الجماعة (٢٠٧/١) وصحّحه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥٢٥): رواه أبو يعلى والبزار بإسنادين، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح؛ خلا محمد بن مسلم بن عائذ وهو ثقة. عن سعد بن أبي وقاص.

هذا أفضل ما آتى الله عباده الصالحين، أن يضحّي بنفسه وماله في سبيل الله، حتّى جواده يُعقر.

شفاء غليلنا في تحرير الأقصى:

الذي يشفي غليلنا أن تتحرّر فلسطين، والذي يشرح صدورنا أن تتّحد فلسطين، ويتوحد أبناء فلسطين، وهذا من بركات موت الشيخ أحمد ياسين، الذي كان مباركاً في حياته، وكان مباركاً في مماته.

فمن بركة موته: أن وقفت الفصائل الفلسطينيّة كلّها، الإسلاميون منهم والوطنيون حسب التقسيم الذي يقسمونه، حماس أو كتائب عزّ الدين القسام، وكتائب الأقصى، وسرايا القدس، وكتائب الشهيد (أبو علي) مصطفى، والجبهة الشعبية. كلّ هؤلاء قالوا: سنثأر للشيخ أحمد ياسين، وحقّ لهم، الثأر ليس لشخص الشيخ أحمد ياسين، ولكن للمعنى الذي يمثّله أحمد ياسين؛ فقد كان رمزاً لقضيّة، هذه القضيّة طالما نُسيت في محيط العرب والمسلمين، فكان من بركات الشيخ أحمد ياسين: أن تحيا هذه القضيّة في غمرة الأحداث التي تنزل بالمسلمين هنا وهناك، في العراق في أفغانستان، في باكستان، في كشمير، في الشيشان.

في غمرة هذه الأحداث نسي الناس قضيتهم الأولى قضيتهم المحورية قضيّة فلسطين، فكان موت الشيخ أحمد مذكراً بهذه القضيّة الحيوية المركزية، التي هي قضيّة العرب والمسلمين الأولى.

ذكر الناس هذه القضيّة وأصبحت حديث كلّ لسان، وأصبح الخطباء على منابرهم، والكُتّاب في صحفهم، والزعماء في لقاءاتهم، يتحدثون عن قضيّة فلسطين، ويجب أن تظلّ قضيّة فلسطين مذكورة لا تُنسى، حيّة لا تموت، قوية لا تضعف، هذا هو الذي يجب على أمة العرب والإسلام.



ما نطلبه من قمة العرب المرتقبة!

هناك عن قريب ستُعقد قمة عربية في تونس، تجمع زعماء العرب في المشرق والمغرب^(١)، وهذه القمة عليها مسؤولية كبيرة تجاه قضايا العرب كلها، وعلى رأسها قضية فلسطين.

نقول لزعماء العرب وقادتهم: آن لكم أن تعرفوا واجبكم نحو هذه القضية، عار عليكم يا عرب، عار عليكم أن تنسوا هذه القضية، حرام أي حرام أن تنشغلوا بمناصبكم وكراسيكم وتنسوا هذه القضية الأولى، وتدعوا إخوانكم في أرض الجهاد والرباط يخوضون المعركة وحدهم، يواجهون ترسانة إسرائيل المؤيدة بقوة أمريكا، وسلاح أمريكا، ومال أمريكا، لا يجوز في منطق الدين، ولا منطق الوطنية، ولا منطق القومية، ولا منطق الشرف والرجولة، ولا منطق المصلحة المحلية لكل بلد: أن تدعوا إخوانكم، أن تخذلوهم، أن تتخلوا عنهم.

للأسف يظن كثير من الزعماء: أن القضية الفلسطينية الفلسطينيين وحدهم، وهذا وهم، كنّا نظن أن الأمة تحرّرت منه من قديم، بعد دراسات معمّقة، موسّعة، أثبتت أن إسرائيل ليست خطراً على فلسطين وحدها، بل هي خطر على العرب كلّهم، وخطر على المسلمين جميعاً، من إندونيسيا إلى المغرب.

إسرائيل خطر عسكري، وخطر اقتصادي، وخطر سياسي، وخطر ثقافي، وخطر ديني، حتّى هي خطر ديني، إسرائيل خطر على الجميع.

(١) طلبت هذه المطالب من القمة قبل انعقادها، وقد كنت أرتقبها كما كانت ترقبها الأمة الإسلامية، إلّا أننا انتظرنا سراباً، فقد تأجلت القمة إلى أجل غير مسمى، مما أصاب الشعوب العربية بإحباط وخيبة أمل.



كيف تركوا الفلسطينيين وحدهم يذوقون المرارة، ويتجرّعون كؤوس هذا الأمر، دون عونٍ يُذكر من إخوانهم؟

حتى المعونات التي كانت تصل إليهم لم تعد تصل، لا حكومية ولا شعبية، حتّى المعونات الشعبية جفّوا منابعها، هكذا أرادت أمريكا، اعتبرت المؤسسات الخيريّة والجمعيات الخيريّة مؤسسات إرهابيّة؛ لأنّها تمّد المقاومة، وتمدّ الانتفاضة بما يُجري الدم في عروقها، ويُبقي عليها الحياة.

واجب الحكّام العرب والمسلمين نحو فلسطين:

هل نستجيب لوساوس أمريكا، وهواجس أمريكا، وأوامر أمريكا؟
نقول لهم: رغباتكم أوامر، وإشارتكم حُكم واجب الاتباع؟!
هل هذا يليق بأمة العرب والإسلام؟ بخير أمة أخرجت للنّاس، يليق بها أن تحني رؤوسها وتقول: نعم لكلّ ما يُطلب منها؟
لا تجرّب أن تقول: لا، مرّة واحدة!

إننا ننادي قادتنا وزعماءنا وساستنا الذين سيجتمعون عن قريب في تونس، نناديهم: أن يقوموا بما يفرض عليهم دينهم، وتفرض عليهم قوميتهم، وتفرض عليهم رجولتهم، وتفرض عليهم الأخلاق والأعراف وكلّ القيم، وما يفرضه عليهم هذا لا بدّ أن يقوموا بواجبهم، ويشدّوا أزر إخوانهم، ويرفضوا ما يُملى عليهم، هذا هو الواجب.

هناك - أيّها الإخوة - آلاف من الأسرى والسجناء والمعتقلين في سجون إسرائيل، آلاف مسجونون بغير حقّ، لماذا لا يُطالب هؤلاء القادة

بالإفراج عن هؤلاء، بفك أسر هؤلاء، لماذا يُسكت عن هؤلاء؟ لماذا لا يمدّون إخوانهم بالحد الأدنى ممّا يُمسك عليهم حياتهم؟

إخواننا في أرض الجهاد والرباط لا يكادون يجدون القوات، بطالة استمرّت، حصار إسرائيلي دمّر عليهم حياتهم، جرف مزارعهم، حرق أرضهم، ودمّر بيوتهم، خلع أشجار الزيتون المعمّرة، بعضها من عهد الرومان قبل الإسلام، خلع هذه الأشجار.

يريدون أن يجوّعوا هذا الشّعب، ويذيقوه المرّ؛ حتّى يركع لهم، ويذعن لإرادتهم، وهذا الشّعب صابر لا يجزع، أمل لا يئس، عزيز لا يذلّ، يتجرّع آلام الحصار والتجويع بنفسية المؤمن الذي يعلم أنّ للحرية ثمنًا لا بدّ أن يدفعه، ويعلم أن كلّ ما يصيبه إنّما هو في سبيل الله، كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

قادتنا قادرون على فعل الكثير:

والله إنّ قادتنا يستطيعون أن يفعلوا الكثير إذا وضعوا أيديهم في يد الله، ووثقوا بالله، وتوكلوا على الله، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم، ثمّ وضعوا أيديهم في أيدي شعوبهم، ولم يتخلّوا عن هذه الشُّعوب، لم يقفوا في واد وشعوبهم في واد، فهذا يضعفهم ولا يجعل لهم أي قوّة.

الذي يشدّ أزرهم، ويسند ظهرهم، ويعطيهم القوّة: أن يستندوا إلى

الله، ثمَّ أن يستندوا إلى الشُّعوب، من فعل ذلك فقد لجأ إلى رُكن ركين، فقد تحصَّن بحصن حصين، فقد لاذ بملاذ، وعاذ بمعاذ، ﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١].

نريد لنسائم الحرّية أن تهبَّ على الشُّعوب:

يا قادة العرب:

إنَّ هذه الأُمَّة كتب الله لها الخلود، إنَّها الأُمَّة الأخيرة الباقية إلى أن تقوم الساعة، وهي أُمَّة الأمم، وخير الأمم، وأنتم المسؤولون عنها، لماذا لا تستمدُّون قوتكم منها؟

اصطلحوا على هذه الشُّعوب، وافتحوا لها أبواب الحرّية، لن يصنع القوَّة لهذه الشُّعوب إلَّا أن تهبَّ عليها نسيمات الحرّية، ما دامت مصفّدة الأيدي، مغلولة الأعناق، مقيّدة الأرجل، فلن تستطيع أن تفعل شيئاً، الحرّية خير لكم ولشعوبكم، ولكنّها الحرّية المسؤولة، نريد حرّية منضبطة، لا حرّية هوجاء، تسفك الدماء بغير حقّ، وتأخذ البريء والمسيء معاً.

لا، إنّما نريد حرّية التعبير، حرّية الرأي، حرّية الصحافة، حرّية الاجتماع، حرّية النقد، حرّية تكوين النقابات والأحزاب.

نريد هذه الحرّيات التي كفلتها مواثيق حقوق الإنسان، وكفلتها المواثيق الدوليّة، وكفلها الإسلام قبل ذلك؛ فالإسلام لا يجيز أن يتحكّم الحكّام في رقاب النّاس؛ لأنّ الأُمَّة إذا كانت أُمَّة من العبيد لا تستطيع أن تنجز شيئاً، لا تستطيع أن تحقّق هدفاً، لا تستطيع أن تهزم عدوّاً.

الأمة القادرة على هذا هي الأمة الحرّة، رضي الله عن عمر حينما قال لعمر بن العاص: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»^(١)!

الحيلة لنجدة المسلمين:

كان موت الشيخ أحمد ياسين - أيها الإخوة - بركة لهذه الأمة، وبركة للقضية التي نذر حياته لها، وعاش من أجلها، ومات في سبيلها؛ قضية فلسطين.

كان موته خيرًا وبركة، أحيا هذه القضية، وذكر بهذه القضية، وأصبحت هذه القضية هي قضية الأمة الآن، قضية شعوب الأمة في كل مكان، من جاكارتا إلى الرباط إلى موريتانيا.

هذه الأمة كلها يجب أن تذكر هذه القضية، وتشدّ أزر هذه القضية.

علينا أن نشدّ أزر إخواننا بما نستطيع من مساندات وتبرّعات ما أمكننا ذلك، صحيح أنّ الطرق مغلقة، والأبواب مسدودة، ولكننا نستطيع أن نتحايل على هذا كله - أيها الإخوة.

وعلينا أن نقاطع البضائع الصهيونية والأمريكية والبريطانية^(٢)، هؤلاء لا يجوز لنا أن نشترى منهم، وأن ننفعهم بفلس واحد؛ لأن أي ريال يكسبونه منّا سيتحول إلى رصاصة تنطلق في صدر إخواننا.

(١) سبق تخريجه ص ٣٩٧.

(٢) لي فتوى مفصلة أصدرتها منذ فترة، وضمنتها كتابنا: فتاوى معاصرة (٥١٣/٣ - ٥١٧)، كما ضمنتها في كتابنا: فتاوى من أجل فلسطين، نشر مكتبة وهبة.



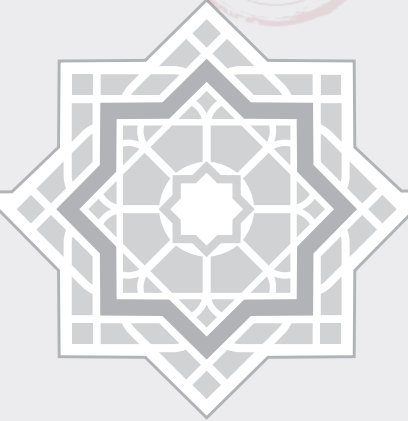
لا يجوز أن ينتفعوا مِنَّا بشيء.

وَأَن نَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى لَهُمْ فِي سَجُودِنَا، فِي خُلُوتِنَا، فِي أَسْحَارِنَا،
عَسَى اللَّهُ تَعَالَى أَن يَنْصِرَهُمْ عَلَى عَدُوهِمْ نَصْرًا مُّبِينًا، وَأَن يَفْتَحَ لَهُمْ فَتْحًا
مُبِينًا، وَأَن يَهْدِيَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا.

* * *



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.



فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٤٠٧
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٣٨٦، ١٠٦
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	١٠٦
سورة البقرة		
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾	٣٠	٤٠٧
﴿وَأَنزَلْنَا الزَّكَاةَ﴾	٤٣	٤٧
﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ أَكْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾	٩٦	٤١٣
﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾	١١٥	٣٢٠، ٢٠١
﴿أَن طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾	١٢٥	٨٢
﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً﴾	١٣٨	١٩٧
﴿فَاسْتَفِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾	١٤٨	٢٦٠
﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾	١٥٤	٢٠٩
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾	١٥٨	٨٣
﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾	١٦٥	٣٩٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾	١٧٧	٢١٨
﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَنْبِأْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَّاءُ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾	١٧٨	١٣، ٣٢، ٣٣، ٣٤
﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٧٩	١٣، ٣٢
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾	١٨٠	٣٢
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾	١٨٣	١٣، ٣٣
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾	١٨٥	٨١
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾	١٨٦	٣١٨
﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتَلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا﴾	١٩٠	٢٠
﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾	١٩٤	٣٤
﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ﴾	١٩٧	٨٦، ٩٣، ٩٤، ٢٦٢
﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	٢٠١	٨٢
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾	٢١٦	٣٣، ١٨٦، ٢١٧، ٣٨٨، ٢٨٥
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾	٢٥٦	٣٦٩، ٣٨٧
﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ﴾	٢٥٨	٢٦٥
﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٦٤	٩٣
﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٨٤	١٩٥
سورة آل عمران		
﴿اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	٩	٣٤٥
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾	١٣	١٦٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	٣٧٠، ٣٧٢، ٣٩٤
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	٣٦٣، ١٦٠، ٤٠١، ٣٦٤
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾	٧٥	٩٧، ٢٣٤
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾	٨٥	٣٧٢، ٣٩٤
﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾	٩٧	٧٨
﴿وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٤٢١
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾	١٠٤	٢٥٠
﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	١٣٩	٢٩٥
﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾	١٤٠	٢٨، ٥١
﴿فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾	١٤٦	٤١٢
﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾	١٤٧	٣٠، ١٢١، ١٤٠، ١٧٨، ٢٧٨، ٣٦١
﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾	١٥٤	٣٠٤
﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ﴾	١٦٠	١٣٨
﴿أَوَلَمَّْا أَصَبْتَكُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾	١٦٥	١٧٧، ٢٧٠، ٢٧١
سورة النساء		
﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾	١	٣٩٢
﴿وَأَتَيْنَا أَحَدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾	٢٠	٤٥
﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْكَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ﴾	٢٥	٤٣
﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾	٣٥	٣٨٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا﴾	٤٠	٢٦٢
﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾	٥٨	٦٢
﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٩٥	٣٦٦
﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٢١٧
﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾	١٠٧	٦٣
﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ﴾	١٠٨	٦٣
﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾	١٢٨	٢١٨ ، ٧٩
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾	١٣٥	٣٧٥
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾	١٧١	٣٧١
سورة المائدة		
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْجُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهَرِ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ﴾	٢	٨٧
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾	٨	٣٧٥ ، ١٥٢ ، ٦٣
﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾	١٥	٣٢٣
﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾	١٦	٣٢٣
﴿قَالَ لَا قُلْنَاكَ ... فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾	٢٧ - ٣٠	٣٦
﴿لَا قُلْنَاكَ قَالَ إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١٥
﴿لَنْ أَبْطَأَ إِلَى يَدِكَ لِنَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَا قُلْنَاكَ﴾	٢٨	١٥
﴿فَطَوَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٣٠	١٥
﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾	٣٢	٣٧٤ ، ٣٧ ، ٢٤
﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٣٣	٣٩ ، ٣٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾	٣٤	٤٠
﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾	٣٨	٤٧، ٤٦، ٣٩
﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾	٣٩	٤٠
﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	٤٢	٣٢
﴿فَاسْتَقِمْ إِلَى الْخَيْرَاتِ﴾	٤٨	٢٦٠
﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلِمَ أَنَّهَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾	٤٩	٤٨
﴿أَفَحُكْمَ الْجَهَنَّمِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	٣٩
﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾	٥٤	٣٩٠
﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾	٥٦	٣٩٠
﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا﴾	٧٧	٢٦
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾	٩٥	٣٨٠، ٨٧
﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَيْثُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَيْثِ﴾	١٠٠	٣٦٦
﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾	١٠٥	١١٠، ٥
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٢٠	١٩٥
سورة الأنعام		
﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾	٣٨	٣٦٧
﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾	٤٤	٢٩٨
﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٤٥	٢٩٨
﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾	١٤١	٨٠
﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾	١٥٣	١٠٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٦٢	٢٣٦ ، ١٩٦
﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾	١٦٣	٢٣٦ ، ١٩٦
﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٦٤	٤٠١
سورة الأعراف		
﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾	٢٣	١٧٨
﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾	٥٦	٤٠٨
﴿ يَقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	٥٩	٤٠٧
﴿ وَإِلَى مَدِينَةِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾	٨٥	٦٠
﴿ قُلْ يَتَايَأُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	٣٢٠ ، ٨٦
سورة الأنفال		
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾	٢٥	١١٠
﴿ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾	٣٩	٣٩٩
﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾	٤٢	٧٦
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾	٦٠	٢٤١
﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾	٦١	٢٨٥
﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ ﴾	٧٣	١٢٩
سورة التوبة		
﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾	١١	٢٥٤
﴿ يَتَايَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	٢٨	٨٥
﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾	٣٢	١٩٦ ، ١٩٧ ، ٣٦٠ ، ٣٤٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾	٣٣	١٩٦، ١٩٧، ٢٠٢، ٣٤٦، ٣٤٥
﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا﴾	٥١	٣٠٤
﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾	٦٠	٦٥
﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾	٩٢	٣١٧
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٣	٢٧
﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٢٦١
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾	١١٩	٣٨٤، ٣٨٢، ٤
﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ﴾	١٢٠	٤٢٠
سورة يونس		
﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾	٤١	٣٩٩
﴿لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾	٦٦	١٩٥
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾	٩٩	٣٩٤، ٣٨٧، ٣٦٩
﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾	١٠٨	٣٦٨
سورة هود		
﴿كَتَبَ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٤٠٠
﴿أَنْزَلْنَاهُمْ مَكْمُوهًا وَأَنْتُمْ لَهَا كَرِهُونَ﴾	٢٨	٣٦٩
﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾	٦١	٤٠٨
﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾	٨٣	٣٤٠
﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	١٠٢	٣٣٨، ٢٩٨، ٦٩
﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾	١١٢	١٠٩، ١٠٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فْتُمْسِكُمْ النَّارُ﴾	١١٣	١١٠، ١٠٩
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾	١١٤	١١٣
﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾	١١٨	٦١، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٩٤
﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾	١١٩	٦١، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٩٤
سورة يوسف		
﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾	٧٨	١٢٦
﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَّعَيْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا ظَلَمْنَا لَنَا مِنْ﴾	٧٩	١٢٦
﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾	٨٧	٢٨، ٣٥٢
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	١٠٤	٣٢٠
سورة الرعد		
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	١١	١٩٨
﴿اللَّهُ لَا يَخْلِفُ أَلْعِمَادَ﴾	٣١	٣٤٥
سورة إبراهيم		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	٣٦٧
﴿وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾	٥	١٦٤
﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُهُمْ لِنِ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٥٣
﴿وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾	١٥	٢٤٨، ٢٧١
﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ﴾	١٦	٢٧١
﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	٢٠	٣٤٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحجر		
﴿يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾	٥٦	٣٥٢
سورة النحل		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	٣٦٤
﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	٥٣	٣٩٠
﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾	٦١	٣٠٥
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾	٨٩	١٩٥
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾	٩١	١٦
﴿يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٠٥	٣٨٢
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا﴾	١٢٠	٤٠٨
﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	٣٨٦، ١٨٥، ١٤٢
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾	١٢٦	٣٤
سورة الإسراء		
﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	١	٢٤٦
﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾	٣٣	٣١، ٢٥
﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾	٣٤	٢٩٦، ١٦
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾	٧٠	٣٧٤، ٢٢٤، ٦٢
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾	١٠٠	٧٩
سورة الكهف		
﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	٢٩	٣٦٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾	٧٤	١٢
﴿أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا﴾	٨٧	٣٦
﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾	١٠٥	٤٠٩
سورة طه		
﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾	٢٤	١٠٩
﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يُمُوسَىٰ﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠ ، ٤٩	١١١
سورة الأنبياء		
﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾	١	٣٤٤
﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾	٢٠	٣٦٨
﴿وَنَجِّنِيهِ وَلَوْ طَأَّ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾	٧١	٢٤٦
﴿وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾	٨١	٢٤٦
﴿يُسَدِّرُوكَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾	٩٠	٢٦٠
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٨٦ ، ١٨٨ ، ٢٥٢ ، ٣٢٠
سورة الحج		
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ﴾	١٧	٣٧٣ ، ٣٩٤
﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾	٢٨	٩٦
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	١١٢ ، ٢٠٤
﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾	٤٠	١١٢ ، ٣٤٦
﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾	٤١	٣٤٦
﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾	٤٧	٣٤٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٦٨	٣٧٣، ٦٢
﴿اللَّهُ يَخْتَكِمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾	٦٩	٣٧٣
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾	٧٧	٢٥٠، ٤
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾	٧٨	٨١
سورة المؤمنون		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	٨	١٦
﴿يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾	٦١	٢٦٠
سورة النور		
﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾	٢	٤٦
﴿وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾	٢٢	١٨٤
﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾	٣١	٣٢٩، ٣٢٦، ١٩٢
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾	٥٥	٣٤٦
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٣٢٠، ٨٦
﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾	٦٢	٣٦٨
سورة الشعراء		
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾	١٠٥ - ١٤٢	٦٠
﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ... وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَارِينَ﴾	١٢٨ - ١٣٠	١٣٤
﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ﴾	١٧٦، ١٧٧	٦٠
سورة النمل		
﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٥٢	٣٤٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾	٤	٣١٥، ١٣٦
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٣١٥، ٢٦٥
سورة العنكبوت		
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٤٥	١١٨، ١٠٠، ٣٠ ٢٦٣، ١٤٠
﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾	٤٦	٣٨٧، ١٨٥، ١٤٢
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٧١
سورة الروم		
﴿وَمَنْ آيَنِيهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَفَ الْمَنَاسِكُمْ وَالْوَنَكُرُ﴾	٢٢	٣٦٧
سورة الأحزاب		
﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾	٢٣	٤١٦
﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾	٢٥	٣٨٨، ٢٨٥
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣٩	٢٨٠
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	١١٨، ١٠٠، ٣٠ ٣٦٢، ٢٦٣
﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾	٦٣	٣٤٤
سورة سبأ		
﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾	٢٤	١٤٢
﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	٢٥	١٤٢



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فاطر		
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	٢٩٥
﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	١٧	٢٩٩
﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	١٨	٣٠٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾	٢٧	٣٧٧
﴿وَمِنْ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ﴾	٢٨	٣٧٧
سورة يس		
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٦٢
﴿فَسُبْحَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	٨٣	١٦٢
سورة الزمر		
﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾	٢	٩٣
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٣٦٦
﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	١٨	١٩٠
سورة خافر		
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾	٢٦	١١١
﴿أَنفَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾	٢٨	١١١
﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾	٢٩	١٥٣
﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾	٣٥	٢٤٨
﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾	٦٠	٣١٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْهُكْمِ إِلَهُ وَحْدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾	٦	١١٣
﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾	١٥	١٣٥، ١٢١، ٥٤ ٣٩٨، ٢٦٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ... نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾	٣٠ - ٣٢	١١٢، ١٠٥
﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ﴾	٣٠	١١٢، ١٠٤
﴿نَحْنُ أَوْلَىٰ أَوْكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٣١	١١٢
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾	٣٣	٣٧٢
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٤٠٠
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾	٤٦	٣٦٨
سورة الشورى		
﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾	١٥	٣٧٣، ١٠٦، ٦٢ ٣٩٤
﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾	٣٠	١٧٧
﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾	٤٠	٣٤
﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٤٩	١٩٥
سورة الزخرف		
﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾	٥١	٢٦٥
سورة الأحقاف		
﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	١٣	٣٣٠، ١١٤، ١٠٥
﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٤	١٠٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ قُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ... إِنْ تَصُرُوا اللَّهَ يَضُرَّكُمْ﴾	٧ - ٤	٤١٦
﴿وَيَا كُلُّونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَمُ وَالنَّارُ مَتْوًى لَهُمْ﴾	١٢	٤٠٤
﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	١٨	٣٤٤
﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾	٣٠	١٣٢
سورة الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾	١	٣٨٩، ٣٨٨
﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾	٢٤	٣٨٩
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾	٢٨	٣٤٥
سورة الحجرات		
﴿يَتَأَيَّمُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ﴾	٦	٣٨٤، ٣٨٢، ٤
﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾	٩	٣٤
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾	١٠	٢٥١، ٦٠، ٣٤
﴿يَتَأَيَّمُوا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾	١٣	٨٩، ٨٨ ٣٩٥، ٣٦٥
سورة النجم		
﴿الْأَنْزَارُ وَازِرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾	٣٨	٢٦٩
﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾	٤٥	١٩٣
سورة القمر		
﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	١	٣٤٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الرحمن		
﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ... وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾	٧ - ٩	١٠٩
سورة المجادلة		
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾	٢٢	٣٩١
سورة الحشر		
﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٩	٢٧
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٣٦١، ١٤٠
سورة الممتحنة		
﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾	٨	٣٩١، ٢٥٣، ١٨٤
سورة الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَذَهُم بُنِينَ مَرْصُوصٍ﴾	٤	٢٤٣، ١٢٨
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾	٨	٣٤٤
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾	٩	٣٤٦، ٣٤٥، ٢٠٢
سورة المنافقون		
﴿كَانَ لَهُمْ خُشْبٌ مِّنْ مَّسْنَدَةٍ يُحْسِبُونَ كُلَّ صِدْقَةٍ عَلَيْهِمْ﴾	٤	٤١٠، ٢٩٦
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	٢٩٥
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾	١١	٢٨١
سورة التغابن		
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٍ وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾	٢	٣٧٣
﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	١٦	٢٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطلاق		
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾	١٢	٤٠٦
سورة التحريم		
﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾	٦	٣٦٨
سورة الملك		
﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	٢	١٧
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٣٦
سورة القلم		
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيِّدِي مَتِينٌ﴾	٤٤ ، ٤٥	٢٩٩
سورة الحاقة		
﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾	٣٠ - ٣٢	٢٥٥
﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾	٣٣ ، ٣٤	٢٥٥
سورة المعارج		
﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾	٣٢	١٦
سورة المدثر		
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾	٣٨	٣٠٩ ، ٢٦٩ ، ١٢٦
سورة الإنسان		
﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾	٨	٢٥٣
﴿إِنَّمَا نُنْطِقُكُمْ لَوْجِهَةِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾	٩	٢٥٣
سورة النازعات		
﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَىٰ﴾	٢٤	٣١٥ ، ٢٦٥ ، ١٥٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المطففين		
﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣١٣﴾	٣ ، ٢	٣١٣
سورة الفجر		
﴿وَالْفَجْرِ﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢٦٢﴾	٢ ، ١	٢٦٢
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ... إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾	١٤ - ٦	٢٩٨ ، ١٣٤ ، ٤
﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿٤٠٤﴾	١٤ - ١١	٤٠٤
﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ وَلَا تَحْضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٢٥٥﴾	١٧	٢٥٥
سورة العلق		
﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾ أَن رَّاهُ اسْتَغْنَى ﴿٢٩٨ ، ٢٧٢﴾	٧ ، ٦	٢٩٨ ، ٢٧٢
سورة البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	٥	٩٣
سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ... وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾	٣ - ١	٢٥٥ ، ٢٥٤
سورة الكافرون		
﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَتَرْكَبُوهَا... لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾	٦ - ١	٣٧٠ ، ٨٣ ، ٦١ ٣٩٩ ، ٣٩٨ ، ٣٧١
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾	١	٢٣٠ ، ٨٣



فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
٨٣	أبدأ بما بدأ الله به
١٧٩	اتَّقِ دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حِجاب
٢٥٣	اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صحاحًا، وكلوها سمانًا
٤٤	ادروا الحدود بالشُّبهات
٤٤	ادروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مَخْرَجًا
١٠٨	إذا أصبح ابنُ آدم فإن الأعضاء كلّها تَكْفُرُ اللسان - أي: تخضع له -
١٥٥	إذا التقى المسلمان بسيفيهما فقتل أحدهما صاحبه، فالقاتل والمقتول في النَّار
٤١٦	إِذْنُ يُعْقَرُ جِوَادُكَ، وتُسْتَشْهَدُ
١١٦	افعل، ولا حرج
٣٨٩	أقبح الأسماء حرب ومُرة
٣١٧	إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ
١٠٨	أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ
٤١٤	اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ عِيشَ السُّعْدَاءِ، وَمَوْتَ الشُّهْدَاءِ، وَالْفَوْزَ فِي الْقَضَاءِ
٣٧٤، ٦٢	أليست نفسًا؟
٢٥٩	إِنَّ اللَّهَ تَصَدَّقَ عَلَيْكُمْ عِنْدَ وَفَاتِكُمْ بِثَلَاثِ أَمْوَالِكُمْ



الحديث	رقم الصفحة
إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ - أَي: جمعها وضمّها - فرأيت مشارقها ومغاربها	٣٤٧
إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ صَدَقَةً مِنْ غُلُولٍ	٩٢
إِنَّ اللَّهَ يَمْلِكُ لِلظَّالِمِ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ	٣٣٨ ، ٢٩٨ ، ٦٩
أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَسَبَ مَالَهُ مِنْ حَرَامٍ وَحِجٍّ مِنْ حَرَامٍ وَقَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ	٩٢
إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَيْهِ، أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ	١١٠ ، ٥
انصِرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا	٢٨٤
انطلقوا باسم الله، وبالله، وعلى ملة رسول الله	٢٠
إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى	٩٣
إِنَّمَا أَنَا رَحِمَةٌ مُهْدَاةٌ	١٨٨
إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ	٣٩٦
إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً	٣٤٧
إِنِّي أَحْتَسِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَكْفُرَ السَّنَةُ الَّتِي قَبْلَهُ وَالسَّنَةُ الَّتِي بَعْدَهُ	٢٦٢
إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ	٢٦
أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ	٣٦٥ ، ٢٣٢
أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْحَجَّ فَحُجُّوا	٨٠
أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ لَهُ مَالًا فَلْيَأْتِنِي لِأَخْذِ مَالِهِ	٣٩٦
ب	
بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ	٣٤٤
ت	
تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمِثْلِ الْجَسَدِ	٥
تَقَاتَلَكُمْ الْيَهُودُ، فَتَسْلُطُونَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَقُولُ الْحَجَرُ: يَا مُسْلِمُ، هَذَا يَهُودِي وَرَائِي	٣٥٠
تَكُونُ الثُّبُوتُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعُهَا	٣٤٩

رقم الصفحة	الحديث
ث	
٣٩٠	ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله
٢٤	الثيب الزاني، والنفس بالنفس - أي: القصاص - والتارك لدينه المفارق للجماعة
ح	
١٠٠	حبُّ الدُّنيا وكرهية الموت
٣٤٣	حتى لو دخلوا جُحر ضب تبعتموهم
د	
٢٥٣	دخلت امرأةٌ بغية الجَنَّة بسبب كلب عطفت عليه فسقته
٢٥٣، ٧٥	دخلت امرأةٌ النَّار في هَرَّة ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل
ر	
١٣	الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء
س	
١٥٥	سببُ المسلم فسوق، وقتاله كفر
٣٤٥	سئوا بهم سنة أهل الكتاب
ش	
١٠٦	شيئتي هود وأخواتها
ص	
٧٨	الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان
٧٨	صيامٌ يوم عرفة إنِّي أحتسب على الله أن يُكفِّر السنَّة التي قبله والسنَّة التي بعده
ع	
٣٧٥	عاملهم النبي ﷺ على أن يزرعوا الأرض ويعطوا
٢٥٠	عبد رزقه الله مالاً وعلماً، فهو يتقي فيه ربَّه ويصل فيه رحمه



رقم الصفحة	الحديث
١٢٢	على مثل الشمس فاشهد
٩١	العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
ف	
٨٩	فليبلغ الشاهد الغائب
ق	
١٠٤	قل: آمنت بالله، ثم استقم
١١٢، ١٠٥	قل: ربي الله، ثم استقم
ك	
١٧	كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار
٢٥١	كونوا عباد الله إخواناً
ل	
٣٨٩	لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، ولكن إذا لقيتموهم فاصبروا
١٥٥، ٢٤	لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض
٣٥١	لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين
٣٥١	لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله، لا يضربهم من خذلهم
٣٥١	لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً
٣٥٠	لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون
٣٥٢	لا تقوم الساعة حتى يكثف فيكم المال فيفيض، حتى يهمل رب المال
٨٥	لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان
٣٤٦	لا يذهب الليل والنهار حتى تعب اللات والعزى
١٠٨	لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه
٢٦٩، ١٢٣	لا يقضي القاضي وهو غضبان
٣٤٨	لنفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش

رقم الصفحة	الحديث
١٤	لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق
٨١	لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم
١٢٢	لو يُعطى الناس بدعواهم لادّعى رجال أموال قوم ودماءهم
٣٦٧	لولا أنّ الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها
٣٤٧	ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر
١١٤	ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس
م	
١٤٦، ٧٤، ٢٠	ما كانت هذه لتقاتل
٧٧	ما من أيام أعظم عند الله، ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر
٢٦٢، ٧٧	ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام
٢٥١، ١٦١	مثل المؤمن في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى
٣٤٨	مدينة هرقل تُفتح أولاً
١٢٨، ١٥٥، ٢٨٤، ٢٥١	المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه
١٢٨	المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم
٤١٠	مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه! فقال: والذي نفسي بيده
١٠٧	من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان
٢٩٧	من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله
٢٥٢	من بات شبعاناً وجاره جائع
٩٤	من حج فلم يرفث، ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه
٢٥٠	من دل على خير فله مثل أجر فاعله
١٦	من قتل معاهداً لم يُرح - أو لم يرح - رائحة الجنة
١٢٨، ١٦١، ٢٧٤، ٢٥١	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً



الحديث	رقم الصفحة
ن	
نعم المال الصالح للرجل الصالح	٢٧٢
نعم، هو فتح	٣٨٩
نهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ	٧٤
هـ	
هذا سبيل الله، ثم خَطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله (أي: متعرجة مائلة)	١٠٧
هذه طابة - وطابة أو طيبة هي المدينة - وهذا أُحُد، جبل يحبُّنا ونحبُّه	٣٩٢، ٣٩٣
هلك المُتَنَطِّعون - المُتَزَيِّدون المُتَعَمِّقون - هلك المُتَنَطِّعون، هلك المُتَنَطِّعون	٢٦
هي من أفضل الأيام عند الله	٢٦٢
و	
وأتبع السيئة الحسنة تمحها	١١٣
والذي نفسي بيده، لا يضع الله رحمته إلا على رحيماً. قالوا: كلُّنا يرحم	٢٥٢
وإنما لكل امرئ ما نوى	١١٨
ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء	١٧٩، ٢٩٩
ي	
يا أسامة، أشفع في حدٍّ من حدود الله؟ إنما هلك الذين من قبلكم	٤٢
يا أيُّها النَّاسُ، إِنَّ رَبَّكُمْ واحد، وَإِنَّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي	١٨٤، ١٥٩، ٨٩
يا أيُّها النَّاسُ، لا تَتَمَتَّؤا لقاء العدو، واسألوا الله العافية	٥
يا غلام، إنني أعلمك كلمات - وكان من هذه الكلمات -...	٣٠٤
يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة	٤٠٩
يأتي على النَّاسِ زمان لا يبالي المرء ما أخذ: أمن الحلال أم من الحرام	٩١
يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مع صلاتهم، وقيامه مع قيامهم، وقراءته مع قراءتهم	١٨، ٧٢
يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته	٦٩

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

- ٤..... من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥..... من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧..... مقدمة
- ٩..... مقدمة
- ١ - قتل البراء جريمة كبرى سواء أكان للدنيا أم للدين..... ١١
- القتل لأجل السرقة..... ١١
- وحوش في لبوس البشر..... ١٢
- حُرمة دم المسلم..... ١٤
- قتل الشّياح المستأمنين في بلادنا..... ١٥
- إخلاص مصحوب بحماقة..... ١٦
- حُسن النّيّة لا يُبرّر الأعمال الطائشة..... ١٧
- أخلاق الإسلام في الحرب..... ٢٠
- احترام الإسلام للنّفس البشريّة وصيانتها..... ٢٤
- آفة الغلوّ والتّطرف..... ٢٥
- ذكرى وعد «بلفور» المشؤوم..... ٢٧
- ٢ - القصاص في الشّريعة الإسلاميّة..... ٣١
- لماذا شرع الله القصاص..... ٣٢



- ٣٣..... بين القصاص والعفو
- ٣٤..... الإسلام شرع العدل وشرع الفضل
- ٣٤..... رحمة في غير موضعها
- ٣٥..... ردع المجرمين ليستقيم ميزان العدل
- ٣٦..... خصائص العقوبة الإسلامية
- ٣٧..... السجن وحده ليس رادعاً عن الجريمة
- ٤٠..... باب التوبة مفتوح للمجرمين
- ٤٣..... العذر بالجهل
- ٤٤..... درء الحدود بالشبهات
- ٤٦..... الحدود وحدها لا تكفي لاستقامة المجتمع
- ٤٩..... موقف أمريكا من الإسلام
- ٤٩..... أمريكا وحصار السودان
- ٥٠..... ما جريمة السودان؟
- ٥٥..... ٣ - أكذوبة اضطهاد الأقليات المسيحية!
- ٥٥..... التنصير في إندونيسيا
- ٥٧..... لماذا يدّعي التنصير الفشل في بلادنا؟
- ٥٩..... التسامح بين المسلمين والأقباط في مصر
- ٦٠..... هل المسلمون والمسيحيون إخوة؟
- ٦١..... أسس التسامح مع المخالفين
- ٦٣..... شهادة التاريخ على سماحة المسلمين
- ٦٦..... متى بدأت الفتنة؟
- ٦٧..... سياسة الكيل بمكيالين
- ٧٠..... خلّوا بيننا وبين إخواننا

- ٧٢..... ذريعة قتل السياح في بلاد المسلمين
- ٧٣..... براءة الإسلام من الأعمال الإرهابية
- ٧٤..... الحرب لمن يقاتل
- ٧٥..... الحوار مع جماعات العنف
- ٧٧..... ٤ - وقفات مع حجّاج بيت الله الحرام
- ٧٧..... نفحات أيّام مباركة
- ٧٩..... عبادات الإسلام الماليّة والبدنيّة
- ٧٩..... الحجّ عبادة ماليّة بدنيّة
- ٨١..... بعض حكم فريضة الحجّ
- ٨١..... الانقياد والخضوع لله تعالى
- ٨٤..... هل في الحجّ شوائب من الجاهليّة؟
- ٨٥..... الوحدة والتآلف
- ٨٦..... السّلام
- ٨٧..... المساواة
- ٩١..... الحجّ المبرور وشروطه
- ٩١..... ١ - المال الحلال
- ٩٣..... ٢ - إخلاص النّيّة لله
- ٩٣..... ٣ - تجنّب الرّفث والفُسوق والجدال
- ٩٥..... أثر الحجّ في الشخصيّة المسلمة
- ٩٧..... اغتيال إسرائيل لقادة «حماس»
- ١٠١..... ٥ - الاستقامة وأثرها في حياة المسلم
- ١٠١..... كثرة أخبار السرقة والاختلاس
- ١٠٢..... آفة فساد الضمير والخُلُق



- ١٠٤..... حاجة الأمة إلى الاستقامة
- ١٠٧..... استقامة القلب
- ١٠٨..... استقامة اللسان والجوارح
- ١٠٩..... الاستقامة على طريق الحق
- ١١٠..... حاجة أمتنا للاستقامة
- ١١٥..... الكوارث المتكررة في رمي الجمرات
- ١١٩..... ٦ - من المسؤول عن أحداث الحادي عشر من سبتمبر؟
- ١١٩..... عملٌ نستنكره وندينه
- ١٢١..... اتّهام مُتَسَرِّع للمسلمين
- ١٢٣..... ما الإرهاب الذي سيحارب؟
- ١٢٥..... لا تزر وازرة وزر أخرى
- ١٢٧..... ترُبُّص أمريكا بأفغانستان
- ١٢٨..... حُرمة التعاون مع أمريكا لضرب أفغانستان
- ١٣٠..... كيفية علاج الإرهاب
- ١٣١..... حربٌ ضد الإسلام لا الإرهاب
- ١٣٣..... الإسلام ليس خطرًا على أحد
- ١٣٧..... على أمريكا أن تحذر من الظلم
- ١٤١..... ٧ - القمة الإسلامية المسيحية الأولى في روما حول الإرهاب وأسبابه
- ١٤١..... المراد من الحوار الإسلامي المسيحي
- ١٤٣..... مجالات مشتركة للقاء
- ١٤٣..... نُنكر الإرهاب
- ١٤٤..... معنى الإرهاب
- ١٤٥..... الإرهاب الذي ننكره

- الإرهاب الذي نؤيده..... ١٤٧
- لا بدّ أن نُحدّد: ما المراد بالإرهاب؟..... ١٤٧
- الظلم أوّل أسباب الإرهاب..... ١٤٨
- ننشد العدل عند معالجة الإرهاب..... ١٥٢
- أمريكا تخشى الإعلام المنصف..... ١٥٧
- ٨ - مِحْنَةُ الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ..... ١٦٢
- أمريكا تنهتياً لحرب أفغانستان..... ١٦٤
- أمريكا تعالج الإرهاب بإرهاب أكبر..... ١٦٦
- على من يكون الدور بعد أفغانستان؟..... ١٦٨
- الإرهاب كما تراه أمريكا..... ١٦٩
- حربٌ ضدّ الإسلام الشامل المعتدل..... ١٧٣
- التحريض على الإسلام..... ١٧٤
- على أمريكا أن تعيد حساباتها..... ١٧٧
- حول منعي من دخول الإمارات..... ١٨١
- ٩ - الْحَرْبُ الثَّقَافِيَّةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ..... ١٨٥
- الحوار مع الآخر..... ١٨٥
- حرب ثقافيّة على المسلمين..... ١٨٧
- إسلامنا ليس خطراً على أحد..... ١٨٧
- هل الإسلام ضدّ الحداثة؟..... ١٩٠
- الحداثة التي يرفضها الإسلام..... ١٩٢
- العلمانيّة ليست دواء ناجحاً لنا..... ١٩٤
- أمريكا وتغيير مناهج التعليم في بلادنا..... ١٩٧
- نرحّب بتطوير التعليم وفق تعاليمنا وقيمتنا..... ١٩٨



- ١٩٩..... ما نريده من المسلمين
- ٢٠٣..... حول الأحداث في أرض فلسطين
- ١٠ - ماذا قدّم العرب لفلسطين خلال عام هجري مضى؟! ٢٠٥
- ٢٠٥..... ذكريات مع العام الهجري
- ٢٠٧..... مأس أصابت الأمة في عامها المنصرم
- ٢٠٩..... مواقف مُخزّية للعرب تجاه فلسطين
- ٢١٠..... النخوة عند عرب الجاهليّة
- ٢١٢..... نخوة عرب قريش
- ٢١٣..... النخوة في العهد الإسلامي
- ٢١٤..... لم يُعد لنا مُبرّر للسكوت
- ٢١٥..... أمريكا تكيل بمكيالين
- ٢١٧..... شجاعة أهل فلسطين
- ٢١٨..... تحوّل غريب في سياسة العرب
- ٢٢٠..... فهم حقيقة المؤامرة الأمريكيّة على العراق
- ٢٢٣..... اضطهاد المسلمين والمسلمات في أمريكا
- ١١ - الأمة الإسلاميّة تحت وصاية الغرب ٢٢٥
- ٢٢٥..... ماذا يُراد بتغيير التعليم في بلادنا
- ٢٢٦..... هل يراد بالتعليم الديني هذا التعليم؟
- ٢٢٧..... هل التعليم الديني يُثمر إرهاباً؟!
- ٢٢٩..... هذا شيء غير الإرهاب
- ٢٣٠..... مؤامرة لتقليص دور الدين في الحياة
- ٢٣١..... محاولة لمسح وتشويه التعليم الديني
- ٢٣٣..... لماذا لا يُطالب غيرنا بتغيير مناهجه التعليميّة؟

- ٢٣٦..... دعوة لتطوير مناهجنا التعليميّة وتجديدها
- ٢٣٧..... التعليم الديني والعلوم التجريبيّة الإنسانيّة
- ٢٤١..... ثبات الشّعب الفلسطيني أمام المجازر
- ٢٤٢..... أنصح عرفات بالعودة إلى النضال
- ١٢ - إغلاق المؤسّسات الخيريّة الإسلاميّة لمصلحة من؟ ٢٤٦
- ٢٤٦..... حالة هوان تعيشه الأُمّة
- ٢٤٩..... محاربة العمل الخيري الإسلامي
- ٢٤٩..... عوامل التزام المسلم بعمل الخير
- ٢٥٠..... ١ - المسلم مأمور بفعل الخير
- ٢٥١..... ٢ - مطالبة المسلم بمعاونة إخوانه
- ٢٥٢..... ٣ - فعل الخير للبشريّة جمعاء
- ٢٥٤..... ٤ - فريضة الزكاة
- ٢٥٤..... واجبات أخرى سوى الزكاة
- ٢٥٦..... دور العمل الخيري في الحفاظ على عقيدة الأُمّة
- ٢٥٩..... مصادر تمويل العمل الخيري
- ٢٦٢..... فضل العشر الأوائل من ذي الحجّة
- ١٣ - لا لضرب العراق ٢٦٤
- ٢٦٤..... الزمن الأمريكي
- ٢٦٥..... أمريكا ومنطق الجبروت
- ٢٦٦..... اتّخاذ الإسلام عدوّاً بديلاً عن الشيوعيّة
- ٢٦٦..... دعوى صدام الحضارات
- ٢٦٧..... مؤامرة على الإسلام دُبّرت بليل
- ٢٧١..... أمريكا وتدخلها في شؤون الآخرين



- المطامع الأمريكية في العراق ٢٧٣
- واجبنا نحو العراق ٢٧٦
- ١٤ - قضية العراق ٢٧٩
- سرُّ غيابي عن المنبر ٢٧٩
- موقفي من قضية ضرب العراق ٢٨٢
- موقف الشرع من ضرب بلد مسلم ٢٨٢
- تضامن الأمة في الدفاع عن أراضيها ٢٨٣
- الأمة الإسلامية أمة واحدة ٢٨٤
- موقفي من الحروب العدوانية ٢٨٥
- موقف أمريكا من جرائم إسرائيل ٢٨٦
- التضييق على المؤسسات الخيرية ٢٨٧
- هل في العراق أسلحة دمار شامل ٢٨٩
- أهداف أمريكا من غزو العراق ٢٩١
- أهداف أمريكا معروفة ٢٩١
- موقفنا من غزو أمريكا للعراق ٢٩٣
- تحية للبرلمان التركي والأتراك ٢٩٤
- ما نتمناه من حكّام العرب ٢٩٥
- سبب تعدي أمريكا وظلمها ٢٩٧
- لسنا ضد الشعب الأمريكي ٢٩٩
- ١٥ - لا أخاف الاغتيال، بل أتمنى الشهادة ٣٠٢
- ملاحقة أمريكا لمخالفاتها ٣٠٢
- أسباب عدم خوفي من أمريكا ٣٠٣
- الإمام البنا وأمنية الشهادة ٣٠٦

- ٣٠٧..... لا أخاف التضيق عليّ في الرزق
- ٣٠٨..... شغلونا عن القدس
- ٣٠٩..... البلادة أصابت المسلمين في مشاعرهم
- ٣١٠..... أين أمّتنا العربيّة والإسلاميّة
- ٣١١..... فتوى الأزهر لنجدة العراق
- ٣١١..... تعرّض الفلسطينيون للتعذيب والهوان
- ٣١٣..... من يوقف طغيان شارون؟
- ٣١٦..... واجباتنا نحو فلسطين
- ٣٢٠..... ١٦ - فرنسا وقضيّة الحجاب
- ٣٢٠..... الإسلام دين انتشاري
- ٣٢١..... الأقليات المسلمة في العالم
- ٣٢٢..... صفحات من تاريخنا مع فرنسا
- ٣٢٣..... صفحة الحروب الصليبيّة
- ٣٢٤..... تاريخ فرنسا الاستعماري
- ٣٢٥..... فرنسا والحجاب
- ٣٢٦..... الحجاب أمرٌ من الله واجب التنفيذ
- ٣٢٧..... هل الجماعات الإسلاميّة وراء الحجاب؟
- ٣٢٨..... الحجاب من الحرّية الدينيّة للإنسان
- ٣٣٠..... الحجاب بين الفرضية والرمزيّة
- ٣٣٢..... صور من سماحة الإسلام مع الآخر
- ٣٣٣..... التنوّع الثقافي في حضارتنا
- ٣٣٤..... لوان من العلمانيّة
- ٣٣٥..... خوف يتبعه مخاوف



- العلمانيّة المتطرّفة..... ٣٣٥
- دور المسلمين نحو قضيّة الحجاب..... ٣٣٦
- إلقاء القبض على صدام حسين..... ٣٣٨
- لست صداميًا!..... ٣٣٩
- ١٧ - المستقبل للإسلام..... ٣٤١
- مآسي تبعث على اليأس..... ٣٤١
- خلط في فهم علامات الساعة..... ٣٤٣
- مبشّرات بانتصار الإسلام من القرآن..... ٣٤٤
- القرآن الكريم يقول..... ٣٤٤
- مُبَشَّرَات من السُّنَّة النَّبَوِيَّة..... ٣٤٦
- مُبَشَّرَات من التاريخ..... ٣٥٢
- مبشّرات من الواقع المعيش..... ٣٥٥
- رثاء الشَّيْخ خليل الحامدي..... ٣٦١
- ١٨ - التعدُّدية في الإسلام..... ٣٦٣
- وحدانية الخالق..... ٣٦٣
- تعدُّدية الخلق..... ٣٦٤
- التعدُّدية اللسانية واللُّغويّة..... ٣٦٧
- التعدُّدية الدينيّة..... ٣٦٨
- هل هناك أديان غير الإسلام؟..... ٣٧٠
- مفاهيم تعين المسلم على التسامح..... ٣٧٢
- التعدُّدية الثقافيّة..... ٣٧٦
- تنوع الثقافات يثري الحضارة..... ٣٧٧
- التعدُّدية السياسيّة والحزبية..... ٣٧٨

- ٣٧٨..... معارضة الأفراد للحاكم
- ٣٧٩..... معارضة الأحزاب للحاكم
- ٣٨٠..... تسامحنا وتسامحهم!
- ٣٨٢..... شائعة احتساب يوم الجمعة في قطر يوم عمل
- ٣٨٥..... ١٩ - الثقافة الإنسانيّة المنشودة
- ٣٨٥..... الثقافات المغلوطة وأثرها
- ٣٨٦..... مصدر الثقافة الحقيقيّة
- ٣٨٦..... ثقافة الحوار لا الصراع
- ٣٨٨..... ثقافة السّلام لا الحرب
- ٣٩٠..... ثقافة الحبّ لا الكراهية
- ٣٩٣..... ثقافة التّنوُّع لا الانفراد
- ٣٩٤..... ثقافة التسامح لا التعصّب
- ٣٩٥..... ثقافة المساواة لا الاستعلاء
- ٣٩٨..... ثقافة التعايش لا التهاوش
- ٣٩٩..... شرط ثقافة التعايش مع الآخرين
- ٤٠٠..... بيدنا خير دواء
- ٤٠٠..... نداء للبشريّة كلّها
- ٤٠٢..... رثاء الأستاذ مأمون الهضيبي
- ٤٠٣..... القيادة مغرم لا مغنم
- ٤٠٤..... ٢٠ - الشّيخ أحمد ياسين رجل بأمّة
- ٤٠٤..... تفاؤلات أقدار النّاس
- ٤٠٥..... لماذا يعيش المسلم؟
- ٤٠٦..... معرفة الله



- المؤمن بين عبادة الله وخلافته في أرضه ٤٠٧
- منزلة المرء على قدر إيمانه ٤٠٨
- الشيخ أحمد ياسين رجل بأمة ٤١٠
- إرادة صلبة وعزم لا يلين ٤١١
- المعلم والمجاهد والعابد ٤١٢
- ميته شريفة ٤١٣
- عاش سعيداً ومات شهيداً! ٤١٤
- بركة الشيخ أحمد ياسين حياً وميتاً ٤١٦
- أمنية محققة ٤١٦
- شفاء غليلنا في تحرير الأقصى ٤١٧
- ما نطلبه من قمة العرب المرتقبة! ٤١٨
- واجب الحكام العرب والمسلمين نحو فلسطين ٤١٩
- قادتنا قادرون على فعل الكثير ٤٢٠
- نريد لنسائم الحرية أن تهب على الشعوب ٤٢١
- الحيلة لنجدة المسلمين ٤٢٢
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة ٤٢٦
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ٤٤٤
- فهرس الموضوعات ٤٥٠

* * *



فهرس كتب المجلد



١٦٨ - خطب الشيخ القرضاوي (٥) ٥

١٦٩ - خطب الشيخ القرضاوي (٦) ٤٥٣

* * *